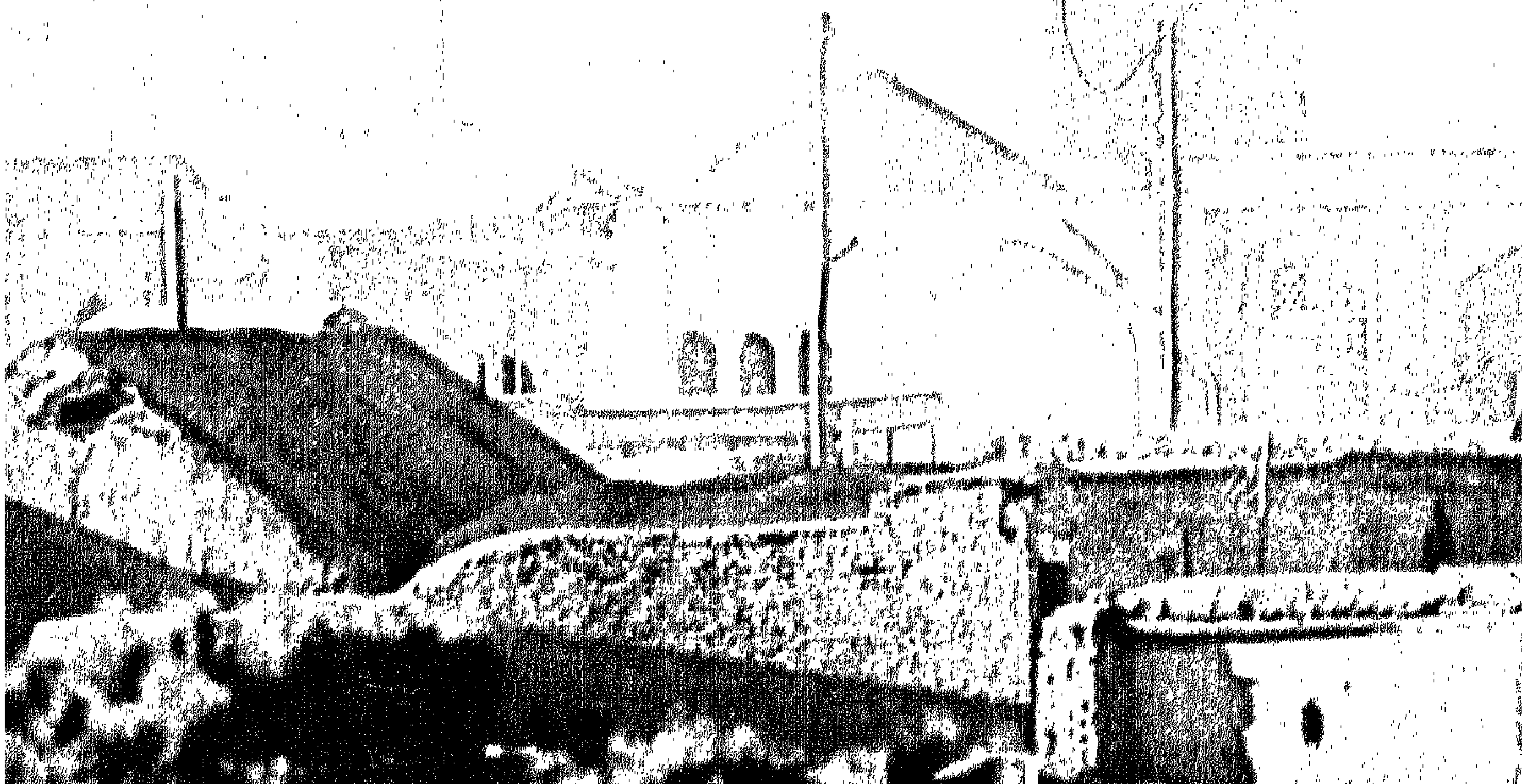
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى - العدد السابع - آيار "مايو" ١٩٧٩ - الموافق جماد الثاني ١٣٩٩

- حضارة ايران الفارسية والأسرار المجهولة منذ ٢٥٠٠ سنة
- وثيقة عربية شامية عن القرن العاشر الهجري
- الجزائر والحملة الفرنسية عام ١٨٣٠
- اتفاقية سايكس - بيكو (١٦ آيار ١٩١٦)
- حسن ابن الهيثم : أسس علم البصريات
- والضوء منذ ١٠٠٠ سنة !
- أبطال ٦ آيار شهداء لبنان والعدالة



طقم كامِل مِنَ الألماس البرلنت وَالزمرّد



تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

تصدر عن دار النشر العربية

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان

بناية أبو هليل - شقة ١١

شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

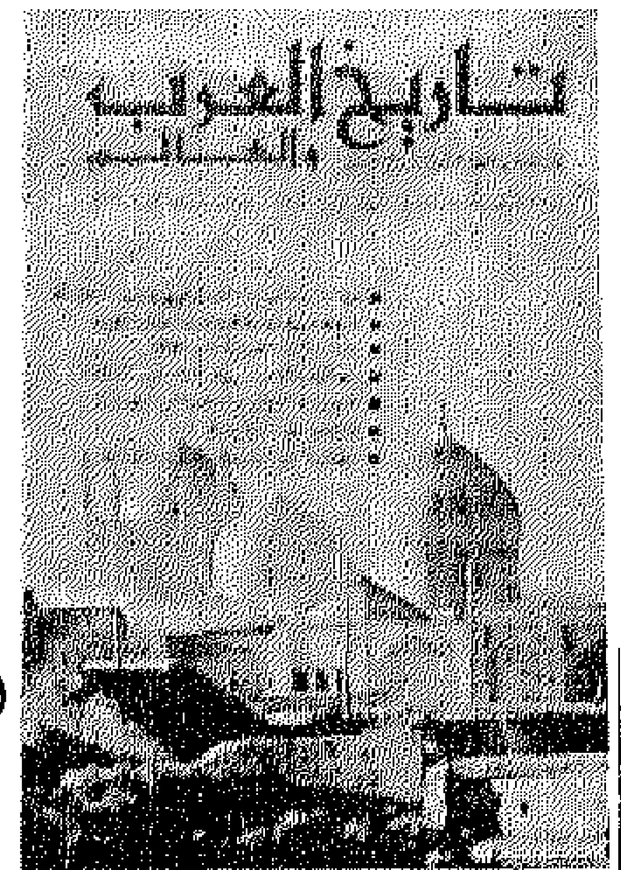
HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°. 7 May, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعي في الالقاب الصفات العلمية فقط.



قباب جوامع اصفهان الزرقاء تتحدى الجبال الشامخة

راجع مقالة «حضارة ايران الفارسية» ص ٤٨

- المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.
- المقالات والدراسات التي تُنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.
- المواد الواردة الى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.

وثيقة عربية عمرها اربعة قرون :

الصناعة النسيجيّة والنُسَّاج

د. ليلى الصباغ

● تقديراً من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام الذي عقد أخيراً في دمشق (راجع العدد ٤ من المجلة. كانون الثاني - يناير - ١٩٧٩) أعد مركز الدراسات والابحاث في المجلة صورة ملخصة من ثلاثة من البحوث التي قرئت في المؤتمر. وكانت على جانب كبير من الأهمية والاثارة. على أن تنشر متتالية في المجلة.

وفي هذا المجال تود المجلة أن تؤكد انها تقدر جميع البحوث المقدمة إلى المؤتمر. كما أنها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة دمشق في سبيل انجاح هذا المؤتمر. وتتمنى أن تستمر الجهود في جميع أنحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية أوضح لتاريخهم وثقة أكبر بأن هذا التاريخ يكون ركيزة أصيلة لانطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بنـاءً سليماً ثابت البنيان.

وفي العددين الماضيين نشرنا بحثا عن قضية الحدود بين فلسطين ومصر وأثرها في جذور الصراع العربي الصهيوني. وفي هذا العدد ننشر للدكتورة ليلى الصباغ. دراسة عن وثيقة عربية شامية من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) عن الصناعة النسيجية والنسّاج.

● الوثيقة في الواقع هي رسالة صغيرة أو «تعليق» كما سمّاها صاحبها. لا يزيد حجمها عن أربع ورقات وربع الورقة، وفي كل ورقة صفحتان. وهذا التعليق هو بعنوان «ضوء السراج فيما قيل في النساج»، لمؤلفه المؤرخ الدمشقي العلامة «شمس الدين أحمد بن طولون الحنفي». الذي استقبل القرن العاشر الهجري وهو في السادسة عشرة من عمره (ولد عام ٨٨٤ هـ/١٤٧٩م) وعايشه لثلاث وخمسين سنة، (توفي عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) كان خلالها كما نعته العلامة برهان الدين بن عون مفتي الحنفية «الشيخ العالم المتقن المقرر المحدث الفقيه، المقرى، ... زين الطالبين، فقيه المحدثين». هذا بالاضافة الى أعمال ادارية تسنمها اثناء تلك الفترة، عمقت تجاربه العلمية تلك.

كما عمل في نطاق التدريس، معيداً، فمدرساً في خمس مدارس. وفي المسجد الأموي، وتولى مشيخة بعض الخانقات، والامامة في بعض المساجد، والخطابة. ولقدْ عرضت عليه مناصب القضاء عدّة مرّات، فرفض، وكذلك أفتاء الحنفية. فهو اذن رجل عاش في خضم مجتمعه، واسهم في نشاطه العلمي، وتغلغل في دقائق أحواله، وكان في الوقت ذاته يدوّن كل صغيرة يلاحظها فيه، حتى بلغت مؤلفاته في موضوعات تاريخية، وأخرى متنوعة، وفي ميادين شتى ٧٤٦ مؤلفاً. ومن هنا كان «ابن طولون» مصدر ثراء لتاريخ بلاد الشام في النصف الأول من القرن العاشر/السادس عشر، وخلال منعطف هام فيه، وهو مرحلة دخول العثمانيين الى بلاد الشام، وبداية استقرارهم فيها.

والوثيقة المطروحة «لابن طولون» اليوم، نسخة واحدة، وهي بخط المؤلف نفسه كما يبدو. ولا يعرف بالضبط تاريخ لكتابة ابن طولون لها. وإن كان المرجح أن كتابتها كانت قبل سنة ٩٤٣هـ، عندما داهمه المرض.

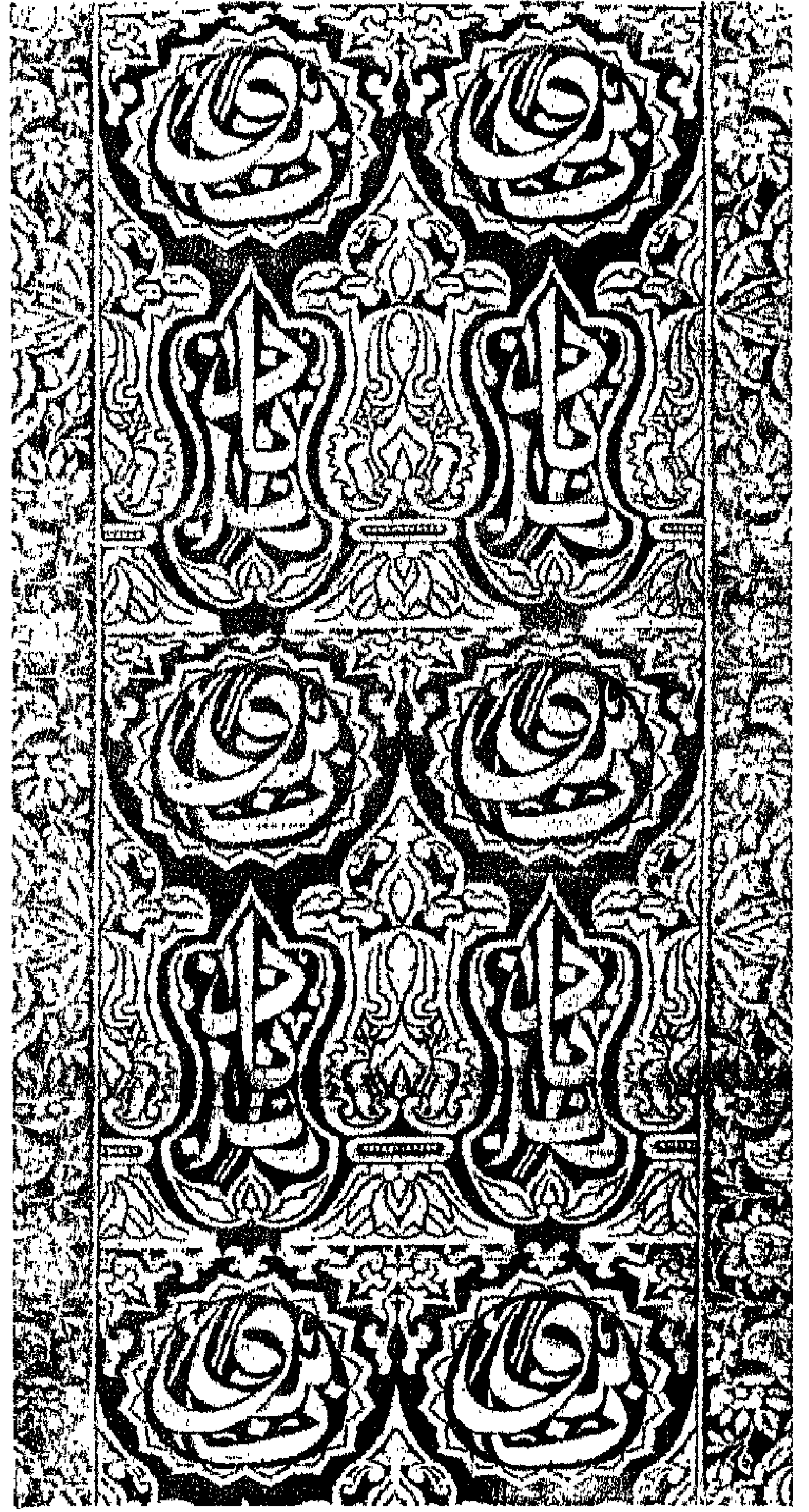
مضمون الكتاب

والتعليق كما يتبين من عنوانه يتحدث عن فئة من فئات المجتمع العاملة في الميدان الاقتصادي الحرفي، وهي «فئة النساج». وهو بمجموعه أشبه بمقال متكامل من الأدب الاقتصادي - الاجتماعي، ومن ثم فالطابع التاريخي البحث فيه، المحدد بالمضمون الزمني والمكاني ضعيف. وقد افتتحه على عادة ذلك العصر بالبسملة والحمدلة، والصّلاة والسلام على الرسول وصحبه وأزواجه. الاّ أنه لم يطل في هذه الفاتحة كعادته في الايجاز البليغ.

ومن الفاتحة انتقل ابن طولون مباشرة الى الموضوع، فعرّف بالمعنى اللغوي لكلمة «نسيج» التي اشتقت منها كلمة «النساج»، وبيّن معناها الحقيقي والمجازي. وبعض مشتقاتها، ثم شرح الكلمة المرادفة لها وهي «الحياكة» بالطريقة ذاتها، وأنهى شرحه بايراد الحديث النبوي الذي تدخل فيه لفظة «حاك» وهو: «الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطّلع عليه الناس».

ويمكن تصنيف محتوى «التعليق» في فصلين صغيرين: الفصل الاقتصادي تقني يمكن أن يعطى عنوان «حرفة النسيج وأنواعها» والفصل الثاني اجتماعي وعنوانه المحتمل «موقف الفقهاء المسلمين من النساج».

ففي الفصل الأول يتحدث ابن طولون عن «أنواع الحياك»، ويبين بفكره الشمولي المستقصي أن أنواع الحياك قد تفوق ألف نوع. ويقتصر على إبراز خمسة عشر نوعاً منهم فقط، وهم: حياك القطن، وحياك الكتان، وحياك الحرير، وحياك المناشف، وحياك العبي، وحياك الصوف، وحياك البسط، وحياك البلاسات، وحياك النوارات، وحياك الزوامل، والحباكون، وحياك الجوخ، وحياك الحصر، والمناخلية، والغرابلية. ويفصل في سبعة منهم. وأول المفصل فيهم حيّاك القطن. ويميز فيهم كذلك بين سبعة أصناف بحسب صنف النسيج الذي يحيكونه: «فمنهم من ينسج البطاين»، ويسند هذا العمل الى النباطية، ومنهم من ينسج المتوسط كأهل بعلبك. ومنهم من ينسج الرفيع العال كأهل الموصل. وبذلك يميز «ابن طولون» بين ثلاثة أنواع من خيوط الغزل المستخدمة في النسيج: الغليظ، والمتوسط، والرفيع. (وبالطبع فان نوعية ما ينسج من الخيط الغليظ هي دون ما ينسج من المتوسط، بل ان ما ينسج من الرفيع منه يكون صنفاً «عالياً» ورقيقاً أشبه ما يكون بالحرير). والى الانواع يضيف ابن طولون أربعة أخرى أولها: الملون من الثياب ويصنعه أهل الكرك. وثانيها نسيج العمايم، وثالثها الأزُر، ورابعها اللّحف، وهذه الانواع الثلاثة الأخيرة أشتهر بنسجها أهل اليمن. ويستدرك مؤرخنا فينسب



قطعة من الحرير «البروكار» صنعت في الشام في القرن السابع عشر (متحف برلين).

ما ينسج من العمائم والأُزَر الى دمشق أيضاً. وفي محلة قبر عاتكة خارجها.

والقسم الثاني من الحياك الذي يفصّل إبن طولون في فئاته هو حياك الكتان ويقسمهم الى أربعة اختصاصات: حياك الكتان الابيض وأحسن ما يحاك منه بدمشق وحياك الكتان «الأزرق المصمت». وحياك الكتان الملوّن كالظهور. وحياك الكتان مع الحرير المسمى بالتفاصيل. وأحسن من يصنع الأنواع الثلاثة الأخيرة مصر.

والفئة الثالثة من الحياك التي يقدم «ابن طولون» معلومات أوفى عن انتاجها هي حياك الحرير. إذ يعدّد أربعة عشر نوعاً منها، بعضه معروف ولا نزال نتداول أسماءه الى اليوم، وبعضه الآخر لا يُعرف كثير عنه.

فمن الانواع المنسوجة المعروفة: اللباسات، ومناديل النساء، والقمصان، والكمخة، والمخمل، والأطلس، والحرير مع القطن، والحرير مع الكتان، والحرير مع الذهب، والحرير مع الفضة، أما تلك التي تبدو مبهمة الصورة فهي ما يسميه ابن طولون «عمل الدار» (ولعله لعمل أغطية لاثاث الدار)، و«الهرمزي» (ولا يعرف شكله على التحديد)، و«والرش» (ولعله الحرير المرشوش بخيوط الذهب والفضة مثل البروكار). و«النيل في النجيل» (ولعله حرير متموج بين الزرقة والخضرة).

والنوع الرابع من النساج الذي يسعى مؤرخنا لطرح بعض الضوء على انتاجه، هو حياك الصوف. وفي هذا المجال يذكر حقيقة تاريخية لاتمارى وهي ان غالب ما يعمل (من الصوف) ببلاد الفرنج ثم الروم، حيث كان الاتراك العثمانيون في زمن ابن طولون. ويشير مؤرخنا الى النوع المجلوب من تلك البلاد وهو «المختم»، ويضيف أنه رأى من يصنعه بدمشق. ويوضح ان نوعاً منه كان يسمى بالمغربي، ويصنع من الصوف والحرير. ويبدو انه كان يرد من المغرب أو ان صناعته كانت الصناعة المغربية، أو لعل بعض المغاربة كان يعمل فيها.

ومثلما بين ابن طولون أنواع حياك الصوف، فانه فعل في حياك البسط. وطرح في هذا الميدان اسماء لثلاثة أصناف منها، تبدو غامضة المدلول والاستخدام وهي الزلية، والكركية، وعسل الشريف. وكذلك عمل مع «نساج النوارات» فوزعهم الى أربع فئات: «فمنهم من يعمل التي تلبس من الوبر. ومنهم من يعمل التي للاخراج، ومنهم من يعمل التي للحزم. ومنهم من يعمل التي للعداوات، الى غير ذلك.

والفئة السادسة التي يقدم ابن طولون بعض شرح اضافي حول عملها هي حياك الجوخ. ومثلما أكّد أن حياكة «الصوف هي من عمل بلاد الفرنجة والروم». فانه فصل في حياكة الجوخ. إلاّ أنه أضاف أنه رأى من يقلد هذه الحياكة من مادة القطن. ويقوّم انتاجها بقوله انه «ليس في حسنه وماويّته».

والفئة السابعة والأخيرة من الحياك التي يعطي بعض تفصيلات عن نوعية عملها هم عمال الحُصُر. فيوضح بأنهم يعملون اما بالقش الغليظ، أو الملون، الى غير ذلك.

أدوات الحياكة:

وينتقل ابن طولون في مخطوطته الى الجزء التقني الثاني من الصناعة النسيجية ويبدأه بتعريف بالأدوات التي يستخدمها الحايك، مع شرح لوظيفة كل جزء منها: كالمنسج أو المطواة، والمكوك، والماسورة، والمشط، ويضيف في النهاية عمل الصبي.

أما القسم الثالث من تقنيات الصناعة النسيجية، فهو المواد الخام التي تعتمد عليها. ومرة أخرى تظهر نظرته الشمولية الى جميع مواد النسيج على الرغم من التحديد المبدئي الذي طرحه سابقاً. وهو عندما يقدم المادة الخام، يصفها وصفاً مقتضباً على عادته. فيتحدث عن صفة نبات القطن والكتان والقنب. ويشير الى نوع مماثل تتخذ منه العدول وهو «الخبازاء»، وهو نوع لم تشر المعاجم اليه. ثم يذكر «الحرير والصوف والشعر والوبر كذلك الذهب والفضة» «وهما يؤخذان ويجعلان سبايك ثم يمدان حتى يصلحا للنسج بانفسهما أو مع الحرير».

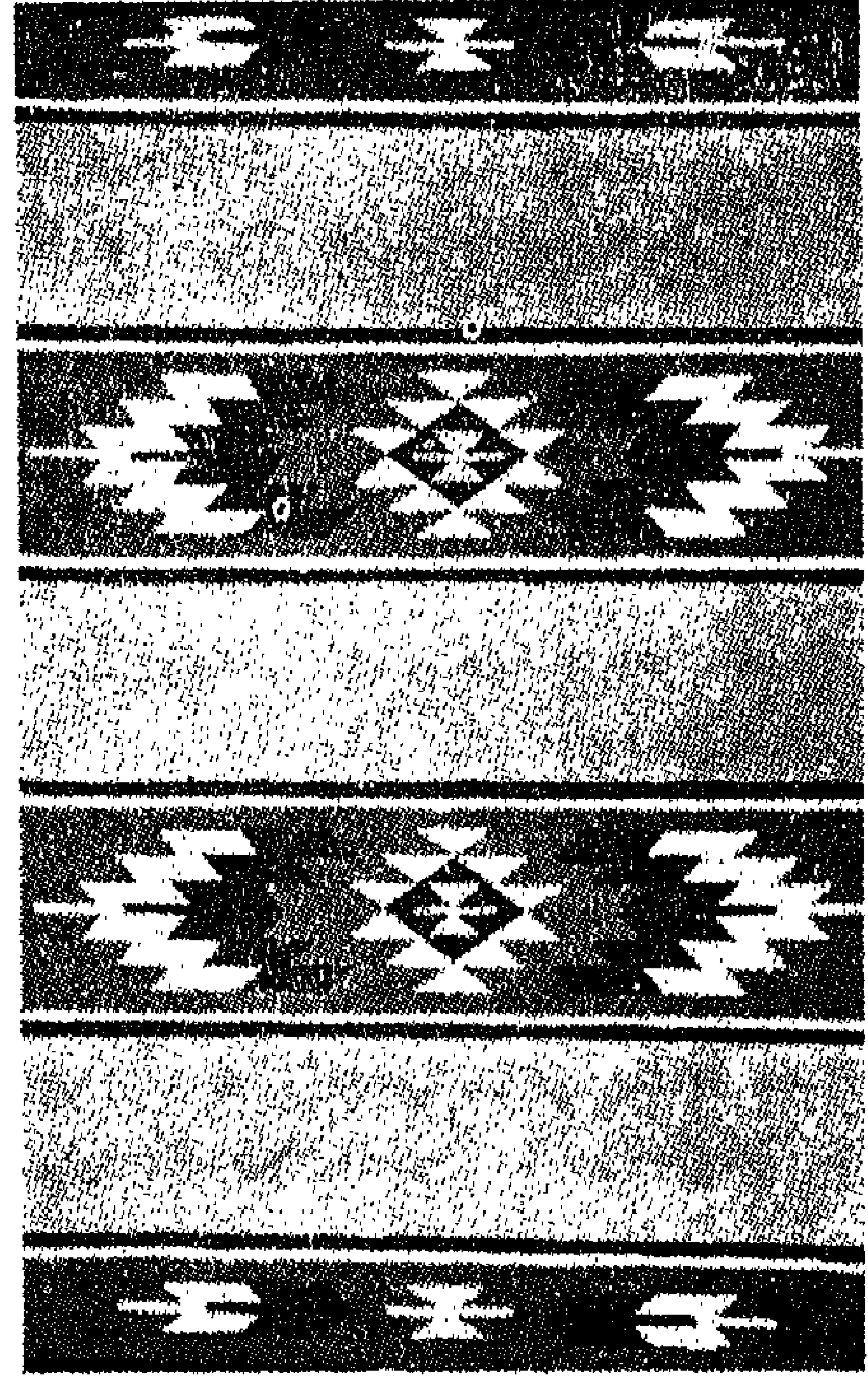
وبعد ذلك يشير المؤلف باقتضاب الى ان هذه الاشياء يغزلها الغزّالون والغزّالات. وكأني به أراد أن يؤكد دور المرأة في صناعة الغزل ويبرزه. عندما اتبع هذه الجملة بتقديم نماذج لبعض الغزّالات من الشخصيات الاسلامية المعروفة كأخت بشر بن الحارث الصوفي وميمونة بنت الأقرع. ومع ان ابن طولون لا يتطرق الى الغزالات في عصره. إلاّ أن الوثائق الأجنبية في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ولا سيا الفرنسية منها. تؤكد ان غزل القطن في بلاد الشام كانت تقوم به النساء في بيوتهن وخلال فصل الشتاء. حيث لا يكن مشغولات بمواسم الصيف الزراعية. إلاّ أن الصورة التي يطرحها الأوروبيون في ذلك الوقت عن النساء الغزالات، من حيث الأمانة في بيع غزولهن تبدو مغايرة جداً للتي يطرحها إبن طولون عن الغزالات التقيات الورعات. فالغزالات في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري مثلاً كن يبللن غزلهن بالماء حتى يزيد وزنه. بينا الغازلة التي يقدمها لنا إبن طولون رفضت أن تبيع غزلها لأن الشاري الذي سيقوم ببيعه ثانية قد لا يبيّن للشاري الثاني أن قسماً منه قد غزلته صاحبته ويدها مسترخية بسبب صيامها. وقسماً آخر غزلته ويدها شادة، بل إن الغازلةالثانية أتت الى «أحمد بن حنبل» الفقيه الكبير المعروف تسأله هل عليها أن تبين لشاري غزلها أن قسماً منه قد غزلته على ضوء السراج، وقسماً آخر على ضوء القمر. ومع ان ابن طولون لا يقوّم نوعية الغزل في بلده، إلاّ أن الاوروبيين كانوا يؤكدون شدّة اتقانه وامتيازه، بل ان المرأة قد أوجدت لها تقنية خاصة لغزل الأنواع الثلاثة من القطن الغليظ والمتوسط والرفيع، بان تثقب ظفر باهمها الذي أطالته الى ثلاثة ثقوب كل واحد بثخن الخيط المطلوب. وكانت تمرر منه الخيط حتى يكون باستواء واحد ودون زغب.

ومن مرحلة الغزل يقوم ابن طولون بنقلةٍ الى تقنية النسيج. فيوضح السدى واللحمة، والمعنى اللغوي لكل من الكلمتين، الحقيقي منه والمجازي. ويختم ذلك باقتضاب مبيناً أن النساج على الأغلب من الرجال، إلاّ أنه قد تنسج المرأة.

ومرة أخرى، وكأني بابن طولون يود أن يثبت احتراف المراة للنسيج، أو أن يظهر شرعية عملها، وموافقته لاصول الدين. فيقدم نموذجاً لامرأة نسجت بُرْدة أهدتها للرسول الكريم (ص)، وقبلهـا منها.

واتماماً للحديث عن الصناعة النسيجيـة من الوجهة الفنية. فان مؤرخنا يتعرض لانماط الملابس التي تصنع من أنواع النسيج. ويلاحظ في عرضه لهذه الانماط بانه يقصرها بصفة خاصة. على ما عرف أيام الرسول الكريم (ص) ولا يزيد عليها شيئاً مما هو قائم في عصره مثل «البردة» و«الحجاب» و«الجبة»، و«الثوب»، و«الأزار»، و«الرداء»، و«السراويل»، و«المنديل»، و«الحلة»، و«الكساء»، و«القباء»، و«القميص». وهو في الواقع لا يصف أي واحد منها، بل يكتفي بذكر ما دار حولها من حديث أو فعل نبوي أو صحابي.

ولا بد ان يلحق بالقسم الاقتصادي التقني من مخطوطة ابن طولون. «غريبة» هي عبارة عن «احصاء» لعدد الانوال في مدينة الاسكندرية عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م. وعام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م. فيبين بأن عددها في العام الأول كان ١٤٠٠٠ نول. بينا أصبح في العام الثاني. ٨٠٠ نول. ويحاول أن يوازن هذا الاحصاء في ميدان الصناعة النسيجية في الاسكندرية، بذلك التباين في احصاء عدد قرى مصر بين عهد الدولة الفاطمية والمملوكية: اذ كان العدد في



نموذج لبساط عربي قديم.

بداية عهد الدولة الأولى عشرة آلاف. بينما بلغت في احصاء كتّاب الجيش الفين ومائة وسبعين. وان هذا الانتهاج «الاحصائي» يدل على العلمية الوضعية في فكر ابن طولون.

المحتوى الاجتماعي:

ان كل ما ذكر آنفاً هو محتوى القسم الفني - الاقتصادي للصناعة النسيجية. أما محتوى القسم الاجتماعي فيدور كله تقريباً حول المشكلة الاجتماعية للحيّاك المتمثلة بنظرة الازدراء التي أحاطهم بها المجتمع الاسلامي أو قل فقهاؤه. وابن طولون لا يعرض المشكلة فقط. بل يسعى بنافذة أخرى من نوافذ فكره العلمي الواقعي ان يجد حلاً لها. وان ينصف الحياك.

ويبدأ ابن طولون عرض المشكلة ببيانه ما قيل فيهم: وأول هذه الأقوال بان الحياك تائهو العقل وأنهم بذلك كالمعلمين. ويستشهد بحديث ينسب الى الرسول (ص): «لا تستشيروا الحاكة ولا المعلمين. فان الله تعالى سلب عقولهم». وكذلك التفسير المنقول عن ابن عباس من انهم هم المقصودون بكلمة «الارذلون» الواردة في الآية الكريمة في القرآن الكريم. «واتبعك الارذلون» (الشعراء: ١١١)؛ ثم القول المتداول عن ابن سيرين: «ان صحبة الحياك في اليقظة شؤم. وفي المنام سفر فيه خيبة»، والقول الآخر المروي عن عبدالله بن عمر: «ان الحاكة رأس كل فتنة وأصل كل بلية».

ولا يذكر لنا «ابن طولون» سبباً لهذه التهم للحياك سوى سبب ديني اجتماعي. وهو أن مريم العذراء هي التي دعت على الحاكة، بتتويه عقولهم، وذلك لأنها سألت بعضهم عن ابنها عيسى. وقد تاه منها في الطريق، فأرشدها لغير السبيل الصحيح، بينما دلّها الخياطون عليه، ومن ثم دعت لهم وباركتهم. وبذلك كان النساج تائهي العقول. والخياطون مباركين. يستأنسهم الناس ويطمئنون اليهم. ويتابع ابن طولون ما نجم عن ذلك من قضايا اجتماعية أكثر استفحالاً. ومنها هل يتمتع هؤلاء الحياك بحقوق الانسان الكامل. من حيث الكفاءة في النكاح والشهادة؟ ويستعرض مؤرخنا آراء الفقهاء. كآراء الحنابلة. وأبي حنيفة. وأبي يوسف. والمناقشات التي دارت حول هذه الامور. ويخلص في النهاية -وهو الحنفي المذهب- الى ان المختار هو قول ابي حنيفة. «لان دناءة الصنعة لا تنقص الانسان ولا تحطه عن رتبته. فانها ليست ملازمة. فاشبهت الضعف والمرض» ويتبنى رأي استاذه «الجمال بن المبرد الصالحي الحنبلي». وهو رأي واقعي عقلاني ثوري وهو أن الحياكة «صنعة فضيلة». فهذا يؤكد المبدأ الاقتصادي - الاجتماعي الذي يربط قيمة المهنة بمدى حاجة المجتمع اليها؛ ثم تابع رأيه قائلاً: «لان حاجة الناس الى الصنعة تدل على فضلها. وكلما كثرت الحاجة اليها كان فضلها أكثر. ولا شك ان الحياكة يحتاج اليها كل أحد. الحي والميت. الذكر والانثى والآدمي. وغيره من الحيوانات التي تحتاج الى لبس».

وبالمنطق نفسه يستمر ابن طولون في مناقشة أي أنواع الحياكة أفضل. فيبين أن «أفضلها حياكة القطن لأنه لبس الحي والميت، ثم الصوف لأنه لبس الاغنياء والفقراء، والاحرار والعبيد، والرجال والنساء والآدميين والدواب، ثم الكتان لكثرة الانتفاع به بعد ذلك. وأردأها الحرير والذهب والفضة ونحو ذلك».

وعلى الرغم من إدخاله عامل الدين مرة أخرى في الحديث عن «حياك الحرير والذهب والفضة»، إلاّ انه يبقى أكثر ميلاً للواقعية والعلمية في تسويغه ضعف

فضلهم عندما يقر بأن صناعتهم «قاصرة النفع» لأنها من «امور النساء» فقط، ولانها تحتاج مع الرجل الى صبي «يخلو به الحايك، وتتدلى سيقانه فوق رأسه، وهذا أمر محرم».

وكـأن «ابن طولون» أراد أن يدعم رأيه الثائر ذاك، ويقنع المجتمع حوله به، فسعى لتقديم نماذج من كبار الفقهاء الحنابلة والشافعية ممن عملوا في النسيج، وكان الناس يقدّرونهم، ويرحبون بما يصنعون.

وحتى هنا تكون مخطوطة ابن طولون قد استكملت عناصرها الاساسية، الاّ انها في الواقع تحوي أموراً أخرى يمكن النظر اليها على انها تزيينات جانبية، ذات فائدة لابراز الصورة، وفي الوقت نفسه تكون عنصراً عاماً في التخفيف من جفاء الطرح الاقتصادي الاجتماعي والتقني. ويمكن اجمال هذه الزخرفات بأمرين: أولها: الاستشهاد بالشعر: فقد سعى المؤرخ كي يأتي في ختام كل فقرة تقريباً عالجها موسعاً أو موجزاً، بيت أو بضعة أبيات من الشعر، تحتوي بعض معنى مما قدم في الفقرة، وتتضمن بعض غزّل. وثاني الزخرفتين تفسير المنامات. فقد أفرد جزءاً من دراسته لتفسير مختلف الأمور التي قد يراها النائم أو النائمة في ميدان الحياكة والحاكة، والملابس وألوانها. ومع أن هذه الفقرة بعيدة عن صلب الدراسة الواقعية لابن طولون، وعن روحها، إلاّ انها تكوّن في الحقيقة جزءاً طريفاً يعكس كثيراً من القيم الاجتماعية والأفكار السائدة في عصره. وبصفة خاصة الذوق اللوني للمجتمع والمؤثرات الدينية فيه: فما طرح في هذا الركن على سبيل المثال ان «الثياب البيض في النوم ان لبسها فهو شعار الدين والصلاح وان كانت بين يديه فخبر يساق اليه» والازرق من الثياب لا يحمد لأنه لون من لون أهل النار. قال الله تعالى «ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً». ومن تحرق ثوبه «نال مــالاً هو من امرأة. وان تفتق طلق امرأته» الى غير ذلك. ولا يقتصر ابن طولون على سرد ما يذكره مفسرو المنامات بل ينقد ما يقال. ويبين حكمه الخاص. فالمفسرون يقولون مثلاً ان رؤية اللون الاصفر من غير الحرير مرض. إلاّ ان مؤرخنا يعلق فيقول: «وعندي ان الاصفر سرور لقوله تعالى «صفراء فاقع لونها تسر الناظرين».

وعلى الرغم من قيمة المخطوطة بوجه عام. إلا أن الباحث المتلهـف لمعلومات وافية عن الصناعة النسيجية في بلاد الشام في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر للميلاد، قد لا يرى فيها كل ما يشفي غليله. وما أخاله إلاّ وقد تمنى لو ان ابن طولون كان أكثر دقة في تحديد الزمان والمكان عند تقديمه لمعلوماته الفنية والاجتماعية عن تلك الصناعة وأصحابها، حتى يكون أكثر اطمئناناً لمعاصرة المعطيات التي تتضمنها المخطوطة ولعله تمنى أيضاً. وهو المهتم اليوم بالدراسات الاحصائية بنوع خاص، لو ان مؤرخنا، وهو ابن الشام، والملاحظ الدقيق لمجرى الامور فيها، قد خصّ مدن قطره، بل دمشق التي يعيش فيها على الأقل. «بغرائب» معاصرة. كتلك «الغريبة» الاحصائية التي أوردها في تعليقه عن الاسكندرية، والتي أشرنا اليها سالفاً. أو لو أن ابن طولون قدم بعض المعطيات عن «طائفة النساج» في عصره ووجودها ومدى نشاطها أو مدى تحسسها بالمشكلة التي عرضها، وكذلك عن الصباغة النسيجية، وأنواعها، وألوانها، تلك الصناعة التي اشتهرت بها بلاد الشام منذ العصور الوسطى، ويبدو انها ظلت محافظة على تلك الشهرة في العصر الحديث.

القيمة التاريخية للمخطوطة:

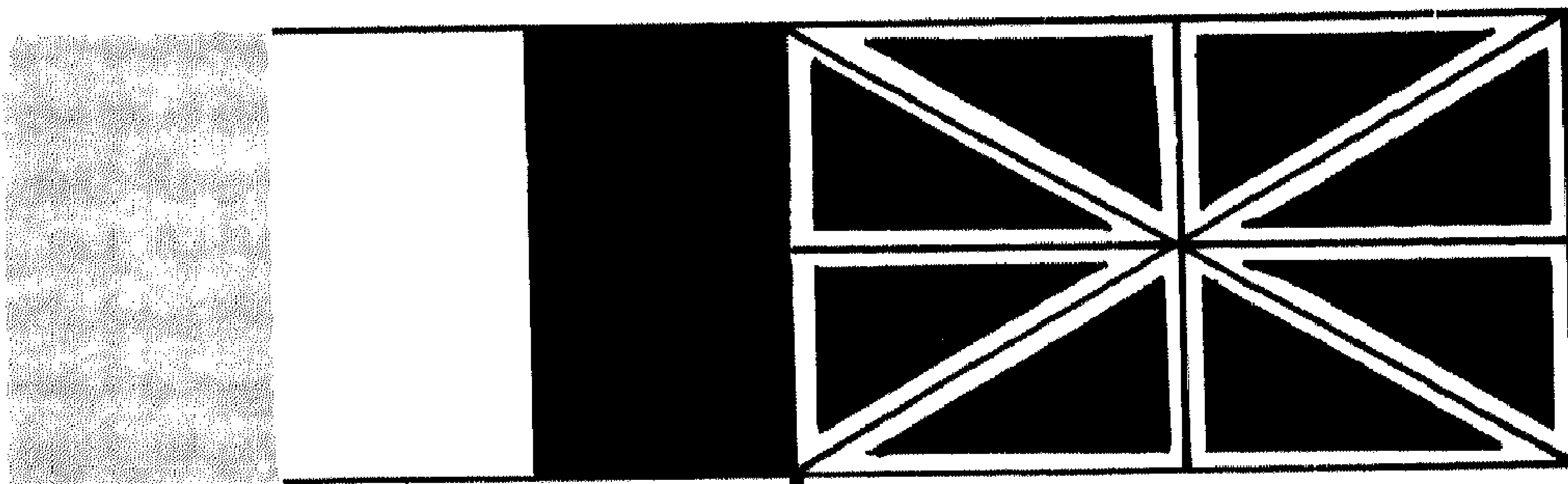
وخلاصة القول، لعل باحثنا كان يود، وهو الذي زودته الوثائق الاجنبية بعض ملامح صورة عن الصناعة النسيجية في بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن العاشر وخلال القرن الحادي عشر/النصف الثاني من القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، ان يربط تلك الملامح بصورة أكثر تكاملاً ووضوحاً لهذه الصناعة في النصف الأول من القرن وهي المرحلة التي عاصرها ابن طولون. فقد بينت له تلك الوثائق مثلاً بأن الصناعة النسيجية في بلاد الشام صناعة عريقة الجذور وانها ظلت فعالة ونشيطة حتى أواخر القرن السابع عشر بل وأبعد، ولا سيما الحريرية والقطنية منها. وان الصناعة الأخيرة كانت منتشرة في معظم المدن الشامية، ولكل مدينة شهرتها بصنف منها. وان الأوروبيين بقوا راغبين بها، ومتهافتين على استيرادها كالنسيج البعلبكي، والخام، والحموي، والديمة، ونسيج الجبل، وذلك حتى أواخر القرن السابع عشر. ويؤكـد «المركيز دونوانتيل» مبعوث فرنسا لزيارة اسكالات الشرق، في رسالة له، «أن فرنسا كانت تستورد من القماش «الحموي» الابيض والازرق، وكان

يستخدم في مدن البروفنس وقراها شراشف للاسرة، وقمصاناً، وصداري. وكان لا يجري زفاف دون أن يكون في جهاز العروس قطعة أو قطعتان منه. ومن الامور التي توصل اليها الباحث عن الصناعة النسيجية السورية خلال العصر الحديث. وعبر الوثائق الاجنبية أنها كانت متقنة في جميع مراحلها: الغزل والصناعة والنسيج. حتى أن بعض الدول الاوروبية ظلت تستورد أنواعاً من المنسوجات الحريرية كالتافتا. وما يسميه الفرنسيون ببورص دمشق. حتى أواخر القرن السابع عشر، على الرغم من توسع الصناعة الحريرية الاوروبية وارتقائها وبصفة خاصة في ايطاليا وفرنسا في القرن الخامس عشر. وتقدر بعض الوثائق قيمة المنسوجات الحريرية المصدرة من حلب سنوياً بـ ١٠٠.٠٠٠ دوكات في مطلع النصف الثاني من القرن السادس عشر ومن ملامح الصورة التي كونها الباحث في الصناعة النسيجية الشامية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر أيضاً، بأنها كانت ترتكز على دعامة اساسية أبقت عليها قوامها، وهي اعتمادها على المواد الخام التي تنتجها البلاد، بل واشتهرت بها. وهي القطن والحرير بصفة خاصة، هاتان المادتان اللتان شرع الاوروبيون يستوردونها بكميات وافية خلال العصر الحديث كله. ويتنافسون فيما بينهم للحصول عليها.

ولكن. ومع ان الباحث قد لا يجد في مخطوطة ابن طولون كل ما يبغي. ويرضي فهمه. فان هذه المخطوطة تكوّن خلفية متكاملة لبحثه في الصناعة النسيجيـــة في بلاد الشام خلال القرن العــاشر الهجري/السادس عشر الميلادي بصفة خاصة فمع أنها تتحدث عن الصناعة النسيجية والنساج حديثاً عاماً. وبأطار غير محدد بدقة زماناً «ومكاناً» فان مما لا شك فيه. أنها منبثقة من عصر المؤلف. أي لا بد أن ابن طولون. وهو يعدد أنواع النسيج وأدواته، ومواده، لم يكن ناقلاً وانما كان في ذهنه عالمه وعصره، ولا سيما أنه وضع نفسه أحياناً شاهد عيان؛ هذا، وان الاسماء التي أعطاها لعديد من المنسوجات والتي لا تطلعنا الكتب العربية المعاصرة له أو التي قبله بكثير عنها أو قليل. تدل الى حد ما على اطلاع مباشر عليها. ومن محيطه.

وعلى هذا يمكن مبدئياً النظر الى المخطوطة على أنها وثيقة تقدم صورة شبه متكاملة عن مجموع الصناعة النسيجية وبعض قضاياها في عصر ابن طولون. ومن ثم فهي ورقة عمل هامة للباحث. توجه نظره الى نواح قد تغيب عن ذهنه عندما يبحث في وثائق متفرقة ليستخلص منها نتفاً يقوم بتركيبها. هذا مع العلم ان الوثائق الأوروبية خلال هذه المرحلة قليلة ولا بد من التأكيد في هذا المجال. على ان المشكلة الاجتماعية التي طرحها ابن طولون قد لا يخطر ببال الباحث أن يتطرق اليها. أو يفسر بها بعض الظاهرات. على الرغم من قدمها، وتوافر المعلومات عنها في كتب الحديث والفقه. فالمخطوطة توضح روح التجديد في نسيج الحرير. وتعرف الدارس على أنواع جديدة من المنسوجات يذكرها ابن طولون. كما توضح التخصص الدقيق في الصناعة النسيجية في عصره. فكأني بها تؤكد كذلك «العمل الفردي» لا «الجماعي» في ميدانها. وبذلك تكون الصناعة النسيجية الحريرية بصفة خاصة لم تكن قد دخلت بعد مرحلة تجميع الانوال في مكان واحد من قبل رب للعمل. ومن ثم «فالنول» وهو أداة النسيج. كان لا يزال ملكاً فردياً لصاحبه. وهو العامل عليه. كذلك تلقي المخطوطة أضواء مصححة على بعض تفسيرات المؤرخين المعاصرين لأنواع من النسيج. هذا بالاضافة الى توجيهها النظر الى مناطق عرفت بشهرتها بنوع من النسيج لم تكن معروفة. كالكرك مثلاً. ويجب ألاّ ينسى في هذا الباب ما اشير اليه سابقاً بأن هذه الوثيقة تبرز عمل المرأة في ميدان الصناعة النسيجية ولا سيا في باب الغزل.

وأخيراً تثير الوثيقة تساؤلات هامة لذهن الباحث. نتيجة طرح مشكلة النساج. وهو هل كان النساج من أهل الذمة تحوم حولهم القضية ذاتها ولا سيما أنها ربطت عند ابن طولون بلعنة مريم العذراء للنساج؟ وفي الواقع لقد أثار هذا الموضوع في الذهن ما طرحه المؤرخ «سوفاجه» عن نساج القطن والحرير والسجاد في حلب بأنهم من المسيحيين. وما أشار اليه «غب ويوين» في أحد هوامشه. من أن أحد الباحثين قد ذكر أن معظم العاملين في نسج الحرير في القاهرة من اليهود. فاذا كان ما قيل ملامساً لبعض الحقيقة. فهل يكون سبب ذلك. المشكلة التي طرحها ابن طولون. ونظرة التحقير التي كان يحيط بها بعض الفقهاء المسلمين النساج مما أبعد المسلمين عن احتراف هذه المهنة وتركها لأهل الذمة؟ إن هذا التساؤل الذي تثيره المخطوطة نفسها في الواقع يفتح في هذا الميدان باباً جديداً للبحث والتقصي. ●



هذا الموضوع مرشح لبرنامج من لبنان

اتفاقية

سايكس-بيكو

١٦ أيّار (مايو) ١٩١٦

أو الاتفاقية الفرنسيّة البريطانية السرّية حول مناطق النفوذ في المشرق العربي

العقيد الدكتور ياسين سويد

● كانت الحرب العالمية الأولى توشك ان تنتهي. وقد بدأ الحلفاء يستبقون انتصارهم على الدولة العثمانية بتقاسمهم لتركة «الرجل المريض» فيما بينهم. رغم ما أعلنه هؤلاء الحلفاء من ان أهم أهداف حربهم هو السعي لتحرير الشعوب المضطهدة والمستعبدة. وكانت الشعوب العربية الخاضعة لحكم السلطنة العثمانية تواقة للتحرر والاستقلال. مما دفع واحدا من أكبر زعمائها. هو الشريف حسين. شريف مكة. للتفكير بالثورة على الحكم العثماني مستعينا لذلك بالحلفاء ومعتمداً على مناصرتهم وتأييدهم. وجرت بين الشريف حسين وبين بعض المسؤولين البريطانيين. كممثلين عن الدول الحليفة المعادية للسلطنة. وخاصة بريطانيا وفرنسا. مباحثات ومراسلات عـــــدة اشتهرت بمراسلات «مكماهون – حسين» وانتهت بان أيد الحلفاء أعلان «الثورة العربية الكبرى» على الحكم العثماني. وهي في كل حال لصالحهم ولمصلحتهم. على ان يعترفوا بدورهم. باستقلال العرب ويؤيدوا ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي تطلبها دولة شريف مكة مع التحفظ تجاه «ولايتي مرسين واسكندرونة. وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لأنه «لا يمكن أن يقال عنها انها عربية محضة. وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة» بالاضافة إلى نظرة خاصة تجاه ولايتي بغداد والبصرة. إذ ان العرب «يقرون ولا شك ان مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة» وبالاضافة إلى ان بريطانيا حريصة على ان لا تمس مصالح حليفتها فرنسا في هذه الأقاليم. (الرسالة الثانية من السير ارثر هنري مكماهون نائب ملك بريطانيا بمصر إلى الشريف حسين شريف مكة. بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩١٥). وفي فجر يوم السبت. العاشر من حزيران عام ١٩١٦. أطلق الشريف حسين. في مكة. الرصاصة الأولى. مؤذناً ببدء الثورة العربية الكبرى.

إلا ان شريف مكة ومعلن ثورتها إلى جانب الحلفاء. لم يكن يعرف ما يدور في الخفاء. بين هؤلاء الحلفاء. ضد ثورته وأمته. اذ بينما كانت المراسلات متتابعة بينه وبين السير مكماهون (من حزيران عام ١٩١٥ حتى أيار عام ١٩١٦) كانت المفاوضات تجري رسمياً بين الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية بقصد نكث الوعود المقطوعة للشريف حسين. ومن خلاله للعرب جميعاً. وبقصد تقسيم أملاك الدولة العثمانية. بعد انتهاء الحرب. على الدول المنتصرة. فقد بدأت هذه المفاوضات في بطرسبورغ. عاصمة روسيا. في شهر آب عام ١٩١٤. أي بعد شهر ونصف فقط من اعلان الحرب. (حسب الوثائق التي نشرتها الثورة البلشفية بروسيا في أواخر عام ١٩١٧) ودارت المفاوضات بين هذه الدول الثلاث. حول الغنائم التي ستؤول إلى كل دولة بعد انتهاء الحرب. وكان تضارب المصالح بين هذه الدول يجعل كلا منها تحاول أن تنال حصة الأسد. فروسيا تحاول أن تصل إلى الشرق عن طريق المضايق والاستانة. وفرنسا تحاول أن تبسط هيمنتها على جزء من بلاد الشام (ولايات دمشق وحمص وحماه وحلب وبيروت) تضعه تحت حمايتها. كما تحاول انكلترا بدورها ان تبسط هيمنتها على الجزء المتبقي من هذه البلاد (العراق وفلسطين والحجاز) بالاضافة إلى مصر. وهكذا فقد توصلت هذه الدول إلى اتفاق فيما بينها على تجزئة الدولة العثمانية ترضي كلا منها وتتفق مع مصالحها. دون النظر إلى مصالح الشعوب المحررة من النير العثماني. ففي شهر آذار عام ١٩١٥ عقدت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية سرية مع روسيا تعهدتا بموجبها بالتنازل عن الاستانة والمضايق لضمها إلى أملاك القيصر في حال انتصار الحلفاء في الحرب. أما حصة الدولتين الاخريين. بريطانيا وفرنسا. من ارث «الرجل المريض» فسوف تتضمنها فيما بعد الاتفاقية المسماة «اتفاقية سايكس بيكو» والتي تم تنفيذها عملياً في مؤتمر سان ريمو بايطاليا San Remo المنعقد بين أعضاء مجلس الحلفاء الأعلى ومنهم الدولتان المعنيتان (فرنسا وبريطانيا) من ١٩ ولغاية ٢٦ شباط ١٩٢٠ حيث تم توزيع المشرق العربي على الدولتين المنتدبتين. فأعطيت فرنسا سوريا ولبنان. وأعطيت بريطانيا العراق وفلسطين وشرقي الأردن.

الاسم الحقيقي

ان الاسم الحقيقي الذي يجب أن يطلق على هذه الاتفاقية هو «الاتفاقية الفرنسية – البريطانية السرية حول تقاسم مناطق النفوذ في المشرق العربي» اذ ان المفاوضات بشأنها والاتفاق على خطوطها الرئيسية قد جرى أساسا بين ممثلي فرنسا وبريطانيا بول كامبون Paul Cambon سفير فرنسا في لندن ممثلا لتيوفيل



حسين بن علي شريف مكة

ديلكاسيه (Delcassé) وزير الخارجية الفرنسية. والسير ادوار غراي (Crey) وزير الخارجية البريطانية. إذ كتب كامبون إلى السير ادوار غراي رسالة مؤرخة في ٢٣ آذار ١٩١٥ يقول فيها انه. بناء لتعليمات وزير الخارجية الفرنسية. ديلكاسية. وبما ان قضية استانبول والمضايق. وهي القضية التي تعنى بها روسيا. قد انتهت. فقد آن لفرنسا وبريطانيا العظمى ان تنصرفا الآن إلى بحث القضايا الأخرى المتعلقة بآسيا الصغرى. وقد وافقه وزير الخارجية البريطانية على ذلك. ودارت المفاوضات سرية بين الجانبين البريطاني والفرنسي بشأن تحديد حصة كل منهما في بلاد المشرق العربي. وفي هذه الأثناء. كانت المفاوضات بين بريطانيا بشخص السير مكماهون وبين الشريف حسين مستمرة. فرأى السير غراي ان يحيط زميله الفرنسي علما بهذه المفاوضات وبتعهد بريطانيا تجاه شريف مكة بدعمها لقيام دولة عربية حليفة تحفظ توازن القوى مع تركيا بعد انتهاء الحرب. والمح إلى مطالب العرب بضم بلاد الشام كلها إلى هذه الدولة مما أثار حفيظة فرنسا التي كانت تطمح إلى وضع منطقتي سوريا ولبنان تحت وصايتها. فأرسلت رسميا تبلغ بريطانيا برفضها ذلك.

بل برفضها قيام دولة عربية مستقلة على الاطلاق حتى ان بوانكاريه. رئيس جمهورية فرنسا ذلك الحين. أورد في مذكراته. تعليقاً على ذلك. انه. لما أبلغ هذا الاقتراح. قال: «ان هذه الامبراطورية العربية الكبيرة لا توحي إلي بالاطمئنان. وبي خشية من تأثيرها السيء في مستعمراتنا الافريقية. وأود أن لا أراها تخرج إلى حيز الوجود. وقد بينت مخاوفي هذه في مجلس الوزراء». كانت فرنسا. في كل حال. متأكدة من رغبة بريطانيا في التخلص من المأزق الذي أوقعها فيه الوعد الذي قطعته على نفسها للشريف حسين. فاقترحت عليها حلا يقضي بأن «توضع ولايات حلب وحماه وحمص ودمشق. ما عدا بيروت. ضمن حدود الدولة العربية شرط اشتراكها - أي فرنسا - فعليا في مسؤوليات ادارتها» وكان ذلك في ٢١ كانون الأول ١٩١٥. الا ان اتفاقا ضمنيا كان قد تم بين الجانبين على الاطاحة بالشريف حسين فور الانتهاء من الحرب. اذ انه بهذه الوسيلة فقط. تتحلل بريطانيا من التزاماتها تجاهه. وتضمن مصالح الدولتين الأوروبيتين في المشرق العربي.

٥ نقاط

وانتهت المفاوضات بين الجانبين الفرنسي والبريطاني في أوائل كانون الثاني ١٩١٦ بالاتفاق على ما يلي :-

١ - تمنح فرنسا السيادة التامة على منطقتي الاسكندرون وكيليكية والبلاد الممتدة وراءها حتى حدود الموصل.

٢ - يوضع العراق من الخليج حتى شمالي الموصل تحت اشراف بريطانيا.

٣ - يوضع لبنان بما فيه بيروت وطرابلس تحت اشراف فرنسا.

٤ - توضع سوريا تحت سيادة الشريف حسين مع الاعتراف لفرنسا ببعض المسؤوليات الادارية فيها.

٥ - توضع فلسطين تحت اشراف بريطانيا.

الا ان أنباء هذه المفاوضات السرية بين الدولتين الحليفتين سرعان ما تراءت إلى مسامع الدولة الحليفة الثالثة روسيا. فهبت هذه الأخيرة تطالب بحصتها في أرضروم وترابيزوند وكردستان والموصل. فارسلت بريطانيا وفرنسا. في أوائل آذار عام ١٩١٦. كلا من

مندوبيها في الوفود المفاوضة. مارك سايكس (بريطاني) وجورج بيكو (فرنسي). الى بطرسبورغ عاصمة روسيا للاتصال بحكومة القيصر واطلاعها على الاتفاق. واقناعها بضرورة حصر مطالبها بالبلدان المتاخمة لحدود بلادها. على ان يترك الجزء العربي من الامبراطورية العثمانية للنفوذ البريطاني والفرنسي. ووافق سيرج سازانوف S.Sazanov وزير خارجية روسيا على اقتراح المندوبين البريطاني والفرنسي الا انه اشترط قبول بريطانيا وفرنسا بالمطالب الروسية التي تتخلص مما يلي: -

١ - ضم مناطق أرضروم وتبليس حتى غربي ترابيزوند الى روسيا.

٢ - ضم منطقة كردستان الواقعة جنوبي فان والتي تضم مجرى دجلة وجزيرة ابن عمرو والجبال المتاخمة لها الى روسيا.

ووافقت بريطانيا وفرنسا على هذه المطالب. مما حدا بروسيا لأن تقبل بالاتفاق الذي جرى بين باريس ولندن بصدد المشرق العربي. وتم على اثر ذلك تبادل المذكرات بين السفير الفرنسي بلندن (كامبون) ووزير الخارجية البريطانية السير ادوار غراي. وكانت بنود الاتفاقية موضوعا لمذكرة بعث بها غراي الى كامبون بتاريخ ١٦ أيار مرفقة بالخرائط اللازمة. وقد صاغ نص الاتفاقية ووقع عليها كل من جورج بيكو ممثلا لفرنسا ومارك سايكس ممثلا لبريطانيا. ومن هنا أخذت هذه الاتفاقية تسميتها الشهيرة (اتفاقية سايكس - بيكو).

اتفاقيتان مترابطتان

يرى بعض المؤرخين. ومنهم السير ادوار غراي نفسه. ان هذه الاتفاقية يجب أن تسمى «الاتفاقية الفرنسية - البريطانية - الروسية السرية حول مناطق النفوذ في آسيا الصغرى. نظرا لأن الاتفاق بشأنها قد جرى بين ممثلي هذه الدول الثلاث بول كامبون السفير الفرنسي بلندن. وادوار غراي وزير خارجية بريطانيا. وسيرج سازانوف وزير خارجية روسيا. ويرى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي انه اذا كان «نص الاتفاقية النهائي وضعه كل من السير مارك سايكس وجورج بيكو نيابة عن الحكومتين البريطانية والفرنسية. فالحقيقة هي ان ما قام به الرجلان هو انهما اتفقا على اللغة التي صيغت بها عبارة الاتفاقية. أما النقاط الأساسية في الاتفاقية فقد تم الاتفاق عليها في أثناء سلسلة من الاجتماعات التي عقدها الزعماء السياسيون من كلا الجانبين قبل أن يدفعا بها الى هذين الرجلين لوضع الصيغة النهائية. واننا اذ نقر المؤرخ توينبي على رأيه هذا. نتردد كثيرا أمام رأي السير ادوار غراي في اقحام اسم روسيا بهذه الاتفاقية نظراً لأن المفاوضات التي جرت بشأنها قد تمت بمبادرة بريطانية - فرنسية مشتركة **وبصورة خفية لم تعرف بها روسيا إلا مصادفة. إلا ان ذلك لا يمنعنا من القول ان الاتفاقيتين المذكورتين: الاتفاقية البريطانية - الفرنسية - الروسية الموضوعة عام ١٩١٥ بصدد الاعتراف بسيطرة روسيا على المضايق والاستانة، والاتفاقية الأخيرة. مرتبطة احداهما بالأخرى ارتباطاً مباشراً وتاماً. بل تكمل احداهما الأخرى كما سبق ورأينا. فبينما حققت الأولى مصالح روسيا القيصرية في ارث الدولة العثمانية المنهزمة. حققت الثانية مصالح كل من بريطانيا وفرنسا في ارث هذه الدولة، وما كانت احداهما لتتم من دون الأخرى.**

أهم البنود

ويمكن تلخيص أهم ما ورد في هذه الاتفاقية بأنها قضت بتقسيم المشرق العربي الذي كان تحت السيطرة العثمانية إلى خمس مناطق على الشكل التالي:

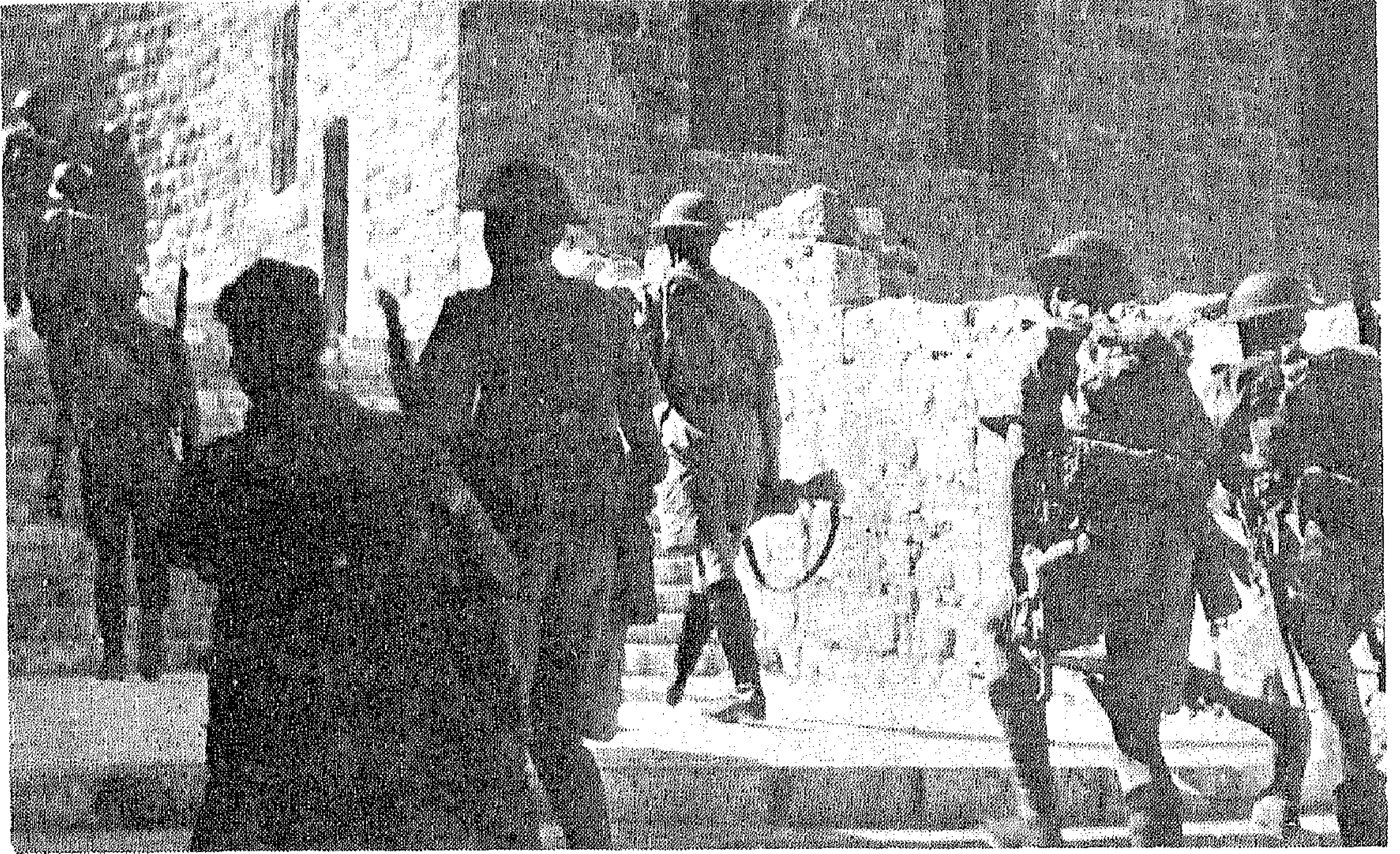
١ - المنطقة أ (سوريا الداخلية) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لفرنسا فيها مركز ممتاز.

٢ - المنطقة ب (العراق الداخلي) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لبريطانيا فيها مركز ممتاز.

٣ - المنطقة الزرقاء (سوريا الساحلية من كيليكية شمالاً حتى رأس الناقورة جنوباً). وتخضع للسيادة الفرنسية حيث يباح لفرنسا انشاء الحكم الذي ترتئيه فيها.

٤ - المنطقة الحمراء (العراق الساحلي من بغداد حتى خليج فارس - أي الخليج العربي -). وتخضع للسيادة البريطانية **حيث يباح لبريطانيا انشاء الحكم الذي ترتئيه فيها.**

٥ - المنطقة السمراء ويسميها البعض بالمنطقة البنية، (فلسطين) تبقى منطقة دولية بحيث يعين شكل الحكم فيها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة. وقد ضرب الحلفاء عرض الحائط. بعد توقيعهم هذه الاتفاقية، بالوعود التي



جنود بريطانيون في القدس

قطعوها للشريف حسين بتحرير العرب واستقلالهم في ظل دولة عربية واحدة. اذ لم يبق من هذه الدولة. بعد تقاسمهم المشرق العربي في هذه الاتفاقية. سوى الحجاز فقط، وبعد ان وصلت الثورة الروسية إلى الحكم عام ١٩١٧ نشرت المعاهدات السرية التي كانت معقودة بين روسيا القيصرية والحلفاء. ومن بينها معاهدة سايكس بيكو.

وقد حاول الاتراك على اثر ذلك عقد مصالحة مع الشريف حسين إلا انهم لم يوفقوا نظراً لتشبث الشريف بتحالفه مع بريطانيا وفرنسا. وقد حددت حدود المنطقة السمراء المبينة في البند الخامس أعلاه (المادة الثالثة من الاتفاقية). أي فلسطين. كما يلي: «الرقعة الممتدة بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط من شمالي عكا حتى غزة ومنها إلى الطرف الشمالي للبحر الميت حيث تسير من هناك على طول نهر الأردن وتلتقي بالحدود الشمالية عند نقطة قريبة من منابع النهر». مما جعل منطقة الجليل الأعلى خارج حدود المنطقة السمراء هذه وأدخلها في المنطقة الزرقاء أي منطقة النفوذ الفرنسي.

لم يرض ذلك بالطبع. المنظمة الصهيونية العالمية التي كانت تحلم بفلسطين تمتد من حدود غزة إلى حدود صيدا بلبنان طمعاً بأن تكون هذه «الفلسطين» وطناً قومياً لليهود. ففي الثالث من شباط عام ١٩١٩ رفعت هذه المنظمة. بدعم من وزارة الخارجية البريطانية. مذكرة رسمية إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح موضوعها «تصريح المنظمة الصهيونية بصدد فلسطين». وقد تضمنت هذه المذكرة مطالب المنظمة من المؤتمر وأهمها «الاعتراف بالحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين وبحق اليهود في إعادة بناء وطنهم القومي فيها» وأهم من كل ذلك ما جاء في البيان الملحق بالمذكرة نفسها ويختص بتعيين حدود فلسطين أي الوطن القومي اليهودي المنشود وهو «ان حدود فلسطين يجب أن تسير وفقاً للخطوط العامة المبينة أدناه: تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بجوار مدينة صيدا وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل إلى جسر القرعون فتتجه منه إلى البيره متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرعون ووادي التيم. ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ (حرمون) حتى جوار بيت جن وتتجه منها شرقاً بمحاذاة مفارق المياه الشمالية حتى تقترب من خط سكة حديد الحجاز إلى الغرب منه. حيث تسير بمحاذاة هذا الخط والى الغرب منه حتى تنتهي بخليج العقبة. ومن الجنوب

حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية. ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط» أي ان حدود فلسطين. كما وضعتها المنظمة الصهيونية العالمية في مذكرتها هذه، تتضمن، بالاضافة إلى فلسطين كلها، جنوبي لبنان، وقسماً من سهل البقاع. وكل الجولان. والضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن.

تحقيق مطالب الصهيونية

وفي العاشر من آب عام ١٩٢٠. وعندما وقع الاتراك معاهدة الصلح مع الحلفاء. وهي المعروفة بمعاهدة (سيفر) التي وضعت صيغتها في مؤتمر سان ريمو في شهر شباط من العام نفسه. كانت هذه المعاهدة تنص على تحقيق مطلبين هامين من المطالب الصهيونية هما:

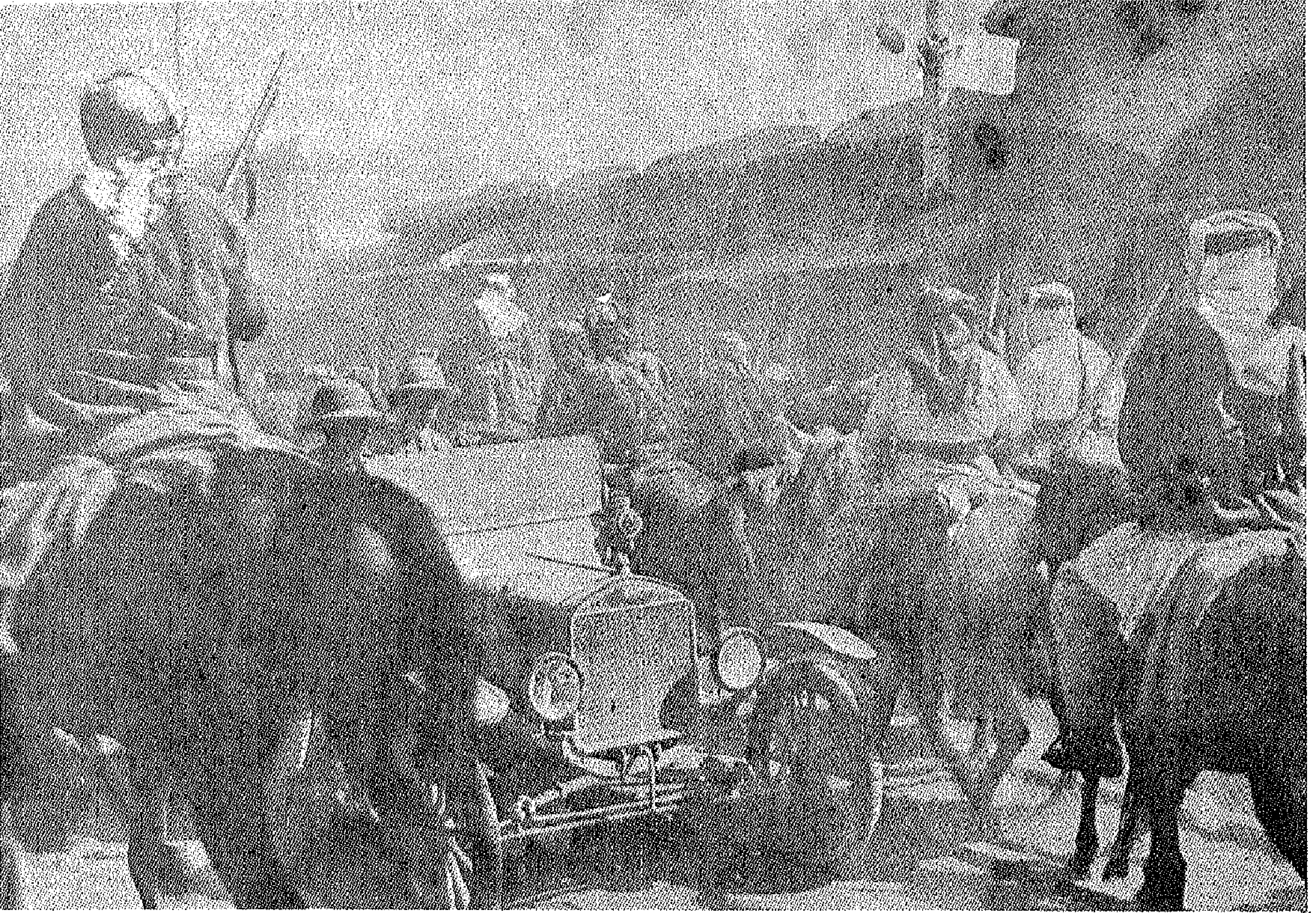
أولاً: ان يعهد بادارة فلسطين. عملاً باحكام ميثاق عصبة الأمم. إلى دولة منتدبة.

ثانياً: ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور الصادر عن الحكومة البريطانية في كانون الثاني من عام ١٩١٧.

وما ان باشرت بريطانيا ممارسة مهامها الانتدابية في فلسطين حتى بدأت تخطط لتنفيذ الوعد الصادر عنها إلى اليهود. كما بدأ اليهود انفسهم محاولات مستميتة للحصول على أكبر قدر ممكن من الأرض يضمونها إلى فلسطين الانتداب، أي إلى اسرائيل المستقبل. وذلك على حساب البلدان العربية المجاورة، ووفقاً لما ورد في المذكرة التي رفعتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح والتي رفعتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح والتي سبق ذكرها. فمارسوا ضغوطاً كبيرة على فرنسا، الدولة المنتدبة على سوريا ولبنان، وحركوا الرأي العام اليهودي ضدها. لعلهم يتمكنون من زحزحتها عن تمسكها باتفاقية سايكس - بيكو بخصوص الحدود اللبنانية - الفلسطينية. وفي نهاية عام ١٩٢٠. اتفقت بريطانيا وفرنسا. الدولتان الحليفتان. واضعتا هذه الاتفاقية. والمتقاسمتان مناطق النفوذ في المشرق العربي. والمنتدبتان على أجزاء البلاد العربية فيه. على تخطيط الحدود بين سوريا ولبنان وفلسطين والعراق. فجاء هذا الاتفاق يسلخ عن المنطقة الزرقاء (أي منطقة النفوذ الفرنسي) الجليل الأعلى بكامله. ويلحقه بالمنطقة السمراء (أي فلسطين) فيحقق للصهيونية جزءاً من أطماعها. دون أن يرضيها. وقد عبر اليهود عن سخطهم على هذا الاتفاق في المؤتمر الثاني عشر الذي عقدته منظمتهم عام ١٩٢١، اذ انتقد المؤتمرون تقاعس النشاط الصهيوني فيما يتعلق بتعيين الحدود الشمالية مع دولة «لبنان الكبير» المعلنة حديثاً زاعمين ان حل تلك المسألة لم يكن لمصلحة الصهيونية ووفقاً لمطالب المنظمة. وجاء في القرار الخامس الذي اتخذه المؤتمر المذكور حول مسألة الحدود مع لبنان ما يلي:

«... ويجد المؤتمر نفسه ملزماً بالاعراب عن أسفه لأن مسألة الحدود الشمالية لأرض اسرائيل لم تجد سبيلها إلى حد مرض حتى الآن، على الرغم من جميع المساعي التي بذلتها اللجنة التنفيذية... ويأمل المؤتمر ان تستجيب حكومة الجمهورية الفرنسية لمصالح الشعب اليهودي وتفي بها...»

ان ما مر معنا حتى الآن من اتفاقية سايكس - بيكو يدخل في مضمون المواد الثلاث الأولى منها. أما المواد الأخرى المتبقية. وهي تسع. فتتعلق بأمور تختلف في نوعها وأهميتها. كمنح بريطانيا ميناءي حيفا وعكا ومقدارا من مياه دجلة (المادة الرابعة). ومنحها حق التجارة الحرة في ميناء الاسكندرونة ثم منح فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها. بالمقابل. حق التجارة الحرة في ميناء حيفا (المادة الخامسة) كذلك منح امتيازات متبادلة للدولتين في الخطوط الحديدية القائمة بالمناطق الواقعة ضمن نفوذ كل منهما. ووضع شروط لتطوير هذه الخطوط وانشاء خطوط حديدية أخرى في هذه المناطق وادارتها واستعمالها من قبل كل من هاتين الدولتين (المواد ٥. ٦. ٧). وحدود التعرفة الجمركية ومنع انشاء جمارك داخلية بين المناطق المشار اليها (المادة ٨). أما المواد الأربع الأخيرة من هذه الاتفاقية (٩-١٢) فتتعلق بتعهد كل من الدولتين. بريطانيا وفرنسا. احداهما تجاه الأخرى. بعدم التنازل عن «حقوقها» في المناطق الواقعة تحت نفوذها (والمشار اليها آنفاً) دون موافقة الدولة الأخرى (المادة ٩) كما تتعهد كل منها تجاه الأخرى بعدم امتلاك أو السماح لدولة ثالثة باحتلال أقطار في شبه جزيرة العرب. بصفتهما حاميتين للدولة العربية المزمع انشاؤها (المادة ١٠) والتي سوف تستمر المفاوضات بشأنها لتعيين حدودها (المادة ١١). وتتفق الدولتان أخيراً (المادة ١٢) على النظر «في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى الدولة العربية».



القدس العربية تحت الاحتلال.

نتائج مستمرة

اذا أردنا، في ختام هذا الحديث، أن نقيم اتفاقية سايكس - بيكو وما آلت إليه من نتائج بعد مرور أكثر من ستين عاماً على وضعها وتنفيذها لخلصنا إلى النتائج التالية:

١ - لقد خرجت هذه الاتفاقية على كل المبادئ الأخلاقية في التعامل السياسي بين الأفراد والدول. بل كانت نموذجاً للتعامل اللا حلاقي بينها. اذ بينما كانت بريطانيا العظمى تلتزم، بشخص مندوبها السير مكماهون، تجاه الشريف حسين، ومن خلاله تجاه العرب جميعاً، بالتزامات قانونية وأدبية، مشجعة اياهم على الثورة ضد الأتراك العثمانيين، كانت من جهة أخرى، تتفاوض مع فرنسا، لتقوض كل ما اتفقت عليه معهم، ولتهدم كل ما بنى العرب، من جراء تحالفهم مع هاتين الدولتين، من أحلام وآمال في التحرر والاستقلال والوحدة.

٢ - لقد كانت لهذه الاتفاقية، على المديين القريب والبعيد، نتائج سلبية وخطيرة على المنطقة والعالم لا نزال نعاني آثارها إلى اليوم، فهي إذ جزأت المشرق العربي إلى دويلات صغيرة ومرتبطة باحدى الدولتين المتعاقدتين، نقلت العرب من استعمار إلى اخر أشد وطأة ودهاء، وبينما كان الاستعمار الفرنسي لا يقيم بين الولايات أو الأقاليم في المشرق العربي حدوداً، عمد الاستعمار الجديد إلى خلق الحدود بين هذه الدويلات التي كانت مصطنعة في بادئ الأمر ثم أصبحت طبيعية بل وكثيراً ما أضحت عدائية. فكان ان أصبح العرب، بسبب هذه الاتفاقية، اعرابا متعددي النزعات مختلفي المذاهب والمشارب.

٣ - وأخطر نتائج هذه الاتفاقية هي ما آل اليه الوضع في فلسطين، فقد مهدت هذه الاتفاقية، عن سابق تصور وتصميم من الدولتين المتعاقدتين، لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود. ولم يكن وضع فلسطين الخاص في هذه الاتفاقية (المنطقة السمراء) ثم وضعها تحت الانتداب البريطاني واعلان وعد بلفور عام ١٩١٧، من قبيل الصدفة، بل ان الاتفاقية نفسها قد أعدت فلسطين لهذا المصير.

٤ - يبقى التساؤل الكبير الذي يطرح نفسه اليوم، بعد كل الذي جرى في هذه المنطقة من

اضطرابات وقلاقل وحروب طرحت على بساط البحث خارطة المشرق العربي بكامله، وهو:

هل هنالك من وسيلة للحؤول دون استمرار النتائج السلبية والخطيرة التي ترتبت، ولا تزال تترتب، على تنفيذ الاتفاقية وما تبعها من عهود وقرارات متعلقة بها مباشرة أو مداورة (كوعد بلفور عام ١٩١٧ وقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧)؟ أن الوسيلة موجودة ولا شك، وان استقرار العالم العربي بوجه عام، والمشرق العربي بوجه خاص، منوط، إلى حد كبير، بالاجابة على هذا السؤال.

المراجع

● السياسة الدولية في الشرق العربي للدكتور عادل اسماعيل (جزء رابع).

● الهاشميون والثورة العربية الكبرى للدكتور أنيس صايغ.

● وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث للدكتور عبد العزيز نوار.

● حقائق لبنانية للشيخ بشارة الخوري (جزء أول).

● الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان للدكتور زين زين.

● أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين لامين سعيد.

● يقظة العرب لجورج أنطونيوس (تعريب الدكتورين ناصر الدين الأسد واحسان عباس).

● الاتجاهات الاجتماعية – السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي للدكتور وجيه كوثراني.

● القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني (عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية وقيادة الجيش اللبناني).

● نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت.

اتفاقية سايكس – بيكو
نص الوثيقة

● المادة الأولى: ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة عربي في المنطقتين (أ) (داخلية سورية) و (ب) (داخلية العراق) المبينتين في الخريطة الملحقة ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية. وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

● المادة الثانية: يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس)[1] انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

● المادة الثالثة: تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

● المادة الرابعة: تنال انكلترا ما يأتي:

١ – ميناء حيفا وعكا.

٢ – يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدماً.

● المادة الخامسة: تكون الاسكندرونة ميناء حراً لتجارة الامبراطورية البريطانية. ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء. ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية وتباح حرية النقل للبضائع الانكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة إلى المنطقة الحمراء أو إلى المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منهما. ولا تنشأ

البحر الأسود
اسطنبول
تركيا
روسيا
منطقة نفوذ ايطالية
منطقة سيادة ايطالية
اضنه
المنطقة الزرقاء
البحر المتوسط
حلب
حمص
منطقة آ
الموصل
بيروت
دمشق
الاسكندرية
حيفا
بورسعيد
القاهرة
سيناء
منطقة ب
منطقة نفوذ روسية
بغداد
المنطقة الحمراء
البصرة
الكويت
ايران
منطقة نفوذ بريطانية
البحرين
مصر
المدينة
نجد
مكة
جدة
عمان
السودان
عسير
حضرموت
اليمن
المحيط الهندي
عدن
الصومال البريطاني
الصومال الايطالي
الحبشة

خريطة اتفاقية سايكس – بيكو

معاملات مختلفة (مباشرة أو غير مباشرة) على أي سكة من سكك الحديد أو في أي ميناء من موانئ المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية.

وتكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسوية ويكون نقل البضائع الفرنسوية حراً بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانكليزية في المنطقة السمراء. سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة اليها ولا يجري أدنى اختلاف في المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسوية في أي سكة من سكك الحديد ولا في ميناء من الموانئ في المناطق المذكورة.

● المادة السادسة: لا تمد سكة حديد بغداد في المنطقة (أ) إلى ما بعد الموصل جنوباً ولا في المنطقة (ب) الى ما بعد سامرا شمالاً الى ان يتم انشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب ماراً بوادي الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

● المادة السابعة: يحق لبريطانيا العظمى ان تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب)، ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوماً لدى الحكومتين، ان هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد، وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال في المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذراً فالحكومة الفرنسوية تكون مستعدة ان تسمح بمروره في طريق بربورة - أم قيس - ملقى - ايدار - غسطا - مغاير[2]. قبل أن يصل الى المنطقة (ب).

● المادة الثامنة: تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ) و (ب) فلا تضاف أي علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين إلا ان يكون اتفاق بين الحكومتين.

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة الى الداخل يدفع في الميناء ويعطى لادارة المنطقة المرسلة اليها البضائع.

● المادة التاسعة: من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسوية لا تجري مفاوضة في أي وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى الا للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا في ما يتعلق بالمنطقة الحمراء.

● المادة العاشرة: تتفق الحكومتان الانكليزية والفرنسوية بصفتهما حاميتين للدولة العربية على ان لا تتملكا ولا تسمحا لدولة ثالثة ان تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب، أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقي[3]. على ان هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن فقد يصبح ضروريا بسبب عداء الترك الأخير.

● المادة الحادية عشرة: تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية.

● المادة الثانية عشرة: من المتفق عليه عدا ما ذكر ان تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية. ●

(١) أصبح يعرف بالخليج العربي.

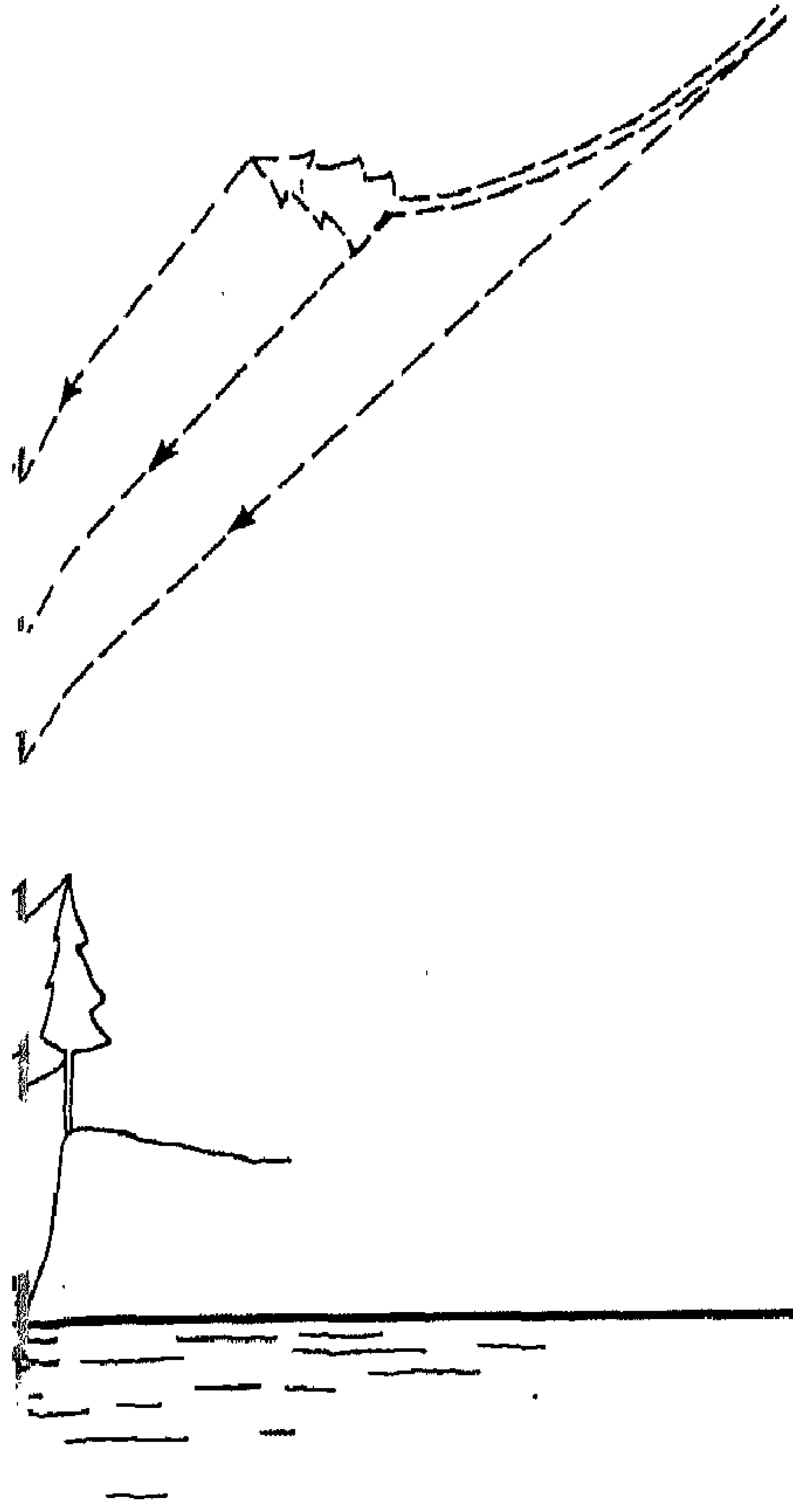
(٢) جاءت الأسماء في أنطونيوس على الوجه التالي: بانياس - أم قيس - صلخد - تال - عسدا - مسمية.

(٣) ورد في انطونيوس: «أو تنشأ قاعدة بحرية في الجزائر الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر» بدلاً من «أن تنشأ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقي».

الحَسَن بن الهَيْـثم

اســس عــلم البصــريّـات والضـوء منــذ ١٠٠٠ ســـنة

د . نقولا شاهين



هكذا ترى السمكة من الماء السابح في البحر و
الضوء . بينما تبتعد الشجرة في الفضاء سبب ان
إلا النادر مما يوجد على الشطآن . بسبب ذ

● يزداد اهتمام الشعوب بما خلفه الاجداد من تراث . بازدياد الوعي القومي والنشاط في بناء كياني له سيادته المستقلة وطابعه الخاص . لأن مخلفات الماضي هي حصيلة جهود جبارة . في بناء مدنيات على أسس متينة . من علم وأدب ودين واجتماع . كما يتبين من دراسة تاريخ الشعوب التي كا لها شأنٌ في هذا المضمار . وتقوم هيئات حكومية بالتعاون مع علماء الآثار في التنقيب عما دفن منذ آلاف السنين . تحت ركام من التراب والحجارة . سعياً وراء جلاء ما لا يزال غامضاً في تاريخ الشعوب . وتنفق الأموال الطائلة في هذا السبيل . نظراً لأهميته في مختلف حقول الفكر والعمران . وهناك معالم لم تتمكن الايام من طمسها . بل صمدت في وجه جميع العوامل الهدامة . وظلت تشهد على عظمة انتاج الانسان في القرون الغابرة . كما يتبين لنا في القصور والجوامع التي بناها العرب في اسبانيا والبلاد العربية جمعاء . ونكتفي بالاشارة الى جامع دمشق الأموي . مفخرة العمارة العربية . كأثر خالد . يقف رمزاً لمدنية غنية .

لكنَّ الابنية الفخمة الرائعة . ليست وحدها مقياس ما توصلت اليه الشعوب في سالف الأزمنة من حضارة وتفوق في حقل العمران . بل هناك أفراد حلّقوا في عالم الابتكار والابداع . فكانوا رسل العلم والمعرفة . يزداد تقدير العالم لهم مع مرور الأيام . هؤلاء توصلوا الى أسمى مراتب التفكير والاستنباط . بالرغم من الوسائل القليلة والمحدودة لديهم . من هذه الفئة العالم الفيزيائي الكبير الحسن بن الهيثم . وقد وصفه بعضهم بأنه شيخ علماء الطبيعة في القرون الوسطى .

ترجمة ابن الهيثم :

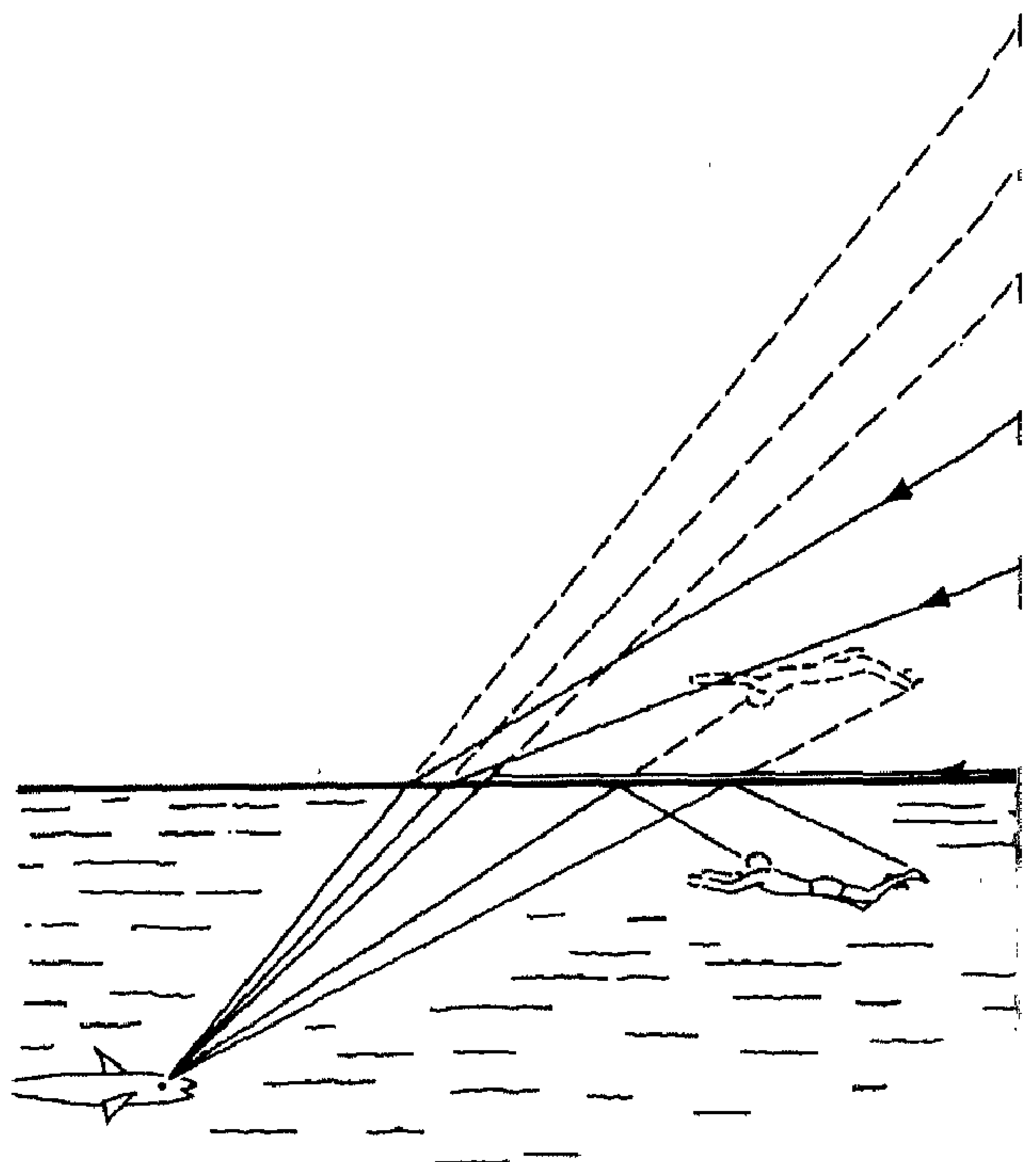
ظلت هوية هذا العالم على كثير من الغموض ردحاً طويلاً من الزمن . وهذا يعود الى عوامل عديدة منها صعوبة النشر وقلة تداول الكتب في ذلك الزمن . يضاف إلى ذلك اضطراب الأمور السياسية في العالم

(Vitelo). وقد اشتهر بوضع كتاب في البصريات عام ١٢٧٠ ميلادية. متخذاً أحد المراجع مؤلفاً بالعربية لعالم عربي. كان ولا يزال معروفاً في العالم اللاتيني باسم «الهازن». وفي عام ١٥٧٣ وضع ريسنر (Resn er) ترجمة كاملة لاتينية لهذا المرجع العربي. دعاها «الذخيرة في الاوبطيقي للهازن». وبقي هذا الكتاب المنقول من العربية الى اللاتينية. مرجعاً لعلماء أوروبا في علم الضوء. طيلة القرون الوسطى وفي إبان عصر النهضة. وقد تبين فيا بعد أن معظم الابحاث والكشوف الضوئية التي نسبت الى علماء أوروبا حتى عصر النهضة قد وردت في ذلك الكتاب.

ظنَّ كثير من المؤرخين أن اسم «الهازن». هو تحريف اسم «الخازن» مؤلف كتاب «زيج الصفائح» وغيره. وذهب بعضهم الى التأكيد بان مؤلف كتاب الذخيرة ليس «ابن الهيثم». وبقي الأمر على هذا المنوال الى أن عثر فيدمان (Wiedman) عام ١٨٧٦ على مخطوط عربي في مكتبة «ليدن». لكتاب في الضوء بعنوان «تنقيح المناظر لذي الأبصار والبصائر» واضعه «كمال الدين أبو الحسن الفارسي». وهو تنقيح كتاب المناظر لأبن الهيثم. وبعد أن قابل «فيدمان» بين التنقيح وبين كتاب الذخيرة اللاتيني «للهازن». وجدهما على تمام الشبه. إلاّ في أماكن علق فيها الفارسي بآرائه على أقوال ابن الهيثم. هنا لم يبق مجال للشك بأن كتاب الذخيرة اللاتيني هو ترجمة كتاب المناظر لابن الهيثم. وهكذا انجلى الغموض وثبت ان الأصل العربي للكتاب اللاتيني هو «كتاب المناظر للحسن بن الهيثم». وان لفظ «الهازن» هو تحريف «الحسن». مما تقدم يتبين لنا أن علماء أوروبا قد صرفوا جهوداً جبارة. لانصاف ابن الهيثم وللكشف عن حقائق تتعلق بكتابه عن البصريات. فاهتدت به أوروبا في وضع اساس لنهضتها العلمية الحاضرة. وهناك عدد كبير من المؤرخين الأوروبيين الذين عنوا بترجمة حياة ابن الهيثم وما تضمنت من أعمال. كما ان آخرين عنوا بدراسة بحوثه العلمية وتلخيصها أو شرحها أو ترجمتها. ومنهم من عالجوا مباحثه الرياضية وما يتعلق بها. أما اسمه الكامل فهو «الحسن أبو علي بن الحسن بن الهيثم».

عصر الحضارة العربية:

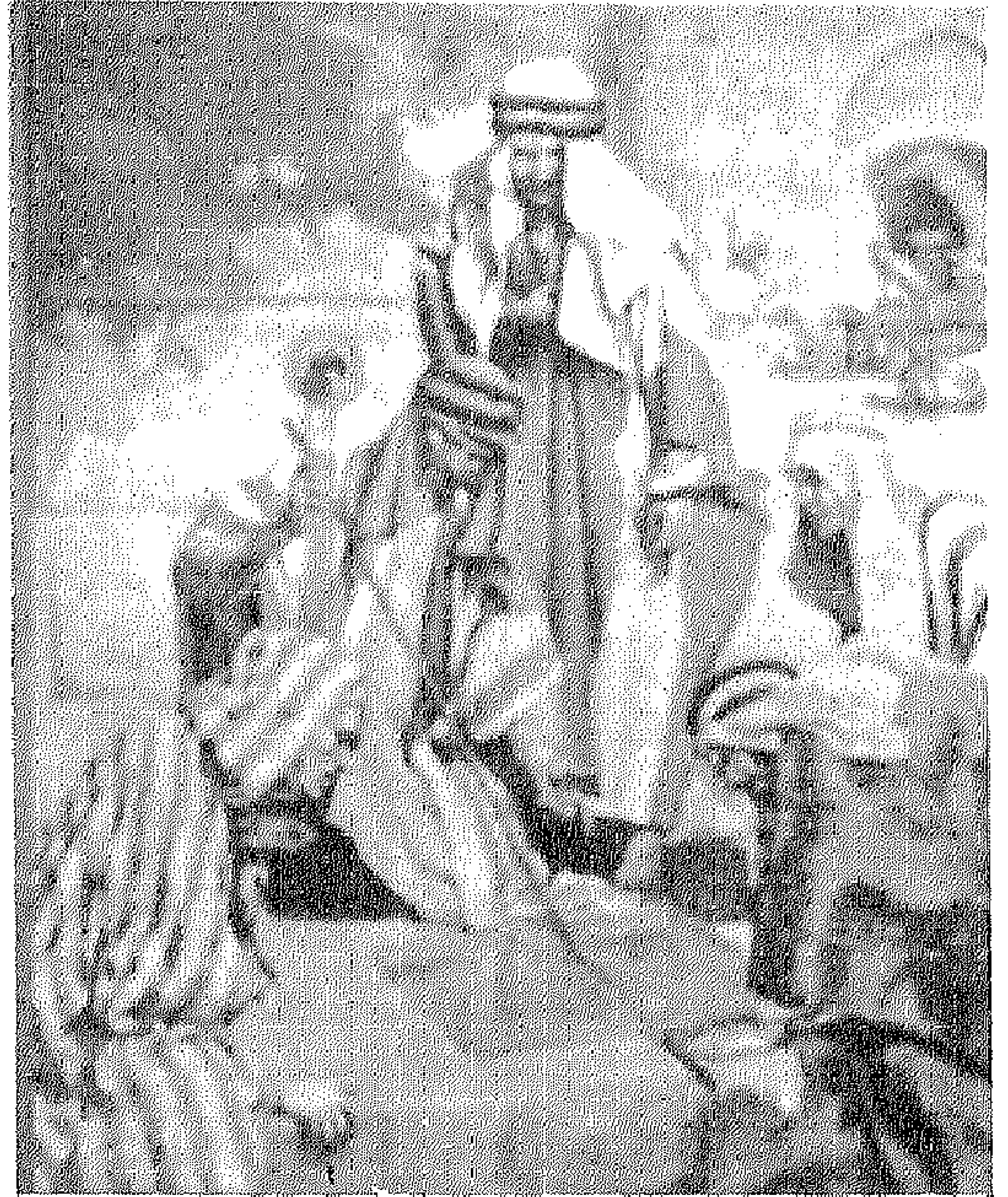
عاش ابن الهيثم في عصر نشطت فيه الحركة



الشجرة على الشاطئ. السابح تراه فوق الماء بسبب ظاهرة انعكاس سار الضوء عند دخول الشعاع من الهواء إلى الماء. والسمك لا يرى ـق الزاوية المتاحة لعين السمكة.

الاسلامي. وما عقب ذلك من حوادث جعلت عدم الاستقرار سائداً في شتى نواحي الحياة. والثابت انه ولد على الأرجح سنة ٣٥٤ من الهجرة (حوالي ٩٦٥ ميلادية) في البصرة. وكان أول أمره هناك. لكنه كان كثير الاسفار. فقال بعض المؤرخين انه قضى معظم حياته في الاندلس. وقال آخرون انه من مصر لانه صرف فيها وقتاً طويلاً. فيكون قد مر على تاريخ ولادته الى يومنا هذا ألف وأربعة عشر عاماً.

يعود الفضل في الكشف عن أهمية مكانة ابن الهيثم في علم البصريات إلى علماء أوروبا. عندما انتبهوا إلى ازدهار الحضارة الاسلامية. وتقدم العلم والفلسفة فيها فكثير منهم تفرغوا لدرس اللغة العربية ونقل العلوم إلى اللغة اللاتينية. من بين هؤلاء عالم بولوني يدعى فتلو



صورة لابن الهيثم مؤسس علم البصريات والضوء.

الفكرية. وازدهرت فيه الآراء المختلفة في شتى الحقول. من اعتقادات ومذاهب شرعية. وامور فلسفية وعقلية وعلمية وتعليمية. في ذلك العصر تم نقل ما ترجم الى العربية من كتب الاغريق. في الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية والهندسية. وما يتعلق بها من بصريات هندسية ومرايا محرقة وفلك وغيرها. في ذلك العصر أيضاً تم ترجمة كتب الهندوفارس في علم العدد وعلم الفلك. فأصبحت اللغة العربية غنيةً بالمؤلفات العلمية المختلفة. فقام علماء العرب بشرح تلك المؤلفات والتعليق عليها وتصحيح أخطائها والاضافة اليها. ونبغ أعلام افذاذ في الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات والفلك. أما ابن الهيثم فانه قضى مرحلة طويلة من حياته. يسعى وراء الالمام بنواحي النشاط الفكري في ذلك العصر. وذلك بدرس كل ما حصل عليه من كتب الاقدمين في فروع العلم المختلفة. ولم يقتنع بالاطلاع عليها. بل عمد الى تلخيصها والتصنيف فيها. لكي يتوصل الى ادراك دقائق معانيها. كانت حصيلة هذه الجهود عدداً كبيراً من الكتب. منها ثلاثة وأربعون كتاباً في الفلسفة والعلم الطبيعي. وخمسة وعشرون في الرياضيات والعلم التعليمي. فضلاً عن كتاب في علم الطب. أودعه خلاصة ثلاثين من كتب غالينوس. كان هذا في زمن محدود الوسائل. فلا معاهد نظامية ولا اساتذة يعتمد عليهم في دراسات متسعة شاملة. ولا مختبرات مجهزة بكل ما يحتاجه ابن العلم كما هي الحال في ايامنا هذه. كان على ابن الهيثم ان يعد نفسه اعداداً كاملاً. معتمداً على امكاناته الخاصة. فأتى بنتائج تعجز عنها جمهرة من العلماء.

كان من نتائج تضلعه في الرياضيات والهندسة ان استدعاه الى مصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وكان قد بلغ الحاكم قول ابن الهيثم «لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في حالة من حالاته من زيادة ونقص. فقد بلغني انه ينحدر من موضع عالٍ وهو في طرف الاقليم المصري». فأرسل اليه هدايا وأموالاً. وعند حضوره الى مصر خرج الحاكم بنفسه لاستقباله خارج المدينة القاهرة. وأكرم وفادته وأمر باكرامه ايما حل. قضى مدّة شهر في دراسات خاصة. كي يتوصل الى إنجاز ما يساعده على تنظيم الري من مياه النيل. وتأمين الماء عند نقص الفيضان. سار على رأس بعثة هندسية. يتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوبي أسوان. حتى وصل الى مكان معروف بالجنادل بالقرب من خزان أسوان اليوم. حيث ينحدر النيل بشدّة. قضى هناك شهراً في القياس والتصميم. لكنّ ضعف الامكانات العلمية وعدم الدقة في القياسات في ذلك الوقت. لم يمكّناه من التوصل الى حصر مياه النيل. عاد الى القاهرة بروح كئيبة وفي أشد حالات الخجل. واعتذر الى الحاكم. واتخذ له مسكناً في قبة عند الجامع الأزهر. مؤثراً العزلة بملء رغبته. وكانت وفاته سنة ٤١١ من الهجرة أو ١٠٢٠ ميلادية.

أما كتاب ابن الهيثم في المناظر فانه يقع في سبع مقالات. تستوعب في مباحثها جميع ما يمكن أن يتصوره الانسان من خواص للضوء. ونظريات تنتهي الى قوانين في غاية الاتقان. وقد اعتمد ابن الهيثم في جميع ابحاثه الطريقة العلمية الحديثة. كما يتبين من دراساته جميعها. أما العناصر الأساسية في طريقة البحث العلمي فهي: الاستقراء. والقياس. والمشاهدة. والتمثيل. ولا يتم علم صحيح دونها. ولا يتسع المجال في هذا المقال للاسهاب فيما توصل اليه ابن الهيثم في علم البصريات. وسنقتصر على أهم ما جاء به في هذا العلم.

كيفية الابصار:

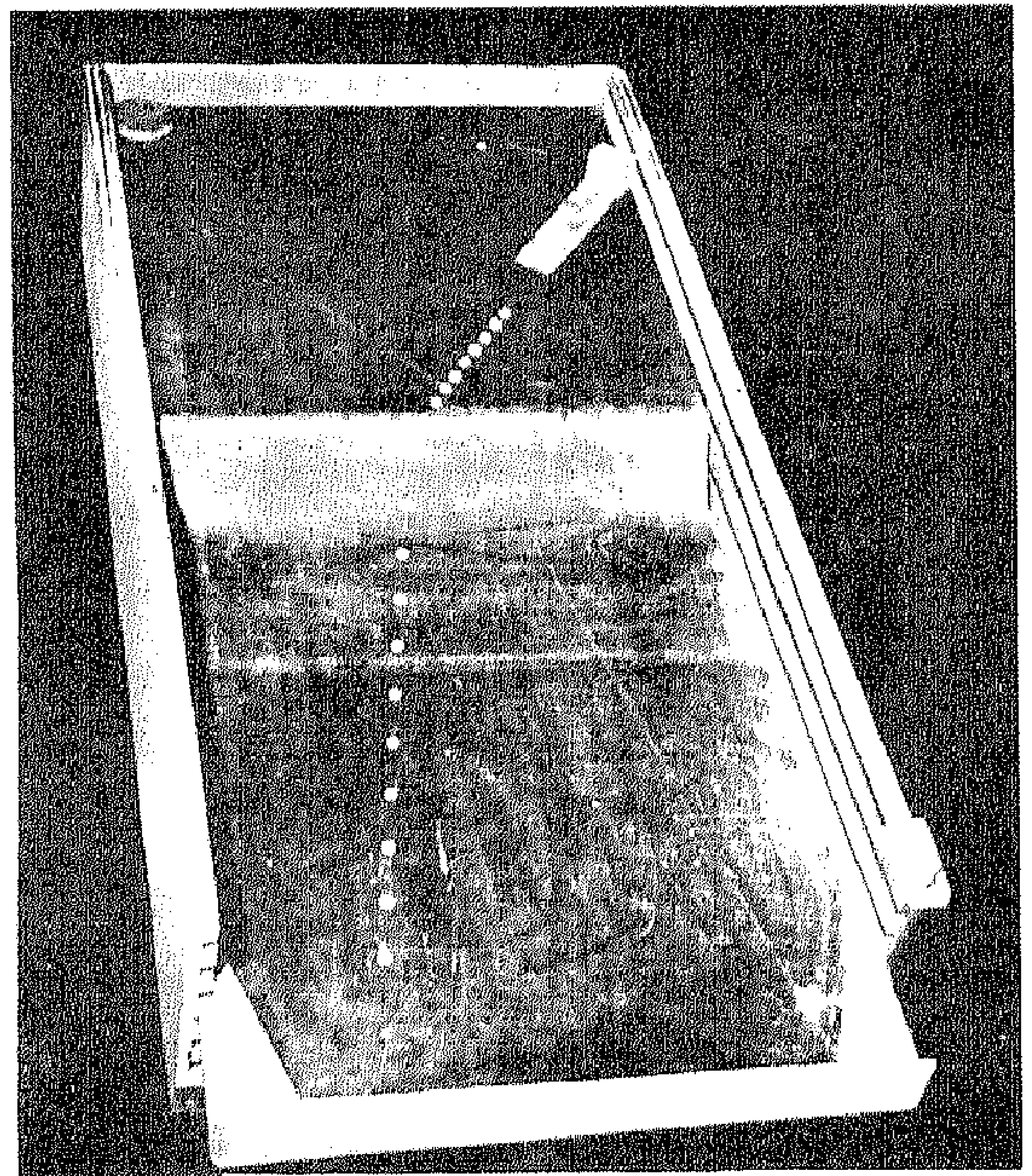
عالج فلاسفة اليونان كيفية ادراك الموجودات

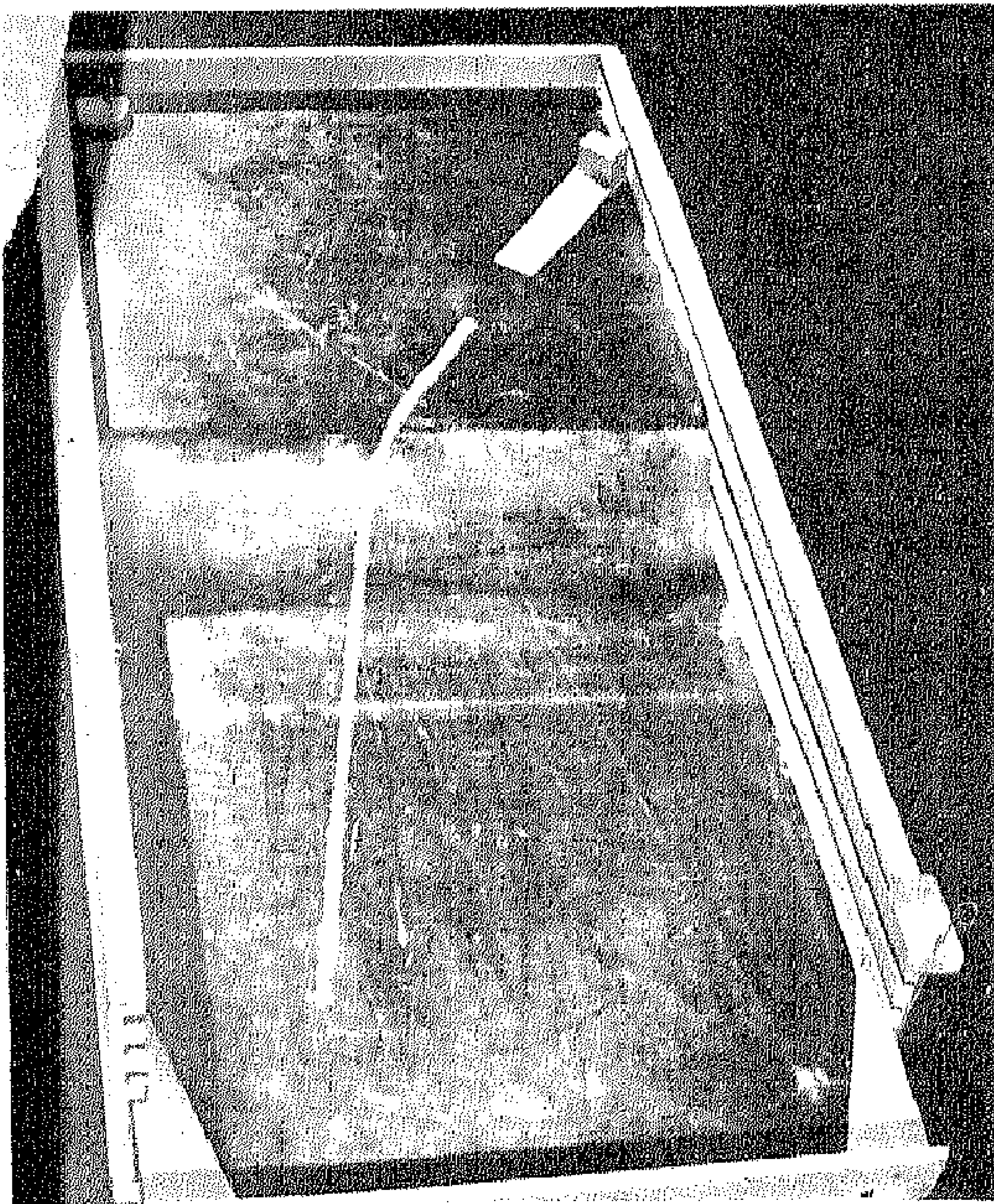
بحاسة البصر. فجاءت آراؤهم متباينة بحسب ميولهم الفكرية واختلاف ألوانهم الفلسفية. فكان الرأي السائد بين أكثرهم ان الابصار يتم بخروج عناصر من البصر واتصالها بعناصر من نوعها تخرج من الجسم المرئي. وجاء الروائيون بفلسفة نشأت قبل الميلاد (٣٣٦-٢٦٤) فقالوا ان الابصار يتم بخروج شعاع من العين على شكل مخروط. رأسه عند العين وقاعدته عند سطح المرئي. فعندما يخرج الشعاع من العين ويقع على الجسم يحدث الابصار. فتصبح العين ممتدة حتى تلمس الجسم المرئي. وقد احتل هذا الرأي منزلة يعتمد عليها في الفلسفة الهندية. وأخذ بهذا القول علماء الفلك والرياضيات والعلم التعليمي كافة في العصر الاسكندري ومن أتى بعدهم. وقد دعاهم ابن الهيثم «أصحاب الشعاع».

أما ابن الهيثم فانه قال بعكس ما تقدم. فالابصار حسب رأيه يتم بخروج شعاع من الضوء من الجسم المرئي. ويدخل العين فتحدث الرؤية. واستشهد على ذلك بعدم الرؤية في الظلام. بالرغم من كون العيون سليمة. وهذا يثبت أنه كان مضطلعاً باسلوب البحث العلمي من جميع نواحيه. ومن مجموع ابحاثه وأقواله. نراه يعتبر الضوء شيئاً ذا كيان ووجود. تنقله الاجسام المشفة على سموت مستقيمة من الجسم المضيء. الى أن يتلاشى. أو يقع على سطح كثيف فتحصل الاضاءة. أو يقع على البصر فيحدث الابصار. وفي حالة امتداد أضواء متعددة على سموت مستقيمة. كانت هذه السموت متوازية أو متقاطعة. فانه لا يترتب على هذا امتزاج الأضواء أو الألوان. بل يكون كل سمت منها. يحمل صفات الجسم الذي امتدت منه الاضواء على ذلك السمت.

سرعة الضوء :

كان الرأي السائد قبل أبحاث ابن الهيثم. ان سرعة الضوء لا نهاية لها. وانَّ الضوء. لا يلزمه زمن في انتقاله من مكان الى آخر. فهو يقول أنَّ للضوء وجوداً ذاتياً. وأنَّ الجسم المشف هو أداة لنقل الضوء من مكان الى آخر. ولا يكون ذلك دفعة واحدة وفي غير زمان. بل يلزمه زمن معين. فللضوء إذن سرعة محدودة. ظلت هذه الفكرة موضع أخذ ورد في الأوساط العلمية. ولم يسلم العلم الحديث بقبولها حتى أواخر القرن السابع عشر. عندما توصل «رومر» الى إثباتها عن طريق مشاهدة خسوفين متتابعين لأحد أقمار المشتري. فتمكن فعلاً من قياس سرعة النور. بالرغم





الكلة عندما تنزل من صعيد مرتفع إلى صعيد منخفض تزداد سرعتها. وبتخذ مسارها شكل الضوء المنكسر. وهذا فسره ابن الهيثم من ألف سنة.

من كل هذا. لم تصبح الفكرة حقيقة علمية تدعمها التجارب إلاّ في منتصف القرن التاسع عشر. هكذا نرى أنَّ ابن الهيثم سبق علماء العصر الحديث في تصوره سرعة محدودة للضوء. وترك لهم أمر تعيين مقدار هذه السرعة. فضلاً عن هذا. توصل ابن الهيثم الى أن سرعة الضوء في الوسط المشف الألطف. هي أعظم من سرعته في الوسط المشف الأكثف.

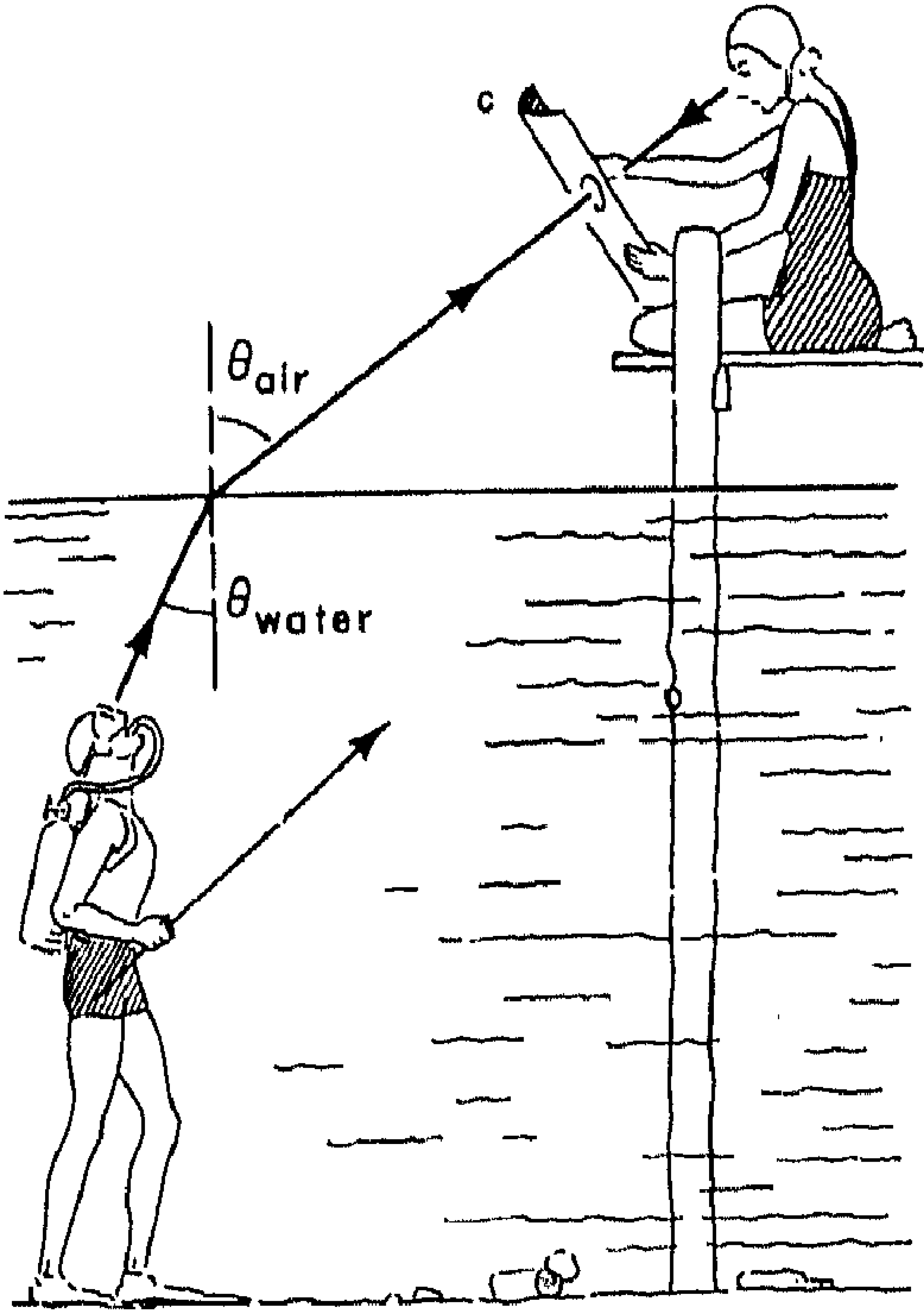
انعكاس الضوء وانكساره أو انعطافه:

تمكن ابن الهيثم من صنع جهاز. اثبت بواسطة قانون انعكاس الاشعة الأول. أي أن زاوية السقوط تساوي زاوية الانعكاس. وقد أجرى تجربته هذه في غرفة مظلمة مملوءة بالغبار. فاستطاع رؤية اشعة الضوء. ثمّ تدرج الى وضع قانون الانعكاس الثاني. وفحواه أن الشعاع الساقط والشعاع المنعكس. يقعان في مسطح عامودي بالنسبة للمرآة. وقد عالج الانعكاس عن سطوح المرايا المختلفة. من مستوية واسطوانية ومخروطية وكروية محدبة ومقعرة.

لم يكتف ببيان الكيفية التي ينعكس فيها الضوء. بل ذهب الى بيان العلّة في ذلك. بانيا نظريته على الوجهة الميكانيكية. كما فعل «نيوتن» بعده. والمعروف في علم الميكانيك. أن الجسم يرتد اذا صدم جسماً صلباً. إذ إنه يمنعه من الاستمرار في حركته الأصلية. يرتد على السمت نفسه. فاتخذ ذلك مثالاً لانعكاس الضوء. وقد بنى شرحه في هذا المثال الميكانيكي. على مبادئ نسبها المؤرخون الى عصر النهضة وما تلاه. لكنها بالحقيقة من انتاج ابن الهيثم.

والثابت الى يومنا هذا في الأوساط العلمية المختلفة. ان ابن الهيثم هو واضع قانون انكسار الضوء. وانّ نسبة ذلك الى غيره ليس فيها شيء من الصحة. أما سبب الانكسار أو الانعطاف في رأيه. فهو ان سرعة الضوء عند نفوذه من وسط مشف. الى وسط مشف آخر ليست واحدة. وقد جرب أن يبين سبب انعطاف الضوء عند نفوذه من الألطف الى الأغلظ نحو جهة العمود. والى ضد جهة العمود عند نفوذه من الأغلظ الى الألطف. بانياً ذلك على كون سرعة الضوء في المشف الألطف هي أعظم من سرعته في المشف الأغلظ. هذه حقائق ظلت على حالها من أيام ابن الهيثم الى يومنا هذا.

وفي تفسيره ظاهرة انكسار الضوء. عمد الى وعاء زجاجي كبير يحتوي بعض الحليب. وأخذه الى غرفة مظلمة كثر فيها الغبار. أدخل الى الغرفة شعاعاً من الضوء من ثقب ضيق. فتبين له انه عند وضع الحليب في طريق الشعاع. ينكسر عند سطح السائل ويميل نحو القعر. متخذاً طريقا أقصر مما لو كان الوعاء ممتلئاً هواء. وكان من السهل رؤية الشعاع في الهواء بفضل الغبار. وفي الوعاء بفضل الحليب.



انكسار الضوء يحدث في الاتجاهين

العين كجهاز للأبصار:

كان ابن الهيثم أول من نسب الرؤية الى شبكية العين. ثمّ جاء بشرحٍ وافٍ عن رؤيتنا للشيء ذاته. على الرغم من أننا ننظر اليه بعينين. يعود ذلك الى وقوع صورتين على قسمين متشابهين من شبكيتي العين. وهذا هو الرأي السائد اليوم. وقد أتى على ذكر طبقات العين المختلفة. وشرح أشكالها وخواصها شرحاً دقيقاً مفصلاً. وله بحث مسهب شيق عن قوى تكبير العدسات للمرئيات. واستعمالها في اصلاح عيوب العين. ويحتوي كتاب الذخيرة الذي أشرنا اليه في بدء المقال. شكلاً يمثل صورة العين كما يصورها «ريسنر» بانياً ذلك على أقوال ابن الهيثم.

ابن الهيثم الفلكي:

كان لابن الهيثم دراسات مفصلة عن القمر

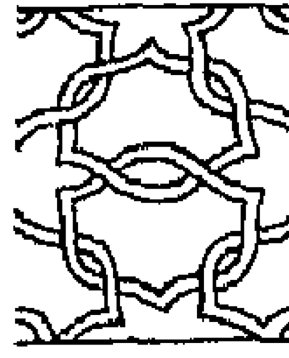
وكيفية تغير أحواله. واختلاف أشكال ما يظهر مضيئاً من سطحه. وتنقل الضوء في جميع أجزائه. كما انه عالج قضية الكسوف باسهاب. واتخذ هذه الظاهرة دليلاً على انّ ضوء القمر مكتسب من الشمس.

ومما لا شك فيه أن ابن الهيثم درس نفوذ الأضواء من الثقوب الضيقة. فشاهد صورة كسوف الشمس على جدار مقابل له. من خلال ثقب صنعه لهذه الغاية. كان هذا أول ذكر «للخزانة المظلمة ذات الثقب». وعليها قامت فكرة التصوير الضوئي.

وفي إحدى رسائله جرب أن يشرح أضواء الكواكب. فيقول إنها مضيئة من ذاتها بخاصة تخص جوهرها. وليس واحد منها يكتسب الضوء من غيره. سوى القمر. ويستشهد بالزهرة وعطارد وهما أقرب الى الأرض من الشمس. فيقول انهما يريان عند قربهما من الشمس على الصورة التي يريان عليها عند بعدهما عنها. لا تختلف صورتهما ولا يرى واحد منهما في وقت من الاوقات هلالياً ولا على شكل غير الاستدارة وخاصة الزهرة. فالزهرة وعطارد مضيئان من ذواتهما. وليس يكتسبان الضوء من الشمس. لقد أخطأ ابن الهيثم في هذا الأمر. والعلماء ليسوا معصومين عن الخطأ.

° ° °

هذا قليل من كثير قدمه ابن الهيثم منذ نحو ألف سنة للعالم. فاستنارت به أوروبا. ونقلته مع مرور الأيام الى اقطار العالم كافة. ويقول عنه «سارتون»» انه كان أكبر عالم طبيعي في الاسلام». ●



أهذا من ذاك؟

– قيل ان الأواني التي كان يأكل فيها كسرى كانت من الذهب الخالص. فسرق رجل من خاصته آنية. وكسرى ينظر إليه. فلما رُفعت الموائد افتقد الطبّاخ الآنية فرجع يطلبها. فقال له كسرى: «لا تتعبن نفسك. فقد أخذها من لا يريدها. ورآه من لا يفشي عليه. وبعد ذلك بأيام. دخل الرجل على كسرى وقد حلّى سيفه ومنطقته ذهباً. فقال له كسرى على الفور وقد أشار إلى سيفه ومنطقته: «أهذا من ذاك؟» فقال: «نعم».

لا عن ذلك ولا عن هذا؟

– كان زياد بن أبي سفيان كاتباً لأبي موسى الأشعري. فعزله عمر بن الخطاب عن عمله. فقال زياد لعمر بن الخطاب: «أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة»؟ فقال عمر: «لا عن ذلك ولا عن هذا. ولكني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك».

جرب العمالقة والاقزام

– قال بسمارك السياسي الالماني الكبير وعرّاب الوحدة الالمانية يوماً: المقاتلون وحدهم هم الذين يعرفون ويلات الحرب. وهم أوّل الذين ينادون بالسلام ونبذ القتال!.

وقد ذهب الجنرال برادلي الذي تولى رئاسة هيئة اركان حرب القوات الاميركية بعد الجنرال ايزنهاور في عام ١٩٤٩ مذهب بسمارك نفسه حين قال: «إن عالمنا اليوم هو عالم عمالقة الذرّة وأقزام الاخلاق. فنحن نعرف عن الحروب أكثر مما نعرف عن السلام... نعرف عن القتل أكثر مما نعرف عن الحياة. اني أبتهل إلى الله أن يأتي اليوم الذي فيه يتحول الاقزام إلى عمالقة. ويخرج كل رجل وامرأة وطفل ليشاركوا في حفر أكبر مقبرة في الشارع لكل أسلحة الموت والدمار... إن شجرة الزيتون لن تموت طالما بقيت مياه الحياة تروي جذورها»!. فهل سيتحقق هذا السلام يوماً ما يا ترى؟.



الجزائر والحملة الفرنسية

١٨٣٠

علاقات الجزائر بدول اوروبا وقوتها البحرية وكيف تم استعمارها

د. ابو القاسم سعدالله

البيان الفرنسي إلى الشعب الجزائري !

فيما يلي نسخة من البيان الفرنسي الذي أعد في طولون بالعربية ووجه إلى الجزائريين عشية اقلاع الأسطول الفرنسي نحو الجزائر.

(إلى الكولوغلي. ابناء الأتراك والعرب المقيمين في اقليم الجزائر).

«اننا نحن أصدقاءكم الفرنسيين نتوجه الآن نحو مدينة الجزائر. اننا ذاهبون لكي نطرد الأتراك من هناك. ان الأتراك هم أعداؤكم وطغاتكم الذي يتجبرون عليكم ويضطهدونكم. والذين يسرقون أملاككم وانتاج أرضكم. والذين يهددون حياتكم باستمرار. اننا لن نأخذ المدينة منهم لكي تكون سادة عليها. اننا نقسم على ذلك بدمائنا. واذا انضممتم إلينا. واذا برهنتم على أنكم جديرون بحمايتنا. فسيكون الحكم في أيديكم كما كان في السابق. وستكونون سادة مستقلين على وطنكم»

«ان الفرنسيين سيعاملونكم كما عاملوا المصريين. أخوانكم الأعزاء. الذين لم يفتأوا يفكرون فينا ويتأسفون على فراقنا طيلة الثلاثين سنة الماضية. منذ خروجنا من بلادهم. والذين ما يزالون يرسلون ابناءهم إلى فرنسا ليتعلموا القراءة والكتابة وكل فن وحرفة مفيدة. ونحن نعدكم باحترام نقودكم وبضائعكم ودينكم المقدس. لأن ملك فرنسا المعظم حامي وطننا المحبوب. يحمي كل دين».

«فاذا كنتم لا تثقون في كلمتنا وفي قوة سلاحنا. فابتعدوا عن طريقنا ولا تنضموا إلى الأتراك الذين هم أعداؤنا وأعداؤكم. فأبقوا هادئين. ان الفرنسيين ليسوا في حاجة إلى مساعدة لضرب وطرد الأتراك. ان الفرنسيين هم أصدقاؤكم المخلصون وسيظلون. فتعالوا الينا وسنكون مسرورين بكم وسيكون ذلك فرصة لكم. واذا أحضرتم إلينا الأطعمة والأغذية. والأبقار والأغنام فسندفع ثمن ذلك بسعر السوق. واذا كنتم خائفين من سلاحنا فأشيروا علينا بالمكان الذي يقابلكم فيه جنودنا المخلصون دون سلاح مزودين بالنقود في مقابل التموين الذي تأتون به»

«وهكذا على السلام بينكم وبيننا لمصلحتكم ومصلحتنا»

عن «ذي ليفربول ميركوري» The Liverpool Mercury

١٨ جزيران ١٨٣٠



● كانت ملامح الجزائر، من ١٥١٦ إلى الاحتلال الفرنسي في ١٨٣٠، متشابهة على العموم، فالمجتمع القديم، أو ما يسمى في اوروبا، بالعهد القديم، كان مطبقاً في الجزائر بطريقة كادت تكون كاملة. ولعل الفرق الوحيد هو أن الجزائر تقع في افريقيا وليست في أوروبا. وقد سمع الجزائريون بالثورة الفرنسية، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً لتطبيق مبادئها في وطنهم. فقد أقرضوا نابليون النقود ومونوه لكي يواصل حروبه في أوروبا. أما نابليون نفسه، فقد كان يخطط لاحتلال الجزائر وبسط دولته على شمال افريقيا.

إن المؤرخين لا يتفقون على نوع الحكومة التي كانت تحكم الجزائر خلال الثلاثة القرون المشار اليها، فقد قال بعضهم انه كانت لها حكومة جمهورية أو جمهورية عسكرية.

وقال آخرون انه كان لها نظام ملكي، وتحدثوا في كتبهم عن مملكة الجزائر. ومهما كانت العبارة التي استعملها أولئك وهؤلاء، فإن الجزائر كان يحكمها شخص هو الداي الذي كان ينتخبه الديوان (البرلمان) مدى الحياة. وكان الداي يحكم بواسطة وزراء معينين تعييناً، في المراكز التالية: وزارة البحرية والشؤون الخارجية، وزارة الحرب، وزارة المالية والداخلية، ووزارة الاوقاف والبريد.

وكان الداي يعين أيضاً ولاة الاقاليم الثلاثة التي كانت تتكون منها الجزائر في ذلك الوقت، وهي: أقليم قسنطينة، واقليم وهران، واقليم التيطري، بالاضافة إلى ذلك فقد كانت هناك مراكز اخرى أقل أهمية، مثل القضاء، والافتاء، ومندوبيات مختلف النواحي.

وقد كانت السلطة عموماً في أيد تركية من الداي إلى الجندي، وكان الجزائريون يجندون ليخدموا في الجيش ويعينون في المراكز الدينية. وكان عليهم أن يدفعوا الضرائب وأن يؤيدوا الدولة. وكانت التزامات اعترافهم بالخلافة باسم الدين تمنعهم من الثورة. وكانوا يعرفون أن الأتراك قد ساعدوهم ضد الأسبان في القرن السادس عشر. ورغم الالتزامات الدينية والحقائق التاريخية بخصوص الأتراك، فإن الجزائريين لم يثوروا ضد السلطة التركية بسبب الاجحاف والظلم والفساد الذي كان الأتراك يقومون به. الا أن السخط كان شائعاً كثيراً، وقد استغل الفرنسيون هذا العمل النفساني ضد الجزائر.

إن الحكم المطلق وتأثير الدين في كل مظاهر الحياة، هذه كلها كانت ملامح مشتركة «للعهد القديم» الجزائري. وقد كان هناك احترام كبير للتعليم، ولكنه كان تعليماً مقتصراً على الدراسات الدينية الخاضعة بدورها إلى سلطة الطبقة المتدينة، وكانت العربية هي لغة الجمهور، والتركية هي اللغة الحكومية، أما الفرنسية فقد كانت شائعة بين القناصل الأجنبية، ولعلها بين النخبة الجزائرية أيضاً. وكان الاسلام هو الدين الرسمي والغالب في البلاد. وكان هناك بالطبع يهود ومسيحيون.

والمجتمع الجزائري كان شبيهاً جداً بمجتمع جنوب أوروبا، باستثناء فرنسا ربما، فقد كان هناك الارستقراطيون في القمة، والفلاحون في الحضيض. وبين القمة والحضيض هناك قلة في الوسط ولكن تأثيرها ضعيف، أو لا يكاد يذكر. فتأثير الدين كان اقوى بكثير من أي تأثير آخر. فمجتمع الجزائر كان على غرار مجتمع فرنسا في العهد القديم، دون افكار تنويرية.

إذن، فقد كانت الجزائر دولة مستقلة، وكان لها علم، وعملة، وجيش، وعلاقات دبلوماسية مع الدول الأخرى، ولكنها كانت تعترف بالباب العالي أو الخلافة الاسلامية التي كانت تحت السلطة العثمانية لاسباب

دينية. وكانت ترسل هدية إلى الخليفة في اسطنبول في كل ثلاث سنوات. ولكن هذه الهدية لم تكن ضرورية. وبالاضافة إلى ذلك فإن العلم العثماني لم يكن دائماً محل احترام في الجزائر.

الجزائر والدول الأوروبية

لقد كان للجزائر أسطول بحري قوي خلال الثلاثة القرون. وكان هذا الأسطول مسيطراً على كامل غرب البحر الأبيض المتوسط. وعلى شواطىء الأطلسي الأفريقية حتى انكلترا. وهذه السلطة البحرية قد فرضت نفسها على الدول الأوروبية. بما في ذلك الولايات المتحدة الأميركية. مدة طويلة. وكانت الدول الأوروبية الصغيرة (مثل ايطاليا. والأراضي المنخفضة. والبلاد الاسكندنافية) تدفع الجزية للجزائر سنوياً. وتقدم لها مختلف الهدايا لكي تشيد معها صداقة دائمة وتحافظ على تجارتها نشيطة. أما تلك الدول القوية التي كانت تتحرر من السلطة الاستعمارية ومن حروب المنافسة في أجزاء كثيرة من العالم. فقد دفعت هي ايضاً الجزية للجزائر في كثير من الأحيان. ولكنها (الدول القوية) قد دخلت معها أحياناً في حروب. وقد كانت الجزائر هي المنتصرة دائماً خلال هذا الصراع إلى الحملة الفرنسية سنة ١٨٣٠.

ولكي نوضح الصورة حول السياسة الخارجية للجزائر. نذكر باختصار كيف طبقت هذه السياسة على كل دولة أوروبية على حدة.

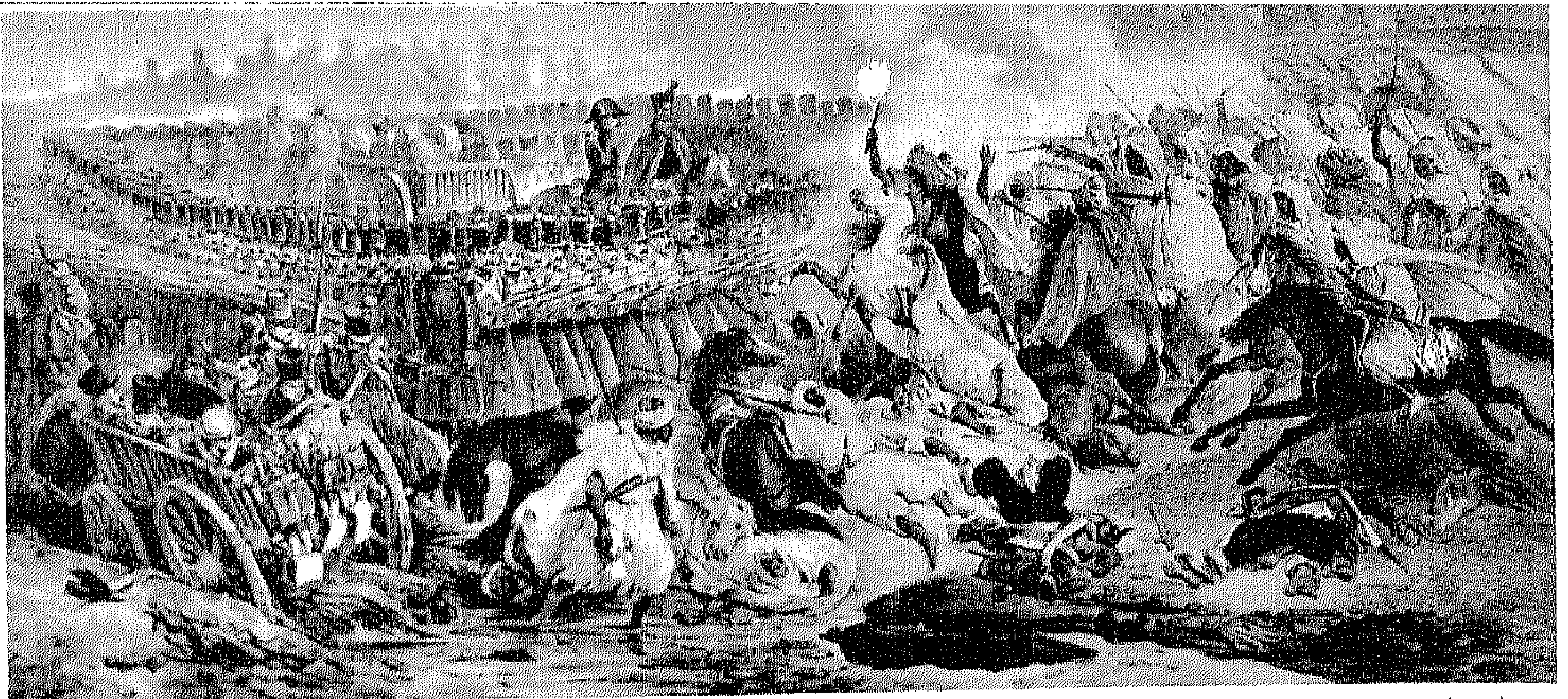
وسنذكر في هذا المجال الولايات المتحدة الأمريكية. ونستثني فرنسا التي سنخصص لها قسماً من هذا البحث. لأنها تحتاج إلى تركيز أكثر في علاقتها مع الجزائر.

الجزائر وأمريكا:

ارتبطت العلاقات بين امريكا والجزائر قبل عام ١٧٨٣. فقد كانت لأمريكا مشاكلها الخاصة في نهاية القرن الثامن عشر. ورغم ذلك فقد بدأت تتاجر مع العالم الخارجي. وكانت تريد أن تمد منطقة حركتها إلى البحر الابيض المتوسط. وقد اعلنت الجزائر الحرب ضدها. وهكذا حجز الأسطول الجزائري سنة ١٧٨٥ سفينتين امريكيتين في عرض المحيط. ونظراً إلى انه لم يكن لأمريكا من الوسائل ما تعالج به هذا الوضع فإنها قد اضافت مادة في معاهدتها مع فرنسا تقوم بمقتضاها الاخيرة بمساعدتها.

وقد اعطت تفويضاً لكل من ج. آدامز. وب. فرنكلين وت. جيفرسن. الذين كانوا في أوروبا في ذلك الوقت. من حكومتهم لكي يفاوضوا على معاهدة مع الجزائر. وفي سنة ١٧٩٣ حجز الجزائريون احدى عشرة سفينة أمريكية أخرى في عرض المحيط. وجاؤوا بها إلى الجزائر العاصمة. وفي هذه الاثناء كان هناك أكثر من مائة اسير امريكي في الجزائر.

وفي ايلول ١٧٩٥ وقعت معاهدة سلام بين



معارك التحرير ضد الاستعمار مستمرة.

الجزائر والولايات المتحدة وافقت الاخيرة بمقتضاها على أن تدفع حوالي سبعمائة وخمسة وعشرين دولاراً. أما داي الجزائر. فقد وافق من جهته على أن يساعد على إبرام معاهدات سلام بين الولايات المتحدة وكل من تونس وطرابلس. وقد قال بعضهم «أن معاهدة السلام مع الداي قد قبلت بالحفاوة والتهاني في أمريكا. لأنها ادت إلى اطلاق سراح الاسرى وامنت التجارة. ولكنها كانت معاهدة مهينة كثيراً (لأمريكا) لأنها قد كلفت كثيراً من النقود ونصت على جزية سنوية».

ونظراً إلى حربها مع بريطانيا سنة ١٨١٢. فإن مدخرات امريكا البحرية قد عانت كثيراً. وعندما عرضت على الداي أن تدفع له النقود بدلا من المعدات العسكرية. رفض وأعلن الحرب عليها من جديد. ولكنها بعد أن وقعت السلام مع بريطانيا (١٨١٥) ظهرت امريكا بقوة بحرية جيدة، وأرسلت اسطولها أمام مدينة الجزائر لكي يفرض السلام على الداي. وهكذا ابرمت بين الطرفين معاهدة سلام في مدينة الجزائر سنة ١٨١٥. وقد جددت هذه المعاهدة عدة مرات. ومنذئذ اصبحت العلاقات الجزائرية-الأمريكية عادية وبقيت كذلك إلى الاحتلال الفرنسي.

الجزائر وبريطانيا:

أما العلاقات بين الجزائر وبريطانيا العظمى فهي أقدم واكثر تأثيراً من تلك التي كانت بينها وبين أمريكا. ومن جهة اخرى. كانت هذه العلاقات اكثر تعقيداً. لأن كلا من الدولتين كانت قوة بحرية. وليس هدف هذا البحث متابعة كل التفاصيل المتعلقة بالعلاقات الجزائرية البريطانية. ولكن هدفه أن يعطي فكرة عن اهمية الجزائر في هذه الفترة التاريخية. ولا سيما في العقلية الأوروبية.

أن الجزائر قد اقامت علاقات ودية مع بريطانيا حتى قبل مجيء الأتراك في اوائل القرن السادس عشر. فأهمية الجزائر الجغرافية والسياسية والتجارية. قد جعلت بريطانيا وفرنسا تتنافسان بشأنها. ولكن الجزائر قد تعاملت مع كلتيهما واستفادت من هذه المنافسة.

لقد تمتعت بريطانيا بامتيازات خاصة. لم تتمتع بها الا فرنسا منذ عهد لويس الرابع عشر. وعلى أية حال فانه بينما كانت فرنسا. في حرب في أوروبا تحت نابوليون. اعطت الجزائر تلك الامتيازات إلى بريطانيا سنة ١٨٠٦. بالمعاملة نفسها التي كانت لفرنسا. وبعد مؤتمر فيينا خرجت بريطانيا منتصرة. وهاجم اسطولها في البحر الأبيض المتوسط الجزائر. دون استشارة الحكومة. لكي يجبر الجزائريين على اطلاق سراح الأسرى البريطانيين والمالطيين الايطاليين. أن معركة الجزائر التي جرت سنة ١٨١٦ مشهورة في تاريخ البحرية. لأن البريطانيين كانوا في تحالف مع هولندا ومع بعض الأساطيل الايطالية. وقد ساومت الجزائر وناورت في هذه الاثناء دون أن تخسر كثيراً. وفي معاهدة (٢٦ آب (اغسطس) ١٨١٧) استرجعت فرنسا امتيازاتها في الجزائر عن طريق المساومة.

وقد استأنف البريطانيون علاقاتهم مع الجزائر وواصلوا تأييدهم القوي لها ضد فرنسا. وبتعاقب الأيام واتتهم فرصة ذهبية حين تصدعت العلاقات الفرنسية الجزائرية في عام ١٨٢٧. قبل ثلاث سنوات من الحملة.

الجزائر والدول الأوروبية الصغيرة:

أما العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية الصغيرة. فقد كانت مختلفة نوعاً ما. فبعض هذه الدول كانت تدفع الجزية إلى الجزائر. بحيث تدفع لها كمية معينة من النقود أو تتعهد بحماية السفن الجزائرية في موانئها لكي تقوم باعمالها التجارية بحرية. وتؤمن خطوط مواصلاتها البحرية. ومن هذه الدول الدانمارك. والسويد وسردينيا. ونابولي. وغيرها. وقد كان هناك على العموم سلام دائم بين الجزائر وهذه الدول. اما المجموعة الاخرى من الدول الاوروبية فتشمل إسبانيا والبرتغال وهولندا. فهذه الدول كانت تدفع الجزية إلى الجزائر في اغلب الأحيان. ولكنها احياناً كانت تدخل في حرب معها بطريقة فردية كما فعلت اسبانيا والبرتغال. أو بطريقة التحالف مع دولة اخرى كما فعلت هولندا. حين دخلت الحرب ضد الجزائر بالتحالف مع بريطانيا العظمى سنة ١٨١٦.

اسبانيا: كانت اسبانيا هي اكثر الدول المغضوب عليها من الجزائريين. فكثير منهم كانوا معروفين «بالمور»: اهالي افريقيا الشمالية الذين عاشوا في

الأندلس عدة قرون والذين طردهم الصليبيون الأسبانيون اثناء وبعد الحكم الاسلامي في اسبانيا. وبالاضافة إلى ذلك فإن الاسبانيين قد طاردوا اولئك المسلمين الفارين في بداية القرن السادس عشر حين احتلوا وهران. وبجاية. وهددوا مدينة الجزائر نفسها.

وعلى أية حال فإن العلاقات الجزائرية الاسبانية لم تصل ابداً إلى درجة التفاهم. وقد فرضت الجزائر شروطاً على اسبانيا حوالي ثلاثة قرون: برغم تدخل بريطانيا العظمى ونابليون. وبرغم المحاولات الاسبانية لمحاصرة الجزائر. بل حتى مهاجمتها بيأس. مثلما وقع في حملة اوريلي سنة ١٧٧٤.

والحق أن بريطانيا العظمى قد قدمت مساعدتها لاسبانيا بخصوص وضع الأخيرة مع الجزائر.

٢ - البرتغال: لم تكن البرتغال تختلف كثيراً عن اسبانيا باستثناء أن الاولى كانت اضعف. واصغر. واكثر تبعية في معظم الاحيان لصديقها أو حليفها. وبهذه الطريقة اضطرت إلى دفع جزية سنوية الى الجزائر. وفي سنة ١٨١٠ كان هناك ٦١٥ برتغاليا سجيناً في الجزائر.

وقد توسطت بريطانيا العظمى فعمدت إلى وضع خطة لتحرير هؤلاء الأسرى. وذلك بأن تدفع البرتغال إلى الجزائر مبلغ ٦٩٠.٣٣٧ دولاراً فدية. وقد نجحت هذه الخطة. فدفعت البرتغال واطلق سراح اسراها. لقد كانت البرتغال «تصارع من أجل وجودها السياسي. وكانت إما تحت رحمة اعدائها الفرنسيين واما تحت السلطة العسكرية لحليفتها (بريطانيا)».

٣ - هولندا: إن العلاقات بين هولندا ودول شمال اوروبا من جهة. وبين الجزائر من جهة اخرى. لها تاريخ سلمي طويل. فقد دفعت تلك الدول جزياتها إلى الجزائر دون خرق للمعاهدات. وقد احترم الجزائريون تلك الدول بعمق نظراً لسياستها السلمية وطابعها الدولي المرموق.

نذكر هنا بعض الاحصاءات التي تبين الموارد التي اتصلت بها الخزينة الجزائرية سنوياً من بعض الدول الأوروبية ولا سيا فرنسا:

- فرنسا (من حق صيد المرجان. واحتكار الصوف، والشمع والجلود): ٧٠,٠٠٠ دولار.

- ملك نابولي ٢٤٠٠٠ دولار
- ملك السويد ٢٤٠٠٠ دولار
- ملك الداغارك ٢٤٠٠٠ دولار
- ملك البرتغال ٢٤٠٠٠ دولار

الجزائر وفرنسا:

إن العلاقات الفرنسية - الجزائرية كانت قديمة إلى حد يسمح بإقامة صداقة قوية وتعاون دائم. وقد ظهر هذا التعاون والصداقة في شكل امتيازات. وقروض. ومعاهدات سلام بين البلدين. فمنذ أوائل القرن السادس عشر أعطيت امتيازات في الجزائر بممارسة التجارة واستغلال بعض المنافع على الساحل. وقد تولت الشركة الافريقية Compagnie d'Afrique هذه المسؤولية.

واثناء الثورة الفرنسية كادت هذه الصداقة بين البلدين تتوقف. ولكن الجزائر واصلت منح فرنسا مساعدات اقتصادية. وبالأخص النقود والحبوب. وعندما هاجم نابليون مصر اضطرت الجزائر (نظراً لالتزاماتها نحو الباب العالي) أن تعلن الحرب ضد فرنسا. وتحت تأثير وترغيب بريطانيا. بل لعله نظرا إلى تفوق بريطانيا في البحر. جردت الجزائر فرنسا من امتيازاتها على الساحل الجزائري ومنحتها (الامتيازات) إلى بريطانيا. ولكن ذلك لم يدم طويلاً. فقد هاجمت بريطانيا الجزائر سنة ١٨١٦. ونتيجة لهذا الحادث، استرجعت فرنسا في الحال الامتيازات بمعاهدة ١٨١٧. وبعد ثلاث سنوات أصرت الجزائر على أنه يجب على فرنسا أن تجدد المعاهدة لاعادة النظر في طريقة الدفع. وقد توترت العلاقات بين البلدين حتى كادت تنقطع. وكان داي الجزائر يواصل سؤاله للقنصل الفرنسي بخصوص الدين الذي كانت فرنسا مدينة به للجزائر.

وفي ١٨٢٧ وأثناء حفلة دينية. وأمام القناصل الأجنبة والهيئات الدبلوماسية المعتمدة جدد الداي سؤاله إلى القنصل الفرنسي. ولكن جواب الأخير كان غير مهذب، فما كان من الداي إلا أن فقد توازنه وضرب القنصل على وجهه بمروحة من الريش وأمره بمغادرة المكان. وقد اعتبرت فرنسا هذا التصرف من الداي اهانة لشرفها وطالبت بالمبررات والتعويضات. وعندما لم تقتنع بالجواب أعلنت حصاراً كاملاً ضد الجزائر.



الصفعة الشهيرة التي اتخذتها فرنسا مبرراً لاستعمار الجزائر (رسم كوبان).

ولكن هذا الحصار لم يكن فعالاً. وقد دام ثلاث سنوات بدون نتيجة وهنا بدأت فرنسا تعد حملتها العسكرية ضد الجزائر. وفي ١٤ حزيران/يونيو/١٨٣٠ نزلت القوات الفرنسية في الجزائرولكن فرنسا في الحقيقة كانت تعد حملتها ضد الجزائر منذ ما قبل الثورة الفرنسية. فقد اكتشف في الوثائق الفرنسية أن هناك مشروعا غريبا قدم سنة ١٧٢٩ إلى الملك الفرنسي عندئذ بهدف احتلال الجزائر. وفي سنة ١٧٩١ كان هناك مشروع غريب آخر يرمي إلى احتلال الجزائر. ويشير بارسال حملة عسكرية إلى سيدي فرج على الساحل الجزائري. وبعد حوالي ١٧ سنة. ١٨٠٨ أعطى نابوليون نفسه أمراً إلى اميره البحري: ديكري Decris، لاعداد مشروع لمهاجمة الجزائر وتونس. وفي رسالته إلى هذا الامير ذكّر نابوليون بأهمية الساحل الجزائري وطلب معلومات كاملة عن الجزائر قبل أن يشرع فعلا في احتلالها. وقد اشار نابوليون في رسالته ايضاً إلى الأخطار التي يمكن أن تكون في جزيرتي صقلية ومالطا اذا عزم على احتلال الجزائر.

وعلى اية حال. فإن فرنسا قد استمرت في علاقاتها «العادية» مع الجزائر. وكان هناك تبادل للرسائل بين حكام الجزائر وحكام فرنسا في مختلف المناسبات. ومن بين حكام فرنسا نابوليون الذي طلب من الجزائر في أوائل القرن التاسع عشر أن تحترم رعاياه في ايطاليا. وقد فعلت الجزائر ذلك.

اسباب الحملة

أن الرسميين الفرنسيين لم يذكروا أي سبب يتعلق بالمصاعب الداخلية في بلادهم. ولكنهم كانوا يعلمون أن شعبهم سيطيع ويتحمس اذا تحدثوا اليه عن شرف الأمة الفرنسية الذي اهانه الجزائريون. فرجال الاعمال والتجار كانوا سيهللون لهذه الخطوة لأن الجزائر. كما ادعى الرسميون الفرنسيون. قد صادرت «الممتلكات» الفرنسية على الساحل الجزائري. وقد ظنوا أن مثل هذه النغمة ستجعل هؤلاء يسرعون الى تأييد الحكومة. ومباركة حركتها «العادلة والقومية».

ومن جهة أخرى فإن الجيش الفرنسي بقي مدة طويلة في سلام. فمنذ نابوليون وفترة الاسترجاع التي تلته لم يكن «للجيش الأعظم». أي شيء يعمله. أما أوروبا عامة فقد كانت في سلام تحت الحكومات الرجعية لمترنيخ. وليفربول. والاسكندر الاول. ثم بالطبع شارل العاشر. وبدلا من أن يتحرك الجيش

ويتقدم نحو باريس لأسقاط النظام وتأييد الليبراليين. دبر شارل العاشر إرسال الجيش إلى طولون استعداداً «للمعركة الجيدة» على الساحل الآخر من البحر الأبيض المتوسط.

ولكن ماذا عن بريطانيا العظمى واوروبا كلها؟ هل أخذ الرسميون الفرنسيون ذلك في الاعتبار قبل أن يبادروا إلى تنظيم الحملة؟ نعم لقد فعلوا واختلقوا اسباباً ومبررات. فقد قالوا إن الجزائر لم تطع أمر المبعوثين البريطانيين والفرنسيين بالغاء نظام الرق. وقالوا أيضاً بأنها قد استرقت ضباطا كانوا قد اسروا على بواخر تحمل علم روما التي كانت عندئذ تحت الحماية الفرنسية.. الخ.

غير أن بريطـانيـا لم تكن مقتنعـة بهذه الادعاءات. وأصرت على أنه يجب على فرنسا أن تقدم تفسيرات وافية حول مصير الجزائر إذا نجحت الحملة. وقد رد ملك فرنسا شارل العاشر على السفير البريطاني في باريس. عن طريق رئيس وزرائه دي بولنياك (De Polignac). إنه اذا نجحت الحملة فإن فرنسا ستتشاور مع حلفائها. ولكن شارل العاشر قد اضاف على لسان رئيس وزرائه بأن احتلال الجزائر في حد ذاته يجب أن يباركه كل المسيحيين وكل العالم المتحضر.

وقد جاء في كلامه: «اذا كان في الصراع الذي اوشك أن يبدأ نتيجة هامة فإن الملك في تلك الحالة سيأخذ في الاعتبار اهمية هذه المسألة لإقرار ما يجب أن تكون عليه الاشياء امام الوضع الجديد. والتي يجب أن تسجل اكبر ربح للمسيحية.».

أما جريدة «لومنيتور» « Le moniteur ». شبه الرسمية. فقد نشرت اهم النقط التي اعتبرتها فرنسا العناصر الأساسية التي ادت إلى حملتها ضد الجزائر. وبناء على هذه الجريدة فإن اسباب الحملة هي ما يلي:

١ – لقد استرجعت فرنسا. بمقتضى معاهدة ١٨١٧. ممتلكاتها لبعض المؤسسات التجارية التي توقف استعمالها اثناء الثورة. ولكن الداي قرر أنه لا يسمح بامتيازات لفرنسا لا تتمتع بها الدول الاخرى. ولذلك هدم كل الحصون والمؤسسات وتوابعها التي كانت لفرنسا.



أحد القادة الفرنسيين يزور جرحاه (رسم رافيه).

٢ - وبمقتضى نفس المعاهدة كان لفرنسا امتياز صيد المرجان على الساحل الجزائري بشرط أن تدفع هي ٦٠ الف فرنك سنوياً مقابل ذلك. وبعد سنتين من المعاهدة طلب الداي من الفرنسيين ٢٠٠ الف فرنك ففعلوا. وفي سنة ١٨٢٦ أصدر الداي قراراً يمنح بمقتضاه الحرية لكل الدول في صيد المرجان.

٣ - وفي سنة ١٨١٤ اجبر القنصل الفرنسي. ديبوى ثانفيل (D.Thainveille). على مغادرة مدينة الجزائر لأنه رفض أن يعوض بعض الجزائريين عما اقرضوه لبعض الرعايا الفرنسيين قبل أن يستشير حكومته.

٤ - أن الداي قد رفض أن يعطي إجابات مرضيـة على حجز البـاخرة الفرنسيـة لافورتـون La Fortune. في عنابة. والاستيلاء عليها.

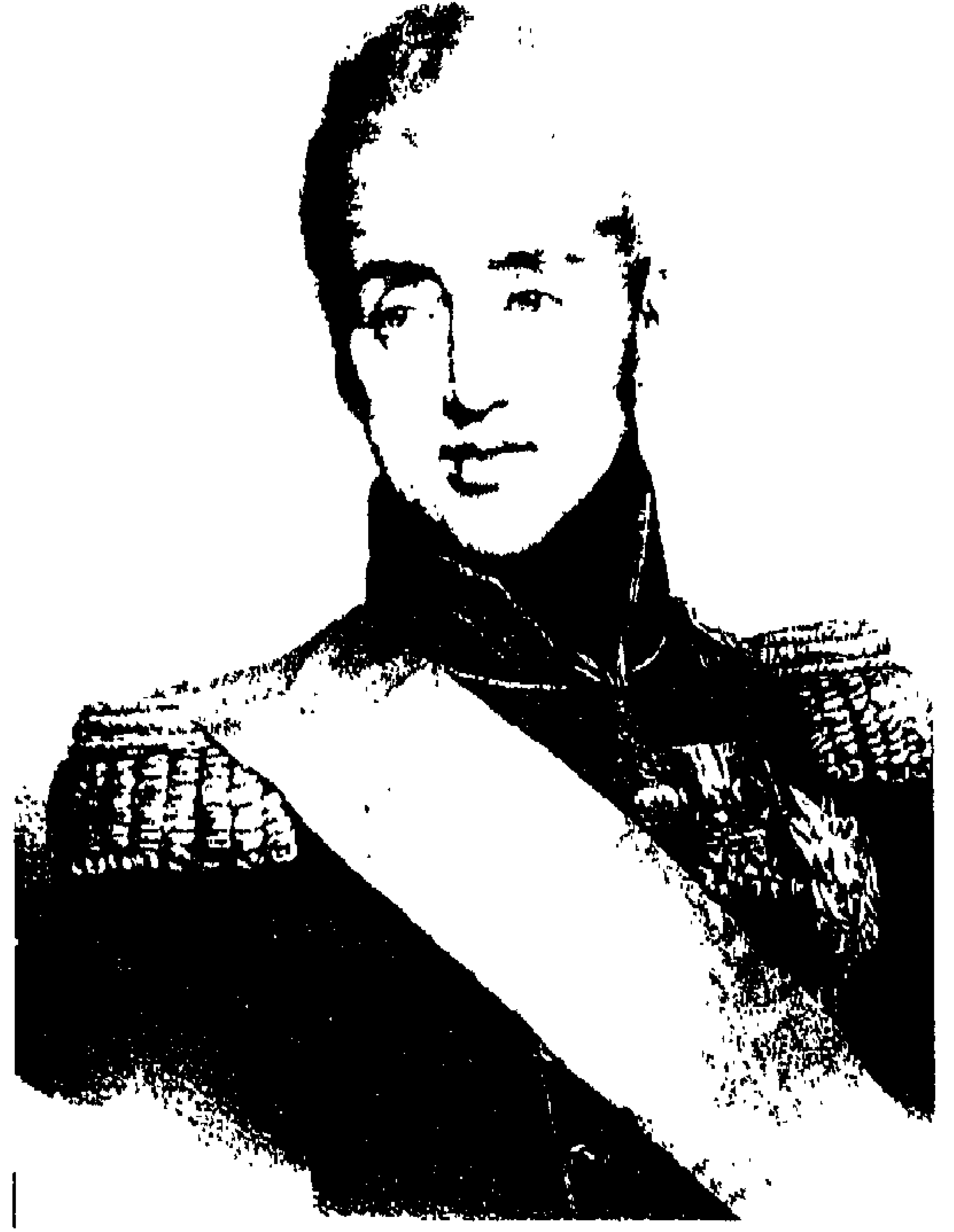
٥ - في سنة ١٨١٨ اجاب الداي كلا من امير البحر البريطاني والفرنسي بأنه سيواصل نظام الاسترقاق ضد رعايا الدول التي لم توقع معاهدات معها.

٦ - وفي سنتي ١٨٢٦ و١٨٢٧ كان هناك خرق للمعاهدات من جانب الداي. فهناك بواخر ترفع علم روما قد هوجمت رغم أنها كانت تحت الحماية الفرنسية. كما أن هناك بواخر فرنسية نهبت وارغم ربابنتها على أن يصعدوا بواخر «القراصنة الجزائريين» بهدف الاستظهار بأوراقهم.

٧ - تصرف الداي نحو يهوديين. فبناء على اتفاقية ١٨١٨ كان اليهوديان سيعوضان. مع الاحتفاظ ببعض النقود لإجابة مطالب بعض الفرنسيين ضدهما. ولكن الداي طلب أن يدفع اليه شخصياً كل القوض الذي يصل إلى (٧٠٠.٠٠٠ فرنك). وان على الرعايا الفرنسيين أن يلتجئوا إلى الحكومة الجزائرية للإجابة إلى مطالبهم. وقد اضاف إلى هذا الموقف الذي يثير السخط (إشارة إلى ضرب الداي للقنصل الفرنسي) تهديم المؤسسات الفرنسية. لذلك اصبح حصار مدينة الجزائر. أمراً لا مناص منه. وبعد أن كلف هذا الحصار فرنسا حوالي ٢٠ مليوناً من الفرنكات حاولت فرنسا في تموز (يوليو) ١٨٢٩ أن تفتح المفاوضات ولكنها فشلت. وقد وصف البيان الفرنسي هذا الموقف من الداي بأنه قد جعل كل محاولة اخرى للتفاهم من



القتال في قسنطينة (رسم رافيه).



شارل العاشر ملك فرنسا



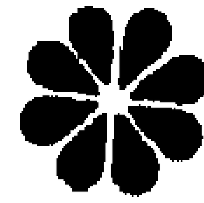
الأمير دو بولينياك

جانب فرنسا غير متناسبة مع شرف الأمة.

والواضح أن ما نشرته جريدة «لومينتور» قد استعمل النغمة نفسها التي استعملها هتلر قبل أن يهجم على ضحيته: الاهتمام بخرق المعاهدات، والادعاء بامتلاك بعض المؤسسات والممتلكات في بلد اجنبي. واهانة شرف الأمة. وغير ذلك.

وقد قدر المؤرخ الفرنسي ارسن برتاي (A.Berteuil). مؤلف كتاب «الجزائر الفرنسية» أن فرنسا قد خسرت حوالي ٧ ملايين فرنك نتيجة للحصار وانها تعتبر نفسها صاحبة الحق في الممتلكات التي اسستها منذ القرن الخامس عشر. ولكن اكثر من ذلك اهمية هو أن المؤلف قد ذكر احد الأسباب التي اشير اليها في البيان الفرنسي. وهو: غيرة فرنسا من انكلترا لأن الداي قد اعطى الحقوق التجارية إلى التجار الانكليز. فهذا التصرف، بناء على رأيه، قد اغضب فرنسا بالطبع.

* دكتور أبو القاسم. سعد الله جزائري. وقد وضع هذا البحث باللغة الانجليزية أساسا. كجزء من اطروحته في دراسته العليا.



● ليس صحيحاً ان هناك مستعمرين صالحين وآخرين اشرارا، هناك مستعمرون وحسب.

سارتر



• سيدة أخرى من السيدات العظيمات المجهولات. وقد كانت حبها العذري الغريب وحنانها الدافق صاحبة اليد الطولى في إظهار عبقرية موسيقار عظيم هو «بيتر تشايكوفسكي».

• كانت «ناجده» أرملة على جانب كبير من الثراء. وكانت في الوقت نفسه رائعة الجمال. ولكنها كانت عفيفة تعتز بسمعتها وشرفها اعتزازاً لا حد له. وقد أعجبت بموسيقى «تشايكوفسكي» حينما سمعته يعزف في إحدى الحفلات.

• علمت الأرملة الثرية الحسناء أن الموسيقار الشاب يعاني من الفقر والوحدة فآلت على نفسها أن تشق للطريق أمام عبقريته فرتبت له إيراداً مالياً ثابتاً وأثثت له شقة فاخرة مريحة زودتها بكل ما يلزم الفنان وصارت تسهر على راحته والعناية به دون أن تسمح له حتى بالضغط على يدها.

• أحبها «تشايكوفسكي» حباً جنونياً. وعرض عليها الزواج. ولكنها رفضت في لطف وإصرار وأفهمته أنها تحب فنه وموسيقاه. وأن حبها لشخصه هو حب عذري وأنها تعامله كأنه ابنها تماماً!

• أراد «تشايكوفسكي» أن يشعل نيران الغيرة في قلب الأرملة الحسناء فأنشأ علاقة حب بينه وبين حسناء تدعى «انطوانيت إيفانوفا» وصار يدعوها إلى الشقة التي أثثتها له «ناجدة» ولكن هذه الأخيرة كانت تعاملها كأنها ابنتها وتوصيها بأن تسعد الموسيقار.

• تزوج «تشايكوفسكي» من «انطوانيت» التي ابتدأت تشعر بالغيرة من «ناجده» ولم تصدق قصة الحب العذري هذا فقلبت حياة الموسيقار إلى جحيم وأهانت «ناجده» إهانة بالغة فاضطرت الأرملة إلى قطع علاقتها بالموسيقار وسافرت إلى مكان مجهول.

• انفصل «تشايكوفسكي» عن زوجته التي لم تفهم رسالة الزوجة نحو زوجها الفنان وطفق يبحث عن الأرملة قانعاً بحبها العذري. ولكنه لم يعثر عليها فمرض ومات حزيناً في عام ١٨٩٣. ولما سمعت الأرملة بموته هدها الحزن ورقدت رقدتها الأخيرة ولحقت به بعد أيام وجيزة. كانت «ناجده» هي الوحي الملهم لأعظم مؤلفات «تشايكوفسكي» الموسيقية.

عُمان
تجارتها وأسواقها القديمة
(الحلقة الاولى : قبل الاسلام)

نقولا زيادة



● تعتبر عُمان مركزاً هاماً بالنسبة للطرق التجارية التي تمرّ بها. فالخليج العربي وشطآنه كانت عبر التاريخ تبيع وتشتري، وكذلك شواطئ المحيط الهندي بتفرعاته شرقاً وغرباً وجنوباً. يُضاف الى ذلك ان عُمان نفسها لم يكن يعوزها ما تصدّره في فترات مختلفة من تاريخها، الذي لم يكشف النقاب إلاّ عن القليل منه، وبخاصة التاريخ المتوغل في القدم.

ونحن إذا تعلقنا بأهداب الاسطورة التي تقول بأن حيواناً نصفه الأعلى انسان ونصفه الاسفل سمكة هو الذي حمل المدينة الى جنوب أرض الرافدين، فلا شك في أن هذا الحيوان قد عرّج في طريقه، إما جيئة أو ذهابا، على هذا الساحل العماني إما ليريح أو ليتزود. وعندها يكون لعُمان من الاسطورة الحضارية نصيب، أو يكون للاسطورة من عُمان نصيب.

وحتى لو انتقلنا من عالم الاسطورة الى عالم الفرضيات لكان لنا شيء كثير قد يُكشف عنه النقاب في المستقبل. فهناك من رجال البحث الأثري والتاريخي من يرى ان قيام الحضارة المصرية الفرعونية متأثر بالحضارة التي سبقتها في ارض الرافدين. وان هذا التأثر انتقل بحراً عن طريق الخليج العربي فخليج عُمان فالبحر الاحمر. ولو صح قليل من هذا فلا بدّ ان يكون لعُمان وشاطئها الطويل حظ من هذه التأثيرات الحضارية. ذلك ان الحضارات لا تنتقل على بساط الريح، وانما تسير سيراً وئيداً وتقيّل هنا وتشتو هناك، وقد تكون المدة التي تقيلها أو تشتوها عقوداً او أكثر من ذلك. بل ثمة من يقول بان التأثير السومري في الحضارة المصرية القديمة قد تم في مكان قد يقع على الطريق. وعندها تكون البلاد العمانية هي المرشحة لأن تكون المكان.

ولكن لنترك عالمي الاسطورة والفرضيات، ولننتقل الى عالَم فيه تأكيد لأنه نتيجة عمل دقيق هو اكتشاف الآجرات وحل رموز الكتابات القديمة ودرس محتويات هذه الآجرات. ولنسرع إلى القول بأن هذه الآجرات تعد بالمئات إن لم تكن تتجاوز الألوف في بعض الحالات. ثم هناك أعمال الحفر الأثري التي تمت في السنوات الأخيرة في نقاط كثيرة من شواطئ الخليجين العربي والعماني وبحر العرب.

إلاّ أنني قبل الانتقال إلى عالم العلم والمعرفة، أودّ أن أضع ملاحظتين: الأولى هي انني في بعض الأحيان قد أتخطى في اشارتي إلى عُمان حدود سلطنة عمان الحالية. وسبب ذلك هو أنه عبر عصور التاريخ، والقديم منه بخاصة، لم تكن الحدود معينة ثابتة. لذلك فقد يعثر الواحد في وقت ما بالنسبة إلى وقت آخر. أما الملاحظة الثانية فتتعلق بالأسواق. ذلك أن التجارة الدولية، عندما تتسع على نحو ما كانت في بعض العصور التي سنتحدّث عنها، لا تقتصر أسواق بلد معين على ما يقع في نطاق حدود البلد. إنما تكون الأسواق حيث يمكن لتجارهِ أن يبيعوا وأن يشتروا المتاجر والبضائع للاتجار بها.

ان الحضارات الثلاث التي عرفها العالم القديم هي التي قامت في أرض الرافدين وفي وادي النيل وفي حوض السند. وقد كان بين هذه المناطق تجارات واسعة، اتضح نتيجة للتنقيب الاثري والدراسات الآجرية السومرية والبابلية، انها تلخص فيما يلي (طبعاً هذا فيما يتعلق بموضوعنا).

أولاً – ان بلاد ماغان أو ماكان كانت تصدر النحاس إلى أرض الرافدين. فالمدن هنا كانت لها حاجات صناعية، لكن المعادن كانت مفقودة. وقد حملت من أماكن أخرى، منها ماغان. وماغان هذه هي عُمان! ويبدو أن بعض النحاس العماني قد حمل شرقاً إلى الهند.

ثانياً – ثمة نقش يعود إلى سنة ٢٥٢٠ ق.م. من أيام أور – نانشي ملك لاغاش (في جنوب أرض الرافدين) مسجل فيه أن سفنَ دِلمون حملت إليه خشباً من بلادٍ نائية. والأخشاب كانت تحمل إما من الهند أو من شرق افريقية. وهذه الأخشاب طريقها يمر بعمان.



عامل عماني يعمل في الصناعات التقليدية

ثالثاً – ظهرت آجرات سومرية وبابلية عليها فواتير ومراسلات تجارية فيها ذكر لدلمون وماغان مع ذكر المواد التجارية المنقولة من بعيد. منها، على سبيل المثال، آجرات التاجر الكبير أيا – ناصِر (بين سنتي ١٨١٣ و ١٧٩٠ ق.م.).

وكانت لمصر القديمة تجارات واسعة في مناطق يشار إليها باسم بون اوبونت، ومع أن الباحثين لم يتفقوا بعد على المكان الذي تقع فيه بونت هذه. فان الرأي المرجح الآن هو انها كانت تشمل المنطقة التي تحيط بباب المندب وامتداداته في جنوب الجزيرة العربية وشرق افريقية.

ونلاحظ ان الفينيقيين أصبحوا أصحاب التجارة في البحر الأحمر وخارجه بين تدهور المملكة المصرية من جهة، وقيام الامبراطوريتين الاشورية والكلدانية في أرض الرافدين من جهة اخرى. وهذه الامبراطوريات كانت برية أصلاً، فانصرفت عنايتها إلى الطرق البرية.

لكن مما لا يختلف فيه الباحثون هو أن عدداً كبيراً من التجار وأصحاب المراكب وصنّاع القوارب كانوا من سكان الشواطئ العربية، والجنوبية بشكل خاص. فلما انحسرت التجارة البابلية والمصرية والفينيقية عن المنطقة، أصبحت التجارة في المحيط الهندي الشمالي حكراً على العرب. وقد احتفظوا بمعرفتهم سراً مدة طويلة. ويبدو ان البخور بنوعيه اللبان والمر والطيوب والأفاويه والحجارة الكريمة كانت تنقل على أيديهم.

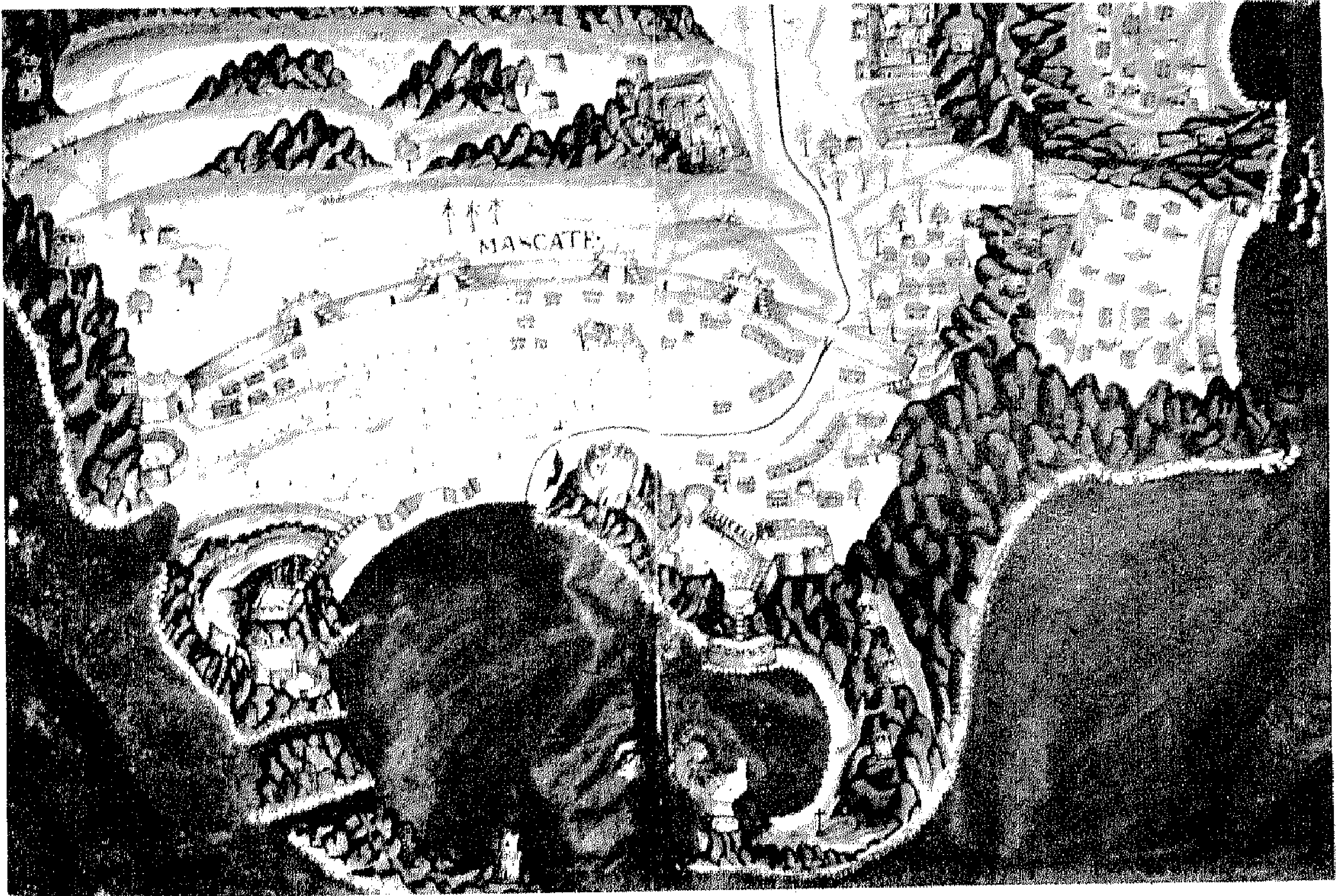
وكانت عدن وقنا وجزيرة سوقطرى الموانئ المعروفة، ولعل صور العمانية كانت أحد المراكز التجارية في ذلك الزمن.

وصف الجغرافيين القدماء

لقد خلف لنا المؤلفون الجغرافيون الكلاسيكيون، أي المؤلفون اليونان والرومان، من هيرودتس إلى سترابو، معلومات كثيرة عن الجزيرة العربية بما في ذلك الخليج العربي وخليج عمان. لكن هذه المعلومات كانت، في أكثرها، مما نقل سماعاً. ومع أن فضل هؤلاء الكتاب على المعرفة الجغرافية بعامة كان كبيراً، فان الامور الدقيقة منها كانت قليلة بالنسبة إلى المنطقة التي نتحدث عنها. صحيح أنهم تحدثوا عن اللبان والمر والطيوب وتجارتها وأمكنة تجمعها. إلا اننا يجب أن نذكر أنهم بالغوا أحياناً، وضموا بعض الأساطير إلى بعضها أحياناً اخرى.

على اننا نجد عند سترابو، الذي نقل عن اراتوسيثنس الاسكندري، إنه إلى الشرق من حضرموت، وعلى بعد خمسة آلاف ستاديون، أي ما يعادل تسعمائة كيلومتر، توجد بلاد القرفة والقصيعة (Kassia). هذه البلاد المشار إليها، إذا قابلها الواحد منا بما ورد فيما بعد عند جغرافيي العرب مثلاً، وجد أنها عُمان. إلا أن تسمية تلك البلاد ببلاد القرفة والقصيعة خطأ بمعنى إنتاج القرفة والقصيعة. لكن إذا فهمنا من ذلك الاتجار بهاتين المادتين صح الأمر. ويذكر سترابو ميناءين في جنوب شرق الجزيرة العربية هما ماكي (Makae) وتيروس (Tyros). ومن المرجح ان المكانين هما رأس الخيمة وصور. فإذا صح ذلك فلعل صور العمانية كانت من مراكز الاتجار بالقرفة والقصيعة وغيرهما من الطيوب والأفاويه. وحري بالذكر ان اللبان الظُفاري، وهو أجود أنواع البخور، كان ينقل من ظُفار شرقاً وغرباً بحراً، كما كان يحمل في طريقين بريين الواحد عبر اليمن إلى الحجاز، والآخر كان يدور بالربع الخالي قليلاً حتى يصل إلى جرها، ولعلها الجرعاء في شرق المملكة العربية السعودية، حيث كان يحمل منها بحراً إلى أرض الرافدين.

على أن معلوماتنا الجغرافية عن الخليج العربي في العصر اليوناني جاءت من نيارخوس، وهو البحري



خريطة مسقط كما رسمها البرتغاليون سنة ١٦٤٢ (المتحف البريطاني).

الذي أرسله الاسكندر من حوض السند إلى جنوب أرض الرافدين ليكتشف الشواطئ المحاذية للمحيط الهندي وخليج عمان والخليج العربي على الجبهة الشرقية. ومع أن الاسكندر أرسل فيما بعد ثلاث بعثات اخرى للتعرف إلى الشواطئ الغربية للخليج العربي وبقية شواطئ الجزيرة إلى مداخل البحر الأحمر، فان أياً من هذه لم تحقق ما طلب منها: فقد وصلت أولاها إلى البحرين والثانية لعلها وصلت إلى ابو ظبي، واما الثالثة فتجاوزت رأس مسندم بعض الشيء. وقد توقفت محاولات الكشوف الجغرافية هذه بوفاة الاسكندر. ومع أن خلفاءه في بلاد الشام وأرض الرافدين، أي السلاقسة، قد اهتموا بتجارة الخليج العربي فان المعلومات الجغرافية لم يعن بها. ولكن من المعروف أنه في القرن الأول قبل الميلاد كان ثمة تجار يونانيون من مصر يعملون بالتجارة في المحيط الهندي الغربي، وأنهم كانوا يتاجرون مع جزيرة سوقطرى ومع مكان يسمونه أسيلا. ويبدو أن أسيلا هذه هي قلهات أو على الأقل كانت تقوم هناك.

في القرن الأول ق.م.، قام هيبالوس. وهو تاجر وملاح يوناني كان يقيم في مصر، بالتأكد من هبوب الرياح الموسمية واتجاهها. فالرجل كان يعرف أخبار البحر الأحمر وبحر العرب والخليجين وشمال المحيط الهندي؛ ثم إنه خبر البلاد وعرفها بسبب تنقله فيها متاجراً. فأراد أن يتأكد من إمكان الاستفادة من هبوب هذه الرياح لدفع السفن عبر المحيط دون الاضطرار إلى السير في محاذاة شاطئ إيران وكرمان وما إلى ذلك. لذلك فانه جازف في إحدى رحلاته. فقد خرج من عدن ولما وصل مقابل رأس فرتك دفع بسفينته عبر بحر العرب مفيداً من الرياح الموسمية الصيفية. فوصلت السفينة رأساً إلى مصب نهر السند.

كان هذا فتحاً هاماً بالنسبة للتجارة البحرية. وكانت السفن آنذاك قد كبر حجمها واستعمل لها الشراع الكبير المربع في كثير من الحالات. ونحسب ان معنى هذا، بالنسبة إلى عمان، ان الموانئ الممتدة على شواطئها صارت نقط انطلاق للسفن، وخاصة الموانئ الواقعة في الطرف الجنوبي الشرقي من البلاد.

إن الباحث في تاريخ التجارة وطرقها ومتاجرها وأماكن تبادل السلع يسعده أن يقع على وثيقة، مهما كان نوعها، توضح له بعض ما كان يدور في مكان ما في وقت من الأوقات. لذلك فالوثيقة المعروفة باسم دليل البحر الإرثيري، حرية باهتمامنا هنا. هذا الكتيب وضعه مؤلف مجهول، لكن من الواضح أنه كان تاجراً عارفاً بأسرار الصناعة. يذكر المؤلف الموانئ الهامة والمراكز البحرية الثانوية والمدن والأسواق الداخلية التي تغذيها ويعدد التجارات التي تقوم في كل من هذه الأسواق.

والمنطقة التي نعني بها الساعة، وهي التي تشرف على خليج عمان وتجاور الخليج العربي وجنوب الجزيرة ذكر فيها صاحب هذا الدليل: البخور بنوعيه اللبان والمر، والذبل وهو غلاف السلاحف، والخمور من التمر والعنب، والكحل والمرمر والمرجان واللؤلؤ والقوارب المخيطة. أما الموانئ التي يعنى بها ويورد أسماءها فهي قنا (حصن الغراب) وموشا (خور ريري) وظفار وسوقطرى وجزر زنوبيا (خوريا موريا) وخور جرمة وخور هجارة (الجوهري؟).

تجارة هذه الموانئ في جملتها كانت تدور حول استيراد القمح والأرز والثياب والأردية والنحاس والقصدير والأخشاب. وكانت تصدر من المنتوجات الخاصة بها اللبان والذهب واللؤلؤ وغيرها من الحجارة الكريمة والذبل البحري. بالاضافة إلى هذه المتاجر. كانت الموانئ المذكورة تصل إليها بضائع الهند الاخرى الكثيرة وأهمها الأخشاب وزيت السيرج والدهن الهندي والماس والسكر والياقوت والأواني الفخارية والأفاويه والطيوب والقرفة. وكانت تتلق العاج وقرن وحيد القرن والرقيق من شرق افريقية.

ويذكر صاحب الدليل أن عمان فيها سفن مخيطة يسميها مدراقاً ويبدو أن هذه الكلمة مأخوذة من «مدرعة». وهو الاسم الذي أطلق على هذه السفن. ويشير إلى التمر الكثير والخمر هناك. ومدينة عمان بالذات –وهنا يستعمل هو التعبير بمعنى المدينة الرئيسية، على نحو ما نجد عند بعض من جاء بعده من الجغرافيين– كانت متجراً كبيراً. إذ كان يأتيها النحاس وعود الند وخشب التيك وخشب الأبنوس وهذه من الهند، واللبان من قنا (للتصدير). وكانت هي بدورها تصدر ما عندها مثل القوارب والسفن والثياب وما يأتيها من خارجها مثل اللؤلؤ والذهب والرقيق. إن نظرةً سريعةً إلى هذه المتاجر ومصادرها تؤكد لنا أن أسواق عمان في تلك الفترة من تاريخها

كانت تنتشر شرقاً وشمالاً وغرباً وجنوباً.

كان اكتشاف هيبالوس لمهاب الريح الموسمية والافادة منها قد تمَّ قبيل وصول الرومان في فتوحهم إلى شرق البحر المتوسط. ونشوء الامبراطورية الرومانية وحدة سياسية تمتد من أطرافها الأوروبية إلى مجاليها الآسيوي والافريقي، كان أمراً هاماً بالنسبة للتطور التجاري في المحيط الهندي. فالمجتمع الروماني – في مدنه وعواصم أقاليمه، وفي بيوت الأثرياء من أهله، وفي معابده وهياكله وفي ملاهيه ومباذله– كان بحاجة إلى الكثير مما تنتجه البلاد العربية وشرق الفريقية والهند. وكانت ثروة الامبراطورية تمكنها من الدفع. فأفادت المدن التي كان يتبادل التجار فيها السلع. وقد دفعت رومة وأمبراطوريتها الكثير من الفضة والذهب ثمناً لما استوردته حتى ضج الكثيرون من ذلك في القرن الأول للميلاد. فقد استوردت الامبراطورية في فترة قصيرة من ذلك القرن بما قيمته اثنان وعشرون مليون دولار ذهباً!

التجارة مع الهند والصين

نحن الآن مقبلون على الفترة التي سيطر فيها الساسانيون على جنوب غرب آسية، والتي كان فيها البيزنطيون يزاحمونهم تجارياً وسياسياً. أي ان هذه الفترة تمتد من سنة ٢٢٥م إلى الانتصار العربي الاسلامي على الدولة الساسانية والقضاء عليها نهائياً في أواسط القرن السابع الميلادي. أما بالنسبة للدولة البيزنطية فالزمن يمتد من العقد الثالث من القرن الرابع إلى الفتح العربي الاسلامي الذي انتزع من البيزنطيين بلاد الشام ومصر. على أنه يترتب علينا، ونحن نعالج التجارة الدولية في تلك الفترة، أن نتذكر أن الصين انتهى حكم اسرة هان فيها سنة ٢٢١م، أي حول الوقت الذي قامت فيه الدولة الساسانية، وجاء في أعقابها «الدول الثلاث»، ثم قيام دولة تسن ودولة سوي بين سنتي ٢٢١ و٦١٨م.

نودّ أن نذكر أنفسنا بأن الصين، والجزء الشمالي منها بشكل خاص، كان قد تعرف إلى المتاجر التي تنتج في جنوب غرب آسية منذ أيام الامبراطورية الفارسية الأولى، واستمرت هذه التجارة حتى في أيام الامبراطورية الرومانية. ومع أن الصين أصابتها نكبات سياسية كبيرة، فان الصين الجنوبية، التي انتقلت إليها رغبات الشماليين الحضارية، كانت في القرن الثالث الميلادي كثيرة الاحتفال بالحصول على هذه الكماليات التي كانت منطقة غرب آسية توفرها لمن يريدها.

وكانت الدولة الساسانية تسيطر على طريق الحرير البري، عندما يكون الاتصال مع الصين، عبر أواسط آسية، ممكناً. إلاّ أن هذا الطريق البري لم يكن متيسراً في القرنين الرابع والخامس، وحتى في بعض القرن السادس للميلاد. ومن هنا فاننا نجد أن الصين كانت، في القرنين الرابع والخامس، تتصل بالغرب عن طريق فونان، عبر شبه جزيرة الملايو، لتتمكن من الحصول على منتوجات غرب آسية. ولكن بعد سنة ٥٠٠ للميلاد كان ثمة اتصال مباشر بين الصين واندونيسيا من جهة والهند والامبراطورية الساسانية من جهة اخرى.

في هذه الفترة كانت جزيرة سرنديب، (سيلان)، أوكما كانت تسمى يومها جزيرة طبروباني، المركز الرئيسي للتجارة بين الشرق والغرب.

وهنا أمر حري بالذكر، وهو أن المصادر الشرقية، والصينية منها بشكل خاص، كانت تنظر إلى المتاجر الآتية من الغرب على أنها متاجر فارسية. وهذا لا يتفق مع الواقع. لكن لأن الدولة المسيطرة، أي الدولة الساسانية، كانت فارسية، فسمي كل ما جاء من الغرب إلى الهند أو سيلان، فارسياً. ولكن الحقيقة هي أن العرب بقي لهم دور كبير في التجارة البحرية. وإلاّ فكيف يمكن أن نفسر قيام أهل عُمان بحملات بحرية بعيد اعتناقهم الاسلام ضد المناطق الشرقية من الخليج لو لم يكونوا قد احتفظوا بتمرسهم بالبحر وما يقتضيه؟ ومن هنا، كما يرى جورج حوراني، فان عُمان، مثل البحرين، كان لها مراسٍ بحرية ومساهمةٌ في تجارة المنطقة كبيرة.

في هذه الفترة، وخاصة في القرن السادس، كانت الصين تحصل، من بلاد الامبراطورية الساسانية، على البخور والطيوب والصموغ والثياب الموشاة الغالية والعنبر واللؤلؤ والحجارة الثمينة. وكان المرجان ينقل من حوض البحر المتوسط. وكانت تورد إلى مناطق تلك الامبراطورية الحرير قماشاً وثياباًواليَشب. كما كانت الهند تصدر إلى الغرب الأخشاب والأفاويه والطيوب. والذي يجب أن يذكر أن اليمن وموانيها لم يكن لها دور كبير. وذلك بسبب الانهيار الاقتصادي الذي أصابها نتيجة للاضطراب في توزيع المياه وخاصة بسبب خراب سد مأرب ●

لبناننا اليوم ... لبنان أبدي

حُب - أصالة - طبيعة - ثقافة - تطوّر
ومسيرة حضارية ماضية إلى الخلود

تعرف إليه من خلال برنامج

مِنْ لُبْنان

اخراج: سيمون أسمر   تقديم: صونيا بَيروتي

كل يوم ثلاثاء الساعة ٧,٣٠ مساء،
ابتداء من أول أيار
على شاشة تلفزيون لبنان،
الاقنية ٥ - ٧ و ١١

ترعاه

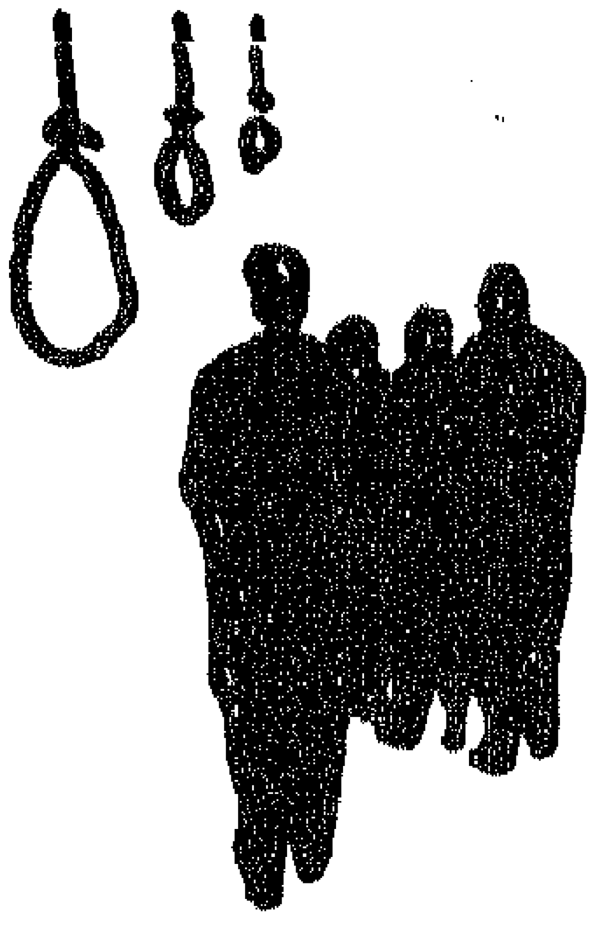
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ش.م.ل.

"من لبنان" برنامج ترفيهي اعلامي بشكل مُباراة بين فريقين تتمثل فيه جميع محافظات لبنان، يحول جميع المشتركين الفوز بجوائز قيمة تزيد على **٢٥** الف ليرة

مواضيع الاسئلة التي ستطرح على المتبارين تتعلق بمقالات معينة عن لبنان ستنشر في جميع الصحف والمجلات التي توزعها الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ش.م.ل.

للراغبين في الاشتراك بحلقات "من لبنان" الاتصال بالسيدة صونيا بيروتي
شركة تلفزيون لبنان القناة ٧ - تلة الخياط - هاتف ٣٠٠٣٦٠ من الساعة ١٠ حتى ٢ ظهر كل يوم

publirizk



شهداء ٦ ايار ابطال الوطنية والعدالة

هذا الموضوع مرشح لبرنامج من لبنان

محمد امين فرشوخ ○

● ان ذكرى شهداء ٦ أيار (مايو) ١٩١٦ نستعيدها كل سنة بما يناسبها من جلال واحترام، مقدّرين في احتفالاتنا بها عِظم الفداء وقداسة الشهادة. ومهما دبّجت الأقلام من مثالب بحق من علّقهم السفاح على مشانق بيروت ودمشق. يبقون رمز السياسة الوطنية، بدعوتهم الى اللامركزية. ورمز القومية العربية بدعوتهم الى الاستقلالية المتحدة في ظل الترك. ورمز التقدير للدين الاسلامي والرابطة المصلحية المشتركة في تناسيهم لأغراضهم الانفصالية بدعوتهم للاشتراك الى جانب السلطة في حربها ضد الحلفاء. متجاهلين الأذى المباشر الذي أصاب الامة وأصابهم من موجة التتريك التي شنّها الاتحاديون ضد العرب كافة.

صفحات من كتاب منسي(١)

«في أواخر سنة ١٩٠٩ دعا بعض ضباط العرب وزعمائهم أصحاب الرأي من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الى اجتماع طويل في الاستانة للبحث في التدابير التي يجب اتخاذها لحسم هذا الخلاف بين العرب والترك حسماً نهائياً. وكاد هذا الاجتماع يُسفر عن نتيجة مرضية لولا دخول بعض غلاة الترك في الأمر ونفورهم بما يمس العرب ويزيد نفورهم منهم ويقضي على آمالهم فيهم...

على انه لما استتب الأمر للاتحاديين ورأوا نفوذهم في البلاد العثمانية عظيماً، أماطوا اللثام عن حقيقة حالهم فأعلنوا خطتهم الجديدة على رؤوس الأشهاد وعدّلوا برنامج جمعيتهم تعديلاً جعلها تركية بحتة. فانفصل عنها حينئذ كل احرار العرب والالبانيين والأرمن وبعض الترك الغيورين على مصلحة وطنهم وجاهروا بمقاومتها بعدما استلم زمامها شبان من غلاة الترك لاخبرة لهم ولا وطنية ولا دين» (ص ٥٥).

كلمات الابطال

اما البداية: بداية حرب الاتحاديين العرب والتي استمرت منذ ١٩١٣ سافرة. حتى وضعت الحرب أوزارها وانتهت بخسارة الترك وانسحابهم من بلادنا الى غير رجعة. تاركين وراءهم -فيما تركوا من خراب ودمار ودموع- انّات اليتامى والأرامل من ذوي الأبطال الذين انتقموا منهم. رغم اعلان هؤلاء. سابقاً. بأنهم سيشتركون في الحرب وتأجيجها الى جانب السلطة. صوناً لمصالحهم المشتركة. وتبرز هذه الأفكار مفصّلة في رسائل منهم الى أصحابهم. وهذه فقرات منها:

«كتب [الشهيد] الضابط الكبير سليم بك الجزائري الى أحد اصدقائه السياسيين في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ ما نصه:

عزيزي...

لقد أخلصنا للاتحاديين فلا مجال للشك في اخلاصهم لنا. نعم إننا الآن في أشدّ المآزق حرجاً.

○ ماجستير آداب.

إن الحال السياسية حرجة جداً أيها العزيز فبقدر ما يسيء الاتحاديون الينا الآن يجب أن نحسن اليهم حرصاً على كيان هذه الدولة المنكودة الحظ». (ص١٢٨).

«وكتب [الشهيد] عبد الحميد الزهراوي الى صديقه السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية وأحد أركان حزب اللامركزية كتاباً سرياً مطولاً في ١٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ كتب في أعلاه «مكتوم كله عن كل أحد» —وقد نشر الكتاب هذا فيما بعد في مجلة المنار كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦— وهذا نص الكتاب :

... الاتحاديون معروفون فمن غيرهم؟ لا يوجد الآن حزب سياسي آخر إلاّ أن يكون خفياً ولم أشمّ شيئاً من هذا... فالاتحاديون هم أولياء الأمر مباشرة وهم اليوم يتسلّحون بعزائم شديدة ماضية وناوون نيّة قاطعة أن يجدّدوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف. ويشتهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدهم فضلاؤهم في هذا السبيل. ويعترفون بخطيئاتهم الماضية ويودّون أن لا يعودوا الى مثلها بقدر الامكان. انا مؤمن بنيّتهم وأقوالهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لي(!؟) ولكنني مرتاب من جهة قابليتهم لتطبيق العمل على النيّة. وعلى كل حال أرى ان عدم تركهم وحدهم خيرٌ من تركهم. ويرجى به أن تقوى قابليتهم. فان شئتم ان تخطئوني بتحسين الظن الى هذه الدرجة. فاني لا اخطئكم بالتخطئة. لأني أجلّ رأيكم أكثر من رأيي. وإنما أرجو ان يكون في خطأي شيء من البركة. أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه «فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً...». (ص١٣٢)

فاما ان نقوم بعمل يهدّد استقلال الدولة العلّية ويؤدي الى عكس الغاية التي نرمي اليها وهي نيل حقوقنا من اخواننا الترك ومشاركتهم في كل ما يؤول الى تقوية الدولة وإسعاد سكانها. أو ان نخلد الى السكينة بعد كل هذه (القرقعة) فيهزأ العالم بنا ويحتقرنا الاتحاديون انفسهم ونصير مثلاً بين الناس...

«وقال [الشهيد] محمد المحمصاني الى بعض أصدقائه الذين نصحوه بالبقاء في مصر بعد إعلان التعبئة العامة في الدولة العثمانية :

إن الوطن في حاجة الى كل فرد من أبنائه في هذا الأوان العصيب. فمن الخيانة أن لا نقوم بالواجب علينا نحوه». (ص١٢٩)

لقد كان العرب. زعماء وسياسيين. صفاً واحداً ضد العدو المشترك. وتظهر أقوالهم ورسائلهم صدق ذلك. يقول المؤلف: (ص١٣٦)

«فهذه الكتب السياسية السريّة ومئات من أمثالها تثبت للملأ عظم أخلاص العرب للاتحاديين قبل اعلان الحرب الاوروبية وبعدها. ولكن هذا الاخلاص العظيم لا يظهر بأتم مظاهره إلاّ بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب. فقد تناسى العرب حينئذ كل خلافهم مع الترك وانضمّوا اليهم قلباً وقالباً دفاعاً عن الوطن المشترك فخاض جنودهم غمار المعارك في العراق والقوقاس والدردنيل والقنال ومات منهم عشرات الألوف في ميادين القتال. واشتركت الأمة العربية مع جميع الشعوب العثمانية في دفع الضرائب والأموال بحيث يمكنني أن أقول استناداً الى احصاء رسمي ان ما دفعه العرب من الضرائب والتبرعات الحربية عن طيبة خاطر كان أضعاف ما ضرب على الأمة التركية وما تبرع به الترك في هذه الحرب».


محمد المحمصاني


شكري العسلي


عبد الكريم الخليل

«ممدّات الاتحاديين لمحو الاسلام وسحق العرب»

هو عنوان الفصل السادس من الكتاب، حيث يفصّل مؤلفه ما فعله الترك بالعرب. رغم ما بدر من زعمائهم ومن سياسييهم من تأييد لهم، لقد حاولوا دائماً القضاء على فكرة القومية العربية أو الجامعة الاسلامية، رافضين كل حق نادوا به. فقد «أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية «ترك أجاغي» –أي طائفة الترك أو العائلة التركية– وجعلوا غايتها محو الاسلام وتتريك العناصر العثمانية ومركزها في الاستانة، ومصاريفها من مخصصات وزارتي الأوقاف والداخلية.. ولها أربعة فروع:

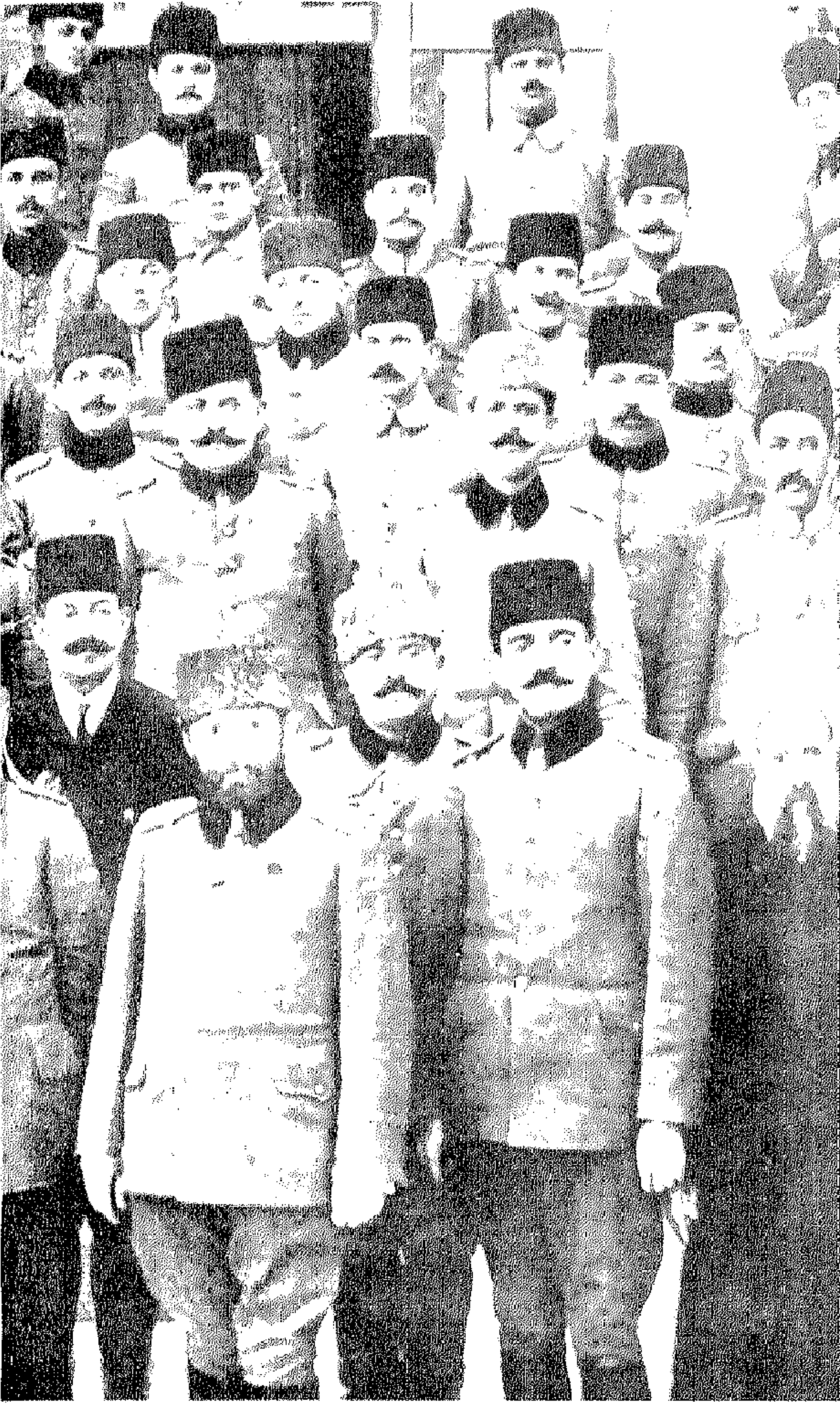
أولا: «ترك يوردي» –أي المملكة التركية– ومهمته العناية بالآداب التركية بطرق شتى أهمها «تطهير» اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مغولية بحتة...

ثانيا: «ترك درنكي» –أي ثبات الترك– ومهمته بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم.

ثالثاً: «ترك بليكشي» –أي العلم التركي– ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس...

رابعاً: «ترك كوجي» –أي القوة التركية– ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الالعاب الرياضية بينهم.

ويشترط للدخول في جمعية «ترك أوجاغي» ان يكون طالب الدخول تركياً وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهّد ببذل حياته ونشاطه وما له لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الأخرى وان يغير اسمه باسم توراني –ومن كان اسمه محمداً أو سليماً أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم تيموراً أو جنكيزاً أو هلاكو أو أوغوز الخ... وقد سعت الجمعية أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة والأدعية الدينية. وعزمت على نزع اسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها بأن وجود هذه الاسماء العربية في الجوامع والأماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك». (ص١٤٠–١٤١).



جمال باشا وأركان حربه.

من اناشيد الترك

في كل صباح. يجمع تلامذة المدرسة الحربية ويستلّون سيوفهم وينشدون نشيدهم التالي:

جانكز خانك بايراغي
آنلي شانلي صانلانـدي
آيت خانك بايراغي
حربدة بوليه أكلاتدي

أي ما معناه: «لقد تتوّجت أعلام جنكيزخان في جو المجد والشرق وارشدتنا اعلام آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب».

«وهذا دعاء قررت الجمعية ان تعتمده في الجوامع وهذه ترجمته: أيها الاله القادر على كل شيء

خوف الترك من العرب

كل هذه «المقدمات» عبّرت عن حقد على العنصر العربي من جهة وأكّدت خوف الترك منهم، من تجمعاتهم ومن مناداتهم بحقوقهم، لذلك غالوا في حملة التتريك. لقد ألّف جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير كتاباً عنوانه «تاريخ المستقبل» جاء فيه: «ان المصلحة تقضي على حكومة الاستانة باكراه السوريين على ترك أوطانهم وان بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الأقطار العربية الى أقطار تركية لان النشء العربي الحديث صار يشعر اليوم بعصبية جنسية وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نحتاط لها من الآن».

وأيضاً قال أحمد شريف بك في جريدة «طنين»: «لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً كأنهم ليسوا تحت حكم الترك. فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال أن يُنسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم. فاذا أهمل هذا الواجب كان كمن يسعى الى حتفه بظلفه لأن العرب ان لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلاً أم آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية على انقاض دولة الترك (ص ١٥٩ - ١٦٠).

تلك هي آراء الاتحاديين بالامة العربية. وهذه هي الغاية التي وضعوها نصب أعينهم. ومنذ ذلك الحين قرّروا حسم المسألة نهائياً بالطريقة التي تناسبهم. وهي بتر الأعضاء التي يخشون أن يتطرق «الفساد» منها ويسيء بالتالي إلى مصالحها.

جمال باشا السفاح:

انتهزت الدولة العثمانية اشتراكها في الحرب العالمية وقررت تنفيذ مخططاتها في البلاد العربية. فأعلنت التعبئة العامة. وجندت شباب العرب وفرضت الضرائب عليهم وقربت زعماءهم بل وعينتهم في أسمى المناصب لتكسب ثقتهم... ظلت على هذه الحال حتى عينت جمال باشا خلفاً للفريق زكي باشا الحلبي في منصب القيادة العامة في سوريا.



انعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذئب أبيض (هو اله من آلهة الترك الاقدمين وكان شعاراً لهم) واشملهم برعاية السلطان الأعظم. وانتِ يا مملكة توران الجميلة المحبوبة أرشدينا الى الطريق المؤدية اليك لأن جدنا أوغوز الكبير ينادينا. أيها الاله القادر على كل شيء أنرْ طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم».

ومن الاناشيد الحماسية في الجيش:

«نحن ترك وانت يا آسيا أمانة بيد الترك فلا تخشي شراً لاننا نفديك بأرواحنا.

انهض أيها الفتى التركي فقد نمت طويلاً واسرع في الحال الى امداد بلاد أجدادك.

نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا الى الامام لأن مسكننا الجبال والبطاح. نحن ترك وآسيا كلها لنا. نحن أتراك كلنا». (ص ١٤٢ - ١٤٣).



صورة تمثل الشهداء الثلاثة عارف الشهابي في الوسط والى يمينه عمر حمد والى يساره عبد الغني العريسي. وهم في زيهم البدوي بعد أن تمكن الأتراك من اعتقالهم بينما كانوا يحاولون الهرب والاختفاء في جبل الدروز والصحارى العربية المجاورة.

«اشتهر جمال باشا من زمن بعيد بتفننه في طريق القتل والاغتيال وجرأته على سفك دماء الأبرياء فهو مدّبر مذابح الأرمن في أطنه بعد الدستور اذ كان والياً عليها. وهو منظم مؤامرات الاتحاديين ومدير فرع الجواسيس والفدائيين في جمعيتهم. وهو الذي قتل مئات الأبرياء في الآستانة عقب اغتيال محمود شوكت باشا. لا لجرم ثبت عليهم بل لأنهم لم يكونوا من أنصار جمعية السفاحين. وقد اختارته الجمعية لقيادة الجيوش العثمانية المرابطة في سوريا لأنها رأت فيه أقدر رجل على تنفيذ الخطة التي قررت اتباعها في البلاد العربية».

وكان أول ما عمله جمال باشا حين وصوله إلى سوريا هو ابعاد الضباط إلى حدود الأناضول وتكليف بعض الزعماء والسياسيين بأعمال ملكية وعسكرية في أطراف الدولة. وقد ساعده في ذلك عبد الكريم قاسم الخليل بعد أن أظهر له ثقته. وأيضاً أقفل مدرسة «صف الضباط» في دمشق والتي كانت تضم أكثر من خمسمائة ضابط من خيرة شبان العرب.

أعمال المجلس العرفي:

عند ذلك قلب جمال باشا للعرب ظهر المجن فنصب المشانق وفتح أبواب السجون وطُرق المنافي وكان أول من شنق صديقه الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل. فدلّ بذلك على ما يحمر في قلبه من ضغينة وما يخبئه من غدر. وقد جعل جهازه القضائي – المجلس العرفي – ينفذ ارادته بناء على أمرين: «أولها الانتساب إلى احدى الجمعيات العربية... وثانيها رسائل سياسية اختلق الاتحاديون بعضها وعزوا البعض الآخر إلى زعماء الأحزاب العربية. أما الرسائل التي اختلقوها فلم ينشروا صورها بالزنكوغراف كما فعلوا بالرسائل الأخرى لأنها مكتوبة بخط يدهم وبلغة تركية أكثر منها عربية. وأما الرسائل التي عزوها إلى بعض زعماء الأحزاب فينتهي تاريخها إلى ما قبل اعلان الحرب الأوروبية بأعوام» (ص ١٦٤).

بيان جمال باشا في تبرير جرائمه:

نشر هذا البيان بامضاء جمال باشا في صحف سورية في ٥ رجب ١٣٣٤ – ٧ أيار (مايو) ١٩١٦. «لما جرى القصاص على بعض الأشخاص المنتسبين إلى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تمويه «حزب اللامركزية» والذين حوكموا في

ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل آب (أغسطس) ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق أعوانهم الأشرار الذين لم يكن قد قبض عليهم قبلاً.

إن الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المفيد الذي قبض عليه أخيراً بعد أن ذكرنا في البيان خبر فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نوّر المسألة من جميع أطرافها»...

أسماء الشهداء:

ويتابع البيان:

«فحكم علي شفيق بن أحمد مؤيد العظم والأمير عمر بن الأمير عبد القادر. وعمر بن مصطفى حمد. ورفيق بن موسى رزق سلوم. ومحمد بن حسين الشنطي. وشكري بن بدري علي العسلي. وعبد الغني بن محمد العريسي. وعارف بن محمد الشهابي. وتوفيق بن أحمد البساط وسيف الدين بن أحمد أبي النصر الخطيب. والشيخ أحمد بن حسين طباره وعبد الوهاب بن أحمد الانكليزي. وسعيد بن فاضل عقل. وبترو باولي وجرجي بن موسى الحداد. وسليم بن محمد سعيد الجزائري. وعلي بن محمد حاجي عمر. ورشدي بن أحمد الشمعة. وأمين لطفي بن محمد حافظ. وجلال بن سليم البخاري بالاعدام لثبوت اشتراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الأولى وبصورة فعلية». (ص ١٦٥).

ويذكر البيان أيضاً أسماء من حكم عليهم بالسجن وبالنفي «لدخولهم بالدسيسة بصورة فرعية».

ويذكر مؤلف الكتاب في رده التهم التي ساقها جمال باشا كلاماً «لزعيم عربي كبير» يكفي لتفنيدها. فيقول بعد مقدمة مستفيضة في ذم عمل السفاح: «لو صح أن نية الاستقلال أو مطلق رغبة فيه تستوجب عقوبة القتل لأبيدت كل الشعوب التي فقدت استقلالها وهي ترغب فيه... والحقيقة أن نقمة الاتحاديين التي حلّت بأهل سوريا اليوم ترجع أسبابها إلى أمرين: الأول أنه منذ أعلن الدستور الصوري أرادوا أن يجعلوا وسيلة لاستئثارهم بأمور السلطنة فقامت في وجوههم الجمعيات والأحزاب. فطاردوها أشد مطاردة وشرّدوا زعماءها في أطراف البلاد وقتلوا بعضهم شر قتلة. والثاني تصميمهم على أن «يتركوا» العناصر ولو بالقوة وأن يمحوا من البلاد كل صبغة غير تركية. ولما شعرت الأمة العربية بما في ذلك من الخطر على كيانها وجنسيتها ولغتها وهي أمة ذات مدنية وتاريخ لا تسمح بأن تصبح وإياهما أثراً بعد عين باندماجها بعنصر آخر. هب علماؤها وأدباؤها وذوو الرأي فيها إلى مقاومة هذه الفكرة الاتحادية بالطرق القانونية والوسائل الدستورية فألفوا الجمعيات والأحزاب كجمعية الاصلاح البيروتية وحزب اللامركزية وجمعية شبان العرب بالآستانة وكلها ترمي بمبادئها إلى غرض واحد وان اختلفت في التفاصيل وهو الحصول على نوع من الاستقلال الاداري» (ص ١٦٩)...

على طريق الخلود:

ويتابع مؤلف الكتاب بعد ذلك وصف حالة البلاد في تلك السنوات. فالمصائب لم تكن فرادى. وكلها تشهد لشراسة الاتحاديين وتحكي عن سفكهم الدماء وتدميرهم البلاد واشاعتهم الموت والمجاعة معاً.

ثم يعمد المؤلف إلى وصف حالة الشهداء قبيل الشنق. وكيف أمضوا ساعاتهم الأخيرة بانتظار الموت. ويفصّل حكايات خاصة بابنة الشهيد رشدي بك الشمعة المريضة التي أبعدت عن أبيها عند توديعه. وعن الشهيد عبد الوهاب الانكليزي وآخر «حوار» له مع صديق شاهده وهو في قطاره من بلودان إلى بيروت... ثم يحكي عن رباطة جأشهم حين اقترابهم من أعواد المشانق وما قالوه...

انها حكايات انسانية وأقوال خالدة لشهدائنا الأبرار الذين قضوا في سبيل بلادنا. وكانوا الشعلة الأولى لانارة الطريق أمام شبابنا في ذاك اليوم. وفي كل يوم – في هذا الوطن – ليعتبروا: أن الحق لن ينال إلا بالاقدام والوطن لن يستقل ولن يخلّص لأبنائه إلا بالشهادة. والحرية لن يحلو طعمها إلا ممزوجة بالدم. دم الأبطال الذين هم هم في كل حكاية تاريخ. وفي كل حكاية أمة استقلت. يبقون النور الخالد المستلهم... وإلى الأبد. ●

(١) المرجع: كتاب ثورة العرب مطبعة المقطم. مصر. ١٩١٦ بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية (؟).

● عندما امر والد الشاه المخلوع ، الجنرال رضا خان بهلوي ، في العام ١٩٣١ بالبدء في التنقيب عن آثار مدينة « بيرسيبوليس » ، كان في نيته تذكير العالم بحضارة نشأت منذ أكثر من ٧٠٠٠ سنة . وبذلك كان يحاول اقناع نفسه قبل اقناع شعبه والعالم ان ذريته ستكون أفضل خلف لأعرق سلف .

وهكذا عهد الشاه رضا خان والد الشاه محمد رضا بهلوي الى « معهد شيكاغو الشرقي » بمهمة بعث انقاض هذه المدينة التاريخية التي كانت تعرف قديما باسم « بارسا » ، ومنها اشتق اسم ايران السابق : فارس .

احتفالات بيرسيبوليس :

في ايلول ١٩٤١ استبدلت الدول الغربية الكبرى يومها « بالجنرال – الشاه » ابنه محمد رضا بهلوي الذي يبدو انه اخذ على عاتقه مهمة إكمال مسيرة والده في نبش الماضي . فانتظر بفارغ الصبر الذكرى الـ ٢٥٠٠ لتأسيس الامبراطورية الفارسية على يد سيروس الكبير ليعلن في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ البدء باحتفالات امبراطورية لم يعرف التاريخ الحديث مثيلاً لها ، ان من حيث البذخ الذي تميزت به أم من حيث الضجة الاعلامية التي رافقتها في الداخل اكثر منها في الخارج . والمهم في الامر يومها ان اطلال بيرسيبوليس هي التي اختيرت للمناسبة .

وتدفق الضيوف أفواجاً أفواجا الى بيرسيبوليس تلبية لدعوة الشاه وقرينته ونصبت في وسط الآثار التاريخية الصامتة خيمة ذهبية حيث استقبل صاحب الدار اكثر من خمسين رئيس دولة أجنبية .

في هذا « اليوم الكبير » –كما سمي– كان الغائب الأكبر هو الايرانيون والتاريخ الصحيح لحضارتهم العريقة .

كان تاريخ الحضارة الفارسية والامبراطوريات التي تعاقبت في ايران منذ عهد الا خمينيين وحتى انهيار آخر امبراطور في أوائل شباط (فبراير) ١٩٧٩ ، هو تاريخ الشعوب التي ظلت منذ أكثر من ٧٠٠٠ سنة تبني أمجادها بصمت وتكتب تراثها على الصخر لتخليده .

واليوم عندما نعيد قراءة تاريخ ايران الفارسية ودراسة بقايا الآثار الضخمة المتناثرة في طول البلاد وعرضها نكتشف ان الماضي الصامت هو فعلاً على صلة



ماذا تهمس اطلال بيرسيبوليس لزائرها ؟
ما هي العبرة التي تبرز من تاريخ الحضارة
لماذا الغيت كلمة « فارس » في العام ١٩٣٥
ثم لماذا أعيد استعمال التعبيرين معاً منذ العا
هذه هي الأسئلة التي تفرض نفسها فرضاً

عضوية بالحاضر، كما أن الحاضر المتفجر يختزن خلاصة آلاف السنين من العمل والصبر والآلام والقهر.

قبل الفتح الاسلامي :

قبل الفتح العربي الاسلامي لبلاد الفرس كانت هذه الهضبة الصحراوية المحاطة بالجبال والتي تطل على بحر قزوين في الشمال وسهول الأندوس في الشرق وبلاد ما بين النهرين في الغرب، تجمع في أحضانها شعوباً وحضارات مختلفة.

واشتهرت خلال هذه الحقبة المديدة من الزمن مدينتان تارخيتان هما: سوسة وبيرسيبوليس.

كانت الآثار الأولى للامبراطورية الفارسية عبارة عن أدوات حربية بدائية ورسوم تمجد الحرب والمحاربين. وكان السر في عظمة حضارة الفرس وتواصلها بلا انقطاع رغم تعاقب العهود والغزوات، انها اضطرت، لحسن الحظ، للتفاعل مع حضارات الشعوب التي أخضعوها وللتكيف مع حضارات الغزاة الذين إحتلوها لفترات من الزمن: فمن عهد الاخمينيين الى عهد الساسانيين مروراً بالسليوقيين والارساديين (أو البارتيين) كان سكان بلاد فارس يعملون في جهد لكسر أي محاولة لعزلهم او لفرض تقوقعهم. فأخذوا من الكلدانيين والبابليين تنظيمهم السياسي والاداري، ومن الآشوريين تدريبهم العسكري الصارم واستوحوا فن النحت والنقوش من البابليين والاشوريين أيضاً، كما أنهم استعانوا بلا أي تردد بعلماء من بابل ومصر وايونية (اليونان).

من هنا فلا عجب ان تبقى آثارهم العظيمة خالدة على مر العصور:

فمركز سوسة (وهي اليوم محطة للسكة الحديد بين طهران ومرفأ خورمشاد على شط العرب)، شكّل في إحدى حقبات التاريخ الفارسي القديم ملتقى التجارة والفن والعلوم.

صحيح أنه لم يتبق شيء يذكر من آثارها في الوقت الحاضر، على رغم جهود علماء الآثار للتنقيب عنها، إلاّ أنه يمكننا تصور عظمتها وفخامتها، وخصوصاً قصرها الامبراطوري الذي أمر ببنائه داريوس الكبير، من خلال النقوش العديدة التي حفرت على جدرانه ومنها ما جاء على لسان داريوس:



ترجمة فكتور سحاب

الفارسية منذ أكثر من ٧٠٠٠ سنة؟
واستبدلت بها كلمة «إيران»؟
١٩٤٩؟
إيذاة بزوغ أول جمهورية إيرانية في التاريخ.



جانب من مدخل الأبادانا في برسيبوليس.

«... هذا هو القصر الذي أمرت ببنائه في سوسة: استقدمت زخرفته من أماكن بعيدة. وحفرت الارض حتى بلغت أعمق أعماقها. ثم طمرت الحفرة بالحجارة، وفوق هذه الحجارة بني القصر. ان أهل بابل هم الذين حفروا الارض وطمروها بالحجارة وجبلوها بالآجر. وجيء بخشب الارز من الجبل المسمى لبنان، نقله البابليون من بابل الى سوسة. وجلب الذهب من سارداس، والازورد والعقيق من خوارزم، والفضة والنحاس من مصر، وزخارف الجدران من أيونية، والعاج من الحبشة والهند، والاعمدة الحجرية من عيلام...

«جاء النحاتون الذين صقلوا الحجارة من أيونية وسارداس، والصاغة الذين صهروا الذهب من ميدية ومصر. والبابليون هم الذين جبلوا الآجر والميديون والمصريون هم الذين زيّنوا الجدران...

«هنا في سوسة قام العمل الفخم ونفّذ في شكل رائع... فليحمني أهورا– مزدا» (هو الأله الواحد عند الفرس أيام المصلح الديني زرادشت).

أما مدينة بريسبوليس فهي أهم الآثار الفارسية على الاطلاق والتي تدل أطلالها حتى يومنا على عظمتها وروعتها. ولا عجب في ذلك، إذ إن بناءها، كما كان الأمر بالنسبة الى سوسة، تم على أيدي عمال ومهنيين وفنيين من شعوب كثيرة، بفضل توجيهات داريوس



اطلال سوسة من الطائرة

الكبير، قائد جيش «قوروش» مؤسس فارس والذي خلفه داريوس بعد وفاته.

كانت بيرسيبوليس إحدى عواصم الامبراطورية الفارسية الشاسعة في عهد الاخمينيين. أمر داريوس ببنائها في أواخر القرن السادس ق.م. ثم وسعها ابنه «كسيركسيس» واكمل المهمة حفيده «ارتاكسيركسيس الاول».

واحتل قصر داريوس فيها، كما في سوسة، مكاناً كبيراً تتوسطه قاعة «الابادانا»، وهي قاعة العرش التي كانت توجد عادة في قصور أباطرة الفرس الاخمينيين.

ويعود الفضل في بعث أمجاد هذه المدينة الاسطورية الى العديد من الرحالة الاوروبيين الذين لفتوا بالحاح انظار علماء الآثار اليها. نذكر منهم خصوصاً:

– في القرن الخامس عشر: الرحالة الايطالي جيوزوفات بربارو.

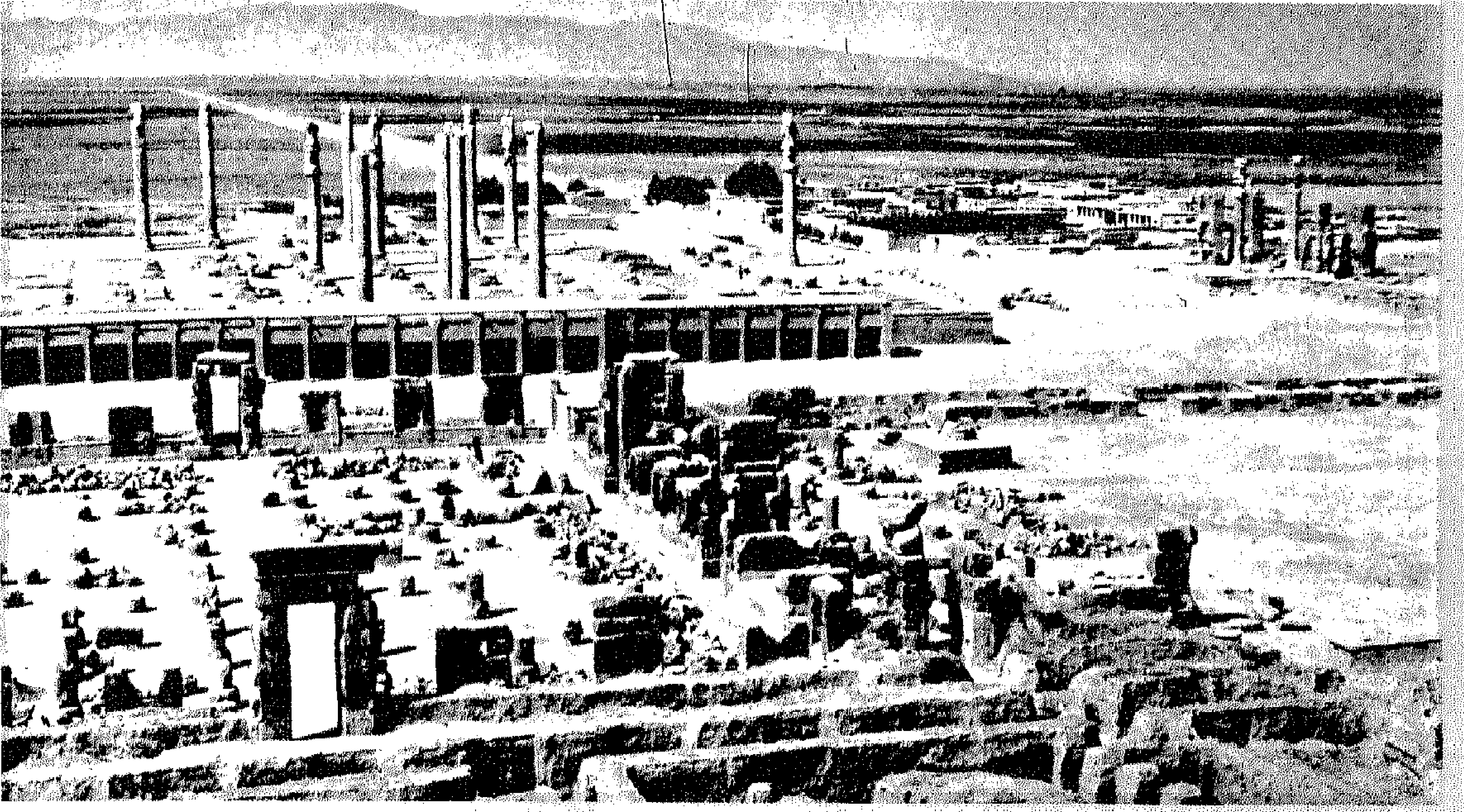
– في أوائل القرن السابع عشر: الرحالة الايطالي بييترو ديلافالي.

– وفي أواسط القرن السابع عشر: الرحالة الفرنسي شوفالييه شاردان.

– وفي العام ١٩٣١ بدأت بعثة «معهد شيكاغو الشرقي» بالتنقيب عن كنوز بيرسيبوليس الحضارية والاثرية. وربما اطول ما اكتشفت: سر عظمة داريوس وديمومة حكمه.

السر الكبير:

ماذا كان سر عظمة داريوس؟



برسيبوليس بعد احيائها

اكتشف علماء الآثار على مداخل قاعة الابادانا نقوشاً متناسقة الحجم ومتشابهة تماماً. فأخضعوا يزيلون ليلاً ونهاراً ترسبات السنين المديدة عنها وأعادوا النقوش على جدران المدخل الى أحسن وضع ممكن. فظهر السر الكبير الذي ظنّوه مفتاح الحل: فالرسوم تمثل فرقة «الخالدين» التي أنشأها داريوس الى جانب الحرس الملكي الخاص به.

كان هذا الاكتشاف مدخلاً لاعادة قراءة تاريخ داريوس وحكمه ونظامه. فلاحظوا فيما لاحظوه، من بين ركام الكتب والأوراق المبعثرة، ان داريوس لم يكن يثق بادارته ولا حتى بجيشه. لذلك لم يكتف بفرقة «الخالدين» وبحرسه الامبراطوري الخاص. بل عيّن موظفاً خفيّاً في كل إدارة ومكتب وفي كل وحدة عسكرية، وسمّى هذا الموظف ما معناه بالفارسية: «عيون وآذان الامبراطور».

وفي غمرة الفرحة الكبرى بهذا الاكتشاف، أهملت متابعة قراءة التاريخ الفارسي القديم وما حل بالملكية الاخمينية على يد الاسكندر الكبير، ولم تتابع قصة صعود وانهيار فارس السلوقية والارسادية والساسانية. والأهم من كل ذلك ان المنقبين مروا مرور الكرام بمغزى الفتح العربي — الاسلامي لبلاد فارس (٦٣٨م.) فمنذ ذلك العهد، ومروراً بالعهود التركية والمغولية والصفوية، كان التاريخ الجديد لايران الفارسية يختمر في أعماق الشعب. ●

المراجع الأساسية:

● «قصة الحضارة». تأليف دوران. الجزء الأول من طبعة لوزان الفرنسية. ١٩٦٢.
● كتاب «البحث عن العوالم المفقودة». تأليف هنري بول ايدو. طبعة ١٩٧١ الانكليزية المترجمة عن الفرنسية.
● عدد مجلة «أطلس» الشهرية الفرنسية. تشرين الأول ١٩٧١.

نشأة المكتبات في العصر الأموي

لطف الله قاري

● عندما يؤرخ المرء لشعب أمي خرج من جزيرته بعد أن جاءته رسالة أيقظته من سباته ودفعت فيه روح العزة والسمو الأخلاقي ومحبة العلم.. عندما يتحدث المؤرخ عن ان ذلك الشعب الذي كان أمياً صار يقود دولة تتحدث عن العلم وتقيم المكتبات وتشجع على الترجمة من لغات أخرى.. عندما نروي ذلك فإننا حتماً نروي قصة طريفة نتعرض اليوم لأحد جوانبها، وهي قصة نشأة المكتبات في العالم الاسلامي.

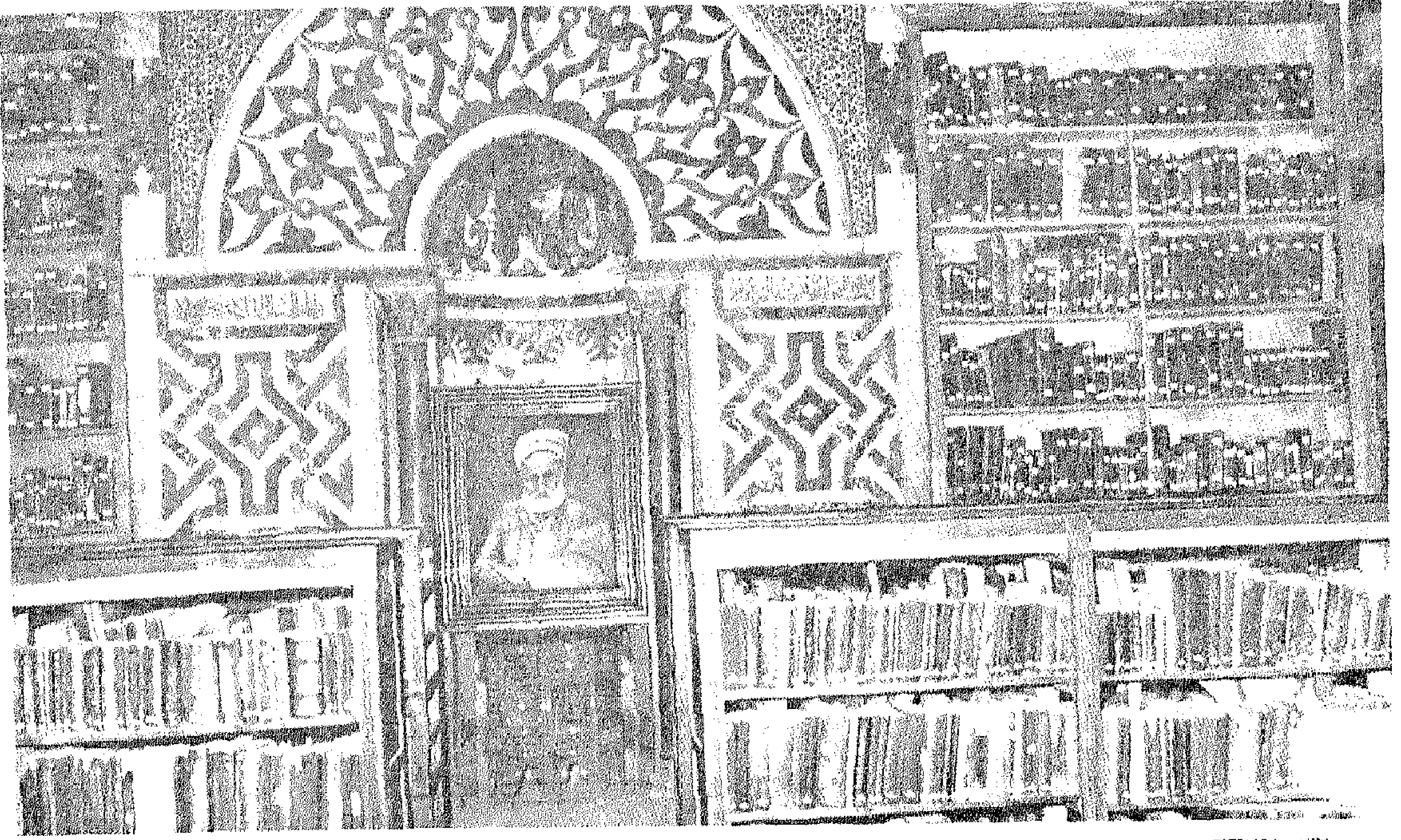
وتبدأ قصتنا بالفتوح الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، تلك الفتوح التي شملت معظم بقاع العالم القديم ونشأت بها دولة اسلامية مترامية الأطراف قام الأمويون بعد ذلك باستلام زمامها بعد فتنة معروفة. وأنشأ الأمويون دولة عاصمتها دمشق، وأحدثوا تغييرات كبيرة في نظام الحكم الاسلامي أهمها توارث للملك والتحكم المركزي في الأموال وانفاق الكثير منها على ملذات الطبقة الحاكمة ومتعها الحسية والفكرية.

هذا التيار السائد في الأوساط الحاكمة كان يقابله تيار آخر عند الشعب الذي لم يزل متأثراً بالتعاليم الاسلامية التي منها طلب العلم ومجالسة العلماء. وكان العلم يقصد به التفقه في الدين، وتفرع من ذلك علم اللغة وعلم التاريخ. فكانت المساجد تعج بمجالس العلم (حسب اصطلاح ذلك العصر الذي أوضحناه: دين، لغة، تاريخ) حيث كان التعليم في أغلبه شفوياً، وذلك لندرة الورق في ذلك العصر. وهذا العامل هو الذي جعل نتائج الحركة العلمية في العصر الأموي (من آثار كتابية) أقل من طموحات العلماء، فكان أكثر ما يتركه العالم في ذلك الزمن هو تلاميذ أخذوا عنه علمه مشافهة، وهذا ما يجعلنا نبدأ حديثنا عن نشأة المكتبات لدى الطبقة الحاكمة الغنية. فهي التي بدأت بانشاء المكتبات الخاصة ثم تعدى ذلك إلى القادرين من الشعب.

مكتبة معاوية:

كان معاوية بن أبي سفيان من المغرمين بالاطلاع على سير الملوك قبله من قبيل التسلية وكسب الخبرة. قال المسعودي متحدثاً عن برنامجه اليومي كل ليلة: «ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكائد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات»[1]. وقد استقدم معاوية عبيد بن شرية الجرهمي ليسمع منه أخبار الملوك والأمم السابقة وأمر نفراً من غلمانه أن يدونوا كلامه[2] فدونت تلك الروايات في كتاب طبع بالهند في عصرنا[3].

وهؤلاء الذين كانوا ينسخون للحكام كان منهم على ما يبدو نوابغ. فقد تحدث الخوري يوسف أبو صعب عن أنه كان يملك مخطوطا في النحو ألفه محمد بن عبد الله بن حنبل أحد كتاب يزيد ابن معاوية سنة ٨٦ هـ، وقد باعه ضمن مخطوطات



محراب القبة الظاهرية. وتبدو صورة الشيخ طاهر الجزائري أبرز مؤسسي دار الكتب الوطنية الظاهرية. وجانب من خزائن المخطوطات، في دمشق.

أخرى لجامعة اكسفورد[٤].

ومن الكتاب الآخرين في هذا العصر نجد خالد ابن أبي الهياج الذي كان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك[٥] وشعيب بن حمزة كاتب هشام بن عبد الملك. وقد كتب شعيب هذا كتبا عديدة من إملاء الفقيه المحدث ابن شهاب الزهري حفظت بمكتبة القصر[٦]. فلما مات هشام آلت تلك الكتب مع غيرها إلى الوليد بن يزيد الذي أكثر الفسق والفجور في سيرته حتى ثار عليه ابن عمه يزيد ابن الوليد وقتله. قال معمر بن راشد تلميذ الزهري: «كنا نظن أنا قد أكثرنا عن الزهري، حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه» يقصد من علم الزهري[٧].

وفي آخر عهد الأمويين حين ارتفع شأن الثقافة وزادت معارف الكتاب نجد كتاباً يترجمون كتب الفلسفة مثل أبي العلاء، سالم بن عبد الله كاتب هشام ابن عبد الملك الذي ترجم كتاباً لارسطو[٥]. كما نجد ادباء بارعين مثل عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد[٥].

وما سبق يعطينا فكرة عن محتويات مكتبة القصر. فهناك فقه الزهري وفلسفة أرسطو وحكايات عبيد بن شرية ونحو ابن حنبل. وهناك أيضاً كتب طب. فقد روي ان عمر بن عبد العزيز وجد في مكتبة القصر حين تولى الخلافة كتاب الطبيب السرياني أهرن، وقد ترجمه الطبيب اليهودي المستعرب ماسرجويه فاستخار الله في إخراجه إلى الناس أربعين يوماً نشره بعدها بين الناس[٨]. وهذه الحادثة قد تدلنا على ان عمر بن العزيز كان من ضمن إصلاحاته العظيمة انه نشر الكتب التي كان الخلفاء قبله يضنون بها على الناس.

مكتبات العلماء:

هذا ما كان من شأن المكتبات الخاصة عند الخلفاء الأمويين. أما عند العلماء فقد بدأت المكتبات عند أبناء الموسرين منهم مثل خالد بن يزيد بن معاوية الذي شغف بالعلوم التجريبية، وخاصة الكيمياء والطب والفلك بالإضافة إلى شغفه بالأدب[٩] ولذلك سعى إلى تعلم العلوم وأحضر مدرسين ومترجمين وكون لنفسه مكتبة، وكان يقول عن نفسه: «عنيت بجمع الكتب لما انا من العلماء ولا من الجهال»[١٠].

ومن أبناء الموسرين أيضاً الفقيه العالم عروة

ابن الزبير بن العوام. قال هشام ابنه: «احرق أبي يوم الحرق كتب فقه كانت له، فكان يقول بعد ذلك: «لأن تكون عندي أحب إليّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي»[١١].

وتنتقل بنا المعلومات إلى علماء آخرين كانت لهم مكتبات خاصة صغيرة، فان شهاب الزهري الذي مر ذكره كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فينشغل بها عن كل أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: «والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر»[١٢].

ومن أولئك العلماء أيضاً اللغوي الفقيه أبو عمرو بن العلاء. كان قد نسخ من كلام الأعراب في رقاع قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف ثم تنسك فأحرقها كلها، فلما عاد عن دروشته الدينية إلى عظم اللغة لم يكن له إلا ما حفظه بقلبه، وكانت معظم أخباره عن عرب أدركوا الجاهلية[١٣] ولعل المقصود بالأخبار هو السير الأدبية وما يتصل بالأدب.

وكان الحسن البصري الفقيه والزعيم الاجتماعي البارز في عصره يقول: «ان لنا كتباً نتعاهدها» أي يتفقدها وكتبه هذه في الحديث[١٤]. وكان مجاهد بن جبر المفسر يصعد بتلميذه أبي يحيي الكناس إلى غرفته فيخرج إليه كتبه فينسخ منها[١٥]. وكانت كتب عبد الله بن عباس حبر الأمة وشيخ المفسرين ترك حمل بعير منها عند موسى بن عقبة المحدث المؤرخ، فكان علي بن عبد الله بن العباس يستعير كتب والده من موسى ويردها[١٦].

المكتبات العامة:

رأينا مما سلف أن بعض العلماء قد اقتنى كتباً بسيطة وان معظم هؤلاء كان ينسخ كتبه بنفسه، فينسخ عن شيوخه في الدين والتاريخ وعن الأعراب في اللغة والأدب.

أي ان حال العرب في ذلك الوقت كان حال أمة ناهضة تخطو خطواتها الأولى في سبيل التقدم، بل تحبو على أربع لما تزل حتى انتشر الورق وعم في الدولة الاسلامية فيما بعد على أيام العباسيين. ولذلك نرى أن المكتبات العامة في هذا العصر كان شأنها ضئيلاً للغاية، فإما مكتبات خاصة للموسرين والذين ينسخون بأنفسهم والا فتعلم للقراءة والكتابة يعقبه تعليم شفوي في الغالب.

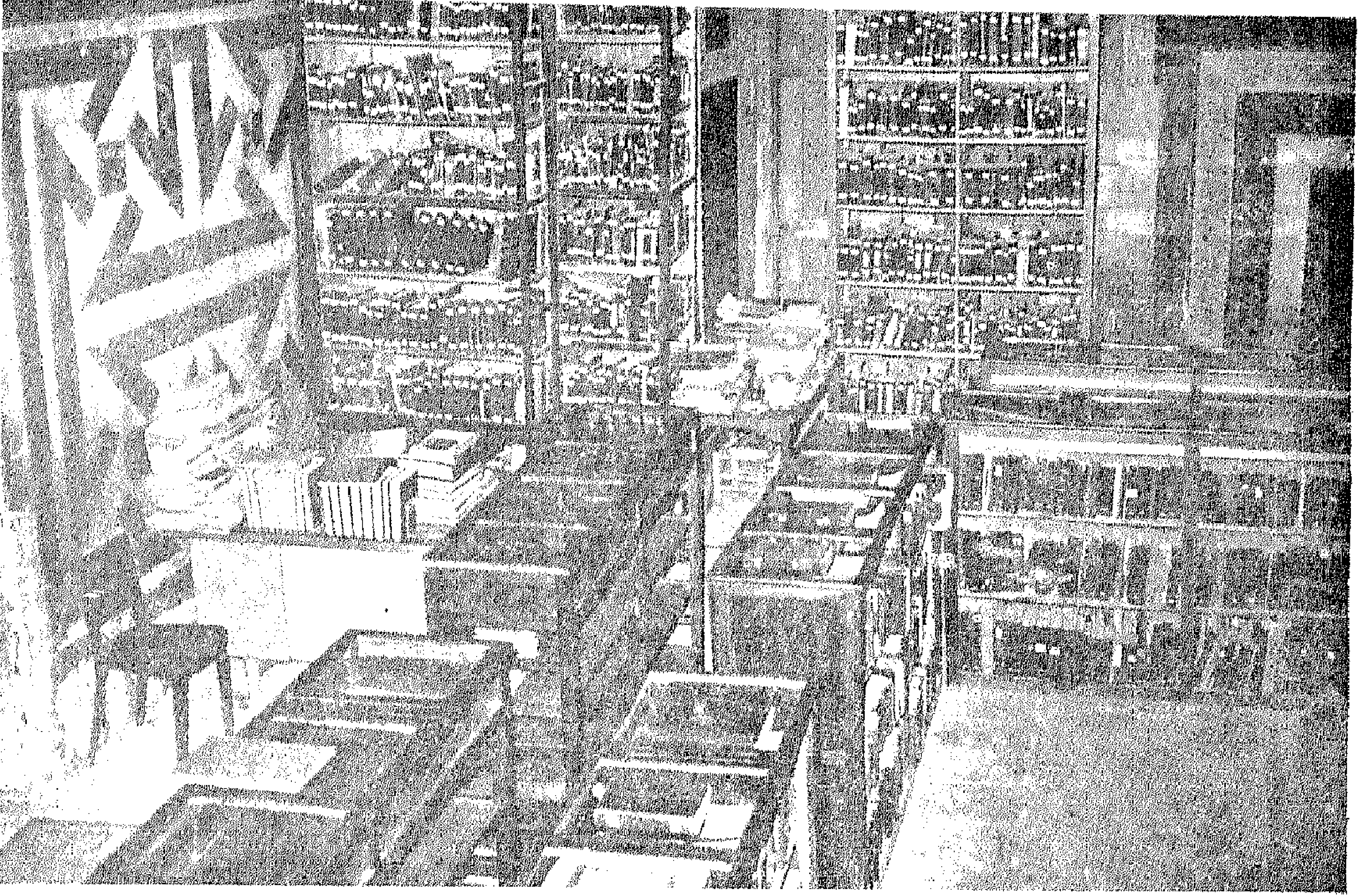
على ان ابا الفرج الاصفهاني يروى لنا أن عبد الحكم بن عمرو الجمحي اتخذ بيتاً بمكة وضع فيه شطرنجات ونردات وقرقات (من أنواع اللعب كالدومينو والزهر) ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفتراً فقرأه، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم[١٥] أي ان بعض الكتب وضعت ضمن ناد يجمع معارف الجمحي هذا وأصدقاءه.

ولكن الأمم الأخرى التي كانت تعيش في الدولة الاسلامية كانت لديها مكتبات تحتوي على الكتب التي بقيت من أيام نهضتها، فالسريان وبقايا فلاسفة العهد الاسكندري وعلمائه كانوا في العصر الأموي في دور خمول وجمود. ولكن مكتبة الاسكندرية كان لا يزال فيها قليل من الكتب والمدرسة لم تزل قائمة حتى عهد عمر بن عبد العزيز الذي انتقلت المدرسة في عهده إلى انطاكية وتفرق العلماء في البلاد[١٦]. ولم يذكر المسعودي راوي القصة سبب انتقال التعليم من الاسكندرية أو دور الخليفة عمر في ذلك. ولكن المستشرق ميرهوف علل ذلك باحتمال أن يكون السبب هو قرب انطاكية من الروم حيث مصدر المخطوطات[١٧].

وأضيف إلى ما قاله ميرهوف ان القرب من الروم له ميزة أخرى هي القرب من الرعاية المادية التي تأتي من الكنيسة والامبراطور في القسطنطينية.

وكانت مدرسة جنديشابور بفارس قائمة في هذا العصر ولكن لم ترد أية إشارة في أي مصدر موثوق به عن أي دور لها أو تفاعل بينها وبين المجتمع الذي حولها، فكل المصادر التي تتحدث عنها تبدأ حديثها من عهد المنصور العباسي.

وبالإضافة إلى المدارس هذه كانت الأديرة لا تزال عامرة بالكتب. روى المحدث مالك بن دينار عن نفسه قائلاً: «كنت مولعاً بالكتب انظر فيها، فدخلت ديراً من الديارات لبالي الحجاج فأخرجوا كتاباً من كتبهم فنظرت فيه فإذا فيه: (يا ابن آدم، لم تطلب علم ما لم تعلم وأنت لا تعمل بما تعلم)»[١٨]. ومن هذه القصة نرى أحد احتمالين: إما ان كتبا عربية كانت توضع في الأديرة. أو ان مالكاً كان يعرف لغات أخرى..



جانب آخر من خزائن المخطوطات في القبة الظاهرية في دمشق.

وأنا أرجح الرأي الأول لأن الحوار بين النصارى والمسلمين كان نشطاً في ذلك العصر. فقد أفتى القس يعقوب الرهاوي علامة عصره النصارى بأنه يحل لهم تعليم المسلمين الفلسفة. وألف القديس يوحنا الدمشقي رسالة هي عبارة عن حوار جدلي بين مسلم ومسيحي[١٩]. ولذلك فإننا لا نستغرب وجود كتب عربية في الأديرة.

وبمناسبة الحديث عن مالك بن دينار يجدر بي أن أذكر أنه كان ينسخ المصاحف بالأجرة[٢٠]. مما يدل على ان النساخين بالأجرة كانوا متوفرين نوعاً ما في ذلك العصر وأن هذا مساعد على انتشار الكتب.

وقد وصلت إلينا بعض الكتب التي كانت محفوظة بالأديرة في ذلك العصر، فقد ورد في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية حاليا) في صفحة أخبار المجمع[٢١] أن المجمع حصل على «آثار ذات شأن كان البارون فون سودن والدكتور ڤيوله الألمانيان قد أخرجاها من القبة القائمة في صحن الجامع الأموي الكبير سنة ١٩٠٨ وهي رقوق كثيرة مهمة من أسفار قديمة مسيحية وعبرانية باللغات الآرامية والفلسطينية واليونانية والعبرانية والقبطية والحبشية والعربية، وبعضها جندر أو طرس أي محيت كتابته الأولى وكتب عليه ثانية. ونقلاها إلى الأستانة فأهدي قسم منها إلى الألمان فنقلوه إلى برلين، واستعيدت بعض هذه القطع (من قبل المجمع)».

وبعد، فهذه هي قصة نشأة المكتبات في العالم الاسلامي على عهد الأمويين. كان الورق غالي الثمن فلا توجد سوى الرقوق والبردى. وكانت حضارة الأمة العربية الاسلامية لا تزال في طور النشوء واستمرت التربية والتعليم بالمشافهة غالباً. فلم يقتن المكتبات والكتب سوى الموسرين ومن نسخوا بأيديهم وحصلوا على الورق بأثمان باهظة. ولم تكن هناك مكتبات عامة معروفة إلا في بعض بيوت تفتح أبوابها للأصدقاء وفي الأديرة والمدارس المسيحية. واستمرت الحال هكذا حتى عرف الورق وصناعته في سمرقند وانتشر في العالم الاسلامي بعد ذلك فظهرت صناعة الوراقين (نساخي الكتب) وأنشأ الموسرون المكتبات العامة وأوقفوها لطالبي العلم كما تحدث بذلك الكثيرون عندما تحدثوا عن الحضارة الاسلامية في العصر العباسي ●

الهوامش

(١) مروج الذهب ٣١/٣
(٢) الفهرست – للنديم ١٣٨.
(٣) تعليقات شوقي ضيف على كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان ٢٥٨/٢.
(٤) مقابلة مع الخوري أبي صعب في مجلة «الجمهور الجديد» اللبنانية – العدد الصادر في ١٩٧٥/٢/٩.
(٥) الفهرست – للنديم في مواضع متفرقة.
(٦) تذكرة الحفاظ – الذهبي... نقلا عن «دراسات في تاريخ الخط العربي» لصلاح الدين المنجد.
(٧) الطبقات الكبرى – لابن سعد ٣٨٩/٢.
(٨) طبقات الأطباء والحكماء – لابن جلجل ٦١.
(٩) ترجمة خالد في «الأعلام» للزركلي.
(١٠) جامع بيان العلم – لابن عبد البر ١٣٢/١.
(١١) الطبقات الكبرى – لابن سعد ٥٢/٥.
(١٢) وفيات الأعيان – لابن خلكان ٣١٧/٣.
(١٣) وفيات الأعيان – لابن خلكان ١٣٦/٣.
(١٤) تقييد العلم – للخطيب البغدادي في مواضع متفرقة.
(١٥) الأغاني ٢٥٥/٤.
(١٦) التنبيه والاشراف – للمسعودي ١٢٢.
(١٧) مقالة «من الاسكندرية إلى بغداد» ضمن كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية» من تحرير وترجمة عبد الرحمن بدوي.
(١٨) حلية الأولياء – لأبي نعيم ٣٧٥/٢.
(١٩) فجر الاسلام – لأحمد أمين ١٣٩.
(٢٠) الفهرست – للنديم ٦.
(٢١) المجلد الأول ٣٩٥.

بيان طبعات المصادر والمراجع:

- **الاعلام – للزركلي: الطبعة الثالثة – بيروت ١٩٦٩ (لم يذكر اسم الطابع).**
- **الأغاني – للأصفهاني: نشر المطبعة البولسية بحريصا ودار الثقافة ببيروت ١٩٥٥.**
- **تاريخ آداب اللغة العربية – لزيدان: نشر دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٧ مع تعليقات على الهوامش لشوقي ضيف.**
- **التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية – ترجمة وتبويب عبد الرحمن بدوي: نشر مكتبة النهضة المصرية – طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر – الطبعة الثالثة ١٩٦٥. القاهرة.**
- **تقييد العلم – للخطيب البغدادي: بتحقيق يوسف العشي – نشر دار إحياء السنة النبوية (لعلها بدمشق!) – الطبعة الثانية ١٩٧٥.**
- **التنبيه والاشراف – للمسعودي: بتحقيق دخوية – طبع مطبعة بريل في ليدن بهولندا سنة ١٨٩٤ – جدد طبعه مصوراً بالأوفست في مطبعة خياط بيروت.**
- **جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر: نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.**
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – لأبي نعيم: نشره محمد أمين الخانجي بالقاهرة ثم طبعة مصورة بالأوفست في دار الكتاب العربي ببيروت.**
- **طبقات الأطباء والحكماء – لابن جلجل: بتحقيق فؤاد سيد – طبع ونشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ ثم طبعة بالأوفست ببيروت لناشر لم يفصح عن إسمه.**
- **الطبقات الكبرى – لابن سعد: طبع ونشر دار صادر ودار بيروت ببيروت.**
- **فجر الاسلام – لأحمد أمين: نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – الطبعة التاسعة ١٩٦٥.**
- **الفهرست – للنديم: بتحقيق فلوغل – طبع في أوروبا ثم أعيد طبعه بالأوفست ونشرته مكتبة المثنى ببغداد.**
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر: مع فهارس كشافة وضعها يوسف أسعد داغر نشر دار الأندلس ببيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٣.**
- **وفيات الأعيان – لابن خلكان: نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٨.**

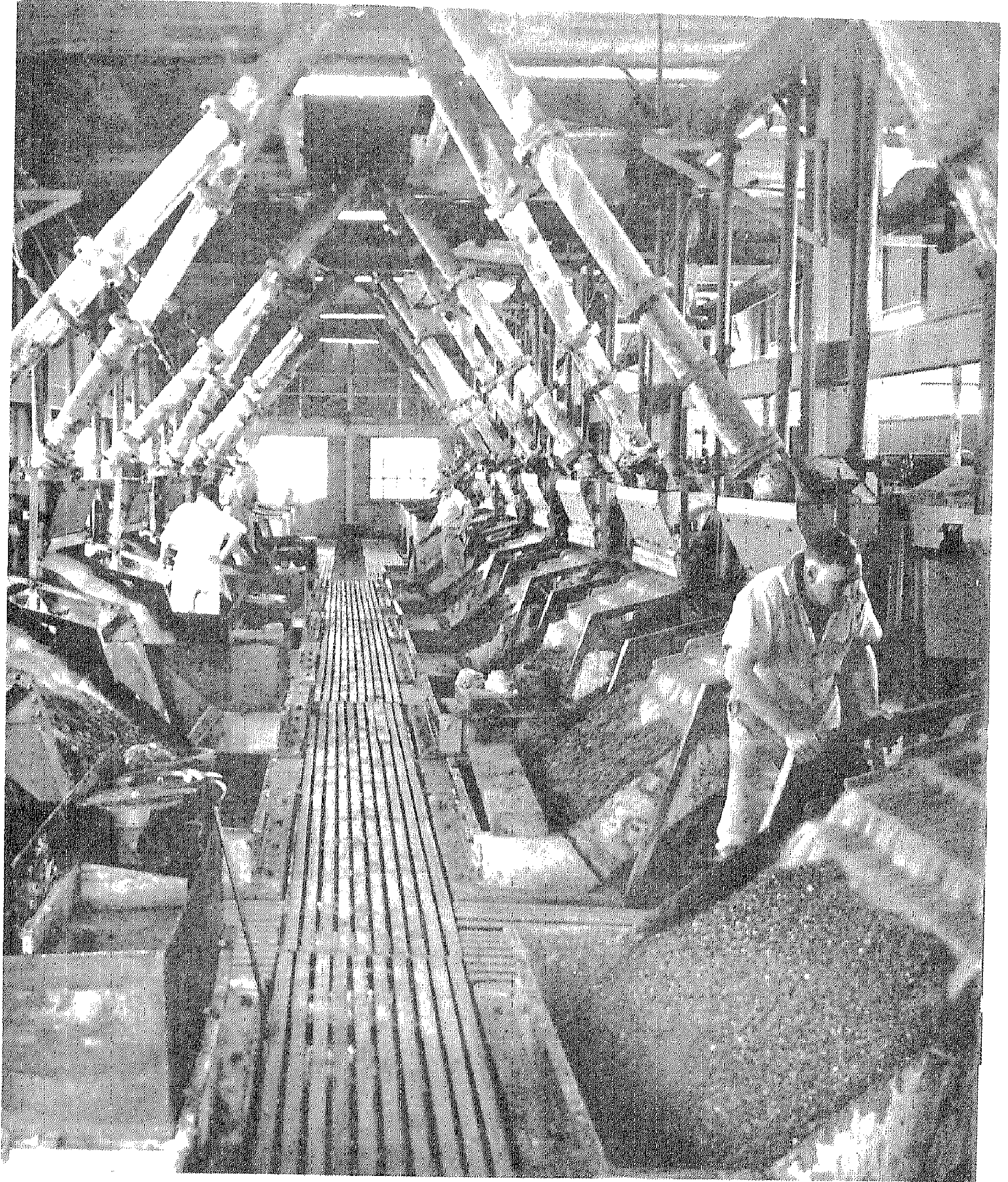

الماس
خف حمله
و
غلا ثمنه
متى سمعان بوري

● هو كربون صاف تبلور في داخل الأرض على مر ملايين السنين حتى أصبح ماسا. وهو من أقسى المواد المعروفة في العالم وأغلى حجر كريم ولا يضاهيه سعراً إلا الياقوت الأحمر المسمى «روبي» وذلك لندرة وجوده وتعدد خصائصه وهو يكون عند استخراجه في شكل أحجار خام وبأشكال مختلفة منها المكعب والمستطيـــــل والمروس والمستـــــديـر. ولــــه عدة ألوان منها الأبيض والأزرق والأصفر والأسمر والأخضر والأسود وبعد استخراجه يجرى تصنيفه حجماً ولوناً وصفاء. وهناك عدة عوامل ومواصفات تقرر سعر الماس وهذه المواصفات هي الحجم واللون ودرجة النقاوة وعامل أخير مهم هو طريقة صقله. فللحجر الماسي مواصفات ومقاسات عالمية متفق عليها عند صقل الحجر كالاستدارة والسمك أي الثخانة. وان شكل الحجر الماسي المسمى بالبرلنت هو كالهرم المقلوب إلى حد ما ولكي يكون كامل الأوصاف، وهذا نادر جداً، ينبغي أن يكون لونه ما يسميه عامة الشعب الأزرق. وهو في الحقيقة ليس باللون الأزرق إنما أبيض ناصع البياض مع ميل إلى بعض الزرقة وأن يكون جوهره لامعاً براقاً نظيفاً نقياً خالياً من أي خدش أو نقطة أو تشويه وان يكون صقله جيداً فاذا توافرت كل هذه الصفات في حجر ماسي من نوع البرلنت أصبح سعره خيالياً. وهناك قاعدة في أسعار الأحجار البرلنت وهي أنه كلما زاد وزن الحجر زاد سعر الوحدة بمعنى أنه إذا كان سعر القيراط الواحد من نوع ما هو خمسة آلاف ليرة مثلاً للقيراط الواحد عندما يكون الوزن قيراطاً واحداً فان المواصفات نفسها إذا توافرت في حجر آخر من النوعية نفسها وزنه قيراطين، تجعل سعر القيراط الواحد سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ليرة وعندما يصبح وزنه ثلاثة قراريط يصبح سعر القيراط عشرة آلاف ليرة وهكذا. ولكن هذه القاعدة لا تنطبق إلاّ على الأحجار التي تزيد عن نصف القيراط حتى سبعة أو ثمانية قراريط فقط وما زاد عن هذا الوزن أو نقص فالقاعدة تصبح عادية. ولكنها مقسومة إلى قسمين قسم ما تحت النصف القيراط وقسم ما فوق الثمانية القراريط. وهناك أشكال عديدة من الماس البرلنت فالمستعمل بكثرة أي بنسبة ٩٠ في المائة هو المستدير. انما يوجد المربع والمستطيل والموكيز وشكل القلب وشكل المثلث. والماس يقسم إلى عدة أنواع وذلك تبعاً لطريقة صقله. فكل الذي ذكرناه سابقاً هو



أحد عمال المناجم في أفريقيا يثقب مكانا في الصخر ليزرع فيه أصبع متفجرات خلال عملية تنقيب عن الماس

للبرلنت. ويوجد الفلمنك وشكله كنصف الكرة أي مسطح من الأسفل ومثل القبة من الأعلى أما مصير شكل الحجر عند صقله فيقرره خبير الصقل حتى لا يفقد الحجر كثيراً من وزنه. فالحجر الخام القريب للشكل المستطيل يصقل مستطيلاً والقريب لشكل الإجاص يعمل كشكل الإجاص وهلم جراً. إن معامل صقل الماس موجودة في كثير من دول العالم. ولبنان فيه ما يزيد على العشرين معملاً من هذا النوع وهو رقم مرتفع بالنسبة لحجم لبنان الجغرافي وعدد سكانه. أما الأحجام بالنسبة للماس فهي عديدة متنوعة. فهنالك أحجار صغيرة وزن الواحد منها لا يتعدى اثنين من الألف من القيراط أي خمسمائة حجر تزن قيراطاً واحداً. (القيراط هو خمس الغرام، كل خمسة قراريط تساوي غراماً واحداً) وهناك الأكبر والأكبر. ان خمسة وتسعين في المائة من الماس المستخرج في العالم مصدره أفريقيا. ويوجد في صخور بركانية وفي بعض شواطئ الأنهار وخصوصاً الشواطئ الرملية الحصوية أي التي يكثر فيها الحصى. وحتى القرن السابع عشر لم يكن يستخرج إلاّ من الهند. وعندما نضب هناك ابتدأ التنقيب عنه في أماكن أخرى وتم اكتشافه في أفريقيا



عملية فرز الماس عن الأتربة والحصى.

بكميات كبيرة ثم في البرازيل ولكن بكميات ضئيلة. وفي العام ١٩٥٦ اكتشف في سيبيريا في الاتحاد السوفياتي.

ان أكبر ماسة أكتشفت قد استخرجت من أفريقيا عام ١٩٠٥. وهي نجمة أفريقيا. وكان وزنها قبل صقلها ٣١٠٦ قراريط وبعد صقلها أصبح وزنها ٥٣٫٣٠ قيراطاً وهي موجودة الآن بين مجموعة مجوهرات التاج البريطاني. أما الثانية فهي الاكسلسبور. استخرجت أيضاً من أفريقيا عام ١٨٩٣ وكان وزنها عند استخراجها ٩٩٥٫٢٠ قيراطاً. ولكنها قطعت إلى عدة قطع وذلك لاستحالة صقلها قطعة واحدة وذلك نظراً لشكلها غير المتناسق. يلي ذلك الماسة المغولية المستخرجة أيضاً من الهند في القرن السابع عشر. وكان وزنها قبل صقلها ٨١٧٫٥٠ قيراطاً ثم أصبح وزنها بعد صقلها ٢٨٧٫٥٠ قيراطاً. أما الماسة كوهيفور، ولا زلنا في الهند، فكان وزنها عند استخراجها قبل خمسة آلاف عام ٨٠٠ قيراط. وقد فقدت ثم وجدت ثانية في العام ١٣٠٤ وجرى صقلها عام ١٨٤٩. وأصبح وزنها ١٠٨٫٩٠قراريط فقط وهي باقية تمثل واحدة من مجوهرات التاج البريطاني. ماسة الجوبيلي استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٥ وزنها بعد صقلها ٢٤٥٫٣٥ قيراطاً. ماسة الرجنت استخرجت من الهند عام ١٧٠١. وزنها بعد صقلها ١٤٠٫٥ قيراطاً وموجودة الآن في متحف اللوفر في باريس وكانت سابقاً ضمن مجوهرات التاج الملكي الفرنسي. ماسة الأورلوف من الهند وزنها بعد الصقل ١٩٩٫٦٠ قيراطاً. أهديت إلى كاترين الثانية الروسية عام ١٧٧٣. الماسة الزرقاء التي بلغ وزنها بعد الصقل ٤٤٫٤٠ قيراطاً كانت ضمن مجوهرات أحد معابد الهند ثم انتقلت لعدة أشخاص جلبت لهم الشؤم وسوء الحظ ثم استقرت عام ١٩٥٠ في محلات هاري ونستون المعروفة في نيويورك. وهناك عدة ماسات مشهورة أخرى مثل الجونكر (٧٢٦ قيراطاً) والغاركاسي (٢٦٢ قيراطاً) ويسمونها نجمة الجنوب. وقد استخرجت من البرازيل. وهنالك ماسة الفلورنتين (١٣٧ قيراطاً) كما انه توجد ماسة وزنها ١٢٨٫٥٠ قيراطاً موجودة في محلات تيفاني المعروفة في أميركا. هذا ويوجد العديد من الماسات القيمة الممتازة في العالم وخصوصاً ضمن مجوهرات العائلات الأميركية الغنية كعائلات ملوك البترول وأصحاب الملايين. وقد بدأت ماسات كثيرة ذات أسعار خيالية تنتقل إلى الأثرياء العرب وذلك لأسباب متعددة منها الزينة ومنها الاستثمار ومنها التخلص من العملات الورقية.

الأخف والأغلى

والماس هو الذي ينطبق عليه تماماً قول «ما خف حمله وغلا ثمنه». فانه من الأسهل كثيراً ان تنتقل وفي جيبك عشر ماسات ثمنها مليون دولار من أن تنقل بناية بعشرين طابقاً وبالثمن نفسه. ان الماس وخصوصاً ذا الحجم الكبير منه في تنقل دائم. فهو دائماً ينتقل من البلاد الفقيرة إلى الغنية ثم عندما يدور دولاب الزمن وتصبح الغنية فقيرة وتظهر دول أخرى غنية يعود إلى التنقل. وأكبر دليل على ذلك هو الدولة العثمانية وتطور وضعها منذ كانت اسطمبول هي محط أنظار عشاق المجوهرات من بائعين وشارين ومركزاً عالمياً لتجارة الماس نظراً لوجود السلطان والأمراء والوزراء والحاشية وما يشترونه من مجوهرات. كما أنه في عهد الملك فؤاد ثم فاروق في مصر انتقلت هذه التجارة إلى مصر وشهدت عصراً ذهبياً. كما أن روسيا القيصرية وفرنسا الملكية والمانيا الامبراطورية لم تشذ عن القاعدة. أما اليوم وبعد أن تغيرت الدنيا اجتذبت الدول أو بالأحرى أثرياء الدول الغنية الماس كما يجتذب المغناطيس الحديد. والبلدان الأولى في الصناعة لصقل الماس في العالم هي بلجيكا والكيان الصهيوني وهولاندا وتليها الهند. وهي في سباق مع الجميع في هذا المجال. وما يساعد الهند على التفوق هو رخص اليد العاملة. فالعامل الهندي الخبير يتقاضى ربع ايجار العامل البلجيكي. ولكن البلجيكيين متفوقون في صقل الاحجار الكبيرة وذلك لسهولة حصولهم عليها وسيطرتهم على مناجم الذهب في جنوب أفريقيا بينما يفتقر الهنود إلى الأحجار الخام الكبيرة نظراً لاحتكار الشركات الأجنبية البلجيكية والافريقية التي تتعاطف مع بلجيكيا لهذه الأحجار. كذلك فان لبريطانيا حصة كبيرة في تجارة الماس وصناعة صقله نظراً لارتباطاتها القديمة بأفريقيا وجذورها العميقة هناك منذ أيام الاستعمار البريطاني للقارة السوداء. كما انه تجدر الاشارة إلى ان العدو الاسرائيلي له نصيبه في هذا المضمار وهذا بديهي. فمن المعروف عن اليهود أنهم بطبيعتهم ميالون إلى الأعمال التجارية والأسهم والسندات والذهب والماس وما شاكلها. والولايات المتحدة هي السوق الرئيسية لمنتجاتهم من الماس كما ان لليهود بصفة خاصة نصيبا كبيراً في أكبر الشركات التي تملك مناجم الماس خصوصاً في جنوب أفريقيا. ●

عبر
من
التاريخ

معركة رشيد



٣١ آذار (مارس) ١٨٠٧

فتحي رضوان

● لاينفد حب التاريخ للاسماء الصغيرة والمجهولة. فاكبر وقائع التاريخ تدور على أرض قرى لم يسمع عنها احد. واكبر احداثه يضطلع بها مجهولون لم تلتفت اليهم من قبل عين، ولم تسمع بهم اذن.

فالمعارك التي غيرت التاريخ جرت على أرض بدر، و واترلو والعلمين وفالمي.. والوقائع البحرية الكبرى جرت على مياه اكتيوم وأبو قير والطرف الاغر. وجريا على هذا المنهج المحبب الى قلب التاريخ لعبت رشيد في اليوم الحادي والثلاثين من آذار (مارس) سنة ١٨٠٧ دورا في هذا الجانب من العالم

وقد كانت موقعة رشيد في الحادي والثلاثين من آذار (مارس) سنة ١٨٠٧ موقعة فريدة لان جيشا بريطانيا مدربا يقوده قائدان بريطانيان محنكان ومحترفان لقيا هزيمتها كما قتل أحدهما، على يد جماعة من أهل رشيد اعدت نفسها على عجل وتلقائية ملهمة، اقسمت بالثقة بالنفس والاطمئنان الى النصر، واستبعاد ما يتركه استعظام قوة العدو من التردد أو التسويف ولو تذكرت

هذه الجماعة الصغيرة المؤمنة . انتصارات العدو الغازي المقتحم القرية التي وقعت غير بعيد من رشيد نفسها . وفي مقدمتها معركة أبو قير البحرية . لا ألقت السلاح ولما كتب لها أن تغلب القائدين الكبيرين ويكوب وفريزر ولما أسرت من أسرت . وقتلت من قتلت .

ويوم رشيد يبرز في تاريخ عالم الحروب والسياسة معا في هالة من المجد لانه بدد احلام امبراطورية البريطانيين واطماعهم في هذا الجانب النفيس من العالم نحو ثلاثة أرباع قرن من الزمان . (١٨٠٧ - ١٨٨٢) فأتاح بذلك لمصر أن تحقق ثلاثة أمور ضخمة :

انشاء دولة شامخة حديثة مستقلة عن دولة العثمانيين قادرة على منافسة امبراطوريتهم ومنجزاتها ومحاولة الحلول محلها في زعامة العالم الاسلامي والعربي معاً .

استئناف مصر للعمل الحضاري الذي انقطع أو توقف منذ وضع الاتراك أقدامهم على أرضها سنة ١٥١٧ مما اعان المصريين كثيراً في حروبهم ومعاركهم ضد الاحتلال العسكري البريطاني والاحتلال الاوروبي الفكري والروحي .

والنظر في يوم رشيد الاغريد المتأمل والباحث بمدد هائل من الخواطر والافكار حتى كأنه مائة يوم . أو كأنه قطاع كامل من تاريخ مصر كله . وأهم ما يستوقف نظرك بساطة المصري المقاتل في ذلك اليوم . فلا ضجيج ولا تهويل .. بل شعب احس أن داره تقتحم . وعرضه ينتهك . فشهر سيفه وأرهف رمحه . ومضى الى القتال لا يلوى على شيء .

وثاني ما يستوقفك أن معركة رشيد وان تمت في بساطة . الا انها تمت مع ذلك في تنظيم وتدبير مما يؤكد ان اعلى مراتب الاجادة لا تتجلى الا في بساطة العمل .

وثالث ما يستوقفك أن أهل رشيد أدركوا انهم أهل مصر كلها وأنهم حينما يدفعون بالعدو المغير على أرضهم الى البحر . أو يوقعونه في الاسر انما يدافعون عن الأرض كلها وعن الوطن بأسره لذلك فقد هبت روح مصر العميقة الخالدة الى نجدتهم فابدعوا ابداعها وكأنما كان يحارب معهم في صفوفهم وتحت أعلامهم أحمس وصلاح لذلك لم تطل المعركة وأن عظم اثرها وكبر خطرها .

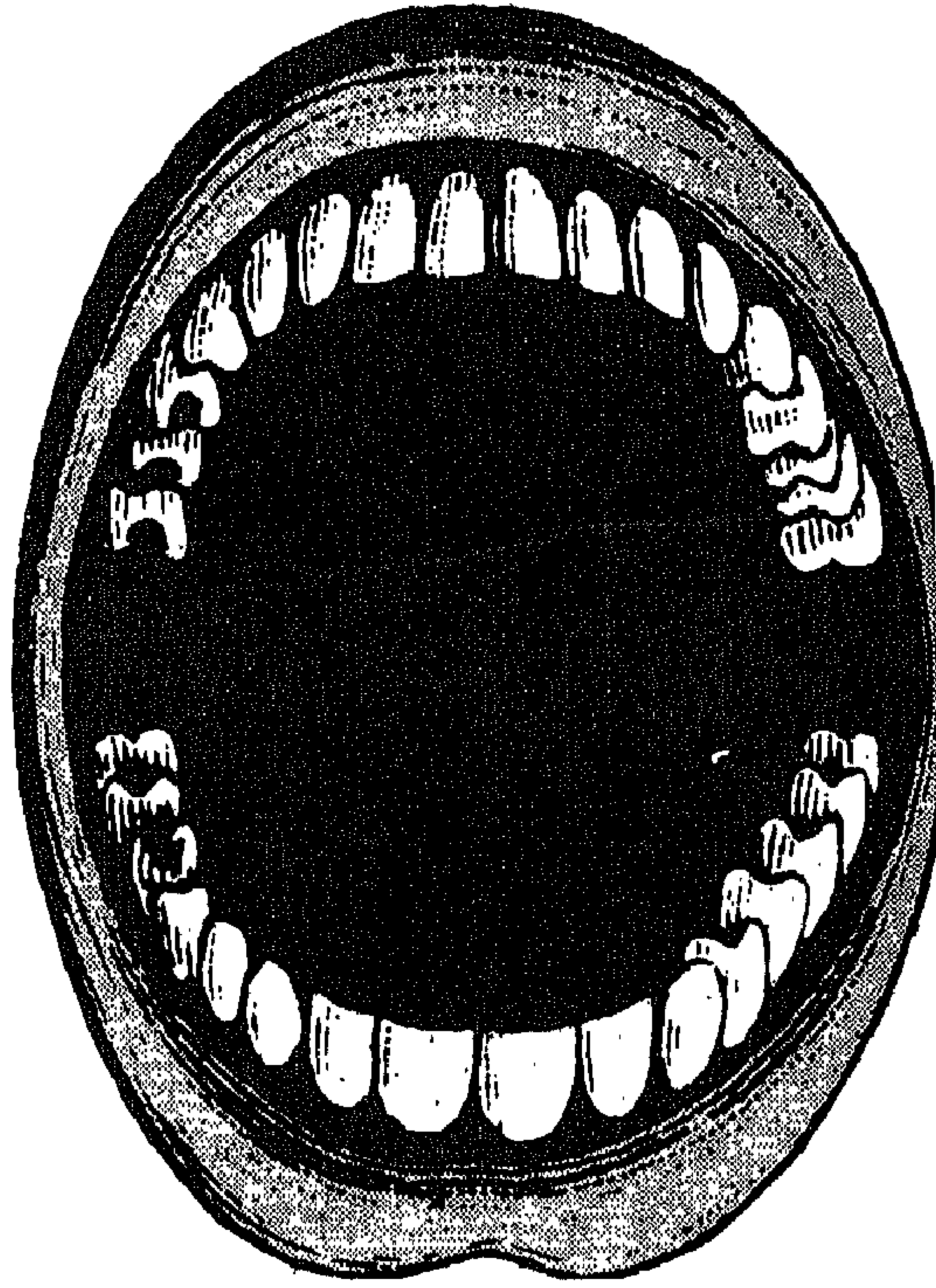
ثم يتوج هذا كله أن معركة رشيد جلت لكل جيل سابق ولا حق من المصريين . الحقيقة الكبرى التي كشفت عنها المعارك الكبرى وهي أن الحروب لا تكسب فقط بالسلاح الكثير ولا بالجند الكثيف . وانما تكسب اولا وقبل كل شيء بايمان المقاتلين بقضيتهم وعقدهم العزم على التضحية بكل ما يملكون . ومن هنا لم يكن عبثا أن آية الجهاد في القرآن قدمت القوة على رباط الخيل فالقوةتسع لكل وسيلة من وسائل النصر في المعارك . ولم تكن صدفة كذلك ان اهل بدر كانوا ثلاثمائة واربعة عشر مقاتلاً فغلبوا تسعمائة . ولا ان الامبراطورية النمساوية البروسية حشدت جيوشها تحت قيادة قائد من اعظم الجيوش وسيرتها الى حدود فرنسا قمعا للثورة الفرنسية وكان كل شيء يؤكد أن جيوش الامبراطوريات ستمزق شمل جيش الغزاة الحفاة الذين عرفوا في التاريخ باسم «سان كيلوت» اي الذين لا يجدون ما يلبسونه ولكن معركة «فالمي» اذهلت كل خبراء الحرب . فقد ثبت الحفاة أمام مدافع العتاة حتى قالوا أن المطر وحل ارض المعركةفي «فالمي» فصعب على الفرنسيين سحب مدافعهم من مواقعها . أي أنهم كانوا مرغمين لا أبطال : ولكن «غوته» شاعر المانيا العظيم لم يلتفت الى هذا التفسير وقال : انه عهد ينتهي وعهد يبدأ ..

وما استنبطه الناس من معركة «فالمي» نستنبطه نحن من معركة رشيد .

ومن هنا وجب علينا في يوم ٣١ من آذار (مارس) أن نقف صفاً : ثم نحني الهام ونحسر الرؤوس تحية لرشيد العظيمة ومعركتها الخالدة ويومها الذي سيبقى على مر الزمن .

كيف نشأ طبّ الأسنان في الشرق القديم؟

د. ريمون فرام



● في اطار إهتمام «تاريخ العرب والعالم» بالتاريخ العام للشعوب والحضارات. تقدم فيما يلي محاولة للتأريخ لنشأة طب الأسنان في العصور القديمة وكيفية انتقاله من طابعه البدائي الذي كان أشبه بالسحر والشعوذة ـ إلى البدايات الأولى في اتخاذه لطابعه العلمي.

تركز هذه المقالة على دور علم الآثار في كشف جوانب محددة من أساليب تعاطي الأقدمين بوجع الأسنان أو تسويسها.

ويسرنا أن يشارك الأطباء والعلماء العرب في اغناء معلومات القارئ العربي حول ناحية أو أكثر من نواحي التاريخ العلمي للحضارات.

د. ريمون فرام، جرّاح في طب الأسنان. الجامعة اليسوعية

● اهتم الانسان بأسنانه منذ فجر التاريخ بسبب ما لها من علاقة مباشرة يومية بحاجة أساسية عنده وهي هضم الأكل.

وكان من الطبيعي أن يتطور الاهتمام بالأمراض التي تعتري أسنان الانسان كلما تقدمت الحضارة البشرية في مجال اكتشاف أسرار الطبيعة ومكوّناتها.

في البدء كانت مداواة وجع الأسنان تتلخص في خدش اللثة تحت السن المصاب بمسمار، مما يفصل، حسب اعتقاد الانسان البدائي، بين الألم والسن. وكان للسحر والشعوذة دور كبير في محاولة تخفيف وجع الانسان الناتج عن نخر أسنانه.

ولم يجر استعمال الأعشاب الطبية المخدّرة التي اكتشفت صدفة إلا حوالي العام ٤٠٠٠ أو ٣٥٠٠ ق.م. ومن هذه الأعشاب نذكر الخشخاش (نبات الأفيون) والقنّب الهندي واللّفاح والحشيش، وكانت تستخدم إما كشراب ساخن أو تحرق لتنشر رائحة مخدرة أو تستعمل كما هي بفركها ووضعها موضع الألم.

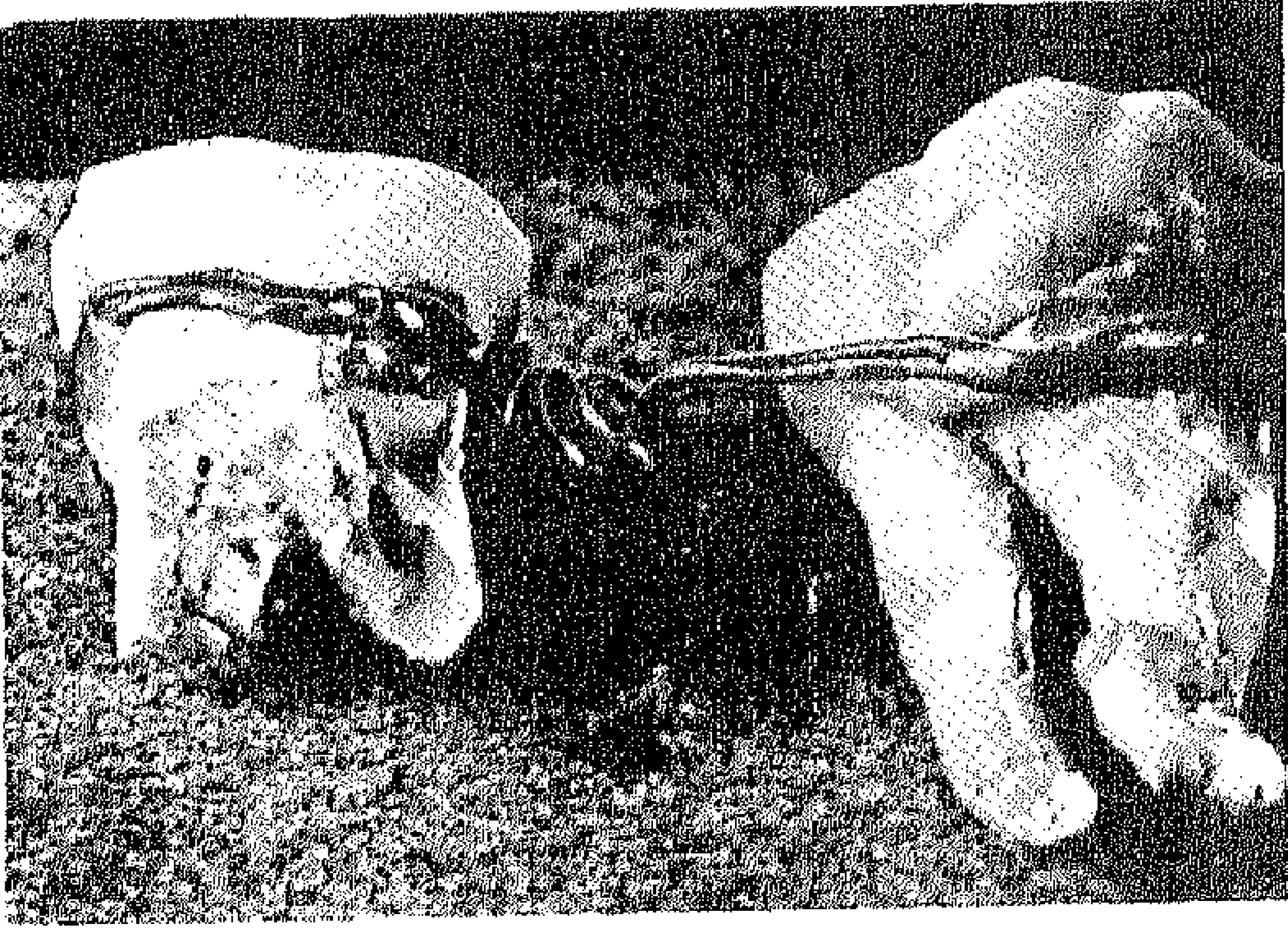
واستعملت هذه الوصفات الطبية الطبيعية كدواء مخفف لوجع الأسنان قروناً عديدة، حتى جاء اكتشاف الزاج (Vitriole) (أي السلفات المعروف حالياً) في القرن الثالث عشر الميلادي ليقدم كسباً جديداً لمنجزات الطب الحديث. ولكن لم يتم استخدام هذا الاكتشاف في صورة فعالة إلا بعد سنوات من التجارب والتردد استمرت خلالها معالجة تسوس الأسنان بالطريقة الوحيدة التي كانت تستأصل المرض من أساسه: الخلع.

وهنا كانت الأساليب مختلفة لكنها تلتقي كلها في ناحية واحدة وهي عدم أخذ موافقة المريض مسبقاً مهما تكن المبررات ومهما تعاظمت الأوجاع.

ومع اكتشاف البنج أصبحت مداواة أمراض الأسنان أقل صعوبة من السابق. وتمت العملية الجراحية الأولى في هذا المجال باستخدام البنج على يد الطبيب الاميركي هوراس ويلز في العام ١٨٤٤.

ولكن اذا كان البنج لم يكتشف ويستخدم إلا في العصور الحديثة، فكيف كان أجدادنا يعالجون أمراض الأسنان التي تسبب من الألم ما يشل قدرة الانسان عن الحركة وحتى عن التفكير السليم؟

الجواب نجده في أعمال التنقيب العديدة عن آثار



الضرس المخلخل يربط بخيط ذهبي مع الضرس السليم: اكتشاف يونغر في الجيزة

الانسان البدائي. فماذا تظهر لنا هذه الاكتشافات؟

رغم عدم انتشار تسوس الأسنان في تلك العصور الغابرة بسبب طبيعة المأكول في حد ذاتها، إلا ان الانسان البدائي كان يمتاز بنتوءات بارزة في أسنانه تظهر خصوصاً على شكل اعوجاجات حادة ووجود فراغات واسعة بين السن والأخرى. وكانت هذه الظاهرة الناتجة عن صلابة المواد الممضوغة، تفسر في صورة مختلفة تماماً عند شعب وآخر أو بين منطقة وأخرى: في ايطاليا فسرت هذه النتوءات على أنها علامة للحظ السعيد لصاحبها ولطول عمره. وفي سويسرا اعتبرت هذه الظاهرة بمثابة اشارة إلى ان صاحبها مؤهل ليصبح مغنيّا كبيراً. أما في مناطق أخرى، كشبه الجزيرة العربية، فكانت تفسر كنذير شؤم ليس فقط لصاحبها ولكن أيضاً لمن يصاحبه.

وساهم علماء الآثار مساهمة كبيرة في القاء الضوء على الجوانب الخفية المتعددة لتاريخ طب الأسنان في العصور الغابرة. من هذه الاكتشافات نذكر:

- الأسنان المزروعة في طريقة بدائية والتي وجدت في حفريات قرب صيدا (لبنان).
- الأضراس المحشوة في شكل مربع والتي وجدت في جماجم من الاكوادور (أميركا الجنوبية).
- التيجان الذهبية للأسنان والتي تعود إلى الامبراطورية الرومانية القديمة (٢٧ ق.م. — ٤٧٦م.).
- طقم أسنان اصطناعية وأبراج ذهبية اكتشفت عند أفراد من شعب الاتروسك القديم (حالياً في منطقة توسكانا الايطالية).



«طبيب أسنان يداوي فلاحاً». رسم للوكاس فان لايدن سنة ١٥٢٣م.



عيادة طبيب أسنان قديمة: كانت تعج دائماً بالمرضى.

ومما لا شك فيه أن أهم الاكتشافات الأثرية في هذا المجال هي التي تعود إلى عهد الدولة الفرعونية القديمة (٣٢٠٠ ق.م. - ٢١١١ ق.م.). وبرهنت هذه الاكتشافات على معرفة أوائل الفراعنة ببعض أسرار طب الأسنان وجراحتها.

وتم استخلاص معظم المعلومات عن الحياة الاجتماعية في هذه الدولة استناداً إلى ما كتب على لفائف البردى. ويتفق المؤرخون على ان ايمحوتيب، وزير الملك زوزير (٢٨٠٠ ق.م.) كان صاحب أول النصوص الطبية المكتوبة.

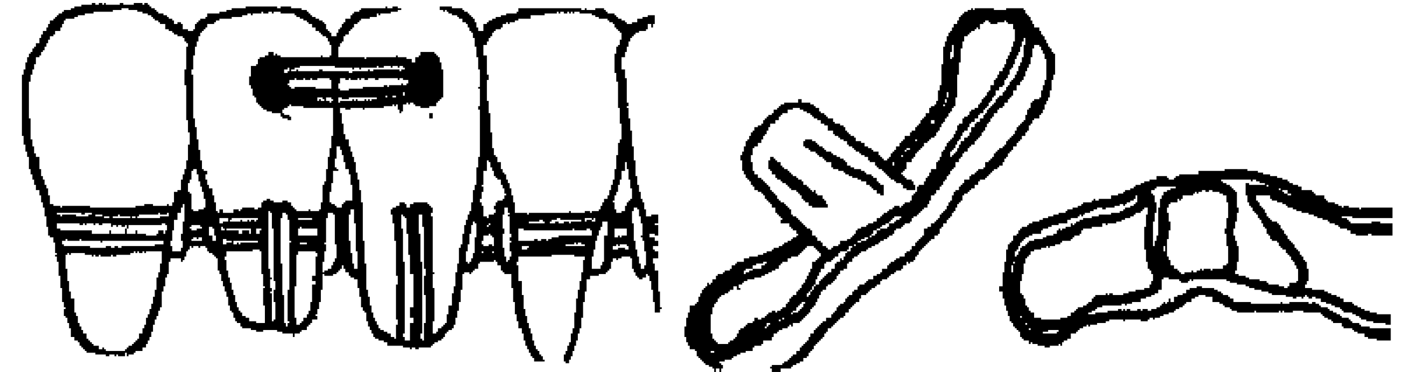
من بين عشرات العلماء والمؤرخين الذين تخصصوا في التنقيب عن الآثار الفرعونية لهذا الهدف بالذات، نشير إلى جهود ثلاثة منهم:

الباحث الأميركي هووتن الذي انكب في العام ١٩١٧ على دراسة مكوّنات الفك الأسفل لأحدى الجماجم التي يعود تاريخها إلى حوالى العام ٢٧٠٠ ق.م. في داخل هذا الفك تظهر كل الأسنان متآكلة. والمثير في الأمر هو وجود ثقبين تحت الأضراس استنتج منهما هووتن، بعد التدقيق والتحليل والمقارنة «... وجود معرفة بدائية أكيدة بجراحة

الاسنان في الدولة الفرعونية القديمة».

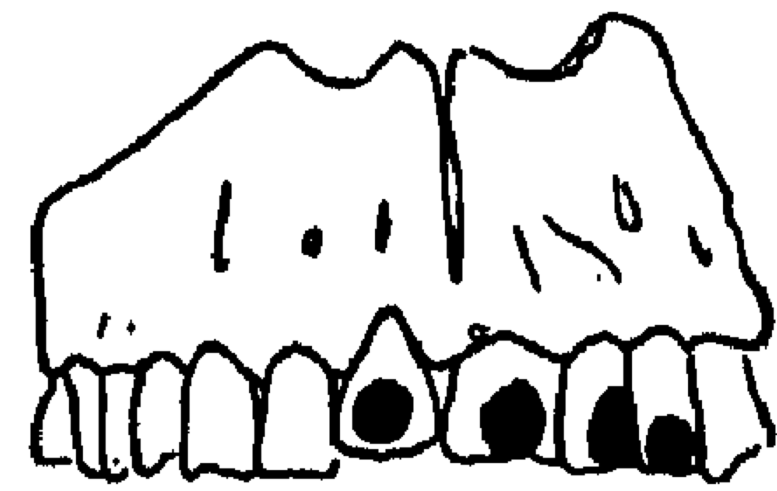
وتابع العالم الأميركي جيمس هنري بريستد ابحاث هووتن، فأكد في العام ١٩٣٠ ان وجود هذين الثقبين يشير في وضوح إلى استعمال أنواع بدائية لأدوات جراحة متخصصة، كانت من البرونز على الأرجح.

وفيما بعد أضاف عالم الآثار الاسترالي هيرمان يونغر اثباتاً جديداً في مجال التأكيد على تطور جراحة

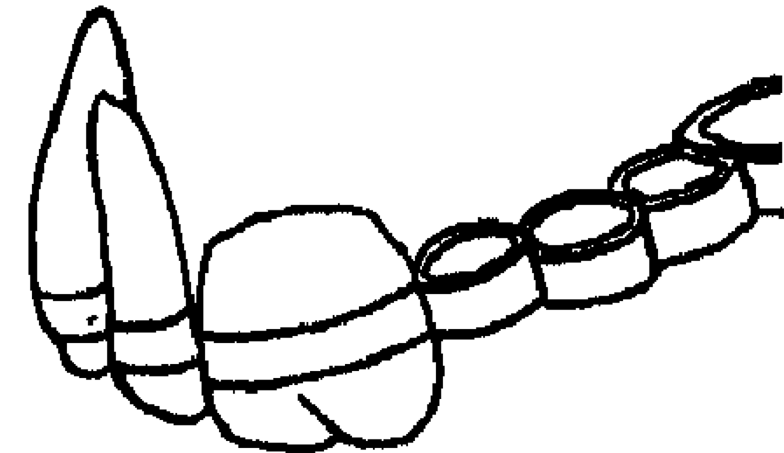


تيجان ذهبية للاسنان (روما القديمة).

الأسنان الاصطناعية (صيدا - لبنان).



أضراس محشوة (الأكوادور).

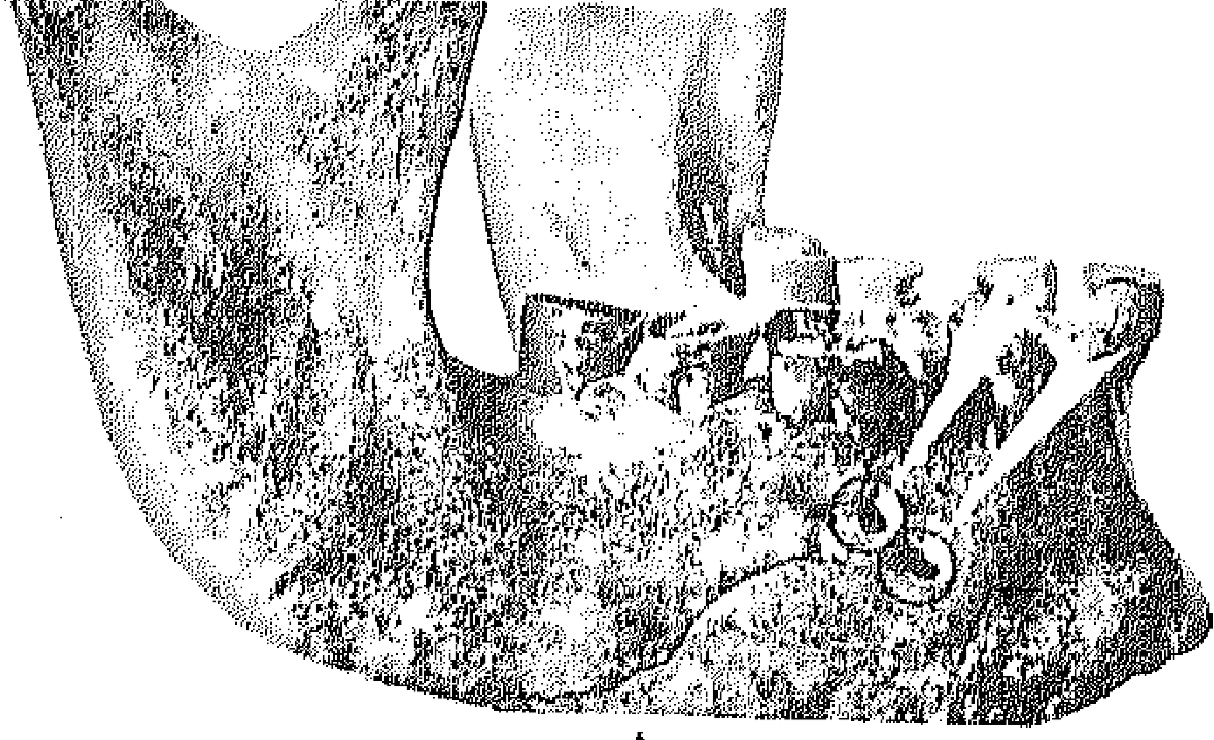


طقم أسنان اصطناعية ذهبية (الحضارة الأترورية)

طب الأسنان، وذلك من خلال اكتشافه لسنّين تربطها سلسلة ذهبية مما يشير إلى معرفة الفراعنة بالمبادئ الأولية لطب الأسنان الترقيعي.

ومنذ ذلك الوقت ركز العلماء اهتمامهم في هذا الاتجاه وأخذوا يعيدون اكتشاف الآثار الفرعونية القديمة ليجلوا أسرار علم طب الأسنان الذي كان متطوراً جداً في ذلك الوقت - بالمقارنة مع بقية الشعوب الأخرى - لأسباب لا تزال حتى اليوم مدار خلاف بين العلماء والمؤرخين.

وللتدليل على ذلك، نورد فيما يلي رأي الباحث الدكتور بول غليونجي، المتخصص في علم الطب العام



هذا الفك وهذان الثقبان أثبتت ان الفراعنة عرفوا جراحة الأسنان قبل ٥٠٠٠ سنة.

عند قدامى المصريين، والذي كشف جوانب مهمة من التطور الكبير لطب الأسنان عندهم. فكتب موجز ابحاثه:

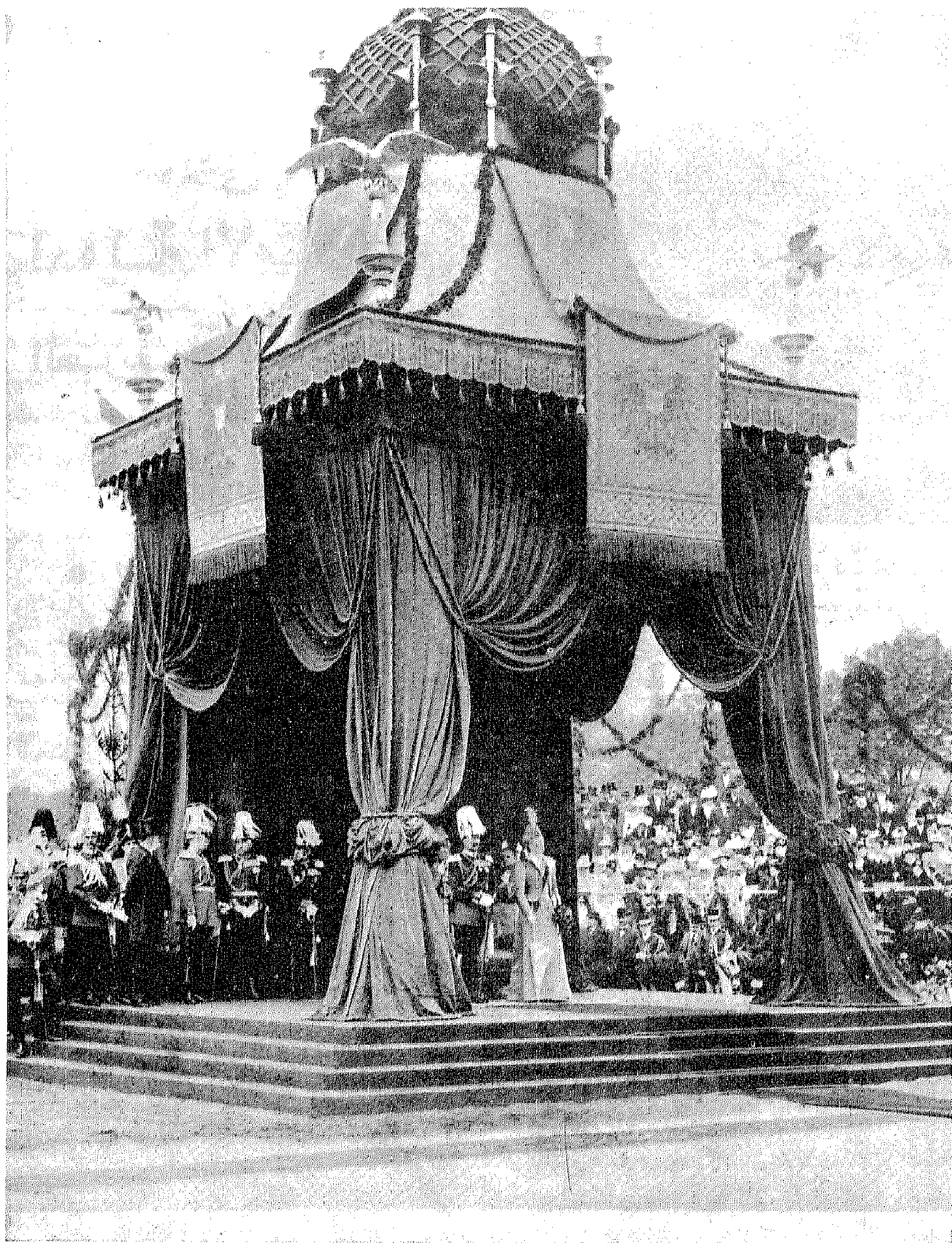
«كان أخصائيو الأسنان على درجات مختلفة فمنهم رؤساء الاخصائيين ومنهم الطبيب العادي.. وبالرغم من ان التسوس كان نادراً، فان البيور والخراريج كانت منتشرة. وما زاد في هذا الانتشا تقدم الحضارة وزيادة الترف في العصور القريبة خاص في الطبقات العليا، كما هو ظاهر في جمجمة أمينوفيس الثالث الذي قال عنه اليوت سميث مازحاً بعدما وج خرّاجين تحت أسنانه: «لم يكن على فرعون في ترف طية ان يواجه دسائس الكهنة فحسب لكنه كا ضحية لآلام أسنانه أيضاً».

«ومن أسماء أمراض الأسنان التي لم يصل علما اللغة إلى تفسير مدلولاتها اسم «آكل اللحم»، ففسره «أبيل» بالاسقربوط وغيره بالبيوريا».

«وفي حال حدوث التسوس كانوا يحشو الأسنان بالعسل والصمغ وسلفات النحاس، وكانت الأسنان المخلخلة تربط بالأسنان المجاورة لها بخيط من الذهب. وكانت الخراريج تصرّف بواسطة تربنة صغيرة في عظم الفك، ولم يصلنا أي دليل على انهم كانوا يخلعون الأسنان، إلا ان الأقباط بعدهم كانوا يخلعونه بالحديد بعد وضع مخدر من نبات الخربق على الخد أو على جذور الأسنان».

«ولتلقيح اللثة كانوا يصفون المراهم المركبة من الحليب والبلح الطازج والخروب الجاف أو الأيسون والتيريبنتين وثمار الجميز..». (راجع المجلد الأول من موسوعة «تاريخ الحضارة المصرية»، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في مصر، لا تاريخ اصدار، ص ٥٥٦ - ٥٥٧). ●

صورة من التاريخ

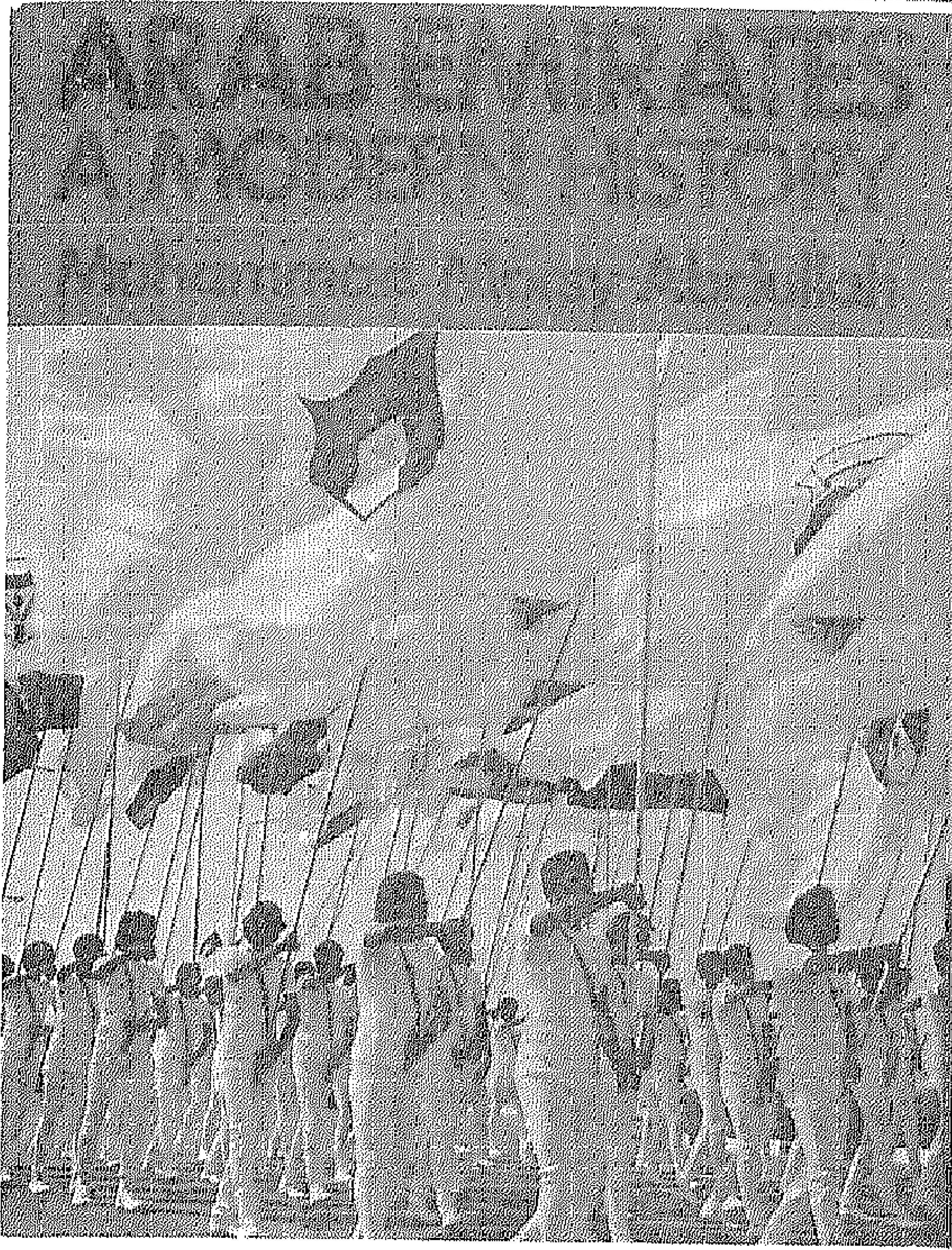


• خيمة القيصر الالماني وقرينته أثناء الاحتفال بتدشين قناة بحر الشمال والشرق، التي تربط منذ عام ١٨٩٥ بين البحرين.

مراجعة كتاب

التاريخ الحديث لدولة الامارات العربية المتحدة

د. محمد مرسي عبد الله



● يتناول هذا الكتاب التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لمنطقة استراتيجية من الخليج العربي كانت تعرف باسم «دول الشاطئ المتصالح» trucial states والتي أصبحت معظمها بعد ١٩٧١ تعرف باسم «دولة الامارات العربية المتحدة» . .

يركز المؤلف في دراسته الوثائقية هذه على الفترة بين ١٨٩٢ (تاريخ دخول بريطانيا إلى المنطقة) و ١٩٧١ (تاريخ انسحابها منها). من هنا فان الدور البريطاني في هذه المنطقة هو محور اهتمام الكاتب، الذي استطاع - بحكم مركزه وتخصصه - أن يطلع على العديد من الوثائق السرية وغير المنشورة والتي استقاها من مراكز وأرشيف الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في لندن وبرلين وباريس واسطنبول وواشنطن. اضافة إلى وسائل أخرى منها تقارير بعض البعثات التبشيرية الأميركية في المنطقة. أما المراجع المنشورة التي استند اليها هنا فهي في حدود ٧٦ مرجعاً.

● تأليف د. محمد مرسي عبد الله. مدير مركز التوثيق والأبحاث التابع للقصر الرئاسي في أبو ظبي. (باللغة الانكليزية ١٩٧٨).

ومما يعطي للكتاب أهمية كبيرة كون المؤلف أغنى بحثه بالعديد من المقابلات الخاصة مع مشايخ القبائل ورؤساء العائلات الكبرى في دولة الامارات العربية المتحدة. اضافة إلى أحاديثه مع الرعايا الأجانب فيها والشخصيات السياسية والاجتماعية والديبلوماسية.

مقدمة الكتاب :

في المقدمة يشير د. مرسي عبد الله إلى أنه استند في بحثه هذا إلى أطروحة الدكتوراه التي قدمها إلى جامعة كمبريدج في العام ١٩٧٥ وهي بعنوان : «بريطانيا ودول الشاطئ المتصالح بين ١٨٩٢ و ١٩٣٩».

وبعدما يبرر سبب اختياره لتاريخي ١٨٩٢ و ١٩٧١ إطاراً لبحثه. يوضح د. مرسي عبد الله أن تركيزه الرئيسي تحدد حول مكانة هذه الامارات قديماً وحديثاً في الخط السياسي والاستراتيجية البريطانية وحول تشابك العلاقات بين سياسة كل من السعودية وايران الشاهنشاهية وبريطانيا في هذه المنطقة المهمة من الخليج العربي.

ويخلص من كل ذلك ليبرهن على أن التخوف

الذي أبداه الغرب من احتمال حدوث «فراغ» في المنطقة غداة الانسحاب العسكري البريطاني من الخليج في أواخر العام ١٩٧١ لم يكن يستند إلى أي أساس واقعي.

الفصل الأول: «دول الشاطئ المتصالح والمصالح الأمبريالية البريطانية» (ص ٢١ - ٨٦).

في هذا الفصل يتطرق المؤلف إلى العلاقات بين بريطانيا وهذه الدول من خلال التركيز على المصالح البريطانية في المنطقة وصراعها الخفي والعلني مع بقية الدول الكبرى يومها (فرنسا وروسيا وألمانيا ثم أميركا واليابان) لفرض هيمنتها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. وهو هنا يجمل الفترة كلها (١٨٩٢ - ١٩٧١) في الصفحات الستين الأولى مجزئاً اياها إلى ٣ مراحل تاريخية:

المرحلة الأولى (١٨٩٢ - ١٩١٨) تميّزت حسب رأي المؤلف بعدم تدخل بريطانيا في الشؤون المحلية للشيوخ والحكام والأمراء «مع بعض الاستثناءات» (مثلاً. «حادثة دبي» في أواخر ١٩١٠. ص ٣٢ - ٣٨). وذلك بسبب أن هذه المنطقة - وحتى الحرب العالمية الثانية - كانت تعتبر مجرد نقطة استراتيجية للدفاع عن الوجود البريطاني في الهند. ويفسر الكاتب سبب دخول بريطانيا المنطقة بكثافة بأنه جاء كنتيجة مباشرة لتعرّض بواخرها لهجمات المتمردين القواسمة. حكام هذه المنطقة يومها. في بداية القرن التاسع عشر. مما أدى إلى شن الحملة العسكرية البريطانية على مرافئهم في عُمان (١٨١٩). وبالتالي اخضاعهم للتوقيع على اتفاقية (١٨٢٠) تلزمهم بوقف الهجمات على السفن البريطانية.

المرحلة الثانية (فترة ما بين الحربين العالميتين وحتى أوائل الستينات). تميزت بالاهتمام المتعاظم لبريطانيا بالمنطقة وتدخلها المباشر في شؤون سكانها المحليين. وذلك لعدة أسباب أبرزها اكتشاف النفط في أبو ظبي (١٩٤٥) بعد عشر سنوات من بدء التنقيب عن الذهب الأسود فيها. ثم الانسحاب البريطاني من الهند (١٩٤٧). وكانت هذه الفترة من أقسى فترات الصراع المرير بين بريطانيا ومنافسيها الغربيين واليابانيين.

المرحلة الثالثة (أواسط الستينات وحتى الانسحاب العسكري في أواخر ١٩٧١):

عزا د. مرسي عبد الله أهم أسباب الانسحاب الذي أعلنت عنه الحكومة البريطانية منذ العام ١٩٦٨ إلى الوضع الداخلي البريطاني نتيجة الخلاف بين المتحمسين لاستمرار الوجود البريطاني في الخارج والمؤيدين لحصر



الحملة البريطانية ضد القواسمة في العام ١٨١٩

اهتمام بريطانيا بمشاكلها الاقتصادية الداخلية ومصالحها في أوروبا. ويذكر هنا أن المبعوثين البريطانيين في المنطقة كانوا يميلون للرأي الأول.

الفصل الثاني:

التحولات الداخلية (ص ٨٩ – ١٥٦):

يمكن أن نعتبر هذا الفصل. مع الفصول الثلاثة الأخرى. الجانب الآخر من اللوحة التاريخية التي رسم د. مرسي عبد الله خطوطها الكبرى في الفصل الأول. اذ هو يكشف لنا. في هذه الفصول. المسببات العميقة والحقيقية لتحول السياسة البريطانية تجاه دول المنطقة من مبدأ عدم التدخل المباشر في شؤونها الداخلية إلى التدخل المباشر فالانسحاب أخيراً.

يبدأ المؤلف حديثه عن الحرب الأهلية خلال أوائل القرن الثامن عشر بين قبيلة الحيناوي (وكانت على رأسها عشيرة آل بو فلاح) وقبيلة الغفيري (وكانت على رأسها عشيرة القواسمة القوية). وكان دور بريطانيا في تلك المرحلة العمل على استتباب نوع من التوازن بين القبيلتين ومنع أي واحدة منها من التغلب على الأخرى.

بعد الحرب العالمية الأولى شهدت المنطقة تحولات كبيرة أوجزها المؤلف كما يلي:

انشاء أول هيئة تمثيلية محلية (بلدية دبي).

تأثير الانتفاضات الشعبية في سوريا وفلسطين والعراق ضد الانتدابين الفرنسي والبريطاني وضد الوجود الصهيوني النامي. في مشاعر السكان المحليين الذين أخذوا يظهرون تململاً واضحاً من ضغط الوجود الأجنبي العسكري في بلادهم. ويلمح هنا في ايجاز شديد إلى «ثورة الشيحوح في رؤوس الجبال» (١٩٣٠) (ص ١١٢). ثم يبسط للعلاقات بين السلطة البريطانية وبعض الحكام المحليين أمثال:

عبد الرحمن بن محمد. حاكم حيراح (الشارقة) (ص ١١٤ – ١٢٠).

والشيخ سلطان بن سالم. حاكم رأس الخيمة (ص ١٢٠ – ١٢٦).

ثم يتحدث عن انتفاضة دبي و «حركة المجلس» (١٩٢٩. ١٩٣٨ – آذار (مــارس) – ١٩٣٩) (ص ١٢٦ – ١٣٣).

تأثير الثقافة والصحافة الوطنية في الدول العربية المشرقية والمغربية على السواء. وهنا لا بد من التنويه بجهود المؤلف في التنقيب عن خفايا زيارتين كان لها أثر بارز في التطور اللاحق للشعور القومي العربي لدى سكان الخليج:

الأولى زيارة الزعيم التونسي «الثعالبي» للخليج. اذ ذكر المؤلف. استناداً إلى استقصاءات شخصية قام بها. انه لمناسبة هذه الزيارة نظم الطالب أحمد بن سليم شعراً، ترحيباً بالزعيم التونسي ألقاه في حضوره. وبعد الانتهاء من القاء القصيدة تقدم الثعالبي من الطالب وقال له بالحرف الواحد: «يا ابني. لا تنس أنك شاعر عربي يافع. وفي المستقبل عليك أن تنظم شعراً للنضال العربي الأوسع من أجل التحرير والتقدم» (من مقابلة خاصة مع الشاعر أحمد بن سليم. ص ١١٢).

الثانية زيارة الأديب اللبناني أمين الريحاني للمنطقة. حيث التقى في العام ١٩٢٢ بالملك ابن سعود بناء على طلب «قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية. وذلك بهدف وضع تقرير واف عن الوضع الداخلي في المنطقة وعن العلاقات السعودية – البريطانية. حينها أتهمته بريطانيا بخدمة المصالح البترولية للشركات الأميركية واذكاء شعور العداء ضدها. فحاولت عرقلة مهمته (راجع ص ٢١٤. الهامش رقم ٣٢).

بعد الحرب العالمية الثانية حلل المؤلف ما سمّاه «التحولات البعيدة المدى والحاسمة للمنطقة» (ص ١٣٣ – ١٥٢) من خلال تمييزه بين ثلاث مراحل تاريخية:

مرحلة ١٩٤٥ – نهاية الخمسينات. حين بدأ تحديث الثقافة والتعليم وانتشار الوعي القومي العربي. خصوصاً بعد نجاح الثورة الناصرية في مصر. مما دفع بريطانيا إلى زيادة دورها المباشر في المنطقة.

مرحلة ١٩٦٠ – ١٩٦٦ حين اتسعت

اجراءات التحديث في أبو ظبي ودبي . وأصبحت دبي مركز ترانزيت ومركزاً تجارياً ذا شأن.

مرحلة ١٩٦٦ - ١٩٧١ . حين جاء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى الحكم وباشر بتحديث الادارة الحكومية وتوسيع المشاركة في الحكم لأعضاء العائلة المالكة والشخصيات المحلية البارزة والكوادر الجديدة الشابة . وبعد العام ١٩٦٩ تزايد نفوذ أبو ظبي وبقية الامارات بعدما أصبحت دولاً مصدرة للنفط .

ولكن أهم تطور داخلي في نظر المؤلف كان اندفاع سكان الامارات . منذ الاعلان البريطاني بالانسحاب . إلى الوحدة فيما بينهم وتخطي الخلافات القبلية والعائلية المتوارثة وكسر التوازن الهش الذي حاولت بريطانيا المحافظة عليه طوال السنين الماضية .

وهنا يعمد المؤلف إلى نشر ملخص المقابلات التي أجراها مع الشخصيات والسكان العاديين العرب والاجانب حول شعورهم السياسي وموقفهم تجاه السياسة البريطانية في المنطقة . مما يضفي على الدراسة بعداً اجتماعياً حياً قلما نجده في كتب التاريخ العربي الحديث .

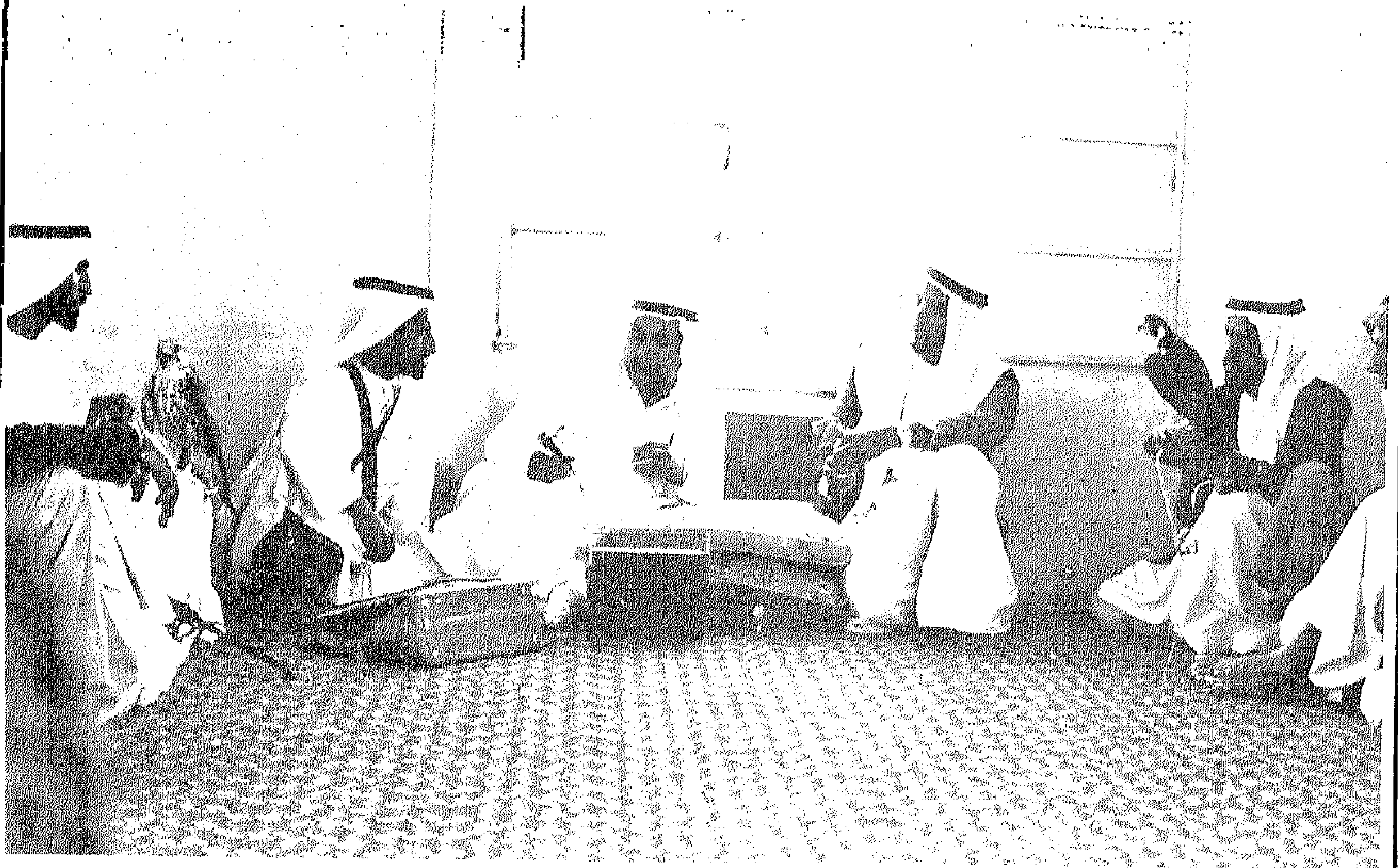
الفصل الثالث :

«الدول المجاورة للحدود الغربية لدول الشاطئ المتصالح » (ص ١٥٩ - ٢١٧) .

في هذا الفصل يركز المؤلف على علاقات دول الشاطئ المتصالح بجاراتها على حدودها الغربية وهي قطر والسعودية.

ينطلق د . مرسي عبد الله أولاً من مناقشة الصراع بين قطر والدولة العثمانية على منطقة العضيض (١٨٧١ - ١٩١٣) (ص ١٦٠ - ١٦٨) . لما لـه من أثر مباشر ،لاحقاً ، في الخلافات على الحدود بين قطر وأبو ظبي (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

ثم يتناول الخلافات على الحدود بين أبو ظبي والسعودية (١٩٢٣ - ١٩٣٩) بسبب احتمال وجود النفط في مناطقها . هذه الخلافات التي انتقلت بعد الحرب العالمية الثانية على واحات اللواء والبريمي وتجسدت في صورة الخلاف على رسم الحدود المشتركة بين البلدين (ص ١٨٠ - ٢١٢) . ولم تحل مسألة الحدود المشتركة هذه إلا في العام ١٩٧٥ .



د . مرسي عبد الله (مقابل آلة التسجيل) في احد لقاءاته الاستقصائية .



الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان و الامير فهد بن عبد العزيز أثناء التوقيع على اتفاق الحدود بين الدولتين في العام ١٩٧٥.

وفي هذا الفصل أيضاً يتطرق د. مرسي عبد الله في موضوعية صارمة وأمانة تاريخية مسؤولة إلى الدور البريطاني. المباشر وغير المباشر. في هذه الصراعات والنزاعات على الحدود. ويركز بشكل خاص على تحليل سياستي بريطانيا والسعودية تجاه دول الشاطئ المتصالح وقضاياها (ص ١٦٨ – ١٨٠). فيميّز بين أربع مراحل تاريخية:

١٩٠٢ – ١٩١٤/١٩١٤ – ١٩١٨/١٩١٨ – ١٩١٩
١٩٢٠ – ١٩٣٩

وهنا لا بد من الاشارة إلى ما كشفه. من خلال الوثائق السرية التي اطلع عليها المؤلف. عن دور ج. راندل. رئيس ادارة الشرق في وزارة الخارجية البريطانية بين ١٩٣٠ – ١٩٣٨. في هذه الصراعات (ص ١٩١ – ١٩٩). ويذكر أن راندل أصدر في لندن في العام ١٩٥٧ كتاباً بعنوان «السيف والزيتون

الفصل الرابع:

«بريطانيا وايران ودول الشاطئ المتصالح (ص ٢٢١ – ٢٨٨).

يتحدث د. مرسي عبد الله في هذا الفصل عن النفوذ الايراني في منطقة الخليج كلها. وخصوصاً المطالبة الايرانية بجزر سيري وطمب وأبو موسي. مما دفعها. عشية الانسحاب العسكري البريطاني من المنطقة (١٩٧١/١١/٣٠) إلى احتلال هذه الجزر بالقوة.

وهنا أيضاً يبرز المؤلف دور بريطانيا في التدخل في الشؤون الداخلية لدول الشاطئ المتصالح من خلال الدفاع في بادئ الأمر عن حق القواسمة في السيادة على هذه الجزر. مما أدى إلى اضطراب العلاقات البريطانية – الايرانية بين ١٩٢٩ و ١٩٣٥. ثم لاحقاً

من خلال التسليم باحتلال «الأمر الواقع» الايراني لها في أواخر ١٩٧١.

كما يعرض تاريخ العلاقات البريطانية – الايرانية (ص ٢٢٣ – ٢٢٩ . ثم ص ٢٤٦ – ٢٥٥) . ومراحل الصراع بين ايران ودول الشاطئ المتصالح على السيادة على هذه الجزر الاستراتيجية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى العام ١٩٧١ (ص ٢٣٣ – ٢٤٦. ثم ص ٢٥٥ – ٢٨٤).

الفصل الخامس:

«بريطانيا ومسقط ومسألة الحدود الداخلية للامارات» (ص ٢٩١ – ٣١٦).

يخص المؤلف هذا الفصل لعرض مسألة الحدود بين امارة القواسمة وسلطنة عمان ودور بريطانيا فيها. فيتحدث د. مرسي عبد الله بصراحة عن حقيقة وأسباب السياسة البريطانية في التمييز بين الامارات: لماذا اعترفت باستقلال رأس الخيمة (١٩٢١) (ص ٣١٠ – ٣١٢) وبالقليع (١٩٣٦) (ص ٣١٢ – ٣١٥). بينما رفضت الاعتراف مثلاً باستقلال الفجيرة الا متأخرة (١٩٥٢)؟

وهكذا اشتدت النزاعات حول الحدود بين الامارات:

– مسألة الحدود بين مسقط ودول الشاطئ المتصالح (ص ١٩٦ – ٣٠٧).

– مسألة الحدود بين الامارات نفسها (ص ٣٠٧ – ٣١٥).

هنا تدخلت بريطانيا لرسم الحدود بينها: وفي شباط ١٩٦٣ وضعت «ادارة الأبحاث في وزارة الخارجية البريطانية» أول خارطة لحدود دول الشاطئ المتصالح (التي أصبحت معظمها فيما بعد دولة الامارات العربية المتحدة).

وفي الخاتمة (ص ٣١٩ – ٣٢٣) يوجز د. مرسي عبد الله الخطوط الكبرى لبحثه الوثائقي هذا الذي يعتبر بحق أول محاولة عربية لتاريخ نشأة وتكوين دولة الامارات العربية المتحدة.

ولنا هنا الملاحظات التالية حول الكتاب نسوقها في ايجاز:

١ – استناداً إلى مقدمة المؤلف الذي يدعو الباحثين العرب فيها إلى مناقشة المعلومات الجديدة الواردة في الكتاب اضافة إلى متابعة رصد التطورات منذ العام ١٩٧١. فاننا نتمنى أن تتم ترجمة هذه الدراسة الوثائقية القيمة إلى اللغة العربية في أقرب فرصة تعميماً للفائدة. خصوصاً بعد التطورات الأخيرة في ايران وبدء عهد جديد في العلاقات الايرانية – العربية.

٢ – ان د. مرسي عبد الله في كتابه يتابع مسيرة أولئك المؤرخين العرب القلائل الذين آلوا على نفسهم ملاحقة ما خفي حتى اليوم من حقائق تاريخنا المجهول في خزائن الدوائر الأجنبية. وهو اذ استفاد قدر المستطاع من الوثائق الرسمية البريطانية وغيرها التي وضعت قيد التداول بعد فك الحجز عليها حسب «مبدأ» مرور الزمن. فانه يشير إلى بقاء كل الوثائق البريطانية بعد العام ١٩٤٥ طي السرية في انتظار وقت الافراج عنها. وهذا ما يدعونا إلى التريث في إطلاق الأحكام النهائية على بعض جوانب تاريخنا الحديث بعد الحرب العالمية الثانية.

٣ ان طريقة د. مرسي عبد الله في دمج وقائع التاريخ المدوّن بأخبار التاريخ المستندة إلى تجارب وذكريات شخصية تعتبر خرقاً جريئاً لذلك النمط من الدراسات التاريخية التي تكتب بعيداً عن حركة الواقع ونبض الحياة المتجددة. وهو بالتالي يقدم نموذجاً عملياً لما يجب أن تكون عليه الدراسات الأكاديمية العربية في هذا المجال.

٤ – ولعل الميزة البارزة في منهجية د. مرسي عبد الله هنا تتلخص في ربطه القضايا بعضها بالبعض الآخر: من السياسة إلى الاقتصاد إلى الثقافة والفكر، اضافة إلى تجنبه عرض تاريخ نشأة الدولة من خلال سيرة حكامها الشخصية، مما يضعه بجدارة في عداد المبادرين إلى اغناء علم التاريخ الاجتماعي العربي الحديث. ●

كتـ

● عصام نعمان
● إلى أين يسير لبنان؟
أبحاث ومشروعات في قضايا المصير والنظام السياسي.
● دار الطليعة – بيروت

عصام نعمان

إلى أين يسير لبنان؟

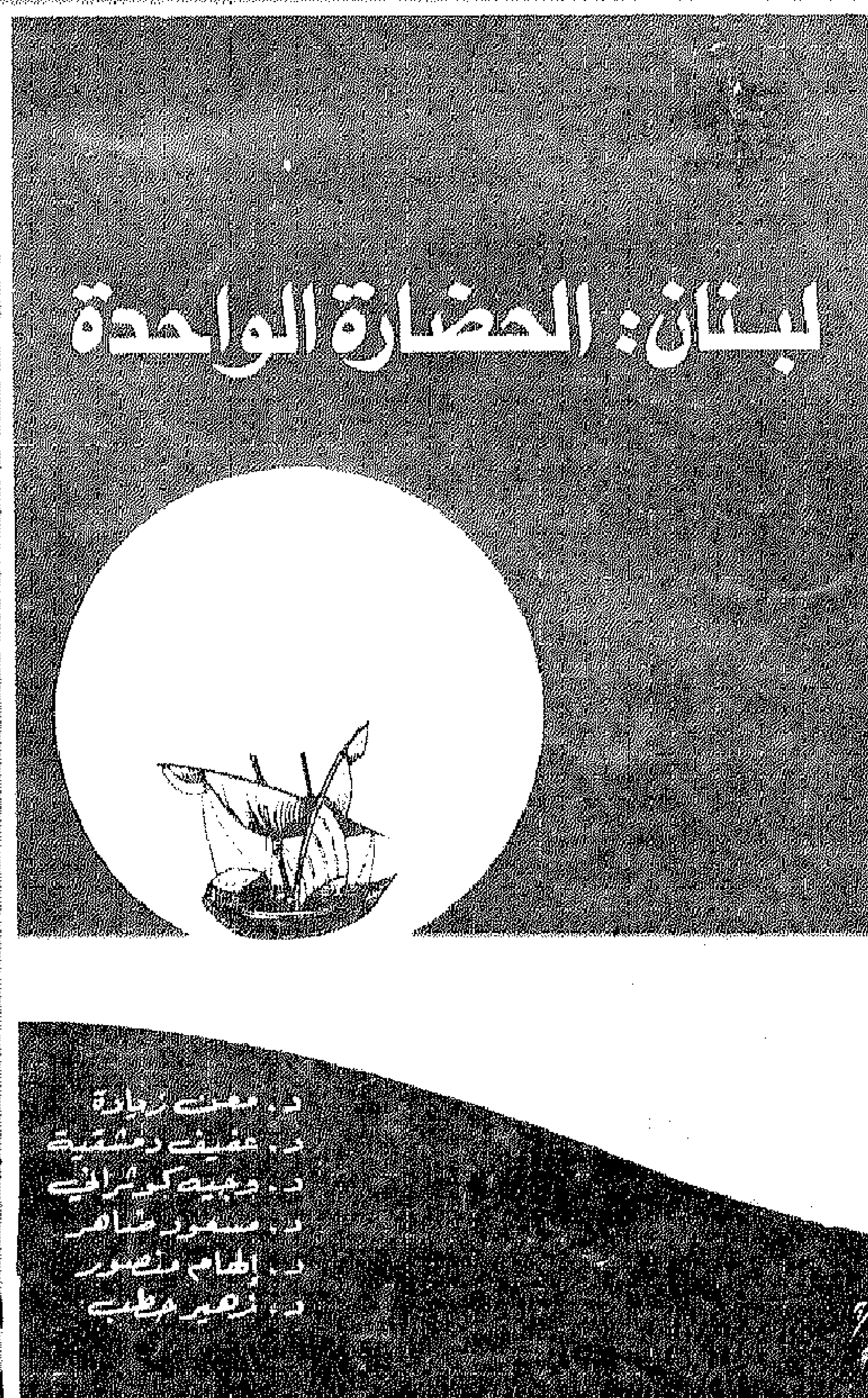
أبحاث ومشروعات في قضايا المصير والنظام السياسي

● «إلى أين يسير لبنان» لعصام نعمان، صدر أخيراً، عن دار الطليعة، بيروت، وهو يضم محاضرات ومقالات نشرت في «دراسات عربية» و«السفير»، و«المحرر» و«موندي مورننغ»، ومساهمات في ندوات علمية، بالاضافة إلى فصول كتبت خصيصاً للكتاب. الكاتب استاذ للقانون الدستوري في الجامعة اللبنانية.

نظرة سريعة على الكتاب: مفارقة ان النظام اللبناني سبق قيام الكيان اللبناني، ملامح هذا النظام، تحليل الرئيس الأسبق فؤاد شهاب قبل الانفجار حول التوازن الاجتماعي والناصرية والتنبؤ بالكارثة اللبنانية، مقترح قانون انتخابي: التمثيل النسبي الحزبي، رئيس للبنان لا للموازنة، احلال الضمانات الوطنية محل الامتيازات الطائفية، اعتماد اللامركزية الادارية وتعزيز التمثيل المحلي. والخطران اللذان يواجههما لبنان: الصهيوني والداخلي.

ويقدم الكتاب برسم حوار على مستوى الفكر السياسي مقترحات عديدة: مشروع تنظيم اداري جديد يقسم لبنان إلى ١٤ محافظة أو دائرة انتخابية، واقتراح بانشاء مجلس شيوخ، واحداث دستور جديد. واذا ارتئي الآن التمثيل الطائفي، يقدم مقترحاً جديداً للتوزيع الطائفي في مجلس النواب المؤلف من مائة وعشرين نائباً. كما يقدم الكتاب مقترح مشروع لالغاء الطائفية من مؤسسات الدولة ●

● مجموعة من الباحثين
● لبنان: الحضارة الواحدة
● النادي الثقافي العربي – لبنان



● «لبنان الحضارة الواحدة»، أصدره النادي الثقافي العربي، بيروت. وهو مجموعة محاضرات في اطار حلقة بالعنوان ذاته، قدمها عدد من الدكاترة.

– يبدأ الكتاب بمحاضرة د. معن زيادة، وهي محاضرة تبدأ بتحديد معنى الحضارة، والتساؤل عما اذا كانت في لبنان حضارة واحدة أم اثنتان، وتتميز المحاضرة باحتوائها بحثاً حضارياً جيداً ومهماً.

– د. عفيف دمشقية يتناول اللغة العربية كعنصر حضارة، ليس رثاء للغة، بل فهماً لها على انها وعاء لآراء وتطلعات وآمال، وأداة تواصل وتفاهم. وفي هذه المحاضرة أيضاً استعراض لحيوية اللغة العربية وتكيفها مع العلوم والتعبيرات والمصطلحات الحديثة. وهي بحث تاريخي لغوي.

– د. وجيه كوثراني. محاضرته هي عن تكون لبنان في اطار التجزئة الاستعمارية للمشرق العربي، وفيها بحث في الظروف التاريخية لتكوين لبنان، أولاً ضمن السلطنة العثمانية والخلفية الاقتصادية لذلك التكون، ثم ضمن سيطرة الرأسمالية الأوروبية ومشروعاتها للمنطقة، وحقيقة الجذور الجغرافية والسياسية للكيان اللبناني في القرن الماضي. ثم حقيقة العوامل التي سبقت الاستقلال ومهدت له.

– د. مسعود ضاهر: دستور لبنان الواحد ١٩٤٣، وتمهيد تاريخي عن كيفية وصول التطورات بالأمور إلى الميثاق، وخلاصة إلى القول انه ميثاق الطوائف اللبنانية، وليس ميثاق الوطن أو الشعب.

– د. الهام منصور: دور لبنان في حركة التحرر العربية ودورها فيه. مع شرح لتداخل حركات التحرر بين لبنان والعالم العربي.

– د. زهير حطب: لبنان الحياة الاجتماعية الواحدة. وهي تتحدث عن وحدة الوضع الاجتماعي. ●

معاهدة سيفر

أو الاتفاق على اقتسام الامبراطورية العثمانية

١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠

سعيد كرديه

● خرجت تركيا من الحرب العالمية الاولى دولة مغلوبا على امرها. وقد استغل الحلفاء المنتصرون هذا الوضع ليفرضوا عليها حلولا وقرارات دون استشارتها، لذلك توصلوا لا تخاذ عدة قرارات في باريس وسان ريمو تمخض عنها معاهدة سيفر في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠.

والدول التي وقعت هذه المعاهدة هي:

١ - تركيا من جانب

٢ - وبريطانيا - فرنسا - ايطاليا - اليابان - بلجيكا - اليونان - بولندا - الحجاز - رومانيا - البرتغال - الصرب - تشيكوسلوفاكيا من جانب آخر.

بنود هذه المعاهدة:

١ - الشروط الاقليمية:

أ - المناطق العربية: سلخت الولايات العربية عن الممتلكات العثمانية واعترف بمملكة الحجاز كدولة مستقلة. كما فقدت تركيا السيطرة على سوريا وفلسطين والعراق التي درس مصيرها في ما بعد بين الدول الحليفة.

ب - تركيا في أوروبة: أعطيت تراقيا الشرقية لليونان. في الوقت نفسه استلمت الحكومة اليونانية تراقيا الغربية من الحلفاء واصبحت العاصمة التركية اسطنبول تبعد ٢٠ ميلا عن الحدود اليونانية.

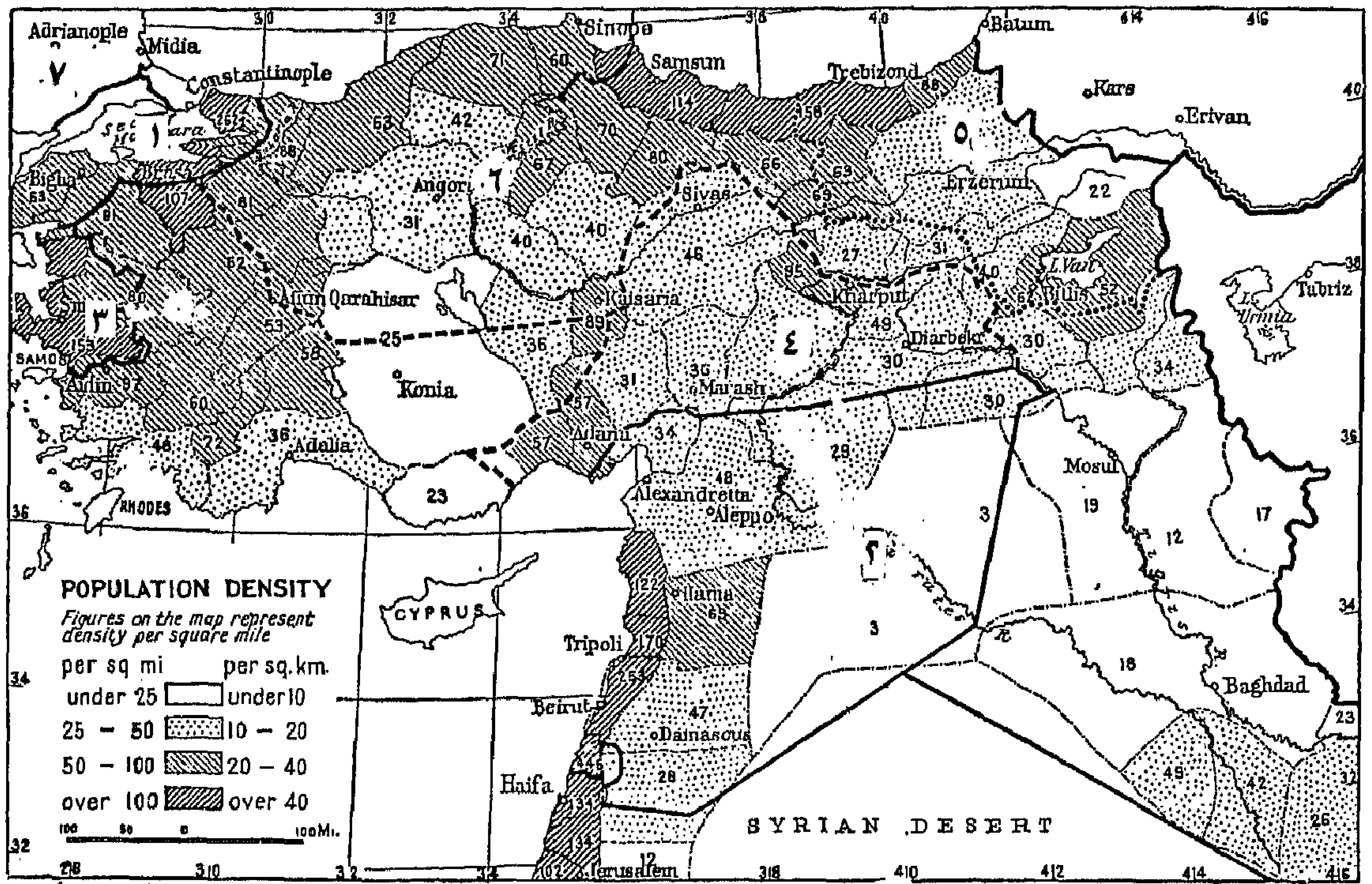
ج - ازمير وجزر ايجه: وضعت مدينا ازمير وجوارها تحت الادارة اليونانية لمدة خمس سنوات، يسمح بعدها لسكانها بواسطة استفتاء بالانضمام لليونان. كما اعطيت جزيرة اموروس وتندوس وبعض الجزر ذات الموقع الاستراتيجي في بحر ايجه لليونان. كما حصلت ايطاليا على جزر دوديكانز بما فيها جزيرة رودوس.

د - ارمينيا: اعترفت تركيا بأرمينيا كدولة مستقلة ذات سيادة.

هـ - كردستان: وافقت تركيا على منح المنطقة الكردية شرق نهر الفرات استقلالا ذاتيا. كما وافقت على ان ترضخ لكل التعديلات على الحدود مع ايران في المنطقة الكردية. وقد نصت الفقرة ٦٤ من المعاهدة على ما يلي:

اذا رغب الاكراد بعد سنة من توقيع هذه المعاهدة بالاستقلال عن تركيا وعرضوا هذا الموضوع على عصبة الأمم ورأت الاخيرة ان هذا الشعب جدير بالاستقلال فعلى تركيا ان تحقق رغباته.

و - اسطنبول ومضيقا البسفور والدردنيل: اكرهت تركيا على جعل مضيق



الخارطة :

منطقة ١ : منطقة المضائق واسطنبول

منطقة ٢ : منطقة النفوذ الفرنسي

منطقة ٣ : منطقة ازمير وجوارها التي اصبحت ملك اليونان

منطقة ٤ : منطقة النفوذ الايطالي

منطقة ٥ : ارمينيا

منطقة ٦ : ما تبقى من تركيا

منطقة ٧ : تراقيا الشرقية لليونان

البسفور والدردنيل ممرين دوليين والمناطق المجاورة لها مناطق منزوعة السلاح. وبقيت اسطنبول العاصمة تحت السيطرة التركية.

٢ – الشروط العسكرية : حدد الجيش التركي بـ ٥٠٠٠ جندي. ونتيجة لذلك الغيت الخدمة العسكرية ووضع حد للتسلح. كما حدد عدد السفن والبوارج في الاسطول الحربي، وألفت لجنة من قبل الحلفاء تراقب تنفيذ هذه الشروط.

٣ – الشروط المالية : رضخت تركيا فقبلت مراقبة بعيدة المدى من قبل بعثة تمثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا. هذه البعثة مهمتها المراقبة والسيطرة على الديون الخاصة العثمانية – الميزانية – النقد والعملة – القروض الخاصة – الجمارك والضرائب غير المنظورة.

٤ – مسألة الاقليات : اجبرت تركيا في هذه المعاهدة على احترام حقوق وامتيازات الاقليات الدينية الموجودة على أراضيها وبصورة خاصة الارمن، واليونان والسريان والكلدان واليهود والاكراد والمسيحيين بوجه عام.

كما ضمنت هذه المعاهدة استسلام تركيا للدول الحليفة بقوة السلاح دون قيد أو شرط وانهاء حالة الحرب.

وفي الوقت نفسه وقعت معاهدة ثلاثية بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا تتناول تقسيم الاراضي التركية في الاناضول الى منطقتي

نفوذ، احداهما فرنسية والأخرى إيطالية. وقد اتفق ان المنطقة الفرنسية هي نفسها المحددة في اتفاقية سايكس - بيكو. والمنطقة الايطالية تغطي المنطقة التي أعطيت لايطالية في جنوب غرب الأناضول طبقا لاتفاق لندن البحرى الذي عقد اثناء الحرب، ما عدا مدينة ازمير. وجدير بالذكر ان تركيا لم تكن ممّن وقّع على هذا الاتفاق رغم أنها تأثرت به سياسيا.

تعد معاهدة سيفر تجسيداً للأمبريالية على حد قول المؤرخ الاميركي الدكتور جورج لنتشوفسكي، ومذلة للأتراك إذ حولت دولتهم الى دولة صغيرة ذات حدود ضيقة وسيادة مضعضعة وضعيفة. فلم تكتف هذه المعاهدة بسلخ المناطق غير التركية عن الدولة العثمانية بل قضت بالاحتلال والسيطرة على الاناضول التركي نفسه. كما أثارت هذه المعاهدة استنكارا شديدا بين أفراد الشعب التركي ودفعت بعض العناصر الوطنية الى التكتل والاعلان عن أنها تقبل بالتنازل عن الاراضي العربية ولكنها ترفض ان تفرط في وحدة شبه جزيرة الاناضول وسيادتها واستقلالها لأنها موطن الاتراك. ●

المراجع والمصادر

- لنتشوفسكي جورج G-Lenczowski، الشرق الأوسط في شؤون العالم.
- عرمجاني، يمن: الشرق الأوسط ماضٍ وحاضر.
- مانسفيلد، بيتر: العالم العربي.
- الموسوعة البريطانية.



فرنسا تنظم بطولة ١٩٣٨ والكرة الايطالية المتجددة تنتصر

رفيق علم الدين

● على رغم الوضع السياسي المضطرب في أوروبا عشية الحرب العالمية الثانية، اشتركت ١٦ دولة في بطولة كأس العالم لكرة القدم التي جرت في العام ١٩٣٨ على الملاعب الفرنسية. ويلاحظ في هذه البطولة الثالثة غياب مصر التي اشتركت في الدورة السابقة، واشتراك الفريق الكوبي الناشىء للمرة الأولى في البطولة. كما يلاحظ ان الفريق النمساوي اضطر للاندماج «حبياً» في الفريق الهتلري بعدما كانت المانيا قد احتلت النمسا وضمتها اليها قبل أشهر قليلة.

الفريق الايطالي بعد الفوز ويبدو «العراب» فيتوريو بوتزو حاملاً الكاس وعلى يساره بيولا.

● منذ البدء لم تكن فرنسا المضيفة تأمل في احراز الكأس. وذلك بسبب ان كرة القدم فيها لم تصبح لعبة محترفة رسميا الا في العام ١٩٣٢.

كانت كل التكهنات يومها تشير إلى احتمال انتصار الفريق البرازيلي في سهولة. وهو الفريق الذي ضم اللاعب الناري ليونيداس، أفضل سلف لبيليه، فمنذ اليوم الأول لوصول الفريق البرازيلي إلى فرنسا كانت الانظار المتجهة إليه تزيده غروراً واعتزازاً بالنفس. طبعاً استندت هذه التكهنات إلى واقع كون اعضاء هذا الفريق الاميركي الجنوبي «ظاهرة رياضية» في كل معنى الكلمة: تحركهم وسط الملعب كان أشبه برقصة السامبا، وتكتيكاتهم بدت وكأنها خططت على يد ساحر بارع.

ولكن عندما وصل الفريق البرازيلي إلى الدور نصف النهائي ليواجه الفريق الايطالي لم تعد الترجيحات تميل إلى الجانب الأول: فالبرازيليون انتصروا بصعوبة على البولونيين (٦-٥)، ثم تعادلوا بصعوبة مع التشيكوسلوفاكيين (١-١)، بينما ربح الايطاليون في سهولة مباراتهم الأولى مع النروجيين (٢-١) ثم مباراتهم الثانية مع الفرنسيين (٣-١).

وعلى رغم ذلك صرح مدير الفريق البرازيلي، بيانتا، عشية الدور نصف النهائي:

«في هذه المباراة مع ايطاليا سنريح لاعبينا استعداداً للبطولة». فشكّل هذا التصريح بالطبع إهانة للفريق الايطالي الذي كتم غيظه وفجره في المباراة ففاز (٢-١).

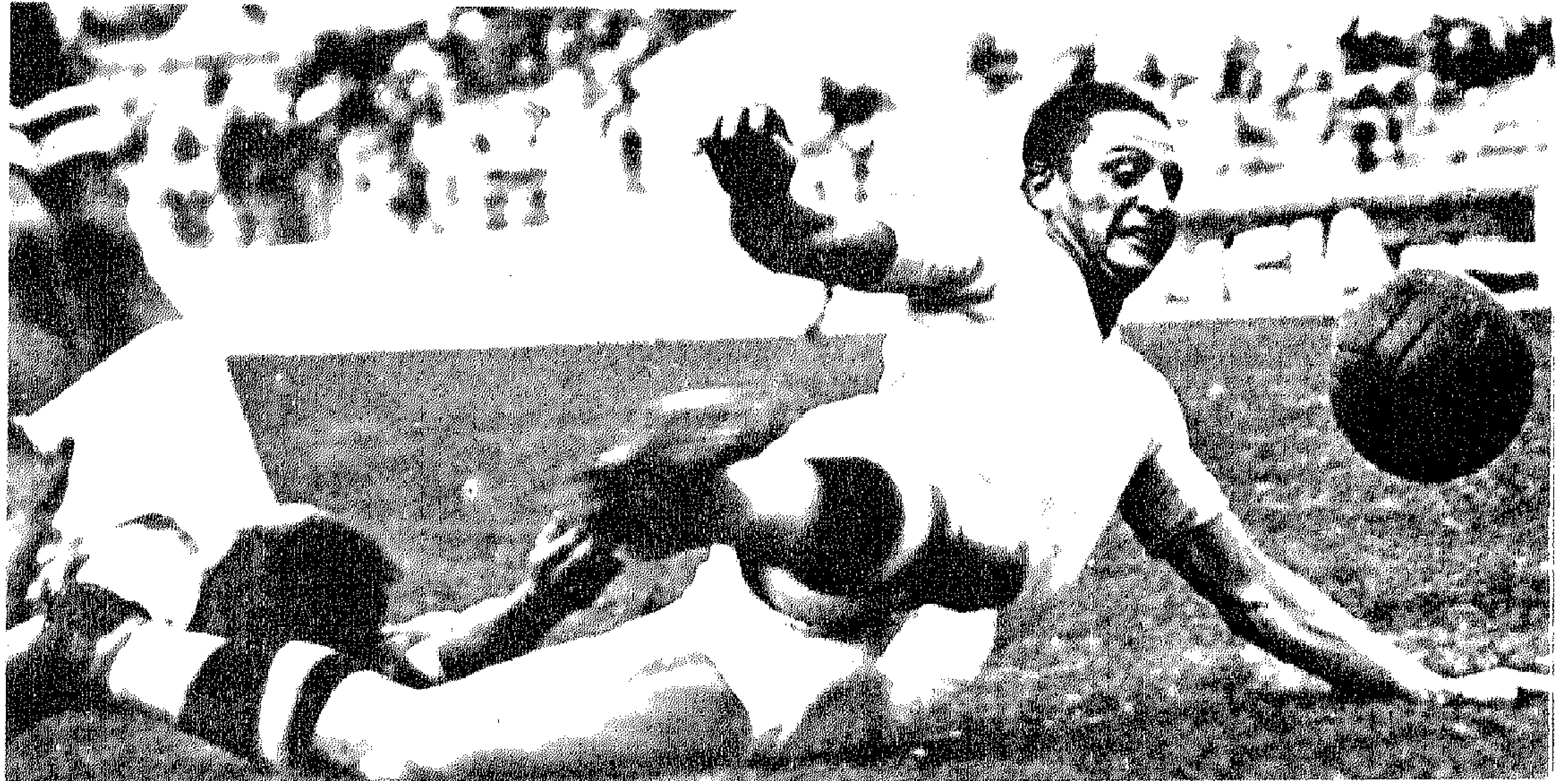
أما بيانتا، وهو محام سابق، فاضطر لتأجيل عودته إلى بلاده خوفاً من غضب مستقبليه.

مقابل الفريق الايطالي، فاز في الدور نصف النهائي فريق هنغاريا الذي لم يلق صعوبة تذكر في مباراتيه مع «الهند الهولندية» - اليوم اندونيسيا- (٦ - صفر) ومع سويسرا (٢ - صفر) ثم في مباراته مع السويد (٥ - ١) في الدور نصف النهائي.

وفي التاسع عشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٨ تقابل الفريقان الايطالي والهنغاري في باريس: الأول بادر إلى اتباع تكتيك الهجوم الخماسي المنظم، أما الثاني فتمسك برصانة الهجوم الشائع يومها والمستند إلى التمريرات القصيرة المتزنة.

فانتصرت الكرة الايطالية المتجددة على الكرة الهنغارية الكلاسيكية (٤ - ٢).

ومرة أخرى انتصرت ايطاليا الفاشية، ومرة أخرى انشرح صدر الدوتشي لفوز فريقه الرياضي متمنياً في الواقع لو استطاع تجيير هذا الفوز لـ «فريقه العسكري» الذي كان يستعد مع حلفائه للحرب العالمية الثانية بعد أشهر قليلة. ●


الايطالي بيولا الذي سجل ٥ أهداف في هذه البطولة فاستحق الطائرة الخاصة التي وضعها موسوليني في تصرفه.

المسابقة الرياضية

١ – عداء عربي فاز بالمدالية الذهبية في إحدى مسابقات العدو . في دورة بنكوك للالعاب الاسيوية فمن هو؟

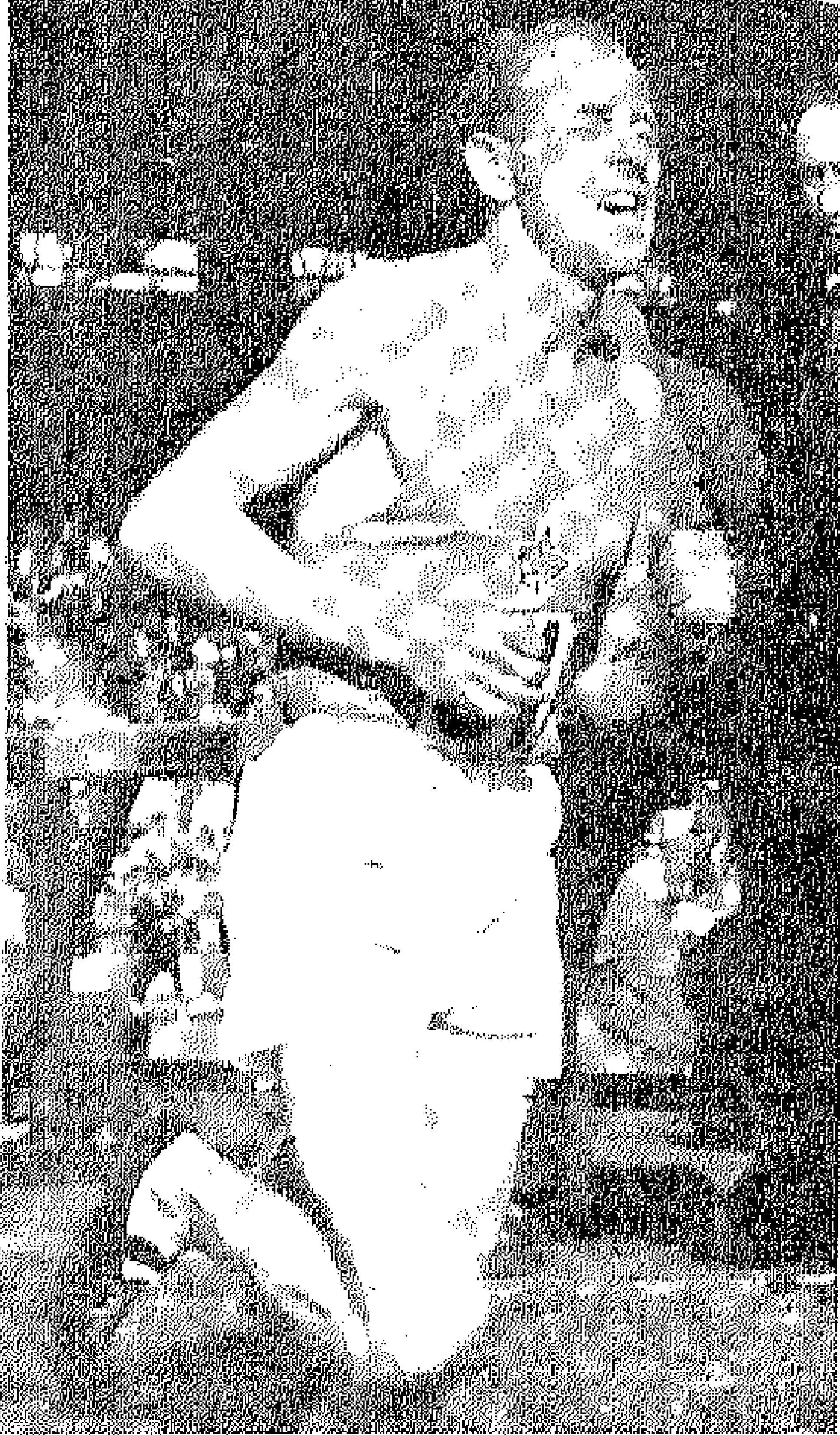


٢ – سباح وممثل اميركي نمساوي الاصل . مولود في شيكاغو سنة ١٩٠٤ يعتبر أعظم السباحين المعروفين في تاريخ الرياضة . فاز خمس مرات ببطولة الالعاب الاولمبية لسباق المائة متر . والاربعمائة متر . والتتابع ٤×١٠٠ متر في العاب باريس ١٩٢٤ . كما في ألعاب امستردام سنة ١٩٢٨ . في سباقي المائة متر والتتابع . بطل الولايات المتحدة ٥٢ مرة . وحطم ٦٧ رقماً عالمياً في السباحة . وكان أول رجل يجتاز المائة متر في أقل من دقيقة . ومع ذلك كان يخاف من الماء . فمن هو؟



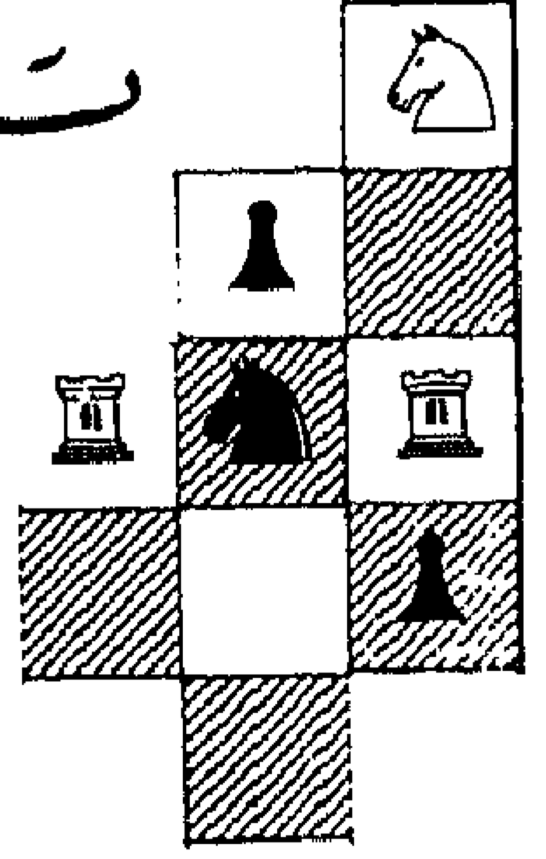
٣ – لقب بالقاطرة البشرية . هو عداء تشيكي ولد في سنة ١٩٢٢ . ويعتبر واحداً من أعظم الرياضيين قاطبة .

وكان اول رجل اجتاز اكثر من عشرين كيلو متراً في ساعة من الزمن . وذلك سنة ١٩٥١ . وهو العداء الوحيد الذي فاز في دورة واحدة من الألعاب الاولمبية في سباقات الخمسة الأف والعشرة آلاف متر والماراتون معاً . وفي سنة ١٩٥٤ كان صاحب الارقام القياسية العالمية في سباقات كل المسافات المتراوحة بين ٥٠٠٠ متر و ٣٠ كيلو متراً .



الجوائز :

- الفائز الأول : مائة ليرة لبنانية .
- الفائز الثاني : اشتراك سنة في المجلة .
- الفائز الثالث : اشتراك نصف سنة في المجلة .



تاريخ الشطرنج

اشهر اللاعبين في القرن الثامن عشر

محمد مراد بكر

● أشهر لاعبي الدرجة الأولى في القرن الثامن عشر كانوا : المركيز «دي غروسميني» وأخوه «دي لاغال»، لو شوفالييه «دي فيرون». ولو شوفالييه «دي سون»، مؤلف كتاب عن الشطرنج. أما أشهر لاعبي الدرجة الثانية فقد كانوا : الشانسولييه «داغيسو» وولده الرئيس «دي نيقولاي». دوق «مونتمارتر». دوق «دي ميروبوا»، الأب «شينارد». الأب «مايو». «فوبير دي سان بول» وغيرهم.

ويروى عن داغيسو، انه كان يلعب مع لاغال الشطرنج، فطلب الأخير من الأول مركزاً لأحد أصدقائه فلم يقبل الأول إلا بعد جولة في الشطرنج يربحها الأخير.

ويذكر المركيز «دي شاتر» في كتابه الذي صدر عام ١٧٠٩ في ليون في فرنسا ان المركيز «دي براسلان» وكان من أحسن لاعبي الشطرنج، قد سأله

يوماً إذا كان يلعب الشطرنج، هذه اللعبة التي تلقى الاحترام الكلي في اسبانيا والبرتغال، ثم أضاف معلقاً على وضع القطع في هذه اللعبة العقلية والروحية، ويقصد بذلك الشاه والوزير والحصان والفيل، القلع والبيادق، هذه هي لعبة الحرب والملوك فليس هناك شيء في العالم يستطيع أن يفهمنا مصير الرؤساء الذين تخذلهم جنودهم حتى الموت مثل الشطرنج، حيث تجد الملوك والفرسان والفيلة والبيادق في هرج ومرج مع القلع في نهاية كل جولة.

ويروى شوازي في كتابه «حياة الكاهن دو شوازي» الصادر في لوزان وجنيف سنة ١٧٤٨ ص٣ الطرفة التالية :

والد الكاهن دو شوازي كان فلاحاً، وقد دخل القصر الملكي بطريقة فريدة تمت كما يلي : كان يوماً عائداً من قرية تدعى باليروا من مقاطعة النورماندي، عندما التقى في مولان المركيز، (لم يذكر الكاتب اسمه) وكان المركيز يعمل أميناً للمالية في القصر، وبعد التعارف والعشاء قاموا بجولة في الشطرنج، ولم يكن شوازي غبياً، فترك المركيز يربح منه. ورأى المركيز فيه لاعباً قوياً، لين الطباع فقام بادخاله إلى القصر وأوكل اليه أهم القضايا، وسر الملك هنري الثالث به وجعله مستشاراً للدولة، وأحبه فيما بعد الملك هنري الرابع وسمح له بمشاركته في أوقات اللهو.

كوندي المتوفى سنة ١٦٨٦ كان من هواة هذه اللعبة، يمارسها بانتظام، وخصوصاً عشية أغلب المعارك الكبيرة التي كان يقودها، وقد نقل اللعبة إلى أفراد الجيش. وتذكر مطبوعة «التسليات البريئة» المنشورة سنة ١٦٩٤، رأى الأمير كوندي في الشطرنج اذ يقول : لكي تصبح جنرالاً ناجحاً يجب أن تبدأ بتعلم الشطرنج.

كونتند ورفيل والمركيز دي بولي في كتابهما عن الحياة الخاصة للفرنسيين المنشور في باريس سنة ١٧٧٩ ص ٣٨٤ يمدحان الشطرنج ويقابلان بينه وبين الموسيقى «على كل ليس في الشطرنج سوى ١٦ حجراً من كل جهة، ثمانية مهمة وثمانية تابعين ورقعة يسرحون عليها لا تحوي سوى ٦٤ خانة، وكذلك في الموسيقى، لا يوجد سوى ست إلى سبع أوزان، ١٢ أو ١٣ نغماً يمكن وضعها في خمسة أسطر ولكن من الممكن بعد دمجها خلق أصعب الانغام الموسيقية المتنوعة، وكذلك في الشطرنج تستطيع اجراء نقلات لا حد لها فوق هذه الرقعة الصغيرة وبواسطة هذا العدد المحدود من الأحجار. وقد نقلت مجلة البلاميد سنة ١٨٤٣ جولة لعبها الأمير دي كونتي مع المفكر الفرنسي الكبير جان جاك روسو.



نابليون بونابرت

أثناء غزوه لموسكو لعب نابليون مع مورا، بوريان، برتييه ودوق باسانو ويقول هذا الأخير ان نابليون كان يبدأ الجولة بشكل رديء، ولكن سرعان ما تستفيق عبقريته في نصف الجولة، كما كان يحسب ثلاث أو أربع نقلات مسبقاً مع امكاناتها كافة. وكان نابليون في أكثر غزواته يمضي أوقات فراغه بلعب الشطرنج.

في جزيرة سانت هيلين، كان يلعب كل يوم جولة. نابليون الثالث كان يلعب الشطرنج في بريطانيا، وكانوا يتعتبرونه من المهرة في هذه اللعبة.

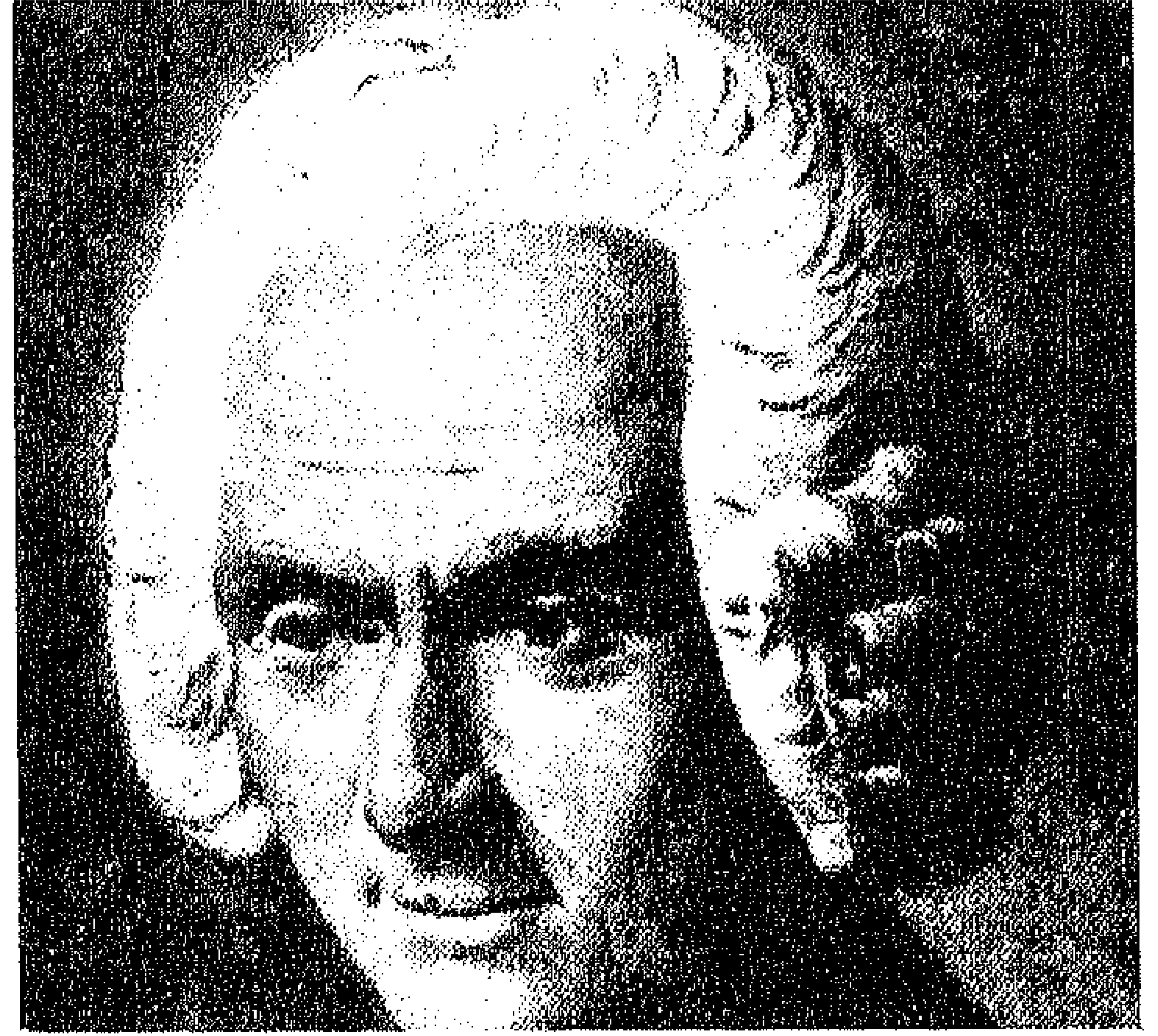
* * *

بول الأول امبراطور روسيا، في احدى رحلاته إلى باريس، ذهب إلى مقهى الريجانس متخفياً باسم كونت الشمال وكانت الساعة الرابعة، أي في الوقت الذي يكثر فيه لاعبو الشطرنج، فجلس قرب لاعبين وراهن على نقلة صعبة، فربح الرهان، وكان مبلغ لوي ذهباً. فأخذ المال وانصرف. إلى ذلك الحين لم يكن يعرفه أحد، ولكن دهشة الساقي في المقهى هي التي كشفته، ذلك ان الامبراطور عند خروجه أعطى ما ربحه بقشيشاً للساقي

ويروي ادوار فورنييه سنة ١٨٦٤ في كتابه «يوميات وروايات قصص باريس» ص ٢٦٠ إلى ٢٦٢ القصة التالية وان لم يصر على صحتها: دخل روبسبيير مقهى الريجانس كعادته وجلس خلف طاولة الشطرنج. واذا بشاب أنيق المظهر جميل الثياب يجلس قبالته دون استئذان، ويقوم بتقديم «حجرة» على الرقعة الموجودة أمام روبسبيير، فأجابه الأخير. وبدأت الجولة لتنتهي لصالح الشاب، فطلب جولة أخرى فوافق الشاب، ولكنه خسرها أيضاً، فشعر بكبريائه قد خدش من قبل شاب صغير لم يسبق له أن دخل المقهى، فما كان منه إلا أن سأل الشاب، ماذا كان الشرط، فأجابه الشاب دون تردد، رأس رجل وقد ربحته فأعطني إياه، سحب روبسبيير ورقة من جيبه ليكتب أمراً بالافراج عن الكونت (ر.)، لم يذكر اسمه كاملاً، الذي كان سجيناً، وسأل الشاب وهو يقدم له الأمر: وما دخلك أنت بهذا الكونت، فقام الشاب بكل لطف وانحنى قائلاً: أنا خطيبته يا مولاي.

جان جاك روسو، المفكر الكبير المتوفى سنة ١٧٧٨، يروي في اعترافاته (مذكراته) كيف تعلم الشطرنج فيقول:

كان هناك شخص من جنوا يدعى بانيير عمل موظفاً في قصر بيير الكبير في روسيا، وكان من أسوأ الرجال ومن كبار المجانين الذين لم أر مثلهم في حياتي. يروي دائماً عن مشاريع وهمية مجنونة مثله تدر الملايين مثل المطر. جاء هذا الرجل يوماً إلى شامبري لتصريف بعض القضايا فالتقى بوالدتي وأغرقها برواية مشاريعه الوهمية وأخذ بيير منها ما أدخرته فلساً بعد فلس، ولم أكن أحبه، إذ لم يترك شيئاً حقيراً لم يقم به، وفي يوم اقترح علي ان يعلمني الشطرنج الذي يعرفه قليلاً فحاولت غصبا عني، وبعد جهد تعلمت نقل الأحجار، ولكن سرعان ما تقدمت بالجلسة الأولى، إذ استطعت في آخر الجولة أن أعطيه الرخ الذي كان يمن علي به عند بدء الجلسة، وهكذا أحببت الشطرنج، فذهبت إلى السوق ابتاع رقعة وكتباً عن الشطرنج، وجلست في غرفتي أمضي الأيام والليالي أحفظ عن ظهر قلب الجولات وأعيد لعبها غيباً، وبعد شهرين أو ثلاثة من هذا العناء والتعب غير المعقول، ذهبت إلى المقهى أصفر الوجه نحيلاً من كثرة الارهاق لألاعب السيد بانيير هذا، فغلبني مرة، مرتين عشرين مرة، خطط كثيرة دارت في رأسي، ولكن خيالي لم يكن



جان جاك روسو

يسعفني، ولم أكن أرى الا غيمة أمام عيني، في كل مرة كنت أجهد مع كتاب فيليدور وكتاب ستاما، وأتمرن على دراسة كافة الجولات، ولكن الشيء نفسه كان يحدث معي في كل مرة، وبعد ان أنهكني التعب وجدت نفسي أضعف من السابق وأيقنت اني لم أتقدم خطوة واحدة عما تعلمته في الجولة الأولى. وكنت أرى نفسي دائماً في المكان نفسه الذي انتهت به الجولة الأولى. وقلت في نفسي لو اني تمرنت آلاف القرون فلن أستطيع أن أعطي شيئاً أكثر من عطاء الرخ لبانير. لذا تركت الشطرنج.

أما فولتير المتوفى سنة ١٧٧٨ فيروى عنه أنه كان ماهراً في الشطرنج، وكان إذا لعب لا يلهيه شيء عن الجولة وكان يلعب دائماً مع الأب آدام.

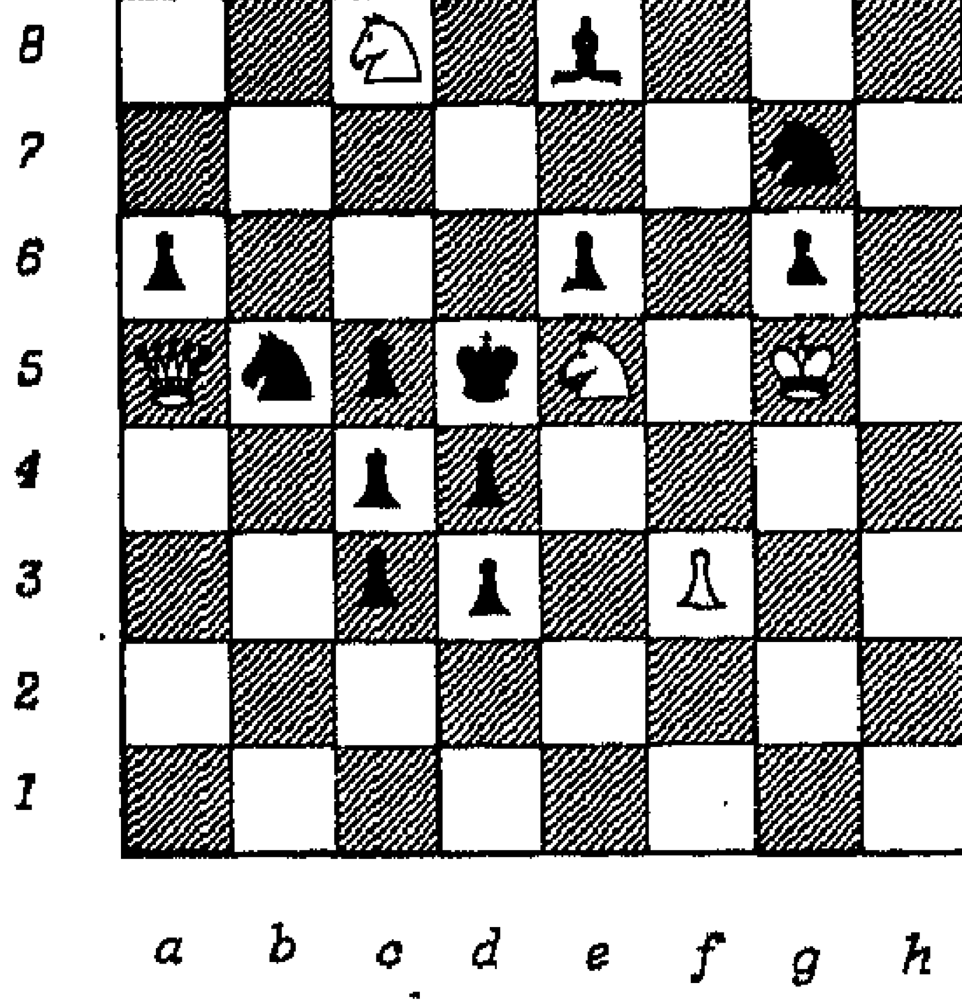
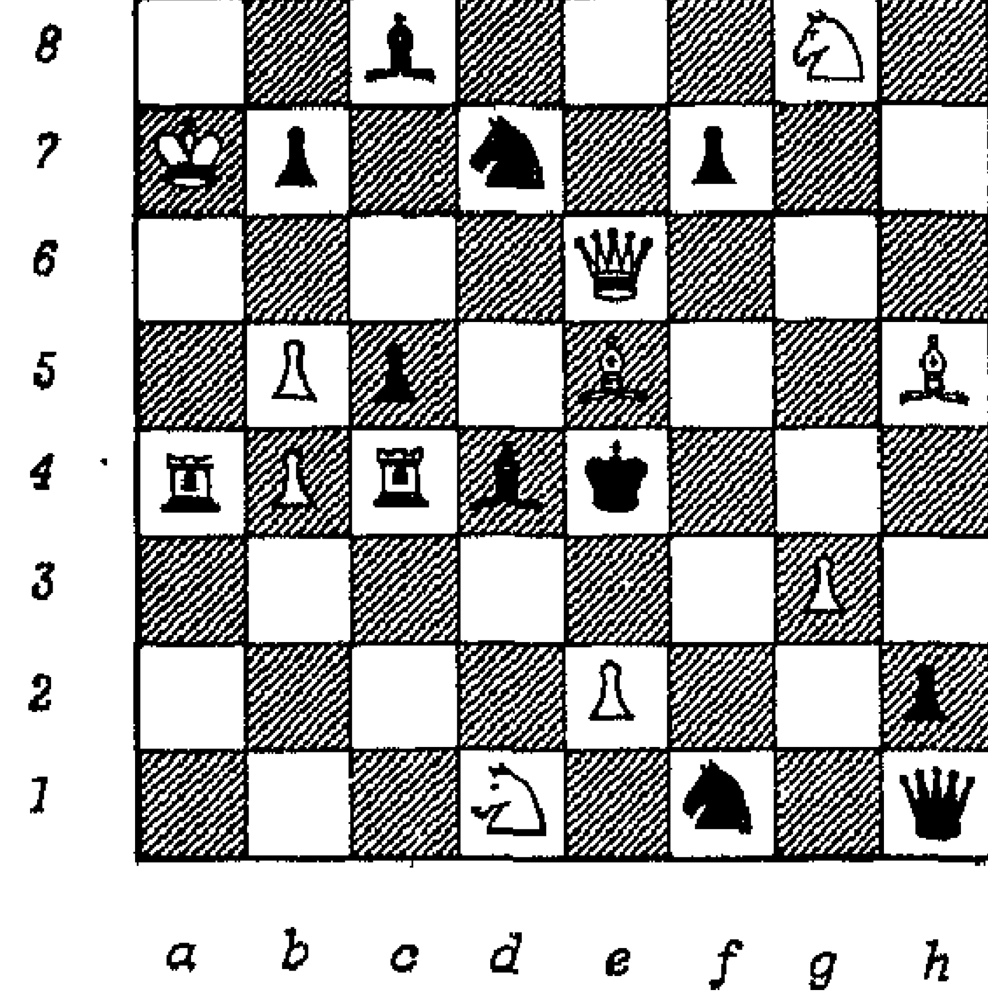
يروي ريشيه كاهن سينون، في كتابه «تاريخ رعيته» القصة التالية: كان فيران، كونت دي فلاندر يسيء معاملة زوجته اذا ما ربحت منه في الشطرنج. وقد جرت معركة بوفين في ١٢١٤/٧/١٢ على أثر جولة مشابهة، اساء فيها معاملة زوجته، فوقع أسيراً وأقتيد إلى باريس يرسف بالأغلال في يديه ورجليه، وسجن في قلعة اللوفر، وخلا الجو (كما يقول الكاتب) لزوجته الكونتيسة جان لتدير أملاك زوجها وتلعب الشطرنج مع شخص أكثر لياقة في معاملة النساء.

ويروي دوسير في كتابه «جردة عامة لتاريخ فرنسا» في المقطع الخاص بحياة فيليب الأول، انه على أثر اهانة من قبل لويس، الذي أصبح فيما بعد لويس السادس، لهنري ابن غيوم، وقعت حرب طويلة بين الافرنسيين والانكليز سنة ١١١٦. وتفصيل الخبر ان روبير وهنري أولاد الغازي غليوم الفاتح عندما كانوا في مقاطعة النورماندي، قاموا بزيارة ملك فرنسا فيليب الأول الذي كان في «كونفلان»، حيث مكثوا عدة أيام، ولما كان هنري يحب الشطرنج فقد قام بعد العشاء يلاعب لويس ابن فيليب الشطرنج. وكان هنري بارعاً، اذ استطاع بعد مناورات سريعة أن يقود الجولة لصالحه، ولما رأى لويس الخسارة على قاب قوسين أو أدنى، استشاط غيظاً، وحمل الرقعة ليقذفها بوجه هنري ملقباً إياه بأبن الزانية، وتفادى هنري الرقعة بيده وبعد التقاطها قام يضرب بها لويس بشدة أدمته وأحب أن يكمل عليه لولا ان امسك به أخوه. وهكذا اضطر الأخوان للهرب خوفاً من الملك. وكانت هذه الواقعة سبباً في حرب طويلة كما أسلفنا. رويت هذه القصة مرة أخرى في الصفحة ١١٨ من كتاب تاريخ ويوميات نورماندي (روان ١٥٨٩).

في سنة ١١١٩ بعد هزيمة الافرنسيين في «برينيفيل» وهربهم من الدوق حاكم النورماندي. أخذ جندي انكليزي بمقود حصان الملك لويس صارخاً. أسرنا الملك. فأجابه الملك ضاحكاً. ألا تعلم أنه حتى في الشطرنج لا يأسرون الملك واتبع ذلك بضربة بقبضة حسامه أردت الجندي قتيلاً في الحال.

ويروى عن نابليون الأول قبل أن يصبح امبراطوراً، انه كان يذهب أحياناً إلى مقهى الريجانس ليلعب الشطرنج. وكان خصمه كثير التفكير قبل كل نقلة. ولكنه لم يكن يستطيع لجم عصبيته. فكان يعض شفتيه حينا ويضرب الأرض برجليه تارة أخرى. وأحياناً كان يضرب بيده على حافة الرقعة كما يفعل ضارب الطبل. ويشتد الضرب إلى درجة تجعل القطع تتراقص على الرقعة. أما اذا خسر فانه كان يضرب الطاولة بقوة بقبضة يده وكثيراً ما كانت القطع تطير من شدة الضربة. ولكن نابليون مع ذلك كان يقوم بمناورات بارعة في الشطرنج شأنه في الحروب. وكثيراً ما كان يلعب الشطرنج عند جوزفين. وفي: مصر كان نابليون يلعب الشطرنج مع السيد بوسييلغ. قائد جيش الشرق أو مع اميدي جوبير ولكن الأول كان أحسن لعباً وكثيراً ما ربح ضد قاهر الاهرام.

أثناء غزوه لبولونيا، قدموا له سفير الفرس فسمح باللعب امامه مع برتييه وكان نابليون أحياناً، يقوم بصورة غير شعورية بتحريك القطع عوضاً عن اللاعبين. ●

المسألة رقم ١٤	المسألة رقم ١٣
	
مات بثلاث نقلات	مات بنقلتين

حل المسابقة رقم ٥

المسألة رقم ٩ : المفتاح : cxg2

المسألة رقم ١٠ : المفتاح : Fd4

أمام الأسود ثلاث امكانات ويربح الأبيض في كل مرة

الامكانية الأولى : 1 — Fd4 cf6
2— Rç2

الامكانية الثانية : 1 — Fd4 Cf4
2 — Rd2

الامكانية الثالثة : 1 — Fd4 Cg4
2 — RÇ4.

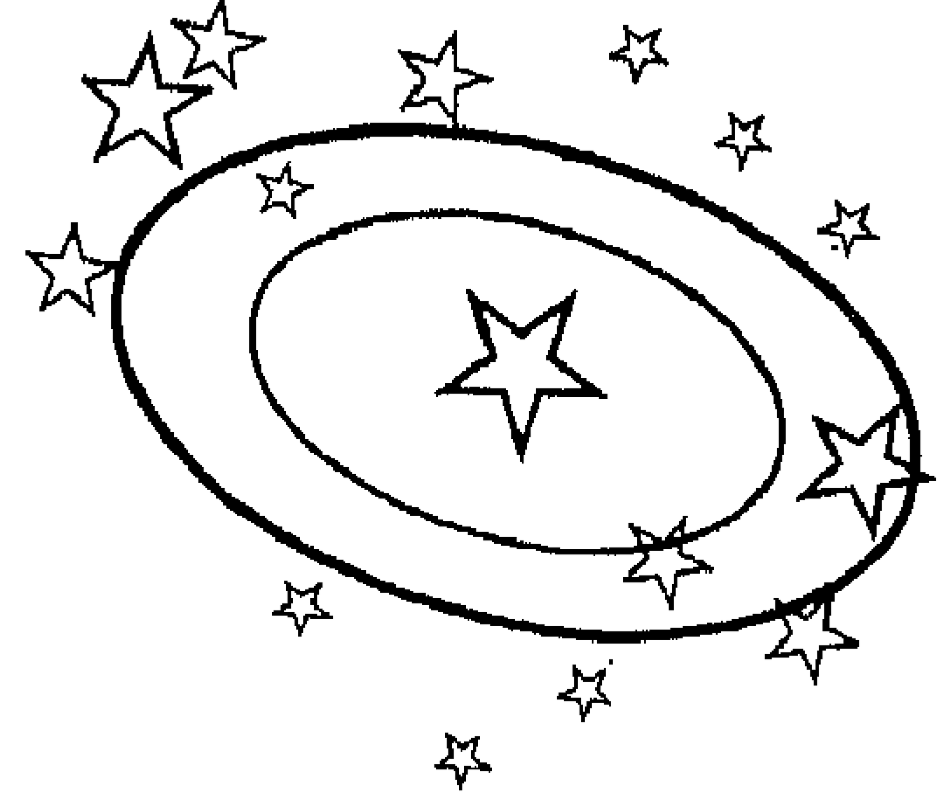
النقلة الثالثة في الامكانات الثلاث واضحة للأبيض وهو يربح بسهولة.

° ° °

الأجوبة :

لوحظ هذه المرة كثرة عدد المشتركين في هذه المسابقة وهذا مما يسرنا لأن ذلك يدل أولاً على مدى الاهتمام بهذه الزاوية وعلى ان المجلة أخذت تنتشر في أماكن لم تكن تصلها سابقاً. ولكنه من الملاحظ أيضاً انه رغم هذه الكثرة لم يتوصل أحدهم إلى حل كل المسائل باستثناء الآنسة مي محمد التي استحقت الجائزة الأولى، والسيد سليم اللاذقي الذي استحق الجائزة الثانية، (اشتراك سنة في مجلة تاريخ العرب والعالم).





برج الثور

٢١ نيسان (ابريل) — ٢١ ايار (مايو)

منى تنير



رأس الثور رمز برج الثور

● بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس، فان فيها مقداراً من العلم، كانت للعلماء العرب حصة فيه، أمثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وأبي الريحان البيروني. ولقد كان «لعلم التنجيم» بداية وتطور، حتى وصل إلينا. وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ. وفي ما يلي تاريخ برج الثور:

يرمز عادة إلى برج الثور برأسه، وذلك للتدليل على الصفات الصعبة والمميزة لمواليد هذا البرج عموماً: فهم عمليون في تفكيرهم وممارساتهم ويمكن الوثوق بهم. إنهم صبورون وحازمون في مواقفهم وقراراتهم. يبحثون دوماً عن الأشخاص والأشياء التي توفر لهم الشعور بالأمان، ربما بسبب العزلة التي يضطرون للجوء اليها كخط دفاع لهم. ثم إنهم غالباً ما يبرعون في المجالات المالية وفي الأعمال الكبرى ولا يجزعون بالتالي من تحمل أية مسؤولية تعرض عليهم شرط أن يوافقوا عليها باندفاع.

إلى ذلك فهم منهجيون في أعمالهم، يجدون دائماً الوقت الكافي لكل شيء. من هنا يمكن تفسير سبب تقديرهم لقيمة الجمال في كل شيء ويهتمون عموماً بالفنون وبالطبيعة وجميع المواضيع المتعلقة بهما. وأخيراً فهم عاطفيون وعصبيون إلى درجة كبيرة، ولا يسعون لاقامة علاقات صداقة مع الغير إلا اذا كانت دائمة، أي مستندة إلى غير أساس المصلحة الذاتية والآنية.

وحسب الأساطير الأغريقية فان برج الثور يرمز إلى قصة اختطاف «أوروبا»، شقيقة قدموس، من قبل زيوس (أو جوبيتير عند الرومان القدماء) الذي تقمص في شكل ثور، وأخذها معه إلى كريت لتصبح والدة مينوس، ملك المدينة.

ويقال ان زيوس اختار شكل الثور بسبب ما كان معروفاً عند الاغريق من انهم اعتبروا آلهتهم صورة مكبرة عن الانسان في شعورهم وحاجاتهم. من هنا اشتهرت في كريت الرياضة القاسية والخطرة والتي تتلخص في القفز فوق الثيران الهائجة.

أما في الأساطير الرومانية القديمة فان للثور دوراً مميزاً، اذ ان الرومانيين عبدوا «ميترا»، الاله الفارسي الأصل، الذي اشتهر في اساطيرهم بتقديمه «الثور المقدس» ذبيحة لاله الشمس. والمعروف ان ميترا عند الفرس كانت انثى وتمثل إلهة الشمس.

وفي هذا الصدد يفيدنا كتاب «روما وامبراطوريتها» (الجزء الثاني من «تاريخ الحضارات العام»، تأليف اندريه ايمار وجانين أوبوايه، تعريب يوسف وفريد داغر، منشورات عويدات بيروت، ١٩٦٤) ان «ميترا» الروماني تجلى للناس كالنور والشمس وارتبط اسمه بالنظام الكوني ويحمل بين يديه الظفر والخلاص.

ومن الطريف ان معظم مواليد برج الثور يعتبرون أنفسهم أحياناً وفي لحظات معينة مركز اهتمام الناس والمجتمع، لذلك تكثر ادعاءاتهم الفكرية التي لا تستند أحياناً إلى أساس مادي.

ويذكر، في هذا المجال أيضاً، ان صورة هذه الاله الشاب تبرز ناتئة في الرسوم التي تصوره، وهو يعتمر قبعته الفريجية بعدما أرغم إلى الأرض ثوراً ضخماً فأدماه (ص ٤١٥). وجاء في المصدر نفسه



أدولف هتلر.

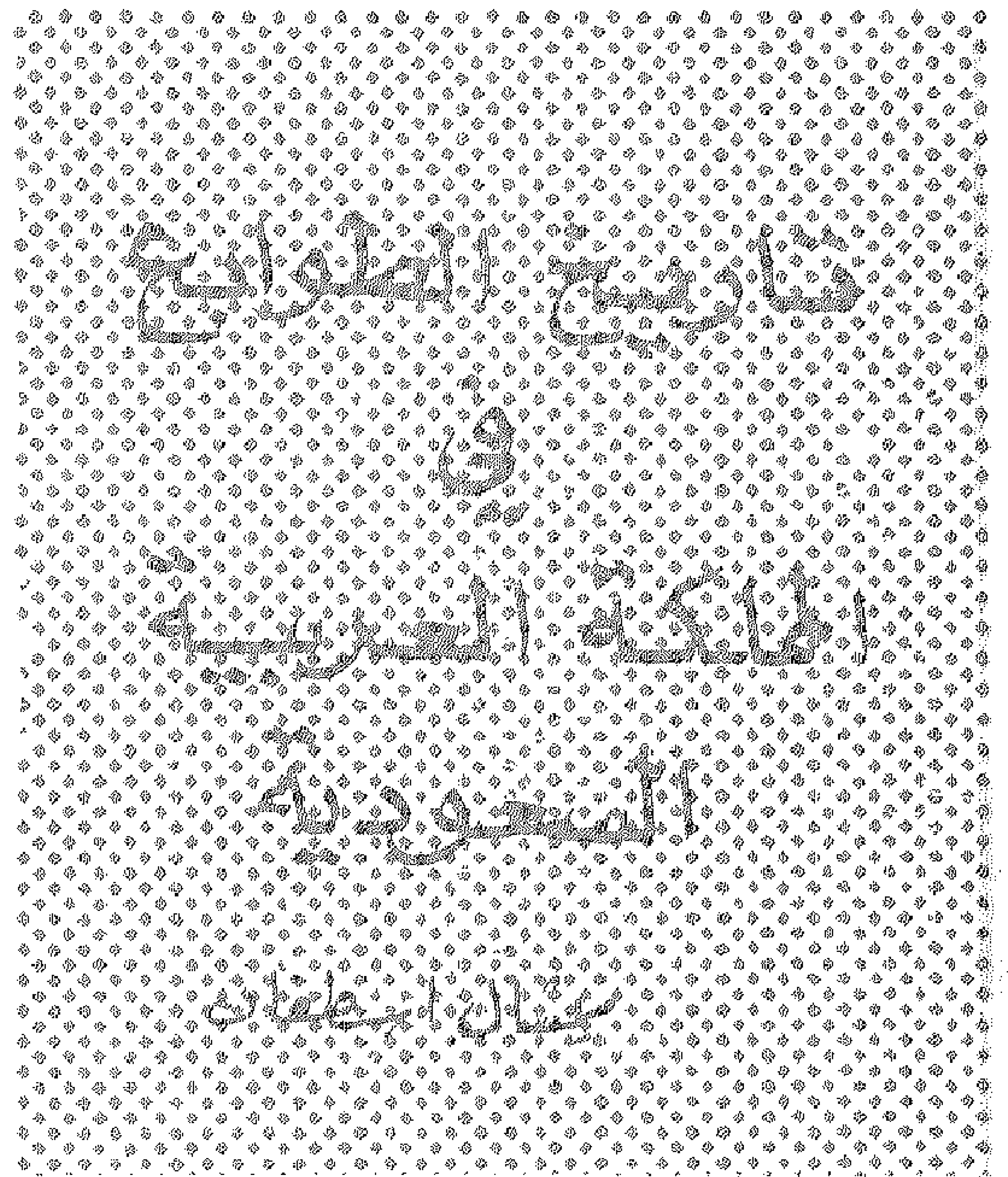


شكسبير.

(ص ٦٢٦) انه في العام ١٩٧ ق.م. اقام الامبراطور ساويروس في مدينة ليون حفلة ضخمة لمناسبة انتصاره على ألبينوس، تخللتها مراسم تضحية بثور ضخم. وهكذا غدا لقب «ميترا» (أي ما معناه الحرفي: المنيع) لقبا من الألقاب الامبراطورية وجعلوا من هذا الاله شفيع الامبراطورية الرومانية.

استناداً إلى أبحاث العلماء فان برج الثور له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي الحنجرة ومحيطها.

من الشخصيات العالمية في التاريخ القديم والحديث التي ولدت في برج الثور نذكر: الفيزيائي الفرنسي بيار كوري – الموسيقار تشايكوفسكي – الكاتب الفرنسي بلزاك – الموسيقار الالماني برامز – الممثل الأميركي غاري كوبر – السياسي والعسكري البريطاني أوليفر كرومويل – الرسام الاسباني سلفادور دالي – الملكة اليزابث الثانية – الممثل الأميركي هنري فوندا – عالم النفس النمساوي زيغموند فرويد – هتلر – روبيسبيير – الفيلسوف البريطاني برتراند راسل – شيكسبير – هوشي منه – ماكيا فيللي – سقراط والفنان والعالم الايطالي ليونارد دوفينشي. ●



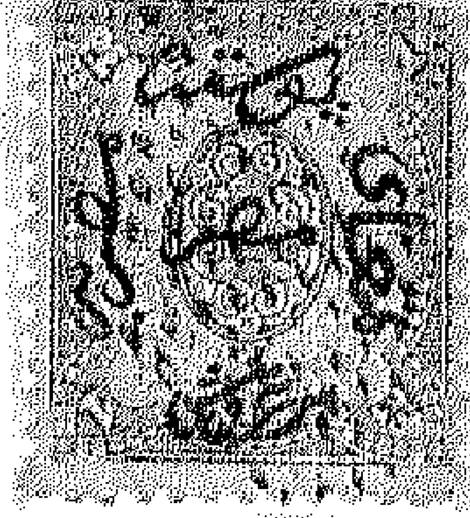
المملكة العربية السعودية:

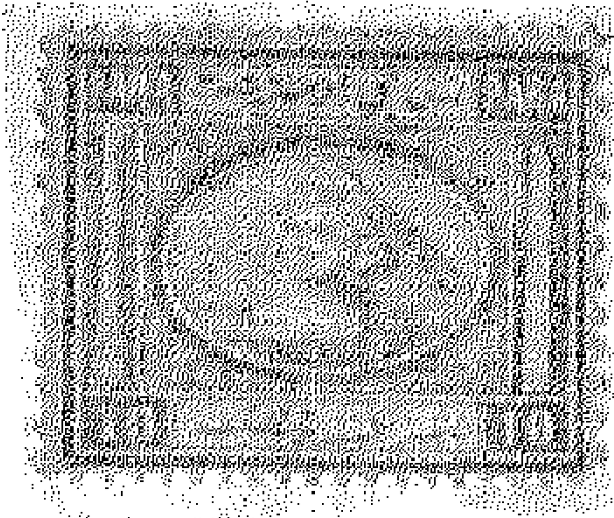
● احتل العثمانيون البلاد سنة ١٥١٧ ومن ثم حكمها الوهابيون من سنة ١٨١٣ إلى ١٨١٨، فمحمد علي الكبير واسرته إلى سنة ١٨٤٠ ثم العثمانيون ثانية إلى ١٩١٦.

في هذه الحقبة من الزمن لم تبدأ الحجاز باستعمال طوابع حجازية ولا تركية. بل طوابع مصرية. إذ كان لمصر في الحجاز في عهد الخديوي اسماعيل أول مكتب بريد في ميناء جدة وكان الأول والوحيد في المملكة كلها، لأن ميناء جدة كانت المركز الرئيسي والمهم لتجارة الحجاز. (افتتح اعماله في ٨ حزيران – يونيو – سنة ١٨٦٥)، وكانت المدن الداخلية المقدسة، مكة والمدينة، محرّمة على غير المؤمنين، فكان السياح والحجاج المسلمون القاصدون الحج يحملون عادة رسائلهم لحين عودتهم إلى ميناء جدة، أو يكلفون بها المسافرين في القوافل التجارية الذاهبة إلى تلك الجهة.

ويبدو أن السبب الاساسي لوجود المكتب البريدي المصري في جدة، هو خدمة مصالح التجار المصريين، بحيث نرى ان معظم الغلافات المرسلة كانت موجهة إلى السويس أو منها استطراداً إلى القاهرة والاسكندرية. وكان الرسم البريدي للرسالة الواحدة إلى السويس قرشاً مصرياً واحداً، ونصف قرش إضافياً إلى المراكز الداخلية من مصر. وقد بدئ العمل بهذا الاجراء في شهر تموز – يوليو – سنة ١٨٧٥ ولغاية نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٨ تاريخ تغيير قيمة الرسم إلى واحد ونصف قرش إلى أية جهة أو بلد في مصر.

وعندما كان يحدث نقص في الفئات المطلوبة كان يقطع طابع القرش أو القرشين قطعاً مائلاً من زاوية إلى زاوية، ويكون لكل قطعة منهما نصف قيمة الطابع الأساسي، وذلك لسد الحاجة إلى فئة واحد ونصف قرش وهي الرسم البريدي المطلوب. (ان مثل هذه الطوابع المقسومة أصبح نادراً وغالي الثمن).


١


٢

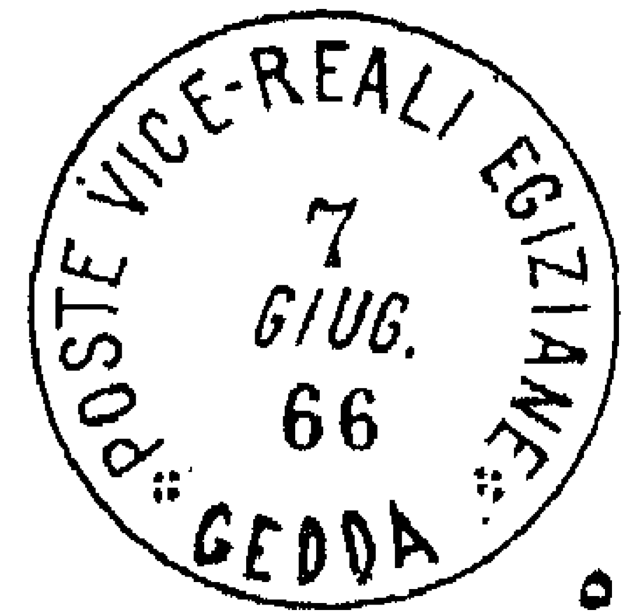
أما الطوابع التي استعملها المكتب الأول الذي افتتح أعماله في ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٨٦٥ فكانت من مجموعة مصر الأولى الموشحة والمجموعات الثلاث اللاحقة التي تحمل صورة الاهرام وأبي الهول. (صور ١، ٢، ٣، ٤).

أما الأختام الخاصة التي استعملت في هذا المكتب فكانت خمسة أختام فقط (صورة ٥، ٦، ٧، ٨، ٩)، ويلاحظ ان الأخير منها لم يكن يحمل تاريخاً واستعمل فقط للدوائر الحكومية. وهكذا فان هذه الأختام الخاصة التي تحمل اسم جدة لتُبطل الطوابع المصرية المستعملة هناك، جعل الطوابع المصرية المستعملة في الحجاز تصنّف مع طوابع بمجموعة الحجاز. وبتاريخ ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٨١، أقفل هذا المكتب البريدي المصري في جدة نهائياً.

وبعد ذلك بفترة قصيرة بادرت الادارة العثمانية إلى فتح عدة مكاتب بريد في القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية الحجازية، وخصوصاً في معظم المدن على طريق سكة الحديد الحجازية التاريخية.


٣


٤



٥



٦

ومن البديهي ان تكون الطوابع التركية السارية المفعول حينئذٍ هي التي استعملت في تلك المكاتب وكانت تختم باختام نحاسية مفرغة تمسك بالاصبعين. وكانت ثلاثة، جدة ومكة والمدينة (صورة نموذج واحد رقم ١٠). وفي السنة نفسها صُنعت اختام غريبة الشكل والمظهر منها: «ابها» (١٨٩٠) و «جدة» (١٨٨٦) و «قنفدة» (١٨٩٢) و «مكة المكرمة» (١٨٨١) و «مدينة منورة» (١٨٨١) و «طائف» (١٨٩٢) (صورة نموذج واحد رقم ١١). وبعدها صدرت الاختام المستديرة المعروفة والتي تحمل اسم المصدر والتاريخ. (صورة نموذج واحد رقم ١٢).



٧



٨

وبعد خروج الاتراك من البلاد واعلان استقلالها بتاريخ ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦. أعلن الأمير حسين بن علي بمرسوم. منع استعمال الطوابع العثمانية بعد ذلك التاريخ. ولعدم وجود طوابع جاهزة فوراً. صار اصدار اختام خاصة كتب عليها: « Fee Paid » و «خالص الأجرة» ثم اختام مثمّنة مختلفة (صورتان ١٣ . ١٤). وقد بقيت هذه الأختام مدة وجيزة هي كالآتي: في مكة وجدة من ٢٦ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦ إلى ٤ تشرين الأول (أكتوبر)



٩

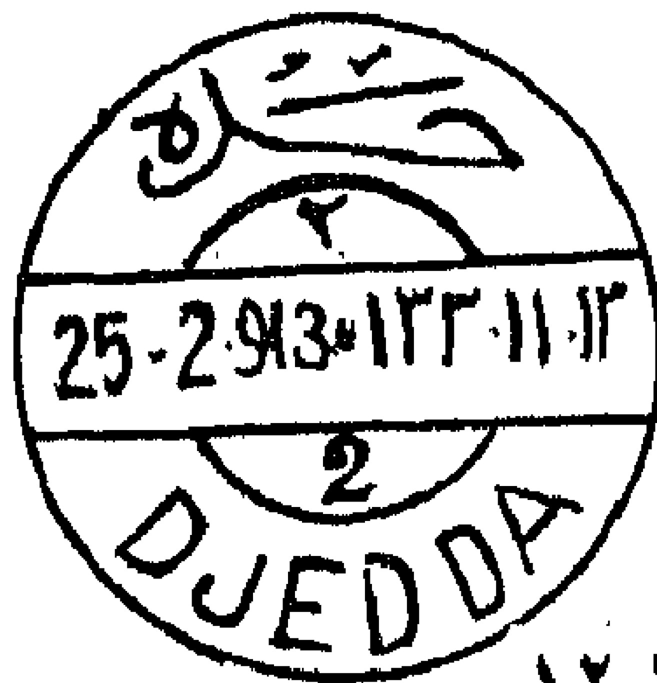

١٠

سنة ١٩١٦. وفي الطائف من ٥ تموز (يوليو) سنة ١٩١٧ إلى ٩ آب (أغسطس) سنة ٢٩١٧. والينبو من ٣ آب (أغسطس) سنة ١٩١٦ إلى ٥ كانون الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧. وابتداء من ٢٠ آب (أغسطس) سنة ١٩١٦ والى تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧، صدرت أربع مجموعات بريدية ومجموعة للأجور المستحقة، كلها متشابهة الرسوم وتتألف من ١٩ طابعاً محزّماً بأشكال وقياسات مختلفة، وتحمل تسعة نماذج من الرسوم، محلاّة بزخارف عربية، كتب عليها: «بريد حجازي»، وطبعت بمطابع دائرة المساحة في القاهرة، التي كانت تحت النفوذ البريطاني.

والواقع ان الرسوم التي انتخبت لهذه الطوابع كانت نماذج لرسوم كثيرة عرضت على الأمير حسين بن علي للموافقة عليها ومنها نماذج خاصة تحمل مناظر مختلفة تشبه كثيراً طوابع تركيا في حينها. وكان يُرغّبه بها آنذاك صديقه السيد رونالد ستورز. لكن الأمير فضّل



١١



١٢

الرسوم التي تمثل الخط العربي الصرف وليس أيّاً مما عليه مسحة تركية أو مصرية أو بريطانية؛ مع ان الرسامين المصريين أخذوا زخارف هذه الطوابع من نماذج مصرية بحتة. منها: المسجد العمري في القدس بمصر العليا ومسجد السلطان برقوقْ بشارع النحاسين ومسجد الصالح في القاهرة. وأيضاً من زخارف القرآن الكريم الموجود في مقبرة السلطان الشكوي. (صورة نموذج رقم ١٥ بريدي و١٦ أجور مستحقة).

المكاتب الأجنبية:

بالاضافة. إلى المكاتب الأجنبية التي عملت في



١٣



١٤

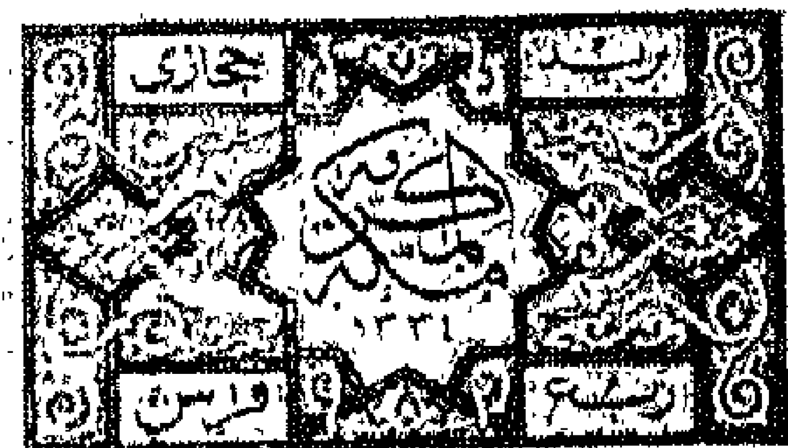
الشرق ووردت في دراساتنا السابقة نشير هنا إلى :

١ – مكاتب بريد المانيا التي عملت أيضاً في الشرق الأوسط وافتتحت مكاتبها في استنبول وازمير وبيروت والقدس ويافا، وقبل اصدار طوابع خاصة بهذه المكاتب، كانت تستعمل طوابع المانيا بدءاً باصدارات سنة ١٨٦٨/٦٩/٧٢ و ٨٠، ثم وشحت طوابع المانيا ابتداء من اصدار سنة ١٨٨٤ بالبارة والقرش واصدرت ست مجموعات للبريد العادي ومجموعة واحدة للمطبوعات وعددها ٥٧ طابعاً. والجدير بالذكر ان قيمة هذه الطوابع ارتفعت على ما يزيد عن تسعة آلاف فرنك في الكاتالوغ الافرنسي هذه السنة وذلك لندرتها، ويلاحظ ان المستعمل منها تزيد قيمته على غير المستعمل.

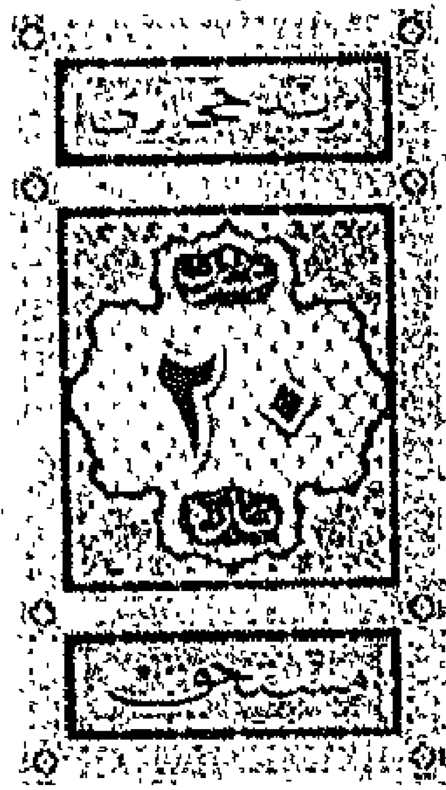
٢ – مكاتب ايطاليا افتتحت أعمالها سنة ١٨٧٤ واستعملت طوابع ايطاليا لسنة ١٨٦٣/٧٧ بعد توشيحات مختلفة وعملت في البانيا واستنبول ودورازو والقدس وجعنينة وسالونيك وأزمير وفالونا وعددها ١٩٤ طابعاً، تؤلف ٢١ مجموعة بريدية ومجموعتين للبريد الداخلي اكسبرس ومجموعة أجور مستحقة استعملت فقط في استنبول.

٣ – مكاتب بولونيا بدأت أعمالها سنة ١٩١٩ واستعملت اصداري بولونيا لسنة ١٩١٩ و ١٩٢١ بعد ان وشحتها بكلمة (Levant)، واستعملت كذلك في استنبول إلى ان اقفل المكتب نهائياً في ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٣.

٤ – مكاتب رومانيا بدأت أعمالها سنة ١٨٩٦



واستعملت اصدار رومانيا لسنة ١٨٩٣ بعد توشيحها بالبارة والقرش، ثم وشحت مجموعة ثانية لسنة ١٩٠١/١٩١٨ بدائرة كتب بداخلها بلغة البلد، «بريد روماني – استنبول ١٩١٩ وأحرف بريد برق هاتف P.T.T واستعملت فقط في الخط البحري ما بين استنبول وكونستنزا في رومانيا ●



١٦

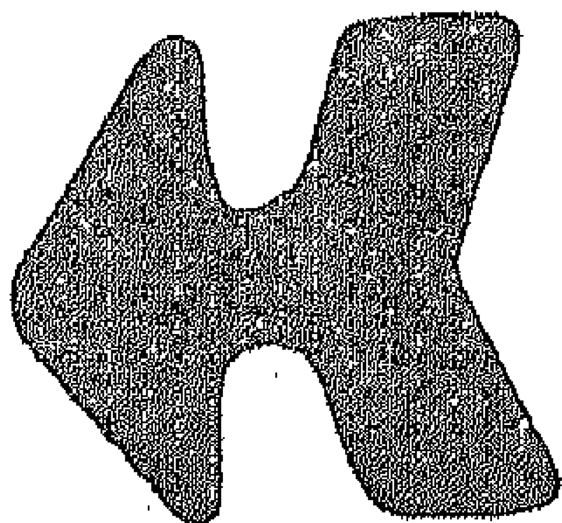
حركة البيع والشراء :

● هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع والراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء. وقد درسنا أحسن الوسائل العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.

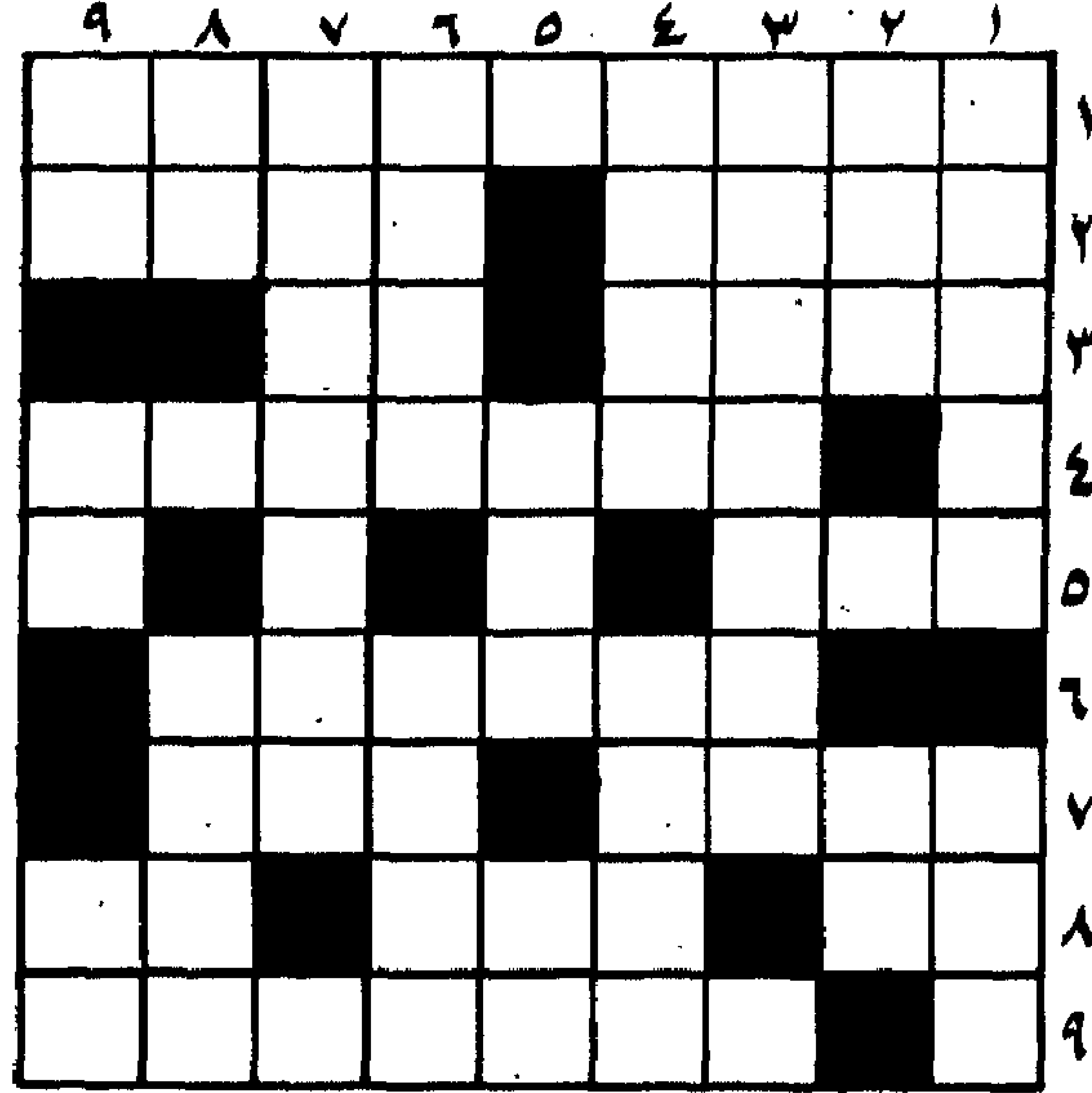
أسئلة القراء

● نرحب بجميع الأسئلة من لدى القراء وهواة جمع الطوابع وسننشر في هذا المكان ما يكون منها مهماً ومفيداً. ارسل ملاحظاتك واقتراحاتك إلى مجلة «تاريخ العرب والعالم» – قسم الطوابع. ص.ب (٥٩٠٥) – بيروت.





مسابقة الشهر

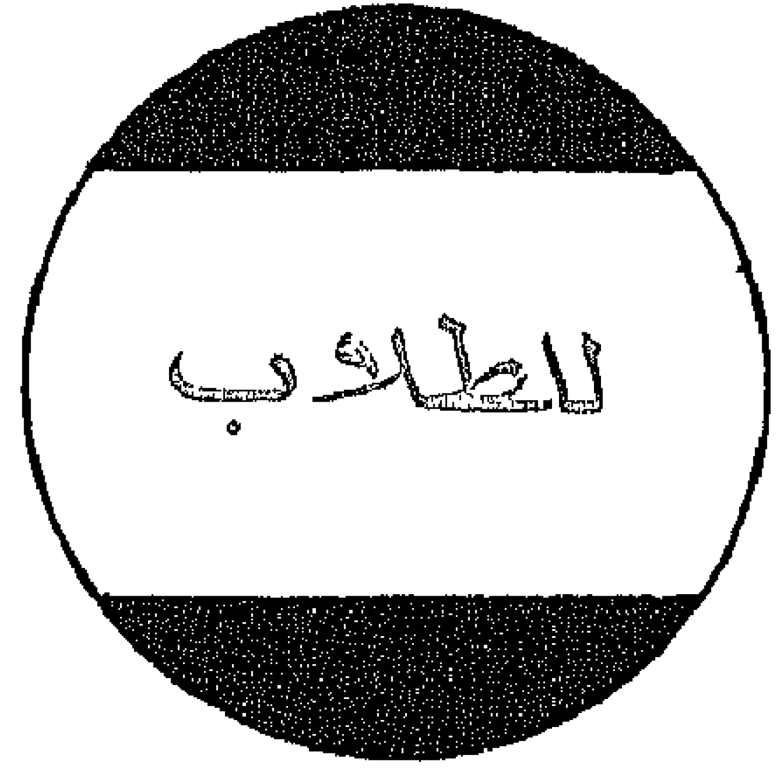


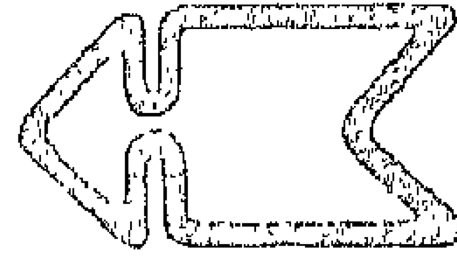
أفقياً :

١ – ملك عربي .
٢ – مدينة سعودية ولها سميّ في لبنان (معكوسة) . مؤذن الرسول .
٣ – حي لا يموت . حجر صوّاني كان سلاح انسان الغابات (معكوسة) .
٤ – ونغري .
٥ – يوجد في الصحراء
٦ – مدينة عربية .
٧ – مصائبي . جبل قرب مكة (معكوسة) .
٨ – تعب . أدغال . للتأفف .
٩ – مدينة عربية .

عمودياً :

١ – مدينة في السعودية . مدينة في السعودية .
٢ – نوع من الغزلان (معكوسة) . فكّ .
٣ – مرطّبان بالماء .
٤ – يخاتل (معكوسة) . جمع ليل .
٥ – سهد . كثير
٦ – تجربة ومعرفة . تجيبي (معكوسة) .
٧ – مدينة سعودية .
٨ – للنّهي . كفالة .
٩ – ارشد . للنداء . فتّت .





اعداد : سحر بماصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي. خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد أقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

ماهي؟

● سياسة وضعتها الولايات المتحدة الأميركية بالاستناد إلى اقتراح قدمه وزير الخارجية الأميركية عام ١٩٤٧ وذلك في خطاب القاه في جامعة هارفرد. ويقضي المشروع بتقديم المساعدات الاقتصادية للأقطار الأوروبية بقصد مساعدتها على اعادة بناء مرافقها الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية.

هدف المشروع كان احكام السيطرة الاميركية على أوروبا.

من هو؟

● كاتب عربي اصلاحي. ولد في حلب وتعلم فيها. انشأ جريدة «الشهباء» ثم «الاعتدال». عطلتها تركيا. فهاجر إلى مصر لمواصلة دعوته العربية التحريرية. واتصل بجمال الدين الافغاني. يعتبر رائداً في الفكر الاصلاحي السياسي والاجتماعي.

ماهي؟

● كانت تابعة لفرنسا. مساحتها ٢٢٦١ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢٨٤.٠٠٠ نسمة. تقع في المحيط الهندي. عاصمتها دزاؤدزي. استقلت مؤخراً وتسعى لدخول الجامعة العربية.

جغرافيا

● ما هو اسم المدينة التي هربت إليها حكومة التبت في منفاها عام ١٩٥٩؟



ملاحظات عامة

● في مسابقة العدد الخامس، وردتنا إجابات كثيرة عن السؤال الثالث، ان الموقع الاستراتيجي هو مضائق تيران. والواقع ان الموقع هو شرم الشيخ. فهذا الموقع هو اليابسة التي تشرف على مضائق تيران. ولو قصدنا المضائق، لما ذكرناه في السؤال.

● الرسائل تردنا والاسم مكتوب على المغلف دون الرسالة. الرجاء تكراراً من الراغبين في الاشتراك بالمسابقة، ان يكتبوا الاسم والعنوان على الرسالة، وليس على المغلف فقط. ذلك ان فرز الاجابات يتم بالجملة، وبعد ان تتلف المغلفات.

● يسأل بعض المشتركين عن حجم الاجابة المطلوبة. الأسئلة يمكن الاجابة عنها باسم واحد أو بذكر الموقع ... الخ. أما إذا كانت الاجابة تحتمل الالتباس فيمكن للطالب أن يشرحها بما شاء. وغالب الظن ان سطراً يفي بالغرض في هذه الحال.

الجوائز

الجائزة الأولى : مائة ليرة لبنانية أو ما يعادلها.

الجائزة الثانية : اشتراك سنة في المجلة.

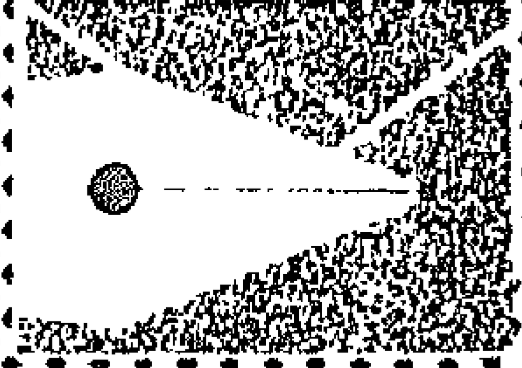
الجائزة الثالثة : اشتراك نصف سنة في المجلة.

الفائزون في المسابقة الخامسة :

● عبد اللطيف المنلا – المدرسة المهنية – الكويت – مائة ليرة لبنانية.
● مازن عبد اللطيف مجذوب – مدرسة الانترناشونال كولدج – بيروت – اشتراك سنة في المجلة.
● غسان المفتي – مدرسة مار الياس بطينا الثانوية – بيروت – اشتراك نصف سنة في المجلة.

فائزون ولكن الحظ لم يسعفهم في القرعة :

● نديم عبده – جامعة القديس يوسف – بيروت.
● محمد أحمد صالح – ثانوية رأس النبع الرسمية.
● سلمان عبد الوهاب العريض – مدرسة المنامة الثانوية الصناعية – البحرين.
● خالد عظمي – مدرسة الانترناشونال كولدج – بيروت.
● حسن محمد أبو نعسة – الجامعة اللبنانية – بيروت.



بريد القراء

● أحمد أبو سبيت . الروشة بيروت :

○ اشتركت في مسابقة الطلاب . وكانت اجاباتك صحيحة كلها . لكنك لم ترفق بالرسالة القسيمة الألزامية للاشتراك بالمسابقة . نرجو ألاّ تغفل ذلك في المرة التالية . ونتمنى ان تكون من الفائزين .

● نديم عبده . جامعة القديس يوسف . بيروت :

○ نحن نعتني فعلاً بالمواضيع التي تسرد «الاحداث التاريخية».. والواقع ان هذه هي كل مهمة المجلة . لكن التاريخ في المفهوم العلمي الحديث لم يعد مجرد سرد للحروب وسير الملوك . كما كان ماضياً . فالعمران في الجزيرة العربية هو تاريخ . وكتاب الاغاني للاصفهاني هو تاريخ . وقصة الميثاق الوطني اللبناني هو أيضاً تاريخ . وحتى الأدب في أوائل القرن العشرين يدخل ضمن التاريخ . لذلك فنحن نعتني بكل أوجه التاريخ الاجتماعي والسياسي والعسكري . والحضاري إجمالاً . وليس في امكاننا ان نهمل ناحية لنركز على أخرى . أما عن امكان مساهمة الطلبة دون مستوى التخرج في الكتابة للمجلة . فنحن نرحب بكل مساهمة . والمقياس عندنا هو في مستوى الكتابة والبحث وليس في المستوى الاكاديمي للكاتب فقط .

● فيصل محمد شقير . جامعة دمشق :

يرى ان سعر المجلة مرتفع وانها لا تقدم ما يكفي من المسابقات والجوائز . وانها لا تهتم بالغلاف والطباعة والورق .

○ ان المجلات التي ذكرتها يا أخ فيصل . والتي تراها رخيصة . هي مجلات تدعمها مالياً دول بترولية غنية . وأما مجلة «تاريخ العرب والعالم» فهي مستقلة مالياً تمام الاستقلال . ويذهب ثلاث أرباع الثمن الذي تدفعه الى الطباعة وشركات التوزيع . ولسنا نوافق على ان المسابقات قليلة . كما لا نوافق على ان الطباعة والغلاف دون المستوى . خصوصاً اذا قورنت ببعض ما ذكرت من مجلات . هذا مع العلم ان العدد الخامس قد حقق قفزة واضحة في الطباعة والورق والالوان .

● مازن عبد اللطيف المجذوب . انترناشونال كولدج . بيروت :

نشكر لك ملاحظاتك القيمة . بالنسبة لملاحظتك الأولى . انتهت المشكلة . فقد استقر حجم المجلة بعد تغيير الورق . وفي النقطة الثانية . المتعلقة بحجم الحرف . استقر الحجم على ما ستجده في العدد السابع . اما النقطة الثالثة فهي تحت الدرس .

● كامل سعيد — حمص :

○ استلمنا رسالتكم واجبنا عنها برسالة خاصة .

● عبد الكريم الدراوش — دار الحكمة بدمشق :

«لقد انتظرنا بفارغ الصبر ولادة مجلة كهذه توضح تاريخ الوطن العربي وحضارته في القديم والحديث وتوضح جانباً هاماً مما اغفل ذكره من بعض القضايا المصيرية وخاصة في هذا الظرف الدقيق من تاريخنا المعاصر» .

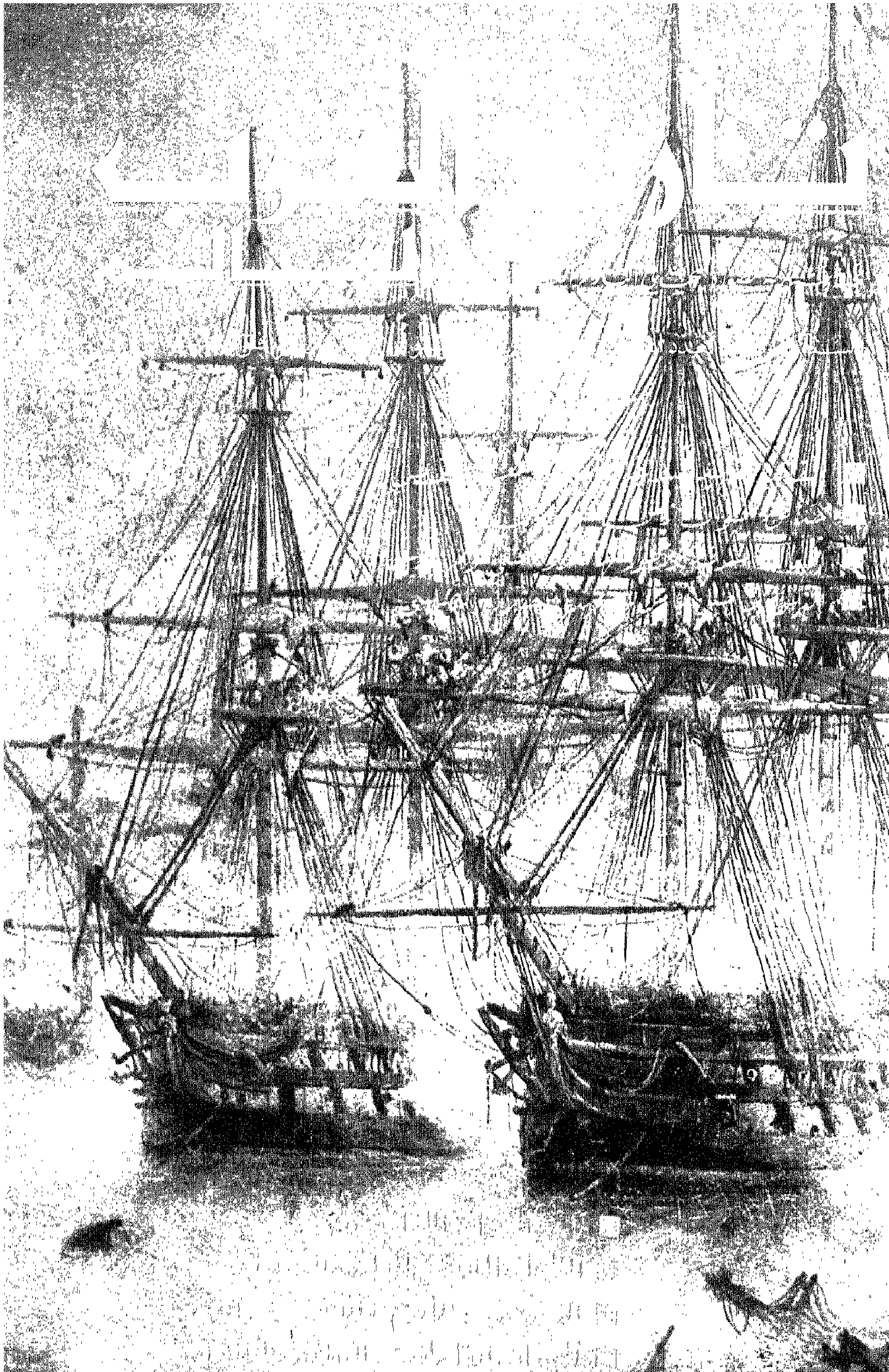
○ نشكر لكم عواطفكم الطيبة .



آثار «عبري» في عُمان



نـمـوذج من الســجـاد الريفي الشــامي




هم ز قعر چاه بگشاید دری
تو مرا بین که منم مفتاح راه
تو خواهی باقی این گفت و گو
ای اخی در دفتر چارم بجو

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الثامن
حزيران (يونيو) ١٩٧٩
رجب ١٣٩٩هـ

تصدر عن دار النشر العربية

رئيس التحرير : فاروق البربير
المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت ، لبنان

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

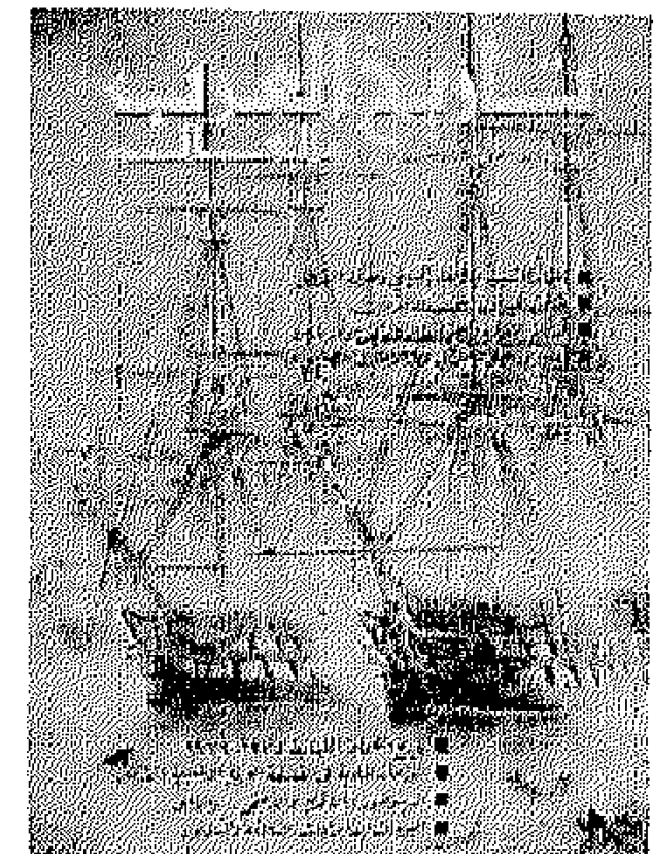
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 8. June, 1979
PRICE: 4L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50$ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع		الصفحة
القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ومعركة القسطل (نيسان ١٩٤٨)	العقيد د. ياسين سويد	٣
حدائق الحيوان زمن الأمويين	د. فوّاز أحمد طوقان	١١
النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية (نقد كتاب)	د. طريف الخالدي	١٧
نساء شهيرات (صفية بنت عبد المطلب)	محمد حسن كامل	٢٣
عمان: تجارتها وأسواقها القديمة (ما بعد الإسلام)	د. نقولا زياده	٢٤
تاريخ الصحافة اللبنانية (١٩٧٥ – ١٩٧٩)	مروان حماده	٣٢
المسألة الشرقية وتطوراتها الدولية حتى مؤتمر باريس ١٨٥٦	حسّان حلاّق	٣٨
الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ١٩٧٩	د. كمال سليمان الصليبي	٤٦
المشربيات: نوافذ القاهرة القديمة على الشارع	ترجمة فكتور سحاب	٤٨
الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب (حلب ١٩٧٩)	د. محمود زايد	٥٣
الاتفاق التركي – البريطاني – العراقي (١٩٢٥)	سعيد كريدية	٥٧
اليهود في جبل عامل في عهد الاحتلال الصليبي	محمد حسن حجازي	٦٠
الديناصور: الأقدم والأضخم... والأغبى	مركز الأبحاث والدراسات	٦٤
ألبومات إيفا براون الثلاثة والثلاثون	ترجمة صباح الأحدب	٧٤
تاريخ الرياضة: البطولة الرابعة لكرة القدم ١٩٥٠	وفيق علم الدين	٨١
تاريخ الشطرنج: احترق بيت الخوري... ومات الشاه	محمد مراد سكّر	٨٤
تاريخ الطوابع: اليمن	ميشال اسطفان	٨٨
للطلاّب فقط	سحر بعاصيري	٩٢
تاريخ البروج: برج الجوزاء (٢٢ أيار – ٢٢ حزيران)	منى تنير	٩٤
بريد القراء		٩٥



معركة نافارينو
راجع مقالة المسألة الشرقية
ص ٣٨

- المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.
- المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.
- المواد الواردة الى المجلة لا تردّ اذا لم تنشر.



القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ومعركة القسطل

العقيد الدكتور ياسين سويد

● عبد القادر الحسيني (١٩٠٧ - ١٩٤٨) علم من اعلام الثورة الفلسطينية الكبرى وأحد أبرز صانعيها خلال العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. ولد عبد القادر بن موسى بن كاظم الحسيني (أبو موسى) في القدس عام ١٩٠٧. (وقيل في استانبول. قال ذلك عارف العارف في كتابه. النكبة). وكان والده السيد موسى كاظم الحسيني يتولى مركزاً مهماً من المراكز الادارية في الدولة العثمانية. فلما أحيل السيد موسى على التقاعد انصرف إلى العمل الوطني الذي استهله بالاشتراك بالمؤتمر العربي الأول الذي عقد في القدس عام ١٩١٩ حيث انتخب رئيساً للمؤتمر ثم رئيساً للجنة التنفيذية التي انبثقت عنه. وظل في هذين المنصبين قائداً للحركة الوطنية في فلسطين منذ عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٣٣ عندما أصيب في احدى التظاهرات التي جرت في يافا (٢٧ تشرين الأول - اكتوبر - ١٩٣٣) وكان عمره ٨٣ عاماً. فاضطرته حالته الصحية المتردية إلى الاعتكـــــاف في أريحا حيث توفي في ٢٣ آذار - مارس - ١٩٣٤ مخلفاً وراءه فراغاً في الزعامة العربية في فلسطين، وهو الذي كانت شخصيته الفذة - كما يقول الغوري - «تفرض نفسها على الجميع وتحملهم على الاجماع على زعامة صاحبها وقيادته».

ورث الوطنيـــة

وكان عبد القادر في السابعة والعشرين من عمره عندما توفي والده. وكان قد شب وترعرع على الأفكار والمبادئ الوطنية التي عمل والده لأجلها طيلة حياته. فأدرك منذ صغره أنباء المؤتمرات الوطنية في القدس وأنباء التظاهرات يقيمها أبناء وطنه في كل ناحية من نواحي فلسطين ضد الانتداب البريطاني وضد الهجرة اليهودية التي أخذت تتدفق على فلسطين بشكل مخيف تنفيذاً لفكرة انشاء الوطن القومي اليهودي فيها. وكان إلى جانب والده في تظاهرة القدس في ١٣ تشرين الأول - اكتوبر - ١٩٣٣ وكان من عداد الجرحى. كما كان إلى جانبه كذلك في تظاهرة القدس ثانية في ٢٧ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٣٣ تلك التي كانت جراحها سبباً لوفاة أبيه فيما بعد.

تلقى عبد القادر علومه الابتدائية في روضة المعارف الوطنية في القدس، والثانوية في مدرسة صهيون «بيشوب غوباط» الانكليزية في القدس أيضاً. ثم أرسله والده إلى القاهرة حيث تابع دراسته الجامعية في قسم الصحافة والتاريخ في الجامعة الأميركية حتى نال شهادة البكالوريوس. إلا انه مزق شهادته تلك عندما

تسلمها من رئيس الجامعة في حفلة التخرج. ثم ألقى خطاباً حماسياً هاجم فيه أمبركا الدولة الاستعمارية التي تحمي الصهاينة في فلسطين قائلاً لأولي الأمر في الجامعة المذكورة: «اني لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم الذي هو معهد استعماري وتبشيري». وعاد إلى فلسطين ليتابع نضاله القومي في ظل والده وبعد وفاته. ومارس مهنة الصحافة في يافا فترة من الزمن ثم تخلى عنها ليعين في وظيفة حكومية (مأموراً للتسوية) في دائرة تسوية الأراضي. وكان البريطانيون قد أنشأوا هذه الدائرة حديثاً بقصد تسهيل امتلاك الأرض لليهود تمهيداً لاقامة دولتهم. وكان دور عبد القادر في هذه الدائرة عرقلة هذه المساعي وتوعية القرويين لهذا الأمر الخطير. إلا انه ترك الوظيفة بعد فترة وجيزة كي يتفرغ للاسهام في اعداد الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦. فكان على رأس مجلس قيادة التنظيم السري للثورة (قوات الجهاد المقدس). وفوض إليه هذا المجلس. وزعماء المجاهدين. في اجتماعهم السري الطارئ في القدس في أول أيار - مايو - ١٩٣٦ أمر اعلان بدء الثورة في الظرف الذي يراه مناسباً. وفي ٦ أيار - مايو - عقد مجلس قيادة التنظيم السري للثورة اجتماعاً ثانياً برئاسة عبد القادر للبحث في الوضع. وتنفيذ مقررات الاجتماع السابق فتقرر اعلان الثورة في السابع من الشهر نفسه (أيار - مايو - ١٩٣٦).

الشرارة الأولـى

وما ان أعلن عبد القادر وزملاؤه القادة المجاهدون الثورة ليل ٦ - ٧ أيار - مايو - حتى التحقوا خفية بالجبال. وكان هو أول من أطلق النار إيذاناً ببدء الثورة حين هاجم ثكنة بريطانية في بيت سوريك شمالي غربي القدس. ثم انتقل من هناك إلى منقطة القسطل. بينما تحركت خلايا الثورة في كل مكان في فلسطين. في بتير وقلونية وعين كارم وقطنة والعيسوية وغيرها في قضاء القدس. وفي القدس نفسها وفي سائر أنحاء فلسطين. وكان عبد القادر قد قرر ان يتخذ. لأسباب عديدة. بلدة «بيرزيت» مقراً لقيادته وقيادة الجهاد المقدس. كما قسم فلسطين إلى مناطق قتالية ولّى على كل منطقة منها قائداً من قادته. أما الخلايا السرية وقياداتها فظلت تابعة له مباشرة.

وبلغت الثورة الفلسطينية أوج قوتها في تموز (١٩٣٦) حين انضم إليها من بقي من رفاق الشهيد عز الدين القسام. وبلغت انباؤها العالم العربي كله. فالتحق بها المجاهدون العرب أفواجاً. وخاض الثوار ضد البريطانيين وحلفائهم اليهود في فلسطين معارك متعددة قاسية ومريرة. وفي كل ناحية من أنحاء فلسطين. في القدس ورام الله وبيت لحم والخليل ونابلس ويافا وطولكرم وجنين وبيسان والناصرة وطبرية وغيرها.



● من اليمين: عبد الغني حيمور، عبد القادر الحسيني والشهيد أحمد جابر، ثلاثة من قادة الجهاد.

وكانت أهم المعارك التي خاضها عبد القادر هي معركة (الخضر) الشهيرة، في قضاء بيت لحم (٤ تشرين أول - أكتوبر - ١٩٣٦). وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد السوري القائد سعيد العاص وجرح عبد القادر جرحاً بليغاً فنقل إلى المستشفى الحكومي في القدس لمعالجته ثم محاكمته بعد شفائه. إلا ان رفاقه المجاهدين قاموا بمغامرة رائعة اذ هاجموا القوة البريطانية التي تحرس المستشفى وانتزعوه منها ثم نقلوه لاكمال معالجته في دمشق. وفي صبيحة ١٣ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٣ وتلبية لنداء أصدرته الهيئة العربية العليا لفلسطين وبعد مداخلات عربية ودولية عديدة، توقفت الثورة الفلسطينية الكبرى بعد قتال دام خمسة أشهر واسبوعاً واحداً (٦ أيار - مايو - ١٣ تشرين الأول - أكتوبر) وذلك بناء على وعود من الدولة البريطانية المنتدبة باحقاق الحق في فلسطين. وفي هذه الأثناء، كان عبد القادر قد غادر المستشفى في دمشق فأقام فيها زمناً ثم عاد فدخل فلسطين خلسة ليشترك من جديد من اعادة تشكيل التنظيم السري لقوات الجهاد المقدس، وفي ٣١ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٣٧ اجتمعت قيادة التنظيم في مقرها في بير زيت برئاسة عبد القادر وأعلنت استئناف الثورة في ٢ تشرين الثاني - نوفمبر - بعد أن تحققت من ان وعود الدولة البريطانية المتدبة غير جدية وانها خادعة. وتحركت خلايا الجهاد المقدس من جديد لتعمل ضد قوات الانتداب، فجرت معارك عنيفة في أقضية القدس وبيت لحم ورام الله ونابلس وجنين وبيسان وطبرية وعكا وصفد وحيفا وطولكرم ويافا والخليل وغزة وغيرها.

وكانت أهم المعارك التي خاضها عبد القادر في هذه المرحلة من الثورة هي معركة بني نعيم في الخليل (مطلع تموز - يوليو - ١٩٣٨) فقد خاضها - بنحو ألف مجاهد ضد ثلاثة آلاف جندي من جنود السلطة يعززهم ألف رجل من البوليس وقوة الحدود وسبع عشرة مصفحة وبطاريتا مدفعية ورشاشات ثقيلة. واستمرت المعركة نحو أربعين ساعة كان القتال فيها كراً وفراً إلى ان تمكن جيش السلطة. الذي عزز مراراً. من التغلب على المجاهدين الذين خسروا نحو مائة وأربعين شهيداً بينهم المهندس علي الحسيني ابن عم عبد القادر. فانسحبوا تاركين خلفهم قتلاهم وجرحاهم. وبينهم قائدهم عبد القادر نفسه الذي جرح جرحاً بليغاً. فعاد بعض رفاقه المجاهدين إليه بعد أن قطعوا أسلاك الهاتف لمنع أي اتصال بالخارج. وما ان ضمد الطبيب جروحه حتى حملوه إلى دمشق عبر الأردن لاتمام معالجته.

اعتقال بلا جرم... معلن

وفي عام ١٩٣٩ غادر عبد القادر دمشق إلى بغداد حيث دخل الكلية العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط واشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١. ولما فشلت هذه الثورة حاول اللجوء إلى ايران عن طريق كرمنشاه مع رهط من رفاقه في الثورة. فمنع رفاقه من دخول ايران وسمح له هو وحده باللجوء إليها. فرفض وعاد إلى بغداد مشياً على الأقدام مسافة ألف كيلومتر مشاها في خمسة وعشرين يوماً. وما ان وصل إلى بغداد حتى اعتقل ثم فرضت عليه الاقامة الجبرية في بلدة «زاخو» شمالي العراق. ثم نقل منها إلى سجن بغداد بعد ان اتهم باغتيال أحد رجالات العراق وقضى في السجن زهاء سنة وثمانية أشهر. ولما ثبتت براءته خرج من السجن لكي يعود إليه مرة ثانية فيقضي في معتقل (العمارة) سنتين اخريين (دون جرم) وما ان خرج منه حتى غادر العراق إلى المملكة العربية السعودية. حيث قضى فترة من الزمن انتقل بعدها إلى مصر (١٩٤٧) ليبحث عن السلاح في كل من مصر وليبيا اعداداً للمعركة المقبلة.

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صدر قرار تقسيم فلسطين فعاد عبد القادر إليها واختارته اللجنة العسكرية العربية (المشكلة بموجب قرار من الجامعة العربية في ٧ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٧. والتي اتخذت دمشق مقراً لها) وكذلك الهيئة العربية العليا التي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني. قائداً عاماً لقوات الجهاد المقدس. وكلفته بالاضافة إلى ذلك مهمة الدفاع عن القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى أي القدس ورام الله وباب الواد (وكانت فلسطين قد قسمت إلى خمس مناطق عسكرية). وخاض عبد القادر. قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في ١٥ أيار - مايو - ١٩٤٨ معارك عديدة ضد العدو الصهيوني. تكللت جميعها بالنصر ومنها معارك القدس وبيت سوريك وبيت محير وقلندية وشعفاط وباب الواد وبرك سليمان وصوريف ورام الله وغيرها. إلى ان كانت معركة القسطل التي استمرت أربعة أيام بكاملها (من ٤



● عبد القادر الحسيني متوجهاً إلى القسطل ، قبل استشهاده بيوم واحد.

حتى ٨ نيسان - ابريل-١٩٤٨) وانتهت بان تمكن المجاهدون من انتزاع البلدة العربية من أيدي الصهاينة . إلا انهم لم يمكثوا فيها سوى بضع ساعات تمكن الصهاينة بعدها وفي خضم ذهول المجاهدين وتضعضعهم بسبب استشهاد قائدهم . من شن هجوم معاكس واحتلال البلدة من جديد . وقد استشهد عبد القادر صبيحة الثامن من نيسان - ابريل - ووجدت جثته قرب بيت من بيوت القرية . ونقل في اليوم التالي إلى القدس حيث دفن جنب أبيه في ضريح كائن بين باب القطانين وباب الحديد . ومشى في جنازته زهاء عشرة آلاف عربي وسمي (بطل القسطل) . وقد استشهد عبد القادر وهو في الأربعين من عمره مخلفاً بعده أرملة هي السيدة وجيهة بنت موسى بك الحسيني . وبنتا هي أكبر أولاده الأربعة واسمها «هيفاء» وثلاثة بنين هم : موسى وفيصل وغازي .

معركة القسطل : (٤ - ٨ نيسان - ابريل - ١٩٤٨)

تقع قرية القسطل على هضبة عالية تبعد نحو ٨ كلم عن القدس غرباً وتشرف اشرافاً تاماً على طريق القدس - تل أبيب . وهي بذلك تؤلف موقعاً استراتيجياً مهماً إذ ان من يحتلها يتحكم بالشريان الرئيسي للقدس الجديدة . وقد جرت فيها الوقعة المسماه باسمها بين المجاهدين الفلسطينيين بقيادة المجاهد عبد القادر الحسيني . والمحتلين الصهاينة عام ١٩٤٨ .

في ٣ نيسان - ابريل - ١٩٤٨ وقبل جلاء البريطانيين عن فلسطين ، قامت مجموعة من اليهود «البالماخ» مؤلفة من سرية مصفحات وفصيلة هندسة ميدان ونحو أربعمائة مقاتل من حرس المستعمرات ، بهجوم على هذه القرية بقصد تأمين تموين مائة ألف يهودي في القدس . ولم تكن القرية محصنة ولم يكن فيها من القوة ما يكفي للدفاع عنها (كان فيها خمسون مسلحاً فقط) . ومع ذلك فقد صمد أهلها العرب بما تيسر لديهم من أسلحة خفيفة وبنادق اعتيادية وذخيرة لم تكن تكفيهم للصمود طويلاً . وقاوموا بضراوة وعنف الهجمات المتكررة والمستمرة لعناصر يهودية مستميتة ومزودة بأحدث أنواع الأسلحة الخفيفة ومدافع الهاون . ونفذت ذخيرة المقاتلين العرب فانسحبوا من قريتهم التي احتلها اليهود وتمركزوا فيها .

وأثار سقوط القسطل في أيدي اليهود فئة من المناضلين العرب فتجمع ما يقارب ثلاثمائة مقاتل اتجه قسم منهم بقيادة صبحي أبو جبارة نحو موتسا بالقرب من القسطل فاحتلها ثم احتل قلونية والهضاب المجاورة لها واتجه القسم الآخر . وهو من رجال الجهاد المقدس . من بير زيت بقيادة كمال عريقات ومن القطمون بقيادة ابراهيم أبو ديه . ومن بيت صفافا بقيادة عبد الله العمري ومن مدينة القدس بقيادة حافظ بركات ومن عين كارم بقيادة خليل منون ومن المالحة بقيادة عبد الفتاح درويش . اتجه هؤلاء جميعاً ومن جهات مختلفة نحو الجهة الجنوبية الشرقية للقسطل أي عين كارم والمالحة . لمحاصرتها وقطع الامدادات عنها بقصد احتلالها .

وبدأت المعركة صباح ٤ نيسان ١٩٤٨ . فطوق المجاهدون البلدة من ناحيتيها الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية ثم احتلوا التلال الواقعة بينها وبين عين كارم وذلك بعد معركة عنيفة خسر فيها المجاهدون ثلاثة قتلى وخمسة جرحى . وخسر اليهود خمسة وعشرين قتيلاً . وفي ٥ نيسان - ابريل - نسف المجاهدون جسراً يقع قرب قلونية يصل القسطل بالمستعمرات اليهودية المجاورة لها (جبعات شاوول ومونتيفيوري وبيت هاكارم) . إلا



● مشهد لبلدة القسطل التي سجلت أعظم أساطير بطولات ما قبل النكبة.

ان اليهود تمكنوا من إعادة بنائه في اليوم نفسه.

وفي ٦ نيسان - ابريل - هاجم المجاهدون بقيادة كامل عريقات وابراهيم أبو ديه وحافظ بركات محاجر «الباشار» اليهودية والمراكز المحيطة بها فاحتلوها بعد أن خسر اليهود في هذه المعركة نحو مائة قتيل. إلا ان المجاهدين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بهذا الموقع نظراً لأن ذخيرتهم نفذت أو كادت. فشن اليهود عليهم هجوماً معاكساً بعد أن وصلتهم امدادات كبيرة من الرجال والمصفحات والسلاح والمؤن بواسطة الطائرات. وتمكنوا من استرداد الموقع في اليوم نفسه. واستشهد من المجاهدين خمسة رجال. وجرح عدة منهم كامل عريقات. ثم أخذ اليهود يضيقون الخناق على القرى العربية المجاورة كي لا يتحرك أهلها لنجدة المقاتلين حول القسطل. وأخذ القتال يتطور ضد مصلحة المجاهدين بعد أن أصبحوا محاصرين من يهود المستعمرات القريبة من القسطل (عطاروت والنبي يعقوب) واستنجد المجاهدون بالجيش العربي الأردني المتمركز في رام الله فلم يتحرك هذا الجيش لنجدتهم بحجة ان ليس باستطاعته أن يبدأ القتال في فلسطين ضد اليهود قبل انهاء الانتداب البريطاني في ١٥ أيار - مايو - (وكان رسول المجاهدين إلى الجيش العربي الأردني في رام الله هو عارف العارف. وكان قائد القوة الأردنية المتمركزة في رام الله هو أحمد صدقي الجندي قائد اللواء الرابع والجنرال غلوب باشا رئيس أركان حرب الجيش العربي الأردني). وبعث المجاهدون العرب يطلبون العون من سكان القدس ورام الله دون الحصول على أية نتيجة. وسقطت في اليوم نفسه (٦ نيسان - ابريل -) دير محسن وخلده في يد اليهود الذين تمكنوا من شق الطريق إلى القدس وايصال المؤن اليها.

لا سلاح... ولا أذن صاغية

وكان عبد القادر الحسيني يومذاك في دمشق يحاول الحصول من الهيئة العربية العليا لفلسطين واللجنة العسكرية العربية على حاجة المجاهدين من السلاح والذخيرة. ولكن عبثاً. كما حاول اقناع ممثلي الدول العربية المجتمعين يومذاك في دمشق (٣٠ آذار - مارس -) بتزويده بالسلاح. ولكن دون جدوى.

وسمع عبد القادر. وهو في دمشق يتابع محاولاته اليائسة. بأنباء سقوط القسطل. وهي أول بلدة عربية تسقط في يد اليهود. فكرر نداءاته لممثلي الهيئة العربية العليا والدول العربية واستغاثته بهم فلم يجد أذناً صاغية ولا مستجيباً. فقفل عائداً أدراجه إلى فلسطين فورا والتحق بالمجاهدين الذين يقاتلون حول القسطل. فتسلم

قيادتهم . وهو يدرك جيداً أنها معركة يائسة يخوضها بأسلحة قديمة بالية ومهترئة ودون ذخيرة ضد عدو مجهز بأحدث أنواع الأسلحة.

وقد وزع عبد القادر قواته على جبهة القتال . فور وصوله إليها يوم ٧ نيسان - ابريل - . كما يلي :

الميمنة : (الناحية الشرقية من القسطل) بقيادة حافظ بركات.

الميسرة : (الناحية الغربية من القسطل) بقيادة هارون بن جازي (من البدو).

القلب : (الناحية الجنوبية من القسطل) فصيلتان بقيادة ابراهيم أبو ديه.

القيادة : المؤلفة من أركانه وهم : عبد الله العمري وعلي الموسوس وثلاثة آخرون من شبان القدس . في القلب.

الاحتياط : في قلونية . وهو فرقة صغيرة من عناصر الجهاد المقدس . بقيادة صبحي أبو جبارة وفرقة أخرى من متطوعي القدس (قطاع رام الله) بقيادة الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي . وكان مجموع قوات عبد القادر في هذه المعركة ٣٠٠ مقاتل.

تحرير القسطل

بدأ عبد القادر هجومه على القسطل في الساعة الحادية عشرة من مساء ٧ نيسان - ابريل - فتمكنت ميسرته . من اقتحام المراكز الأمامية للعدو واحتلالها . كما تمكنت ميمنته من احتلال المراكز الأمامية للعدو على محور تقدمها . وتقدم القلب كذلك في اتجاهه . ودخلت قوات عبد القادر البلدة من جهاتها الثلاث : الشرقية والجنوبية والغربية . إلا ان المقاومة العنيفة للعدو اضطرت المهاجمين إلى التقدم ببطء شديد . ثم الى التوقف . فالتقهقر بسبب نفاد الذخيرة من كثير من المجاهدين . (وكان لدى كل مجاهد ٣ مماشط لكل بندقية و١٥ ممشطاً لكل رشاش برن) وبسبب إصابة العديد منهم بجراح أقعدتهم عن متابعة التقدم (١٦ جريحاً . منهم قائد القلب ابراهيم أبو ديه). ولما رأى عبد القادر قواته تتقهقر أمام نار العدو الكثيفة ومقاومته العنيفة . تقدم بنفسه ومعه أركانه وصاروا يقاتلون العدو بما لديهم من أسلحة فجرح ثلاثة من رفاقه وبقي واحد ظل يقاتل معه وليس لديهم من الأسلحة سوى رشاش ستن ومسدس عيار ٩ ملم . ولما أوشكت ذخيرتها على النفاد أمر عبد القادر رفيقه الوحيد . وكان قد جرح أيضاً . ان يتوجه إلى الخطوط الخلفية لعله يجد له بعض الذخيرة ولكن رفيقه ذهب ولم يعد إذ اغمي عليه في الطريق متأثراً بجراحه . وبقي عبد القادر وحده دون ذخيرة أمام مراكز العدو المحصنة والتي عززت بامدادات كثيفة بالرجال والسلاح والذخيرة من القدس ومن المستعمرات اليهودية المجاورة . وكان الكثير من رجال عبد القادر قد نفدت ذخيرته فتراجع . وشعر اليهود بحراجة وضع عبد القادر ورجاله فأطبقوا عليه وحاصروه باحكام . وما كاد فجر ٨ نيسان - ابريل - يبزغ حتى كان عبد القادر ورجاله يقاتلون يائسين بعد أن أخذ العدو يضيق الحصار حولهم ولا ذخيرة كافية لديهم . وما ان عم خبر محاصرة اليهود



● المجاهدون يزحفون إلى القسطل وإلى اليمين يبدو واقفاً كامل عريقات.

لعبد القادر ورجاله القرى العربية المجاورة حتى زحف المجاهدون من كل صوب لنجدته. فجاءه قاسم الريماوي على رأس فرقة من الجهاد المقدس والحاج عبد المجيد المدني الحجازي على رأس فرقة من حرس الحرم الشريف بالقدس وبهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار على رأس فرقة من شباب بيت المقدس وجمال رشيد العراقي على رأس فرقة من جيش الانقاذ، وعبد الحليم الشلف على رأس فرقة من شباب الخليل، ورشيد عريقات على رأس فرقة من شباب قرية الوادية. حتى بلغ عدد المجاهدين الذين هبوا لنجدة إخوانهم في القسطل خمسمائة مجاهد. وبرغم ذلك، فقد كانت حامية القسطل من اليهود أكثر من ذلك عدداً وأقوى سلاحاً، وبينما كان رجال عبد القادر يقاتلون من الشرق والجنوب والغرب جاءتهم النجدة مطبقة على القسطل من الشمال، حتى بلغ عدد من احتشدوا من العرب للقتال في القسطل نحو ٨٠٠ مقاتل، فاذا اليهود محاصرون بدورهم واذا بالمجاهدين المحاصَرين يستعيدون أنفاسهم بعد أن تمكنوا من تأمين الاتصال بالنجدات التي أتتهم. وانقض المقاتلون العرب على الحامية اليهودية من الجهات الأربع. فتهاوت مراكز تلك الحامية وفر اليهود منهزمين تاركين خلفهم نحو مائتي قتيل، ودخل المجاهدون القسطل منتصرين ورفعوا العلم الفلسطيني على أعلى بناية فيها وكان ذلك في الساعة الرابعة من بعد ظهر ٨ نيسان – ابريل – ١٩٤٨.

استشهاد القائد... وأثره

ولكن أحداً من المناضلين لم يكن يعلم، في نشوة الانتصار هذه، ان بطل القسطل عبد القادر الحسيني قد جاد بأنفاسه، قرب حائط لأول بيت من بيوت القرية العربية في طرفها الشرقي.

لقد وجدوا عبد القادر عند زاوية ذلك البيت العربي، جثة هامدة. وقد أصيب في عنقه وأذنه وبطنه، بشظايا قنبلة قاتلة. ووجدوا قرب جثته جثث عدد من اليهود أغلب الظن أنه تبادل القتال معهم. كما وجدوا ما كان يحمل معه من أوراق ووثائق ونقود وسلاح مما يدل على ان اليهود لم يتعرفوا على شخصه عندما قتلوه. وما ان عرف المجاهدون المنتصرون بخبر استشهاد القائد عبد القادر الحسيني حتى انتابتهم جميعاً ثورة من الغضب الشديد فهبوا يطاردون اليهود المنهزمين حتى اوقعوا فيهم نحو خمسين قتيلاً آخرين. ولكنهم، وقد أصيبوا بذهول المفاجأة وهول الفاجعة. لم يتبصروا الأمر ويقدروا الخطر فتفرقوا. بعد انتصارهم في القسطل، وبعد موت قائدهم. فغادر فريق منهم القرية لنفاد ذخيرته. وغادرها فريق آخر تعباً من القتال. وغادرها فريق ثالث ليحضر مأتم القائد الشهيد في القدس. كل ذلك بدلاً من أن يحتفظوا بالموقع الذي دفعوا ثمن احتلاله حياة الكثير من رفاقهم بالاضافة إلى حياة قائدهم. وعاد اليهود إلى القسطل بقوة من حشود اليهود الوافدين من القدس وموتسا والمستعمرات المجاورة وهي تقدر بأربعمائة مقاتل تعززهم المصفحات ومدفعية الهاون وتساندهم الطائرات. فشنوا على القرية هجوماً جديداً ليل ٨ – ٩ نيسان – ابريل – ولم يكن قد بقي فيها سوى أربعين مجاهداً بقيادة بهجت أبو غربية[1] ومحمد عادل النجار. وما ان بدأ الهجوم اليهودي على القسطل حتى أرسلت هذه الحامية الصغيرة تستنجد بمن يجاورها من المجاهدين. فتحركت لنجدتها قوة بلغت نحو ٧٥ رجلاً من السوريين والعراقيين من جيش الانقاذ. إلا ان هذه القوة، بدلاً من أن تتجه مباشرة إلى ساحة القتال رأت أن تبيت ليلتها في عين كارم. وتمكن اليهود من محاصرة البلدة وسد جميع المنافذ المؤدية إليها. ولكنهم قبل أن يشنوا هجومهم العام على حاميتها، وجهوا إليها قصفاً مدفعياً محكماً من مدافعهم الهاون عيار ٣ بوصات من مستعمرتي موتسا والخمس ومن سائر الجهات، ثم شنوا في صباح ٩ نيسان – ابريل – هجوماً عنيفاً تمكنوا على أثره من احتلال البلدة ودمروا كل بيوتها وحصونها كما دمروا مسجدها. وهكذا عادت القسطل فسقطت بين أيدي الصهاينة. وكان سقوطها نهائياً هذه المرة، الأمر الذي جعل اليهود مسيطرين سيطرة تامة على طريق تل أبيب – القدس وعلى طريق تموين القدس الجديدة. مما أثر تأثيراً سيئاً في الموقف العربي في القدس القديمة وأتاح لليهود مجال مهاجمتها بعد ذلك.

ويذكر جون باجوت غلوب رئيس الأركان السابق للجيش الأردني في كتابه «جندي بين العرب» انه كان واقفاً في أحد شوارع رام الله. ذات يوم من نيسان – ابريل – ١٩٤٨. حين وصل رجل بالسيارة إلى المدينة وقفز إلى الشارع وراح يصيح: «المحاربون في القسطل بلا ذخيرة. كل من يأتي ببندقية ورصاص أدفع له نقداً». ثم أخذ يركض في الشوارع حتى جمع نحو

مائتي بندقية متنوعة بين المانية وتركية وبريطانية وفرنسية. ويضيف قائلاً: «لقد كان العرب وهم غير منظمين ولا مدربين. يحاربون بضراوة. ثم قتل عبد القادر الحسيني. ولم ينهض قائد يحل محله».

والناظر إلى «القسطل» اليوم. في خارطة فلسطين المحتلة يجد اسماً آخر لا يمت إلى القسطل العربية بصلة. انها قرية «قاستل» أو «موشاف» وهي مستوطنة يهودية انشئت على انقاض «القسطل» العربية. عام ١٩٤٩. على طريق القدس – تل أبيب. إلى الغرب من «موتساعليت». وشمالي «ماعوزتسيون». ●

مراجع البحث

● خارطة فلسطين، نشر مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت.

● النكبة، لعارف العارف، جزء أول.

● بلدانية فلسطين المحتلة، للدكتور أنيس صايغ.

● الحرب الفدائية في فلسطين، للمقدم محمد الشاعر.

● فلسطين عبر ستين عاماً، لإميل الغوري، جزء أول.

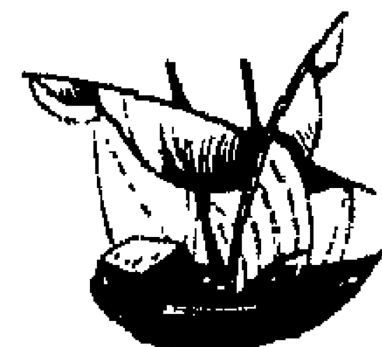
● القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية.

● جهاد شعب فلسطين، لصالح أبو يصير.

● جندي بين العرب (مذكرات الجنرال غلوب باشا، رئيس أركان الجيش العربي الاردني في حرب فلسطين عام ١٩٤٨).

● مجلة «فلسطين» الصادرة عن الهيئة العربية العليا لفلسطين، عدد نيسان (ابريل) ١٩٦٣.





الدكتور أنيس صايغ و«تاريخ العرب والعالم»



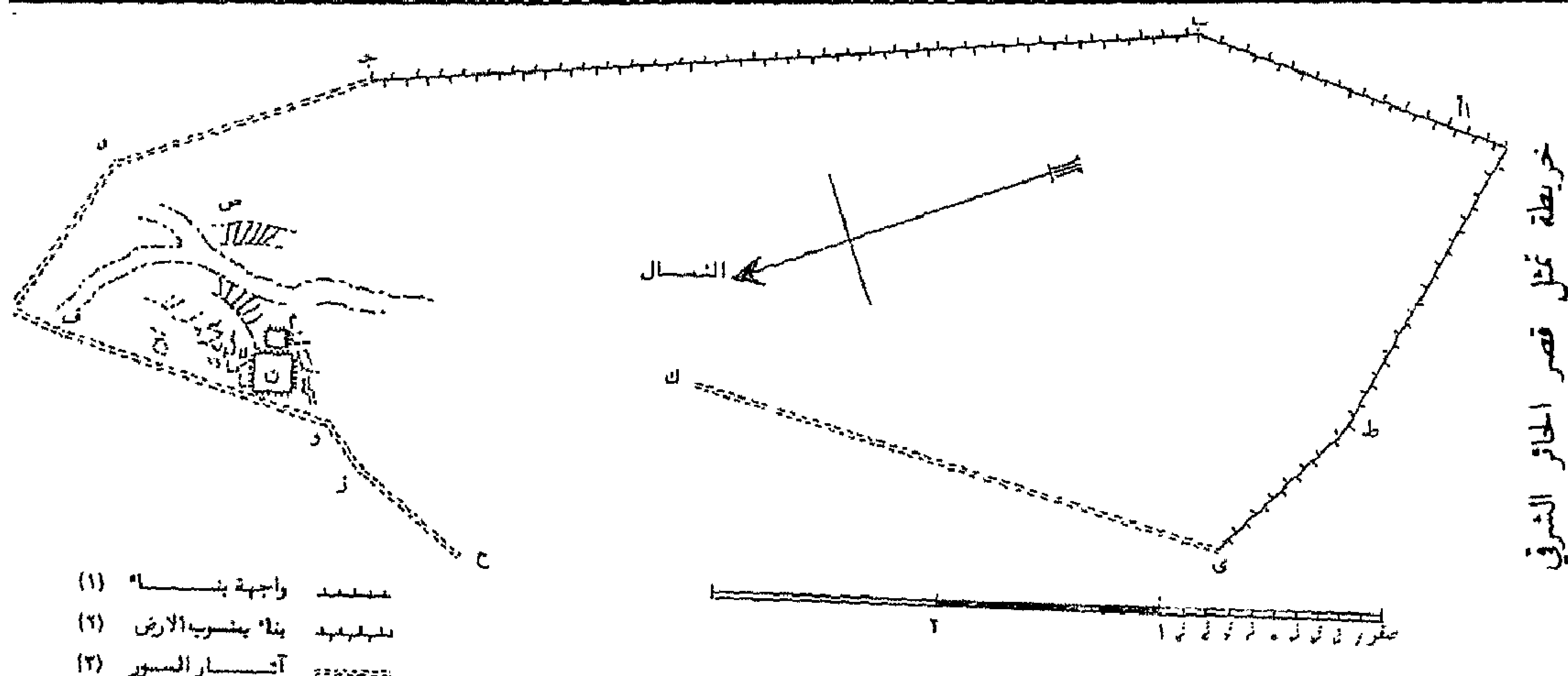
● انضم الدكتور أنيس صايغ إلى أسرة تحرير «تاريخ العرب والعالم» مستشاراً للمجلة ابتداء من العدد السابع. وتعتقد اسرة التحرير، بأن انضمام الدكتور صايغ إليها يعتبر قفزة أساسية إلى الأمام في المسيرة الطويلة نحو تحقيق المستوى العلمي الذي نرمي إليه. ولا شك في أن خبرة الدكتور صايغ، كأستاذ سابق للتاريخ في جامعة كامبريدج. بريطانيا. وكمدير لمركز الأبحاث سابقاً، وكرئيس لتحرير «المستقبل العربي» في مرحلة تأسيسها، هو إضافة مهمة لا نفخر بها فقط، بل انها ستنعكس بلا شك على مستوى مضمون المجلة. لذلك فان ترحيبنا بالدكتور صايغ كبير.

«أسرة التحرير»

حدائق الحيوان زمن الأمويين

د. فواز احمد طوقان





خريطة لقصر الحائر الشرقي

● يتردد لفظ «الحير»[(١)] بين آن وآخر في كتابات المؤلفين في العمارة الإسلامية على أنه جزء من علم مركب. ويكاد يقتصر هذا العلم على بناءين بعينهما اشتهرا بهذا الإسم وهما: قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي. وما زالت انقاضهما قائمة حتى الآن شرقي تدمر وغربها. وسنحاول في الصفحات التالية تتبع لفظة الحير في المصادر العربية لاستجلاء معناها الدقيق وتعريف مصطلحها لنعين دارسي الحضارة الإسلامية على استيفاء أدقّ لمفهوم هذا المصطلح.

كتب العلامة كرسويل عن أبنية قصر الحير الشرقي الخمسة بالتفصيل[(٢)]. وقد أعتمد على عالم آخر كتب قبله وكان نتاجه أوّل ما نشر في الموضوع[(٣)].

وقد اقترح غبريال تفسيراً لنشآت هذا القصر عارضه عليه بشدّة عالم آخر هو هنري سيريغ[(٤)].

وكان جان جاك روسّو قد رأى هذا البناء عندما زار الشرق العربي. وقد رأى نقشاً في قصر الحائر يشير الى مدينة بناها هشام بن عبد الملك[(٥)]. يؤرخ النقش هذا البناء بعام ١١٠هـ/ ٧٢٨ - ٧٢٩م. ويبدو أن «المدينة» هذه إنما هي الأبنية التي يتألف منها قصر الحائر الشرقي. يعتبر كرسويل أن الأبنية الخمسة هذه لا سبيل الى فصلها عن بعضها زمنياً[(٦)]. فإذن، يعود قصر الحائر الشرقي كله الى تلك الحقبة التاريخية أي خلافة هشام بن عبد الملك.

---

(٥) فواز أحمد طوقان. بكالوريوس آداب من الجامعة الاميركية في بيروت. ماجيستير دراسات شرقية من جامعة يال. ثم دكتوراه دراسات شرقية من الجامعة نفسها. كذلك عمل مدرّساً في جامعة يال في الولايات المتحدة، ثم في جامعة مينسوتا. ويعمل حالياً استاذاً مثبتاً في الجامعة الاردنية منذ العام ١٩٦٩. في قسم اللغة العربية. له مؤلفات عديدة في اللغات السامية والأدب العربي والعمارة والفن العربيين.

وصف كرسويل في «العمارة الاسلامية (المطول)». هذه الأبنية الخمسة وصفاً دقيقاً:

١ - البناء الصغير: طوله ٦٦ متراً وعرضه ٦٦ متراً (ج ١، ص ٣٣٣ - ٣٣٥).

٢ - البناء الكبير: طوله ١٦٠ متراً وعرضه ١٦٠ متراً (ج ١، ص ٣٣٥ - ٣٣٧).

٣ - الجامع: طوله ٦٧ متراً وعرضه ٤٠ متراً تقريباً (ج ١، ص ٣٣٧ - ٣٣٩).

٤ - المئذنة: طول ضلع القاعدة ٣ أمتار، وارتفاعها ١٠ أمتار (ج ١، ص ٣٣٩).

٥ - الأعمال المائية: وتجلب المياه في قنوات من بعد ٣٠ كيلومتراً تقريباً من عين اسمها «عين القوم» (ج ١، ص ٣٣٩ - ٣٤٢).

ثم هناك «الحير». يقع على مسافة قصيرة من القصر، الى الشرق. حائطه يرتفع ٤ أمتار ويمتد ٦٣ متراً الى الشمال الغربي من جهة و ١٦٢ متراً الى الشمال الشرقي. ويلتقي الحائطان على زاوية قدر انفراجها ٨٠ درجة. ويطول الحائط الأول باستقامة مقدارها ١٣٦٠ متراً (أمّا اليوم فهو مهدّم تماماً)، ويطول الحائط الآخر ١٣٠٠ متر (وهو مهدّم الآن). ثم



أقام الامويون حدائق الحيوان من أجل هواية الصيد.

ينحرف هذا الحائط الثاني (الممتد الى الشمال الشرقي) شمالاً تماماً مقدار ٣٦٠ متراً. وبعد ذلك تزول معالم الحائط الا كحرف من الأرض مرتفع. ويستمر امتداده هكذا الى ٧٥٠ متراً أخرى. ويصل طرف هذا الحرف بالحائط الآخر حائط ثالث يبلغ طوله حوالي خمسة كيلومترات فالمساحة التي يقوم عليها الحائر الشرقي مساحة واسعة جداً، (عشرة آلاف دونم).

...وقصر الحير الغربي

كما عُثر فيما بعد على قصر آخر يقع على مسافة بعيدة غربي قصر الحير الشرقي أطلق عليه علماء الآثار الاسلامية اسم: قصر الحير الغربي[٧]. أما البحث المفصل عن هذا القصر فهو من تأليف دانيال شلومبرجه[٨]. وقد عُثر في هذا القصر على تماثيل للخليفة ورسوم كثيرة خلافاً لما هو شائع بأن الشرع الاسلامي يحرم التصوير والنحت[٩]

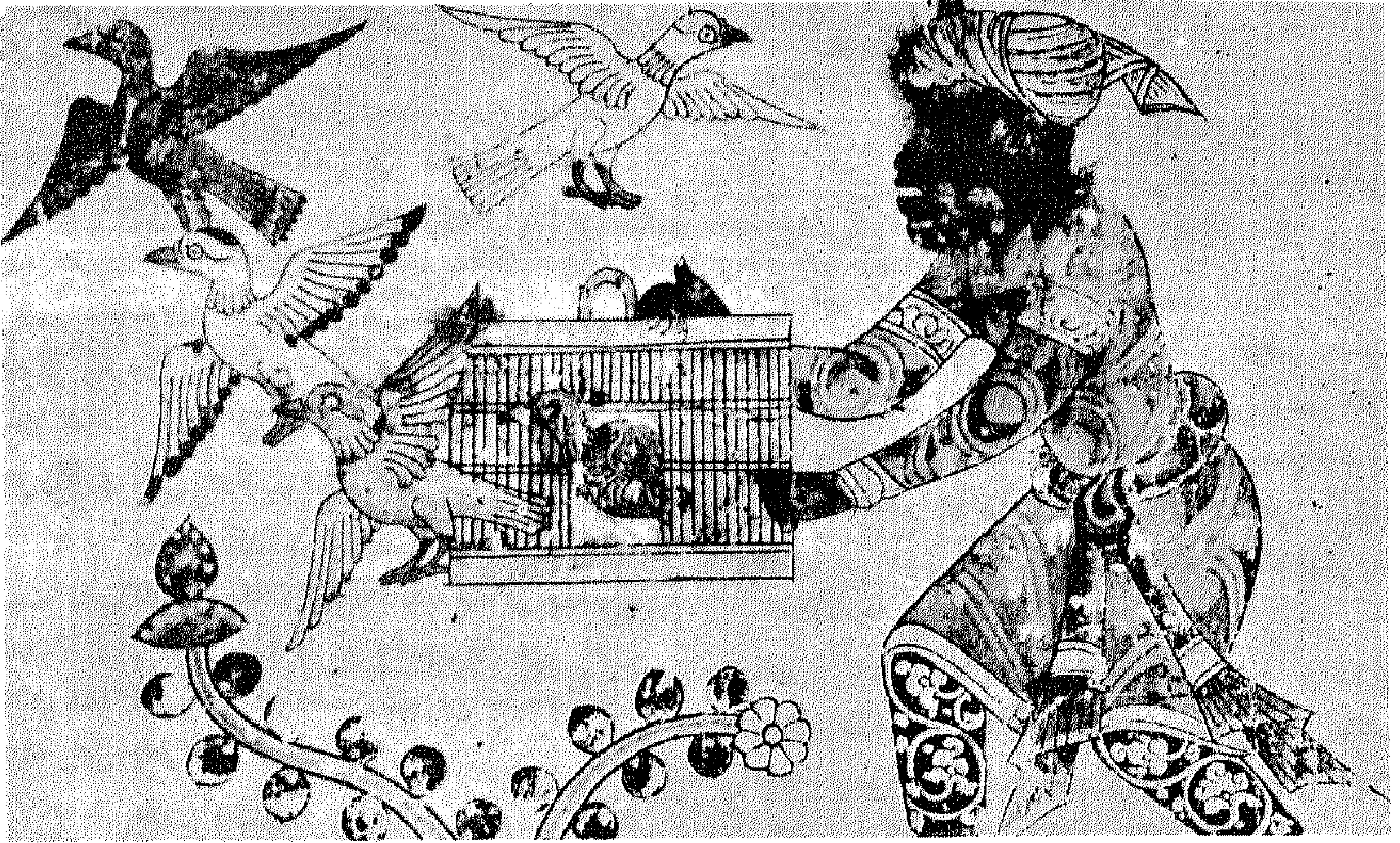
واختلف الأثريون في العقدين الثاني والثالث من هذا القرن حول ماهية «الحير». ظن غبريال (في مقاله المشار إليه آنفاً) أن هذه المساحة الواسعة والأعمال المائية والقنوات إنما هي جميعاً بحيرة اصطناعية. ولكن سيريغ قال إنها حدائق. أما رأي غبريال فضعيف. إذ لا يمكن لجدران الحير مقاومة ضغط الماء الذي هذا حجمه. كما ان انفتاح سطح «البحيرة» بهذا الشكل (مساحتها ١٠،٠٠٠ دونم تقريباً) يساعد على تبخُّر الماء بسرعة كبيرة خصوصاً وأن المنطقة شديدة الحرارة في الصيف. والقنوات لا تكفي لنقل الماء البديل للتبخُّر. وأمّا الرأي الثاني (سيريغ) فغير بعيد عن الصواب. أي «الحير» هو عبارة عن حدائق تابعة للقصر.

* * *

الحير في نصوص الأولين

ورد ذكر لفظة «الحير» في المصادر العربية[١٠]. ويعنينا تتبع المواطن التي ذكرت فيها هذه اللفظة على فهم أدق وأعمق للهدف الذي شيّد «الحير» من أجله وطريقة استعماله وخصائصه.

١ - ذكر إبن واضح اليعقوبي (٢٨٢ هـ/٨٩٥ - ٨٩٦م) في البلدان[١١] أن المعتصم[١٢] لمّا شيّد سامراء كان يراعي أملاك الآخرين كلما وصل اليها وذلك لما شرع في بناء «الحير» هذا على حد فهم كرسويل للنص[١٣]. ولكن النص



● من كتاب «الحيوان» للجاحظ.

الأصلي غامض بعض الشيء ولا يؤدي المعنى الذي ذهب اليه كرسويل. فعند الكلام عن خطط سامراء، ذكر اليعقوبي الشوارع الرئيسية في المدينة، ومنها مثلاً الشارع الثالث واسمه شارع الحير[١٤] الأول، والشارع السادس واسمه شارع الحير الجديد[١٥]. ثم قال ما نصّه: «وهذه الشوارع التي من الحير أجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط وبنى خلفه حائطاً غيره[١٦]». والسؤال الآن: هل بناء الحائط كان للشارع. أم أنه حائط الحير؟ ويستمر النص بطريقة توحي بأن الحائط المذكور هو حائط الحير: «وخلف الحائط الوحش... الخ»[١٧]. يفهم من ذلك أن الحائط هذا الأخير هو المعني.

ولكن سياق الكلام يقيم علامة استفهام كبيرة حول المعنى وعلى أيه حال حشرت «الظباء والحمير الوحش والأيايل والأرانب والنعام» في هذا المكان وحُوطت بحائط «يدور في صحراء حسنة واسعة[١٨]».

٢ - يتطرف محمـــد بن جرير الطبري (- ٣١٠هـ/ ٩٢٢-٩٢٣م) الى الحديث عن الحير وذلك في مناسبات عدّة. ويفهم من مضمون السياق أن الحير كان مكاناً متسعاً جداً ومحصناً ويمكن أن يستعمل في وقت من الأوقات كحظيرة تتمركز فيها قوة عسكرية ضارية أو تلجأ اليه في حالة معينة[١٩]. وقد ذكر الطبري هذا البناء بصيغته اللغوية المخففة: «الحير» مما يدلنا على أن الإسم الشائع هذا كان وارداً في وقت مبكر جداً. ولكن وردت لفظة «الحاير» مرّة واحدة في الطبري كاختلاف في أحدى النسخ[٢٠].

٣ - وردت في ديوان أبي بكر الصنوبري، (توفي ٣٣٤ هـ. ٩٤٥م)[٢١] لفظة «الحير»[٢٢]. فالحير حير الوحش والميدان ميدان الجواري وتظهر اللفظة في المحفوظ الأصلي مصحّفة الى حيز. وهو خطأ. والإشارة في هذا البيت موجهة الى قصر الحير الشرقي الذي يبدو أن غابته داخل الحير كانت ما تزال قائمة حتى زمن الشاعر. ويلوح من كلامه في القصيدة أن الحظيرة هذه كانت ما تزال عامرة بالوحوش والحيوانات. والقصيدة كلها زاخرة بذكر القصور والمتنزهات في تلك المنطقة.

٤ - مع أن المسعودي في مروج الذهب تناول خلافة المعتصم وحبّه للعمارة[٢٣] كما تناول تخطيط سامرا[٢٤] بإيجاز. لكنه لم يذكر الحير الذي بناه المعتصم ورأينا له ذكراً في غير مروج الذهب من المصادر. أما المتوكل[٢٥] فقد أحبّ البناء وأحدث نوعاً لم يكن معروفاً من قبله عند المسلمين وهو البناء الحيري (نسبته الى الحيرة)[٢٦]. ولكن المسعودي لم يذكر لنا شيئاً عن الحير في زمن المتوكل. وبحثنا في فهارس مروج

الذهب عن لفظة الحير معتمدين على دقة المفهرس داغر. بيد أننا لم نجد لها ذكراً.

٥ - ذكر إبن مسكويه (- ٤٢١هـ/١٠٣٩ - ١٠٤٠م) في تجارب الأمم[٢٧] أن الحرس نهبوا قصر الثريا في بغداد عام ٣١٥هـ. وقتلوا الحيوانات التي كانت في «الحاير»[٢٨]؛ وهذا هو النص بالحرف: «وفيها شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلى فنهبوا العقد المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذي في الحاير[٢٩] وذبحوا البقر الذي لأهل القرى التي حوله...».

٦ - جاء في تكملة تاريخ الطبري[٣٠] أن القباب نصبت بباب الطاقة لزوار «الحائر». وقد جاء في معجم البلدان[٣١] أن الحائر هذا هو قبر الحسين بن علي. أمّا إطلاق هذا الإسم على قبر الحسين فهو من باب تغليب الصفة على العلم[٣٢].

٧ - ياقوت الحموي.

(أ) ذكر ياقوت الحموي (- ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) في معجم البلدان[٣٣] أن الحير الذي في سرّ من رأى قد أنفق المتوكل[٣٤] أربعة آلاف ألف درهم على عمارته.

(ب) ويهمنا كذلك نصّ آخر في معجم البلدان[٣٥] يفسّر ماهية الحير: «...وهو شبه الحظيرة أو الحمى» ونفهم من صيغة النص أن ماهية الحير في غضون ثلاثة قرون بعد بناء حير سامرا قد اكتنفها الغموض حتى على متخصّص عالم مثل ياقوت.

وذكر كمال الدين بن العديم (- ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)[٣٦] «حيار بني عبس» هي مثل «حيار بني القعقاع» التي ذكرها ياقوت ورجح أن «حياراً» هي جمع لحير. ويلوح من معلومات ابن العديم أنها مشابهة لماورد عند ياقوت.

٩ - وقد أورد ابن شدّاد (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) في الأعلاق الخطير[٣٧]. لفظة «الحير» دون اعطائها صيغة ما: «وكنيسة اليهود عند الحير باقية». والكلمة في مخطوط ابن شداد غير منقوطه كاد المحقق سامي الدهان أن يقرأها «الجسر» ولكنها وردت في تاريخ إبن عساكر على «حير». أيفهم من هذا أن هنالك حيراً ثالثاً قريباً من دمشق من ناحيتها القبلية؟

محاولة تفسير لغوية

شرح إبن منظور (- ٧١١هـ/١٣١١م)[٣٨] نقلاً عن ثعلب (٢٩١هـ/٩٠٣م) أنه قيل في الماء اذا حار أو تحيّر أنه «تردد» أو «اجتمع ودار» وبذلك سمّوا «مجتمع الماء» حائراً. والحائر كذلك حوض «يسيّب اليه مسيل الماء من الأمطار». وقد أورد ابن منظور أقوالاً اخرى في تصرف الماء هكذا نقلها عنه الزبيدي وأضاف عليها (راجع ما سيمر). ولكن ابن منظور لم يفدنا كثيراً من حيث أن الحائر موضع تحشر فيه الوحوش بغية اصطيادها.

١١ - أما الفيروزابادي (- ٨١٧هـ/١٤١٤م) فقد تطرّق الى الحير في معجمه. ذكر الفعل الماضي حار وأدرج بعض مشتقاته كيحار حيرة وحيراً (بفتح الحاء وسكون الياء) وحيراً (بفتح الحاء والياء معاً) وحيراناً. والمضعف تحيّر الرجل (بتشديد الياء) اذا نظر الى شيء فغشي عليه ولم يهتد الى سبيله. وتحير (بتشديد الياء) الماء اذا تردد. ثم أضاف بأن «الحائر» هو «كالحير»؛ وهو المكان المطمئن ومسيل ماء الأمطار والبستان[٣٩]. وجمع الفيروزابادي الحير على حوران (بضم الحاء) وعلى حيران (بكسر الحاء). ثم ذكر مواضع بعينها اسماؤها مشتقة من الجذر نفسه. ثم يقول ما نصّه: «والحير شبه الحظيرة أو الحمى» وهو كلام منقول عن ياقوت. وأشار الفيروزابادي ايضاً الى قصر كان في سامرا يعرف باسم الحير[٤٠]

١٢ - يفصل الزبيدي[٤١] (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ما أوجزه الفيروزابادي. ويكرر كذلك معظم ما ورد في لسان العرب. في مجازات اللغة العربية من جذر حار أن الماء اذا قيل فيه حار في المكان فمعناه وقف وتردد وكأنه لا يدري كيف يجري كتحيّر واستحار. وليس من العسير أن نربط هذا المعنى بمفهوم حشر الوحش خلف الحائط أي أنه يتحير في هذه الحظيرة ويقف ويتردد في مكانه ذلك أنه غير قادر على الهرب الى غير هذا المكان●

الهوامش

(١) ضبط هذه اللفظة فيه اختلاف. فقد ضبطها محققو النصوص التي لدينا بفتح الحاء وسكون الياء. وهذا خطأ في نظرنا. ذلك أن «الحير لفظة عامية. أما لفظها الصحيح فهو: الحائر. فقد طرحت الألف وقلبت الهمزة الى ما يقابلها من أحرف العلة. ولكن

النطق العامي بهذا التطور لا يكون على غرار الدفتنغ (diphtong) بل على غرار ما تقوله العامة : عائشة الى عيشة ، مستحسنين التخفيف . وهذا طبعاً عامّي . لا يؤخذ به . راجع ذلك في الزبيدي ، تاج العروس ، (القاهرة . المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦ هـ – ١٣٠٧ هـ . اعادة طبع بالافست . بنغازي . دار ليبيا للنشر والتوزيع . لات) . ج٣ ، ص١٦٣ ؛ وانظر ما سيمر .

(٢) راجع في ذلك

K.A.C. **Creswell, Early Muslim Architecture,** (Oxford, Clarendon press, 1932-1940), vol.I, **pp.333-342; A Short Account of Early Muslim Architecture,** Harmonds worth, Middlesex, Penguin Books, 1958), pp.111-123.

وسيشار الى هذين المؤلفين القيمين في هذا التعليق بعد الآن هكذا . للأول : **العمارة الاسلامية (المطوّل)** . وللثاني **العمارة الاسلامية** .

(٣) راجع : A. Gabriel, "Kasr el-Heir" in **Syria** VIII (1927) pp.302-329; plates LXXXV-XCIV.

(٤) راجع : Henri Seyrig, "Les jardins de Kaser el-Heir" in **Syria,** XII (1931), pp.316-318; Plate LXII.

وراجع ما اختصره محمود العابدي في كتابه **القصور الأموية** . (عمان . مطابع الشركة الصناعية . ١٩٥٨) . ص١٠٣ – ١٠٦ ؛ وانظر كذلك

David Talbot Rice, **Islamic Art,** (New York, Frederick A. Praeger, 1965), p.24 F

(٥) حكم هشام من ١٠٦ هـ – ١٢٦ هـ/٧٢٤م – ٧٤٣م .

(٦) كرسويل . **العمارة الاسلامية (المطوّل)** . ج١ . ص٣٤٢ – ٣٤٣ .

(٧) راجع العابدي . **القصور الأموية** . في خارطة القصور الأموية في البادية (قبل الصفحة ٧) . والناظر في هذه الخارطة يفضل تسمية القصرين بالشمالي والجنوبي لبروز الفارق بينهما بالنسبة للشمال والجنوب .

(٨) دانيال شلومبرغر . قصر الحير الغربي . ترجمة الياس أبي شبكة . بيروت . ١٩٤٥ . وقد نشر هذا البحث أصلاً بالفرنسية عام ١٩٣٩ :

Danial Schlumberger, "les fouilles de Qasr el Heir el Gharbi: (1936-1938), rapport préliminaire," in **Syria,** XX (1939), pp.195-238; Plates XXVII — XXXIX; pp.324-337; Plates XLIV — XLVII.

وراجع المقال الجيد حول ترميم واجهة القصر . سليم عبد الحق . «إعادة تشييد جناح قصر الحير الغربي في متحف دمشق» . في الحوليات الأثرية السورية . (دمشق) . العدد الأول (١٩٥١) . ص ص٥٥ – ٥٦ . وتلخيصه في العدد نفسه باللغة الفرنسية ، ص ص١٢٩ – ١٣٣ من القسم الأجنبي . وراجع كذلك ما لخصه محمود العابدي . **القصور الأموية** . ١٠٧ – ١٢٥ . وأنظر الخارطة في رايس . **الفن الاسلامي** . ص ص٢٦٦ – ٢٦٧ . حيث يعين موقع قصر الحير .

(٩) راجع في هذا التحريم ما شرحه مسهباً المستشرق توماس آرنولد :

Sir Thomas W. Arnold, **Painting in Islam: A Study of the Place of Pictorial Art in Muslim Culture,** (New York, Dover Publications, Inc., 1965, first published, 1928), pp.1-40.

وراجع كذلك :

Bisher Fares, "Philosophie et jurisprudence illustrées par les arabes," extract from **Mélanges Louis Massignon,** Damas, Institut Français de Damas, 1957; Katharin Otto-Doren, "Grabung in Umayyadischen Rusâfah," in **Ars Orientalis,** Vol.II (1957), pp.119-133.

وراجع كذلك محمود تيمور . **التصوير عند العرب** . تحقيق زكي محمد حسن . القاهرة . ١٩٤٢ ؛ محمد عبد العزيز مرزوق . **الاسلام والفنون الجميلة** . القاهرة ١٩٤٤ .

وراجع في الاحاديث النبوية التي ذكرت التصوير وكرّهت ذلك أو حرّمته : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري . **صحيح البخاري** . (القاهرة . دار الطباعة . ١٣١٥هـ) . ج٧ . ص٦٤ وما بعدها في «باب التصاوير» .

(١٠) ذكر كرسيول نصين منها . **العمارة الاسلامية** . ص١١٩ .

(١١) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي . كتاب البلدان . (ليدن . مطبعة بريل . ١٨٦٠) . ص٢٦٣ . (طبع مع كتاب **الاعلاق النفسية** لابن رسته . والاثنان بتحقيق م.ج.دي غوجه) .

(١٢) حكم المعتصم من ٢١٨هـ الى ٢٢٧هـ/٨٣٣م — ٨٤٢م.

(١٣) كرسويل. العمارة الاسلامية. ص١١٩.

(١٤) ضبطها المحقق بالفتح فالسكون.

(١٥) اليعقوبي. كتاب البلدان ص٢٦٢.

(١٦) المصدر نفسه. ص٢٦٣.

(١٧) المصدر نفسه ص٢٦٣.

(١٨) المصدر نفسه ص٢٦٣.

(١٩) **تاريخ الرسل والملوك**. (تحقيق دي غوجه. ليدن. مطبعة بريل. ١٨٧٩ — ١٩٠١). القسم ٣؛ راجع مثلاً الصفحات التالية: ١٨٠٢ و ١٨٠٤ و ١٨٠٧ و ١٨١٧ و ١٨٢٤ وخصوصاً ١٨٢٨ وجميعها تتعلق بالحير (سامراء.)

(٢٠) الطبري. **تاريخ الرسل والملوك**. القسم ٣. ص٧٥٢.

(٢١) هو الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري. اشتهر في شعر الطبيعة وعاشر سيف الدولة الحمداني ردحاً من الزمن. ويقال كان للمتنبي صلة أدبية به. لم يعره مؤرخو الأدب اعتناء لائقاً به. آخر ما كتب عنه دراسة لفواز أحمد طوقان. «حبيب الأصغر: أبو بكر الصنوبري (شاعر الروضات)». في الشرق. ١٦٤ ﺟ — ١٩٧٠). ص٢٦٣ — ٢٧٨.

(٢٢) راجع ديوان **أبي بكر الصنوبري**. (تحقيق فواز أحمد طوقان. بيروت. منشورات موافق. ١٩٧٠). القصيدة ٤٦: البيت ٧؛ وراجع آخر الديوان في الحواشي والتعليقات على القصيدة كلها فهي زاخرة بأسماء أمكنة وقصور في الجزيرة الفراتية.

(٢٣) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (— ٣٤٦هـ/١٩٥٧م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. (وضع الفهارس يوسف أسعد داغر. بيروت. دار الأندلس. ١٩٦٥ — ١٩٦٦). ج٣ ص٤٥٩.

(٢٤) المصدر نفسه. ج٣. ص٤٦٦.

(٢٥) حكم المتوكل من ٢٣٣هـ / ٨٤٧م إلى ٢٤٨هـ/ ٨٦١م.

(٢٦) المسعودي. **مروج الذهب**. ج٤. ص٤. راجع ما سيمرّ عند الكلام على ياقوت.

(٢٧) أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه. **كتاب تجارب الأمم**. [تحقيق هـ. ف. امدروز. القاهرة. شركة التمدن الصناعية. ١٩١٤. (إعادة طبع أوفست. بغداد. مكتبة المثنى. لات)]. ج١. ص١٥٩.

(٢٩/٢٨) يتوجب همز الياء في الحاء. ذلك أن النساخ القدامى كانوا يخففون الهمزة إلى حرف العلة المقابل لها.

(٣٠) محمد بن عبد الملك الهمذاني (— ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. **تكملة تاريخ الطبري**. (الطبعة الثانية. تحقيق ألبرت يوسف كنعان. بيروت. المطبعة الكاثوليكية. ١٩٦١). ج١. ص١٢١.

(٣١) ياقوت. معجم البلدان. ج٢. ص١٨٩.

(٣٢) راجع في استعمال الحير أو الحائر كاسم علم نكرة ما سيمرّ في الكلام عن الفيروزآبادي. والزبيدي.

(٣٣) ج٢ ص٣٧٥.

(٣٤) حكم المتوكل في ٢٣٢ — ٢٤٧هـ/٨٤٧ — ٨٦١م. والأصح أن المتوكل بنى الحير بالقرب من «الخاصية المتوكلية» التي أنشأها على ثلاثة فراسخ من سامراء. راجع ابن واضح اليعقوبي. **تاريخ ابن واضح اليعقوبي**. (النجف. ١٩٣٩). ج٣. ص٣١٦؛ الطبري. **تاريخ الرسل والملوك**. القسم٣. ص١٤٣٨.

(٣٥) ياقوت. **معجم البلدان**. ج٢. ص٣٧٣.

(٣٦) **زبدة الحلب من تاريخ حلب**. (تحقيق سامي الدهان. دمشق. المعهد الفرنسي بدمشق. ١٩٥١). ج١. ص٤٨.

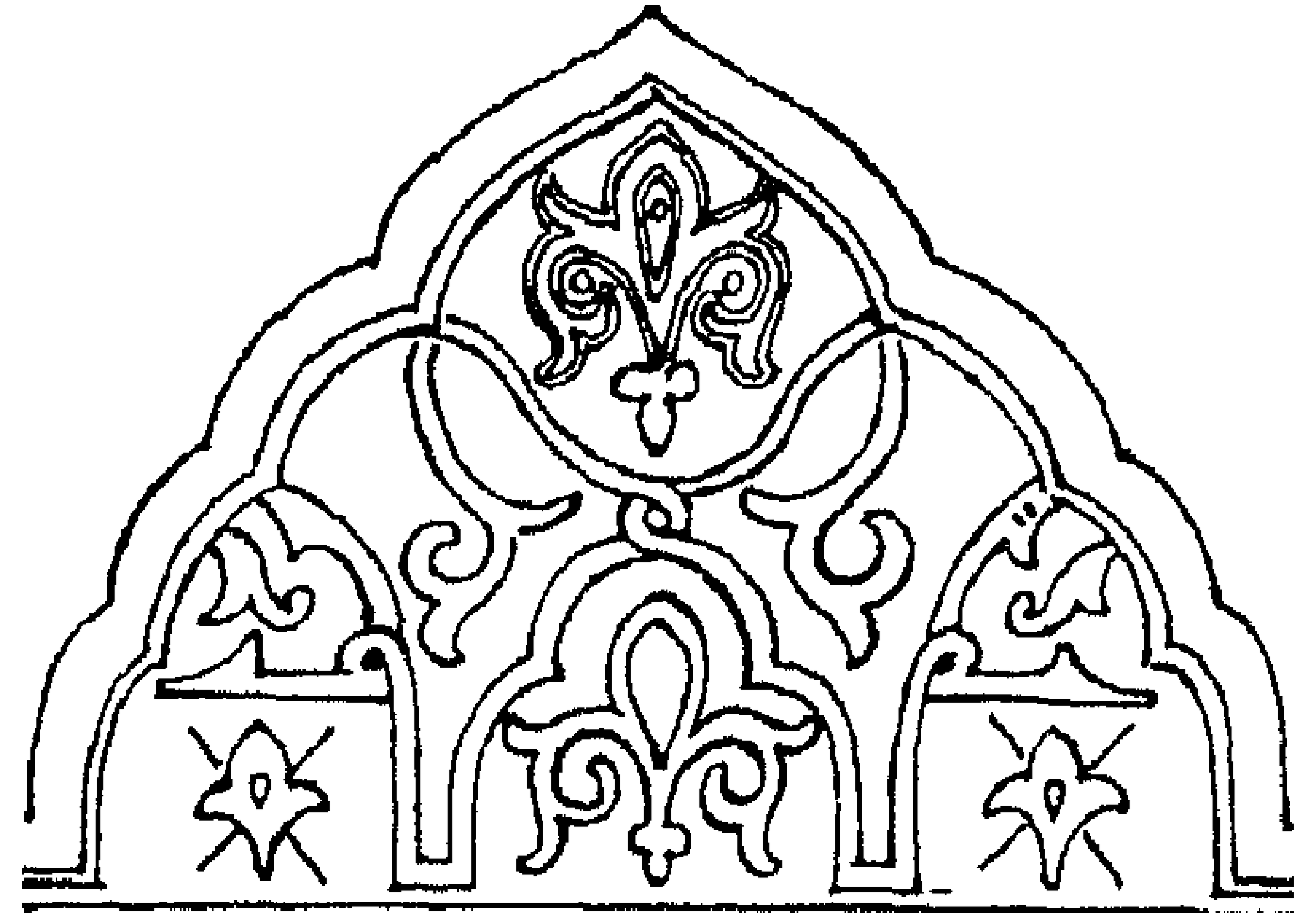
(٣٧) **تاريخ مدينة دمشق** (تحقيق سامي الدهان. دمشق. المعهد الفرنسي للدراسات العربية. ١٩٥٦). ص٢٧٣.

(٣٨) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. **لسان العرب**. (بيروت. دار صادر ودار بيروت. ١٩٥٥ — ١٩٥٦). ج٤. ص٢٢٢ — ٢٢٦.

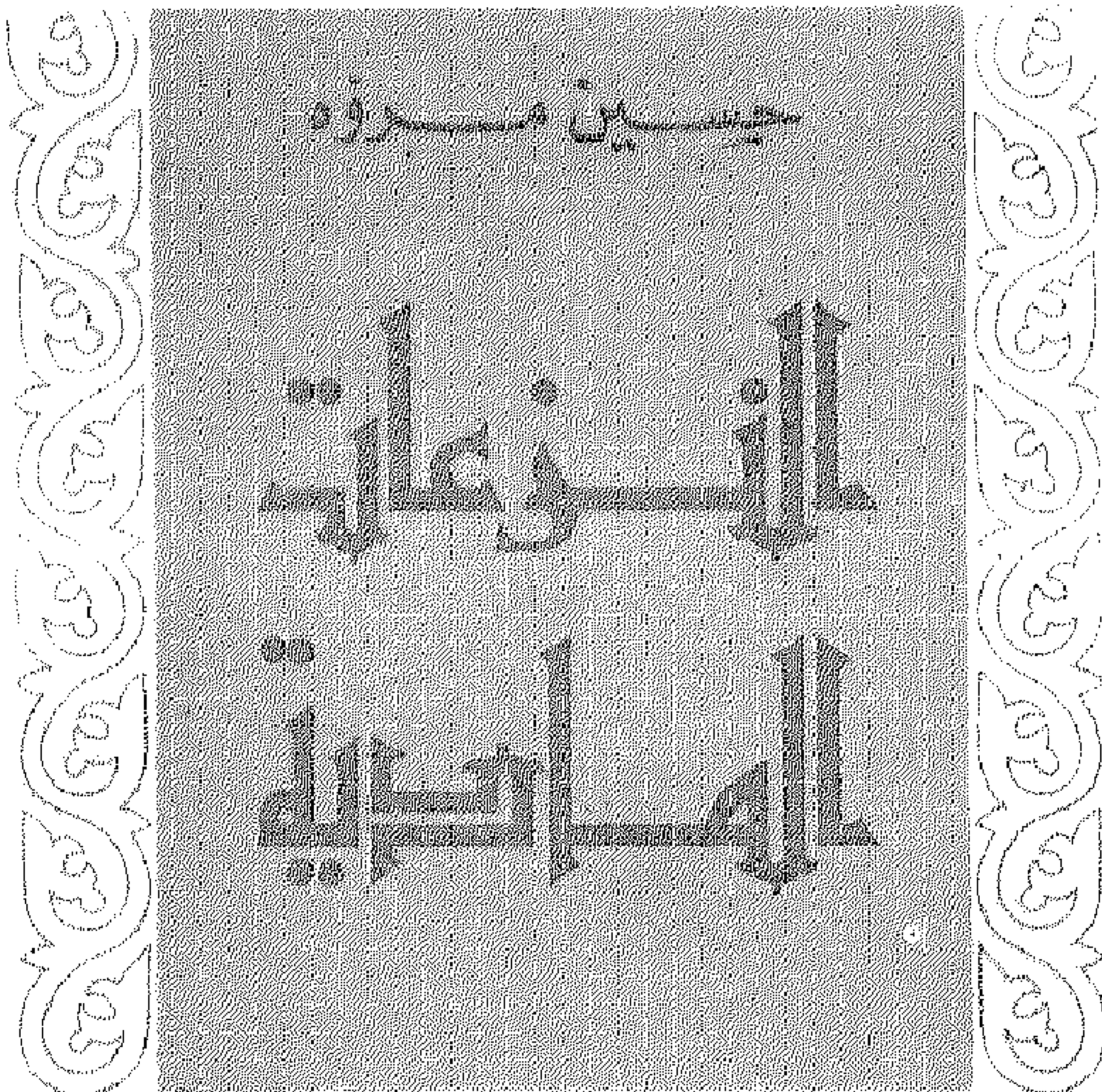
(٣٩) راجع **القاموس المحيط**. (الطبعة الثانية. القاهرة. مصطفى البابي الحلبي. ١٩٥٢). ج٢. ص١٦.

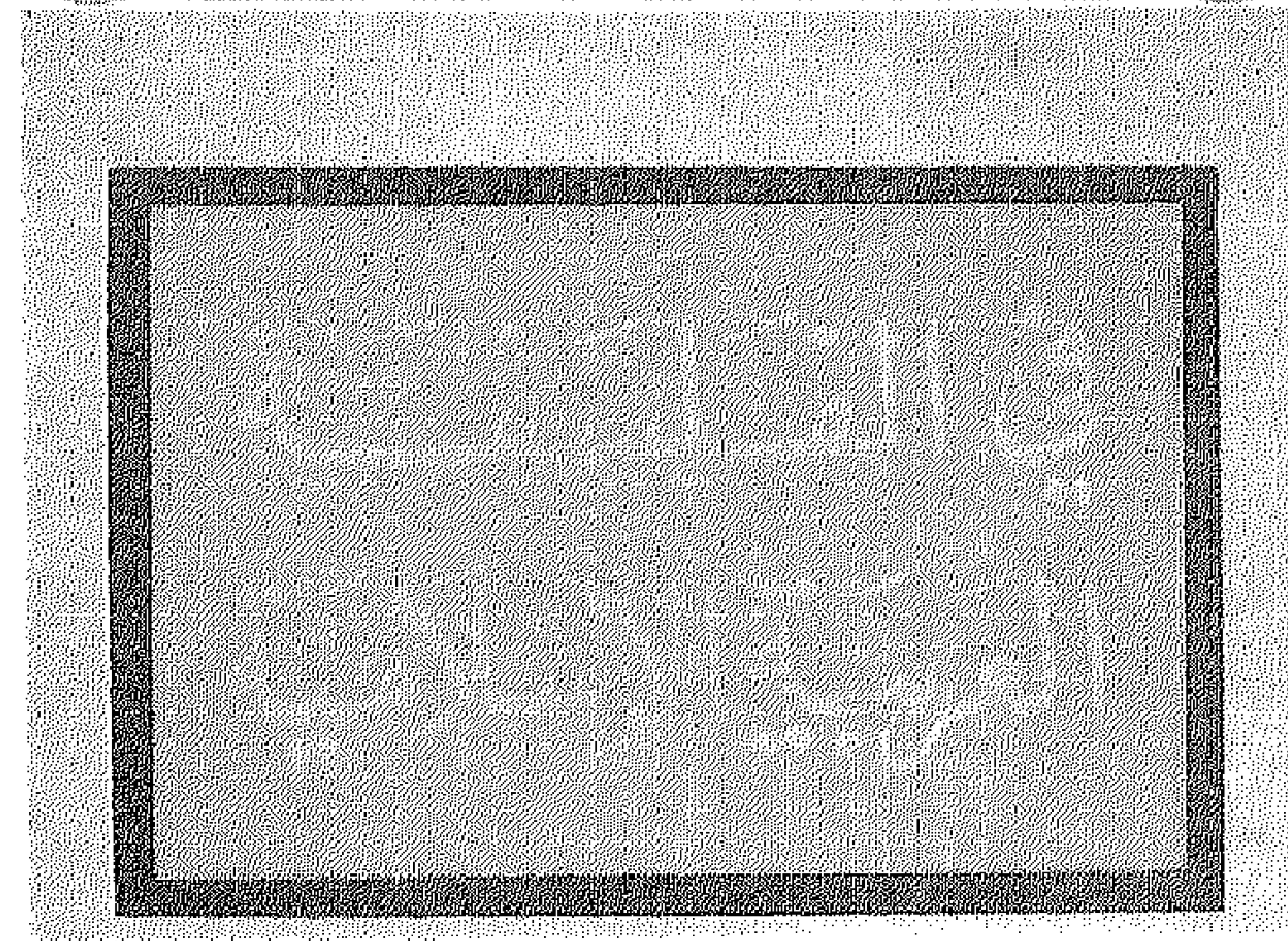
(٤٠) المصدر نفسه. ج٢. ص١٧.

(٤١) **تاج العروس**. (القاهرة. المطبعة الخيرية. ١٣٠٦هـ — ١٣٠٧هـ. إعادة طبع بالاوفست. بنغازي. دار ليبيا للنشر والتوزيع. لات.). ج٣. ص١٦٣.



النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية





عرض الدكتور طريف الخالدي

تأليف : حسين مروه

● هذا الكتاب طموح ، بل وطموح جداً. لكن هذا الطموح الجامح قد أدى بمؤلفه الى مزالق تاريخية ومنهجية شتى. فالقارئ يجد نفسه أمام موسوعة تزخر بالمعلومات عن مختلف المواضيع الفلسفية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية والأدبية والى ما هناك. لذا فان عنوان الكتاب بالذات هو أول موضع للانتقاد لأنه لا يفي بالقصد.

ولو كان لي أن أقترح عنواناً بديلاً له لكان : « الحضارة العربية الاسلامية في منظار المادية الديالكتيكية »

دار الفارابي : ١٩٧٨

ان عمود الكتاب الفقري هو تفسير مادي ديالكتيكي للفكر العربي الاسلامي لا أكثر ولا أقل.

أي أن المؤلف جاء بهذا الفكر فترة بين يديه ثم التقط عيدانه المبعثرة ووضعها في كنانة مادية ديالكتيكية وقدمها لقارئه العربي لكي يصار الى استخدامها في الخلافات الايديولوجية القائمة في يومنا هذا حول موضوع التراث (ص ٦ . ص ١٦ وما يليها).

وضخامة الكتاب ، الذي يقع في الف صفحة ونيف تجعل مهمة الناقد في تبويب وترتيب نقده مهمة صعبة لذا فسوف ادون في ما يلي الملاحظات التاريخية

والمنهجية المختلفة حسبما ترد في صفحات النص ثم أحاول في النهاية أن اصل الى بعض الاستنتاجات العامة حول هذا الكتاب.

ولا بد في البداية من كلمة ترحيب واعجاب فالترحيب واجب لأن المنهج المادي الديالكتيكي لم يستعمل بعد على الوجه الصحيح في النظر الى التراث (يشير المؤلف الى بعض المحاولات في هذا الصدد في الصفحة ٦). والاعجاب واجب لأن المؤلف قد صرف جهدا مشكوراً في هذا السبيل.

● (ص/١٧): يضع المؤلف تحديداً للتراث يفرق بين «التراث نفسه» و«معرفة هذا التراث» فالتراث «واحد لا يتغير» أما معرفته فانها تتعدد وتختلف.

في الواقع أن هذين الأمرين أمر واحد. اذ لا يوجد شيء أسمه «التراث» وشيء اسمه «معرفة التراث». فالتراث هو تراكم معرفة التراث على المدى التاريخي. ويقوده هذا الرأي الى الرجوع الى ما يسميه «الزمن الذي لم يكن التراث فيه قد أصبح تراثاً» (ص ٤٨). وهذا أيضاً خطأ اذ لم يكن هناك زمن تاريخي لم يكن فيه تراث. فمشكلة التراث مشكلة أزلية ونحن نجد هذا الشعور بالتراث في أقدم النصوص الأدبية التي بين يدينا (ملحمة غلغامش مثلا). فالبحث في التراث هو في الواقع البحث في تاريخ البحث في التراث.

● (ص/٢٠): يتبع المؤلف التقسيم المادي الديالكتيكي القديم لمراحل تاريخ تطور المجتمع البشري. ويطبقها على مراحل تاريخ الفلسفة أي فلسفة المجتمع العبودي فالاقطاعي فالانتقالي فالرأسمالي فالاشتراكي. وهذا التقسيم قد عفا عليه الزمن أولاً. وهو تقسيم قد ينطبق على تاريخ أوروبا لكن ينقصه الكثير الكثير من الدقة قبل أن يصبح بأمكاننا أن نستخدمه في التاريخ العربي الاسلامي. وسوف أشير بعد قليل الى المشاكل التي تنجم عن التقيد الميكانيكي بهذا التقسيم للتاريخ بالرغم من التحذيرات التي يطلقها المؤلف،أن المنهج المادي للتاريخ يتحلى بالصفات الواقعية الشمولية بمعنى أنه لا يهمل «الاشكال المثالية» في هذا التراث لكنه يقع في التناقض في الصفحة ذاتها اذ يقول أن منهجه يرمي الى «نزع الأغلفة الصوفية والمثالية» عن هذا التراث.



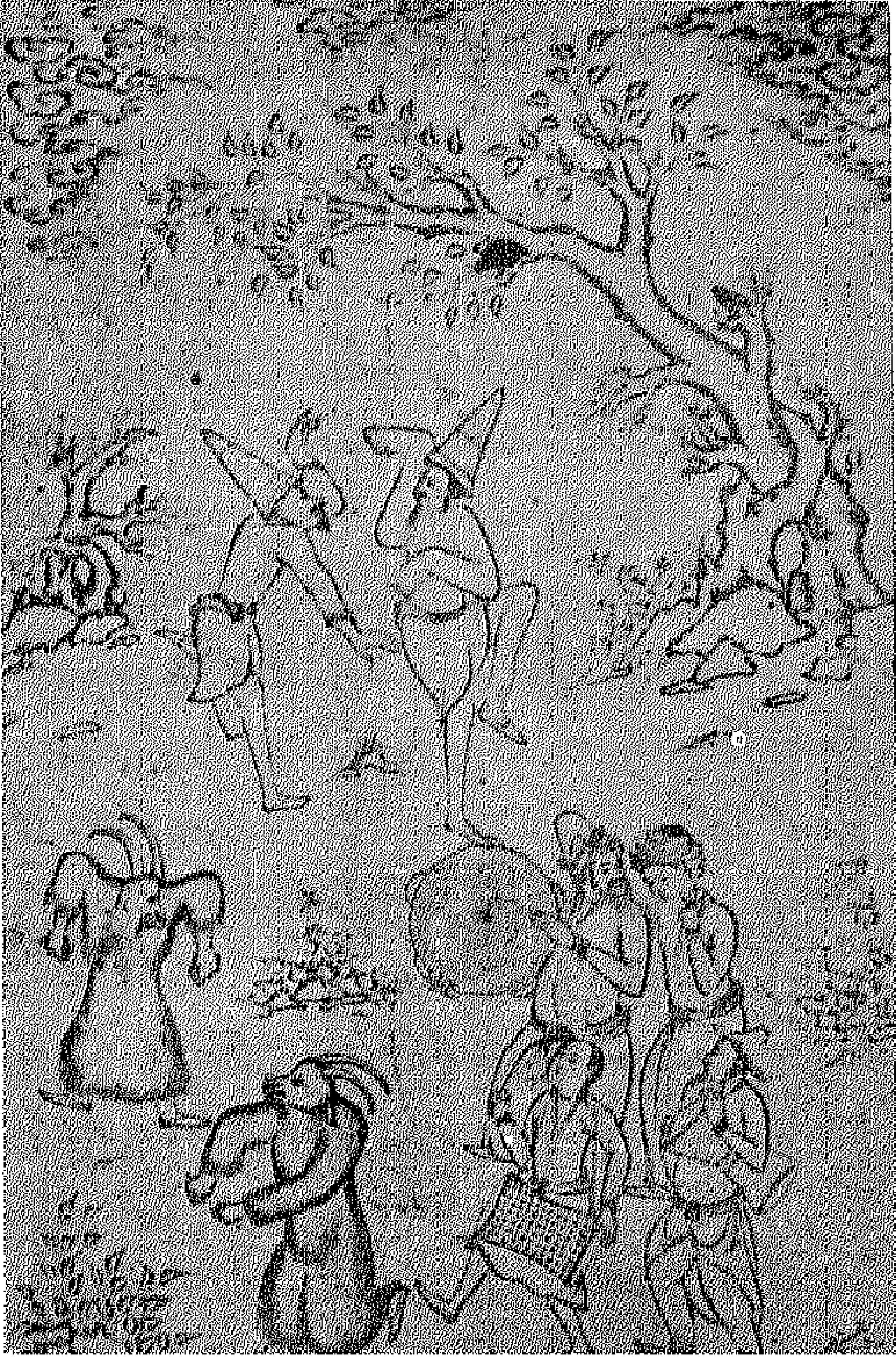
● رقصة الدراويش (مكتبة البودلية اوكسفورد).

● (ص/٥٠) : يقع المؤلف في خطأ تاريخي شائع اذ يقول أن التيارات المحافظة أقصت «الفكر المعتزلي نهائياً عن صعيد النشاط الفكري في منتصف القرن التاسع الميلادي». فلو نظر المؤلف مليا في كتب طبقات المعتزلة المتوفرة لدينا الآن لوجد أن المعتزلة استمرت كحركة فكرية ناشطة عدة قرون بعد هذا التاريخ وانتقل نشاطهم الى الدول الاسلامية في المشرق. خصوصاً الدولة السامانية. وظهر بينهم في القرن الحادي عشر القاضي عبد الجبار الذي هو من أهم مفكري المعتزلة على الاطلاق. وهذا الخطأ يلزم المؤلف باعادة النظر في نظريته حول صراع التيارات الفكرية المختلفة في القرن التاسع.

● (ص/١٦٢) : يقول المؤلف أن الفلسفة اليونانية عاشت حياة جديدة على يد العرب لأن العلاقات في هذه الحياة الجديدة تغيرت من «كونها علاقات عبودية إلى كونها علاقات اقطاعية» وهذا يفسر «بروز النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية بصورة أجلى وأعلى مما كانت عليه هذه النزعات... في حياتها الأولى القديمة» وهذا الاستنتاج مثال على التطبيق الميكانيكي لمراحل تاريخ الفلسفة كما تفسرها أيديولوجية المؤلف. من الواضح أن الاقطاعية والعبودية كلاهما سمة بارزة للعصرين. أي للعصر اليوناني الروماني والعصر العربي كذلك. أما في ما يختص بالنزعة المادية. فحبذا لو يعطينا المؤلف مثالاً واحداً فقط لفيلسوف في الفلسفة العربية الاسلامية أكثر مادية من ابيكوروس ومدرسته.

● (ص/١٨٣) : يقول المؤلف أن المرحلة الجاهلية تقسم الى عدة أقسام منها مثلا «زوال الوضع الأمومي في العلاقات العائلية وسيادة العلاقات الأبوية». هذه نظرية جاء بها عالم الانتروبولوجيا روبرتسون سميث في القرن التاسع عشر وهي نظرية لا يقبل بها الآن علم الانتروبولوجيا الحديث إذ لا يوجد أي دليل تاريخي على هذا التقسيم بل من الواضح أن الامومية والأبوية تتشابكان وتترابطان بشكل لا يمكن تقسيمه تاريخيا.

● (ص/٣٠٤) : يقول المؤلف أنه «لم يظهر في تاريخ البشرية دين يتجاوز المستوى المتطابق معه من العلاقات الاجتماعية المعينة». اذن ما معنى الانتقال من طور التراكمات الكمية الى التغير الكيفي الذي يستعمله المؤلف باستمرار في تفسيره لحتمية التطور؟



● دراويش في حلقة الذكر من العصر الصفوي.

اصطناع ادلة من خارج التاريخ

● (ص/٣١٢) : تصل النظرة الحتمية بالمؤلف الى أن يقول عن الحنيفية ما يلي: «ان وجود هذه الظاهرة في اخريات الجاهلية لا تنفيه الادلة النقلية التاريخية اذن. بل هي تثبته. لكن. حتى لو ان هذه الادلة كانت غائبة عنا لكان علينا بالضرورة اثبات الظاهرة بالاستناد الى منطق التاريخ نفسه». فهو يدعونا الى رؤية ظاهرة الحنفاء «كواقع حتمي تقتضيه طبيعة التغيرات» في العصر الجاهلي المتأخر. فالمؤلف يدعونا الى الأخذ بمنطق التاريخ كصانع للأدلة التاريخية. لذا فانه يفترض أن المنطق من شأنه أن يخترع الأدلة التاريخية. وهذه النظرية تؤدي الى «فبركة» الأحداث التاريخية في ضوء ايديولوجية المؤرخ.

● (ص/٣٢٤) : يربط المؤلف بصورة ميكانيكية جامدة بين التطور الفكري والتطور الاجتماعي. فهو يربط بين الوثنية وبين المجتمعات القبلية المتجزئة ويربط بين التوحيد وبروز الأساس الطبقي. والواقع أنه لا يمكن أن نصنع قوانين من هذا النوع في التاريخ لأنه في الأمكان الحصول على وثائق توحيدية

من ضمن تراث ديني واحد تبتعد الوثيقة عن الأخرى مئات السنين فهل استمر هذا الصراع الطبقي مئات السنين؟ واذا كان الجواب بالايجاب فلا ريب أن هذا الصراع كان في الحقيقة التاريخية صراعات طبقية عديدة وليس صراعاً واحدا. إذن نحن لا نتحدث عن انفجار كبير بين فترات سكونية كما يفعل المؤلف بل عن انفجارات عديدة مستمرة. إذن فليس بامكاننا أن نصنع قوانين من هذه النوع في التاريخ اذ نجد صراعات طبقية عديدة بدون فكر توحيدي. وهناك أفكار توحيدية عديدة بدون صراعات طبقية. فالقوانين التي يستعملها المؤلف وهي مبنية على ما يسميه حركة التاريخ «الحلزونية» الصاعدة تفرض عليه أن يرى تطوراً مستمراً وان «يفبرك» هذا التطور اذا لم يكن موجوداً. استناداً الى «منطق التاريخ». فهو يذهب الى خارج التاريخ «ليخلق» الحقائق التاريخية التي تلائم.

● (ص/ ٣٤٠): يقول المؤلف عن الزعامة القرشية التجارية في عصر النبي ما يلي: «فلو أن هذه الزعامة كانت قادرة... على رؤية الاتجاه التاريخي... لكان عليها أن ترى في هذه الوجهة مسار تطورها المستقبلي... كفئة اجتماعية تشكل نواة طبقة مؤهلة أن تلعب دورها الكبير»... أي انه يلوم الزعامة القرشية لأنها لم تكن تملك وعياً (مادياً) للتاريخ. وفي آخر الصفحة ذاتها يقول: «كان من ضرورات التطور نفسه ان يحصل الذي حصل بالفعل». واذا ترجمنا هذا القول إلى لغة المنطق نصل إلى الآتي: الذي حصل كان يجب أن يحصل وما كان يجب أن يحصل قد حصل. اذن. الذي حصل هو الذي حصل. وهذا النمط من التفسير يردده المؤلف مراراً وتكراراً. وهو في النهاية لا ينفع اطلاقاً في فهم الاسباب التاريخية. فهو لا يعدو كونه ترديداً للكلمات.

● (ص/ ٤٧١): يقول المؤلف أن تحالف معاوية مع الكلبيين ادى إلى بروز العصبيات القبلية «كظاهرة سياسية منظمة» أكثر منها ظاهرة بدوية عفوية. والواقع انها كانت الاثنين معاً. وفي الصفحة ذاتها يقول ان الكلبيين «كانوا دائماً السند القوي لهذه الدولة». وهذا خطأ تاريخي فادح اذ ان الخلفاء من بني امية قد انتهجوا سياسات مختلفة في هذا الصدد فالبعض منهم كان يعطف على القيسية والبعض الآخر على اليمنية.

● (ص/ ٤٧٢): يعتمد المؤلف على التقسيمات التقليدية للتاريخ العربي الاسلامي بالرغم من اننا نفترض من مؤرخ مادي ديالكتيكي أن يعيد تقسيم هذه الفترات في ضوء التحليل الاقتصادي الدقيق. وهو غير موجود اطلاقاً في هذا الكتاب. فهو يردد التقسيم التقليدي (الراشدون – الأمويون – العباسيون) ويملي عليه منطقه العقائدي ان يصنع لكل فترة من هذه الفترات تغيرات اقتصادية واجتماعية معينة. فمعاوية مثلاً هو «مؤسس الدولة» مع العلم أن نظام معاوية لم يكن يختلف اختلافاً بيناً عن نظام الراشدين وان عبد الملك هو في الواقع مؤسس النظام الأموي الجديد. ويقول مثلاً أن معاوية هو الذي حول نظام الاراضي إلى ملكية خاصة مع العلم أن هذا التحول كان قد تمَّ في ايام بيزنطية ولم يأت معاوية بجديد في هذا الصدد.

● (ص/ ٥٢٣): يبحث المؤلف في اقتصاد العصر الأموي فيقول انه كان من «الطبيعي» ان يحصل التفاوت الكبير بين ممثلي الاقطاع وبين «الفئات العاملة في الارض والحرفيين الصغار والعبيد» ويؤدي ذلك إلى الثورة. هذه الفئات الاجتماعية فئات واسعة جداً ولا تفيد التحليل التاريخي الدقيق في شيء. ويتجاهل المؤلف أن الثورات قد تنشأ كثيراً عن تحسن في الوضع الاقتصادي لا عن تقهقر.

● (ص/ ٥٢٤): يربط المؤلف بين غلاة الشيعة وبين ظاهرة طبقية اي ارتباطها «بجماعة من الموالي». كيف يمكن أن نصنف الموالي كطبقة؟ هذا من جهة. ومن جهة اخرى. من المعلوم أن غلاة الشيعة كانوا من العرب والموالي معاً.

● (ص/ ٥٧٤): يقول المؤلف أن دعوة القدرية تتضمن دعوة المظلومين أن يستخدموا حرية ارادتهم للخلاص من «ظلم الملوك». هل المظلومون فئة يمكن استخدامها في التحليل الاقتصادي التاريخي؟ ولماذا لا تكون هذه الدعوة هي ايضاً دعوة الطبقات الحرفية الصغيرة التي تبغي العدل في العبادات كما تبغيه في المعاملات؟

تبسيط لا يفيد التحليل

● (ص/ ٥٩٤): يرى المؤلف أن الجبرية كانت ايديولوجية المستثمرين وايديولوجية الدولة الأموية برمتها. وهذا التعميم مبني على ادلة واعية ومتقطعة. ويتجاهل دور يزيد الناقص. مثلاً. الذي يعده المعتزلة من انصارهم. بل ويفترض أن الدولة الأموية كان لها ايديولوجية ثابتة مستمرة. وهذا الاستنتاج يقوده إلى



● درويش في لحظة تأمل (مكتبة حكومة الهند).

رسم صورة جامدة عن الحياة في العصر الاموي حيث يقول أن مذهب الجبرية ساد «اذهان الكثرة الغالبة من جماهير المؤمنين» : (ص/ ٥٩٠). كيف بامكاننا ان نستدل على صحة هذا القول او إلى عدم صحته؟.

اما طبقات العصر الأموي فيراها المؤلف انها كانت في الواقع طبقتين : فئة الاقطاعيين وكبار التجار والاغنياء وفئة «المستضعفين من حرفيين وعاملين في الارض وعبيد وتجار صغار وفقراء معدمين». وهذه الفئات لا تفيد التحليل التاريخي في شئ اذ انها لا تقترن بالتفاصيل الاقتصادية الدقيقة. وتؤدي إلى تبسيط بالغ في تحليل الاوضاع الاجتماعية.

● (ص/ ٦٣٩ و ٦٤٠) : يقول في منشأ الحركات الفكرية كالمعتزلة مثلاً انه من التبسيط أن نعزو نشوءها الى فرد معين كواصل بن عطاء مثلاً. ثم يقول في الصفحة التي تليها أن المعتزلة لم يكونوا على خطأ عندما عدوا الحسن البصري رأس مذهبهم ويتبع ذلك بقوله أن الحسن نقل البحث في الأمور الكلامية من مناخ إلى آخر وهو منهج جديد انتقل به الفكر العربي الاسلامي نحو استقلالية نسبية في التفكير.

وهذا الخلط بين الفكر والمجتمع يواكب تفسيرات المؤلف باستمرار. فان التطورات الاجتماعية التي يسميها المؤلف «العامل الحاسم» والتي يؤكد على انها هي المحرك الأول للفكر تصطدم دائماً بسرده لتاريخ الفلسفة وكأنه انتقال من فكر إلى آخر. وهو بالضبط ما يسميه المؤلف المنهج الغيبي أو البرجوازي وإلى ما هنالك. فلو نظرنا إلى مثال واحد فقط (في ص ٦٦٨) لرأينا المؤرخ نفسه قد اصبح يؤرخ للفكر وكأنه فكرة تنتقل من راس إلى اخر. أي انه يقع في الذي يؤاخذ به بقية المؤرخين من غيبيات. لكن هذا لا يمنعه من التأكيد على اهمية «الواقع الموضوعي».

● (ص/ ٦٤٣) : يضع المؤلف قانوناً لتطور الفكر وهو أن التجريد يواكب التطور التاريخي. وبما أنه يرى ان الفلسفة العربية الاسلامية قد طورت الفلسفة اليونانية (ص/ ١٦٢) فانه يفترض درجة اعلى من التجريد في الفلسفة العربية منها في الفلسفة اليونانية.

ولا برهان على هذا الأمر اطلاقاً بل قد لا يحتمل هذا الأمر اثباتات واقعية وقد يكون في النهاية تحليلاً غيبياً يقع فيه المؤلف وهو الذي يحارب الغيبيات بصرامة التحليل العلمي في نظره.

● (ص/ ٦٦٩) : يصل المؤلف إلى استنتاج معين فيما يختص بالعلاقة بين الفكر والواقع الموضوعي وهو أن الفكر يصبح عندما يتجرد فاعلاً ومنفعلاً في آن. أولاً. ما هو الفكر غير المجرد يا هل ترى؟ ثانياً. اذا كان الفكر فاعلاً ومنفعلاً في آن فلماذا يخل بنظريته «العامل الحاسم» أي أن المصدر الأول لمجرى التاريخ هو «الواقع الموضوعي»؟

● (ص/ ٦٨٣) : يطلق المؤلف التعميمات على اللاهوت اليهودي فيقول أن اليهودية تقول بأن موسى رأى الله رؤية مادية. وهذا خطأ فاليهودية كان لها فرقة تشابه المعتزلة هي القرائية وكانت تنفي رؤية الله المادية.

المعتزلة والموالي واليائسون

● (ص/ ٧٦٥) : في مجال البحث عن الاوضاع الاجتماعية التي واكبت بروز المعتزلة – والمؤلف هنا لا يسوق الا بعض التعميمات ويؤرخ للمعتزلة وكأنها افكار تنتقل من رأس إلى آخر– يقول أن معظم

مفكري المعتزلة كانوا من الموالي. وان الموالي كانوا وقتئذ في مرتبة اجتماعية دون غيرهم. ويستنتج من كل ذلك أن عقلانية المعتزلة كان «لها جانب واقعي عملي يتصل بحياة الناس الواقعية». في ما يختص بالموضوع ككل. لا يكفي هذا التحليل لأسس المعتزلة الاجتماعية فهو لا يفسر آراءهم السياسية بالتفصيل المطلوب. اما التعميم بأن معظم المعتزلة كانوا من الموالي فهو تعميم تنقصه الدقة الاحصائية. واما في ما يتعلق بموضوع الموالي في القرن التاسع فانه كان قد اختلف كثيراً عما كان عليه في العصر الأموي. واستميح المؤلف عذراً اذ احيله على كتابي «دراسات في تاريخ الفكر العربي الاسلامي» (ص/ ٢٢ - ٣٥) وعلى النقد الذي ظهر له في مجلة «دراسات عربية» (عدد ٧ ايار - مايو ١٩٧٨) بقلم الدكتور رضوان السيد وذلك في صدد البحوث الجارية في ما يختص بالمعتزلة كظاهرة اجتماعية.

● (ص/ ٨٢١): يقول المؤلف أن البنية الاجتماعية والبنية الايديولوجية هما «الجذر والقاعدة» حتى لآلية الفكر المعتزلي: واذا كان الأمر هكذا. فما الفائدة من تقديم «العامل الحاسم» على سواه من العوامل؟

● (ص/ ٨٣٨): يقول المؤلف «ان كل كيفية تخضع هي نفسها لتغيرات كمية مستمرة تنتهي إلى تحولات كيفية جديدة». هذا يعني أن بامكاننا أن نقول على كل حدث تاريخي انه كمي وكيفي في الوقت ذاته. اذن. فما الفائدة من التركيز على الدولة الأموية مثلاً وهي في رأيه تمثل إول تحول كيفي؟

اما في بحثه العام عن النظريات المعتزلية فانه في الواقع لا يستخدم احدث ما وصل الينا من مؤلفات المعتزلة ولا يزال يناقش آراء دي بور وعلي وسامي النشار وكأنها آخر ما توصلت اليه المعرفة عن المعتزلة.

● (ص/ ٨٥٤): يحل المؤلف الصراع بين الأمين والمأمون فيقول عن الأمين انه كان زعيم «القوى الاقطاعية وامرائها» وان المأمون كان زعيم «قوى المدينة» واقتصادها ومجتمعها التجاري الربوي الحرفي. ولا دليل اطلاقاً على هذا الأمر.

● (ص/ ٨٦٣): يرى المؤلف أن المذهب الاشعري سيطر على الفكر الاسلامي السني منذ اواخر القرن التاسع. وهذا الحكم خطأ فادح يتبينه كل دارس لتاريخ الفكر الاسلامي. فقبل كل شيء. لم يظهر الاشعري على مسرح الفكر قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). كما أن المعتزلة والماتريدية وحركات التصوف الفلسفية ظلت تصارع الاشعرية إلى يومنا هذا. فالامام محمد عبده مثلاً اقرب إلى المعتزلة منه إلى الاشعرية في «كتاب التوحيد».

● (ص/ ٨٧٧): القول بأن الحوادث نضجت وكان لا بد من ولادتها (بروز الفلسفة) لا يفيد القارئ شيئاً في تفسير الظاهرات الفكرية في التاريخ. فالحتمية التاريخية بمعناها الحرفي التي تستولي على تفسيرات المؤلف لا تعدو كونها تكراراً للألفاظ. وهي من نوع «كان لا بد لهذا الأمر أن يحدث فاذا به يحدث».

وفي الختام، ارى أن المأخذ الاساسي على هذا الكتاب هو أن من يتصدى لتاريخ الفكر العربي الاسلامي في العصر الوسيط برمته من وجهة النظر العقائدية الديالكتيكية المادية عليه أن يبحث بدقة وتفصيل لامتناهيين في التحليل الاقتصادي الشرائي الدقيق لطبقات ذلك المجتمع. ولا يكفي اطلاقاً استعمال بعض الالفاظ العامة «كالمظلومين» مثلاً أو «البسطاء» التي يلجأ اليها المؤلف. وهو يضع الاقطاعية في كفة والبائسين من الانواع كافة في الكفة الاخرى. وبصرف النظر عن عمومية هذا التقسيم. فانه لا يسمح لنا بأن نصدر احكاماً شاملة تتعلق بعلاقة الفكر والمجتمع.

اما من وجهة النظر الفلسفية. فان المؤلف لا يحدد معاني الفاظه الاساسية بدقة. لا يوجد مثلاً تحليل دقيق ومستوفي لكلمة «مادية». اذ نرى المؤلف وهو يستعملها تارة «كمرادفة للموضوعية». وتارة «للطبيعة» وتارة يدمجها بالمثالية. ولا يكفي أن يقول لنا المؤلف أن هذا هو الديالكتيك فمن الواجب أن نفرق بدقة بين الديالكتيك والتناقض المنطقي. ولا نرمي على اكتاف الديالكتيك شتى التناقضات التي قد يقع فيها التحليل. كلمة اخيرة عن مصادر المؤلف. الاولية منها والثانوية. ففيما يختص بالأولية يرجع المؤلف الى مصادر كالشهرستاني والاشعري والبغدادي لدراسة فكر المعتزلة. ومع علمه بوجود كتابات القاضي عبد الجبار. لا يستعملها اطلاقاً في الحديث عن المعتزلة. وهو الموضوع الذي يعقد له المؤلف المئات من الصفحات. اما فيما يختص بمصادره الثانوية فقد جاء الحديث فيما سبق عن اعتماد المؤلف اعتماداً شديداً على مصادر عفا عليها الزمن ولم يأخذ في الاعتبار الدراسات العربية والاجنبية التي صدرت عن علم الكلام في السنوات الأخيرة.

صفية بنت عبد المطلب

محمد حسن كامل

* كانت زوجة الحارث بن حرب بن أمية، ومن بعده تزوجت العوام بن خويلد فولدت له الزبير بن العوام. وقد أسلمت في عهد النبي (ص) وبايعته ثم هاجرت إلى المدينة.

* حينما انهزم المسلمون في غزوة أحد وقتل أخوها حمزة أخذت رمحها وهي تصيح غاضبة في وجوه الناس وتقول لهم: «ويحكم لقد انهزمتم عن رسول الله» فكان الرجال يطأطئون رؤوسهم خجلا منها.

* في غزوة الخندق ترك الرسول زوجاته في حصن حسان بن ثابت وهو حصن «فارع» ولم يكن مع زوجات الرسول إلا حسان وصفية بنت عبد المطلب، وإذا بها تلمح يهودياً يطوف بالحصن ويتجسس عليه فطلبت من حسان أن يضرب عنقه حتى لا يخبر اليهود بوجود أمهات المؤمنين في الحصن فيهاجموه، ولكن حسان لم يجد في نفسه الشجاعة لذلك فأخذت صفية عموداً من الحديد وقتلت به اليهودي.

* حاربت بنفسها في غزوة خيبر وأتت من الأعمال الباسلة ما يعد من الأساطير.

* كانت صفية شاعرة موهوبة، وقد توفيت رضي الله عنها في السنة العشرين من الهجرة، وكان عمرها ثلاثاً وسبعين سنة، وصلى عليها عمر ابن الخطاب ودفنت بالبقيع.

عُمان

تجارتها وأسواقها القد[...]

الحلقة الثانية

● كان انشاء الدولة العربية الاسلامية التي امتدت من أواسط آسية إلى اسبانية حدثاً هاماً بالنسبة للتاريخ العالمي. ولكننا نحن معنيون الساعة في أثره بالنسبة للتطور التجاري الذي أصاب الخليج العربي، وخليج عمان كي تتضح لنا الصورة التي كانت عليها عمان في تلك الفترة الطويلة. ومن الضروري أن نفرق بين الدور الأول من هذه الفترة وهو العصر الأموي والأدوار التي تلته منذ قيام الدولة العباسية. فالدولة الأموية كانت، من حيث العاصمة والاتجاه، شامية متوسطية. أما الخلافة العباسية فقد كانت، بحكم نشأتها وعاصمتها واتجاهاتها، عراقية مشرقية. والمجتمع الذي قام في ظلال الدولة العباسية بشكل خاص كان مجتمع حضارة ومدن واستمتاع بالكماليات وثروة للانفاق على هذه كلها. يضاف إلى ذلك جيوش كان لا بد من تزويدها بحاجاتها من السلاح والثياب. كل هذا اقتضى العمل في الصناعة والتوسع في التجارة والتبادل في السلع بين جزء وآخر من العالم المعروف. وحري بالذكر انه في الوقت ذاته تقريباً، أي في القرون الأول والثاني والثالث للهجرة، (السابع والثامن والتاسع للميلاد)، كانت تقوم في الصين دولة قوية هي دولة تانغ التي امتد سلطانها من سنة ٦١٥ إلى سنة ٩٠٧ للميلاد. واذا تذكرنا ان سكان الصين كانوا قد اعتادوا على الكثير من منتوجات آسية الغربية عبر القرون الماضية، ادركنا مدى ما يمكن أن يصل اليه التبادل التجاري بين هذين المجتمعين الكبيرين — العربي الإسلامي والصيني — وما ينال البلاد الواقعة بينهما، كالهند وأندونيسية وسيلان، من فوائد. على أنه يجدر بنا أيضاً أن لا نُغْفِل أمرا آخر وهو أن الاسواق التي كان التجار العرب يبيعون فيها ويشترون اتسعت في أكثر من جهة — مثل سواحل افريقية الشرقية حتى مدغشقر، والسودان الغربي وغير ذلك.

على أننا يتوجب علينا أن نعود إلى الموضوع الأصلي وهو عُمان وتجارتها وأسواقها. ونحن نسمح لأنفسنا بأن نشير إلى أمر هام وهو أن المصادر التي بين أيدينا فيها الكثير مما ينفع في هذا البحث بالذات فهناك كتب الازياج والكتب الجغرافية الأولى التي هي أشبه بالدليل الرسمي، لكنها كثيرة الفوائد. وثمة كتب البلدانيين الذين زاروا أنحاء العالم العربي الإسلامي



...بـمة

بعد الاسلام

د. نقولا زيادة

ودونوا اخبارهم ، وأكثر هؤلاء من القرن الرابع الهجري (أي القرن العاشر الميلادي). ويلي ذلك عدد من الرحالين الذين زودونا بالأخبار البحرية والبرية. والذي ننوي فعله الآن هو متابعة هؤلاء الناس عبر الزمن لنرى ما الذي يعطوننا إياه عن عمان.

فكتّاب الازياج ، مثل الخوارزمي وسهراب ، يضعون ظُفار وعُمان في الاقليم الاول من أقاليم العالم السبعة. ويتابعهم في ذلك ابن خرداذبة. وهؤلاء يعتبرون عمان من المواضع العامرة. فالخوارزمي يقول «بلاد العربية العامرة وهي بلاد اليمن واليمامة والبحرين وعمان».

وكانت لليعقوبي وابن خرداذبة وابن رسته وقدامة ، وهم أصحاب الكتاب–الدليل الجغرافي ، عناية بالطرق. فعُمان تبعد عن البصرة مائتان وأربعة وثمانون فرسخا ، والاصطخري يقول أن عبادان تبعد عن عمان خمس عشرة مرحلة وشهرا. ويحذرنا إبن حوقل من صعوبة الطريق بين عمان والبحرين.

ولا بد لنا من التنبيه إلى أن عُمان ترد عند عدد من الجغرافيين بمعانٍ مختلفة. فهي بلاد. وهو ما جرى عليه الاغلبية ، وهي مدينة. عند القلة منهم. على أن البعض يقول مثلاً. مدينة عُمان. والذي فهمناه من هذه العبارة الاخيرة هو الأضافة في التسمية لا البدل. فمدينة عمان تعني المدينة الرئيسة في بلاد عُمان.

والمدن التي يرد ذكرها عند البلدانيين ومن سبقهم هي عُمان ومسقط وسرقطرة عند ابن رسته ، والاصطخري يشير إلى صُحار على أنها قصبة عمان ، وابن الفقيه يذكر مسقط وصُحار وقلهات بين المدن العمانية ؛ ويعتبر المقدسي صحار عاصمة كورة عمان ، ويذكر بين مدن عمان نَزْوَة والسِّر وضَنَك وحفيت ودُبا

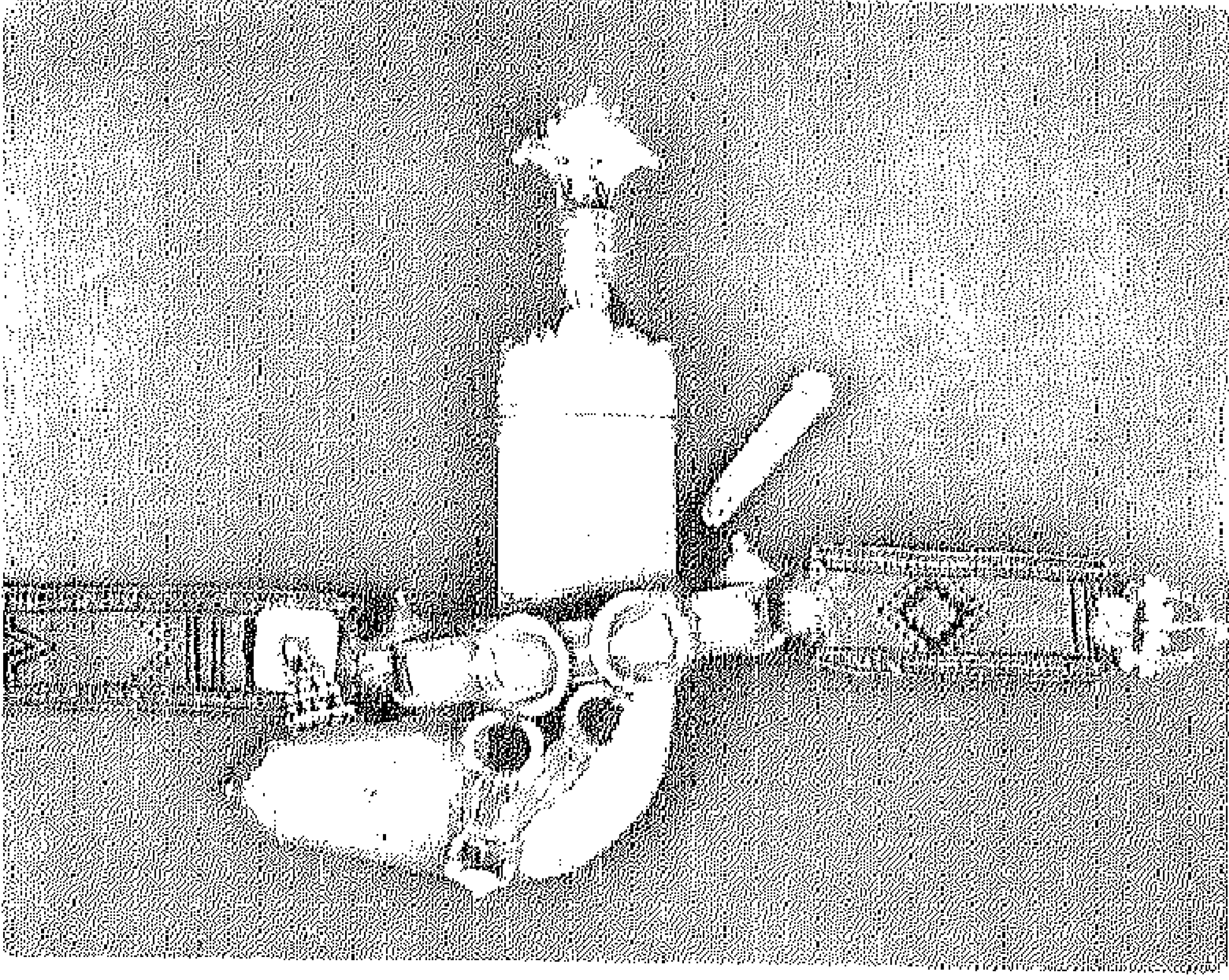
وسلوت وجُلْفار وسمَنَد و لَسْيا ومَلح . هذا مع العلم بأن المقدسي هو أدق من غيره من الجغرافيين من حيث التعريف بمعنى المصر والنواحي والكورة والقصبة.

يخص الاصطخري بلاد مَهَرَة وعمان بشيء من العناية. فيقول عن الأولى «واما بلاد مهرة فان قصبتها تسمى الشحر. وهي بلاد قفرة... وليس ببلادهم نخيل ولا زرع وإنما أموالهم الأبل... واللبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك». أما عمان فقد وصفها بقوله: «وعمان مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والنَبق ونحو ذلك. وقصبتها صحار. وهي على البحر. وبها متاجر البحر. وقصد المراكب. وهي أعمر مدينة بعمان واكثرها مالا. ولا تكاد تعرف على شواطئ البحر... مدينة أكثر عمارا ومالا من صحار. وبها (أي عمان) مدن كثيرة. وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلاثمائة فرسخ... وعمان بلاد حارة جداً». وقد نقل ابن حوقل عبارة الاصطخري. لكن المقدسي اتم صورة صحار إذ قال: «وصحار هي قصبة عمان وليس على بحر الصين اليوم بلد أجمل منه. عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار. وفواكه وخيرات... اسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر. دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة... (وهي) دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن».

محطات تجارية بحرية:

يبدو أنه إلى اوائل القرن العاشر الميلادي كانت السفن تقطع المسافة من الصين إلى موانئ الهند إلى عمان والبصرة أو الأبلّة. لكن منذ أواسط ذلك القرن اصبحت السفن تلتقي في كله (بار) على شاطئ الملايو الجنوبي الغربي. وقد ترك لنا المسعودي خبر ذلك في قوله: «بلاد كله. وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك. واليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين. في هذا الوقت. فيجتمعون مع من ورد من أرض الصين في مراكبهم». ويخبرنا على أن الأمر لم يكن كذلك من قبل فقد كانت المراكب تصل من الطرف الواحد إلى الطرف الآخر من البحار الشرقية إلى الخليج العربي.

والواقع أن سليمان التاجر الذي جمعت أخباره حول سنة ٢٣٧ للهجرة ٨٥١ للميلاد يحدثنا على المحطات الرئيسة في الطريق من سيراف إلى الصين



وهي: مسقط عمان (مرورا بصحار) وكولم ملي في جنوب غربي الهند. وبينها وبين مسقط شهر على اعتدال الريح. ثم تقلع المراكب إلى لنجبالوس ثم إلى كله بار ثم إلى صنف ثم إلى أبواب الصين إلى خانفو.

وقد تغير الحال على نحو ما حدثنا المسعودي. ولنعد إلى هذا العالم لننقل عنه قوله «وأرباب المراكب من العمانيين يقطعون هذا البحر (بحر الزنج) إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج... والعمانيون... من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربري (نسبة إلى بربره) موجة جنون». وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد.

ولنا أن نتساءل عن التجارات والأعمال التي كانت تتم في هذه المدن الأسواق العمانية. سواء في ذلك ما كان ينتج فيها وما كان يحمل اليها ومنها.

فاذا اخذنا المقدسي نجد انه يقول عن عمان اجمالا «إلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والآبنوس والنارجيل والقندر والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل. وغير ذلك». ويضيف آخرون إلى المتاجر. وخاصة العمانية الأصل. الدر العماني والقسي العمانية والتمر والسمك. ويبدو أن الخيول كانت تصدر من عمان إلى الهند بكميات كبيرة. وهذه الخيول كانت تربى في سهل القريات. وقد ذكر وجود الخيول هناك بكثرة كل من ماركو بولو وابن بطوطة والبوكيرك. لكن. على ما يقول سكيت. ليس في المنطقة خيول الآن البتة. ويضيف بان السهل الذي كانت تربى فيه الخيول لتصدر إلى الخارج هو الآن مصدر للملح الصخري.

وقد كان ارتفاع منطقة عمان من العين سنة ٢٣٧ ثلثمائة الف دينار.

ومما كان يجمع في منطقة عمان وما جاورها العنبر. ويقول اليعقوبي : «العنبر أنواع واصناف مختلفة ومعادنه متباينة.. فأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لونا وأصفاه جوهراً وأغلاه قيمة العنبر الشحْري. وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشِحْر... وبعد العنبر الشحْري العنبر الزنجي... و (ثمة) عنبر يؤتى به من الهند يسمى الكَرَكْ بالوس... يأتون به إلى قرب عمان يشتريه منهم اصحاب المراكب» وعبارة اصحاب المراكب هنا تسترعي الانتباه. فهي لا تعني فقط الذين يملكون المراكب للتجارة. وانما تعني الذين يصنعون المراكب أو يصلحونها. وقد كانت صور مكانا تصنع فيه المراكب واستمر هذا فيما بعد.

وقد ذكر المروزي في أبواب «الصين والترك والهند» أن الكواغد الحسنة كانت تتخذ في الصين. لكنه لم يذكرها في التجارات التي تحمل غرباً. أي إلى الخليج العماني أو العربي.

ومع أن الادريسي لم يزر عمان (ولا أي جزء من الجزيرة العربية) فقد جمع مادته ممن كتب قبله وممن عرفه من الذين زاروا تلك الاصقاع. فهو. بعد أن يذكر مهرة. وان جملة الدواب هناك تعتلف السمك المعروف بالوزق الذي يصاد في بحر عمان. يقول عن عمان : «ويتصل بارض مهرة بلاد عمان. وهي مجاورة لها... وبلاد عمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها. وهي كثيرة النخل والفواكة الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك. ومن بلاد عمان مدينتا صور وقلهات. وهما على ضفة البحر الملح... وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان... ويصاد بهاتين المدينتين اللؤلؤ قليلا. وبين صور وقلهات مرحلة كبيرة في البر. وفي البحر دون ذلك». ويعود الادريسي لينقل الينا أن صُحار ومسقط هما مدينتا عمان. وان صُحار أقدم مدن عمان. وأنها يقصدها في كل سنة التجار من بلاد بعيدة واليها يجلب جميع بضائع اليمن ويتجهز منها بأنواع التجارات. ويقول أيضاً إن جزيرة كيش (أي جزيرة قيس) تزاحمها في التجارة.

ويشير الادريسي إلى وادي الفَلَج الواقع على جانبيه مدينتا سعال والعفر. وهما مدينتان صغيرتان عامرتان. والأرض التي تقعان فيها هي أرض نزوة. ويذكر أيضاً مدنا أخرى صغيرة منها محح وسر عمان (السرالواردة عند المقدسي) وجلفاره على البحر. ونهر الفلج الذي يقصده الادريسي هو القناة الكبرى.

وينقل الادريسي عمن يعرف المنطقة أن طريق عمان إلى مكة أو غيرها صعبة لكثرة القفار وقلة السكان. وانما يسافر أهل عمان في المراكب على البحر الى مدينة عدن للوصول إلى الحجاز (اما براً أو بحرا) ومن صحار إلى البحرين.

المصادر الصينية

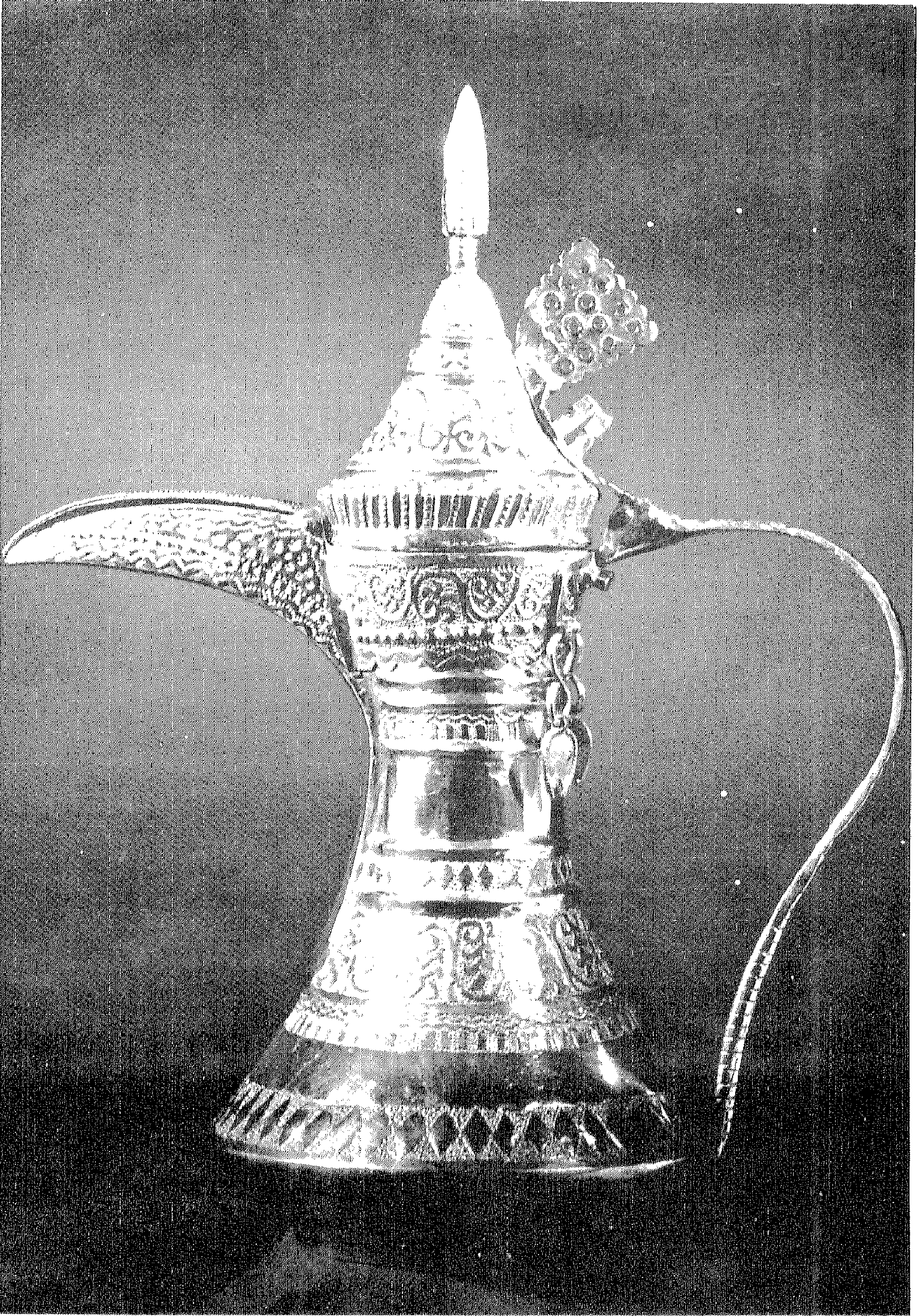
بعد سقوط أسرة تانغ الصينية سنة ٩٠٧ للميلاد. وهو السقوط الذي جاء نهاية لحروب أهلية. أنقذت الصين على أيدي الاسر الخمس ثم حكمت البلاد اسرة سونغ الشمالية (٩٦٠-١١٢٦) ثم اسرة سونغ الجنوبية (١١٢٦-١٢٧٩). وهي الأسرة التي قضى عليها جنكيزخان لما اجتاح الصين كما اجتاح غيرها من البلاد.

في زمن أسرة سونغ الجنوبية أفلتت التجارة الآسيوية البرية من أيدي الصين. على نحو ما كان يحدث من قبل عندما تكون في أواسط آسية دولة قوية معادية للصين. لكن التوسع التجاري البحري عوض الصين عن تلك الخسارة. وقد أصبح لها أسطول مكون من نحو مائة وعشرين سفينة يعمل فيها ما يزيد عن خمسين الف بحار.

وبسبب من كثرة التجار الوافدين على الصين وضع في موانئها مراقبون للتجارة والتجار. وهؤلاء المراقبون كانوا يجمعون المعلومات عن البلاد النائية من أفواه التجار. وقد دون البعض هذه المعلومات في مدونات وصل الينا بعضها.

والمدونة التي تعنينا الآن هي مدونة تشاو جو-كوا (Chau Ju-Kua) التي تعود إلى اواسط القرن الثالث عشر للميلاد (وضعت بين سنتي ١٢٤٢ و ١٢٥٨). في هذه المدونة كثير من الأمور التي تخص بلاد العرب. التي كان الصينيون قد أخذوا يطلقون عليها اسم تاشي (Ta — shi).

وإذا نحن اقتصرنا على المنطقة العمانية وجدنا ان المدونة تذكر مرباط والشحر وظفار وقلهات وصُحار وعمان وجزيرة سو قطرى. والمدونة التي وضعها جو-كوا



● أبريق قهوة من الفضة : هذه الصناعات شكّلت جانباً مهماً من تجارات عمان في الماضي.

نقل فيها عن مدونة ترجع إلى أواخر القرن الثاني عشر للميلاد ان مرباط فيها بيوت تتكون من خمسة أدوار. وان في مينائها تتجمع السفن الكبيرة ويلتقي التجار الاغنياء.

وجزيرة سوقطرى. على ما يروي جو-كوا. مشهورة بدم الاخوين Dragon's blood وقد ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي «انه يجلب من سوقطرى الصبر ودم الأخوين وهو صمغ شجر لا يوجد الا في هذه الجزيرة ويسمونه القاطر».

ويبدو. من المدونة التي بين أيدينا أن المادة الرئيسة التي كانت المنطقة تزود بها الصين بخاصة، والبحار الشرقية بعامة. هي اللبان الذكر. ويقول جو-كوا إن اللبان الذي يحصل عليه من مرباط والشحر وظفار. والذي يجمع من المناطق الداخلية. هو أجود الأصناف. وكان هذا اللبان ينقل من الموانئ العربية المذكورة إلى بالمانغ في سومطرة. حيث يحمل إلى الصين. وكانت منطقة قلهات تنتج الزبد الجيد. والذبل كان ينقل من سوقطرى.

ويذكر جو-كوا المتاجر التي كانت تنقل عن طريق الموانىء العربية. واكثرها عمانية. مثل المر (من الصومال) والعاج والعنبر والذبل. والعنبر كان يستعمل في طلي السفن. كما كان مرجان البحر المتوسط ينقل إلى الهند عن طريق الخليج العربي وخليج عمان.

في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي زار ماركوبولو منطقة عمان فمر بظفار سنة ١٢٨٥ وقد قال عليها. أو على الاصح على «البلد» التي خلفت ظفار. ما يأتي:

«ظفار مدينة كبيرة وجميلة. وتقع على نحو خمسين ميلا إلى الشمال الشرقي من الشحر... تقع على البحر ولها ميناء حسن. ومن ثم ففيها حركة تجارية كبيرة بينها وبين الهند. ويحمل التجار من ظفار عدداً كبيراً من الخيول العربية إلى الهند. ويفيدون من ذلك أرباحاً طائلة. ويتبع المدينة عدد من البلدان والقرى. وينتج في هذه الجهات الكثير من اللبان».

كما أن ماركوبولو زار صحار سنة ١٢٩٣ وقال عنها انها لا زالت. بعد النكبات التي اصابتها على أيدي المغول* الذين هاجموها من شيراز في سنة ١٢٧٦. غنية وهي سوق كبيرة للخيول العربية. الا أن أبا الفداء قال عنها إنها كانت مدينة خربة.

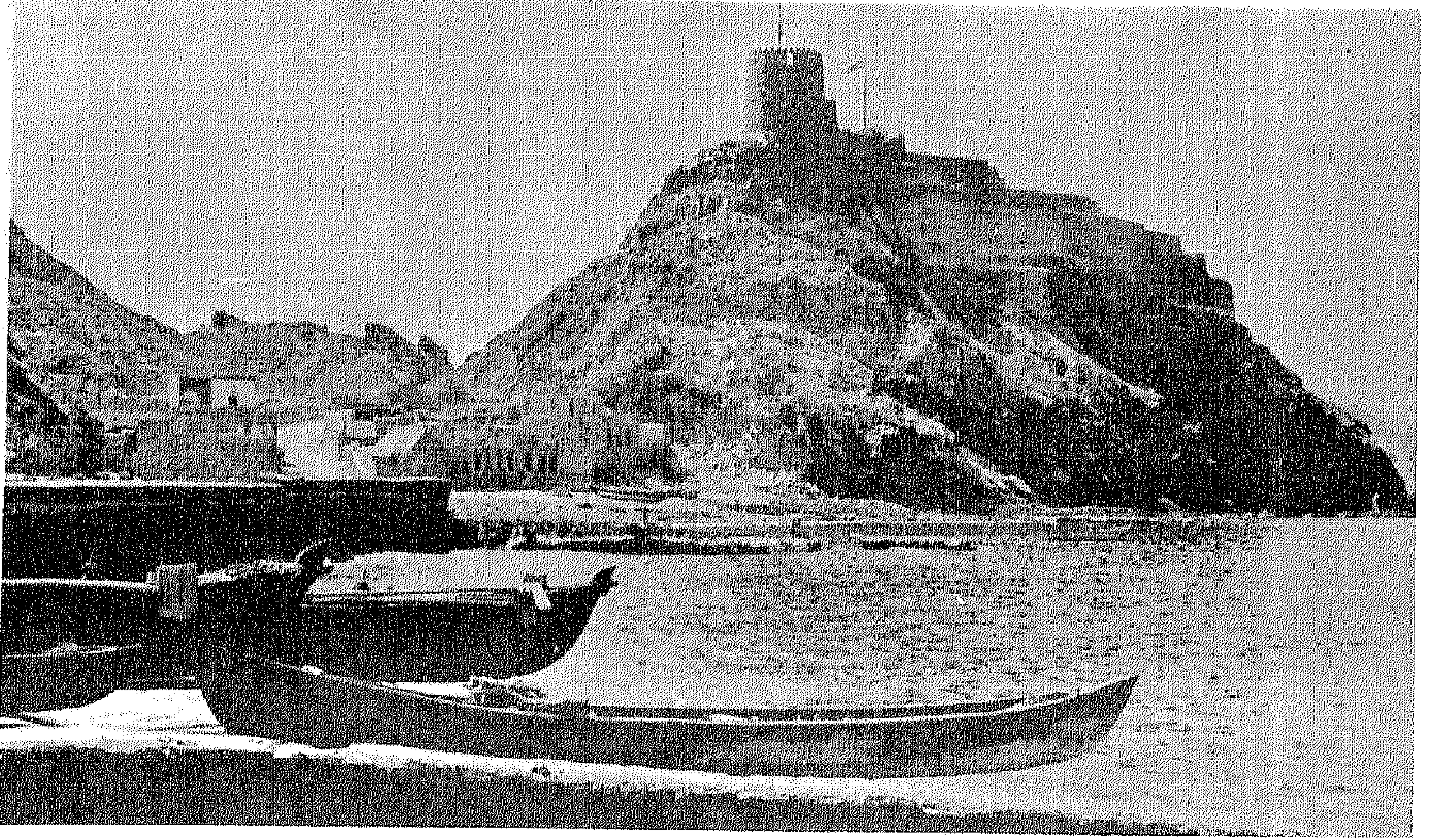
... ورواية ابن بطوطة

ويأتي بعد ذلك إبن بطوطة الذي زار المنطقة العمانية بعد أن سافر من عدن إلى زيلع ثم زار مقدشو وكلوا. ثم ركب البحر من هذه إلى ظفار. ويقول بعد ذلك:

«ومنها-أي من ظفار-تحمل الخيل العتاق إلى الهند. ويقطع البحر فيما بينها وبلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل. وقد قطعته مرة من قاليقوط. من بلاد الهند إلى ظفار في ثمانية وعشرين يوماً بالريح الطيبة لم ينقطع لنا جري بالليل ولا بالنهار... وبين ظفار وعمان عشرون يوماً. ومدينة ظفار في صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها. والسوق خارج المدينة بربض يعرف بالحرجاء... ويباع فيها الثمرات والسمك. وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين. وهو بها في النهاية من السمن. ومن العجائب أن دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم... وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة... ولهم قمح يسمونه العلس. وهو في الحقيقة نوع من السلت والأرز يجلب اليهم من بلاد الهند. وهو أكثر طعامهم. ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير ولا تنفق في سواها. وهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها... وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء. ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند... ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جداً... ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجرم. وزنت بمحضري حبة منه فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية. وهو طيب الطعم. شديد الحلاوة. وبها أيضاً التنبول والنارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان الا في بلاد الهند وبظفار هذه لشبهها بالهند».

ويتابع ابن بطوطة حديثه فيقول:

«ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عمان... وفي الثاني لركوبنا نزلنا بمرسى حاسك. وبه ناس من العرب صيادون للسمك ساكنون هنالك. وعندهم شجر الكندر. وهو رقيق الورق واذا شرطت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاد صمغا... ثم وصلنا إلى جزيرة مصيرة... ولم ننزل فيها لبعد مرساها عن الساحل ثم سرنا يوماً وليلة فوصلنا مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور. ورأينا منها مدينة قلهات». ويروي



● حصن برتغالي قديم يشرف على ميناء مطرح : كان البرتغاليون أول من حطّم التجارة البحرية العربية ونهب مرافئها واحتكر الاتجار شرقاً.

ابن بطوطة قصة سيره مشياً من صور إلى قلهات وقضائه ليلة مزعجة ووصوله إلى قلهات وقد تورمت رجلاه وأضناه التعب . واضطر إلى قضاء ستة أيام حتى استطاع الوقوف على قدميه . وبعد ذلك يقول عن قلهات :

« ومدينة قلهات على الساحل . وهي حسنة الأسواق ولها مسجد من أحسن المساجد. حيطانه بالقاشاني ... وأكلت في هذه المدينة سمكاً لم اكل مثله في اقليم من الأقاليم ... وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الأرز ويأكلونه . والأرز يجلب اليهم من أرض الهند . وهم أهل تجارة . ومعيشتهم مما يأتي اليهم في البحر الهندي ... وبمقربة من قلهات قرية طيبي ... وهي من أجمل القرى وابدعها حسنا . ذات أنهار جارية . واشجار ناضرة . وبساتين كثيرة . ومنها تجلب الفواكه إلى قلهات . وبها الموز المعروف بالمرواري ... وهو كثير بها ويجلب منها إلى هرمز وسواها ... والتمر يجلب إلى هذه البلاد من عمان ».

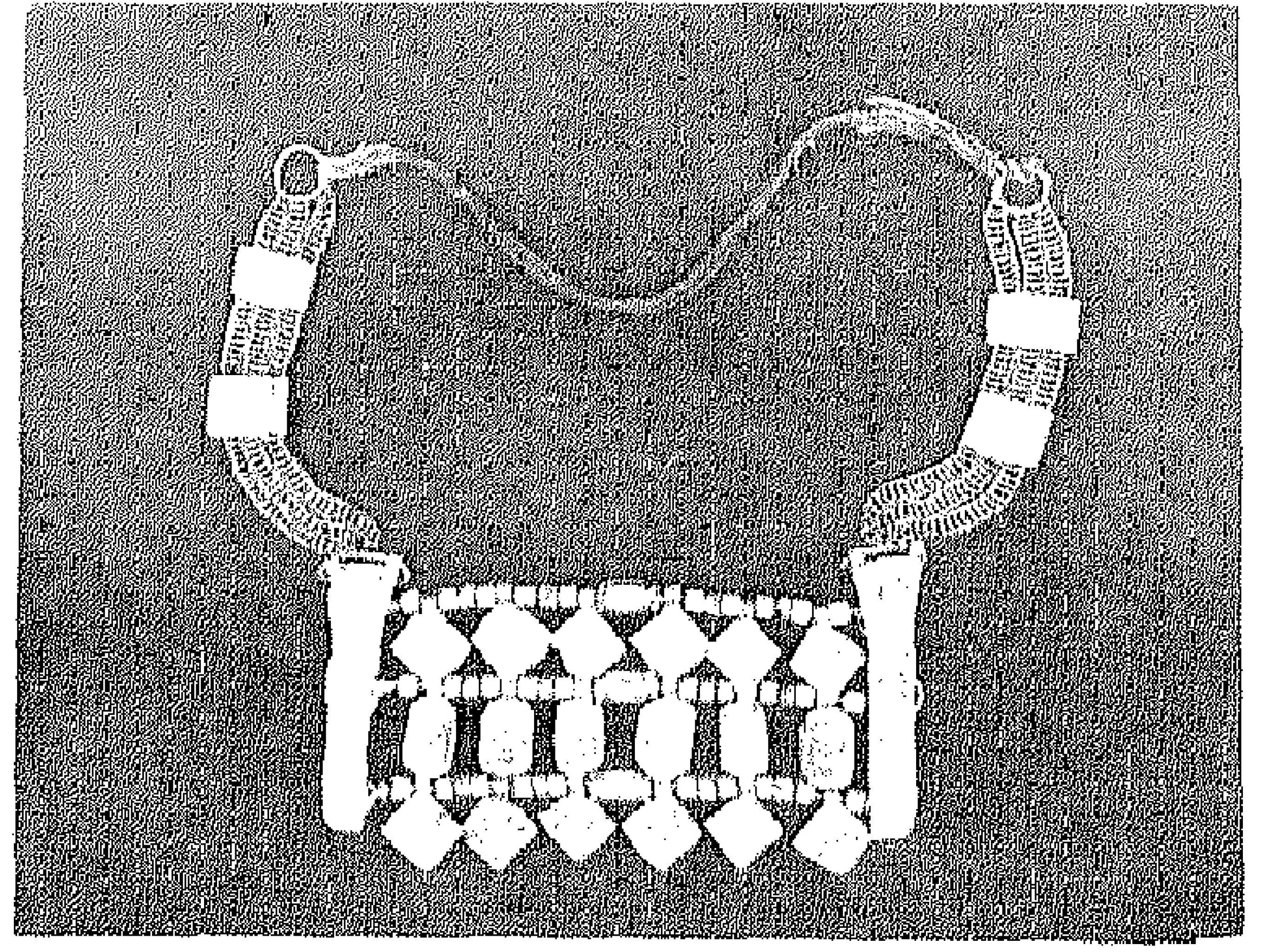
ويقول بعد ذلك : « فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع . وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس . ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نَزْوا ... مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار ولها أسواق حسنة ومساجد معظمة نقية ... ومن مدن عمان مدينة زَكّي لم أدخلها وهي . على ما ذكر لي . مدينة عظيمة . ومنها القريات وشبا وخلبا وخورفُكّان وصحار . وكلها ذات أنهار وحدائق واشجار نخل ».

وقد سافر ابن بطوطة من عمان إلى هرمز.

عمان في العصور الحديثة

استمرت منطقة عمان تقوم بالوساطة التجارية بين الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية من جهة والهند وغيرها من البلاد الشرقية . وظهرت مسقط بشكل اوضح وقامت بدور أكبر من ذي قبل . وكان لعرب عمان الدور الأول في حمل المتاجر على ما يظهر . ويكفي ان نذكر الربابنة الكبار الذين ظهروا من تلك الجهات وفي مقدمتهم ابن ماجد .

وأخيراً . في أواخر العصور الوسطى وبدء العصور الحديثة . دهم عمان الخطر الاكبر على يد البرتغاليين . وقد جاء هذا على يد البوكيرك ، الذي وصل المنطقة سنة ١٥٠٧م . جاء الرجل وفي نيته أن يقيم لدولته امبراطورية تجارية تمتد خطوط مواصلاتها من البرتغال



● عقد قديم من الفضة الموشّاة بالذهب، يقال انه صنع في نزوى العاصمة القديمة لعُمان.

إلى الهند. وكان أول ما فعله في جهات عمان أن أحرق أسطول صيد على مقربة من رأس الحد، ثم مر بقلهات التي تركها موقتا. لكنه عاد بعد مدة فأحرقها ونهبها. إنما قبل أن يفعل هذا بقلهات كان قد أعمل الحرق والنهب في القريات واخيراً وصل مسقط. وهذه أيضاً قام بنهبها وتدميرها. ومنها انتقل إلى صحار فخور فكان ثم إلى هرمز عبر رأس مسندم.

وقد وصف البوكيرك مدينة مسقط بقوله:

«مسقط مدينة كبيرة كثيرة السكان. تحيط بها. من الجهة الداخلية. جبال مرتفعة. أما من جهة البحر فهي قريبة جداً من الماء... ميناؤها صغير يشبه نعل الفرس، وهو في مأمن من الرياح. ومسقط هي السوق الرئيسة لمنطقة هرمز. إذ يجب ان تمر بها جميع السفن لتتجنب الشاطئ الصخري المقابل لها. وهي منذ القديم ميناء الخيول والتمر. والمدينة جميلة وبيوتها انيقة ويأتيها من داخل البلاد القمح والذرة والشعير والتمر. وهذه تصدر عن طريق البحر. كما أن الهضبة التي تقع إلى شرقها كثيرة الملح».

أما صُحار فقد جاء وصفها على لسان ابن البوكيرك على النحو التالي:

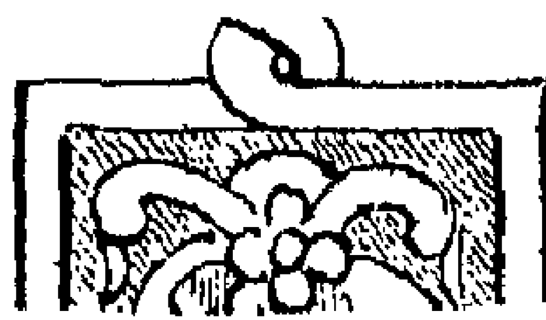
«سكان صُحار كثير عديدهم والمدينة جميلة وفيها بيوت جميلة جداً. قلعتها حصينة مربعة. لها ستة أبراج. وثمة برجان كبيران على جانبي باب المدينة... وفي المدينة ما يزيد على ستة آلاف من السكان. ولها جند مكون من خمسمائة فارس. وسلاح أكثرهم القسي. وان كان بينهم من يستعمل الرماح».

وقد زار بربوزا عمان وبلدان الخليج العربي. وبينها قَلْهات والقريات ومسقط وصُحار. وذلك سنة ١٥١٨م. فقال عن الشحر انها «الميناء الغني بمختلف أنواع السلع... مثل الأقمشة القطنية... والأرز والسكر والافاوية وغير ذلك من المتاجر... وهذه تتبادلها الشحر مع القادمين إليها بالبخور والخيول الممتازة التي قد يبلغ ثمن الواحد منها في اسواق الهند نحو ٢٥٠ استرلينية. وبلاد الشحر كثيرة القمح واللحوم والتمر والاعناب».

أما مسقط. التي كان البرتغاليون قد دمروها. فقد قال عنها بربوزا انها «واسعة المتجر كثيرة الأسماك التي تملح وتجفف هناك وتنقل إلى كثير من البلدان لبيعها فيها».

...

نحن لم نقصد. في هذا البحث المقتضب. أن نؤرخ لعمان. والافأن هذا كان يتسع كثيراً. ولكننا أردنا أن نضع صورة للدور التجاري الكبير الذي قامت به المنطقة منذ بدء التاريخ والى نهاية العصور الوسطى.

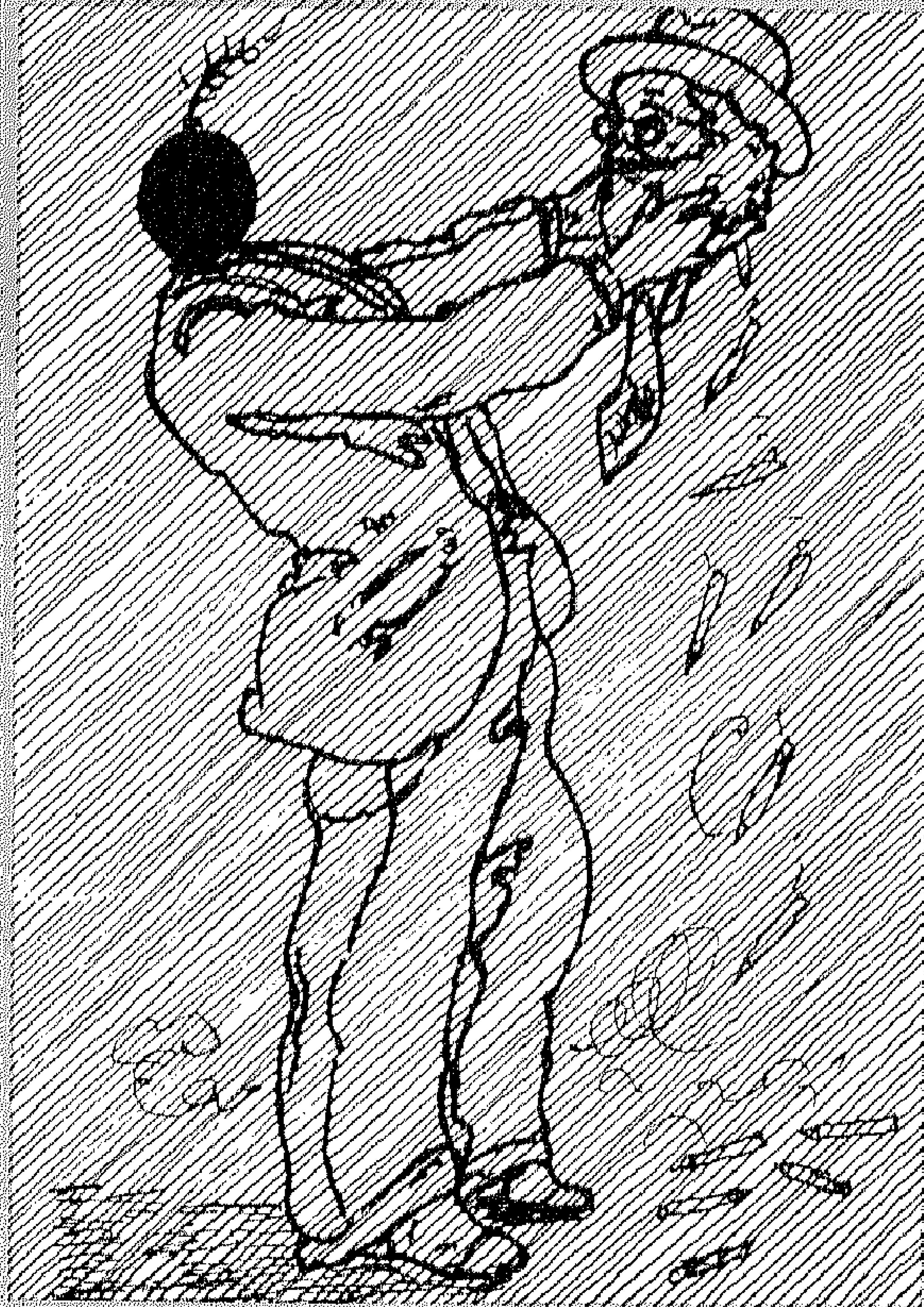


غاية النحافة

توقفت المفاوضات بين سعد زغلول الزعيم المصري في أثناء الاحتلال البريطاني لمصر. وماكدونالد. فاقترح الأخير بقاء باب المفاوضات مفتوحا. فأجاب سعد: أن قفل الباب لا يمنع اعادة فتحه. فقال ماكدونالد مشيرا لباب الحجرة: لا نقدر مع الأسف أن ندخل معا من هذا الباب – وكان يلمح الى التنازلات. فقال له سعد: انحف قليلا. فأجاب ماكدونالد: لننحف معاً. فرد عليه سعد: أما أنا فقد بلغت غاية النحافة. ولم يعد لي ما أقدمه في هذا السبيل

تاريخ الصّحافة اللبنانيّة

١٩٧٥ - ١٩٧٩



مروان حماده

ضمن دورة محاضرات كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية – بيروت ، ألقى الكاتب هذه المحاضرة على طلبة الكلية يوم الخميس في الثالث من شهر أيار (مايو) ١٩٧٩ . ولما كانت المحاضرة تسجيلاً لجانب مهم من تاريخ لبنان خلال السنوات الأربع الماضية ، ترى مجلة «تاريخ العرب والعالم» نشرها فيما يلي :

* مروان حمادة : مجاز في الحقوق ، دبلوم في الاقتصاد والصحافة ، رئيس قسم السياسة الخارجية في جريدة «الأوريان – لوجور» ثم رئيس تحريرها ، مراسل مجلة «لو بوان» الفرنسية ، ومعلق الشؤون العربية في راديو لوكسمبورغ . حالياً رئيس تحرير «النهار العربي والدولي» .

● عندما كان اشقاؤنا في الأقطار العربية. وأصدقاؤنا في البلدان الأجنبية يقوّمون. قبل الحرب. الخصائص اللبنانية. كانوا يضعون الاعلام اللبناني في المرتبة الأولى من هذه الخصائص. وفي واجهة الاعلام: الصحافة.

وكما كان الثناء كثيراً على الاعلام. ونوعيته. ومكانته الفكرية والتقنية. كذلك أخذوا علينا غلواً في «ممارسة الحرية». حرية الرأي والتعبير عنه. وما غلب عليه من مواقف متقاربة أو متباعدة متوافقة أو متضاربة. في التطرق إلى الشؤون الداخلية والخارجية لبنانياً وعربياً ودولياً.

والكلمة الحرة تنطلق بعفوية بعيدة عن التغليف والتستر. واضحة. لا تقبل التأويل. فتصيب الهدف مباشرة. ومن هنا يتناولها القارئ ليناقشها في نفسه وفي عقله فيردّها أو يتبناها. وفي كلتا الحالتين تتفاعل مع ضميره. وينشأ عن هذا التفاعل شأن جديد ايجاباً أو سلباً. تمتد ردود فعله من القبول إلى الرفض وتطبع بالضرورة. البيئة الاجتماعية والسياسية. بطابع الأفكار الجديدة. والواقع ان الاعلام - الصحفي بشكل خاص - يخفي وراء صورته الظاهرة. جهازاً من أدق الأجهزة وأخطرها. بتأثيره المتمادى في الافراد والجماهير. وبمشاركته. إلى حد بعيد في صنع الرأي. وبعث التيارات الفكرية والقومية. أي في تكوين بنى الأمة. ليس هذا فحسب. بل ان للأعلام. صدارة في وظائف الدولة ومراتبها: يقال ان الصحافة هي السلطة الرابعة. ذلك. لما تقدمه إلى الشعب والدولة. من خدمات تشمل أكثر من حقل. فهي إذ تراقب الأحداث وتنقلها. تلتقط التغيرات النفسية والتقلبات الاجتماعية والسياسية. وتطرحها للجدل والمناقشة. في عمل مستمر. وتضيء سبيل أصحاب الاختصاص. وتساعد السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية في الكشف عن المعضلات. وكثيراً ما تقترح الحلول لمعالجتها. وبذلك تكون الصحافة أكثر من سلطة رابعة. ويصح وصفها بأنها السلطة المنسّقة بين الدولة والشعب. مما يلقي على عاتقها تبعات ضخمة ورهيبة. لا بد من ان يقابلها شعور عميق بعظم المسؤولية.

ان هذا الاعلام. وخصوصاً في وجهه الصحفي - الاعلام السلطة المؤثرة في الأمة والدولة - هو الذي عرفناه في لبنان. ومارسناه. وما زلنا. برغم الكوابح التي. كثيراً ما تضعف حرية تحركه وقوة اندفاعه. في ظروف كالتي تمر بنا. منذ سنوات أربع.

كان دور الصحافة اللبنانية. في طليعة الادوار الوطنية - فما هو هذا الدور؟ أهو بالتعبير عن الرأي العام والعمل على تحقيق امنياته؟. أم هو بالتأثير في الرأي العام. وخلق منطلقات جديدة له. بتعديله أو تبديله؟ الواقع ان اعلامنا وهو من النمط الذي نجده في الديمقراطيات الأوروبية الغربية. يقوم بالمهمتين معاً. يتأثر ويؤثر. يوجَّه ويوجِّه. وهكذا يكون الاعلام والرأي العام. عندنا. توأمين. متصلين. منفصلين يتجاذبان فيصحح أحدهما. بالتناوب. مسيرة الآخر. أو بالرغم من التناغم بين الاعلام والرأي العام فلا بد من الاعتراف بان معركة خفية تدور بينهما. يحاول كل منهما السيطرة على الآخر. فمن ناحية الفرد والمجتمع المثقل بكمية هائلة من الأفكار والرواسب العاطفية - كثيرها موروث وبعضها مبثوث من خلال أقنية سياسية واقتصادية متسلحة بمختلف أدوات الترغيب والترهيب والاغراء - ومن ناحية الاعلام وخصوصاً الصحافة بوسائلها الحديثة مادة وفكراً وتقنية ودينامية التي تجعل الاعلام قوة عظيمة تكاد لا تترك للقراء مجالاً للتفكير الدقيق. يبهرون ويؤخذون بالخبر وتحليله والتعليق عليه. ويوماً بعد يوم يتكون الاقتناع ويتبلور الرأي.

أولويات الحرب ومخاوفها

هذه العملية تثير في وجه الاعلام قوى سياسية واقتصادية. تدخل. هي أيضاً في حلبة المنافسة لاستقطاب الرأي العام والتأثير فيه. لذلك تحيط بالصحافة. اخطار تتراوح بين الحرب المالية والحرب السياسية. غير ان الاعلام تمكن في بلدان النمط اللبناني. أن ينجو من التطويق ويتجاوز بنجاح حقول الالغام التي تنشر في طريقه.

من الطبيعي أن يعتري الاعلام اللبناني ما أصاب لبنان كله في حرب السنتين بل ان الاعلام كان أكثر تحسساً بما خلفته احداث السنوات الأربع من كوارث: فما لا شك فيه أن تطوير وتحديث الصحافة اللبنانية حتى بلوغها حدّ التصنيع أصيب خلال الحرب بنكسة لم تخرج منها بعد لأن الأولوية. كل الأولوية خلال الحرب، كانت للبقاء والنجاة بالصحافة والصحفي والوطن الذي بدونه لا صحافة ولا صحفي. لقد اصاب



● الرئيس سليم الحص يتفقد احدى دور الصحف المتضررة.

الصحافة اللبنانية الكثير الكثير من الكوارث كان لها، وعلينا أن نعترف بذلك، أثر بالغ في دورنا الوطني العربي والدولي.

لقد تبعثر القراء - تبعثروا، جغرافياً وفكرياً واقتصادياً - تبخر الأمن والأمان ومعهما تباطأت عجلة الحياة وتضاءل حجم الأعمال. سدود من هنا وسدود من هناك وجدران من نار بين ناس لبنان، وبين هؤلاء، والعالم الخارجي. وكان اصدار الصحيفة، عملاً بطولياً ومغامرة الوصول إلى مكان العمل والحصول على المواد الأولية، وخاصة الورق وقطع الغيار. اختفى المعلنون: الشركات والأفراد. وهاجر عدد كبير من العمال المهرة أو انهم لجأوا إلى بيوتهم لا يخرجون منها، مخافة الموت. فكان من المحتم ان يضعف دور الصحافة، بل ان تغيب بعض وسائل الاعلام عن الساحة اللبنانية وان يفقد لبنان بذلك جزءاً هاماً من بهائه.

وكان من نتائج الحرب على الاعلام اللبناني وعلى دوره تحولات عميقة في طبيعة هذا الاعلام، وفي وسائله وفي تطلعاته.

تحول في السوق

• في طبيعة هذا الاعلام: لم يعد للاعلام اللبناني الشمولية التي كان يتميز بها قبل الحرب. فقد تقلّص اهتمام الصحف والاذاعات والتلفزيون في لبنان بالشؤون العربية والدولية، وتقلّصت، بالتالي المساحة المخصصة لهذه الشؤون، كما ساهم تركيز الاهتمام بالقضايا المحلية، التي صارت قضية حياة أو موت، بالنسبة للقارئ ساهمت في لبننة اهتمامات وسائل الاعلام اللبناني، ومما زاد في هذا الاتجاه انقطاع الاتصالات البريدية وأحياناً الهاتفية بين بيروت والعواصم العربية الاخرى خلال الساعات الحامية من الحرب. وكان من آثار هذا التحول ان تغيّرت خريطة القراء، وإن لم تتغير أرقام التوزيع والمبيع. فمثلاً خف اهتمام القارئ العربي بالصحف اللبنانية ولكن ازداد تمسك القارئ اللبناني والفلسطيني والسوري بهذه الصحف لأنها باتت تعالج، على كل صفحاتها الشؤون المصيرية بالنسبة إلى هؤلاء.

• وحتى داخل لبنان كانت السدود الفئوية تحول، باستثناء جرائد قليلة، دون انتقال الصحف من منطقة إلى اخرى. والمحزن حقاً ان هذا الوضع ما زال قائماً حتى يومنا هذا. لقد كان لهذه السدود ان ساهمت في ازدهار عدد من وسائل الاعلام غير الشرعية، وفي اكتساب الاذاعات الحزبية أهمية خاصة - لكونها لا تصطدم بالعقبات الجغرافية.

• ومن التحولات الجذرية في طبيعة الاعلام اللبناني ان انقسمت الصحافة إلى ثلاث فئات. اثنتان

متقابلتان متصارعتان وفئة وسط في موقع تحاول منه قدر المستطاع تأييد الشرعية من دون أن تفقد بعض الرونق المتلازم مع المعارضة والحرية.

الكلفة المادية والبشرية

• ومن النتائج الاقتصادية البارزة للحرب على القطاع الاعلامي زيادة كبيرة في الكلفة والاعباء المختلفة. فالى جانب الزيادات في رواتب التحرير والادارة والانتاج واجهت الصحافة ارتفاع أسعار الورق والمواد الأولية، فضلاً عن انخفاض قيمة العملة اللبنانية في مقابل العملات الأجنبية، ثم تكاليف استثنائية من تأمين اقامة المحررين والعمال في فنادق مجاورة من مراكز العمل، إلى تكاليف الحراسات وأحياناً ترميم ما تصدع في الأبنية. من جراء القصف أو التفجير، إلى تأمين الطاقة الكهربائية بالوسائل الخاصة بسبب انقطاع تيار القطاع العام. هكذا كان ثمن الاستمرار باهظاً ولكنه أقل بكثير من ثمن الزوال. وما كان يشفع بالصحافة ويخفف من الناحية الاقتصادية ان القارئ كان يشتري الصحيفة كما كان يشتري الخبز. المهم، طبعاً، كان الوصول إلى القارئ. وهناك ملاحم من البطولات المأساوية، في قطاع التوزيع الصحفي. كذلك كان شأن التموين الصحفي، أي الحصول على الورق عن طريق موانئ، بديلة عن بيروت، تخضع لنفوذ هذا الحزب أو ذلك التنظيم. ثم نقل هذا الورق. ولا أكشف سراً إذا قلت ان بعض الصحف كانت تشتري مرة ومرتين، ورقاً كان ملكها - واستولى عليه مسلحون في المستودعات أو في الشاحنات. ذلك كله لم يستطع جزء كبير من الصحف تحمله. منها ما توقف عن الصدور ومنها ما احتجب لفترات، ومنها ما انتقل إلى الخارج.

ولمواجهة الأخطار الاقتصادية التي كانت تنعكس على دورها إلى حد إلغائه اضطرت الصحف والمجلات. في غالبيتها العظمى، إلى رفع سعر المبيع، فاستعاد القارئ الأولوية بالمقارنة مع المعلن، في دعم مالية الصحف. ومن المؤسف، ان الدولة، لم تساعد القطاع الصحفي بعد الحرب، لا بالقانون، ولا بالمال ولا حتى بحماية الأشخاص والمؤسسات. إلاّ ان الوقت والتجربة اقنعا الدولة والرأي العام بأن الصحافة ليست كما صورت سبب بلاء البلد. بل على العكس، فقد تبين انها تستطيع أن تكون هي، وسيلة وفاق وطني. ثم انها كانت أداة توحيد لأنها تنقل إلى اللبنانيين أخبار أقربائهم أو أصدقائهم البعيدين عنهم قسراً. حتى صفة السلطة الرابعة التي كانت توصف بها الصحافة، بصورة نظرية تحول مفهومها إلى ايجابية عملية. فحين غابت السلطة التنفيذية بقيت الصحف تردع البعض عن الشذوذ الكامل. وعندما غابت السلطة التشريعية بقيت الصحف تقدم المشاريع والاقتراحات وتنقل الآراء وتبلور الصيغ. وعندما غابت السلطة القضائية، بقيت الصحف تنبّه إلى المخاطر وتشهر بالقاتل، وبالسارق. فاكتسبت اذا جاز التعبير صفة ردعية بالنسبة إلى عدد كبير من الخارجين على القانون والشرعية.

وعندما انقسم اللبنانيون بعضهم على بعض ظلت الصحافة ونقابتها موحدة وطنياً ومهنياً وذلك على الرغم من اختلاف الآراء والاتجاهات. وعندما كانت تنقطع الصحيفة عن مطابعها كانت زميلاتها تسرع الى تأمين الطباعة لها. وعندما كانت صحيفة تحتاج الى الورق كانت زميلاتها تسرع الى تزويدها بما تحتاج.

ماضياً ومستقبلاً

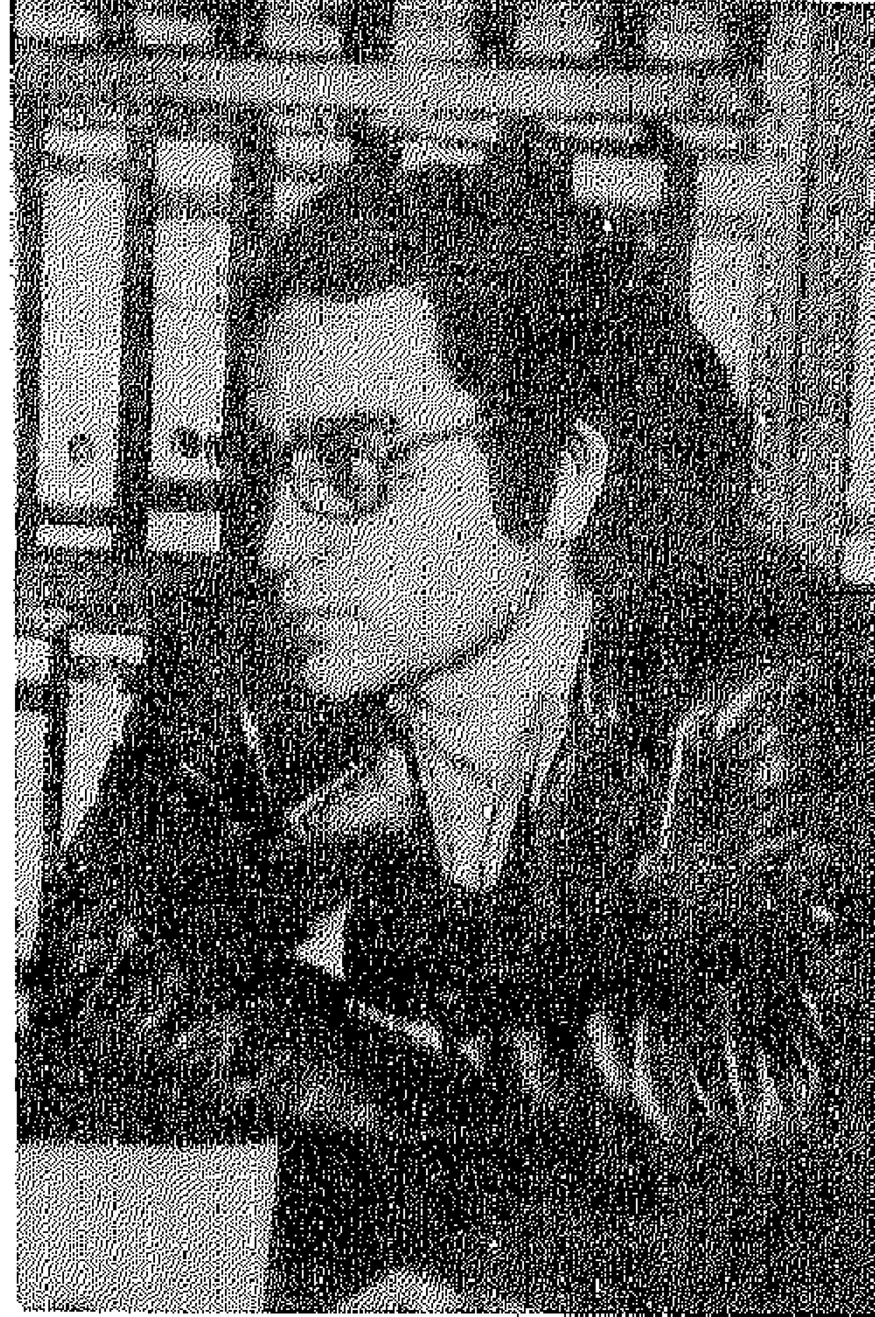
هذه صورة سريعة للاعلام اللبناني في خضم المحنة. إلاّ أن هناك أسئلة عديدة طرحها اللبنانيون وأشقاؤهم العرب، ولا يزالون يطرحونها، عما ينتظر صحافتنا. وهل ستعود إلى أمجادها اللبنانية والعربية والعالمية؟.

حقاً لقد كان لاعلامنا امجاد في مختلف هده الميادين:

كانت بيروت ندوة مفتوحة دائمة، للرأي العام العربي. والصحافة محور هذه الندوة، ينعكس على صفحاتها كل ما في العالم العربي من حيوية التفكير، من الآراء، من التيارات، تنافس، وتفاعل، كان الانسان العربي، انساناً حراً في مرآة الاعلام اللبناني، وقد عالجنا الشؤون العربية على انها قضايانا، وهي كذلك فكثيراً ما كان كتابنا يختلفون في ما بينهم، في شرحها وتفسيرها والتعليق عليها.

لقد حمل الكثيرون علينا، والصقوا بإعلامنا شتى التهم ولكن العالم العربي كان في النهاية يعترف بأننا حاملو امانيه. وكان العالم يعتبرنا، نبض العروبة: في صحافتنا خريطة كاملة للايديولوجية العربية، عندنا فلسطين، وقضيتها والقصة الكاملة للكفاح ضد الاستعمار الظاهر والخفي. وكانت الصحافة اللبنانية اكثر







من شهداء الصحافة

نايف شبلاق — طلال رحمة . — ادوار صعب

فعالية في الدفاع عن فلسطين وفي رفع رايات الكفاح المسلح وفي اعطاء مقاومة الشعب الفلسطيني الحجم الذي تستحق . في صحافتنا الخبر اليقين عن الترتيبات والمؤامرات التي تحاك . وكنا نكتبها ونعلنها على رؤوس الاشهاد . كان اعلامنا يدخل الى كل زوايا الاقطار العربية . محبوباً حيناً . منتقداً حيناً . ولكنه يبعث على الاعجاب في كل حال .

واليوم وعلى رغم النكسة والانكفاء والاغتراب لا يتنازل الاعلام اللبناني عن دوره اللبناني والعربي . وان كان قد اضطر داخل لبنان الى تجميد البعض منه . وان كانت المحنة قد شطرت بيئته الاصلية شطرين . وفككت قواعده . إلاّ ان الكلمة الحرة التي هي جوهر وجوده لم تمت . في طبيعته . ولم تندثر في وجدان اصحابه . تمردت الكلمة على كل العوائق وقارعت المستحيلات . وظهر بجلاء أنها تغلبت . في موطنها . لبنان . على مسببات اضعافها .. جندت لذلك جميع امكاناتها لانقاذ تراثها . فرعت هذا التراث كما يُرعى المريض الغالي حتى يشفى . كان بقاء صحافتنا عملاً يقرب من المعجزة . وكان اغترابها رائعةً من روائع الصمود .

لم يكن تأثير الحرب في أوضاع الاعلام اللبناني . سلبياً فحسب بل إنه أعطى في بعض الاحيان نتائج ايجابية . من حسناتها تأمين البدائل التي لا بد منها .

لا تكرهوا شراً ...

أولاً – حاولت صحافة بعض البلدان الشقيقة التعويض عما اصاب الاعلام اللبناني . فعملت على تنمية قدراتها . من حيث التقنية . مضموناً وشكلاً . ومن حيث توسيع آفاقها على الشؤون العربية والعالمية وتحرير الكلمة المكتوبة من بعض القيود السياسية والقانونية .

لقد برزت الصحافة الكويتية أبان احداث لبنان أكثر تألقاً – ولا بد من الاعتراف بأن الاعلام الكويتي حقق تقدما اكيداً في محاولاته .

كذلك الصحافة السعودية والاردنية والسورية . فانها حرصت على إدخال تحسينات ملحوظة على طريقة ادائها المهني .

ثانياً – كل هذا لا يقارن بالعمل الضخم الذي انجزه الاعلام اللبناني في الخارج . ويمكن القول انه عمل عملاق . نقل الاعلام اللبناني الى الساحة العالمية . اعتلى اللبنانيون المنبر الصحافي في اكبر عاصمتين اوروبيتين . واستشرفوا على العالم بكل اصرارهم على البقاء في طليعة الصحافة العربية . لقد كان مسرح الاعلام اللبناني قبل الحرب عربياً ومشرقياً . في جزئه الاكبر . وبات في غربته عربياً مشرقياً مغربياً – عالمياً . أصبح صوت العرب يصل الى عقول



احدى دور الصحف المتضرّرة أثناء الحوادث

الغربيين مباشرة. فالوكالات والصحف الأجنبية، تتناقل بسرعة، ما تكتبه الصحافة اللبنانية المقيمة المغتربة، وصارت مكاتب المجلات اللبنانية في باريس ولندن، ملتقى رجال الاعلام والسياسة - الاوروبيين. فضلاً عن ان الاتصال المباشر الذي أمّنه اعلامنا في الغرب، بأكثر من مليوني عربي طلاباً واساتذة ورجال أعمال وعمال - كانوا منقطعين تماماً - قبل اغتراب صحافتنا، عن اجواء العالم العربي.

ثالثاً - افرزت الحرب اللبنانية مهارات جديدة في الميدان الصحافي. فعلى نار المحنة نشأت صحافة فئوية حزبية واذاعات خاصة. دخلت معارك كنا نتمنى ان لا تكون ولكنا ونحن امام واقع لم يكن منه مناص ننتظر اليوم الذي يعود فيه لبنان واحداً، بدولته وصحافته واذاعته وتزول الفوارق وتبدأ عندئذ الافادة من العناصر التي اثبتت مهارتها الصحفية والاذاعية وتكون التجربة القاسية قد صهرتهم. فكما كانوا عنيفين في الاعراب عن تياراتهم الفئوية يكونون عنيدين في الدفاع عن الوطن الواحد بايمان.

وبعد، ان الحرب،، واهوالها، والدمار المعنوي والمادي كل هذه العوامل لم تتمكن من القضاء على الاعلام اللبناني ولا على دوره الرائد انه صارع من اجل البقاء.

لقد دخلنا المعركة، قبلنا التحدي، وكانت مغامرتنا كبيرة. فالدليل على ذلك ان الصحافة اللبنانية، ما زالت تتصدر ما تنقله وكالات الانباء العالمية ووسائل الاعلام العربية من كل ما يتعلق بشؤون الشرق الاوسط، من حيث النبأ والتعليق عليه. كذلك فان الاعلام اللبناني يحتل المرتبة الاولى من انتباه زعماء العالم العربي وهم يخصون الصحافة اللبنانية قبل غيرها بكل حديث يريدون له اوسع انتشار واكبر تأثير.

ودليل آخر على ان بيروت ما زالت عاصمة الاعلام في الشرق الاوسط. ان ما من صحفي او مراسل اجنبي انتقل منها، خلال الحرب اللبنانية إلاّ عاد اليها، سعياً وراء النبأ، من صحفنا وانديتنا السياسية. هكذا فان بيروت كانت ندوة العالم العربي وستبقى.

ونحن نؤمن بدور صحافتنا - وهذا الايمان ينسف من امام اعلامنا، كل العقبات. ●



المسألة

وتطوراتها التاريخية



● الوالي محمد علي باشا.

● تعني المسألة الشرقية في قاموس الدوائر السياسية الأوروبية ضعف الامبراطورية العثمانية. ومحاولة الدول الأوروبية تقسيم ممتلكاتها. وبذلك أصبح يطلق عليها اسم «رجل أوروبا المريض» ( ). وبدأت الأطماع الروسية والفرنسية والبريطانية تلعب دوراً مهماً في القضاء على هذا الرجل المريض. ولكن كل دولة حسب أسلوبها الخاص. فبينما كانت روسيا وفرنسا مثلاً تعملان ما بوسعها للسيطرة على المناطق العثمانية والقضاء على «الدولة العلية» كانت بريطانيا أيضاً تسعى للسيطرة على بعض هذه المناطق. ولكن مع ضرورة المحافظة على الدولة العثمانية التي تعتبرها ورقة رابحة أحياناً في وجه بعض الدول الأوروبية الطامعة في الممتلكات العثمانية.

وبالاضافة إلى دور الدول الأوروبية الاستعمارية في إنهاك الدولة العثمانية. كانت أيضاً الشعوب الخاضعة لها قد بدأت تطالب بالاستقلال والتحرر. ولكن لم تكن تطالب بهذه الحرية من أجل أن تكبل مجدداً بقيود فرنسية أو بريطانية.

والحقيقة ان العلاقة بين الدول العثمانية والدول الأوروبية تنقسم إلى قسمين أساسيين وهما:

الأول: العلاقة الممتدة بين القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر. وفي هذه الفترة وصلت الامبراطورية العثمانية إلى ذروة سيطرتها ونفوذها. فاحتلت مناطق عديدة من أوروبا. ومنها البلقان والقسطنطينية. كما هددت النمسا أكثر من مرة.

الثاني: وهو الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر حتى عام ١٩٢٢. وتعتبر هذه الفترة فترة الضعف والاضمحلال. إذ ان الامبراطورية العثمانية أصبحت امبراطورية يهمها رضا الدول الأوروبية. وباتت عاجزة ليس عن الهجوم على أوروبا فحسب. بل أصبحت عاجزة حتى عن حماية ممتلكاتها من الاطماع الأوروبية. وفي هذه المرحلة يمكن أن يقال بان المسألة الشرقية ظهرت أكثر وضوحاً على المسرح الدولي.

ظهور المسألة الشرقية

والحقيقة ان المسألة الشرقية بدأت تظهر على مسرح السياسة الدولية حينما بدأ العثمانيون ينسحبون من الولايات التي كانوا يسيطرون عليها لا سيما ولايات وسط أوروبا. مما كان يدعم الموقف الأوروبي. ويجعل الدول الأوروبية تستعد لاخراج العثمانيين من القارة الأوروبية ومن شبه جزيرة البلقان.

ومن الأهمية بمكان القول. ان نظم الحكم العثماني. وما رافقها من اضمحلال وتفرد السلاطين بالحكم. بالاضافة إلى ظهور النمسا والروسيا كقوتين

الشرقية

تى مؤتمر باريس ١٨٥٦

حسان حلاق

كبيرين تستنزفان قدرات الدولة العثمانية. هذه العوامل أثرت تأثيراً كبيراً في النفوذ العثماني في وسط أوروبا. إذ بدأت النمسا في عهد «هابسبورغ» والروسيا في عهد أسرة «رومانوف» في التوسع على حساب الممتلكات العثمانية في وسط أوروبا في حوض الدانوب وسواحل البحر الأسود.

هذا وقد بدأت تظهر المسألة الشرقية بشكل واضح في أواخر القرن الثامن عشر. حين اضطرت الدولة العثمانية أمام ضغط الروسيا والنمسا إلى الاعتراف بنفوذ الروس في شمال البحر الأسود. وبنفوذ النمسا في وسط أوروبا. ومما ساعد على نجاح هذه الضغوط أيضاً عاملان هما:

١ - التآمر الداخلي على الدولة العثمانية من قبل ولاتها وباشاواتها الذين ساهموا بأسلوب أو بآخر بانهيار الدولة. ومنهم باشوات حلب وبغداد وعكا ومصر.

٢ - ظهور القوى البلقانية المحافظة على قوميتها وعاداتها وتقاليدها ولغتها. وكان لها تطلعات استقلالية انفصالية.

لقد حاولت الدولة العثمانية ان تنقذ نفسها من الأخطار الجديدة المحدقة بها فقامت ببعض الاصلاحات في نظام الجيش. لا سيا في عهد السلطان محمود الثاني الذي حاول أن يقلص دور ونفوذ الانكشارية الذين استاء العثمانيون من تصرفاتهم. وبالفعل فقد تم القضاء عليهم. مما ساهم في ايجاد جيش جديد رعاه السلطان محمود الثاني.

ويلاحظ ان نقطة الضعف في هذا التنظيم الجديد للجيش. انه كان مرتهناً بتعليمات فرنسا وبروسيا. فقد كان الفرنسيون والبروسيون هم الذين يدربون هذا الجيش ويخططون له. مما جعله مقيداً لأن السياسة الفرنسية والبروسية ما كانت لتقبل باستمرار سلطة الدولة العثمانية ليس في أوروبا فحسب. وانما في المشرق العربي.

ومن الملاحظ أيضاً أن قوة السلطنة العثمانية في هذه الفترة اعتمدت الى حد كبير على الخلافات القائمة بين النمسا والروسيا. وعلى بعض المخلصين من قادة السلطان محمود الثاني الأمر الذي أدى الى استرجاع بعض الولايات الهامة مثل: بغداد. وديار بكر. والموصل والبانيا وسيواس وغيرها.

وبعد موت السلطان محمود الثاني. تولى الحكم السلطان عبد المجيد الذي كان يميل كسلفه الى الأقتباس من الأنظمة الغربية. وهو من المؤمنين بأهمية الأصلاح السياسي والعسكري في مختلف أرجاء الدولة العثمانية. غير أن الضربة الداخلية التي تلقاها الجيش العثماني على



● كميل كافور

يد الجيش المصري قصمت ظهر السياسة العثمانية خاصة أمام القوى الأوروبية.

وكان إصدار «خط كلخانة» الأصلاحي في عهد السلطان الجديد بمثابة قبول للضغوط الأوروبية لا سيا البريطانية منها، لأن من ضمن شروط بريطانيا أن يتضمن الأصلاح حفظ حقوق الأقليات، واصلاح النظام القضائي ووضع قانون جنائي. غير أن القوى الرجعية كثيراً ما كانت تقف عائقاً في وجه هذه الأصلاحات وتثير الأضطرابات والفتن في وجه السلطان، كما كان يهم القناصل الأجانب تشجيع هذه الأضطرابات وزيادة حدتها. وهذا ما حدث بالفعل في منطقة جبل لبنان بين الدروز والموارنة، وما حدث في البوسنة وجبل الأسود عام ١٨٥٣ بين القوى المحلية والجيش العثماني.

تحريك العوامل الطائفية

والحقيقة أن هناك أسباباً عديدة أدت الى فشل حركة الأصلاح والتجديد في الدولة العثمانية ومنها:

١ - القوى المحلية الرجعية من المقاطعجية والولاة والباشوات.

٢ - الأمتيازات الأجنبية واثرها السلبي في التقدم الأصلاحي.

٣ - المحاكم الأجنبية واستقلالها عن المراقبة العثمانية.

بالأضافة الى ذلك فقد حاول السفير البريطاني «كانينغ» إقناع السلطان بمعاملة المسيحيين على قدم المساواة مع المسلمين، وضرورة تجنيدهم في الجيش العثماني على غرار المسلمين، غير أن عاملين كانا يحولان دون تحقيق ذلك وهما:

١ - رفض السلطان والحكومة والقوى المحافظة تجنيد المسيحيين.

٢ - رفض المسيحيين أنفسهم التجنيد، لا سيا أن القانون العثماني لم يكن يلزمهم بذلك.

والحقيقة أن تجنيد المسلمين دون المسيحيين في سائر الأقطار العثمانية كانت له نتيجة سلبية على المسلمين الذين كانوا يساقون الى الثكنات العسكرية ليتركوا عائلاتهم تئن من وطأة الفقر والجهل، فيما كان المسيحيون يساقون الى مدارس الارساليات الأجنبية لا سيا في لبنان، مما أدى الى الأختلال فترة طويلة في



● السلطان محمود الثاني.

الميزان الثقافي.

هذا، وكان موقف الدول الأوروبية على وجه الأجمال من الدولة العثمانية، يرمي الى تقويض اركانها، فبينما كانت بريطانيا تشجع بعض الأقليات على إحداث المشاكل الداخلية، كانت روسيا تدعي أيضاً أنها وريثة الدولة البيزنطية ولا بد لها من استعادة القسطنطينية، كما كانت تطالب بالسيطرة على البوسفور والدردنيل وضمان إغلاقها في وجه أعدائها.

من جهة ثانية كانت روسيا تشجع الشعوب البلقانية على الأستقلال والتحرر من السيطرة العثمانية، وليس الهدف هو تحرير هذه الشعوب، وانما إعلان السيطرة الروسية مكان السيطرة العثمانية. وبالفعل فقد نجحت روسيا في مناطق القوقاز، إلا انها فشلت في البلقان.

أما انجلترا فقد كانت تحرص في القرن التاسع عشر على تغيير مواقفها تبعاً لمصالحها، ففي الوقت الذي كانت تتآمر فيه على الدولة العثمانية، عمدت الى عقد تحالف مع تركيا ضد فرنسا في عهد نابوليون بونابرت، لأن أطماع فرنسا بدأت تظهر في الشرق، ولأنها بالتالي عقدت اتفاقاً مع روسيا يقضي بتقسيم الأمبراطورية العثمانية. إنما الذي بدأ يغير من الموقف البريطاني هو الثورة اليونانية التي خلطت الأوراق وأظهرت المواقف على النحو التالي:

١ - بدأت انجلترا تهمل سياسة المحافظة على الدولة العثمانية.

٢ - بدأت تساعد ثورة اليونان الأرثوذكسية.

٣ - خوف النمسا من أطماع روسيا في القسطنطينية وفي اليونان.

٤ – كانت انجلترا وفرنسا أيضاً تخشيان خروج روسيا الى منافذ البحر الأبيض المتوسط.

٥ – وقفت مصر الى جانب السلطان العثماني للقضاء على الثورة اليونانية.

توازنات أوروبية مفيدة

ومن الأهمية بمكان أن نذكر، أن الدول الغربية لم ترد إبقاء الدولة العثمانية قوية. لا سيما بعد أن استطاع السلطان محمود الثاني القضاء على قوى الأنكشارية في الداخل. ولذا رأينا أن فرنسا وانجلترا وروسيا عقدت حلفاً ثلاثياً في ٧ تموز (يوليو) ١٨٢٧ إنضمت اليه بروسيا فيما بعد. وكان الهدف من هذا الحلف الضغط على السلطان العثماني لتحرير اليونان. لا سيما بعد أن حمل ابراهيم باشا بقواته المصرية حملة ثقيلة على الثوار في الموره. وكانت آخر حصونهم «ميسولونكي». قد اضطرت الى الاستسلام في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٨٢٦ بعد حصار ستة شهور. وقد ظهر اسطول السلطان في ساحل الموره حاملاً الى ابراهيم باشا نجدات تتألف من أربعة آلاف جندي من المشاة. وخمسمائة من الفرسان. وتوقف أمام ثغر «نافارين» (ناواوين). غير أن وحدات من أساطيل الحلف الثلاثي الغربي تصدت له هناك. وحذرت ابراهيم باشا من القيام بأي عمل عسكري جديد على الساحل اليوناني. ولكن ابراهيم رفض الخضوع للتهديد ولتدخل الدول الأجنبية الذي يتعارض مع سيادة سلطانه العسكرية العليا. ولذلك فقد احتدم الجدال بين القوى الأجنبية وبينه. ووقعت في ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) معركة بحرية يعتبرها بروكلمان «المعركة البحرية الفاجعة» لأنها أدت الى تحطيم الأسطول العثماني والمصري تحطيماً كاملاً خلال معركة لم تستغرق أكثر من ست ساعات.

وكان من نتائج معركة «نافارين» أيضاً. أن الباب العالي قام بالاستيلاء على جميع القطع البحرية الأجنبية الراسية في «القرن الذهبي». وبعد مفاوضات غادر ممثلو الحلف الثلاثي استانبول في منتصف كانون الأول (ديسمبر) ١٨٢٧. أما ابراهيم باشا الذي اشترك في الحرب اكراماً للسلطان للتعبير عن ولاء والده للباب العالي. فقد سحب بقايا الأسطول العثماني الذي تحطم في «نافارين» واتجه به الى الأسكندرية. ليجري اصلاحه وتجديده مع الأسطول المصري.

وتتطور المسألة الشرقية حينما يضع «نيكولاس» قيصر روسيا الجديد. لجنة سباعية خاصة لتحديد السياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية. وقد توصلت اللجنة الى عدة أمور منها:

١ – في حال إكتساح القوى الأوروبية للجيش العثماني سينتقل الأتراك الى آسيا مما يهدد روسيا ذاتها والقوقاز.

٢ – ان تقسيم الدولة العثمانية في هذه الفترة. سيؤدي الى إيجاد دول أوروبية أخطر منها.

٣ – ان من صالح روسيا في الوقت الحاضر المحافظة على بقاء الدولة العثمانية.

وفي انجلترا وصل «بـــــامستون» (Palmerston) الى منصب وزير الخارجية. وكان معنى ذلك اتباع سياسة بريطانية جديدة تقوم على حماية تركيا بشرط استمرار المصالح البريطانية السياسية والتجارية ولو بالقوة. ولذا كان يفضل التحالف مع فرنسا ضد روسيا. وكان معنى تبدل التحالفات فائدة للعثمانيين لأن استمرار الخلافات الأوروبية يلهي هذه الدول بعض الشيء عن الدولة العثمانية. غير أن ذلك لا يعني ان «بامستون» وقف الى جانب العثمانيين عسكرياً. بل كان يقف معهم – وبشكل مؤقت – سياسياً.

وطالما أن السياسة الأوروبية هي سياسة مصالح وليست سياسة مبادئ. وطالما أن اللجنة السباعية الروسية اتخذت قراراً ببقاء الدولة الضعيفة واستبعاد الدول القوية. فان القيصر وقف يؤيد السلطان العثماني ضد والي مصر محمد علي باشا. مما أدى الى توطيد العلاقة الروسية – العثمانية عام ١٨٣٣. لا سيما بعد مجيء الأسطول الروسي الى البوسفور لحماية الدولة العثمانية.

قرار محاصرة محمد علي

والواقع أن روسيا كانت تهدف من التقرب من الدولة العثمانية. الى عقد تحالف بينهما لأبعاد الأخطار عنهما. وقد توصلت روسيا الى ما تبتغي فعلاً عام ١٨٣٣ عندما عقدت معاهدة «انكيار سكلسي». وكان من نتائجها الأولية ما يلي:

١ – وقوف انجلترا موقف المعارض لأنها تؤثر في مصالحها في الدولة العثمانية.



● خريطة حرب القرم ومعاهدة باريس (١٨٥٦).

٢ – تؤدي المعاهدة الى تزايد النفوذ الروسي وفتح البوسفور في وجه السفن الروسية. واغلاق الدردنيل أمام السفن الأخرى.

٣ – استفادة الدولة العثمانية من هذه المعاهدة بايجاد اجواء التوتر بين دول أوروبا.

٤ – وقوف فرنسا موقفاً معارضاً لهذه المعاهدة لأنها اعتبرتها خطرة على نفوذها أيضاً.

وفي هذه الفترة تأزمت الأوضاع بين الدول الأوروبية. فبالاضافة الى تلك المعاهدة. كانت هذه الدول تختلف أيضاً في نظرتها الى مصير محمد علي باشا والي مصر. فقد كانت فرنسا ترى ضرورة إستقلال مصر عن الدولة العثمانية. لأن ذلك يؤدي الى امكانية مد نفوذها الى مصر. بينما رأى «بامستون» ان حل الأزمة يكمن في القضاء على محمد علي باشا لا سيما بعد تزايد اخطاره في مصر وبلاد الشام.

وبالفعل فقد نجح الرأي البريطاني. وعقدت معاهدة لندن عام ١٨٤٠ واشتركت فيها انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا. وذلك لأخراج محمد علي من بلاد الشام. وبعد اتخاذ القرارات حيال هذا الموضوع رفض محمد علي تنفيذها. فما كان من «بامستون» الا أن استخدم القوات البحرية لقطع المواصلات البحرية والبرّية أيضاً بين مصر وسوريا. كما أرسلت التعليمات الى قناصل الدول المشتركة في المؤتمر لاشعال نيران الفتنة والثورة في بلاد الشام ضد الحكم المصري. وهكذا استطاعت معاهدة لندن اخراج محمد علي من بلاد الشام. وبذلك حقق «بامستون» كسباً أوروبياً عندما تبنت الدول المشتركة آراءه. كما حقق كسباً سياسياً عندما أبطل مفعول معاهدة «انكيار سكلسي.» ولذا رأينا أن روسيا سرعان ما بدلت مواقفها من الدولة العثمانية. ورأى القيصر أن الدولة العثمانية على وشك الانهيار والسقوط. بينما كانت انجلترا تعارض مثل هذه الآراء القائمة على تقسيم الدولة العثمانية على النحو التالي:

١ – يكون البوسفور من نصيب روسيا. بينما تنال النمسا الدردنيل.

٢ – تكون جزيرة كريت من نصيب فرنسا.

٣ – تنال انجلترا ولاية مصر.

٤ – استقلال الدانوب والصرب و بلغاريا تحت حماية روسيا.

وبدأنا نرى ان المسألة الشرقية بدأت تتفاقم بسبب عدة ظروف وملابسات منها :

١ – اصرار روسيا على حماية المسيحيين الأرثوذكس في أملاك الدولة العثمانية. وانتقال البطريرك الأرثوذكسي من القسطنطينية الى بيت المقدس.

٢ – إصرار فرنسا على حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية. رغم اهمالها الأمور الدينية الكاثوليكية.

٣ – نشوب حرب القرم وقيام ثورة البوسنة ضد العثمانيين.

٤ – فشل تركيا في سياسة الأصلاح.

لقد حاول السلطان العثماني الوقوف معارضاً ضد المطالب الأوروبية. ورفض مطالب روسيا منتهزاً وقوف فرنسا وانجلترا ضدها. كما أن انجلترا رأت أن تجدد صلتها بفرنسا للوقوف في وجه اطماع روسيا لا سيما بعد احتلالها عملياً ولايتي الدانوب. وفي الوقت نفسه. فقد رفض رشيد باشا – وزير الخارجية التركي – الأنذارات الروسية مما أدى الى تزايد الخلافات بين روسيا وتركيا. فحاول «بول» وزير الخارجية النمساوية أن يوفق بين القوى الأوروبية ومصالحها في الدولة العثمانية. غير أن الأتراك رفضوا المقترحات النمساوية. كما أن فرنسا وانجلترا رفضتا هذه المقترحات أيضاً.

وكان الرأي العام البريطاني متوافقاً مع الرأي العام التركي. اذ أن البريطانيين ثاروا ضد الممارسات الروسية وطالبوا حكامهم باتخاذ اجراءات صارمة ضد روسيا. وقد شكلت هذه المطالب مبرراً هامشياً لارسال الأسطول البريطاني الى الأستانة. وقد شاركت فرنسا بهذه المبادرة.

حرب القرم

لقد أعلنت تركيا الحرب على روسيا في ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٥٣. وهاجم عمر باشا القوات الروسية في ولايتي الدانوب. بالرغم من أن رأي انجلترا كان مخالفاً للأتراك. اذ كان قد طلب منهم عدم البدء بالهجوم. وذلك ليكسبوا الرأي العام الأوروبي والحكومات الأوروبية. وازاء الخلافات البريطانية حول هذا الموضوع. فقد استقال «بامستون». ولكن نظراً لدخول انجلترا وفرنسا الحرب ضد روسيا. فقد عاد «بامستون» عن استقالته. وابتدأ التخطيط الفرنسي – البريطاني للقيام بحرب ضد روسيا وذلك في آذار (مارس) ١٨٥٤. وكانت روسيا بالمقابل في وضع سيء. فلم تحقق إنتصارات على الأتراك. ولم تستطع تهديد القسطنطينية.

وفي ظل أجواء الحرب طلبت النمسا من انجلترا وفرنسا معرفة أهدافها من الحرب. وقد تجاوبت فرنسا مع تساؤلات النمسا. الأ أن انجلترا رفضت تقديم توضيحات حول أهدافها منها. وأوضحت فقط أن الهدف هو تحقيق النصر وكسر شوكة روسيا. غير أن فرنسا والنمسا استمرتا في التفاوض واتفقتا على ما يلي :

١ – وضع ضمان أوروبي لولايتي الدانوب مكان الحماية الروسية لها.

٢ – تخلي روسيا عن ادعائها الحق في حماية رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين الأرثوذكس.

٣ – إقرار حرية الملاحة في الدانوب.

٤ – تعديل اتفاقية المضائق الموقعة عام ١٨٤١.

ومن الأهمية بمكان القول أن الخلافات بين الدول الأوروبية تطورت الى حرب طاحنة فيما بينها عرفت باسم «حرب القرم» عام ١٨٥٤. ونظراً لسوء الأوضاع الروسية العسكرية فقد أعوبت روسيا عن استعدادها لتقديم تنازلات عديدة. ولكن ليس الى الحد الذي يؤدي الى إذلالها وانهاء قوتها تماماً

لقد عقد «مؤتمر فيينا» في ١٥ آذار (مارس) ١٨٥٥ لحل المعضلة الجديدة الناجمة عن حرب القرم. غير أن هذا المؤتمر الأوروبي لم يتوصل إلى نتائج إيجابية. ولذا فقد عاودت فرنسا وانجلترا الهجوم على «سباستبول». وتم اسقاطها في ٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٥٥. وكان ذلك بمثابة تحقيق للأهداف البريطانية والفرنسية وضربة قاصمة لظهر روسيا. مما أدى الى انتهاء حرب القرم وانتصار الحلفاء فيها. غير أن انجلترا كانت تميل لمهاجمة الأراضي الروسية ذاتها.

بدء تقسيم الامبراطورية العثمانية

وبعد تطور الأوضاع وتأزمها في أوروبا. كان لا بد من عقد «مؤتمر باريس» في ٢٥ شباط (فبراير) ١٨٥٦ لبحث المسألة الشرقية برمتها. وقد اشتركت في هذا المؤتمر عدد من الدول الأوروبية والدولة العثمانية وكانت ممثلة على النحو التالي :

١ – انجلترا : ويمثلها اللورد «كلارندون» وزير خارجيتها. واللورد «كولي» سفيرها في باريس.



● خريطة استقلال اليونان (١٨٣٢).

٢ – فرنسا : ويمثلها «ولوسكي» ابن نابوليون الأول ووزير الخارجية الفرنسية.

٣ – روسيا : ويمثلها «اورلوف».

٤ – الدولة العثمانية : ويمثلها «فؤاد باشا» و «عالي باشا».

٥ – النمسا : ويمثلها «بول» وزير خارجيتها.

٦ – المجر : ويمثلها «هبنر».

٧ – سردينيا : ويمثلها وزيرها «كافور».

والحقيقة أن الدولة العثمانية اصدرت عدة قرارات واستبقت المؤتمر والأتجاهات التي ستتحكم به. فأصدر السلطان «خطاً همايونياً» تضمن حقوق الطوائف المسيحية الموجودة في الدولة العثمانية. كما أعلن المساواة التامة بين الاديان والقوميات المختلفة. ووعد بادخال تنظيمات جديدة. وبذلك استبقت الدولة العثمانية ما يمكن أن ينادي به المؤتمر. ذلك أن مؤتمر باريس كان مؤتمراً اوروبياً لبحث المسألة الشرقية الناجمة عن مشاكل الدولة العثمانية وضعفها واستقواء بعض الدول الاوروبية عليها. ومن الامور التي توصل اليها المؤتمر لا سيا فيا يختص بالعلاقات الروسية – التركية ما يلي :

١ – استقلال رومانيا عن الدولة العثمانية.

٢ – اصدار تعهدات عثمانية بضرورة الاصلاح.

٣ – اعلان حياد البحر الأسود.

٤ – استقلال ولايتي الدانوب عن الحماية الروسية.

والحقيقة ان اهمية مؤتمر باريس تعود الى ان فرنسا وانجلترا وقعتا في ١٥ نيسان (ابريل) ١٨٥٦ على معاهدة للمحافظة على وجود الدولة العثمانية. كما اعلنت الدول المجتمعة انها لن تتدخل في امور تركيا الداخلية ولا في مسألة الاقليات. وانه إذا ما وقعت أية مشكلة بين الدولة العثمانية وبين بعض الدول الأوروبية فان من واجب الاطراف المعنية أن تحتكم للدول الموقعة على معاهدة باريس قبل الالتجاء الى القوة. ومن اجل ذلك اصبحت المشكلة العثمانية مشكلة اوروبية. اما فيا يختص بفروع المسألة الشرقية فهي عديدة، وقد شكلت مجتمعة ما نسميه المسألة الشرقية. ومن هذه المسائل :

١ – المسألة المصرية.

٢ – المسألة السورية.

٣ – المسألة اللبنانية.

٤ – المسألة الفلسطينية.

٥ – المسألة اليونانية.

٦ – المسألة القرمية.

٧ – المسألة البلقانية ●

المصـــادر :

١ – كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية، الطبعة السابعة، بيروت ١٩٧٧.

٢ – محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصر ١٨٩٣ (طبعة مصورة، بيروت ١٩٧٧).

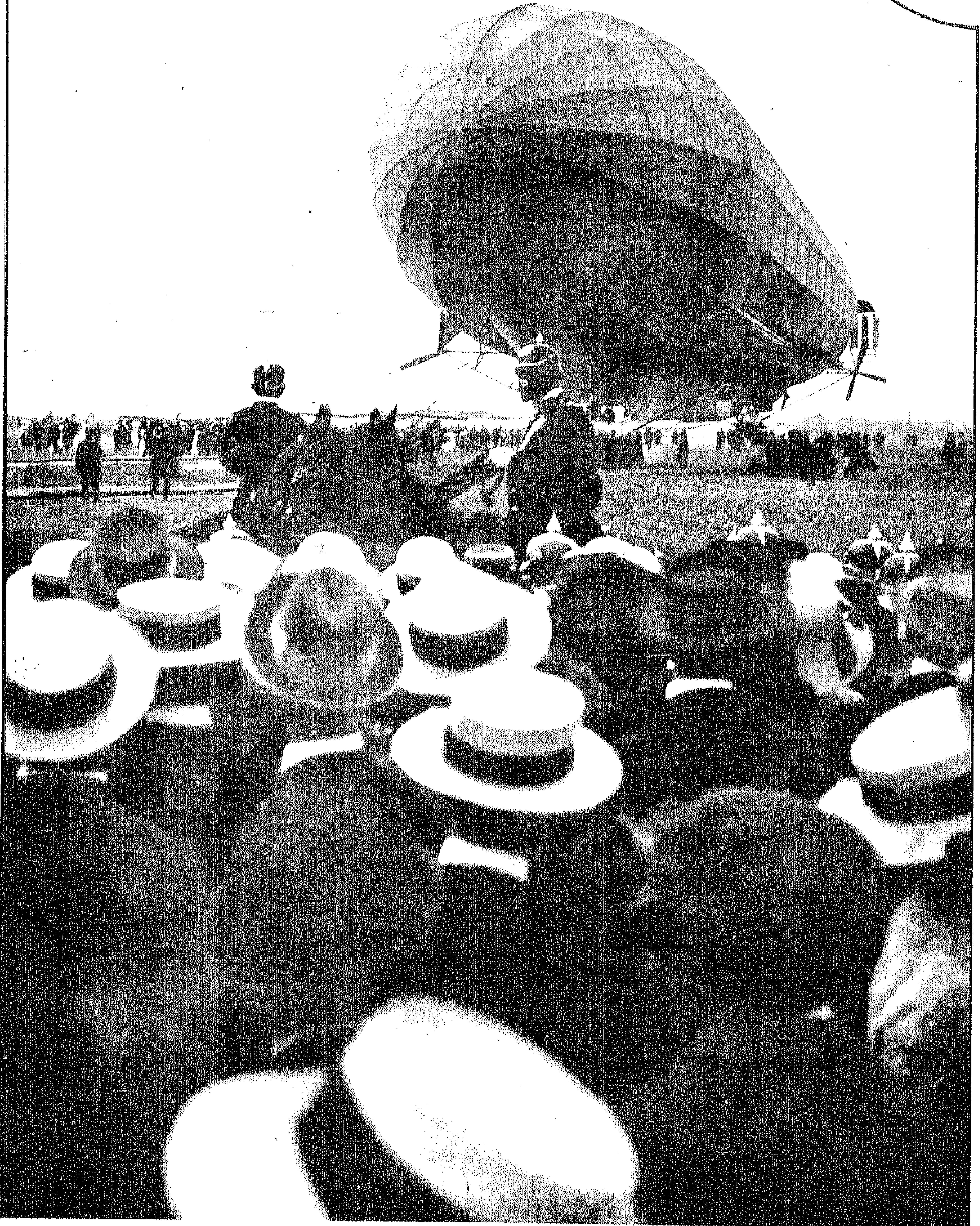
٣ – مصطفى كامل : المسألة الشرقية، مصر ١٨٩٨.

٤ – محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني، الكتاب الثاني، بيروت ١٩٥٤.

٥ – محمد مصطفى صفوت : المسألة الشرقية ومؤتمر باريس. معهد الدراسات العربية، القاهرة سنة ١٩٥٨

— BERNARD LEWIS; The Emergence of Modern Turkey, London 1965.
— CHARLES SWALLOW; The Sick Man of Europe, London 1973.
— STR CHARLES ELTOT; Turkey in Europe, London 1965. (First published 1900).

صورة من التاريخ



● منطاد تسبلين الالماني الشهير لدى هبوطه في مطار موسكو عام ١٩١٣ قبل الكارثة التي حلت بواحد مثله في الولايات المتحدة وقبل بداية الحرب العالمية الأولى بسنة. وقبل الثورة البلشفية في روسيا بأربع سنوات.

الندوة العالمية الثانية لدراسات:

تاريخ الجزيرة العربية

(١٩٧٩)

د. كمال سليمان الصليبي

● كانت جامعة الرياض بين ١٣ و ٢٠ من شهر نيسان (ابريل) ملتقى كبار أهل الاختصاص في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام. وقد جاء هؤلاء من مختلف انحاء العالم بدعوة من قسم التاريخ وقسم الآثار في كلّية الآداب في الجامعة، فقضوا في العاصمة السعودية اسبوعاً كاملاً بحثوا فيه مواضيع اختصاصهم في العمق، سواء في حقل اللغات العربية البائدة والنقوش، أو في الآثار، أو في التاريخ، وتبادلوا الآراء في جوّ من الرصانة العلميّة عسى أن يكون مثالاً يحتذي به في الندوات التي تعقد في العالم العربي في شتّى حقول الاختصاص. وقد شعرت شخصيا، وكأنّي عدت إلى عهد التلمذة لأتخصّص في موضوع جاهليّة العرب من جديد على يد أفضل المعلّمين. وعدت إلى بيروت وفي ذهني صورة جديدة، وغنيّة، ومتكاملة للموضوع. وقد لمست لدى معظم الذين اشتركوا في الندوة انهم غادروا الرياض كما غادرتها أنا شخصيّاً، ولديهم الاقتناع الكامل بأنّ ما قدّموه للندوة من جعبة اختصاصهم لم يكن بشيء بالنسبة إلى ما تعلّموه منها. وهل الغاية من الندوات العلمية الاّ ذاك؟

ويعود الفضل في نجاح الندوة إلى تنظيمها المحكم على يد رئيسها الدكتور عبد الرحمن



جامعة الرياض

د. كمال سليمان الصليبي. رئيس دائرة التاريخ والآثار. الجامعة الأميركية في بيروت

الطيّب الأنصاري وأعوانه من أساتذة التاريخ والآثار في جامعة الرياض، بحيث لم يتركوا مجالاً لاضاعة الوقت واللغو الفارغ الذي قلّما تخلو منه ندوة علمية تعقد في العالم العربي. فجعلوا جوّ البحث الجاد يسيطر على الجلسات الصباحية والمسائية بشكل صارم لم يخرج عنه إلاّ القليلون، وهؤلاء لم يمكّنهم رؤساء الجلسات من التمادي في الخروج عن المواضيع المطروحة وعن الانضباط الفكري. وقد اختلفت الآراء وتعاكست خلال الندوة حول مواضيع كثيرة، ففسح رؤساء الجلسات لكلّ مشترك أن يبدي الرأي بشكل كامل، وان يعاكس رأي غيره بحريّة كاملة، دون أن يسمحوا للجدل بأن يصبح عقيماً، عديم الفائدة.

وارتأى منظمو الندوة تخصيص كلّ جلسة من الجلسات لموضوع معيّن (وفي إحدى الجلسات لموضوعين) يلقى فيه بحث رئيسي لمدة نصف ساعة، تتبعه أبحاث تخصّصيّة بمعدّل عشرين دقيقة للبحث الواحد. وذلك مع العلم بأن الأبحاث كانت مطبوعة وموزّعة على المشتركين في الندوة من قبل، بحيث كان كلّ صاحب بحث يلقي بحثه بشكل مختصر في الجلسة، فيُبقي وقتاً كافياً للمناقشة.

أما مواضيع الجلسات، فكانت كما يأتي:

١ – التسلسل الزمني للتاريخ العربي القديم، قدّم الموضوع الاستاذ بيستون (A.F.L. Beeston)، من جامعة أكسفورد.

٢ – الآثار، قدّم الموضوع الاستاذ بار (Peter Parr)، من جامعة لندن.

٣ – مادّة النقوش، قدّم الموضوع الاستاذ ركمانز (J. Ryckmans). من بلجيكا.

٤ – عصور ما قبل التاريخ.

٥ – العصور التاريخية حتى القرن الأول قبل الميلاد، قدّم الموضوعين الاستاذ تسيغرت (Helmut Ziegert). من جامعة هامبورغ.

٦ – العصور التاريخية بعد الميلاد. وحتى ظهور الاسلام، قدّم الموضوع الاستاذ مولّر (Walter Mueller). من جامعة هامبورغ.

٧ – المعتقدات الدينية (البحث الرئيسي وضعه الاستاذ جواد علي. من العراق. وقرىء نيابة عنه في غيابه).

٨ – الحضارة: التجارة. والنظام المالي قدّم الموضوع الدكتور محمد سيّد غلاّب. من جامعة القاهرة.

٩ – الحضارة: المجتمع، قدّم الموضوع الدكتور حسن ظاظا، من جامعة الرياض.

١٠ – الحضارة: الرعي والزراعة والرّي والصناعة، قدّم الموضوع الاستاذ دوستال (Walter Dostal)، من جامعة فيينّا.

١١ – الحضارة: التعبير عن النفس قدّم الموضوع الدكتور عفيف بهنسي. مدير الآثار في الجمهورية العربية السورية.

١٢ – الجزيرة العربية والبلاد المجاورة قدّم البحث د. كمال صليبي من الجامعة الأميركية في بيروت.

أمّا الأبحاث التخصّصية، ففاق عددها الخمسين بحثاً. وينتظر أصحاب الاختصاص اليوم نشر هذه الأبحاث حتى تعمّ منها الفائدة وتصبح في متناول كلّ من يهمّه الأمر ●

المشربيات ...

نوافذ القاهرة القديمة على الشارع

ترجمة : فكتور سحاب

● في نظر الغربيين كان هناك دائماً سحر يحيط بالمشربيات، تلك الحجب الخشبية الانيقة التي كانت ذات يوم تستر الاجزاء الخارجية من المباني في جميع انحاء المشرق العربي.

كانت دقيقة، ناعمة وجميلة، كالأقنعة الحريرية المسدولة بحذر فوق وجوه العذارى الحسان، وصارت ترمز الى غموض المشرق الاسطوري.

وهذا الانطباع، بمعنى من المعاني، صحيح الى حد ما. فقد كانت المشربيات حجباً مسدولة في وجه العالم الخارجي. ووراء درع الشعرية الباردة كان الذين في الداخل يستلقون في عزلة مظللة وهم ينظرون إلى جلبة الشوارع تحتهم.

وبالتأكيد، كانت أيضاً ملاذاً للنساء اللواتي أدت حاجتهن الى العزلة في الحضارات القديمة الى نشوء الاساطير الغريبة، والمبالغ بها، للحريم المخبآت.

ومع هذا فان اصول ووظائف المشربية أو المشربة هي اكثر واقعية بكثير - كما يدل على ذلك اسمها المصري.

فكلمة مشربية تشتق من أصل عربي معناه «مكان الشرب»، الذي تمّ تبنيه للاشارة الى الوظيفة الاولى للحجاب: «مكان تبريد مياه الشرب».



● المشربيات فن عربي ساحر.

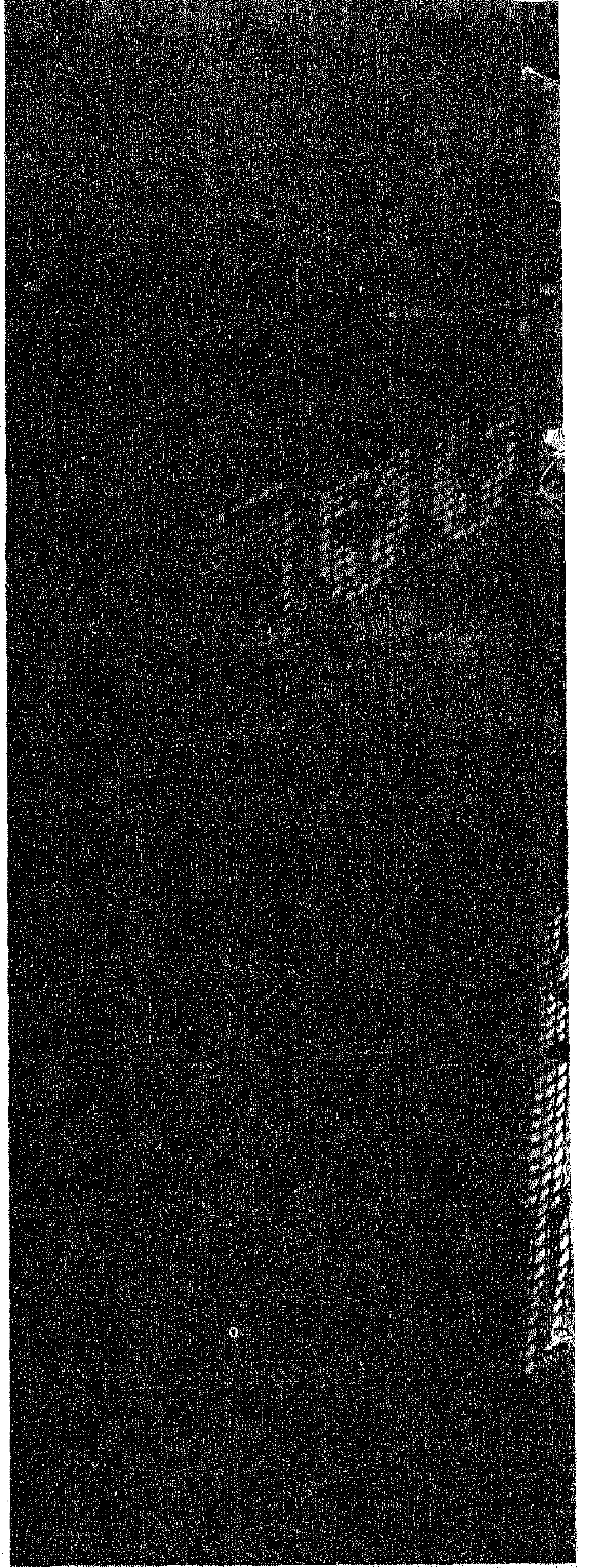
وكانت كذلك بالفعل . فالظل والشعرية المفتوحة يقدمان مجرى هواء متواصلاً يبرد الماء داخل الاواني الفخارية فيما تتبخر اسطحها المرتشحة . وكانت هذه الوظيفة من الأهمية بحيث تبنى احيانا في الحجاب الرئيسي منصة محجوبة صغيرة تتسع لاثنين او ثلاثة من الاوعية . وذلك لتلقي المزيد من الهواء ولتبريد المزيد من الماء .

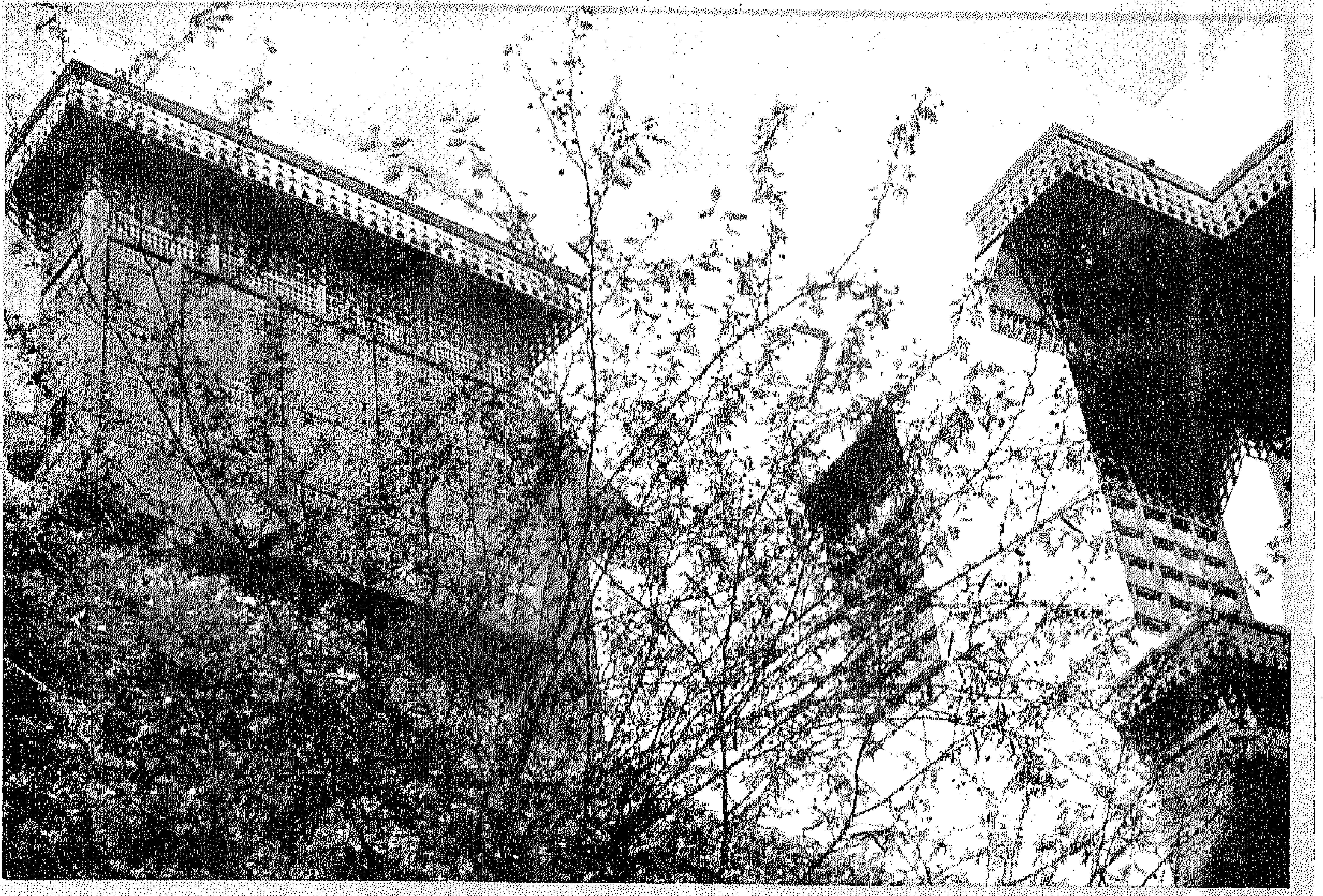
ومن هذه البداية تطورت المشربية الى معلم هندسي عملي جدا كان لقرون . وفي آن معاً . بمثابة نافذة وستار ومكيف هواء وبراد . فالمشربية المصممة بحذاقة لم تخفف من حرارة الشمس الصحراوية القوية فحسب . ولكنها ايضاً بردت المنازل والماء والناس في بلدان تمتد من الهند الى اسبانيا حيث الناس . في اوقات معينة من السنة . يختبئون من الشمس . مثلما يسعى الآخرون الى الاحتماء من المطر .

يرى ولا يرى :

إلاّ أن المشربيات أخذت في القرن الرابع عشر تتطور إلى شيء اكثر من ذلك في مصر . وخصوصاً في القاهرة نفسها . فبفضل الأيدي الماهرة للحرفيين الذين كان الخشب بالنسبة اليهم كنزا يستورد من لبنان وآسيا الصغرى . ويعامل بحب . صارت الحجب تدريجيا تحيط بالشرفات لتبريد الناس والاوعية . وفي وقت لاحق . عندما صارت تجهز بأسرّة موسدة تمتد على طول وعرض الحجاب . تحولت الى ملاذات مريحة يستطيع محتلوها الاستلقاء في عزلة باردة فيما هم ينظرون الى الشوارع او الفناءات تحتهم ويشاركون في حياة العالم الخارجي دون ان يراهم او يسمعهم أحد . وبالنظر الى ثمنها الباهظ . فقد كانت في البداية مقصورة على قصور الحكام ومنازل التجار الاكثر ثراء كعلامة خارجية على النجاح .

وفي ايدي حرفيي القاهرة تحسنت الأساليب . وعبر القرون طور الحرفيون مهارات خاصة في الخشب . كانوا يعلمون . على سبيل المثال . ان الخشب في حر الصيف الشديد . حتى افضل انواعه . يتقلص ويلتوي ويتشقق عندما يعرّض للشمس والهواء . ولكنهم كانوا يعلمون أيضاً ان قطعاً صغيرة من الخشب . كل منها معشّقة في الاخرى . دون استخدام الغراء اوالمسامير . تسمح للخشب بأن يتمدّد ويتقلص ويكيف نفسه دون أن يفسد المجمع كله .





هكذا تبدو المشربيات من الخارج.

ومنذ أقدم الأزمنة. وبخاصة في عهد مصر القبطية. كانت هذه هي الطريقة التي يستخدم بها الخشب. وقد لاءمت المشربية ملاءمة تامة. فالحجب المحفورة يمكن تقسيمها وإعادة تقسيمها الى قطع من الخشب اصغر فأصغر. بحيث تتداخل كل قطعة منها في القطعة التي تليها. فيتماسك الحجاب كله. وهو ضخم أحيانا. دون استعمال مسمار واحد. وفي وقت لاحق. بعد ان تمّ إتقان الأساليب. كان يصار الى استخدام ألفي قطعة خشب منفصلة – بينها كرات وأوصال خشبية ضئيلة الحجم متقنة الصنع – في صنع ما مساحته باردة مربعة واحدة من المشربية الرائعة. وقد صيغت كل قطعة منها وصقلت باليد ثم جمعت كحبال من السبحات المتشابكة في اشكال دائمة التنوع.

مثل هذه الاعمال الدقيقة الرائعة تطلبت الكثير من الجهد والصبر. لا سيما وان الحرفيين عملوا ضمن الحدود الشديدة التي لم تفرضها عليهم صعوبات الفن نفسه فحسب. بل فرضها ايضاً تحريم الاسلام لأي تصوير للكائنات الحية. ومع هذا استمرّ فنّانو المشربيات في البحث عن اشكال وأنماط جديدة. وكانت بالفعل اشكالاً بسيطة – احياناً خطوطاً من القرآن الكريم. وأحياناً مجرد إبريق ماء او مصباح معلق – ولكنها مشغولة بعناية وجهد في الحجاب بحيث تبدو في مواجهة الضوء كخيالات.

القصور والمساجد:

وفيما تحسن الفن صارت المشربية شائعة في المدن العربية. وكانت في القاهرة موجودة في كل مكان. وحتى في بداية القرن الحالي كانت واجهات شوارع كاملة في القاهرة ما تزال مزيّنة بصنوف من المشربيات. وكانت توجد أمثلة رائعة أيضاً في المنازل المحيطة ببحيرة الأزبكية. وهي إحدى سلاسل من البحيرات التي خلفها النيل المنحسر. وكانت مشربيات اخرى تزين منازل فخمة على طول قناة الخليج القديمة. وهي جزء من طريق مائية عتيقة ربطت النيل بالبحر الأحمر. والصور المحفورة المصنوعة في القرن الماضي تظهر ان «قناة الخليج» كانت شبيهة بالطرق المائية في مدينة البندقية. وتسير فيها المراكب وتقوم على ضفافها المنازل القاهرية الرائعة التي لها مقصورات تظللها عرائش تتدلى فوق الماء.

وأدخلت المشربيات الى المساجد ايضاً. احياناً

كثيرة على نطاق أوسع بكثير. ولكنها كانت تستخدم الغاية نفسها: ترشيح ضوء الشمس الشديد الذي يتدفق على الفناء وتأمين فضاء داخلي مظلل وبارد باعتدال يساعد على الصلاة والتأمل. وتمّ إبداع مشربيات اخرى لمبان كبيرة شبه عامة مثل «وكالة» أو خان «الغوري». الذي بني في القرن السادس عشر ليستقبل التجار الوافدين الى القاهرة مع القوافل من البحر الأحمر. لكن أفضل النماذج كانت توجد في البيوت الكبيرة في القاهرة. بيوت مثل «الكريتلية» الملاصق لأسوار مسجد ابن طولون الكبير. ومنزل السهيمي. المبني في عام ١٦٤٥.

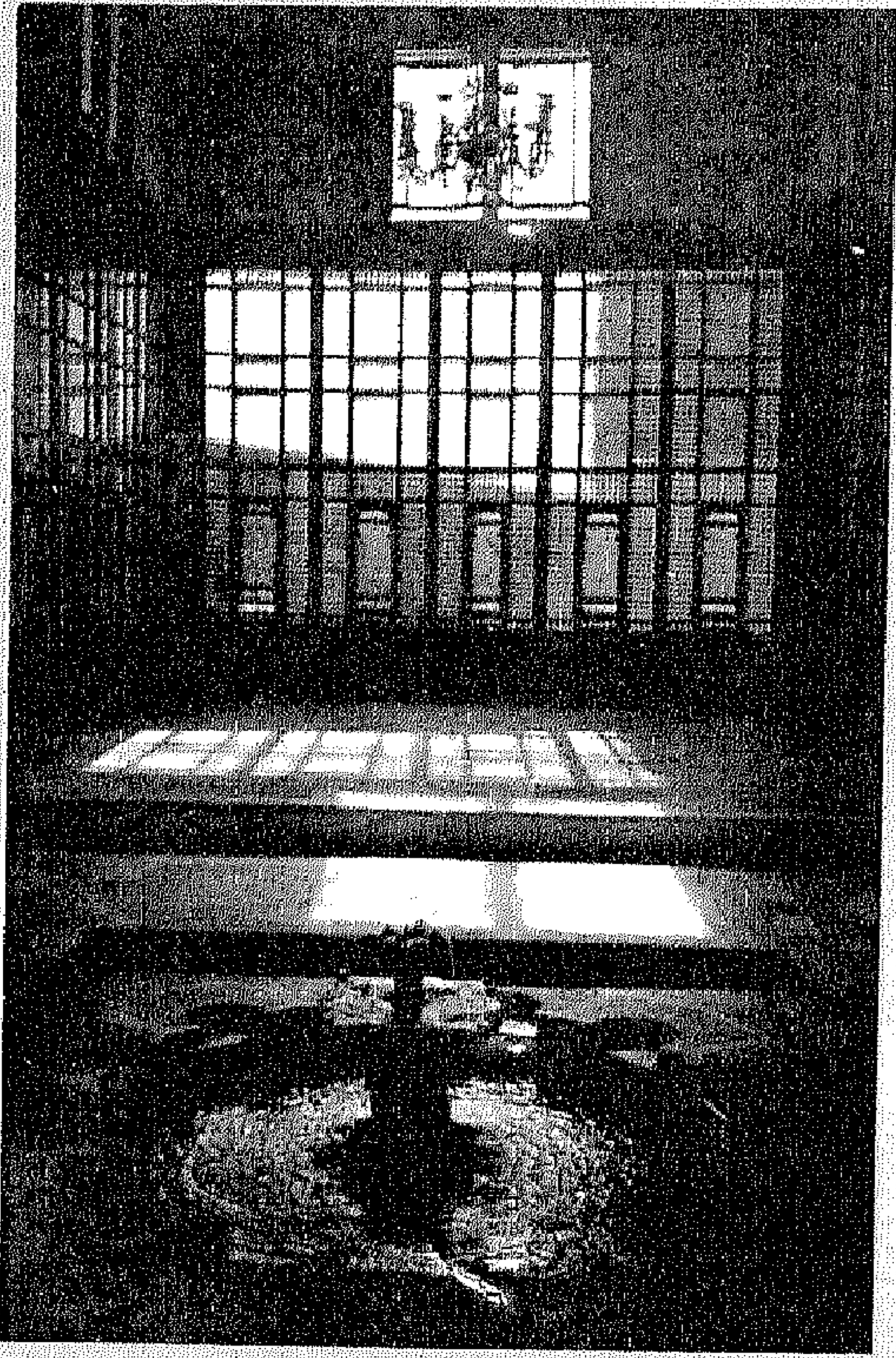
ويمكن اعتبار منزل السهيمي نموذجاً للبيوت العظيمة: فهو رتيب المظهر من الخارج – بجدران مسطحة لا نوافذ فيها. تؤمّن الحماية من الهجمات ومن ضجيج الشوارع وغبارها وحرها ايضاً – ولكنه غني في الداخل. وله أرض مرمرية ونوافير ماء وقناديل متدلية.

للوصول الى داخل منزل الكريتلية – الذي لا يزال قائماً حتى يومنا هذا – كان على الزائرين في تلك الأيام ان يتبعوا ممراً ضيقا على نسق ممرات القرون الوسطى يؤدي الى باب خشبي ثقيل ينفتح على مجاز يلتوي عمدا بعيدا عن الباب لمنع المارّ من رؤية الفناء الداخلي. وكانت تسيطر على الفناء الذي تكسوه خضرة الاشجار والعرائش. ثلاثة مستويات من المشربيات. يقوم تحتها «تختبوش». او شرفة على جوانبها مقاعد موسدة. وهناك كان سيد الدار يستقبل التجار وخدمه وغيرهم ممن لا يستحقون في رتبتهم او مهمتهم الدعوة الى المنزل نفسه. الا ان زيارة هؤلاء مع هذا كانت تسرّ سيدات المنزل اللواتي كن يستطعن. من وراء الحجب. ان يرين ويسمعن الزائرين دون ان يروهم.

في الداخل كان منزل السهيمي حتى اكثر جمالا كانت هناك «مندرة» كبيرة – قاعة استقبال في الدور الارضي – وفناء داخلي ينمو فيه النخيل. ومقصورات تظللها العرائش. وقاعات يكسوها آجر دمشقي. وفي عزلة حذرة فوقها باب الحريم الذي تغنيه الأساطير. ولكنه في الواقع ليس اكثر من حرم خاص يستطيع السيد وعائلته أن يلوذوا به في سلام وهدوء محروسين.

سحر عصر مضى:

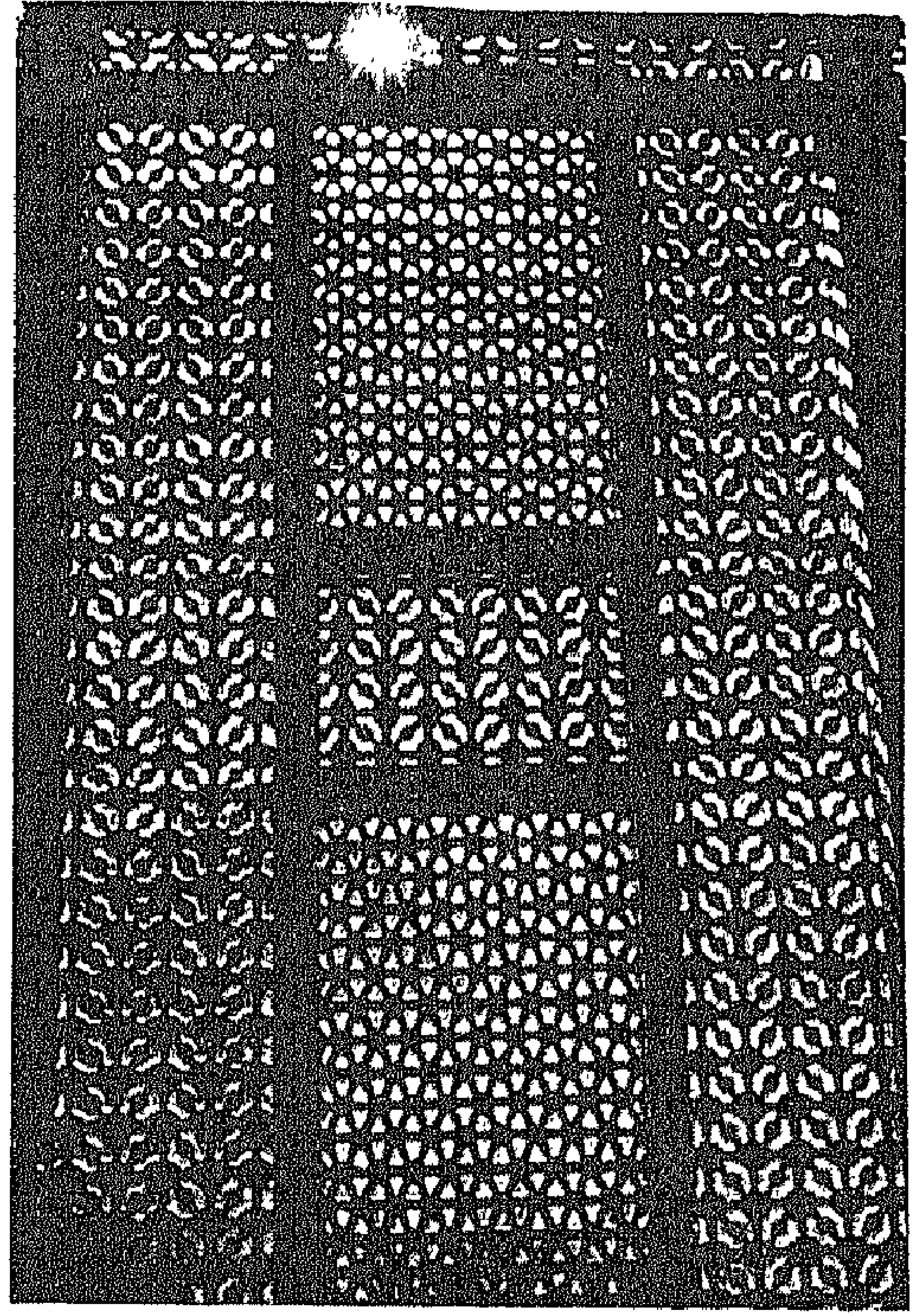
لم يعد يبقى اليوم الكثير من التجهيزات الداخلية لمنزل السهيمي. ومع هذا. فعند الطرف القصي من



● يراك من الداخل ولا تراه.

المندرة توجد إحدى المشربيات الاكثر إثارة في القاهرة. فهي تمتد من الجدار الى الجدار. ومن الارض الى السقف تقريباً. إنها حجاب محفور ضخم يطل على حديقة داخلية. ومن الداخل تشبه مشكاة ماردة. مع اشعة من ضوء الشمس والظلال ترسم اشكالاً مزركشة على الأرض والجدران وتثير الاصداء الصامتة لاقدام تنتعل الخفاف وتمس برفق الفسيفساء بأشكالها التي تتداخل فيها الظلال والضوضاء. إنها في الواقع رؤيا عصر آخر وفي جمالها يكمن سبب سحر المشربيات المستمر حتى يومنا هذا.

ومما لا ريب فيه ان ثمة بقايا للرؤيا. فمهارة الحرفيين في عهد المماليك تتجلى في منزل السهيمي والكريتلية. كما تتجلى في نموذج رائع آخر هو مسجد قبر السلطان باروك الذي يرقى عهده الى القرن الخامس عشر. إلاّ أن الأيام العظيمة قد انتهت. ففيما مرت القرون. ملئت بحيرة الأزبكية بالتراب والحجارة – وهي الآن الموقع الذي تقوم عليه حدائق الأزبكية وميدان الاوبرا. وهذا ما حدث ايضاً لقناة الخليج. لانها كانت تولد الحشرات وتنبعث منها روائح كريهة. وفي هذه الاثناء فان المشربيات الممتدة على طول الشوارع



صار يخشى عليها من الحريق. فخشبها جاف. وفي بعض الشوارع الضيقة تكاد تمس إحداها الاخرى. كالشرفات في اوروبا اثناء القرون الوسطى. ومن السهل ان يمتدّ الحريق فيما بينها. وثمة روايات رهيبة عن حرائق تقفز من نافذة الى نافذة بسرعة مخيفة. ونتيجة لذلك أزيل الكثير منها. وأخذ الفن ينحدر بسرعة. ولبضعة اعوام خلت كاد يختفي مع موت حسن ابو سعيد.

كان حسن ابو سعيد على الأرجح آخر كبار حرفيي المشربيات. وفي دكان صغير في زقاق ضيق واصل عمله حتى بضعة أعوام خلت. وبلغ من شهرته انه عندما قدم المهندسون المعماريون المسلمون طلباً بألوف قطع الخشب المحفورة حفراً دقيقاً للمنبر في أحد مساجد العاصمة الاميركية. واشنطن. لم يطلبوا منه حفرها وحسب ولكنهم نقلوه الى واشنطن ليجمعها. فان أحداً غيره لم يكن يعرف كيف يجمع مئات القطع المتشابكة.

ولكن حتى آنذاك كانت النهاية قريبة وأدرك حسن ذلك. وقد أخذني ذات يوم الى سطح دكانه وأشار إليّ بحزن ان أنظر حولي. فعلى السطح كان جبل من المشربيات. كبيرة وصغيرة. بعضها جميل والبعض الآخر غير مكتمل. وإذ قادني حسن حول المكان أشار باعتزاز الى أن أياً منها لم يتلوّ او يتقلص او يتشقق مع أن الكثير منها يعود عهده الى قرون وكانت ملقاة على السطح في الحر الشديد لشمس القاهرة. وقال انه جمَعها من عشرات المباني القديمة التي تجري إزالتها في جميع أنحاء القاهرة. وأضاف أنه يريد أن يحفظها لمدة أطول بعض الشيء. وهذا ما فعله. ولكنه بعد ذلك ببضعة أعوام مات واختفت الحجب - كما اختفت تقاليد الجهال والغموض والسحر التي كانت تمثلها ●

الصور من مجلة الارامكو

تموز - آب (يوليو - اغسطس) ١٩٧٤

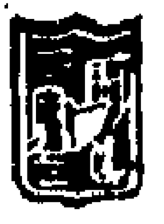


● كل فلسفة في الحياة تبدأ كأحساس أو شعور عميق أو مزاج شخصي تنتهي برأي.

الدوس هكسلي

● اترك زمناً كافياً لصغير الزهر كي يتفتح، ولا تعجل به إلى الذبول بقطفه باكراً قبل أوانه كي تضعه على صدرك، ظاناً ان حرارة جسمك كافية لأن تفتحه.

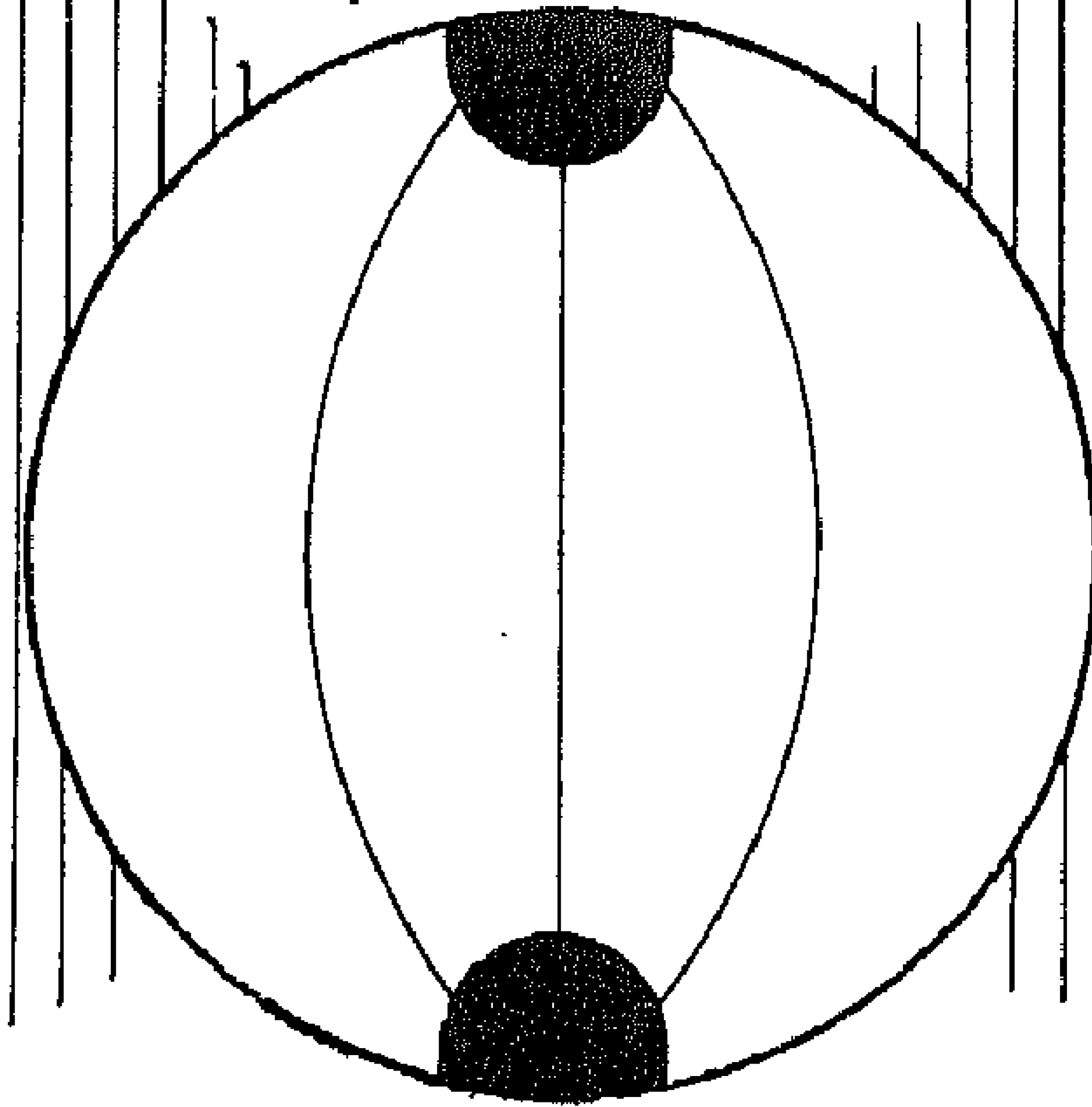
كونفوشيوس



الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب

حلب ١٩٧٩

د. محمود زايد



● من أهم النشاطات العلمية والثقافية التي شهدها العالم العربي خلال هذا العام انعقاد الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب في الخامس من نيسان الماضي. وذلك بدعوة من معهد التراث العلمي العربي بحلب. وكانت هذه الندوة «عالمية» فعلاً. إذ شارك فيها علماء من أحد عشر قطراً عربياً وثلاث دول إسلامية غير عربية وثمانية عشر قطراً أجنبياً علاوة على ممثلين للجامعات ولمنظمة اليونسكو والاتحاد الدولي لتاريخ العلوم وفلسفتها والجمعية الدولية لتاريخ الطب.

وكانت الندوة العالمية الأولى قد عقدت في المعهد ذاته عام ١٩٧٦. وهو العام الذي شهد ولادة المعهد وافتتاحه. وشارك فيها خمسة وستون مندوباً من البلاد العربية والأجنبية. قدّموا ستة وثلاثين بحثاً في تاريخ العلوم العربية الاساسية وتسعة بحوث في تاريخ الهندسة والتكنولوجيا والزراعة وثمانية عشر بحثاً في تاريخ الطب وبحثين في تاريخ العلوم الاجتماعية. وقد نشرت هذه الابحاث في مجلّدين: أحدهما يضم الأبحاث التي كتبها أصحابها بالعربية والآخر يضم تلك التي كتبت بلغات أجنبية. والمجلدان بموادهما التي تقع في أكثر من ألف ومائتي صفحة من القطع الكبير. منجم للمعارف عن علوم العرب.

ومما يذكر أن الندوة العالمية الأولى (١٩٧٦) تمنت على المعهد في توصياتها أن يجري عقد الندوة بصورة دورية كل ثلاث سنوات فأخذ المعهد بالتوصية وعقد الندوة الثانية ويأمل بعون الله أن يعقد الندوات التالية في حينها.

كيف أنشئ معهد التراث العلمي العربي؟

معهد التراث العلمي العربي الذي دعا إلى الندوة التي نتحدث عنها هو ثمرة جهد طويل شاق بذله رجل مؤمن بضرورة قيام معهد للتراث العربي يضع حدا



● جمهور ممن حضروا حفلة افتتاح الندوة في الخامس من نيسان (ابريل) الماضي.

لوصاية الأجنبي على العقل العربي ويشجع الباحثين العرب على الكشف عن كنوزه والافادة من دروسه وتدريب أجيال من الناشئة على خدمة هذه الأغراض. والرجل هو مؤسس المعهد ورئيسه ورئيس جامعة حلب في الوقت ذاته وهو الدكتور أحمد يوسف الحسن. ومن حسن حظ المعهد أن الدكتور الحسن ذاته هو من أعلام العرب المعنيين بتراث العرب التكنولوجي. ولا عجب إذن في أن المعهد قد جاء غاية في التنظيم وحسن الادارة. والنشاط على الصعيدين العربي والعالمي في ميدان الكشف عن تراث العرب العلمي وتاثيره في الحضارة العالمية. وغني عن القول أنه الوحيد من نوعه في الشرق والغرب وانه يحق إذن لسوريا أن تفاخر به.

لقد تأسّس المعهد رسمياً بموجب المرسوم التنظيمي رقم ١٩٠٥ بتاريخ ١٩٧٦/١١/٤. وقد حددت المادة الأولى من هذا المرسوم أهداف المعهد فيما يلي:

١ - الكشف عن التراث العلمي العربي في مختلف الميادين وجمعه وتصنيفه ونشر نصوصه الأصلية وترجمته إلى اللغات الأجنبية.

٢ - إعداد الدراسات والبحوث في موضوعات التراث العلمي العربي ونشرها في الكتب والمجلات الدورية.

٣ - الإفادة من جهود الباحثين العرب والاجانب في الكشف عن التراث العلمي العربي والتعريف بها ونشرها.

٤ - منح الدرجات العلمية للمتخصصين في التراث العلمي العربي.

وقد خوّل المرسوم المعهد تدريب الباحثين من اصحاب الشهادات الجامعية في ميدان العلوم العربية ومنحهم درجات علمية بعد خمس سنوات من صدوره. اي ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٠/ ١٩٨١. وذلك ريثما يتم الإعداد لذلك باستكمال بناء المكتبة وإرسال البعثات التعليمية إلى مختلف الجامعات للتسلح بالدربة والمران اللذين يمكنانهم من التدريس. والتعاقد مع كبار الاختصاصيين العرب والأجانب. وسوف يمنح المعهد لطلابه ثلاث درجات علمية وهي دبلوم الدراسات العليا والماجستير والدكتوراه.

وقد جرى تجهيز المعهد بمكتبة تعتبر بالرغم من طفولتها من افضل مكتبات البحث في التراث العلمي العربي. فهي تضم طائفة كبيرة من الدوريات والمراجع الموسوعية والكتب علاوة على اكثر من ثلاثمائة مخطوطة عربية وقسم للمصورات (ميكروفيلم). هذا كله إلى

جانب الأجهزة الحديثة للتصوير والقراءة ومطبعة حديثة.

افتتاح الندوة العالمية الثانية :

جرى افتتاح الندوة العالمية في صباح الخامس من نيسان (ابريل) الفائت، برعاية الرئيس السوري حافظ الأسد. وقد حضر حفلة الافتتاح جمهور غفير من المشاركين في الندوة وأنصار العلم. وألقيت في الحفلة عدة كلمات استهلها ممثل الرئيس الأسد وهو الدكتور شاكر الفحام وزير التعليم العالي بكلمة أكّد فيها اهتمام سورية بالعلم وأهله وتقديرها لما للعلم والبحث العلمي من دور كبير لا في الكشف عن أصالة الحضارة العربية فحسب بل وفي تقدّم الأمة وازدهارها. ومن تلك الكلمات كلمة ممثل منظمة اليونسكو الذي قال :

«إنه لمن دواعي سروري أن أدعى للمشاركة في هذه المناسبة العلمية العميقة الأثر ممثلاً لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة. كما أعرب عن شكري وعميق امتناني للاستاذ الدكتور أحمد الحسن رئيس جامعة حلب لدعوته لي لحضور هذه الندوة التي تقوم بتسجيل ما للعرب من دور كبير في تاريخ العلوم. ومن حق حلب ومن واجبها بوصفها أقدم المدن في العالم وتحمل شعار التراث العربي أن تتبنى الدعوة لهذه الندوة وأن تشجع الأبحاث التي ترمي إلى الكشف عن إسهام العرب في تاريخ العلم...»

وألقى الشاعر العراقي الدكتور فيصل دبدوب، عضو المجمع اللغوي ببغداد قصيدة أشاد فيها بالتراث وأهل العلم والوحدة بين سوريا والعراق.

وألقى الدكتور أحمد الحسن رئيس المعهد كلمة تتبع فيها نشأة المعهد ومنجزاته وفي مقدمتها تنفيذ توصيات الندوة العالمية الأولى. بما فيها إصدار مجلة لتاريخ العلوم العربية. ومما يذكر أنه قد صدر العدد الرابع من هذه المجلة التي لقيت قبولاً وترحيباً عند العلماء في الشرق والغرب. ومن التوصيات الأخرى التي قام المعهد بتنفيذها إصدار رسالة المعهد التي تنشر أنباء التراث العربي الاسلامي وتوزع في مختلف أقطار العالم. وإصدار مجلة «عاديات حلب» بالتعاون مع جمعية العاديات بحلب. وقال الدكتور الحسن في ختام كلمته مخاطباً العلماء والمشاركين في الندوة :

«لقد جمعت بينكم في هذا المؤتمر قضية واحدة



● الدكتور أحمد يوسف الحسن، مدير معهد التراث العلمي العربي ورئيس جامعة حلب.

هي قضية الاخلاص للعلم والاخلاص للكشف عن الحقيقة. ويضم هذا المؤتمر علماء وباحثين من الشرق والغرب نذروا أنفسهم لدراسة الحضارة العربية الاسلامية...»

«سوف تستمعون في هذه الندوة إلى عشرات الأبحاث وإلى عدد من الحلقات العلمية المتخصصة. ولسوف تكون حصيلة ذلك كله موسوعة جديدة من عدة مجلدات تضيف الى المعارف الانسانية لبنة هامة جديدة، وتسلط نوراً جديداً على منجزات الحضارة العربية الاسلامية.

«على أن أهم ما سوف يسفر عنه هذا المؤتمر هو لقاءاتكم وتعارفكم وتوطيد أواصر الصلة بين العاملين كافة في ميدان العلوم العربية الاسلامية».

أبحاث الندوة :

اشتملت النشاطات الثقافية للندوة على افتتاح سلسلة من المعارض. وهي معرض الأدوات الفلكية والصناعات الحربية. ومعرض مسح المنشآت المائية في القطر السوري ومعرض النباتات والمواد الطبية ومعرض منشورات المعهد ومطبوعات جامعة حلب. وقد استلفت نظر الزائرين الإقبال العظيم – وبخاصة من قبل الأجانب – على شراء مجلة المعهد العلمية الدولية ومنشوراته الاخرى وفي مقدمتها أبحاث الندوة العالمية الأولى والمخطوطات التي تم تحقيقها ونشرها. ومن أبرزها «كتاب الطرق السنية في الآلات الروحانية» وهو للكاتب العربي تقي الدين الذي بنى مرصداً في عاصمة



● ممثل منظمة اليونيسكو في المؤتمر.

الخلافة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي. ويعتبر كتابه ذروة ما وصل اليه العلم العربي في هذا الميدان.

على أن النشاط الثقافي الرئيسي للندوة تركز في عرض الأبحاث المقدمة من المشتركين وفي المحاضرات العامة التي ألقاها المتخصصون في تاريخ العلوم العربية. وقد دارت بحوث الندوة حول الموضوعات التالية:

١ – تاريخ العلوم الاساسية عند العرب وتشمل الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان والجيولوجيا.

٢ – تاريخ الفلك والتنجيم في الحضارة العربية.

٣ – تاريخ الطب البشري والبيطري والصيدلة والعلوم التطبيقية عند العرب.

٤ – تاريخ التكنولوجيا والصناعات القديمة بما في ذلك الهندسة الميكانيكية والهندسة المعمارية والحربية والصناعات الكيميائية.

٥ – انتقال العلوم العربية الى اوروبا وتأثيرها في الحضارة العالمية.

وبالرغم من أن الابحاث التي قدمت حول هذه الموضوعات ليست متساوية من حيث القيمة العلمية كما هو متوقع. فانها ضمّت عدداً لا يستهان به من الابحاث العلمية الرصينة التي تلقي أضواء جديدة على مختلف وجوه التراث العربي العلمي.

الطب والجراحة في فجر الاسلام

ومن الأبحاث الطبية التي قدمت للندوة وتستلفت النظر بحث الدكتور هنري عوض بعنوان «دراسة أثرية عن الطب والجراحة في فجر الاسلام». وقد ذكر فيه أن الحفريات التي أجريت في مدينة الفسطاط. اول عاصمة لمصر الاسلامية. كشفت عن آثار كثيرة تلقي أضواء على الطب والجراحة والعلاج فيها. وبين تلك الآثار آلات جراحية متعددة الأشكال كانت تستخدم في الكي منها «المكواة الشفبية والمسمارية والزيتونية وذات السفودين والهلالية... وانبوبة جوفاء من النحاس على شكل قلم الرصاص المبري كانت تستعمل في سحب السائل من البطن في حالة الاستسقاء. وكذلك وجدت إبر لخياطة الجروح وكثير من الأدوات المستعمَلة في خلع الاسنان كالسنانير مختلفة الاشكال».

وقد اشتملت تلك المغائر على مجموعة كبيرة من أختام المكاييل الخاصة بعيار الأدوية والأعشاب والأغذية. ويحمل كل ختم منها اسم والٍ او امير او صاحب شرطة ممن أقروا تلك العيارات.

ومما يذكر أن المسلمين استخدموا في مصر عدداً كبيراً من النباتات والأعشاب في العلاج قبل ان يترجم كتاب «الاعشاب» للعالم اليوناني ديوسقوريدس الى العربية بقرن من الزمن.

انتشار الكيمياء العربية في اذربيجان

ومن بين الأبحاث الاخرى التي تستلفت النظر بحث للاستاذ (ج. أ.) ذوالفوجارلي عن انتشار الكيمياء العربية في القوقاز خلال العصور الوسيطة. ويذهب فيه صاحبه إلى أن العرب لم يحملوا الى أذربيجان عند فتحها دينهم فحسب وإنما أيضاً علومهم بما في ذلك الكيمياء. وآثار ذلك – كما يقول – ظاهرة في الاصطلاحات الكيميائية العربية التي ظلت مستخدَمة حتى الوقت الحاضر في المأثور الطبي والصيدلي الشعبي والعلمي في أذربيجان. ومن الكتب العربية التي نالت شهرة واسعة هناك كتاب «القانون» لابن سينا وكتب الرازي.

ولا يعني هذا أن الابحاث الاخرى غير ذات فائدة. فهي في الواقع منجم للمعرفة عن العلوم العربية.

وأخيراً لا يسعنا إلاّ أن نثني على ما أظهره القائمون على المؤتمر من حرص على تنظيمه. ونتمنى لو تتصف المؤتمرات العربية الأخرى العلمية والثقافية بمثل جدّيته ●

الاتفـــاق التركي - البريطاني - العـــراقي ١٩٢٥

الذي نظم حدود الشمال العراقي مع الدولة الكمالية

سعيد كريديه

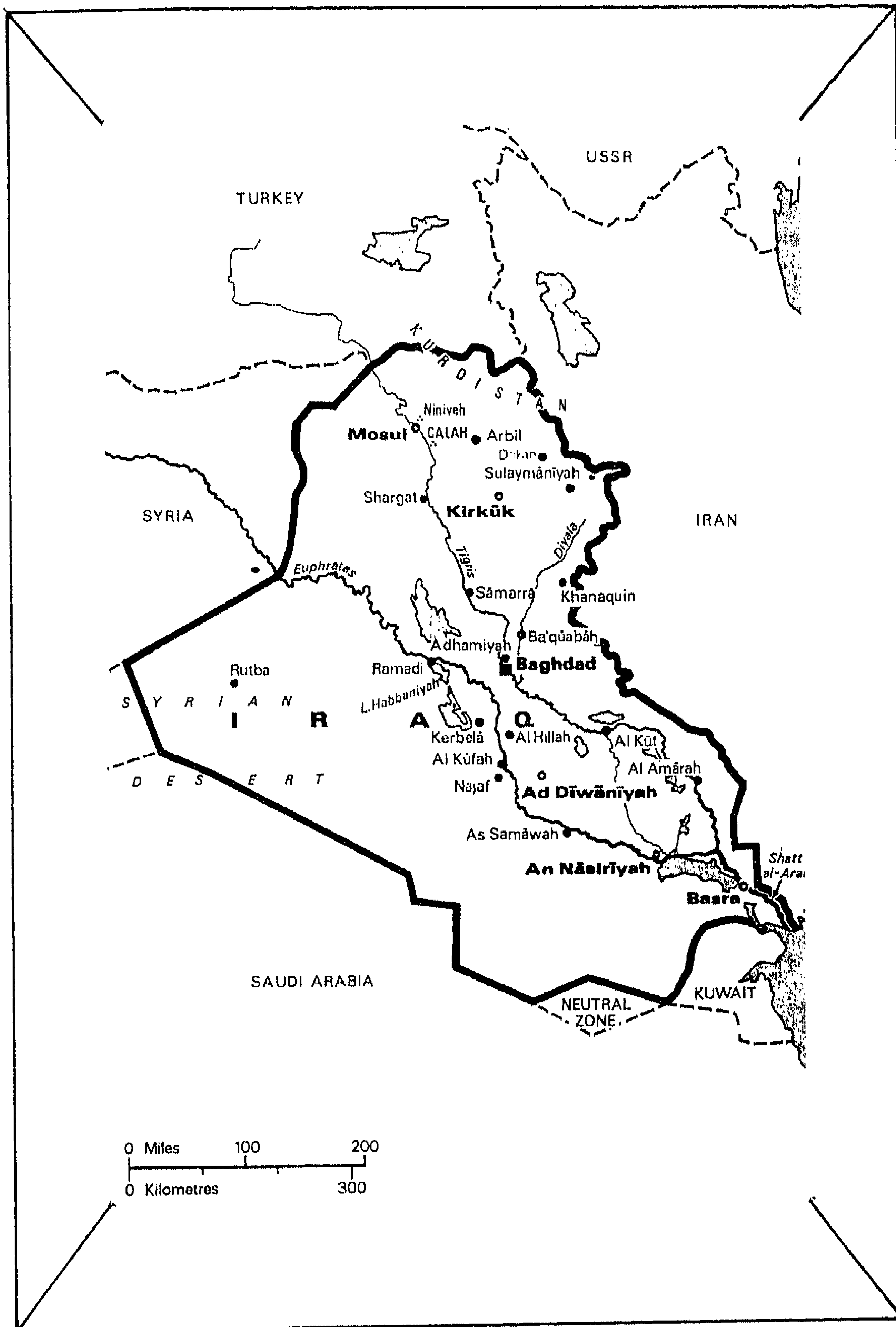
● إن معاهدة الصلح التي عقدت بين تركيا الكمالية والحلفاء في لوزان عام ١٩٢٣ لم تنه قضية الحدود بين تركيا والعراق، بل تركتها معلقة لتكون موضع مفاوضات تجري بين بريطانيا وتركيا، حتى اذا لم يتوصل الطرفان الى اتفاق في شأنها ترفع القضية إلى عصبة الأمم للبت فيها. وكانت منطقة الموصل هي محور النزاع لما فيها من تعقيدات سكانية واقتصادية. لمعظم سكانها أكراد ينتقلون سنوياً بين الموصل وجنوب شرق الأناضول. ولكن أهم مسألة كانت وجود النفط في هذه المنطقة مما جعل التنافس عليها شديد الخطورة. لذلك شكلت لجنة من قبل عصبة الأمم لعدم توصل الطرفين الى اتفاق لدرس المنطقة واقتراح ما تراه في ضوء دراستها. وبعد أن جاءت اللجنة الى العراق وتجولت في مختلف أنحاء ولاية الموصل، وبعد استفسار رأي محكمة العدل الدولية في لاهاي، تقرر العمل بمقررات هذه اللجنة وطلب من الحكومة البريطانية أن تعقد معاهدة لتسوية النزاع. وبالفعل عقدت المعاهدة عام ١٩٢٥.

بنود المعاهدة:

المادة الأولى: يعين خط الحدود بين تركيا والعراق. الخط الذي رسم في اجتماع مجلس جمعية الأمم في ٢٩ تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٢٤ (خط بروكسل) على أن هذا الخط يبقى في أرض تركية وأن يكن ماراً في أراضٍ عراقية.

المادة الثانية: رسم على المصور خط الحدود المعين بموجب المادة المذكورة (مقياس المصور ١.٢٥٠.٠٠١) المضموم إلى هذه المعاهدة حسب نص الفقرة الأخيرة من المادة الأولى.

المادة الثالثة: يعهد إلى لجنة تصحيح الحدود في


USSR
TURKEY
KURDISTAN
Niniveh
Mosul
CALAH
Arbil
Sulaymaniyah
Shargat
Kirkuk
SYRIA
IRAN
Diyala
Tigris
Euphrates
Samarra
Khanaquin
Adhamiyah
Ba'quabah
Baghdad
Rutba
Ramadi
L. Habbaniyah
SYRIAN
IRAQ
Kerbela
Al Hillah
Al Kut
Al Kufah
Al Amarah
DESERT
Najaf
Ad Diwaniyah
As Samawah
An Nasiriyah
Shatt al-Arab
Basra
SAUDI ARABIA
NEUTRAL ZONE
KUWAIT
0 Miles 100 200
0 Kilometres 300

رسم الحدود المبيّنة في المادة الأولى على الأرض وستتألف هذه اللجنة من مندوبين من تركيا وبريطانيا والعراق بحيث يكون اثنان من قبل كل دولة ومن رئيس سويسري - إذا رضي بذلك رئيس جمهورية سويسرا. ويجب أن تجتمع اللجنة في الأشهر الستة التي تتلو وضع هذه المعاهدة موضع الاجراء. وتؤخذ قرارات اللجنة بأكثرية الأصوات وتكون اجبارية للفريقين المعنيين وتعني لجنة تصحيح الحدود بأن تتبع عن قرب الاشارات المبينة في هذه المعاهدة. كما تتعهد الدول بمساعدة لجنة تصحيح الحدود أما مباشرةً أو بواسطة الحكومات المحلية في كل ما يتعلق بالنقل والسكن والعملة والأدوات (علامات الحدود والأوتاد). اللازمة للنهوض بأعباء مهمتها.

وتتعهد الدول ذوات الشأن بأن تحافظ على العلامات الهندسية والاشارات والأوتاد التي تضعها اللجنة عند الحدود.

المادة الرابعة: تسوى مسألة سكان الأراضي

المعطاة إلى العراق وفقاً لحقوق اختيار الجنسية بحسب ما نصت عنه المواد ٣١ و ٣٢ و ٣٤ من معاهدة لوزان وتكون هذه الشروط معمولاً بها مدة اثني عشر شهراً من تاريخ اليوم الذي أصبحت فيه هذه المعاهدة في حيّز التنفيذ. ويكون لتركيا الخيار في قبول أو رفض حق اختيار الجنسية لهؤلاء السكان الذين يطلبون البقاء تابعين لها.

المادة الخامسة: يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بقبول الحد النهائي من دون أن يعتدي على خط الحدود المبين في المادة الأولى.

الفصل الثاني

علاقات حسن الجوار:

المادة السادسة: يتعهد الفريقان المتعاقدان بأن يقاوما بكل ما لديهما من الوسائل كل أعمال الأفراد والعصابات المسلحة التي تأتي أعمال الشقاوة واللصوصية عند منطقة الحدود وتمنعها من اجتياز هذه الحدود.

المادة السابعة: ان الموظفين المفوضين المذكورين في المادة الثانية عشرة من هذه المعاهدة إذا علموا أن شخصاً أو أكثر مدججين بالسلاح أتوا أعمال الشقاوة والنهب في منطقة الحدود أخبروا بعضهم بعضاً عن ذلك بلا تأخر.

المادة الثامنة: ان الموظفين المفوضين المذكورين في المادة الثانية عشرة في هذه المعاهدة يشعر بعضهم البعض الآخر بأعمال الشقاوة والنهب التي تقع في أرض أحد الفريقين فيتوصل موظفو الفريق الذي يشعر بذلك بجميع الوسائل التي لديه لمنع الأشقياء من اجتياز الحدود.

المادة التاسعة: إذا تمكن شخص مسلح أو أشخاص مسلّحون من الوصول إلى الحدود بعد ارتكاب جنحة أو جناية في منطقة الحدود وجب على موظفي المنطقة التي لجأ إليها الشقي أو الأشقياء. أن يلقوا القبض عليهم ويسلموهم مع سلاحهم وغنيمتهم إلى موظفي الجهة التي هم من تابعيها.

المادة العاشرة: يشمل نص هذا الفصل من المعاهدة مجموع الحدود بين تركيا والعراق ومنطقة تمتد من بلاد كل فريق من الفريقين مسافة ٧٦ كلم تبتدئ من خط الحدود.

المادة الحادية عشرة: ان الموظفين المفوضين المعهود إليهم في وضع هذا الفصل موضع الاجراء هم:

لوضع خطة التعاون العام وتحمل اعباء مسؤولية التدابير الواجب اتخاذها. من جهة تركيا. القائد العسكري على الحدود. من جهة العراق. متصرف الموصل ومتصرف أربيل.

لتبادل الافادات المحلية والمواصلات المعجلة: من جهة تركيا. الموظفون الذين يعينون برضى الولاة وأمرهم. من جهة العراق. قائمقام زاخو وقائمقام أم ضيق وزيار.

ولحكومتي تركيا والعراق أن تغيرا لأسباب ادارية موظفيهما وأن يشعر كل منهما بذلك الفريق الآخر أما بواسطة لجنة الحدود الدائمة المبينة في المادة الثالثة عشرة وأما بواسطة المفاوضات السياسية ●

المراجع

● الحصري. ساطع مذكراتي في العراق (الجزء الثاني)
● الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب (جريدة الأيام. ودمشق)
— Yale, William, The Near East.



اليهود في جبل عامل في عهد الاحتلال الصليبي

محمد حسن حجازي



● رغم ان اليهود كانوا حتى اعلان قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ يشكلون أقلية دينية في العالم العربي عامة. وبلاد الشام خاصة. وجبل عامل (لبنان الجنوبي) بشكل أخص. إلاّ أنه لم تجر أية دراسات تاريخية حول أوضاعهم وعددهم وطرق معيشتهم وأنواع نشاطاتهم ومواقفهم السياسية خلال تاريخ العرب الطويل. وهذه هنا محاولة أولية لدراسة واقع اليهود وعددهم في جبل عامل خلال عهد الصليبيين.

وفي الواقع فان اليهود في جبل عامل في فترة حكم الفرنجة (كما سماهم المؤرخون المسلمون). كانوا يقيمون في انحاء متفرقة منه. ولكن بشكل خاص في المدن الكبرى كصور وساجيت (صيدا) وفي المراكز التجارية الهامة في الداخل كتبنين التي أطلق عليها الفرنج اسم طورون. ومارون (وهي اليوم قرية مارون الراس قرب بنت جبيل على الحدود مع فلسطين المحتلة). ولكن اعدادهم كانت قليلة لا تتجاوز العشرات ونادراً ما تصل الى المئات. ومع ذلك فقد مارسوا نشاطات اساسية فكان منهم التجار والصباغون والحرفيون ومزارعو قصب السكر (خاصة حول صيدا وصور) وملاكو السفن التجارية يضاف اليها المهنة التي عرف بها اليهود اينما وجدوا في التاريخ: الصيرفة[1]

ان دليلنا في القاء الضوء على اليهود في جبل عامل في عهد الفرنج هو أحد المصادر النادرة: كتاب للرحالة اليهودي العراقي المولد بنيامين التطيولي (Benjamin of Tudeila) الذي زار بلاد الشام بين سنتي ١١٦٥ و ١١٧٣. ومر في جبل عامل. ولم يكن له من هم سوى احصاء عدد ابناء دينه اليهود في المناطق التي مرّ بها ومعرفة طرق معيشتهم وأحوالهم. كما عرفنا بصورة غير مباشرة المناطق التي لم يكن لليهود فيها أي وجود. وهو ما حفظه لنا كتابه النادر الذي خطه باللغة العبرية وقد ترجم الى اللغة العربية.

عندما مر بنيامين بساجيت (صيدا) قال انه يوجد فيها عشرون يهودياً. كما ذكر أنه على بعد عشرة أميال منها تقيم طائفة من الدروز الذين هم في خصام مستمر مع أهل صيدا. ويضيف انه بين هؤلاء الدروز لا يوجد من اليهود سوى بعض أرباب الحرف (لا يذكر ما هي) والصباغين. «ويقيم هؤلاء اليهود بينهم ردحاً من الزمن ثم يعودون الى أهلهم». وقد عاملت هذه الطائفة من الدروز اليهود معاملة حسنة يشهد عليها بنيامين نفسه[2]

وعندما يمر بنيامين بالصرفند التي سمّاها الافرنج سربتا (Sarepta) لا يذكر عنها شيئاً ويبدو انه لم يكن فيها أي يهودي. بل يكتفي بالقول أنها تابعة لبارونية صيداء.



● جنديان صليبيان.

ويتابع الرحالة اليهودي سيره عبر الساحل فيصل الى صور التي يطلق عليها اسم صور الحديدة (Tyros Nuova) فيقول عنها «أنها مدينة جميلة لها خليج يتوسطها بين برجين عظيمين تدخله السفن للرسو عند الميناء. وبين البرجين سلسلة حديد معترضة عليها الحراس الامناء ويربطونها في أول الليل فيتعذر على سفن القرصان سبيل الدخول للسلب والنهب». هذا الوصف لا يخالف ما أعطاه الرحالة العربي ابن جبير عن صور عندما وصل اليها بعد بنيامين بسنوات ليست كثيرة خلال رحلته الشهيرة المعروفة باسمه.

قلعة تبنين وقريتها:

وبعد أن يقيم بنيامين لفترة في صور للتعرف على أن قلعة طورون هي نفسها تبنين اليوم. بينما نجد أن بنيامين يقول أنه تابع طريقه بعد طورون فوصل إلى بلدة تبنين[٣]. ولكن هذا الالتباس يزول حين نعرف بوجود قرية قرب قلعة طورون (تبنين اليوم) تعرف باسم تمانين (Thamanine) وقد ذكرها.

المهم أن بنيامين يقول عن طورون أنه يوجد بها ثلاثماية يهودي نظرا لضخامة هذه القلعة ووفرة سكانها بصفتها ملتقى للطرق التجارية الرئيسية بين الساحل الغربي لبلاد الشام وبين مملكة دمشق السلجوقية.

أما بلدة تمانين التي يسميها بنيامين باسم آخر أيضا هو تمنة. فيقول انها وردت في التوراة وفيها عدد من اليهود (لا يذكر عددهم) وبها أيضا قبر شمعون



● فرسان صليبيون يغادرون حصونهم في الغرب المسيحي بهدف احتلال الشرق الإسلامي.

اليهود فيها يقول: «انه يقيم فيها ٤٠٠ يهودي بينهم جماعة من العلماء العارفين بالتلمود منهم الربيون أفرايم المصري القاضي. ومئير القرقشوني. والرئيس ابراهيم». ويعرفنا بنيامين على الاعمال والمهن التي يمارسها اليهود في صور فيقول: «وبين يهود صور من يمتلك السفائن التي تجوب البحار ومنهم من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج الصوري الشهير في العالم ومنها كذلك السكر الجيد...».

بعد أن ينتهي بنيامين من إقامته في صور. يتجه نحو الداخل بواسطة الطريق التجارية المعروفة يومها والمؤدية إلى قلعة طورون (Toron).

وهنا نذكر التباساً في كتاب بنيامين المذكور سابقاً. فالمعلومات التاريخية التي لا مجال لأي شك فيها الصديق على حد قوله.

ثم يعرج الرحالة اليهودي العراقي على بلدة مارون. ولا يذكر ما إذا كان فيها يهود. إلاّ أنه يؤكد وجود قبر هليل (رئيس المجمع العلمي اليهودي الأعلى في فلسطين في القرن الأول ق.م. ويعرف باسم البابلي). وقبر شماي (من كبار علماء التلمود) مع عشرين من تلامذتهما. وكذلك يوجد بها قبر بنيامين بن يافث وقبر يهوذا بن بثيرة. على حد قوله.

قبـور لمـن:

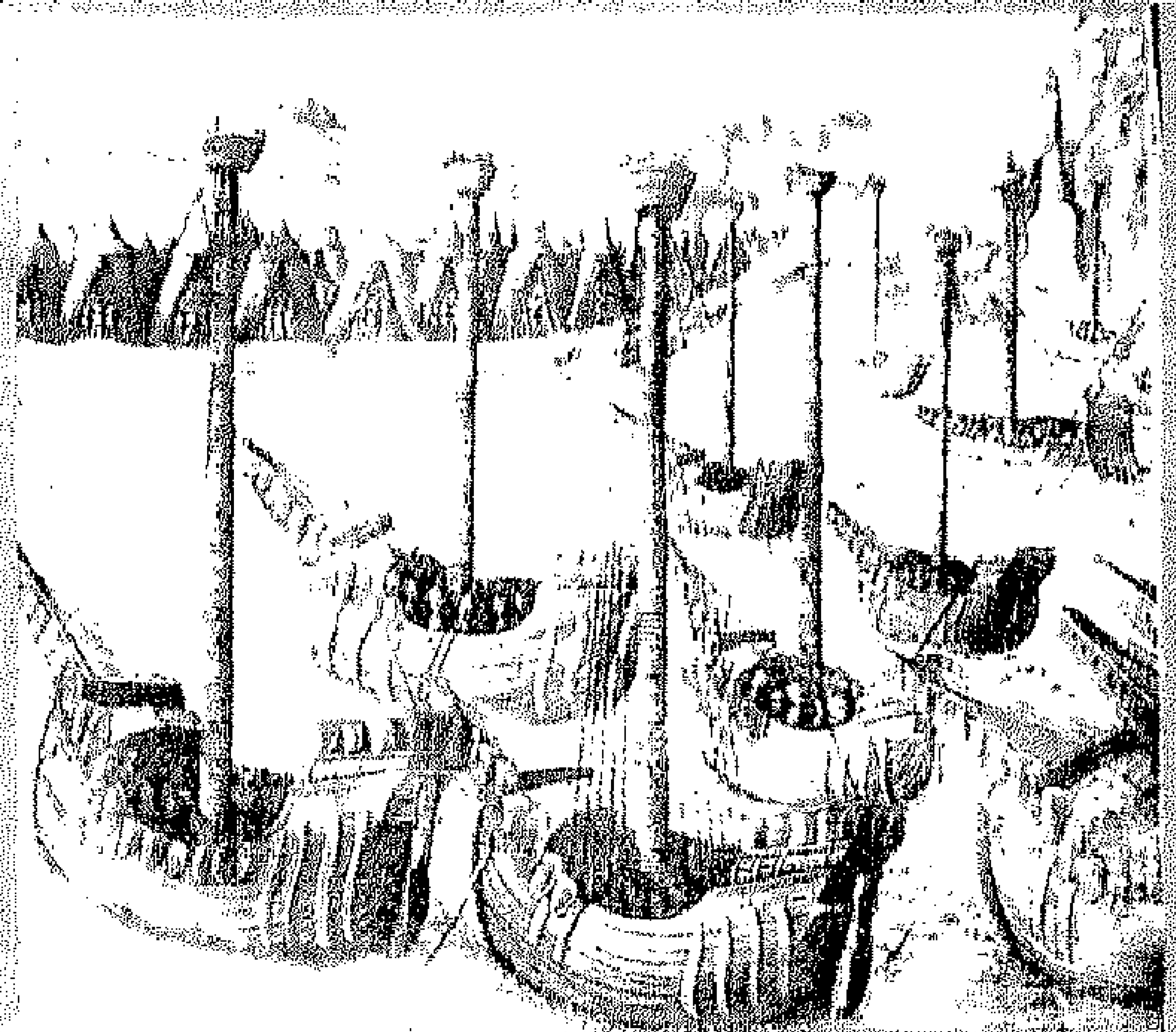
بعد مارون. يصل بنيامين إلى بلدة قدس (Kades) (وهي اليوم تقع داخل فلسطين المحتلة شمال غرب بحيرة الحولة). فيقول أن موقعها على نهر الاردن



حجاج وجنود صليبيون.



فارس صليبي



أساطيل مدينة البندقية التي ساهمت في نقل الصليبيين إلى بلاد الشام عبر البحر.

ويذكر أن فيها قبر برقا بن أبي نعم. ويبدو أنها كانت خالية من اليهود.

وهنا لا بد لنا أن نوضح بأن المعلومات التي أوردها بنيامين حول القبور والمدافن الموجودة في جبل عامل لبعض اليهود البارزين هي غير مؤكدة من الناحية العلمية باعتبارها لم ترد في غير كتاب بنيامين فيما نعرف. من ناحية. ومن ناحية أخرى ان سكان منطقة جبل عامل لم يتوارد فيما بينهم عبر القرون عن وجود مدافن من هذا النوع علماً بأن مدافن كثيرة لشخصيات قد تكون أقل أهمية تاريخياً وأكثر قدماً في التاريخ يعرفها سكان جبل عامل ويتناقلون المعلومات عنها أباً عن جد. ولا شك . لحسم الموضوع. بأن الكلمة الأخيرة في هذا الشأن تعود للأبحاث الأثرية والعلمية في هذا المجال.

هذا ما يذكره بنيامين عن وضع اليهود في جبل عامل خلال رحلته في عهد الفرنج. ويمكن أن نضيف إليها ما ذكره راي (Rey) في كتابه من أن اليهود كانوا يمارسون عمليات التمويل والصيرفة إلى جانب التجار الايطاليين وأن الصباغة كانت حكراً عليهم.

أما موقف اليهود من استعمار الفرنج واحتلالهم لبلاد الشام فلم يكن لصالح الافرنج. وقد قاتلوا إلى جانب المسلمين في معارك كثيرة[٤]. ●

الهوامش :

(١) للمزيد من المعلومات، راجع: محمد حسن حجازي: جبل عامل في العهد الصلبي. رسالة أعدّت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ، كلية التربية، بيروت ١٩٧٨.

(٢) رحلة بنيامين التطيولي، بنيامين التطيولي، بغداد ١٩٣٩.

(٣) لتوضيح هذا الالتباس راجع رسالتنا المذكورة سابقاً في القسم من منها، ملحق (٢) بعنوان: حول الوجود اليهودي في جبل عامل في عهد الافرنج.

(٤) راجع الرسالة المذكورة سابقاً، القسم الثاني، ملحق (٢)، بعنوان: حول الوجود اليهودي في جبل عامل.

المراجع والمصادر

1) . E. "Les Colonies Franques de Syrie aux XIIeme et XIIIeme siecle" (Paris 1883).

2) GROUSSET. R. "Histoire des croisades" t.II (Paris 1935).

٣ بنيامين التطيولي «رحلة بنيامين» (بغداد ١٩٤٥).

ويمكن أيضاً مراجعة: محمد حسن حجازي «جبل عامل في العهد الصليبي» رسالة أعدت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ. كلية التربية الجامعة اللبنانية حزيران ١٩٧٨.

الديناصور

الاقدم
والاضخم
و... الاغبى

قصة
حياته
واسباب
انقراضه

مركز الابحاث والدراسات

● لا شك أن الدينوصورات، كحيوانات هائلة الحجم، كثيراً ما داعبت مخيلة الأطفال والكبار على السواء وطرحت اسئلة عديدة صعب في الماضي ايجاد تفسيرات لها: هل هذا الضرب من حيوانات الأرض قد وجد فعلاً في فترة من فترات التاريخ؟ ام انها مجرد اساطير؟ واذا كان وجودها امراً حقيقياً وعلمياً، فمتى عاشت؟ ولماذا انقرضت؟ وهل بقي من سلالتها اثر يذكر؟ وهل... وهل؟ وغيرها، اسئلة كثيرة، الاجابة عليها صارت اليوم بمتناول علماء الاحافير ودارسي فترات عصور ما قبل التاريخ، وخاصة بعد أن اكتشفت منذ فترة ليست بالبعيدة نسبياً احفورات وبقايا لهذه الحيوانات التي عاشت في فترات سحيقة في القدم تعود إلى ٢٠٠ مليون سنة، وقد عثر على انواع عديدة منها، واستطاع علماء الباليتنتولوجيا (علم الاحافير) اعادة تركيب هذه البقايا والعظام وتشكيلها كما سبق أن وجدت،وذلك بمعونة جملة من العلوم المساعدة، وكذلك التعرف على نمط معيشة كثير منها: آكلات العشب الضخمة الحجم والوديعة في آن، أو آكلات اللحوم المخيفة.

وقد قام احد علماء الاحافير، الدكتور ج. روجيري بوضع كتاب بالفرنسية عن هذه الحيوانات بعنوان: مغامرة الدينوصورات (صدر عن Hachette) وهو يحدثنا الآن عنها:

الدينوصورات تنقرض فجأة!

من بين كل حيوانات ما قبل التاريخ، لا شك أن الدينوصورات تعتبر اشهرها، فحياتها على سطح الأرض – حيث مارست منذ ١٥٠ الى ٢٠٠ مليون سنة سيطرة تامة على كل انواع الكائنات الموجودة – هي مغامرة مثيرة بالطبع. وخلال وجودها المديد في تلك الأزمنة السالفة كانت هذه الحيوانات على ضروب عديدة من التنوع، من حيث الشكل، أو الطول، أو الحجم، حتى اللحظة التي فيها اختفت فجأة، هذه الحيوانات جميعها، دون أن نعرف تماماً الاسباب الكامنة وراء هذا الفناء السريع.

ماذا حدث على سطح الأرض؟ لا يمكننا سوى تقديم افتراضات قد تكون صحيحة وقد لا تكون، وذلك لعجزنا عن سبر اغوار تلك الفترة السحيقة، ولكننا برغم ذلك نعرف أن نصف بقية الانواع الموجودة آنذاك قد انقرضت مع الدينوصورات، منها لبونات بدائية، وزواحف طائرة، وزواحف بحرية ضخمة، ونباتات ايضاً.

من بين كل الافتراضات، لعل أكثرها معقولية هو أن تغييراً في المناخ، كان مفاجئاً ومؤقتاً، ربما كان سببه انفجار كوني مروّع احدث زيادة مطردة في الاشعاعات وتغييرات كبيرة في درجة الحرارة، بحيث أن انواعاً كثيرة من الحيوانات، من بينها الدينوصورات لم تستطع تحملها.

وهناك افتراض آخر يقول بأنه ربما ظهرت رغبة مفاجئة في أكل بيوض الدينوصورات لدى اللبونات التي ظهرت فيما بعد مما ادى إلى انقراضها تدريجياً.

هذان الافتراضان كان لهما الحظ الأوفر من بين تفسيرات انقراض الدينوصورات التي لم يصادفها حتى أي كائن بشري، حتى «انسان استراليا». هذا الانسان – والقرد الذي يصلنا بعالم الحيوان. فعندما ظهر على سطح الأرض منذ خمسة ملايين سنة، كان آخر الدينوصورات قد انقرض منذ ٦٠ مليون سنة على الارجح.

اكتشافات مثيرة:

وفي عام ١٩٠٨، وجد عالم الباليتنتولوجيا تشارلز ستينبرغ في وايومينغ في الولايات المتحدة اكتشافاً مثيراً: مومياء لدينوصور ضخم.

في الأزمنة البعيدة من العصر الكريتاسي[1] الذي شهد نهاية هذا المخلوق، يبدو انه بعد موته، تعرض لحرارة شمس قوية احرقت جيفته وحولته إلى هيكل قاس ومحترق، والرمل الذي غطاه فيما بعد قد حلّ تدريجياً مكان الانسجة العضوية مما ابقى على الحيوان محفوظاً تماماً في طبقة سميكة من السيليز والكثيف.

هذه المومياء هي مثل بارز على الاحفورات القديمة، ولكنها ليست الوحيدة التي نعرفها.

مثل آخر مثير لهذا الحيوان المنقرض. وهو اكتشاف وجدته بعثة اميركية في صحراء غوبي في

منغوليا. هيكل عظمي كامل لدينوصور وذلك في احدى طبقات منجم للحديد. والهيكل نفسه تحول إلى معدن. وكان اخراجه يبدو مستحيلاً. ولكن بفضل مهارة الاختصاصيين ودقتهم امكن ذلك. وقد استخدموا آلات متنوعة منها مطارق وازاميل وملاقط. واحياناً متفجرات وانما بشكل مدروس تماماً. وقد صُورت العملية كلها بكاميرات وذلك من اجل الاستفادة من الفيلم في وضع كل قطعة في مكانها المناسب عند اعادة تركيب هيكل الحيوان المذكور.

وقصة الدينوصورات لم تنته اذن مع لحظة انقراضها بل لها تتمة مشوّقة هي عمليات الكشف المتابعة التي وضعت هذه المخلوقات الضخمة في مقدّمة الاحداث.

تطور الحياة

- لفهم أوضح لتطور طبيعة الحياة على سطح الارض. يمكننا وضع لائحة مع بعض التواريخ التقريبية (تختلف بعض الشيء من عالم لآخر).

- منذ ٣ إلى ٤ مليارات سنة: ظهور الحياة في الماء للطحالب احاديات الخلية والبكتيريا.
- منذ مليار سنة: ظهور اللافقاريات.
- منذ ٤٠٠ مليون سنة: البرمائيات الأولى.
- منذ ٣٠٠ مليون سنة: ظهور الزواحف والحشرات.
- منذ ٢٢٠ مليون سنة: ظهور الدينوصورات.
- منذ ١٠٠ مليون سنة: ظهور الطيور واللبونات الأولى.
- منذ ٦٠ إلى ٦٥ مليون سنة: نهاية عصر الدينوصورات.

الاهتمام الذي يؤدي إلى الاكتشاف:

ومن بين هذه العمليات ما أكتشف عام ١٨٢٢ في مقاطعة سوسكس في انكلترا:

فقد كانت «ماري آن مانتل» وهي زوجة طبيب في مدينة كوكفيلد الصغيرة. تتجول في أحد شوارع المدينة. وكان معروفاً انها شغوفة بالجيولوجيا عندما لفتت نظرها حصاة صغيرة وقد التصق بداخلها ما يبدو انه سن ضخم. واسرع الدكتور مانتل إلى الموضع بعد أن اخطرته زوجته بما رأت واستطاع اخراج مجموعة كاملة من قطع العظام والاسنان وارسلها إلى جورج كوفييه. احد الاختصاصيين في هذه الحقل لفحصها. وقد صرح كومنييه اثر ذلك بأن الاسنان تنتمي إلى فصيلة من فصائل وحيد القرن المنقرضة. اما العظام فهي لأحد انواع الخرتيت البائدة ايضاً. ويبدو أن كوفييه قد تسرع في حكمه على هذه البقايا. فقد قام الدكتور مانتيل بعرضها ثانية على احد الاختصاصيين من الذين اقاموا ابحاثهم على دراسة انواع من الزواحف الكبيرة (الايغوانا) الموجودة في المكسيك واميركا الوسطى. ولدى مقارنتها مع مثيلاتها لدى زواحفه. لم يجد كبير عناء في ادراك الشبه الكبير بينها مع اخذه بعين الاعتبار فارق القامة النسبي. اما كوفييه فقد ادرك فيما بعد الخطأ في التقدير الذي وقع فيه.



اعادة «تقميش» ايغانودون في حديقة حيوان هامبورغ. آكل اعشاب يمشي كالكنغارو على قائمتيه الخلفيتين.. ويستخدم ذيله الضخم الطويل لحفظ توازنه.

السنوات اللاحقة حملت إلى العلماء كميات كبيرة من قطع الهياكل العظيمة التي تنتمي إلى زواحف ضخمة منها : الهليوصور والستيوصور وهي «بنات عم» البرونتوصور الشهير الذي قام بوصفه ريتشارد اوين عام ١٨٤١ .

امام غزارة الاكتشافات هذه . عرض عالم الباليتولوجيا البريطاني أوين على الجمعية البريطانية لتقدم العلوم «بأن تستنبط لهذه الحيوانات تنظيماً محدداً تعطى بموجبه هذه الحيوانات اسم دينوصور! .

كشوف هامة للدينوصورات في اميركا :

وكانت احدى الجرائد الأميركيـــة قد اهتمت كثيراً بأخبار اكتشافات بقايا الدينوصورات الجارية في اوروبا . سيّما وان قراءها كانوا على جانب من الحماسة لمعرفة كل جديد حول هذه الزواحف العملاقة . الاّ أن احداً منهم لم يكن يدري أن وطنهم سيكون احد اغنى البلدان بآثار وبقايا تلك الحيوانات .

في احد الايام مرّ بلين مودي . احد المستوطنين الأميركيين بالقرب من المكان الذي سيثير شهية علماء الباليتولوجيا ويجعلهم يتدفقون للبحث والتنقيب واماطة اللثام عن لغز حيوان الدينو صور .

فبينما كان مودي ينصب مخيمه قرب ساوث هادلي في ولاية ماساتشوستس لفت نظره شيءٌ غريب : حجر كبير مغروس فيه ثلاثة اصابع متباعدة تشبه قدم العصفور .

بعدها تم أكتشاف بقايا عظام ذات مقاييس ضخمة في وادي كونكتيكات .

وبما أن ما وجد كان له اطوال متعددة . فقد اعطى بعضها اسم «غراب نوح» وبعضها الآخر اعتقد انه ينتمي إلى «العصافير» التي ورد ذكرها في التوراة . هذه العصافير التي كان يظن انها أكبر بكثير من العصافير الحالية . ولم يفكر احد بارجاعها إلى حيوانات وانواع ما قبل التاريخ . وبالتحديد إلى الدينوصورات . بسبب انها لم تكن تملك سوى ثلاثة اصابع فحسب .

والواقع أن كل هذه الحيوانات المذكورة قد تكون هي المقصودة . ذلك انه لوحظ بعد عدة سنوات في الدراسات والتنقيبات ان هذه المنطقة كانت في العصر الترياسي[٢] تعج بمختلف انواع الزواحف الضخمة التي كانت تتحرك منتصبة على قدميها الخلفيتين .

حوالي عام ١٨٥٥ بدأت فترة الكشوفات الأميركية بهذا الصدد . عندما عثر فرديناند هايدن . وهو طبيب شغوف بالباليتولوجيا . في ولاية مونتانا . على اسنان وعظام لزواحف عملاقة . منها ذوات قرون ولها بعض الشبه بحيوان وحيد القرن الموجود في عصرنا الحالي .

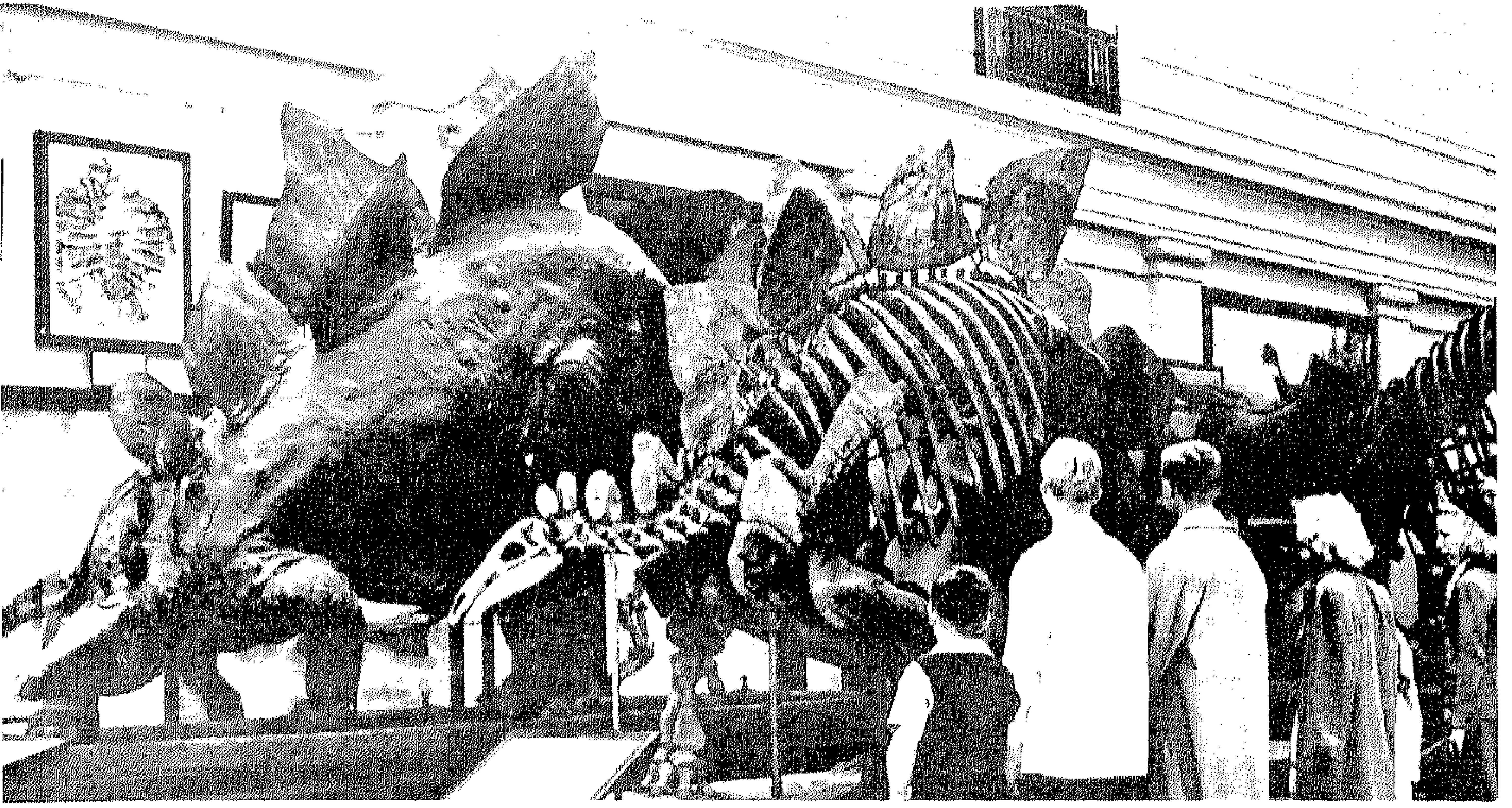
في عام ١٨٥٨ . باحث آخر عن الاحافير . هو وليام فولك نجح في العثور بطريق الصدفة على عدد كبير من عظام السلاسل الفقارية للدينوصورات . في فيلادلفيا . وكان سكان المنطقة بعد أن عثروا على بعض منها . يستعملونها كمزالج لاغلاق ابواب بيوتهم! ! .

وقد تابع فولك تفتيشه في المنطقة نفسها إلى أن وُفق اخيراً . وامام دهشة الأهالي . إلى اخراج بقايا دينوصور عملاق . وهو أول هيكل عظمي للنوع المعروف باسم «منقار البط» والذي دعي لهذا السبب باسم اناتوصور . وقد بلغ طول هذا الحيوان حوالي تسعة امتار . الاّ أن قدميه الاماميتين كانتا جد صغيرتين نسبياً . مما دفع البروفسور ليدي إلى الاستنتاج بأنه كان يسير . كما الكنغارو . على قدميه الخلفيتين : كان هذا اول اثبات بأن بعض الدينوصورات تسير على قدمين فقط .

حرب البحث عن الدينوصورات :

اثر نهاية الحرب الأهلية . بدأت في اميركا «حفلات صيد» الدينوصورات عندما قام عالمان متنافسان هما : تشارلز مارش وادوارد درنكر كوب . بالقيام بعمليات حفر منظمة شملت تمشيطاً دقيقاً لولايات مونتانا . وكولورادو ووايومينغ واوتاه . وقد استخدم كل منهما في حملته فريقاً من الجيولوجيين . والحفارين . وايضاً المسلحين . وقرّ رأي كل منهما على أن يجمع لنفسه أكبر مجموعة شخصية واجملها من احفورات الزواحف العملاقة . وقد ادت منافستهما اللدودة إلى استعمال شتى ضروب القسوة والمؤامرات ضد بعضهما . مما يذكر بحملات البحث عن الذهب في الغرب الأميركي . وقد بلغت كثافة الهياكل العظيمة التي اكتشفاها في بعض المناطق انه لا مبالغة في الحديث عن «مقبرة الدينوصورات» .

وبعد مضي عشرين عاماً على الحرب المكشوفة التي دارت رحاها بين مارش وكوب . كانت قد



● زوار يتفحصون هيكلاً عظمياً، مع تشكيله الموجود مقابله، في احدى صالات معهدسميتسونيان في واشنطن. هذا المتحف الشهير المخصص للعلوم. وقدانشىء عام ١٨٤٦ اثر تبرع من الانكليزي سميتسون وذلك بهدف نشر المعرفة الانسانية.

اكتملت مجموعة رائعة من الاحافير العملاقة ووضعت بتصرف الباليتولوجيين لاجراء الدراسات والأبحاث عليها. لا سيّما وان بعض الهياكل قد استخرجت كاملة وسليمة من باطن الأرض. ودون أن تشوبها أية شائبة.

دينوصورات متنوعة في كندا:

في كندا بدأ السباق إلى الدينوصورات منذ عام ١٩١٠. في مقاطعة البرتا. اذ لفت نظر الباحثين منطقة تمتد على طول نهر ريد دير حيث اكتشفت مجموعة كبيرة من هياكل الزواحف الضخمة. وقد كانت سليمة لدرجة أن العظام كانت لا تزال معلقة بعضها بالبعض الآخر وبعد ثماني سنوات انتهى «السباق» بالعثور على مئات الهياكل العظمية الكبيرة. منها ما يسير على قائمتين. ومنها ما يسير على أربع. بعضها «مدرع»، وبعضها مزود بقرون، والبعض الآخر مزين بعرف يمتد على طول الظهر. وهناك بعض منها يحمل نتوءات عظيمة بشكل خوذة فوق الرأس.

في افريقيا... أكبر الحيوانات اطلاقاً:

في الفترة نفسها تقريباً، اكتشفت بعثة نظمها متحف برلين بقايا عظمية كبيرة في الطبقات الجوراسية في مناطق الأدغال الافريقية. ولم يكن البحث في تلك المناطق بالعملية السهلة بتاتاً. ولكن البقايا التي وجدت قرب قرية «تنداغورو» في تنزانيا (وكانت لا تزال تحت السيطرة الالمانية) أخرجت إلى الوجود أروع كائنات ما قبل التاريخ وهو حيوان البراشيوصور. وهو أكبر الزواحف التي عاشت على الأرض اليابسة على الاطلاق.

وارسلت بعثات إلى مناطق اخرى من افريقيا. كان اهمها بعثة متحف التاريخ الطبيعي في باريس إلى منطقة «غادوناوا» في النيجر. حيث تم اكتشاف «مقبرة دينوصورات» غنية جداً.

الكشف الهائل: البرونتوصور:

وبينما كان، والتر غرانجر. احد علماء الباليتولوجيا. من مكتب التاريخ الطبيعي في نيويورك. ينقب في جنوب ولاية وايومينغ. عثر. عام ١٨٩٧ على موقع يفيض بعظام الدينوصور. وكان يوجد منها كمية كبيرة على مستوى سطح الارض لدرجة أن احد المزارعين القريبين قد استخدمها في بناء احد الجدران. واستطاع غرانجر بواسطة بعض هذه العظام أن يعيد تركيب هيكل عظمي كامل للبرونتوصور.

والواقع أن هذا الحيوان الهائل لم يكن مجهولاً من العلماء. ففي عام ١٨٧٧ عثر مارش على بعض العناصر الأحفورية لحيوان سماه «الحرباء - الصاعقة» وهو ترجمة البرونتوصور. لأنه استنتج بالاستناد إلى قياسات اقدام هذا العملاق. ان مجرد سيره على اليابسة كان من شأنه أن يحدث دوياً حقيقياً شبيهاً بدوي الصاعقة.

والحقيقة. بالنسبة لغرانجر. ان عملية نبش عظام الحيوان. لم تكن سهلة على الاطلاق. بل تتطلب دقة ومهارة فائقتين. واستغرق ذلك ستة اشهر من العمل. من الربيع حتى خريف ١٨٩٨. رُفعت خلالها كل العظام. حتى اصغرها. مع الصخور الموجودة فيها. ووضعت في صناديق وارسلت إلى نيويورك. وقد تطلب امرها سنتين اضافيتين استخلصت خلالها العظام من الصخور. واخضعت لعلاج معين من اجل جعلها قوية. بعد أن كانت سريعة العطب.

القضية الصعبة كانت عملية تجميع العظام لتركيب الهيكل العظمي. وقد استغرق ذلك اربع سنوات. وفي عام ١٩٠٥. تم انجاز الهيكل. وعرض حيوان البرونتوصور الذي اكتشفه غرانجر في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك.

وبالنظر الى طول المارد الذي يبلغ واحداً وعشرين متراً. فقد قُدر وزنه بما يقارب الثلاثين طناً. أي ما يعادل وزن خمسة أو ستة من الفيلة الضخمة. وفوق ذلك. فقد اظهرت الحفريات التي جرت لاحقاً بأن بعض انواع البرونتوصور يمكن أن يصل وزنها إلى سبعة وثلاثين طناً. ورغم هذا فان البرونتوصور لم يسجل الرقم القياسي. لا من حيث الطول. ولا من حيث الوزن في متاحف الدينوصورات العملاقة.

العملاق... الغبي :

ويمكننا أن نتساءل بالطبع. كيف تتوصل حيوانات بهذا الحجم إلى الحصول على ما يكفي من الغذاء؟ قد يكون أن البرونتوصور يقضي معظم اوقاته مشغولاً بهذا الموضوع فيظل في الماء وقد غُمرت ثلاثة ارباع كتلته فيه يأكل دون توقف النباتات المائية.

ولفترة من الزمن. كان العلماء يظنون أن البرونتوصور. وبسبب عبء وزنه الهائل. لا يستطيع العيش الا في الماء حيث يخف وزنه وتسهل حركته. ولكن عند فحص اطرافه والمفاصل لوحظ أن هذا الحيوان كان ايضاً قادراً على أن يتحرك تماماً على الارض اليابسة. شأنه في ذلك شأن الفيل الذي يملك قوائم ضخمة مماثلة نسبياً.

ومن ناحية ثانية. فان صغر رأسه. وبالتالي فمه. بالنسبة لحجم جسمه. يجبر البرونتوصور على الأكل باستمرار. ولا شك أن النباتات البحرية أو النابتة في المستنقعات أو البحيرات لم تكن كافية وحدها.

ثم أن البرونتوصور. لا بد له. في زمن وضع البيض. من الخروج إلى اليابسة. كما تفعل التماسيح تماماً. وقد وجد عدد كبير من هذه البيوض متحجرة في منطقة بروفانس (فرنسا). لها شكل دائري ويمكن أن تتسع لحوالي ٣و٣ ليتر. ولا شك أن بيوضاً كهذه تعتبر صغيرة الحجم بالنسبة لحيوان كالبرونتوصور. مما يدعو إلى الاعتقاد بأن الصغار. لدى خروجها من البيض. تلاقي نمواً سريعاً بشكل ملحوظ.

الأ أن ما يدهش في هذه الحيوانات هو أن حجم الدماغ بالنسبة لحجم الجسم يساوي واحداً على مائة الف في حين انه عند الكلب مثلاً يساوي واحداً على مائة وسبعين من حجمه. لذلك ساد الاعتقاد بأن هذه الحيوانات لا بد انها كانت على جانب كبير من الغباء.

الديبلودوكوس... في جولة على المتاحف. والبيراشيوصور :

الديبلودوكوس هو اشهر حيوانات ما قبل التاريخ. وشهرته لا تعود فقط إلى انه ضرب الرقم القياسي في الطول. (٣٢ متراً) ولكن لمصدر الاسم الذي اطلقه عليه عالم الباليتولوجيا الأميركي ايرل دوغلاس.

فبعد نبش عظام الديبلودوكوس من خوانيق «غرين ريفر». احد روافد نهر الكولورادو. ارسل إلى متحف بتسبورغ في بنسلفانيا الذي يعمل دوغلاس لمصلحته. وهو المتحف الذي انشأه الملياردير «اندرو كارنيغي». مما حدا دوغلاس على اطلاق اسم ديبلودوكوس كارنيغي على الحيوان الذي عثر عليه.

ونظراً لافتخاره بهذا الشرف. قرّر الملياردير تمويل صنع نماذج «لديبلودوكوسه» يمنحها إلى المتاحف الكبرى عبر دول العالم. وهذا ما اعطى الحيوان شهرته التي تحدثنا عنها.

ان صنع النماذج المشابهة لحيوان الديبلودوكوس العملاق. والهائل الحجم. لم يكن ليتم دون صعوبات لأنه لم يكن يوجد في تلك الفترة (اوائل القرن الحالي) صناعة متخصصة لتنفيذ صنع العظام والقطع اللازمة. لذلك عهد في هذا العمل إلى فنان عادي كان يقوم بصنع هذا العدد الذي لا يحصى من العظام.

واخذ النموذج الفخم الأول للديبلودوكوس طريقه إلى المتحف البريطاني عام ١٩١٠. وتبعه على التوالي نماذج إلى متاحف باريس. فرانكفورت. برلين. فيينا. بولونيا. ومسينا. والارجنتين. اما الهيكل الأصلي طبعاً فقد بقي في متحف بتسبورغ.

ويعتبر الديبلودوكوس قريباً من البرونتوصور. ويشبهه في نواح كثيرة. باستثناء الطول المميز لرقبته وذيله. فرأسه الذي يشبه رأس الحصان كان صغيراً جداً. وكذلك اسنانه فهي ضعيفة بالنسبة لحيوان يبلغ وزنه حسب تقدير العلماء خمسة وعشرين طناً.

اما البراشيوصور. فانه اذا ظهر في مدننا الحالية. فبامكانه أن يطل من فوق البيوت ذات الثلاث طبقات بكل سهولة. وقد عرف هذا العملاق قمة وجوده في العصر الجوراسي.

الا أن البراشيوصور. يظل الحيوان الأكثر وزنا على الاطلاق من بين كل الحيوانات التي عاشت على اليابسة. فان احد الهياكل العظيمة التي وجدت للبراشيوصور حوالي ١٩٠٩ - ١٩١٠ في تنزانيا وقد نقل إلى متحف برلين قد وصل طوله إلى ثلاثة وعشرين متراً. في حين أن ارتفاعه قد قارب الاثني عشر متراً. اما وزنه فيمكن أن يصل بهذه المقاييس إلى ثمانية وسبعين طناً. انه وزن هائل اليس كذلك! ومع ذلك فقد وجد العلماء بعض العظام الهائلة التي يرون انها بدون شك. تعود إلى حيوان من النوع نفسه يصل وزنه إلى حوالي المائة طن. أي ما يعادل وزنه قطيع كامل من عشرين فيلاً ضخماً.

بالمقارنة مع البرونتوصور والديبلودوكوس. فان البراشيوصور يختلف بعض الشيء. فبالنسبة إلى كتلته العامة. كان طوله اقصر من الثاني. وقوائمه الأمامية كانت اطول من قوائمه الخلفية. لذلك كان يستطيع. نظراً لارتفاع رأسه أن يبقى في المياه العميقة مدة اطول مما تستطيعه بقية انواع الديناصورات.

يضاف إلى ذلك. هذا التكيف اللافت للنظر لتركيب رأس البراشيوصور مما يؤكد الغرضية التالية: ان جيوبه الانفية تفتح بانتفاخ عظم الجبهة. مما يسمح للحيوان بأن ينزل إلى الماء كل كتلته مبقياً خياشيمه الأنفية ملامسة لسطح الماء لكي يؤمن التنفس.

بهذه الحال عاش البراشيوصور في اماكن لم تكن بمتناول بقية الدينوصورات المائية التي كانت مزودة بقوائم امامية اقصر. لذلك لم يكن الديبلودوكوس. على ما يبدو. مضطراً للدخول في صراعات حادة مع بقية اضرابه للحصول على الغذاء.

وكان من الطبيعي الا يكتفي البراشيوصور بالنباتات المائية. فكان عليه أن يبتلع اطناناً من الاوراق والنباتات الاخرى على اليابسة.

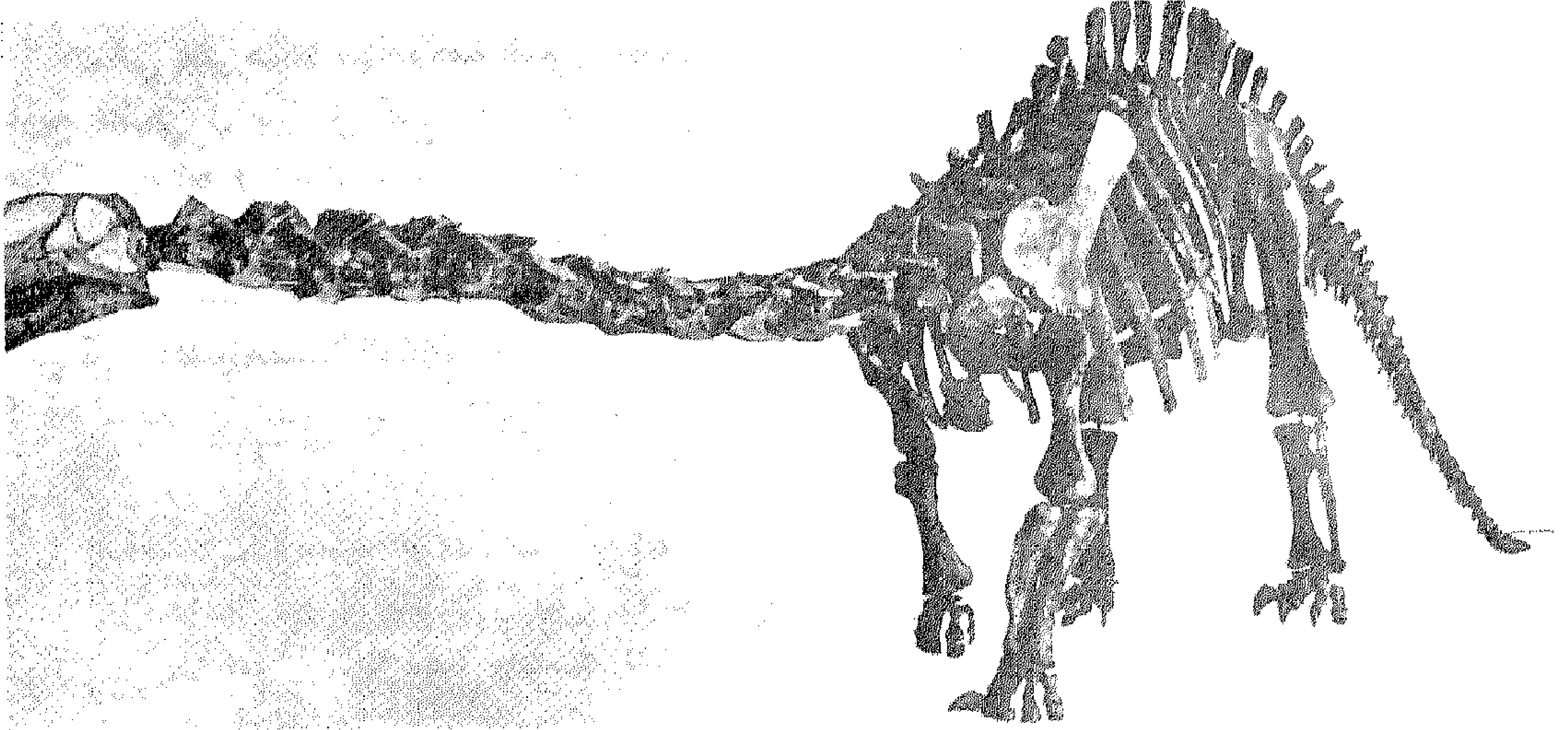
ولم تكن عملية طحن هذه الكمية النباتية تجري ما بين الفكين فحسب. بل ايضاً بعد وصولها إلى المعدة التي تشبه الطاحونة والمزوّدة بعضلات كثيرة. وقد وجدت بعض الحصى المشطوفة بتأثير العصارة المعوية مع الحفريات. مما يعني أنه كان يبتلع في طريقه حصويات وحجارة كانت معدته الجبارة كفيلة بطحنها أو على الأقل... تشذيبها.

الألوصور أكثر آكلات اللحوم وحشية:

بموازاة انتشار الحيوانات الهائلة هذه من آكلات الأعشاب. عاشت ايضاً حيوانات ضخمة اخرى من آكلات اللحوم. كان البعض منها له شكل مخيف جداً. ويمكن أن تعتبر الاسود والنمور التي تعيش في عصرنا الحالي وجبات مسلية ومثيرة للشهية فيما لو وجدت وجهاً لوجه مع آكلات اللحوم المتوحشة هذه. التي كانت سريعة الحركة ومزوّدة بفكين لها قوة عظيمة.

وخلال العصور السحيقة التي عاشت فيها تطورت آكلات اللحوم واتخذت احجاماً مختلفة. البعض منها وصل طوله إلى عشرة امتار كالألوصور. وهو اكثرها وحشية. ويمكن أن يصل وزنه إلى طنين.

يقف الألوصور منتصباً على قدميه الخلفيتين. فهو من الحيوانات التي تسير على قائمتين. وله ذيل جبار مزوّد بعضلات. ويملك راساً ضخماً يحركه بسرعة فائقة. وله فكان هائلان مزودان بأسنان طويلة ومسننة. اما قدماه الأماميتان فهما اقصر بكثير. وتنتهيان بثلاثة اصابع مزوّدة بمخالب حادة. يستخدمها كيدين لكي يمسك بضحيته.



هيكل تيرانوصور. وهو اضخم آكلات اللحوم المعروفة. موجود في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك. ارتفاعه خمسة امتار. طول رأسه ١٫٤٠ متراً.

ويبدو انطلاقاً من الحفريات. ان الألوصور لم يكن موجوداً في اميركا الشمالية فحسب. بل في آسيا. وافريقيا الشرقية في العصر الجوراسي.

الميغالوصور في اوروبا:

اما في اوروبا. فقد اخلى الألوصور مكانه لحيوان شبيه له. هو الميغالوصور. وان كان طوله اقل (٧٫٥ م) الا انه مفترس مثله.

عندما يطارد الميغالوصور فريسته. فان ركضه يذكر بركض دجاجة ضخمة وهي توشك على نقر الحبة. وعندما يصبح قريباً من الضحية. يقفز عليها وفمه مفتوح. ومخالبه ممتدة إلى الأمام ويشرع بالتهامها. الآ أنه احياناً لا يتمكن من فريسته. فعليه والحالة هذه أن يعود ادراجه سريعاً لكي لا يتلقى ضربات عنيفة من ذيل حيوان آكل أعشاب. قد تكون قاضية.

السيراتوصور ذو القرن:

لا شك أن اغرب هذه الحيوانات آكلة اللحوم هو السيراتوصور الأميركي. الذي كان مزوداً بقرن في جبهته. وهو اصغر من الالوصور. ورغم ذلك. فان هذا السلاح المدبب في رأسه. اضافة الى قوائمه الامامية التي تنتهي بخمسة اصابع لها مخالب حادة وعريضة تشبه المنجل. يجعل منه عدواً مخيفاً حقاً.

ويجب الا نتصور ان حياة الدينوصورات لم تكن سوى سلسلة لا نهاية لها من المعارك الدموية الهائلة. فكما نرى اليوم في افريقيا قطعاناً كاملة من آكلات الأعشاب ترعى على مقربة من مجموعة من الأسود وهي تتكاسل تحت اشعة الشمس. كذلك فان الدينوصورات الضخمة آكلات الاعشاب لم يكن بمستطاعها أن تلتهم تلك الكميات الكبيرة من النباتات التي تتناسب مع وزنها لو كان يفترض منها أن تخوض صراعاً دائماً مع آكلات اللحوم الضارية. وبأية حال. فان آكلات الأعشاب كانت تعيش قطعاناً في مياه البحيرات في أغلب الأحيان. ولم تكن تخشى آكلات اللحوم إلاّ حين الخروج إلى اليابسة. أو حين يعض هذه الأخيرة جوع قتال.

بقايا احفورية لقطيع كامل:

في الوقت الذي كان فيه علماء الباليتولوجيا يستخرجون البقايا العظمية للدينوصورات في اميركا الشمالية. برزت أوروبا عام ١٨٧٨ كمسرح لأكثر الاكتشافات اثارة لفترة ما قبل التاريخ. وذلك في بلجيكا. وفي مقاطعة بونيسار. اذ عثر عمال المناجم على كميات عظيمة من العظام الأحفورية المتحجرة.

وخلال ثلاث سنوات من التنقيب ومن البحث المنظم في تلك المنطقة. تجاوزت النتيجة كل ما يمكن تصوّره: بقايا ثلاثة وثلاثين هيكلاً لنوع من الزواحف الضخمة. المسماة: ايغانودون. بحيث أن معظم هذه الهياكل كانت كاملة.

ان اثني عشر هيكلاً منها معروضة اليوم في متحف التاريخ الطبيعي في بروكسل. قطيع كامل من الهياكل العملاقة. والرائعة في الوقت نفسه. ذات اطوال تصل إلى تسعة امتار وارتفاع خمسة امتار. انه مشهد فريد في نوعه في العالم. يدهش زائري المتحف ويرهب كل من يدخل إلى القاعة المخصصة لهذه الحيوانات التي عاشت في فترة سحيقة في القدم: ملايين السنين في فترة ما قبل التاريخ.

ان اكتشافات برنيسار اظهرت أن الايغانودون لا تسير على قوائمها الخلفية فحسب. مثل آكلات اللحوم. بل انها تسير وذيلها مرفوع وتستعمله لابقاء جسمها في حالة التوازن.

وبالنظر إلى الآثار الكثيرة التي وجدها العلماء، لاقدامها العريضة ذات الاصابع الثلاثة. في المانيا وبريطانيا. كان ذلك ما يبعث على الظن بأن الايغانودون هذا. آكل الأعشاب. كان منتشراً في أوروبا الغربية بشكل ملحوظ.

التيرانوصور: الغول الذي يزن تسعة اطنان:

ان اكتشاف آكل لحوم ضخم للمرة الأولى. يزن تسعة اطنان. كان لا شك مغامرة شيقة للباحث الشاب بارنوم براون عام ١٩٠٢. عندما ارسله متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك في بعثة لاستكشاف الطبقات التي تعود للعصر الكريتاسي في ولاية مونتانا الأميركية.

كان الحظ إلى جانب الباحث براون ذلك اليوم. فالعظام الاحفورية التي اكتشفها تعود إلى أكبر الحيوانات من آكلات اللحوم التي اكتشفت حتى ذلك الحين. فبالنظر إلى ضخامته. وشكله المخيف. لا شك أن هذا الحيوان كان يمارس طغياناً وسيطرة تامة على بعض الانواع الأخرى. مما دعا إلى تسميته تيرانوصور.

وبعد ست سنوات. استطاع براون. ذو الحظ السعيد. وفي المنطقة نفسها من اكتشاف ثلاثة هياكل عظيمة كاملة للتيرانوصور.

بعدها. وفي آسيا الوسطى. اكتشف الروس بعضاً من بقايا هذا «الغول». ولكنها لم تكن سليمة. واليوم نحن نعرف التيرانوصور معرفة تامة. وفي الواقع لا يوجد حيوان أكثر اخافة وأكثر اثارة للرعب منه على وجه الارض.

ويمكن اعتبار التيرانوصور. بمثابة الوصور اكثر ضخامة ووزناً. ولكنه يُبرز ايضاً عدة اختلافات عن هذا الاخير. اولاً من حيث الضخامة. فمن الرأس الى الذيل يصل طوله إلى خمسة عشر متراً. مما يفرض. بالاستناد الى الابعاد الضخمة لهيكله العظمي. ان وزنه يصل إلى تسعة اطنان. أي ما يساوي وزن فيلين.

ومن جهة ثانية. فان رأس التيرانوصور. اصغر من مثيله لدى الالوصور. قياسه ١٫٢٠ متراً. علماً بأن فكيه الغليظين مسلحان باسنان حادة تقارب العشرين سنتمتراً طولاً مما يؤكد بأن فريسته تكف عن الحراك بمجرد عضها بهذه «الخناجر». ولكن في مقابل ذلك. فان قوائمه الامامية صغيرة جداً. اذا ما قورنت بقوائمه الخلفية الضخمة.

واثناء زحفه تحت الغطاء النباتي الواسع في ذلك العصر. ورأسه الى الامام. لا يمدّد التيرانوصور ركبتيه ذات الاربعة امتار طولاً الا حين يستعد للانقضاض على فريسته. ويمكننا أن نتصور ذلك المشهد المثير عندما تقوم معركة ضارية بينه وبين آكلات الاعشاب «المدرّعة». تلك المعركة التي كثيراً ما تكون دموية بشكل مخيف.

الحياة... منذ ١٥٠ مليون سنة:

لا يمكن لأي تاريخ للحيوان. سواء في الماضي. أو الذي يستحوذ اليوم على الصفحات الأولى من وسائل الاعلام كالجرائد والمجلات. أو التلفزيون. ان يثير الخيال الانساني أكثر من هذه المغامرة الرائعة التي جرت احداثها على سطح كوكبنا منذ ١٥٠ مليون سنة. مغامرة جرت دون شاهد عيان. لأنه. عندما ظهرت بوادر الانسان الأولى. كان كل شئ قد انتهى قبل ذلك بخمسة وستين مليوناً من السنوات.

هذه «المغامرة» للدينوصورات قد دامت في الواقع فترة يكاد يكون تصوّر ارقامها عملية مثيرة بحد ذاتها. وذلك خلال الدهر المسمى: ميزو زوييك أي بين ٢٢٥ و٦٥ مليون سنة قبل عصرنا هذا.

هل كانت تلك الفترة «مغامرة» وانتهت؟ ام كانت مجرد محاولة حياة لم يكتب لها النجاح؟ ربما كان ذلك. ولكن الحياة نفسها. الم تكن منطلقاً لسلسلة من الوقائع والاحداث التي هي. بالنسبة الينا. سلسلة لا تنتهي من حالات الفشل؟!



● اعادة تشكيل لحيوان البرونتوصور.

ان الشئ الوحيد الذي يهمنا هنا. هو أن الحياة كانت موجودة. بأشكال معينة ربما. ولكنها ستبقى وستستمر. ان «مغامرة» الدينوصورات ليست اذن. فشل حياة. وانما هي مرحلة لا بد منها. لاستمرار حياة جديدة.

ان الدهر المسمى ميزو زوييك. معروف بأنه عصر الدينوصورات. أي الزواحف. ولكن هذه الحيوانات لا تشبه في شئ السحالى. والثعابين. ولا حتى التماسيح أو السلاحف التي تعيش في عصرنا. بعضها كان يطير مثل الخفاش. ولكنها لم تكن ثدييات لبونة. ولا حتى طيوراً.

ويجدر بنا أن نذكر بأن بعض انواع هذه الدينوصورات قد انقرضت تماماً قبل أن يظهر بعضها الآخر بعدة ملايين من السنوات. ثمانون مليون سنة مثلاً. تفصل ما بين البرونتوصور والبروتوسيراتوبس. في حين أنه لا يفصل سوى خمسة وعشرين سنة فحسب اكتشاف البقايا العظمية لكل منهما.

ويمكننا أن نتصور بسهولة ذلك العمل الجبار الذي كان ينتظر العلماء من اجل تحديد كل واحد من هذه الحيوانات. وذلك انطلاقاً. في اغلب الاحيان من بقايا عظمية غير كاملة. وكذلك لوضع تصنيف حيواني لها وهي التي كانت مجهولة تماماً قبل قرن واحد.

كان يجب خلق اسماء لها. ووضعها في ترتيب. وتنظيم انواعها وذلك من اجل احلالها في مكانها من عالم الحيوان الكبير. وكان يجب اضافة إلى ذلك. اعادة تركيب تاريخها. ومعرفة زمن ظهورها وزمن انقراضها. وتحديد سلالاتها بالنسبة للحيوانات التي سبقتها والتي تلتها. وكذلك تحديد انتشارها الجغرافي على سطح ارض لا يشبه في شئ سطح الأرض المعروف اليوم.

وبعد الأنتهاء من هذا الانجاز الكبير. رغب العلماء المتخصصون في هذا المجال في الذهاب إلى ابعد من ذلك: التعرف. استناداً إلى الكتل الهائلة من الأحافير والبقايا المكتشفة. وبعد فحصها بدقة. بواسطة احدث الوسائل التقنية للعلم. على نمط الحياة الذي كانت تعيشه هذه الحيوانات. وعاداتها. وغذائها. وسلوكها. هذا الأتجاه الجديد في البحث في عالم الدينوصورات. قد بدأ فعلاً. ●

الهوامش

١ – الفترة الممتدة بين ما قبل ١٠٠ و٦٠ مليون سنة.

٢ – العصر الجيولوجي الثاني كان يمتد منذ ٢٢٥ إلى ٦٥ مليون سنة قبل ظهور الانسان يقسم إلى ثلاثة أقسام بدءاً من الأقدم: العصر الترياسي والجوراسي ثم الكريتاسي.

● لقد التقيت عدّة مرات بايفا براون في برلين خلال سنتي ١٩٣٨ و ١٩٣٩. واني اعترف بأنها لم تترك آنذاك أي انطباع في نفسي. لقد كان لها سحر الطبيعة الميتة. سحر زهرة جميلة طبعاً ولكن من دون عطر. كزهرة الكاميليا. اعترف أيضاً بانه لم تكن لدي أي فكرة عن دورها الحقيقي في الرايخ. ولقد استمر جهلي لطبيعة العلاقة بينها وبين الفورر طويلاً. حتى بعد ممارستي لمهنة الصحافة التي تخرق كل الأسرار.

كانت لي جارة تعمل عند هاينريش هوفمان. مصور «البلاط». وكنت غالباً ما ادعوها للنزهة. فتأتي بصحبة احدى زميلاتها. شقراء ذات قوام حسن وتصرفات رقيقة: ايفا براون. كانت تتحدث دائماً عن رحلاتها وعن هتلر وموسوليني وخاصة عن تشيانو الذي حاز إعجابها لدرجة انها رغبت في تقبيله. إلا ان معظم الشابات الالمانيات كن يقلن الاشياء ذاتها في تلك الفترة. كانت تهتم كذلك بالسينما وبنجومها وخاصة ليلي داغوفر وتقرأ أحياناً مجلات سينمائية. كانت جدية وتحترم المظاهر لكونها نشأت في محيط بورجوازي. فكانت تتذكر دائماً انها «سيدة».

كانت من الفتيات اللواتي يكتفين بمراقبة الاشياء كمشاهدات وبالسير وراء القطيع. ميزة ايفا براون انها نموذج للفتاة الالمانية آنذاك. كما ارادها النظام النازي. كان يوجد مليون مثلها. يتحدثن كلهن ويلبسن ويتصرفن بالطريقة ذاتها.

ثلاثة وثلاثون ألبوماً:

كنت قد نسيت تماماً وجود «السيدة». فحتى نبأ وفاتها لم يحرك ذاكرتي. الى ان التقيت مجدداً بجارة الطفولة التي أكدت لي ان زميلتها هي نفسها إيفا.

كل هذه الامور تبقى غامضة في ذهني حينما انظر الى صفحات الالبومات. حيث جمعت ايفا المذكرات والصور باهتمام كلّي. ولا يمكن اعتبار هذه الصور وثائق تاريخية إلا بطريقة غير مباشرة. نظراً لأن ايفا لم تكن تهتم بالتاريخ. كانت تجمع فقط. كأي فتاة في سنها. صوراً لها وللحوادث التي عايشتها.

الألبومات الصغيرة. وهي دفاتر مغلفة بورق أزرق. تحوي صوراً لايفا وهي طفلة ثم شابة. ولأول فستان سهرة لها ولأول صديق.. نراها أيضاً متنكرة بزي أل جولسون. بطل أول فيلم متكلم. وكانت له شعبية كبيرة آنذاك. ولم تحاول أبداً أن تلغي هذه الصورة

البوم
الث



● من هي إيفا براون، المرأة التي ...
نران غان (من مؤلفاته: «ورود دالاس ...
له وقع كبير في فرنسا) كان له حظ الاطلاع ...
هذا المقال الذي يحيي وجهاً لطالما استرعى ...
صوراً كانت ما تزال مجهولة، تظهر لنا هتلر بوج...
الرسمية.

يبدأ نران غان مقاله بالتحدث عن معرفة ...
الصور وعما تقدمه من معلومات عن حياة إيف...



● في هذا الاستوديو عملت ايفا وتعرف اليها هتلر.

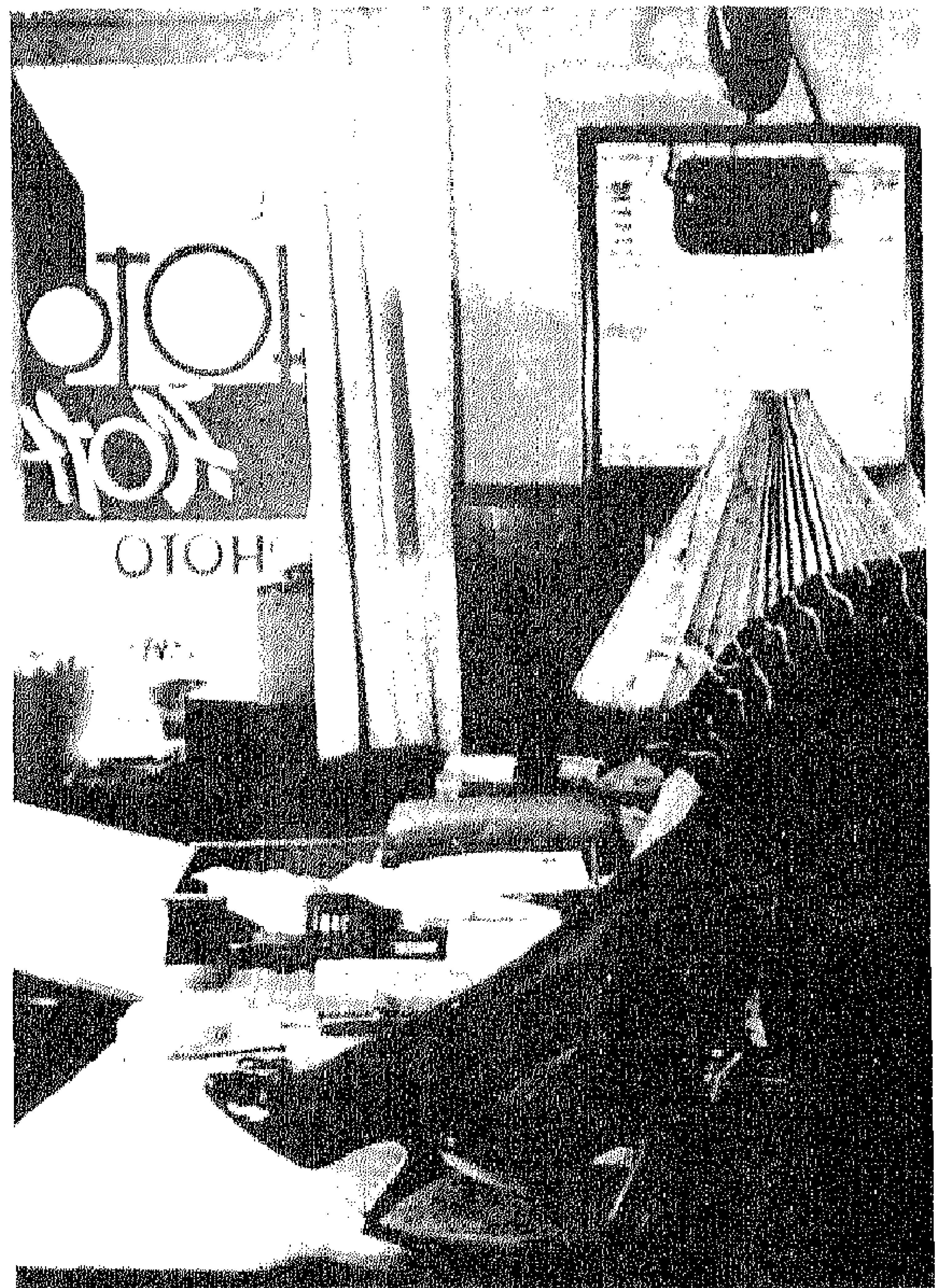
ـة ايفـا بـراون
ـلاثة والثـلاثون

ترجمة صباح الاحدب

ـيت سنين عديدة في ظل هتلر؟

ـحمراء » ، الذي طبع في الولايات المتحدة وكان
ـي ألبومات إيفا براون الشخصية ، فكتب لقرائه
ـام الناس. هذا وقد أخذ من هذه الألبومات
، مختلف عن ذاك الذي كانت تصوره الوكالات

« الشخصية بايفا براون ويصفها ، ثم ينتقل إلى
وهتلر.



حيث تقلد « يهودياً » . وهي التي كانت عشيقة عدو اليهود .

أما الألبومات الكبيرة . مغلفة بقماش مزهّر وفيها : مشاهد حب ومشاهد تاريخية . صور لشخصيات كبيرة . كليشهات هاو تتسم بالبساطة . لوائح طعام . زهور . رسوم صغيرة . برنامج حفلة... احياناً . نلحظ اشارة الى ان فلاناً يلعب البيانو وآخر يغني . ان ايفا ترقص وان أدولف هتلر يدلي بخطابه التقليدي .

الصور مرتبة حسب الموضوع ومنظمة . لايفا صور مع هتلر في البومها الخاص . وصور لهتلر معها في الالبومات المخصصة للفورر . كانت تسجل تعليقها أحياناً . أما بالحبر الأبيض أو بالآلة الكاتبة وتجدر الاشارة الى انها لم تكن تقول أبداً « أدولف وأنا » . وانما دائماً « الفورر وأنا » .

قيل عن إيفا انها فتاة مغرورة تحب أن تؤخذ لها الصور في كل لحظة . وانها كانت تأتي بالمصورين المشهورين وتضع الكاميرا بأيدي الخدم لكي تلتقط لها الصور مع هتلر . في هذا الأقوال كثير من المبالغة لأن ايفا كانت مصورة بحكم عملها فكان من الطبيعي ان تهتم بهذا الفن .

أما هتلر . فيبدو في هذه الالبومات بوجهه الحميم . مضحكاً في أغلب الاحيان في ثيابه المدنية المفتقرة الى الذوق والتناسب . صامتاً . يعرف كيف يكون محبوباً . وأخيراً سعيداً بشرب قهوته في الحديقة وبالنوم في دفء الشمس كأي بورجوازي الماني .

بعض الصفحات تبرز مشاهد عن ليلة التوقيع على المعاهدة السوفياتية أو يوم اعلان الحرب . فهذه ان دلت على شيء فعلى مكانة ايفا الكبيرة في قلب هتلر . اذ كان يسمح بوجودها بقربه في مثل هذه اللحظات الخطيرة .

وفي بعض الالبومات تفاصيل دقيقة . فمن أحدها انتزعت صورة بورمان لأن هذا الأخير اراد اخفاء كل أثر له . إلاّ انه كان يجهل ان ايفا الحريصة قد احتفظت في البومها الخاص بصور أخرى له . كانت بمثابة أول وثيقة حقيقية عنه .

أين كانت الألبومات ؟

كانت الألبومات محفوظة في خزانة مكتب ايفا في بيرشتسغادن . وعندما انتقلت الى برلين . نقلت البوماتها





● ايفا في صورتين لها في الرابعة من العمر والسابعة عشرة.

مع بقية اغراضها الى مستودعات بافاريا السرية حيث كان هتلر يأمل بتنظيم مقاومة كبيرة. هنا اكتشفها فريق من قسم الاستخبارات في الجيش الاميركي. وقد ارسلت. بعد تدقيق سطحي. الى ايزنهاور في باريس. ثم الى فيزبادن في المانيا بعدها الى البنتاغون في واشنطن حيث حفظت من قبل السلطات العسكرية. وعندما قرر أخيراً اعلان وجودها. كان اهتمام العالم قد قلّ بهتلر أو بايفا براون. ثم ان هذه السلطات لم تكن واثقة من حقها في اخفاء هذه الالبومات. فايفا براون لا تعدو عن كونها مواطنة عادية. وليست فرداً في الجيش ولا شيء يثبت انها كانت عضواً في الحزب. الالبومات ملكها إذن أو ملك عائلتها.

المهم أن وجود الالبومات قد نسي. وقد اكتشفتها عندما كنت أقوم بأبحاث عن زيارات تشيانو في المانيا. وقد وجدت معها جزءاً واحداً من مذكرات ايفا المكتوبة عام ١٩٣٥. أي مباشرة بعد معرفتها بهتلر. وهي مسجلة بخط يدها وصحيحة. تقرّبنا من ايفا الفتاة البسيطة المتواضعة الهادئة والتي تصبو مع ذلك الى أن تصبح «سيدة» تفرض الاحترام والاعجاب.

لقد تفحصت أيضاً فيلماً موجوداً بين اغراض ايفا. لا توجد منه إلاّ نسخة واحدة حفظت بكل عناية. الاخطاء الفنية تؤكد انه أخذ بيد هاو وتدحض الأقوال التي تشير الى العكس. الفيلم بالألوان ومدته نصف ساعة. فيه مشاهد عن حياة ايفا في بيرشتسغادن وعن نشاطاتها الرياضية.

سـر الفـوهرر:

بعد كل هذه الصور وهذه الافلام التي تظهر لنا ايفا محاطة بمجموعة كبيرة من الاصدقاء. يحق لنا أن نتساءل: كيف امكن حفظ سر علاقتها بهتلر؟.

الواقع أن الأسرار المتعلقة بشخص هتلر كانت تحفظ تماماً. فالسذاجة ليست من صفات موظفي الاستخبارات. كانت ايفا تعيش طوال الوقت في عزلة تقريباً في بيرشتسغادن. وكان الناس حولها يحترمون الصمت لأن أية هفوة قد تكلفهم غالياً. ثم أن أصلها المتواضع وقلة طموحها. اذ لم تبتغ يوماً ان تلعب دور

مدام بومبادور أو لولا مونتز. جعلاها تتمنى أن يجهل العالم وجودها. كانت ايفا رومنطيقية من عهد فاغنر. ان صح التعبير: كانت سعيدة بان تكون «سر الفورر».

من ناحية أخرى. فقد أدركت بلا شك. أن معرفة دورها من شأنها ان تحرك الغيرة وان تخلق لها عداوات أو حتى منافسات. اذ ان هتلر كان آنذاك حلم كل حسناء المانية.

أما بالنسبة للفورر. فسبب هذا السر بديهي. كان هتلر اكثر من دكتاتور أو رئيس دولة: كان بابا لدين جديد. وبالتالي كان عليه أن يبرهن عن تقشف في حياته الخاصة. كان بالنسبة لاتباعه «رسولاً» فوق الضعف البشري. وعزوبيته جعلت منه الزوج الخيالي لكل المانية. فلو شاع انه يتصرف كبورجوازي صغير أي كبقية الناس. لضعفت مكانته. قلبه اذن كان ملك المانيا وكذلك وقته.

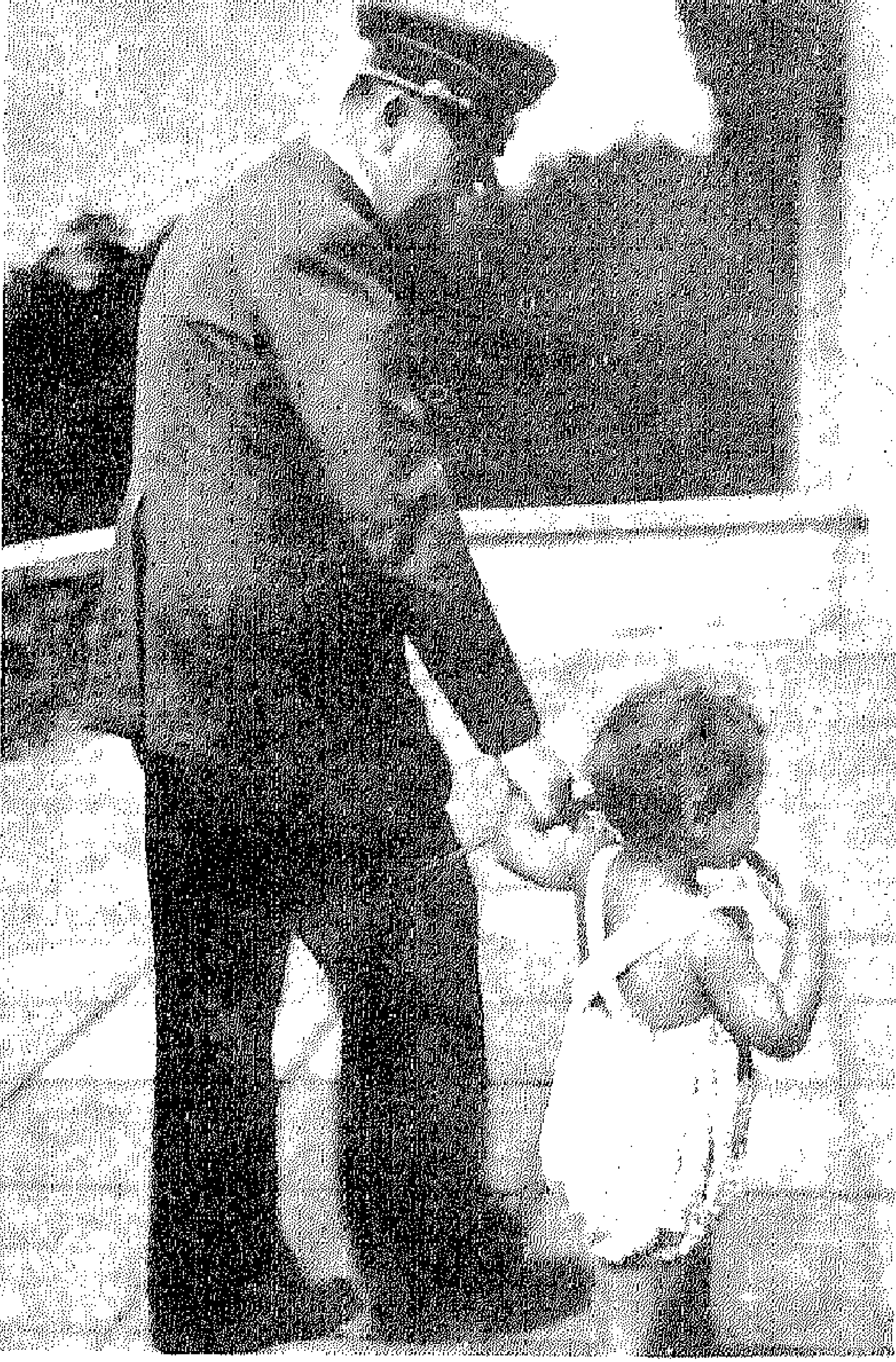
ومما يبين مدى الحرص على كتمان السر وعلى ابقاء ايفا مجهولة ما ورد في مذكرات تشيانو حول هتلر: «لقد سمعت ان الفورر معجب بفتاة رائعة الجمال. عمرها عشرون ربيعاً. لها عيون جميلة وصافية وملامح منتظمة وجسم مثير. اسمها سيغريد فان لابوس. وهما غالباً ما يلتقيان». كذلك وضعت الاستخبارات السرية في النمسا. بعد تحقيق أجرته في برلين وميونخ عن حياة هتلر الخاصة. لائحة بالاسماء لم يرد فيها ذكر ايفا براون.

الريفية الباحثة عن الثروة:

يبقى أن نتساءل: كيف تعرف هتلر على ايفا؟.

ولدت ايفا براون في ميونخ عام ١٩١٢. ويبدو انها كانت ابنة عائلة ميسورة. طفولتها كانت سعيدة. كانت تمارس التزلج على الثلج وعلى الجليد. وتسافر وترقص. وقد عرفت الحب الأول. أتت الى برلين ككثير من فتيات الريف الالماني آنذاك. لتبحث عن الثروة. كانت تطمح الى ان تصبح نجمة سينمائية. وقد عينت كمساعدة عند هوفمان على اثر استجابتها لاعلان ظهر في مجلة. وكان عملها يقتضي ترتيب الاجهزة والاهتمام بالافلام وتنظيم «النيغاتيف».

وهوفمان هذا مصور مغمور. اشتهر وجنى ثروة كبيرة بعدها سمي مصور هتلر الرسمي. اذن فقد تعرف



● هتلر ومن يعتقد انه طفله من ايفا.

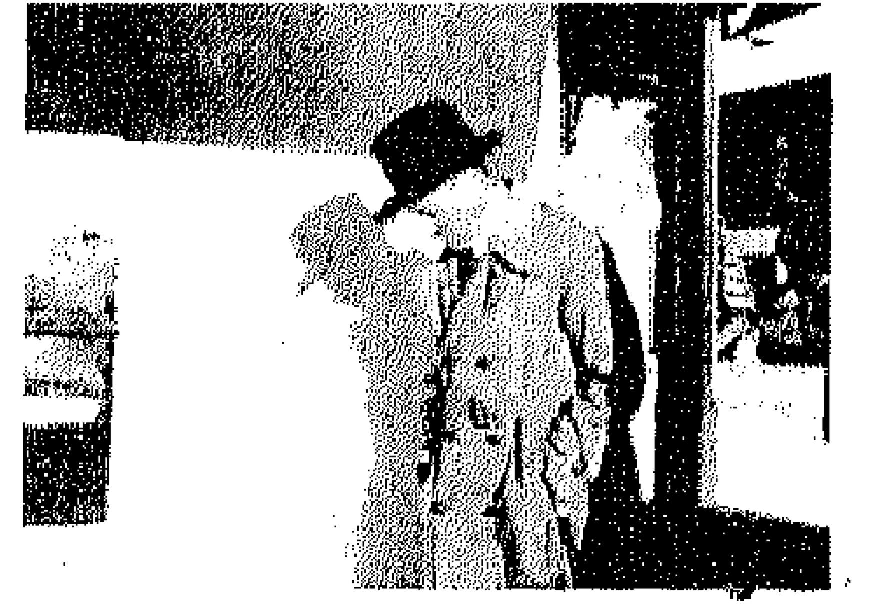
هتلر على ايفا براون التي كانت مهمتها بالتحديد تنسيق وترتيب صور الفورر. عند هوفمان. وقد تبع ذلك دعوات ولقاءات. إلاّ انها لم تكن منتظمة. الشيء المؤكد ان هتلر قد تأثر بتحفظ ايفا. إذ لم تصرخ من أعالي السطوح كالكثيرات آنذاك: «هتلر دعاني». أو «هتلر جاملني». بل التزمت بالصمت المطلق حتى مع أعز صديقاتها ومع عائلتها. وهذا طبيعي لأن أهلها عارضوا طويلاً هذه العلاقة. وقد دعاهم هتلر الى بيرشتسغادن لكي يرضيهم. وأفهمهم ان مصلحة البلاد تمنعه من الزواج. إلاّ أن نواياه صافية وأنه ينوي الاقتران بأيفا بعد انتهاء الحرب. وكان هذا أحد الوعود النادرة التي وفى بها هتلر.

وهناك صورة تظهر مدى حرص ايفا وهتلر على الكتمان. اذ يبدو فيها هتلر وهو يصافح صديقته كأي شخص آخر من الموجودين. وقد علقت عليها بهذه العبارات: «ومع ذلك. فهو يعرفني جيداً...».

كانت هناك أوجه تشابه بين ايفا براون وكلارا بتاشي. اذ كل منهما كانت عشيقة لدكتاتور وكل منهما عاشت في الخفاء وعلى عاتقه. لكن أوجه الشبه تظل سطحية. فبداية العلاقات بين «الدوتشي» وكلارا محاطة







● صفحة صور . شتاء ١٩٣٢ في بيرشتسغادن .



● ايفـا براون المصورة بالمهنة

بجو مشحون بالعاطفة . أما هتلر فقد اختار ايفا كما يشتري كتاباً أو تحفة . مع انه كان يكن لها عاطفة كبيرة . لم تكن ايفا بالنسبة له أكثر من قطعة اثاث في بيرشتسغادن . وان ضرورية .

اما ايفا . فلم تشعر يوماً بعاطفة قوية تجاه هتلر . كانت معجبة به ومتفانية في سبيله . ولكنها قبلت دورها كأي عاملة بسيطة دعيت فجأة للعيش برفاهية في كنف الآغاخان . والالبومات الثلاثة والثلاثون لا تحتوي على كلمة أو جملة واحدة تدل على انها كانت امرأة عاشقة .

لم تحدث اية مشادة بين ايفا وهتلر . ولا بين كلارا وموسوليني . هذه الأخيرة كانت تضحي بكل شيء من أجل الدوتشي . بعكس ايفا التي لم تكن لتقبل ان تشرب حتى فنجان شاي مع هتلر لو كان مجرد رجل عادي .

هتلر من جهته لم يكن يوماً عاطفياً كبيراً . له قصص حب قصيرة وان نادرة . إلاّ انها بقيت طي الكتمان . مما يفسر ما أذيع عنه من انه شاذ أو انه يكره النساء . وتأتي التأكيدات من زملائه انه كان لا يظهر أي اهتمام بالجنس اللطيف ومرد هذا الموقف الى خجله وكبريائه . إذ كان يخاف ان يرفض أو يسخر منه . ولقد صرح مرة لاصدقائه خلال دردشة في خندقه على الجبهة الروسية بالسبب الذي حال بينه وبين الزواج : «الفرص لم تنقصني . فعدة نساء تعلقن بي . اما لماذا لم اتزوج وقتذاك؟ فلكي لا أترك امرأة خلفي . فأية هفوة كانت تعرضني للسجن مدة ست سنوات . لذلك لم أفكر أبداً بتكوين عائلة» .

قريبة عزيزة جداً :

قبل معرفته بايفا . أحب هتلر ابنة شقيقته جيلي

روبال حباً كبيراً خلال صيف ١٩٢٨. كانت جيلي شقراء كسنابل القمح. مرحة. عمرها عشرون ربيعاً. فوقع هتلر في غرامها وباتا لا يفترقان. حتى شاعت علاقتهما. ويأتي ولیم شيرر في كتابه «الرايخ الثالث» ببراهين ثابتة عن هذه العاطفة التي حملها هتلر لابنة شقيقته.

وقد انتحرت جيلي روبال في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٣١ على اثر مشادة عنيفة حصلت بينها وبين هتلر. وقد تأثر ادولف كثيراً لموت حبيبته. لدرجة انه فكر هو ايضاً بالانتحار. وقد احتفظ حتى النهاية بصورة لها في غرفته الخاصة. كان يضع أمامها الزهور عندما تمر ذكرى وفاتها. هذا ولم تطلب ايفا يوماً نقل هذه الصورة. بل كانت احياناً تضع لها الزهور بنفسها. مما يميز جيداً طبيعة العلاقات بينها وبين هتلر.

إذن فقد عرف هتلر ايفا بعد وفاة جيلي ببضع سنوات وكان قد بدأ ينسى ويحس بحاجته الى وجود امرأة بقربه لترفه عنه. كان الاثنان يحبان السينما والتصوير والمساحات الواسعة والحياة الهادئة. ولم تكن ايفا تهتم بالسياسة. مما راق لهتلر لأنه كان يخلد الى الراحة والصمت في بيته ويتجنب التحدث بالمواضيع التي تشغله في المكتب. وكان يكره النساء اللواتي يتدخلن في شؤون الحكم.

وقد اضفت ايفا الحياة على هذا البيت الذي لولا وجودها لكان اشبه بسجن منه بمكان اقامة رئيس دولة. اذ كانت تهتم بكل الامور وتنظم الدعوات والحفلات. يقول عنها الفيلد مارشال فان كيتر: «كانت سيدة كبيرة. انيقة. نحيلة. شقراء. ذات ساقين جميلتين. كان لها طابع مميز ولا تفرض نفسها أبداً. كانت مقربة الى الجميع».

يقال انها حاولت الانتحار مرتين بسبب تغيب هتلر طويلاً عنها. ويشهد سائق الفورر بأنها «كانت اتعس سيدة في المانيا اذ كانت تمضي وقتها في انتظار هتلر». بالنسبة لي. لم اصدق حرفاً من هذه التصريحات. ألم يكن الانتظار مصير كل نساء المانيا تقريباً؟ هتلر على الأقل كان يعود الى بيته. أما بقية المحاربين فلم ينعموا بهذه السعادة. ثم ان بيرشتسغادن كانت. بخلاف بقية المدن. بمنأى عن القصف المتوالي.

من هو هذا الطفل؟.

خصصت خمس البومات لصور الاطفال. إذ كانت ايفا تحب أن تجد نفسها محاطة بهم. من هذه الصور واحدة يوجد منها المئات لطفل له سنتان أو ثلاث من العمر ويشبه هتلر الى حد كبير. ثم ان هذا الصبي لم يصور قط لوحده. بل دائما مع ايفا أو هتلر أو ايفا وهتلر. ونتساءل كيف ان هتلر قبل ان يقف مئات المرات امام عدسة المصور بصحبة هذا الطفل. وهو الذي كان دائم الانشغال ونادراً ما يسمح بأن تؤخذ له الصور علناً. ويبقى هذا سر الالبومات الكبير.



● هتلر بعدسة ايفا سنة ١٩٤٤: كانت ملابسه المدنية خالية من الاناقة.

ويوم ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥. وصلت ايفا الى برلين لكي تلحق «بالرجل الذي تحب. هذا بالرغم من أوامر هتلر الصارمة». والقاضية بملازمة البيت في بيرشتسغادن.

تريفور روبر في كتابه «أيام هتلر الأخيرة» ووليم شيرر في «الرايخ الثالث» يعتقدان بان ايفا اجبرت هتلر على الاقتران بها باتخاذها هذه الخطوة المستقلة. إلا أن الالمانية التي يتحدث عنها المؤرخان لم تعد هي نفسها فتاة ١٩٣٩. فأولاً. كل شيء يدل على ان ايفا لم تكن تجرؤ على عدم طاعة هتلر. بل لم يكن أحد يجرؤ على مخالفة أوامر الفورر ومساعدة ايفا على مغادرة

بيرشتسغادن. اذن فقد اتفقت مع هتلر على المجيء الى برلين. ولكن لماذا؟ هل نبالغ اذا اجبنا بأن هتلر كان



قد وعد العالم «برحيل على طريقة فاغنر». وككل فاغنر حقيقي. لا يمكن للبطل ان يموت دون ان تكون بطلته بقربه؟.

اقترن هتلر بايفا قبل يومين من وفاته. أي نهار ٢٩. وذلك في احتفال قصير. فما الذي دفعه الى هذه الخطوة؟ يقول في وصيته: «اذا لم اقبل مسؤوليات الزواج خلال سني الكفاح من حياتي. فقدقررت اليوم وقبل ان أموت. أن اتزوج المرأة التي جاءت بارادتها الى هذه المدينة شبه المحاصرة. بعد سنين من الصداقة المخلصة. لكي تشاركني مصيري. ستموت معي. بملء إرادتها. وبصفتها زوجة. هذا الموت سيعوض عن كل ما اضعناه نحن الاثنين خلال حياتي التي كرستها كلها لخدمة شعبي».

وفي اليوم التالي. بعد انتحارهما المزدوج. القي البنزين على جسميها وارتفعت السنة اللهيب في السماء الرمادية. وكأنها على مسرح أوبرا كبيرة. وذلك وفقاً لرغبة هتلر ●

من مجلة هيستوريا



كلمات دخلت التاريخ

● تاريخ الفن هو تاريخ تحرر الانسان.

أندريه مالرو

● تعبت من معاشرة العباقرة في التاريخ. تضاءلت شخصيتي حتى انني حين أريد التحدث عن نفسي لا أجدها. فنيت في حبهم حتى لم يعد لي وجود. ولم يبق سوى حبي لهم.

اندريه موروا

● ان صمت الكاتب عن احداث عصره يعتبر رأيا سلبيا في هذه الأحداث. وهو رأي لا بد ان تحاسبه عليه الاجيال التالية حساباً عسيراً.

سارتر

● اذا لم يكن للأمة مجد تالد وتاريخ ناطق وأثر باق، فلا تدوم سلطتها ولا تتأصل حضارتها.

ابن خلدون

٤/ تاريخ بطولة كرة القدم

١٩٥٠ : البطولة الرابعة تحولت الى مناحة بـر وطنيـة



ـق علم الدين

● بعد البطولة الثالثة في العام ١٩٣٨ استراحت الكرة قسراً فترة من الزمن بسبب اهوال الحرب العالمية الثانية ونتائجها المدمرة. ولم تستعد دورها إلا في العام ١٩٥٠ بعدما شجعتها الالعاب الاولمبية في بريطانيا قبل ذلك بسنتين (١٩٤٨) على إعادة جمع شمل الدول وشعوبها حول التنافس الرياضي بدل الصراع الدموي.

هذه المرة اختيرت البرازيل لتنظيم البطولة الرابعة لكأس العالم لكرة القدم. يومها كانت روح الحماسة هادئة نوعاً ما بسبب اليقين الطاغي في ترجيح الفوز السهل للفريق البرازيلي.

وبالفعل كانت كل الأجواء مهيئة لانتصار الفريق المضيف : فالشعب البرازيلي هو أكثر الشعوب حباً لكرة القدم الى حد ان طموح كل فرد يتلخص في الحصول على «بطاقة الاحد» لمشاهدة المباريات الاسبوعية لكرة القدم. لذلك لم يكن غريباً ان يفضل البرازيليون الفوز بكأس العالم على إحراز عشر جوائز «نوبل للسلام».

إضافة الى هذه الأجواء النفسية كان انتصارهم الساحق على الفريق الاسباني (٦-١) وعلى الفريق السويدي (٧-١) مدخلاً مناسباً جداً لفوزهم بالكأس عن جدارة كما كانوا يأملون.

لكن الطابع العام لهذه المباراة الدولية اتسم بالمفاجآت التي ربما فسرت المفاجأة الكبرى في النتيجة النهائية.

تجسدت المفاجأة الاولى في فوز الفريق الاميركي على الفريق البريطاني (١-٠). في الوقت الذي كان فيه رئيس الاتحاد الاميركي لكرة القدم يغادر البرازيل بحجة ان لا أمل في تسجيل أي هدف في مرمى البريطانيين، مشيراً إلى ان المهم هو مجرد مشاركة فريقه في الدورة. والاغرب من ذلك ان اللاعب الهايتي «غيتجنر» الذي كان يعتبر من لاعبي الدرجة الثانية، هو الذي سجّل هدف الفوز، مؤكداً بذلك أن لعبة كرة القدم لا تعترف بأية بديهيات عامة أو خاصة. ومما زاد في وقع الصدمة ان الفريق البريطاني المعروف



● أعضاء الفريق الاورغوايي.

بلاعبيه الماهرين وبصرامة تدريباتهم كان يشترك للمرة الأولى في بطولة كأس العالم بكرة القدم.

وكانت هذه المفاجأة الاولى مدخلاً للمفاجأة الاخيرة التي تحولت الى كارثة وطنية بالنسبة للفريق الخاسر. كيف ذلك؟

في الدور النهائي الذي جرى على اساس «التعاقب» (Poule) تنافس الفريقان البرازيلي والاوروغوايي على الكأس. وكان يكفي الفريق البرازيلي التعادل للفوز بالكأس.

انقلاب ثم ... مناحة وطنية

وامام المائتي الف مشاهد في ماراكانا. اكبر ملعب في العالم يومها. بدأ الشوط الاول بسيطرة البرازيليين على الملعب سيطرة تامة.

وفي الشوط الثاني كانت معنوياتهم مرتفعة للغاية الى حد انهم لم يكتفوا بصد الهجمات القليلة لمنافسيهم بل هم سجلوا هدفاً ابعدهم كثيراً عن مجرد فكرة الخسارة. وبدأت بعدها مسيرة تراجعهم المستند الى ثقتهم المفرطة في النفس. وكانت النكسة الاولى لهم هدف التعادل الذي سجله الاوروغوايي «شيافينو». وعلى رغم ذلك كان الوقت لصالح الفريق البرازيلي.



● جول ريميه يسلم الكأس للكابتن الاوروغوايي على عجل لتفادي الفوضى الكبيرة في الملعب.



● الهدف الذي أبكى البرازيليين: جيغجيا (رقم ٧) على بعد أشبار من الشباك. حيث استقرّت الكرة.

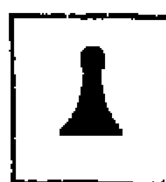
... لم يبق من الشوط الثاني إلا الاربع ساعة. فتبدل الجو السائد في صفوف المشاهدين واللاعبين على السواء: اللاعبون البرازيليون اصبحوا اكثر عصبية بينما مناصروهم على مدرجات الملعب في قلق ظاهر وهم. حسب التقاليد البرازيلية. يلوحون بمناديلهم البيضاء.

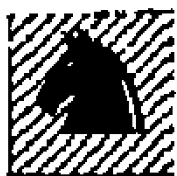
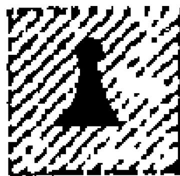
وفي بحر آلاف المشاهدين كان هناك رجل واحد بشعره الابيض لا يهمه من الامر كله الا مستوى المباراة حتى لحظاتها الاخيرة مع تمنياته القلبية بانتهاء هذه البطولة بسلام. وكان هذا الرجل هو نفسه جول ريميه. مؤسس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا).

وفي الدقيقة ١٢ قبل نهاية المباراة حلّت الكارثة على البرازيل في اسرها: اللاعب الاوروغوايي غيغجيا اخترق خط الدفاع البرازيلي وسجل هدف الفوز من غير ان يستأذن مشاعر الجمهور المصعوق. فتحطم في لحظة واحدة حلم البرازيل وتحولت مناديل الفرح البيضاء الى رمز للمناحة الوطنية.

ووسط البكاء والنحيب ولطم الوجوه كان جول ريميه يتأبط الكأس الذهبية ليقدمها الى اعضاء الفريق المنتصر الذين لم يكن همهم في تلك اللحظات الا التخفيف من وطأة صدمة زملائهم. وعبثاً بحث ريميه عن كابتن فريق الاوروغواي ليقوم بواجبه البروتوكولي تجاهه. فلم يجده إلاّ بعد جهد جهيد.

وللمرة الاولى تم تسليم كأس العالم لكرة القدم من غير احتفال رسمي. ●

ايطاليا

احترق بيت الخوري .. ومات الشاه

محمد مراد بكر

● كان بوي باولو الذي توفي سنة ١٥٩٨ أحد أشهر اللاعبين في عصره. وقد تنقل كثيراً في قصور أوروبا. ويروي كاريرا أن بوي هذا كان له صديق في البندقية يلعب معه الشطرنج. وكان هذا الصديق يغلبه دائماً. وصادف أن لعب مرة معه، وكان لا يزال خارجاً لتوه من الكنيسة بعد المناولة، فانتصر عليه. وأخذ بوي في كل مرة يتناول القربان المقدس قبل أن يلعب، فينتصر دائماً، مما حدا صديقه على القول ذات يوم: «ان وسائلك أقوى من وسائلي».

وممن أحبوا بوي الملك فيليب الثاني (الاسباني) الذي كان يحب اللعب معه بانتظام. وقد أغرق عليه الملك الهدايا، كما أجرى عليه أيراداً سنوياً يبلغ ٥٠٠ سكودي. وأحبه ولعب معه أيضاً سياستيان (البرتغالي). وربح في لشبونة في يوم واحد ثمانية آلاف سكودي. وقد طبقت شهرته الآفاق، واشتهر فنه، حتى أن البابا بيوس الخامس استدعاه يوماً إليه ليكرمه. واسره بعض التجار الجزائريين وباعوه عبداً الى أحد الأتراك، وكان هذا يحب الشطرنج كثيراً، فاستطاع بوي بفضل لعبه أن يفك أسره ويكسب من سيده الكثير. وقد سافر بعد ذلك الى اسبانيا فهنغاريا فتركيا، ثم الى إيطاليا. وعاد الى نابولي حيث مات حين سمّمته خادمته سنة ١٥٩٨. وكان يبلغ السبعين من العمر.

● اشتهر في ذلك العصر أيضاً كالفي، من مودينا. وكان نقيباً في الجيش سنة ١٨٤٢.

تجديد... ونصائح غذائية

● أما كاريرا (دون بيبر)، من صقلية، الذي توفي سنة ١٦٤٧، فكان من أمهر اللاعبين في زمنه. وكان يقصده اللاعبون من الأقطار كافة. وفي كتابه عن الشطرنج الذي صدر سنة ١٦١٧ أبدى كاريرا ملاحظات مهمة حول أصل اللعبة وكيفية اللعب دون رؤية الرقعة. كما ذكر أهم اللاعبين في عصره. وقد علق على كتابه هذا كثير من النقاد.

واخترع كاريرا قطعتين جديدتين بالاضافة الى القطع المعروفة اليوم. لكنهما أهملتا بوفاته. القطعة الأولى دعاها «كامبيوني» ووضعها بين الشاه والحصان والرخ. وتشبه في تحركها الحصان والرخ سوية. أما القطعة الثانية ودعاها «سنتور» فقد وضعها بين الوزير والحصان والرخ، وتشبه في مشيتها حركة الفيل والحصان. وكان على رقعته عشرة بيادق عوضاً عن ثمانية.

ونسي الناس هذا التجديد بعد وفاة مخترعه. وكان كاريرا ينصح اللاعبين بأن لا يكثروا من الأكل، وأن يتناولوا مسهلا قبل الجولة حتى يبقوا حاضري الذهن أثناء اللعب.

● شيرون كان من اللاعبين الاسبان الأقوياء. وقد عاش سنة ١٥٩٠. وذكره كاريرا في كتابه، على أنه أحد اللاعبين الذين يستطيعون اللعب استدباراً، وبقوة روي لوبيز.

● وأما الكونت كارلو كوزيو فألف كتاباً عن الشطرنج سنة ١٧٦٦ - ١٧٦٧، طبعت منه نسخ قليلة، وأصبح نادراً فيما بعد. ودرس هذا الكتاب الغامبيت وطريقة استرجاع البيدق. وقد أعادت نشره البلاميد سنة ١٨٣٨.

● أركول دي ريو قاضي مودينا ولاعب من الدرجة الأولى ألف كتاباً هو الآخر عام ١٧٥٠، أعيد طبعه سنة ١٧٦٩، ثم في البندقية سنة ١٧٧٣

وسنة ١٨٢٤ ، ثم في روما سنة ١٨٢٩ . وفي ميلانو سنة ١٨٣١ .

وقد قسم الكتاب الى قسمين ، الأول ويهتم بالافتتاحات ، وهو مؤلف من ٢٣ باباً ، والقسم الثاني من ثلاثة أبواب ، ويهتم بنهايات الجولات . والكتاب هذا قيم ، فالهجوم والدفاع مفصلان بتوسع ، وصاحب الكتاب هاجم كثيراً غامبيت الملك معتبراً إياه خطراً وغير سليم العاقبة ، كما يحاول انتقاد فيليدور الذي كان ينتقد خروج الحصان الى الخانة الثالثة مقابل الفيل

● أما جيواتشينو غريكو المدعو كالابروا فكان لاعباً ماهراً قل مثيله في ذلك العصر ، وتنقل كثيراً في بلاطات أوروبا وترك آثاراً مدهشة في الشطرنج . والتقى في فرنسا لاعبين مشهورين مثل دوق نيمور ، وأرنو دو كاراباك ، وشومون ، ولاسال . ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا مقارعته . فقد ربح منهم ٥٠٠٠ سكودي ، وسرق منه هذا المبلغ في انجلترا وكاد أن يخسر حياته . وقد كتب كتاباً ظهر لأول مرة سنة ١٦١٠ أو ١٦١٦ . وكان لعبه بديعاً . ودرس الغامبيت بتوسع لم يسبقه اليه مؤلف آخر . ولكن يؤخذ عليه أن الأبيض يربح دائماً في كتابه ، وأن الأسود لاعب فاشل دائماً ، أو ضعيف لعبه . وقد تأثر كثيراً بداميانو وروي لوبيز وكاريرا . والطبعة الفرنسية الأولى لكتابه تحمل تاريخ : باريس ، سنة ١٦٠٥ . وقد أعيد طبعها مرات كثيرة ، الا أن طبعة ١٦٦٩ كانت مهداة الى المركيز دو لوفوا الذي كان وزيراً للحربية .

هزيمة ... غرامية

● كما اشتهر في ذلك العصر سيدة في البندقية تدعى روزا لينوري عرفت بجمالها ومهارتها في الشطرنج . وكان بوي يلعب معها دائماً . ووقع أسير حبها . مما دعاه الى أن يرسل لها كراسا سماه «صريع الحب» . كان السبب في اغلاق أبواب قصر لينوري في وجهه .

● لولي جيامباتيستا . المولود في مودينا هو صاحب كتاب «ملاحظات فنية وعملية عن الشطرنج» . وقد صدر في بولونيا سنة ١٧٦٣ في ٦٣٢ صفحة . ويتميز هذا الكتاب بغناه بالملاحظات القيمة عن لعبة الشطرنج حسب الطريقة الايطالية . كما يحوي الكتاب حوالي مائة وضع صعب ألفها هو أو نقلها من مؤلفين مختلفين . وطبع هذا الكتاب بالايطالية سنة١٨١٧ ونسخته الفرنسية تحتوي على ١٢ وضعا لستاما . و ١٣ لريو . و ١٠ للولي . و ٥ لكانتا ربلي . و ٤ لسالفيو . و ٣ لغريكو . وواحد للودونيكو . وآخر لبلنسيني . وآخر لبارنتي . واثنين لكاسبروني . الخ . وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة فيينا .

● دكتور جيوفاني ليوناردو . الذي دعي «بوتينو» لصغر قامته . عاش ودرس في روما سنة ٥١٧٠ . وأهمل دروسه وتخصص بالشطرنج المنتشر كثيراً في ذلك الوقت .

وسنة ٥٧٤ وصل روي لوبيز الى روما ليطلب شيئاً من البابا . ولما سمع بشهرة ليوناردو ذهب اليه وهزمه بيومين متتاليين مما أغضب الشاب وجعله يترك روما الى نابولي حيث قضى سنتين يصقل مواهبه في الشطرنج . ولما ذهب الى مكان مولده علم أن اخاه وكثيراً من مواطنيه قد خطفهم أحد القراصنة . وطلب ٢٠٠ دوكا لفك اسرهم . فقام ليوناردو يلعب اللشطرنج مع قبطان السفينة على ٥٠ سكودي لكل جولة . وهكذا استطاع أن يفك أسر أخيه ويربح إضافة ٢٠٠ دوكا دفعها القبطان بأكملها للاعب الفائز .

وقد أعجب بلعبه ملك البرتغال وأغرقه بالهدايا ومنحه لقب الفارس الجوال .

ولما سمع به فيليب الثاني ملك اسبانيا اقترح عليه أن ينازل روي لوبيز دكوزي . وقد خرج من اللعب رابحاً فخلع عليه الملك الجواهر والفراء النادر ومبلغ ١٠٠٠ سكودي .

وتوفي في كالابريا وكان يبلغ ٤٦ سنة من العمر بعد أن دس له السم احد اخصامه عندما كان يزور بلاط الأمير بيسنيانو .

وقد كتب سالفيو كثيراً عن حياة ومغامرات ليوناردو . كما ترجمت البلاميد قصيدتين الى الفرنسية سنة ١٨٣٧ .

● بيا سنزو (فرنسي) صاحب كتاب مثير عن أصل الشطرنج وكيفية لعبه (١٦٨٣) شرح في كتابه تعديلاً للعب وفقاً لطريقة كاريرا .

....احترق بيت الخوري

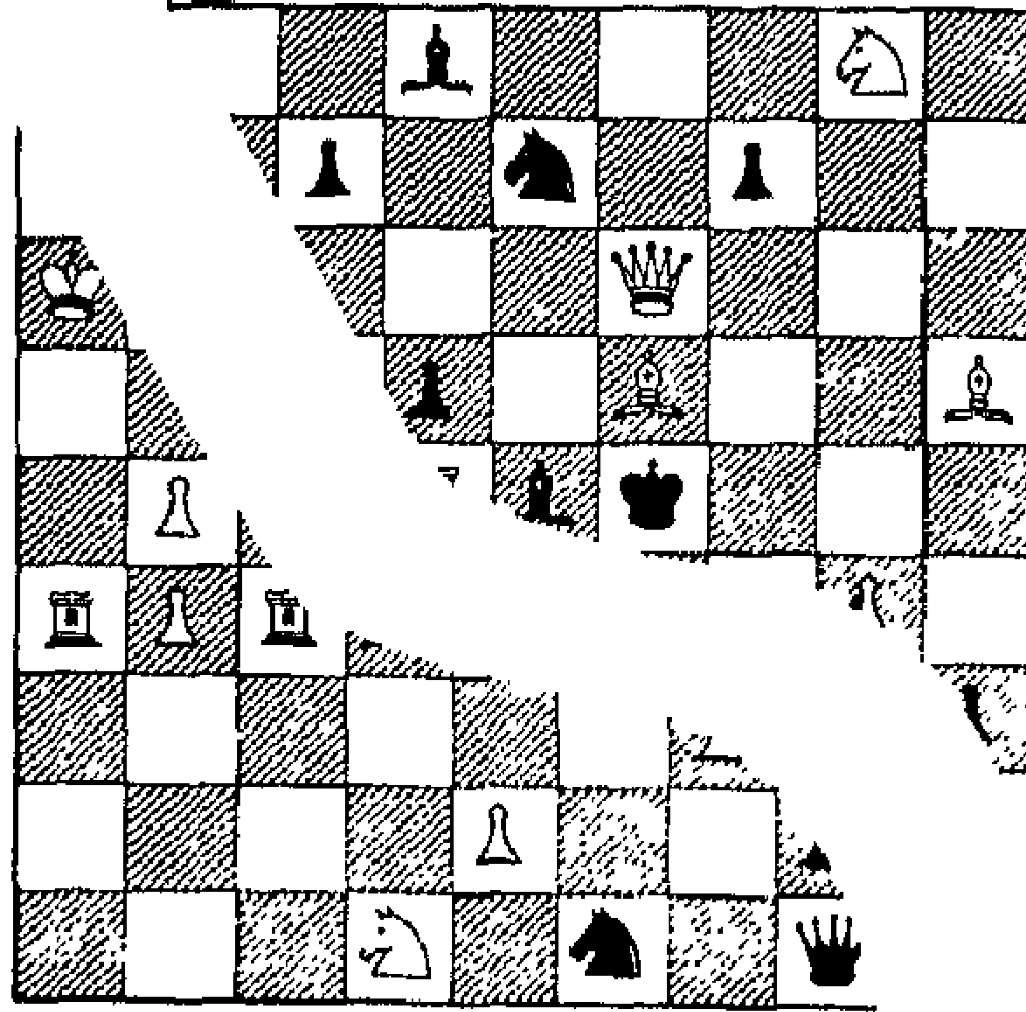
● بوليريو تلميذ ليوناردو . وأصبح فيما بعد من أبرع وأقوى لاعبي روما . ألف كتابا تحتفظ بنسخة منه المكتبة الملكية . ويروي ساكيي القصة التالية :

كان خوري الضيعة يلعب عادة مع أحد جيرانه ويهزمه ٥ مرات كل ٦ جولات. ولكن جاره لم يكن يوافقه. وفي يوم بعد أن هدد ملك خصمه كالعادة، عندها دق الخوري جرس الانذار ليحضر معاونوه ويكونوا شهوداً على انتصاره.

وعندما تكررت هذه القصة قرر أعوانه أن لا يلبوا طلبه ويزعجوا أنفسهم بالحضور.

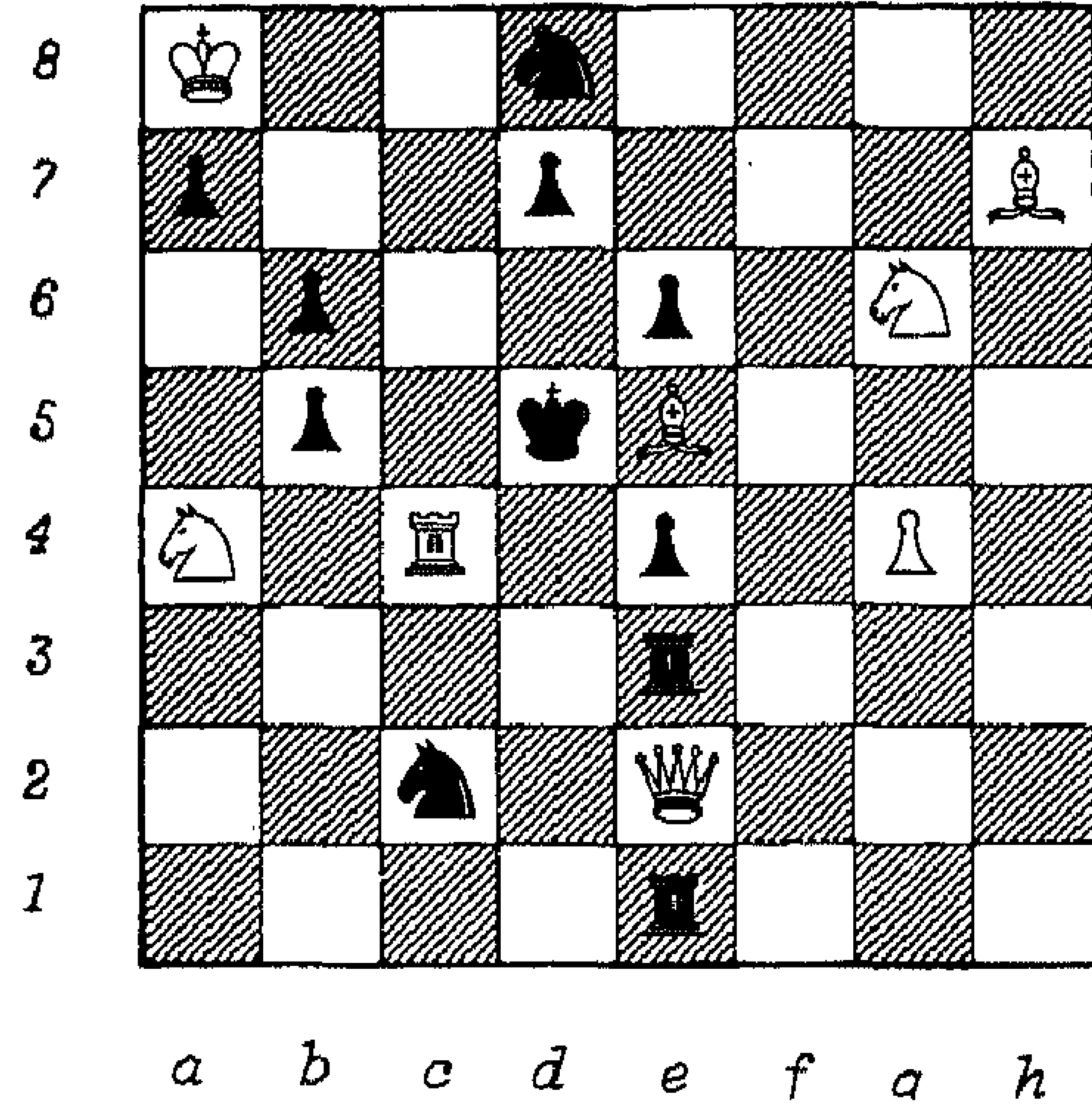
وفي ذات يوم شبت النار في منزله وقام يدق الجرس، فلم يزعج أحد نفسه ظناً منهم أنها دعوة للشهادة على خسارة الجار. وعندما عاتبهم في اليوم التالي قالوا له ظنناك تلعب الشطرنج.

ويروي الكاردينال سالفياتي أنه دعي كارميانو ليحكم بين لاعبين في الشطرنج ولما لم يكن يفهم في الشطرنج فقد حكم لصالح الفقير. قائلاً: لو كان الحق بجانب الغني لسلم الفقير دون نزاع. ●



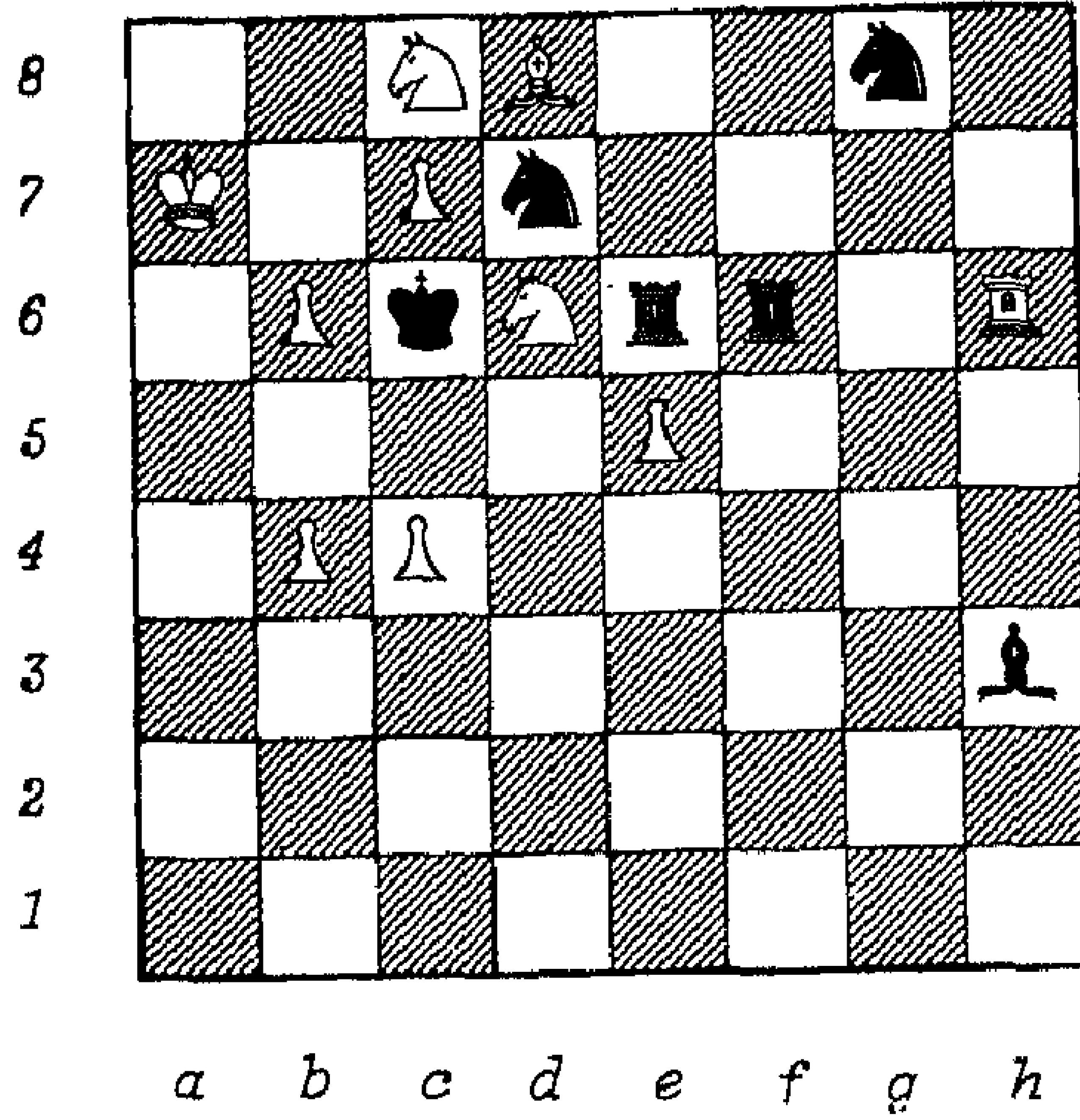
مسابقة الشطرنج

المسألة رقم ١٥



مات بنقلتين

المسألة رقم ١٦



مات بثلاث نقلات

حل المسابقة رقم ٦ :

المسألة رقم ١١ – المفتاح 1-DH 6

المسألة رقم ١٢ – المفتاح. 1-Cé 4

● قد يجد الجبان عشرات الحلول لمشاكله. ولكنه لا يختار من بينها الا حلاً واحداً هو الهرب.

مثل صيني

● قصم ظهري رجلان : عالم متهتك. وجاهل متنسك.

الامام علي

● لا يهز الاعصار الجارف ماء الحوض الصغير. ولكنه يقيم الخضم الواسع ويقعده.

العقاد

تاريخ الطوابع

اليمن

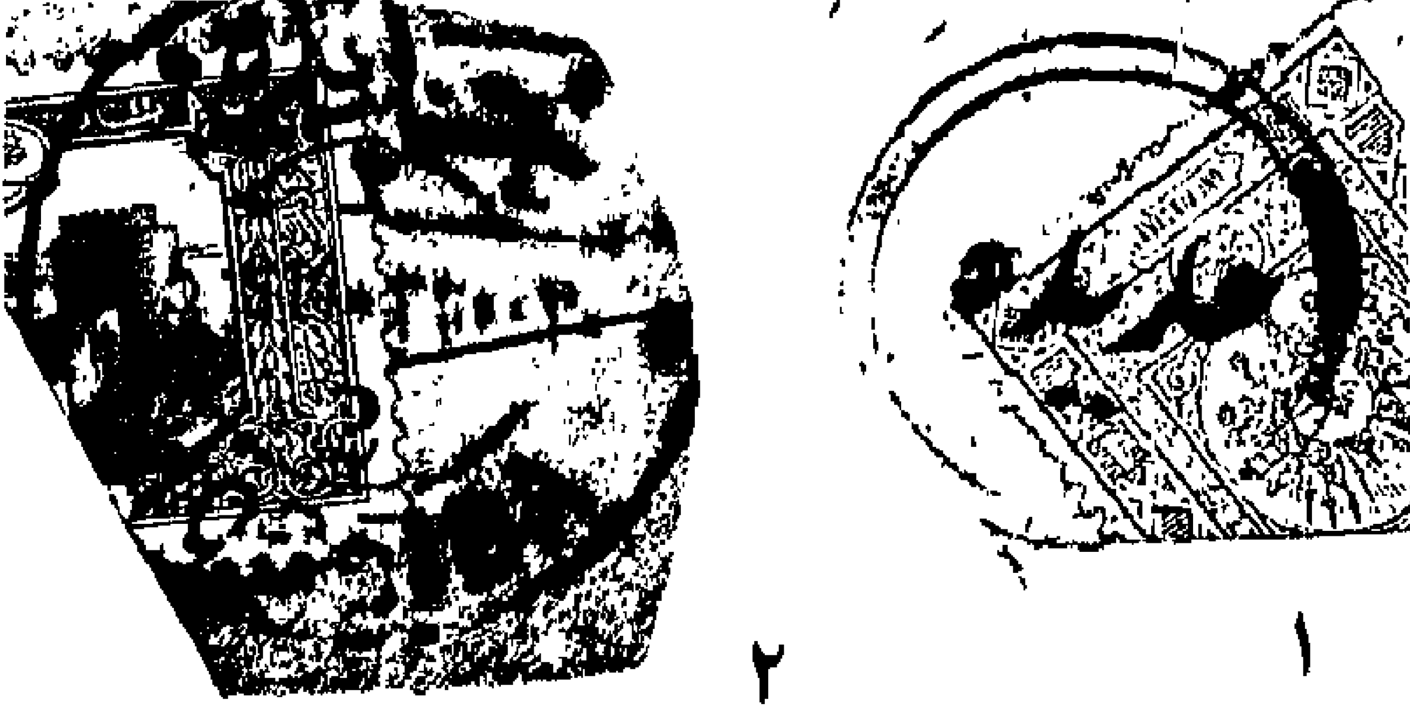
ميشال اسطفان

● تاريخ اليمن المسماة باليمن السعيدة طويل وشائق. انها كانت تتألف في القدم من أربع دويلات: سبأ ومعين وقطبان وحضرموت. فازدهرت الحضارة السبئية في نحو سنة ٧٠٠ قبل المسيح. ثم عقبتها الحضارة المعينية في نحو القرن الثالث قبل المسيح. وقد امتدت سلطتها إلى اريتريا فأسست فيها مملكة اكسوم في نحو سنة ٥٠٠ ق.م. كما اشتهرت بوقوفها في وجه الغزو الروماني سنة ٢٥ ق.م.

وانتقل الحكم بعدئذ إلى الحميريين. فكان لهم دور فعال في البلدان العربية قبل الاسلام. ثم تغلغل فيها اليهود والنصارى. ما بين القرنين الثاني والرابع المسيحي. وفتحها الاحباش في ذلك الوقت. ثم الأعجام سنة ٥٧٠ م ثم المسلمون سنة ٦٣١/٦٣٠. واشترك اليمانيون في الفتوحات العربية. غير ان البلاد احتفظت باستقلال نسبي فتعاقبت على الحكم فيها سلالات عدّة: الزيديون والمهديون والرسوليون والصليحيون.

وفتح العثمانيون البلاد في سنة ١٥٧٠ م. لكنها ما لبثت ان عادت إلى حكم السلالات المحلية بخروج العثمانيين منها سنة ١٦٣٥ الذين عادوا ثانية سنة ١٨٧٢. فخضعت لهم حتى تركوها على اثر الثورة التي شنها عليهم الامام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين (١٨٦٩ – ١٩٤٨) الذي كان يمثل السلطة محلياً منذ سنة ١٩٠٤ فاحتل صنعاء سنة ١٩١٨ وجعلها عاصمة لمملكته المتوكلية المستقلة.

اغتيل الامام يحيى سنة ١٩٤٨ فخلفه ابنه الامام أحمد الذي لبث في الحكم حتى اطاحت به الثورة المعروفة. فاغتيل في ١٨ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٢. لكن ابنه الأمير بدر بقي يقود العشائر المقاتلة إلى ان تنازل رسمياً وترك البلاد في أيار (مايو) ١٩٧٠.



١ ٢

تقسم اليمن حالياً إلى دولتين:

١ – اليمن الشمالية وعاصمتها صنعاء يحدّها غرباً البحر الأحمر. وشرقاً وشمالاً المملكة العربية السعودية. وجنوباً جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. وقد انضمت إلى الجامعة العربية سنة ١٩٥٤. وهي المقصودة في البحث أعلاه.

٢ – جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية الديمقراطية وعاصمتها عدن. وهي تضمّ امارات اتحاد الجنوب العربي السابق ويتألف من محميتي عدن الغربية والشرقية وحضرموت.

هذه الجمهورية الحديثة هي جزء من اليمن القديمة. لكنها اشتهرت في عهد المملكة السبئية في القرن الثاني ق.م. وازدهرت تجارتها بعد استعمال مضيق باب المندب: فتحها العرب سنة ٦٣٦ م ثم العثمانيون سنة ١٥٣٨ م إلى سنة ١٦٣٠ م. وبعد ان عادت إلى الحكم الذاتي دخلتها القوات المصرية سنة ١٨٣٨ إلاّ ان السلطات البريطانية احتلت في السنة التالية أي سنة ١٨٣٩ مقاطعة عدن بحجة تموين بواخرها بالمياه. ولم تتركها إلاّ في سنة ١٩٦٧ عند اعلان جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. وقد انضمت إلى جامعة الدول العربية في السنة نفسها أي سنة ١٩٦٧.

تاريخ الطوابع – كان أول ظهور الطوابع البريدية سنة ١٨٤٠ في بريطانيا. ثم حذت حذوها بلدان أوروبا وأمريكا إلى ان عمّت العالم. اما في المملكة



٣

اليمنية. فلم تظهر الطوابع إلاّ في عهد الاحتلال العثماني الثاني الذي استعملت خلاله اصدارا لسنة ١٨٦٥ وما بعد. كما كانت تُستعمل هذه الطوابع نفسها في اجزاء شتّى من أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط. وكانت تميّز بالاختام التي تحمل اسم البلد المستعملة فيه. فكانت أولاً اختاماً نحاسية مفرغة ثم تطورت فصارت عادية. (صورة ١ - ٢).

على أثر الحرب العالمية الأولى. انسحبت الدولة العثمانية من اليمن سنة ١٩١٧ لكن طوابعها بقيت قيد الاستعمال حتى سنة ١٩٢٩ جنباً إلى جنب مع طوابع أول مجموعة يمنية طُبعت محلياً سنة ١٩٢٦ على ورق قديم نمساوي يحمل العلامة المائية بشكل أسطر متلاصقة. وخصصت للاستعمال الداخلي. وكانت مؤلفة من ثلاثة طوابع (صورة ٣). كتب عليها بالاضافة إلى الفئة «صنعاء الحكومة الاسلامية المتوكلية بريد اليمن يحيى نصره الله». وهناك فئة نصف ثمن عمادي طبعت على ورق أبيض. والفئة نفسها طبعت على الورق ذاته ولكن بعد تلوينه بالزعفران كي يصبح برتقالياً. والفئة الثالثة بقيمة ثمن عمادي. وكان العمادي يساوي ٤٠ بقشة أي ما يعادل وقتئذ نحو ثلاث ليرات لبنانية.

صدرت هذه الطوابع الثلاث بدون تخريم ولا صمغ. أما الأختام الأولى التي استعملت فكانت نحاسية مستديرة مفرغة. حفر فيها «بريد صنعاء الحكومة الاسلامية المتوكلية». وختم آخر حفر فيه «صنعاء البرق والبريد المتوكلي سنة ١٣٤١» (صورة ٤). وهناك أختام أيضاً لغير صنعاء. ثم صُنعت الاختام المتطورة التي تحمل اسم البلد والتاريخ الهجري والافرنجي (صورة ٥).

أما المجموعة الثانية فقد صدرت سنة ١٩٣٠ مؤلفة من ست فئات ١ و٢ و٤ و٦ و١٠ بقشات و عمادي واحد. استعملت للبريد الداخلي والخارجي.

ثم تلتها مجموعة مماثلة لكن بألوان مختلفة. صدرت سنة ١٩٣١ مؤلفة من ١١ طابعاً وقد طُبعت بالمانيا على الورق الالماني المستعمل في حينه للطوابع الالمانية (صورة ٦ - ٧).

وفي ١٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٩ صدرت



٥ ٤

أول مجموعة تذكارية لمناسبة الذكرى الثانية للحلف العربي. مؤلفة من ستة طوابع (صورة ٨) طبعت بمطابع انكليزية. وهي المجموعة الأولى التي طبع كل طابع منها بلونين. ومما يلفت النظر في اصدارات اليمن اللاحقة هو اختلاف دور الطباعة التي كلفتها الحكومة اليمنية. وكأنها بذلك ارادت ارضاء معظم البلدان المُمثّلة لديها سياسياً. كما سنلاحظ من الشرح اللاحق.

هناك ثلاث مجموعات تالية. منها مجموعة عادية مؤلفة من ١٣ طابعاً صدرت في أول كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٠. ثم مجموعة أجور مستحقة مؤلفة من ثمانية طوابع صدرت سنة ١٩٤٢. ثم مجموعة تذكارية ثانية مؤلفة من أربعة طوابع لذكرى المستشفى المتوكلي. كلها طبعت في دار للطباعة في لندن. وبعدها صدرت مجموعات عادية وتذكارية وحكومية لا مجال للشرح عنها مفصّلاً لضيق المكان. وقد طُبعت في فرنسا وايطاليا والنمسا وسويسرا ومصر.

والجدير بالذكر. انه كان يحدث دائماً نقص في فئة ٤ بقش للاستعمال الداخلي. لعدم طباعة كميات كافية من هذه الفئة المطلوبة للرسم الداخلي والمستعملة في ٩٠ مكتب بريد يمني. فكانت ادارة البريد مضطرّة لايجاد مخرج لهذه الحاجة. فلجأت إلى حفر ختم نحاسي خاص لتوشيح بعض فئات الطوابع الزائدة على الاستعمال لجعلها تساوي الفئة المطلوبة أي ٤ بقش.

ختم التوشيح هذا كان يستعمل باليد وليس عن طريق المطبعة مما جعله يظهر غير واضح وغير مستقيم وأحياناً لا يقرأ. شكله مستطيل حفر فيه «بريد اليمن ٤

Yemen (صورة ٩). وصنع مثله أكثر من مرة مما غيّر مقاسه في كل مرة. وهكذا كانت توشح فئات مختلفة ومن اصدارات عدة كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وهذه الفئة الموشحة أربعة بقش تجدها على فئة ١/٢ بقشة وواحد واثنين وثلاثة وخمسة بقشات من اصدارات عدة وأصبح عددها ٢١ نوعاً مختلفاً. (ما عدا اختلاف المقاسات) وأصبحت قيمتها التجارية مرتفعة لعدم تقدير العدد الموشح منها.

وعندما انقسمت المملكة إلى دولتين بعد الامام أحمد سنة ١٩٦٢ كما ذكرنا. رأس الأمير بدر نجل الإمام أحمد الدولة الملكية. ولم يصدر طوابع خاصة في البدء بل وضع في الاستعمال الطوابع التي حصل عليها من المناطق التي يحتلها بمساعدة أعوانه والقبائل الموالية له. ووشحها كالآتي: «اليمن الحرة تجاهد في سبيل الله والامام والوطن» وبالانكليزية

"Free Yemen Fights for God, Imam, Country"



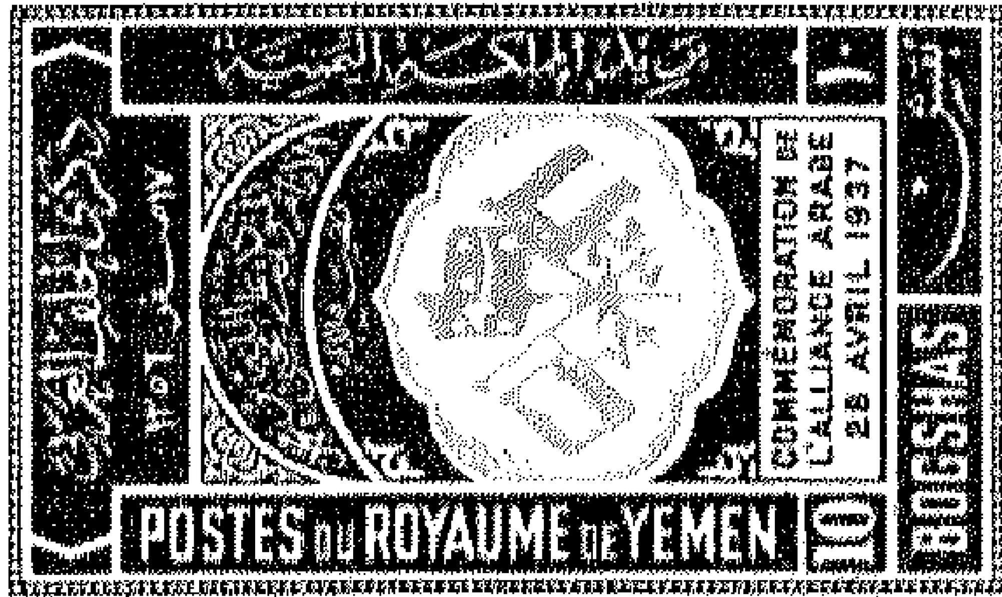
٦

غ – وكانت هذه الاصدارات كثيرة الاصناف ومتنوعة التوشيحات أحياناً. ويزيد عددها على ٣٢ طابعاً. ثم تلتها اصدارات خاصة طبعت في الخارج وتحت اسم «المملكة المتوكلية اليمنية».



٧

أما طوابع الجمهورية. فكانت بدايتها بالتوشيحات أيضاً فبعد استيلاء الجمهوريين على زمام الحكم بمساعدة القوات المصرية. أخذت ثلاث مجموعات متيسّرة وقتئذ. وهي مجموعة آثار مأرب مؤلفة من عشرة طوابع. وأخرى تظهر أبنية اليمن الشاهقة. مؤلفة من خمسة طوابع وثالثة لمركز الأمومة والطفولة مؤلفة من أربعة طوابع. وشحتها كالآتي:



٨

«الجمهورية العربية اليمنية ١٣٨٢/٤/٢٨ – ١٩٦٢/٩/٢٧» وبالانكليزية "Y.A.R. 27.9.1962" وكان عددها محدوداً. وصدرت في أول كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٦٣. ثم تلتها مجموعات خاصة بالثورة وأخرى مجموعات ملكية تذكارية وشحتها كذلك. وطُبع معظمها في مصر وبعضها في أوروبا.



٩

وبعد الاتفاق الذي تم بين الأمير بدر والجمهوريين سنة ١٩٧٠ كما ذكرنا آنفاً. توحّدت طوابع اليمن وأصبحت كلها تصدر باسم الجمهورية العربية اليمنية.

أما طوابع جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. فلها حديث سيأتي في عدد قادم.

مسابقة العدد

أفقياً :

١ – عاصمة عربية. الطلاقة والبشاشة. ٢ – نهر لبناني. نصف جارح. ٣ – اسرع. أصل ومبدأ كل شيء. ٤ – أسد. رئيس انجليزي راحل (معكوسة). ٥ – شاعر فرنسي راحل (معكوسة). ٦ – للنبي. بيع نهى عنه الرسول (معكوسة). ٧ – منطقة في الكويت. ٨ – يلين ويسترخي. الانتفاخ. ٩ – ملكة مصرية.

عمودياً :

١ – بطل تغلّب على الصليبيين. ٢ – منسوب الى نهر مشهور بطوله. ضمير متصل. ٣ – نصف طعام (معكوسة). وعاء الخمر. ٤ – متشابهان. سقي. ٥ – في الوجه. اماتة (مبعثرة). ٦ – المنسوب إلى كبير الاكليروس (معكوسة). ٧ – الخليفة العباسي الأديب الشاعر. ٨ – ملكة مصرية. ٩ – من أمارات الخليج.

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
			■						١
		■							٢
			■		■	■			٣
				■					٤
							■		٥
					■	■			٦
							■		٧
					■				٨
	■								٩

حل مسابقة العدد السادس

أفقياً :

١ – فلسطين. ما
٢ – آحاب. مهل.
٣ – دارنا. دق.
٤ – م. ليال. أي.
٥ – حل. الأقصى.
٦ – ليل. رد. مم.
٧ – ت. سينا. ست.
٨ – يافا. مي.
٩ – قرب. حيفا.

عمودياً :

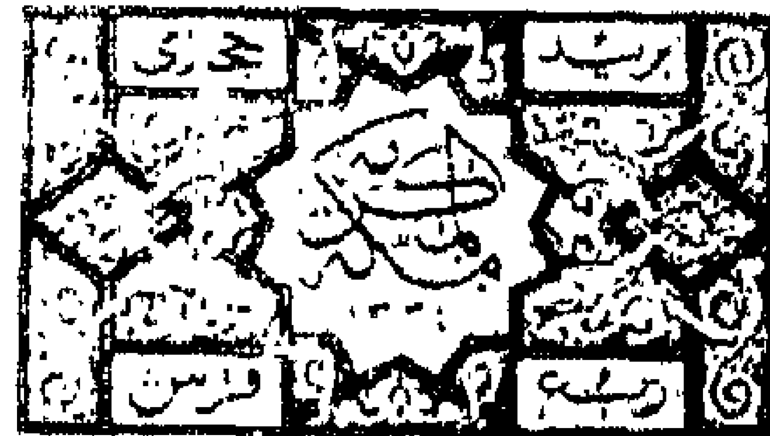
١ – فا. بيت لحم.
٢ – لحد. لي. آر.
٣ – سائل. لافق.
٤ – طبريا. ان.
٥ – ي. ناصرتي. أ.
٦ – ن. القدس. ف.
٧ – م. أ. يم.
٨ – مهد المسيح.
٩ – القيامة.

نتائج مسابقة العدد السادس

كثير من القراء أرسلوا اجابات صحيحة دون قسيمة. ونأسف لعدم اشتراكهم بالقرعة. ونرجو التنبه لهذا الأمر.

الرابحون الثلاثة هم :

- سامي النجار. الكويت. ربح مائة ليرة لبنانية (جائزة أولى).
- السيدة منى ضيعة. ص ب ٢٠٠. طرطوس. سورية. اشتراك سنة (جائزة ثانية).
- السيد عماد الدين ظبيان. المهاجرين. دمشق – سورية. اشتراك نصف سنة (جائزة ثالثة).



للطلاب فقط...

اعداد سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد أقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد. ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

والمطلوب الإجابة على الأسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة لاختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت، صديقي القارئ، بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا أن ترسل الحلول مع القسيمة الى عنوان المجلة، مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتغفل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة مخصصة للطلاب.. وللطلاب فقط.

من هو؟

● كيميائي عربي (...–٨١٥م).

أدخل تحسينات على طرق التبخير، والتصفية، والانصهار والتقطير والتبلور. كما استطاع أعداد الكثير من المواد الكيميائية كسلفيد الزئبق، وأكسيد الأرسين. هو أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج، وأول من أكتشف الصودا الكاوية.

من هو؟

● فيلسوف ورياضي اغريقي. مفكر بارز، ومؤسس مدرسة فلسفة وديانة في جنوب ايطاليا. اعتقد بتناسخ ما يسمى بالأرواح. لذلك كان نباتياً. أسس منهاجاً من الأخلاقيات لخلاص الروح.

من هو

● فيلسوف فرنسي. مؤسس الفلسفة الوصفية التي ترفض الميتافزيقا، وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة. هدفه الأسمى هو اصلاح المجتمع ليعيش الناس في توافق وانسجام. ومذهبه مبسوط في كتابه «محاضرات في الفلسفة الوصفية».

ماهي؟

● أنشئت......... بموجب القرار ١٧ الصادر من مجلس الوحدة الأقتصادية العربية في آب ١٩٦٤. وذلك «تنفيذاً لاحكام الوحدة الأقتصادية...». أبدت بعض الدول العربية استعدادها للتوقيع على هذا القرار شرط أن لا يلزمها ذلك باتفاق الوحدة.

من هي؟

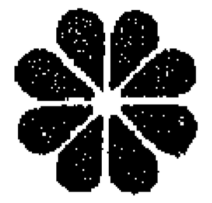
● أطلق عليها البرتغاليون اسم (جبل الأسد) في القرن الخامس عشر. تبلغ مساحتها ٢٨,٠٠٠ ميل مربع، أما عدد سكانها فيبلغ حوالي مليونين و ٨٥٠,٠٠٠ نسمة. تقع عند مرفأ يعتبر من أكبر المرافئ الطبيعية في العالم كله. يعتبر الألماس والكروم مصدري ثروتها.

أجوبة مسابقة العدد الخامس

١ – كوبرنيكوس.
٢ – دير ياسين.
٣ – شرم الشيخ.
٤ – معركة المارن.

أجوبة مسابقة العدد السادس

١ – عبد الله الزاخر
٢ – صلح اوترخت
٣ – دوله فيجي.
٤ – طالس.



الجوائز هي:

● الفائز الأول: مائة ليرة لبنانية.
● الفائز الثاني: اشتراك سنة في «تاريخ العرب والعالم».
● الفائز الثالث: اشتراك نصف سنة في المجلة.

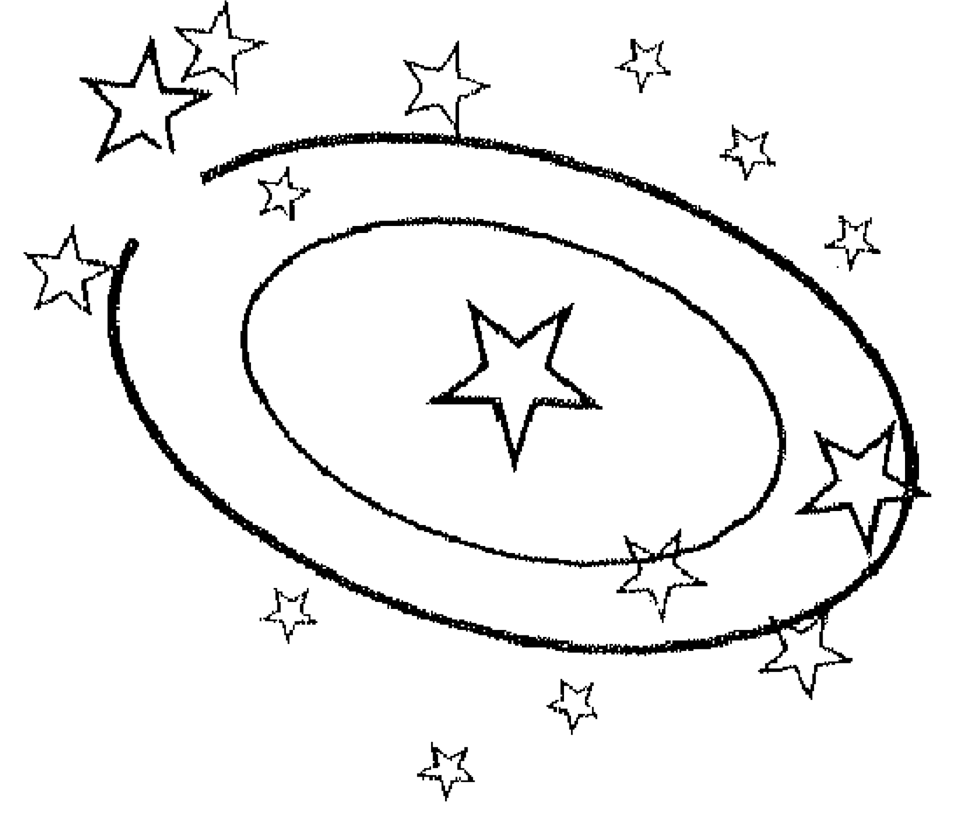


الفائزون في مسابقة العدد السادس.

● الفائز الأول: غسان الحلبي – كلية المقاصد الاسلامية – بيروت.
● الفائز الثاني: سامر تكريتي – معهد الحرية (اللايبك) شارع بغداد – دمشق.
● الفائزة الثالثة: سناء عامر – ثانوية ابن خلدون – بيروت.

الأبراج الفلكية

برج الجوزاء



منى تنير

(٢٢ ايار - مايو - ٢٢ حزيران - يونيو)

● عرف برج الجوزاء منذ أقدم العصور وخصوصاً عند الفرس. ويرمز اليه بصورة شخصين (ذكرين او انثيين لا فرق) وذلك نسبة الى النجمتين الاكثر لمعاناً ضمن مجموعة النجوم التي تشكله. وهما نجمتا «كاستور» و «بولوكس».

والمعروف ان الاساطير الاغريقية تزخر بسيرة كاستور وبولوكس اللذين تضعهما في مصاف أولاد الإله زيوس. وهما حسب الأساطير. نقلا بعد وفاتهما إلى السماء بأمر من الاله زيوس فأصبحا منذ ذلك الوقت نجمتين متلألئتين متضامنتين ترمزان إلى تلازم النقيضين في وحدة لا تنفصم.

وظل الاغريق يقدسونهما على اساس انهما من آلهة الشباب والرياضة. وكان لهذه الأسطورة نفوذ كبير في حياة الشعوب المتعاقبة الى حد أن بعض الكتاب الاوروبيين في القرن الثامن عشر أستوحوا منها مسرحية درامية سميت باسم «كاستور وبولوكس».

يمتاز مواليد برج الجوزاء بعقلانيتهم: فهم اذكياء يتكيفون في سرعة مع كل ظرف مستجد، ويتصفون بالتالي بيقظة الذهن وسرعة الحركة. ما يهمهم اكثر من اي شيء هو الأفكار ودلالاتها والكلمات وما وراءها. لذلك فهم ينبضون حيوية ونشاطاً في المناقشات الرصينة منها والسطحية.

انهم يبدلون العديد من افكارهم مما يجعلهم احياناً يتحولون الى «محامي الشيطان».

لم تعط صفة «الجوزاء» (اي الازدواج) في هذا البرج صدفة. اذ ان مواليد هذا البرج لا يكتفون بتحمل مسؤولية محددة: فهم غالباً ما ينفذون في آن مشروعين. كما يتورطون في حبين معاً. حتى انهم لا يسعدون الا اذا عملوا في مهنتين.

في اختصار انهم يبحثون دوماً عن التغيير.

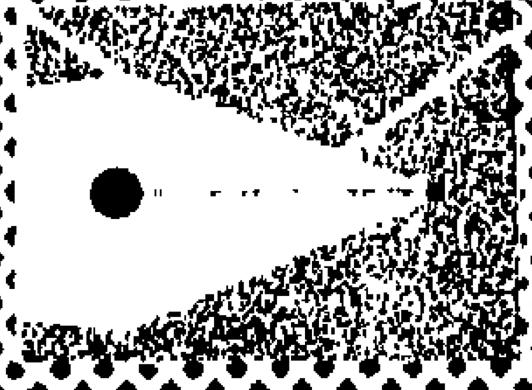
من هنا نفهم لماذا تكون اعمالهم غير منتجة في اغلب الاحيان. كما نفسر سبب سطحية معلوماتهم وضبابية ثقافتهم.

والغريب انهم في الوقت نفسه صبورون ويميلون الى السرعة اكثر من التسرع. وهم في حاجة مستمرة الى الاتصال بالغير: ينجحون عادة في اقامة علاقات تعاون وصداقة مع الآخرين. خصوصاً مع الذين تربطهم بهم مصالح مشتركة.

واخيراً إن مواليد هذا البرج لهم ميل واضح نحو المحافظة على العلاقات العائلية. وبالتحديد مع الاشقاء والشقيقات.

إستناداً الى ابحاث العلماء فان برج الجوزاء له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي الرئتين ومحيطها. وخصوصاً الذراعين.

من الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث التي ولدت في برج الجوزاء نذكر: -الكاتب البريطاني السير آثر كونان دويل -المخرج السينمائي الاميركي آيان فليمنغ -الرسام الفرنسي بول غوغان -الممثل الاميركي بوب هوب -جون ف. كينيدي. رئيس الولايات المتحدة الاميركية (١٩٦٠-١٩٦٣) -الممثلة مارلين مونرو -الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان -الشاعر الاميركي والت ويتمان -هنري كيسينجر ●



بريد القراء

● **عبد الله محمد حاج عبدو. كفر صفرة - سوريا.**

أرسل تحياته إلى المجلة واسرة تحريرها. وأرفق قصة قصيرة عن وداع هكتور لزوجته اندروماخي. حين خرج للقاء آخيل. في حرب طروادة. والوداع رقيق جداً. نشكر الأخ عبد الله لمساهمته. ونعتذر عن عدم نشرها لضيق مجال بريد القراء.

● **فيصل محمد شقير. كلية التربية. جامعة دمشق.**

تكراراً يعتبر ان المجلة أغلى من غيرها. وتكراراً نؤكد له ان مجلتنا تصدر عن مؤسسة خاصة مستقلة. ولا يمكنها إلا أن ترد أكلافها. في حين تستطيع مجلات كثيرة غيرها أن تصدر بخسارة. لأن دولاً تدعمها مالياً. ويرى ان المجلة تهتم «بموضوعات منسية لا فائدة من ورائها مثل موضوع فخر الدين المعني الثاني». ويدعو إلى الاهتمام «بقضايا عالمية معاصرة». والا كفت المجلة عن أن تكون مجلة تاريخ. ثم ان موضوعاً مثل موضوع فخر الدين المعني الثاني. لا يمكن القول ان لا فائدة من ورائه. لأنه يتعلق باعادة فهم تاريخ ودوافع حاكم عربي. لا تزال بلاده تتأثر أيما تأثر بما بدأه من علاقات مع أوروبا. واذا أردنا أن نستعير كلامك يا أخ فيصل. مأخوذاً من مقالتك: «دراسة التاريخ. أهميتها وفوائدها» (وهي مقالة كنا نستعد لنشرها. لولا اننا فوجئنا بنشرها في مجلة أخرى) لقلنا معك ان التاريخ هو بمثابة الذاكرة للشعوب. تحفظ فيها تجاربها وتزداد خبرتها. لذلك فاننا نجد كل الفائدة في استعادة كل أوجه التاريخ البشري مهما كان قديماً. لأن فيها فائدة مؤكدة. وخصوصاً تاريخنا.

أما عن اقتراح توحيد المسابقات فان ذلك قد لا يرضي قراءنا الذين قد تختلف اهتماماتهم. من شطرنج إلى تاريخ إلى كلمات متقاطعة إلى رياضة.

ولن يكون في استطاعتنا أن نحقق الآن اقتراحك ان تكون الصفحات الداخلية ملونة. لأن الأكلاف عندئذ ستضطرنا إلى زيادة السعر الذي تشكو من ارتفاعه. وعلى أية حال. نشكر لك اهتمامك. ونرحب باقتراحاتك التي تمكننا من رؤية الأمور من زاوية جديدة ومفيدة.

● **محمد حسين السوسي. تطوان.** المغرب.

يحيي المجلة ويقول انها «زاخرة بالابحاث التاريخية القيمة. وأنا بحكم مهنتي كأستاذ لمادة الاجتماعيات بأحدى المدارس الثانوية بتطوان يهمني كثيراً قراءة مثل هذه الأبحاث». ويضيف: «خصصت المجلة ركنا للشطرنج يحرره رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج الذي سبق لي ان اتصلت به كتابة منذ عدة سنوات. واني أنوه أيضاً بهذا الركن الطريف خاصة» إن رسالتك يا أخ محمد تمدنا بحافز آخر. فنشكر لك اهتمامك.

● **محمد شحادة عباس، صيدا، لبنان.**

اشترك في مسابقة الطلاب دون قسيمة. ونكرر ان المشترك دون قسيمة. لا يشترك بالقرعة. كما نكرر أن يكتب القراء أسماءهم وعناوينهم على الرسالة. وليس فقط على المغلف. وعلى كل حال الاجابات ليست كلها صحيحة. وليس مطلوباً أن تكون الاجابة مطولة بل مختصرة.

وانتهز الأخ محمد المناسبة ليشكر للمجلة «مواضيع المناقشة حول فخر الدين. فقد اتخذت من المجلة مرجعاً لمناقشة مدرسنا، الذي أعجب بموضوعيتها».

وهذا مما يسرنا، ونشكر لك اهتمامك.

● **نبيل نقولا الدبس. المينا - طرابلس. لبنان.**
يقترح وجود «زاوية تتخصص بنوعية الشباب العربي وضرورة اهتمامهم بقضايا امتنا العربية وعدم التعلق بالقشور. وأرجو ان لا تعتبروا ان مثل هذه الزاوية خارجة عن اختصاص المجلة».

ونحن نشارك الرأي، ونعتقد ان الكشف عن تاريخنا الصحيح وتراثنا الغني يحقق هذه الغاية. ومهمتنا تعميق هذا الخط بعون الله. أما عن اقتراحك إيجاد زاوية عن مشاهير العالم والاختراعات وتاريخها وتطورها مع الزمن، فان المجلة تحتوي على أشياء مما طلبت، وستحتوي على أشياء تكمل رغباتك، دون أن تندرج تحت زاوية ما بالضرورة.

● **نبيه بدور. السويداء. سورية.**
أشاد بالمجلة، وسأل عن سبب تأخرها.

الواقع ان ما ذكرت ليس تأخراً، فالمجلة تصدر في منتصف كل شهر. أما عن الحصول على الاعداد السابقة فان ذلك ممكن. وعلى كل قارئ يرغب في ذلك أن يرسل الثمن ورسالة يحدد فيها الأعداد المطلوبة.

● **عماد الدين ظبيان. دمشق. سورية.**
يقول: «لكم أطيب التمنيات بتقدم مجلتكم المتميزة التي جاءت لتملأ فراغاً كبيراً في الساحة الثقافية لوطننا العربي».

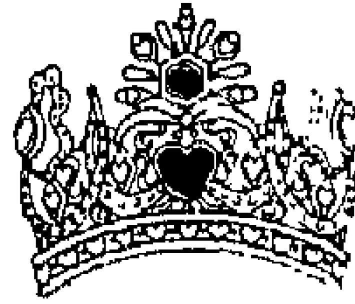
نشكر لك هذا الرأي. أما الحصول على الأعداد السابقة، فنرجو أن تراجع ردنا على الأخ نبيه بدور أعلاه.

● **الآنسة نجوى سالم الحسنية - دار المعلمين والمعلمات للتربية الرياضية - بئر حسن. بيروت - لبنان.**
نرحب باقتراحك القيمة للموضوع ونرحب بأي بحث أو دراسة صالحة للنشر. نرجو الاتصال بمجلة «تاريخ العرب والعالم» للاتفاق على الموضوع.

● **صلاح بايز عزيز**

وهو من هواة جمع الطوابع والمراسلة يرجو نشر عنوانه في المجلة لمن يرغب بمراسلته، وهو:

صلاح بايز عزيز - مدرسة صهيب الرومي الابتدائية للبنين - محافظة الانبار، الجمهورية العراقية.



● **التاريخ ذكريات محفوظة والعمر ذكريات مطوية. ومن يلتمس الخلود يجده في التاريخ ولا يجده في العمر، لأنه يمضي ولا يعود.**

محمد زكي عبد القادر

● **ان تاريخ العلم هو العلم نفسه.**

أوغست كونت

...ة أحد القصور في القاهرة (انظر "المشربيات")

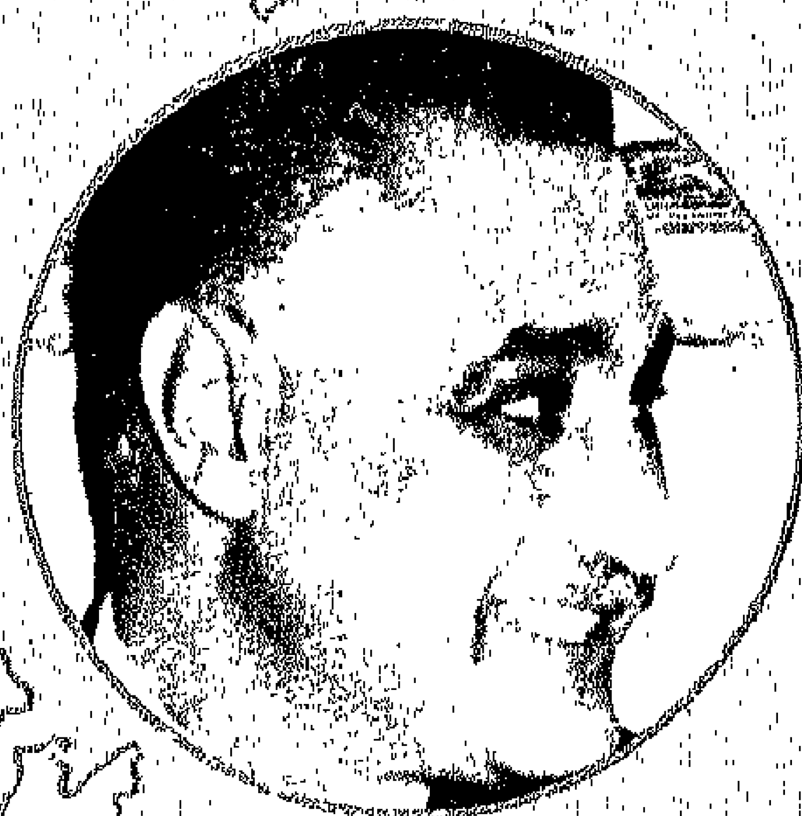


تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

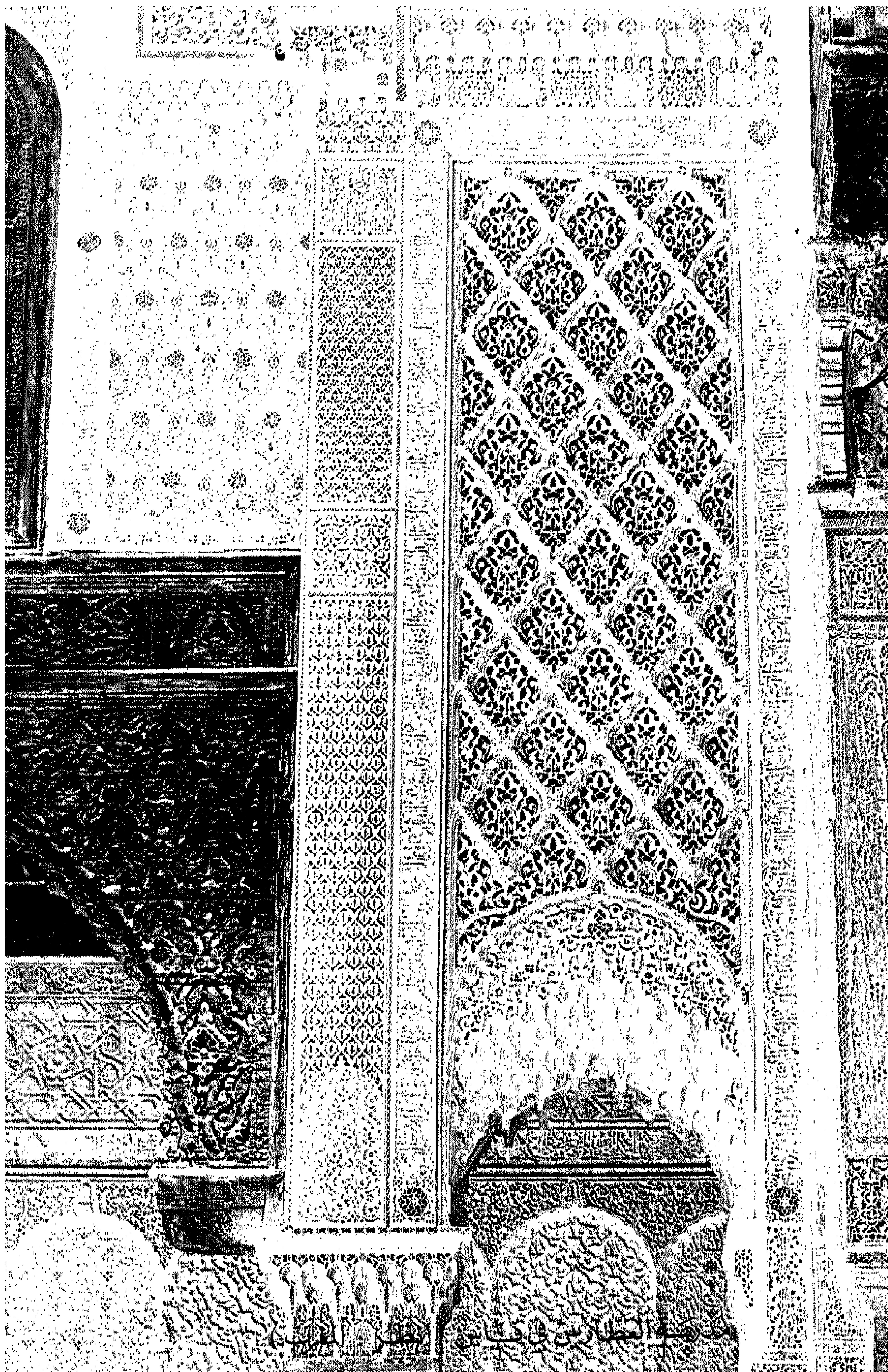
السنة الأولى - العدد التاسع - تموز "يوليو" ١٩٧٩ - الموافق شعبان ١٣٩٩

غزة
بورسعيد
العريش
الإسماعيلية
السويس
مضيق متلا
سيناء
العقبة
خليج السويس
خليج العقبة
شرم الشيخ
الأحمر





- حريق القاهرة ١٩٥٢
- العصور الحجرية في الأردن
- ديغول والعرب وحرب ١٩٦٧
- من أخبار المسرح الكوميدي في مصر (١٩٠٥-١٩٢٠) - عزيز عيد .
- الشيخ نسيب مكارم : شاعر الخط واللون
- أزمة بنك انترا ١٩٦٦ : دروس وعبر
- شيشرون : أشهر جاسوس في الحرب العالمية الثانية
- انتفاضة الأزتيك الأخيرة في وجه الإسبان ١٥٢٠



مدرسة العطارين في فاس (انظر المغرب)

السنة الأولى
العدد التاسع
تموز (يوليو) ١٩٧٩
شعبان ١٣٩٩ هـ

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع الساداتت - تلفون: ٣٤٦٢٧٦

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت . لبنان

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة
المغرب : ٥ درهم	

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

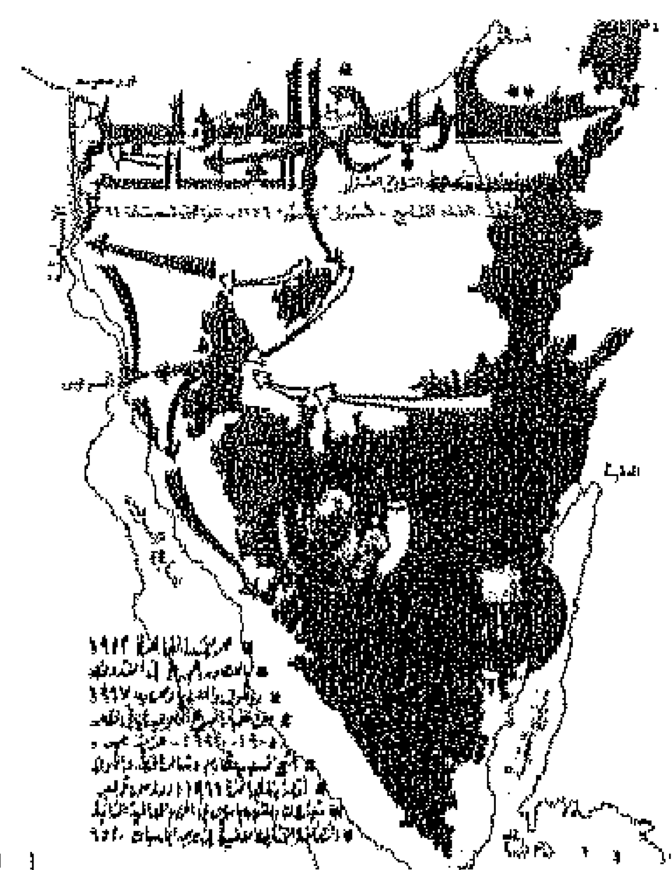
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 9. July, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع | الصفحة

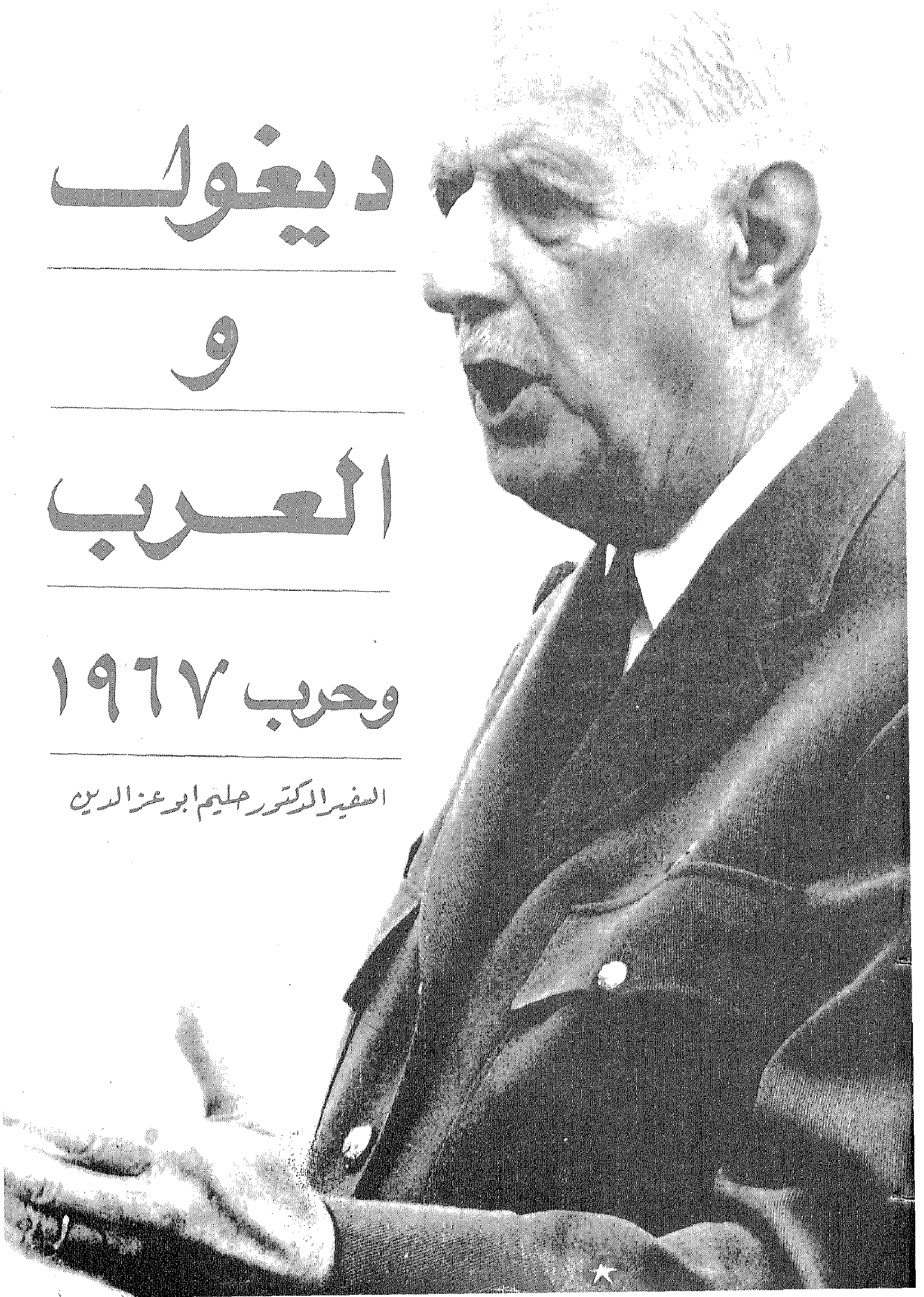


راجع مقالة «ديغول والعرب وحرب ١٩٦٧» د. حليم أبو عز الدين

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة : ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُرَدّ إذا لم تُنشَر.



ديغول و العرب وحرب ١٩٦٧

السفير الدكتور حليم ابو عز الدين

● نحن الآن في شهر أيار (مايو) عام ١٩٦٧. اسرائيل قامت بعدوان جوي على سوريا، وتحشد قوات ضخمة على الجبهة السورية: ليفي اشكول، رئيس الحكومة الاسرائيلية يصرح أمام الكنيست، في ١٢ أيار ١٩٦٧ أن اسرائيل لن تتوانى عن ضرب سوريا فيما اذا لم تتوقف هجمات الفدائيين الفلسطينين من الجولان على منطقة طبريا. رئيس الأركان الاسرائيلي، الجنرال اسحق رابين، يعلن في حفلة تخريج ضباط جدد عزم الجيش الاسرائيلي على وضع حد لهذه الهجمات. دوائر المخابرات العربية والأجنبية تسجل تحركات عسكرية كبيرة في الجليل الأعلى وسائر المنطقة الشمالية من اسرائيل.

مصر تتحرك لمواجهة الحدث، والرئيس جمال عبد الناصر يبعث بدءاً من ١١ أيار (مايو) بعض قواته، خاصة المصفحة إلى سيناء تحسبا للطوارئ، وفي محاولة لردع اسرائيل عن العدوان. على أن ضخامة الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية، ومن ثم على الجبهة المصرية، دعت الرئيس عبد الناصر إلى حشد قواته الرئيسية في سيناء، كما اضطرت القيادة المصرية، في ١٦ أيار (مايو)، إلى مطالبة قيادة قوات الطوارئ الدولية بالجلاء عن المواقع التي تحتلها هذه الاخيرة على الحدود بين مصر واسرائيل، والتجمع في قواعدها في غزة وذلك تمكينا للقوات المصرية من القيام بواجبها في حال إقدام اسرائيل على الاعتداء على أي بلد عربي. وأردفت الحكومة المصرية باعلان قفل مضيق تيران أمام الملاحة الاسرائيلية.

في هذه الأثناء كان جيش الدفاع الاسرائيلي قد أكمل حشوداته على جميع الجبهات، وباتت القيادة العسكرية تنتظر، لا بل تستحث، أمر القيادة السياسية بالهجوم. ولكن القيادة السياسية الاسرائيلية كانت تقوم، لتغطية نياتها واستعداداتها العدوانية، بتحرك ديبلوماسي علني يقوم به وزير خارجيتها ابا ايبان.

سقت هذه المقدمة القصيرة كتوطئة للدخول في لب موضوع المقال: ديغول والعرب، وحرب ١٩٦٧. ففي فجر يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٦٧ حطت في مطار اورلي في باريس طائرة «العال» الاسرائيلية، ونزل منها ابا ايبان، وكان في استقباله والتر إيتان سفير اسرائيل لدى فرنسا الذي بادر بأن أسر إلى وزيره ان الجنرال ديغول، رئيس الجمهورية الفرنسية، يستقبله قبيل ظهر اليوم بعينه، لدى انتهاء جلسة مجلس الوزراء وقبل الغداء. ودلف الاثنان إلى فندق هيلتون القريب من المطار حيث اتما وضع الخطة التي سيتبعها إيبان في حديثه مع ديغول.



ديغول: حذر ايبان بالا يطلقوا الرصاصة الأولى

أما في «الاليزه» في باريس فقد انفض مجلس الوزراء حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً. واستبقى الجنرال ديغول وزير خارجيته موريس كوف دي‌مورفيل وطلب اليه معلومات محددة حول الملاحة في «مضيق تيران» وخليج العقبة وكم عدد السفن الاسرائيلية التي تجتاز المضيق. وقد أجابه كوف دي مورفيل بما تيسر لديه من معلومات، وذكر ان عدد السفن الاسرائيلية التي تجتاز المضيق ضئيل للغاية.

فسأله ديغول: اذن فاغلاق المضيق لن يصيب اسرائيل بضربة قاضية فأجاب دي مورفيل: كلا.

فسأله: وهل يبرّر ذلك القيام بعمل حربي؟.

فأجاب: كلا.

فقال: إذن فهو موضوع قانوني.

فأجاب: فقط.

تحذير ديغول لأيبان

وعلى أثر ذلك استقبل ديغول. وبجانبه كوف دي مورفيل، وزير خارجية اسرائيل ومعه سفيره والتر ايتان.



ايبان : كل حججه انهارت أمام الجنرال

وهنا ، ولدقة الوضع والموضوع . استعير من مؤلف الكاتب الفرنسي برنار ميشال وعنوانه «الحروب الاسرائيلية العربية» - الجزء الثالث - النص الحرفي تقريباً للحديث الذي جرى بين الجنرال ديغول وابا ايبان :

«ديغول متجهم ، وكعادته ، دعى زائره للجلوس ، وبادره بقوله : اني مصغ اليك . وهذا ما كان ينتظره زائره الذي استعد لتلاوة مرافعته . على ان ديغول فاجأ ايبان بقوله : لا تقوموا بحرب ، لا تقوموا بحرب . بأي حال لا تكونوا البادئين بالقتال .

كانت المفاجأة صدمة لايبان . صدمة غيرت كلياً الخطة التي كان قد أعدها في الصباح للمقابلة .

أجاب : على كل حال . لن نكون نحن البادئين ، فقد قام المصريون بعمل عدائي . على أن ديغول استطرد : فيما خصني ، ان من يطلق الرصاصة الأولى يبدأ القتال . إن اقفال المضايق شيء . وفتح النار شيء آخر .

ايبان : ان المصريين يمسكون بخناقنا . والسوريين يضربوننا في الظهر . ويستعد المصريون ليسددوا لنا ضربة في الصدر . وقد حضرت لاقول لكم إننا مصممون على عدم العيش هكذا .

ديغول : لا تقوموا بحرب . إنها نصيحة صديق . ورجل يعرف عواقب الأمور .

ايبان : ليس لنا الخيار بين الخضوع والمقاومة . وسنقاوم . لن نتخاذل . ولكننا قررنا التريث بضعة أيام ريثما تطلع على آراء الذين التزموا بهذا الموضوع . وفي الأثناء . لن نقوم بشيء لا اليوم . ولا غدا . ولا بعد غد .

بدا ديغول . عندئذ . مطمئنا . فقد استنتج أن اسرائيل لن تهاجم .

ديغول : الوضع دقيق . ولا يمكن أن يستمر كذلك . احتفظوا بموقفكم . على الأربعة الكبار أن يتشاوروا فيما بينهم . لا تفتشوا على حل من جهة الغرب .

إيبان : انا متشائم من كل ما يعتمد على الاتحاد السوفياتي .

ديغول : لن توجد الآن حلول غربية . وطالما ان بقيت اسرائيل «مغربة» في اهدافها وفي حلولها . فهي لن تصيب الهدف . يجب ان يشارك الاتحاد السوفياتي في حل المشكلة . انتم لستم بعد في وضع يسمح لكم بأن تعالجوا لوحدكم كل مشاكلكم .

وفيما يستمر ديغول في حديثه شبه اللا منقطع . يغشى ايبان الاسى ، وتغيب عنه الحجج التي اعدها بدقة في الصباح . ويقترف خطأين هامين . الأول خاص بالموقف الفرنسي . والثاني بتوريد الأسلحة .

ايبان : عدة دول التزمت بتأييد حقوقنا . وبالوقوف إلى جانبنا إذا تجدد الحصار على المضايق . ان التأييد الأوفى والأوضح كان قد أعطي لنا من قبل مندوب فرنسا لدى الأمم المتحدة عام ١٩٥٧ .

ديغول (بحدة) : نعم . ولكن كان ذلك عام ١٩٥٧ . ونحن نعيش اليوم في العام ١٩٦٧ .

واذ أشرف الاجتماع على النهاية . وقد وقف ديغول إيذانا بذلك . قال ايبان : يهمنا ان نقدم لكم شكرنا على كل ما فعلته فرنسا . وعلى كل ما تزال تفعله من أجل تشجيعنا . وتقوية روحيتنا . وطاقتنا العسكرية .

الخطأ الثاني : لفت إيبان اهتمام ديغول إلى المساعدة العسكرية المتزايدة المعطاة سرا لاسرائيل . ان هذا القول كان السبب في قرار فرنسا منع إرسال الأسلحة وهو القرار الذي اتخذ لدى بدء القتال .

وودع الجنرال ديغول زائره بقوله : خاصة لا تهاجموا . لأنكم ستتحملون العواقب» . (انتهى نص المؤرخ برنار ميشال) .

ولكن اسرائيل هاجمت في ٥ حزيران (يونيو)

١٩٦٧. وكانت حرب الأيام الستة. التي لا يزال العرب يعانون آثارها ونتائجها، وتطورات تلك النتائج.

وأصدر ديغول قراره بحظر تصدير الأسلحة إلى اسرائيل. وتمسك ديغول بقراره وبسياسته التي كان القرار أحد مظاهرها. وسارت فرنسا على هذه السياسة، ولا تزال عليها حتى اليوم.

ومرت الأيام.

وكان من عادة الجنرال ديغول أن يدعو إلى مؤتمر صحافي يعقده كل بضعة أشهر في «الاليزه». وفي أحد أيام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه ١٩٦٧ تطرق ديغول، في مؤتمره الصحفي إلى الحديث عن اليهود فقال عنهم انهم «شعب نخبة، واثق من نفسه، ومسيطر».

ومع ما في هذا القول من مديح، إلا ان صدوره عن ديغول وفي ذلك الوقت، أي بعد ان اتخذ موقفاً حازماً من اسرائيل، كان منطلقاً لحملة اعلامية يهودية عالمية على الجنرال ديغول، اتهم فيها باللاساميّة وبالعداء لليهود ولاسرائيل. ورافقت هذه الحملة رجل فرنسا الكبير حتى الاستفتاء الذي اجراه يوم ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ حول الأدارة الأقليمية في فرنسا، وكانت خسارته فيه سبب تخليه عن رئاسة الجمهورية الفرنسية.

رسالة بن غوريون

من بين الذين انبروا للرد على ديغول إثر تصريحه المشهور السالف الذكر، دافيد بن غوريون، رئيس حكومة اسرائيل الاسبق، وكان على علاقة بالرئيس الفرنسي.

فوجه بن غوريون، في ٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٧ إلى ديغول رسالة طويلة فيها العتاب، وفيها النقد. وفيها «صهينة» للتاريخ، وفيها تزييف وتحريف؛ ومن المفيد للقارئ العربي ان يطلع عليها ليتعرف إلى نظرة العدو إلى مواقعنا وإلى رجالنا وإلى حقوقنا.

وفيما يلي. باختصار. ما جاء في رسالة بن غوريون إلى ديغول:

يبدأ بن غوريون بالقول إنه يشعر بواجب وباحترام وتقدير للجنرال ديغول. وكذلك للشعب الفرنسي الذي طالما ساعد اسرائيل. ثم أشار صراحة إلى حديث ديغول في مؤتمره الصحفي فقال له: «لقد ذكرت في تصريحك عبارات شديدة وقاسية تقوم ولا شك على معلومات غير صحيحة وغير دقيقة». وأشار بن غوريون إلى الشعب اليهودي المشتت، وإلى عودته إلى فلسطين البلد الذي «لم يكن مطلقا الوطن الوحيد لشعوب أخرى غير الشعب اليهودي».

وقال بن غوريون: «أنا من أصل بولوني روسي، وقد قدمت إلى فلسطين عام ١٩٠٦، وكانت فلسطين حينئذ جزءا من الامبراطورية العثمانية. ولم يساورني شك في إمكان توطين ملايين اليهود على ضفتي نهر الأردن



الطيران المصري يضرب ارتالاً اسرائيلية في سيناء سنة ١٩٦٧

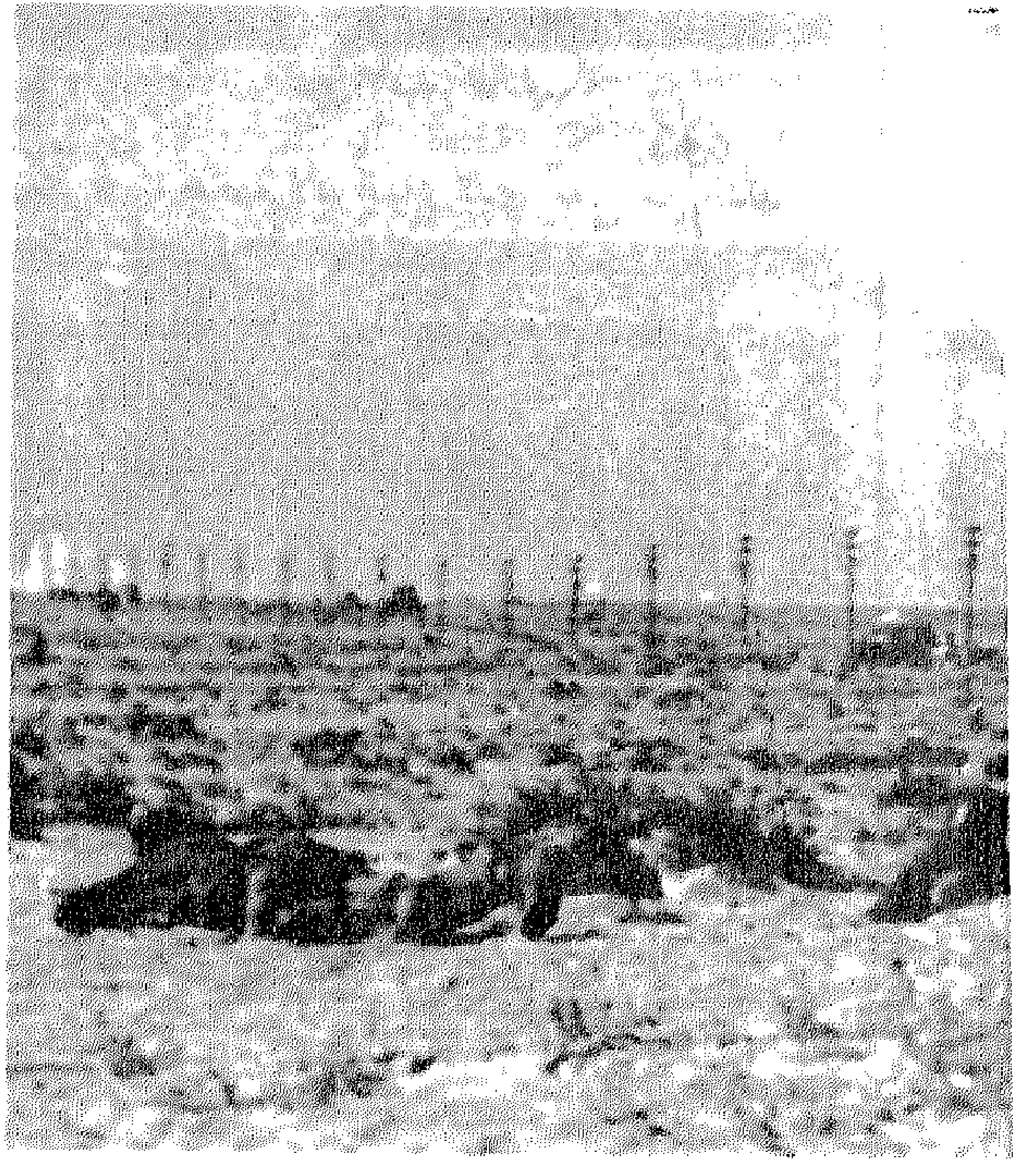
من دون الاستيلاء على أراضي العرب، لأن المساحة المسكونة من فلسطين، كانت وقتئذ أقل من ١٠ في المائة.

وتطرق إلى الانتداب البريطاني على فلسطين. وإلى سياسة الحكومة البريطانية في تنفيذ حكم الانتداب القائم على تطبيق وعد بلفور.

وأشار بن غوريون إلى الاتصالات التي قام بها، بعد عام ١٩٣٣. مع بعض الزعماء العرب المسلمين والمسيحيين في فلسطين والدول المجاورة. وذكر أن أول زعيم عربي تباحث معه كان عوني عبد الهادي. رئيس حزب الأستقلال في فلسطين. وانه عرض عليه ان

يعمل اليهود على مساعدة جميع الدول العربية على نيل استقلالها، والانضمام إلى اتحاد عربي فيما اذا وافق عرب فلسطين على إمكان تحويل فلسطين على ضفتي الأردن إلى دولة يهودية تنضم كدولة مستقلة إلى اتحاد سامي (عربي ويهودي). وقال بن غوريون إن عبد الهادي سأله عن عدد اليهود الذين يرغبون في إحضارهم إلى فلسطين فأجابه: «نستطيع ان نحضر أربعة ملايين يهودي خلال فترة عشرين عاماً».

وهنا يدعي بن غوريون ان السيد عوني عبد الهادي وقف وقال له بحماس: سأذهب إلى دمشق



من كتاب (La guerre éclair)

وبغداد وأقول لاخواني العرب: اعطوهم ليس فقط اربعة ملايين، بل ستة ملايين اذا ساعدونا على الاستقلال وعلى الاتحاد (هذا القول ينكره تماماً المرحوم عوني بك عبد الهادي. وقد سمعت ذلك منه شخصياً عام ١٩٦٨ في القاهرة).

ويستطرد بن غوريون إلى القول انه تلقى من دار المندوب السامي البريطاني تأكيدات بأن أي اتفاق يتوصل اليه العرب واليهود ستوافق عليه الحكومة البريطانية.

وقال بن غوريون انه اجرى، حول هذا الموضوع، مباحثات مع السيد موسى العلمي، ومع السيد رياض الصلح، ومع زعيم مسيحي معروف يعتبر مفكر الحركة القومية العربية، (ولم يذكر اسمه في هذه الرسالة، ولكن من مراجعة مؤلفات بن غوريون يتضح أن المقصود هو السيد جورج انطونيوس، الوطني اللبناني والمناضل القومي العربي المعروف ومؤلف كتاب «يقظة العرب»).

ويضيف بن غوريون انه توصل إلى اتفاق، ولكن كان ينبغي اقراره من قبل اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ومقرها آنذاك في جنيف (كان الوفد العربي في جنيف مؤلفاً من الأمير شكيب ارسلان، واحسان الجابري ورياض الصلح). ويقول بن غوريون انه توجه إلى جنيف لهذه الغاية، ولكن مباحثاته مع الوفد العربي لم تكن لها نتائج ايجابية.

وتطرق بن غوريون في رسالته إلى ديغول إلى ذكر القرار السوفياتي في ايار (مايو) ١٩٤٧ الذي يصر على المطالبة بانشاء دولة يهودية في فلسطين. واشار إلى قرار الامم المتحدة الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ القاضي بتقسيم فلسطين وانشاء دولتين غربي نهر الاردن، دولة يهودية ودولة عربية، واقامة اتحاد اقتصادي بينهما، وتدويل منطقة القدس وقال بن غوريون: «ان العرب، وليس اليهود، هم الذين رفضوا قرار الأمم المتحدة وان النزاع انفجر لأن الحكومة البريطانية رفضت استخدام قواتها للحفاظ على السلام».

وادعى بن غوريون «ان اسرائيل التي ولدت في ١٤ مايو (ايار) ١٩٤٨ غير مسؤولة عن حرب ١٩٤٨ لأن الزعماء العرب بعد هزيمتهم في فلسطين، نصحوا للعرب مغادرة البلاد». وقال: «ان الهيئة العربية العليا التي كان يسيطر عليها مفتي فلسطين (ويقصد الحاج امين الحسيني) نصحت لعرب فلسطين عدم تسليم السلاح ومغادرة البلاد مؤقتاً لأنه بعد جلاء القوات البريطانية عن فلسطين بعد اسابيع قليلة ستدخل قوات خمس دول عربية، مصر وسوريا ولبنان والعراق والاردن، فلسطين وتقضي على اليهود ثم يعود جميع العرب ليس فقط إلى منازلهم، بل فيما اذا رغبوا، إلى المنازل اليهودية».

واضاف: «وغادر العرب صفد وطبريا. وبقي قسم من السكان العرب في يافا. واربعة آلاف عربي في حيفا. وفي يوم ١٤ ايار (مايو) لم يطرد أي عربي. والذين يسمونهم «لاجئين» غادروا البلاد اثناء الانتداب

البريطاني. وكان عددهم اربعمائة الف. وبالمقابل استخدمت اسرائيل في ٤ سنوات خمسمائة الف يهودي، جاءوا من البلدان العربية». وقال: «ليس بالقوة. ولا حتى بالمال وحده. وأكّد ليس بالغزوات، بل بأعمالنا الخلاقة الرائدة حولنا هذه الأرض الفقيرة القاحلة الى ارض خصبة. وانشأنا المدن والقرى على مساحات صحراوية ومهجورة». وأكد بن غوريون «ان اليهود ليسوا شعباً محباً للسيطرة. واعتبر ان لا حرب ١٩٤٨ ولا حملة سيناء ١٩٥٦ولا حرب الستة ايام ١٩٦٧ كانت تقع لو قبل العرب، منذ البداية، قرارات الامم المتحدة».

وذكّر بن غوريون بحديث له مع ديغول في حزيران (يونيو) ١٩٦٠. قال له: «سألتني: ما هي احلامك بشأن الحدود الحقيقية لاسرائيل. اخبرني. فلن احدث احداً بذلك؟ وقد اجبتك: لو طرحت علي هذا السؤال لخمس وعشرين سنة خلت. لأجبتك بأن نهر الليطاني هو حدودنا الشمالية. وشرقي الاردن من الشرق. ولكنك تسألني هذا السؤال اليوم. وسأقول لك: لدينا امنيتان رئيستان: السلام مع جيراننا، وهجرة واسعة. وقال انه ابلغ ديغول وقتها (عام ١٩٦٠) ان الحدود القائمة كافية لايواء عدد من المهاجرين اليهود اكثر مما يمكن أن يأتي».

وانهى بن غوريون رسالته إلى ديغول قائلاً: «لا ارى في علاقتكم الطيبة مع الدول العربية أي حاجز لاستمرار الصداقة مع اسرائيل. وحتى لو استمر الزعماء العرب بتهديدنا بالافناء، كما في الماضي. فانا لا انصح لأية أمة ان تقطع علاقاتها مع الدول العربية لأنه اذا كان يجب أن ندافع عن انفسنا، فلا اريد لآخرين غير ابنائنا نحن ان يموتوا في الدفاع عن اوضنا. ما كنت اطلبه من اصدقائنا هو أن لا يمنعونا من تلقي المساعدة الضرورية للمحافظة على قوتنا الرادعة لتجنب أية حرب»؟

انتهت رسالة بن غوريون للجنرال ديغول.

ورسالة ديغول

وقد رد عليها ديغول في رسالة وجهها إلى بن غوريون في ٣٠كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ فيما يلي نصها:

«تبلغت رسالتكم المؤرخة في ٦كانون الاول (ديسمبر) باهتمام بالغ والواقع أن موضوع بعث مصير دولة اسرائيل لا يمكن، كما تعلمون، الا أن يجذبني



عوني عبد الهادي

ويؤثر فيّ. خاصة لأن النزاع الذي اندلع من جديد في الشرق الاوسط يجر معه نتائج هامة تصيب فرنسا عن كثب. لجميع الاسباب السياسية والاقتصادية والمعنوية والدينية والتاريخية التي تعرفونها. واخيراً لا تجهلون انني اكنّ اعتباراً كبيراً. واحفظ ذكرى حية لما كانت عليه علاقاتنا الشخصية منذ ١٠ سنوات.

لذلك لم تدهشني بلاغة حججكم. انا اعلم ان اعادة انشاء اسرائيل في فلسطين تضمنت ايماناً وجرأة ومصاعب. وكم يستحق الثناء اصلاح الدولة الجديدة للأرض شبه الصحراوية بفضل تدفق هذا العدد من اليهود الذين جاءوا من جميع الجهات. وبفضل مساعدة طوائفهم الموزعة في انحاء العالم. وتعيدون إلى الذاكرة، وعن حق، ان فرنسا وانا لم نقصر. منذ البدء. في اظهار عطفنا على هذا البناء الوطني. ولا يمكنكم أن تشكو في انه في اسوأ الاحوال. كنا قد عارضنا ابادة هذا البناء الوطني، كما كانت تتضمنه محادثاتنا الرسمية في السابق. وكوني وصفت اسرائيل علناً بأنها دولة صديقة وحليفة.

«ولكن ولهذه الاسباب بالذات. رددت دائماً. وامامكم قبل أي انسان آخر. أن على اسرائيل. لكي تبرر العمل الذي بدأ وتضمن مستقبلها، ان تكون معتدلة في علاقاتها مع جيرانها، وفي مطامعها الاقليمية. هذا خاصة لأن الاراضي التي اعترفت بها الدول الكبرى، منذ البداية، بأنها لدولتكم، يعتبرها العرب ملكاً لهم، وان هؤلاء، وقد استقرت اسرائيل وسطهم، هم من جهتهم فخورون وجديرون بالاحترام، وان فرنسا تكن لهم صداقة قديمة وطبيعية.

وانهم يستحقون هم ايضاً أن يتطوروا بالرغم من جميع العقبات التي تفرضها عليهم الطبيعة. وبالرغم من التأخر الخطير والمذل الذي تعرضوا له أكثر الاحيان ومنذ قرون. وبسبب المحتلين الذين تعاقبوا عليهم. وبسبب تشتتهم الذاتي.

«بالطبع. انا لا اجادل قطعاً بأن الحصار المؤسف الذي فرض على خليج العقبة كان عملاً فردياً مضراً ببلدكم. وانا لا اتجاهل أن اسرائيل كان لديها من الاسباب ما يجعلها تشعر بأنها مهددة بسبب التوتر الذي كانت غارقة فيه المنطقة الفلسطينية نتيجة موجة الحملات الموجهة ضد اسرائيل. وفي الوقت نفسه نتيجة المصير المؤثر للاجئين العرب في الاردن او في غزة. ولكنني اظل مقتنعاً بأن اسرائيل. بتجاهلها التحذيرات التي وجهت في الوقت المناسب إلى حكومتكم من قبل الحكومة الفرنسية. وبدئها الاعمال العدائية. واستيلائها بقوة السلاح على القدس وعلى اراضٍ اردنية ومصرية وسورية كثيرة وبممارستها اعمال القمع والابعاد هناك. وهي نتائج لا يمكن تجنبها للاحتلال الذي يتميز بجميع مظاهر الدمج. وبتأكيدها للعالم أنه لا يمكن تحقيق تسوية للصراع الآ على اساس الانتصارات العسكرية التي تم تحقيقها. وليس على اساس الجلاء عن المناطق المحتلة. ان اسرائيل بتصرفاتها هذه تتخطى حدود الاعتدال الضروري.

«واشد ما يؤسفني انه مقابل انسحاب القوات الاسرائيلية كان من الممكن الوصول إلى حل اليوم في اطار الأمم المتحدة. وهو حل يتضمن اعتراف جيرانكم



بن غوريون: الليطاني حدودنا الشمالية... لولا!



جمال عبد الناصر مع جنوده في حرب الاستنزاف ١٩٦٨ – ١٩٧٠.

بدولتكم ، والى ضمانات للاستقرار على جانبي الحدود يحددها حكم دولي . والى مصير لائق وعادل للاجئين والاقليات . والى حرية الملاحة للجميع في خليج العقبة وفي قناة السويس .

« وفرنسا كما هو معروف ، مستعدة للاسهام . متى دعت الحاجة ، في تحقيق مثل هذا الحل . لا على الصعيد السياسي فحسب . بل على صعيد الواقع الملموس . هذا الحل الذي قد يعيد السلام إلى الشرق الأوسط ويسهل الاتفاق العالمي ، وفي رأيي ، يخدم مصالح الشعوب المعنية ، ومن ضمنها شعبكم ، هذا الحل - انا اعلم - لا يحقق جميع رغبات اسرائيل ، ولو كنت اشك في ذلك لكانت مجرد قراءة رسالتكم ، وكلامكم عما يمثل شعب كنعان على ضفتي نهر الاردن ، بالنسبة إلى جميع اليهود اليوم وفي جميع الازمنة ، لكان ذلك وحده يبدد شكوكي . وكذلك بالنسبة إلى الانفعال الذي اثاره ، عند بعض اليهود ، قولي عن الشعب اليهودي انه « شعب نخبة واثق من نفسه ، ومسيطر » اذ اعتبره البعض محقراً ، مع انه لا يمكن أن يكون هنالك نيل من الكرامة في وصف طبيعة شعب قوي تمكن من البقاء قيد الوجود ومن أن يظل هو نفسه بعد تسعة عشر قرناً قضاها في ظروف صعبة . ولكن ماذا ؟ ها هي اسرائيل ، بدلاً من أن تنقل نفيها في العالم المؤثر والذي يعود إلى الفي سنة ، اصبحت فعلاً دولة بين الدول الاخرى ، حياتها واستمرارها يتوقفان ، حسب القانون الشائع ، على سياستها ، ولكن هذه السياسة لا تساوي شيئاً الا اذا كانت منسجمة مع الواقع ، وكم من الشعوب ، كل بدورها ، شعرت بذلك .

(انتهت رسالة ديغول الجوابية لبن غوريون) .

وتوضيح عبد الهادي

اما من الجانب العربي فقد انبرى للرد على ما جاء في رسالة بن غوريون لديغول السيد عوني عبد الهادي عميد حزب الاستقلال العربي في فلسطين . فقد اصدر في ١٩٦٨/١/٢٩ ، من القاهرة ، مقره في ايامه الأخيرة ، بياناً حول اجتماعه ببن غوريون نوجزه فيما يلي :

« نشرت بعض الصحف العربية مقتطفات من الرسالة التي ارسلها بن غوريون إلى الجنرال ديغول ، والتي اورد فيها حديثاً نسبه إلي . وقد رأيت من واجبي أن اعلن الحقيقة التي اراد بن غوريون ان يزورها في رسالته . وليس هذا اول تزوير او قلب للحقائق يمارسه بن غوريون وزمرة الصهيونيين امثاله :

« لقد اجتمعت حقاً ببن غوريون وبالدكتور ل.ي. ماغنس ، مدير الجامعة العبرية ، في بيتي بالقدس آنذاك ، ودارت بيننا مناقشة طويلة دامت ثلاث ساعات . وكنت قد سجلت ما ورد بيننا من أحاديث عقب انصرافهما مباشرة .

« بدأ بن غوريون حديثه بعد أن عرفني به الدكتور ماغنس . وكان الدكتور ماغنس كثيراً ما يتقرّب إلى العرب بحجة أنه لا يدين بالسياسة الصهيونية . وقال لي : ان بن غوريون طلب اليه أن نجمعه بوطنيين عرب لا يشترون بالمال فأتيت به اليك . وقد رأيت انا أن اقف على خطط هذا الصهيوني المعروف في فلسطين . وطلبت إلى بن غوريون ، ان يتكلم بلغة انكليزية سهلة حتى استطيع أن افهم ما يقول ، لنقص معرفتي بهذه اللغة .

« قال بن غوريون : « انني جئت لأتحدث اليك عن قضيتنا ، قضية اليهود . ان اليهود يرغبون في أن يتفقوا ويتفاهموا مع العرب ، بدلاً من أن يعادي بعضهم بعضاً . ونحن نعترف بحق العرب بالبقاء في اراضيهم اذا هم اعترفوا بحقنا في التوطن في فلسطين .

« وهنا لم استطع الانصات إلى ما يقوله من ترهات ، فقاطعته قائلاً : ان فلسطين يا بن غوريون بلد عربي وليس بلداً يهودياً . وحق العرب في بقائهم في اراضيهم لا يحتاج إلى اعترافكم وانتم الغرباء عن هذا البلد . اما اليهود الفلسطينيون الذي عاشوا مع العرب بسلام فانهم يتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها العرب ، ودون تفريق . اما تصريح بلفور فقد اصدره اجنبي لا يملك ، إلى اجنبي لا يستحق . ولم يكد هذا التصريح يصدر حتى رأينا الحكومة البريطانية تعطي ما استولت عليه من الاراضي التي انتقلت اليها من الحكومة العثمانية ، والتي تعد بالملايين من الدونمات ، إلى الشركات اليهودية . ورأيناها تبذل جهوداً كبيرة لتسهيل انتقال الاراضي العربية إلى اليهود عن طريق فرض الضرائب المرهقة وسن القوانين المجحفة ، وحتى رأينا اليهود يشترون بعض الاراضي من ضعاف النفوس ، وقد تملك اليهود بهذه الطريقة الكثير من اراضي العرب الجيدة ، اراضي العرب غير الفلسطينيين والمقيمين خارج فلسطين ، مثل مرج ابن عامر ، الذي لا تقل مساحته عن ٤٠٠ الف دونم ،

واراضي ام خالد ووادي الحوارث . التي تزيد مساحتها عن نصف مليون دونم . بينما مساحة فلسطين كلها لا تزيد عن عشرة آلاف ومائة ميل مربع . ان اراضي فلسطين الجيدة محصورة في السهول والوديان والساحل . وها انتم تعملون على اغراء الفقراء من الفلاحين بالاستيلاء على ارضهم عن طريق شركتكم الكبرى المسمّاة « كيرين كايمت » (أي الصندوق القومي) التي يغذيها اصحاب رؤوس الاموال الكبيرة امثال آل روتشيلد من اليهود في الخارج . ونتيجة لهذه السياسة الغاشمة بدأت اراضي اليهود تزيد بينما اخذت مساحة اراضي العرب تنقص . والعرب في حاجة إلى كل شبر من اراضيهم .

« وقلت لبن غوريون أن الاضرار التي لحقت بالعرب من جراء استيلاء اليهود على اراضي البلاد قد بلغت حداً كبيراً . واني مزمع على رفع دعوى ضد حكومة فلسطين الانكليزية ، واقول الانكليزية . لأن الحكم القائم في فلسطين هو حكم مباشر ، اذ لا وجود عندنا لحكومة منتدبة ، ولا لحكومة منتدب عليها . كما هي الحال في سوريا .

« وهنا قال بن غوريون : ولكن في هذه الحالة اذا اصررتم الى اتباع مثل هذه السياسة فانه لا يبقى هناك مجال أي مجال للتفاهم بيننا . وهذا مما يؤسف له . فاليهود سوف يبذلون كل جهد في سبيل الاستيطان في اراضي فلسطين . واذا كان العرب سيحاولون منعهم فسيجرب العرب عضلاتهم . وسيجرب اليهود مؤهلاتهم . ولا ينتج عن ذلك الا المآسي واراقة الدماء البريئة بين الفريقين . ثم اخذ يشرح الفوائد الكبيرة التي سيحصل عليها العرب من استيطان اليهود . في فلسطين . من تحسن وسائل العمل عندهم وازدياد اموالهم . ومن مساعدة اليهود للعرب على الاستقلال والاتحاد .

« وهنا قلت لبن غوريون بلهجة قاسية : انك تتكلم يا بن غوريون عن المال . وعن مساعدتنا على استقلالنا وعلى الاتحاد في مقابل تنازل العرب لليهود عن فلسطين بضفتيها الشرقية والغربية . وانا اتكلم عن الوطن وقدسيته . والوطن لا يباع بثمن ، ولهذا لا يمكن أن نتلاقى » .

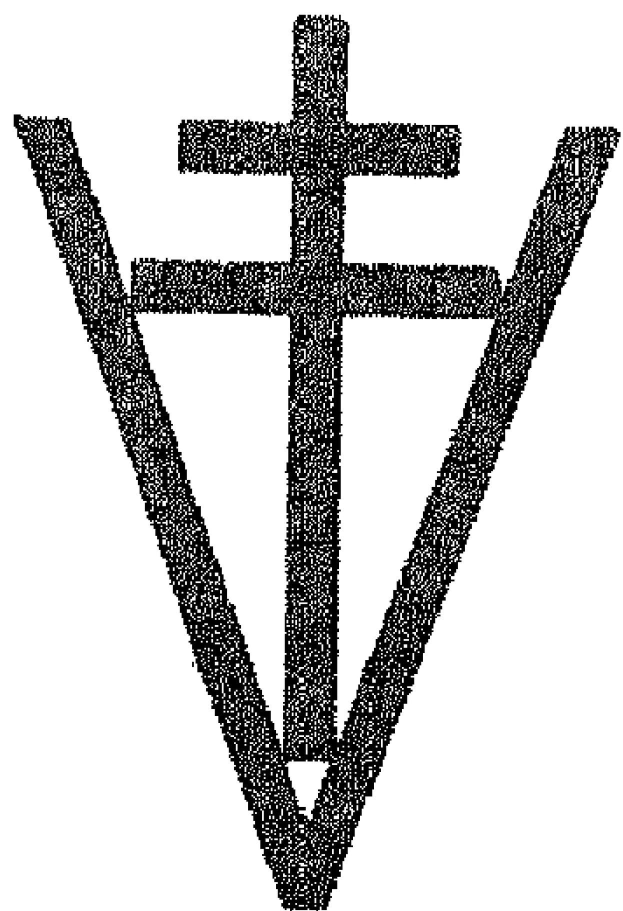
ويضيف السيد عوني عبد الهادي : « هذا ملخص الحديث الذي دار بيننا والذي زوره بن غوريون تزويراً فظيعاً . ومما يؤيد تزويره وتحويره الفظيعين ما جاء في مذكراته بالحرف الواحد . تحت عنوان « محاولة فاشلة » ما يلي : « ان عوني عبد الهادي انكر هذا الأمر . وهو يدعي أن العرب يتضررون من بيع كل شبر ارض لليهود بفلسطين حتى الاراضي التي لا يحتاجون اليها اليوم . فالعرب سيزيد عددهم في المستقبل . ويحتاجون إلى كل شبر من بلادهم ولو بعد جيل او جيلين » .

ويختتم عوني عبد الهادي بيانه قائلاً :

« ان هدف بن غوريون من تحوير وتزوير الاقوال هذه هو أن يظهر العرب امام العالم بأنهم قوم يبيعون بلادهم اذا ما لوح لهم ببعض المصالح المادية او المعنوية . وبن غوريون ليس اول صهيوني حاول بالكذب والتزوير ان يشكك العالم بوطنية العرب . فلقد سبقه إلى ذلك حاييم وايزمان ، اول رئيس لدولة اسرائيل فيما بعد ، حين نشر الاتفاقية المذعومة بينه وبين الملك فيصل الاول (ملك العراق فيما بعد) المؤرخة في ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ في صحف باريس ولندن . ان حاييم وايزمن لم يعلن هذه الاتفاقية للعالم الا بعد وفاة الملك فيصل الاول سنة ١٩٣٣ . وقد ورد في كتاب وايزمن المسمى « التجربة والخطأ » قوله : « ان هذه الاتفاقية كتبها ا . د . لورنس ووقعها فيصل وانا » (ص ٢٩٠) . ولا يوجد اي نص عربي اصلي لهذه الاتفاقية . والملك فيصل الاول لم يكن . يوم توقيع هذه الاتفاقية ، يعرف كلمة واحدة من اللغة الانكليزية . ولورنس المعروف بميوله للسياسة الصهيونية . التي هي سياسة حكومته ، هو الذي ترجمها له بطريقة يتقبلها الملك فيصل . وكان لورنس هذا معتمده الوحيد لدى الحكومة البريطانية » .

انتهى بيان السيد عوني عبد الهادي .

والآن وقد اطلعت قارئي العربي العزيز على هذه النصوص . الا تقول معي : ما اشبه الليلة بالبارحة ؟



حدائق الحيوان زمن الأمويين

٢

د. فواز
احمد
طوقان



دب يعزف : صورة جدارية في قصير عمرة.

● ان لفظة حير بعينها (الحير وهي عامية والحائر الصحيحة) تعني عدة أشياء أهمها ثلاثة :

(أ) فالحائر هو مجتمع الماء، يتحيّر الماء فيه فيرجع اقصاه إلى أدناه.

(ب) وهو حوض يسيب إليه مسيل الماء من الأمطار.

(ج) وهو المكان المطمئن (كما قيل) يجتمع فيه الماء فيتحير ولا يخرج منه.

ولا يمكننا الجزم لهذه المعاني الثلاثة ان لفظة الحائر أطلقت على الحظيرة أو الحمى لأن فيهما من الأعمال المائية الشيء الكثير كما هي الحال في قصر الحير الشرقي مثلاً. ولكن الأوضح أن نقول بأن انحباس الماء في الحائر شبيه بانحباس الوحش في «الحير» فأطلقت هذه اللفظة على هذا المحبس من قبيل التشبيه.

ويذهب أحد ثقات الزبيدي[1] إلى تعريف الحائر هكذا «من مطمئنات الأرض الحائر، وهو المكان

المطمئن الوسط، المرتفع الحروف؛ ومن ذلك سموا البستان بالحائر»[٢].

أما جمع حير على حوران وحيران (بضم الحاء وكسرها على التوالي) فقد أنكره ابو حنيفة، واعترف الزبيدي بأنه «ليس شائعاً»[٣]. وليلاحظ ان ياقوت الحموي جمعها على حيار[٤].

ويتطرق الزبيدي إلى ذكر الحائر الذي يطلق على كربلاء، قال: «سميت بأحد هذه الأشياء، أي لأنها حمى»[٥] أما الموضع الذي فيه مشهد الحسين في كربلاء فهو الحائر، سمّي كذلك «لتحير الماء فيه»[٦]. ولكن اشتقاق هذه اللفظة لم يأت من حار يحير وانما من حار يحور أما الفيروزابادي فيقول إن الحائر (من حار يحار) وهو أيضاً كربلاء أو موضع بها[٧].

نرى من استعراض نصوص الزبيري أن هنالك اختلاطاً كبيراً في اشتقاق الحير وفي تعيين الجذر الذي تعود إليه هذه اللفظة وفي تحديد معاني أسماء مواضع بعينها سميت بهذا الاسم. على أن أوضح ما في نصّ الزبيري هو تلك الفذلكة الفونيتيكية التي أكد بها أن الحير لفظة عامية حرفت عن الحائر.

* * *

لدى مراجعة هذه النصوص كافة نخلص إلى عدة نتائج إيجابية:

١ - الحير لفظة عامية لا يجوز فيها فتح الحاء وتسكين الياء. وفصيحها الحائر.

٢ - الحائر لفظة عربية صحيحة.

٣ - يمكن اشتقاق الحائر من جذرين:

(أ) حار يحور. فحائرها البستان؛

(ب) حار يحار، وحائرها هو المكان المنخفض الوسط المرتفع الجنبات الذي تنحبس فيه الوحوش أو تحار تماماً كالماء[٨].

٤ - يجب توفر ثلاثة أمور في الحائر كي تحشر الوحوش فيه:

(أ) السور المرتفع الحصين كي يحفظ الوحش من الهرب أولاً ومن غارات المغيرين ثانياً؛

(ب) الأشجار والزرع للظلّ والرعي؛

(ج) الماء الكثير للري والشرب.

٥ - تحشر أنواع الوحوش غير الكاسرة داخل الحائر، والأرجح أن الحيوانات المنفصلة كانت من الأنواع التي يلذ اصطيادها في الصحراء.

٦ - الأبنية التي تقوم مع الحائر ترتبط ارتباطاً وثيقاً برياضة الصيد. فإلى جانب القصر والمسجد وبعض الأبنية الأخرى، يجب أن يتوفر حمّام محكم الصنعة[٩] إلى جانب أقنية وأحواض مائية وسور عظيم يحيط ويتصل طرفاه وما شاكل.



داخل قصير عمرة: امرأة تستحم.

٧ - الراجح أن الحائر لا يمكن بناؤه إلا في «صحراء حسنة» على حدّ قول اليعقوبي كي يتيح جلب الماء نحو الشجر وأمراج الأرض فنكاد نؤكد ان من متطلبات الحائرة أرض خصبة.

٨ - إن الحائر فكرة أموية فرضها جنوح الحيوانات الصحراوية إلى الإنقراض، وبالتالي، كي يلذ اصطيادها بعد أن قلّت أسرابها وقطعانها حشرت داخل الحوزة أو الحمى.

٩ - ليس الحائر فكرة أجنبية، بل فكرة عربية، وامارة ذلك مطابقة اللفظ لمفهوم الحائر.

١٠ – لا علاقة بين الحائر والحيرة. فالثانية مشتقة من الجذر نفسه ولكن لتعني «الاستدارة»[١٠].

* * *

حصن أم قصر؟

في ضوء هذه البنود، نرجح أن قصر الحلابات الكائن شمالي شرقي عمان هو قصرٌ أموي[١١]، الحق به حائر لنفس الأغراض التي شرحنا، وللتأكد مما نذهب إليه، ندرج ههنا الأبنية القائمة هناك على سبيل المقارنة:

١ – القصر: وهو أشبه ما يكون بالقلعة. ولكنّ خلوّه تماماً من الأبراج ووجود أكثر من مدخل له، رغم صغره النسبي، يؤكد لنا أنه قصر أكثر من أي شيء آخر. ولأن طراز عمارته غير معقد، توهموا أنه حصن أو قلعة.

٢ – المسجد: بني ملاصقاً للقصر تماماً. طرازه عربي. وأشبه ما تكون أقواس مداخله بالأقواس الأموية في قرطبة والحمراء. ووجود الجامع ملاصقاً للقصر، لا داخله، دليل آخر على أن القصر ليس حصناً.

٣ – الحمام: وهو على بعد حوالي ستة كيلومترات من القصر. طراز عمارته أقرب ما يكون إلى قصر الطوبة وقصير عمرة، وله حظيرة متوسطة مهدمة الآن، كما ان له بعض القاعات الصغيرة، وبئراً متوسطة كذلك.

٤ – الأعمال المائية: هناك بركة للماء كبيرة (أكبر من بركة الموقر أو زيزياء) انشئت في قاع قريب من القصر. عندها إلى الشرق منشآت مهدومة تماماً الآن. ولا نستبعد إذا كان الماء يجلب إليها من الأزرق بالاضافة إلى ما يجتمع فيها من مياه الأمطار، والمعجب حقاً أن المنطقة إلى الشرق من البركة بحوالي مائة متر مليئة بالأحجار الكبيرة المتقاربة الأحجام والتي يظهر بوضوح تام أنها ليست من المنطقة بل مجلوبة إليها جلباً، ولم نوفق إلى حل معنى وجودها هناك.

٥ – الحير (؟): بقي منه سور طويل على بعد خمسة كيلومترات أو أقل إلى الشرق من القصر، ويمتد من الشمال إلى الجنوب مسافة طويلة. معظمه مهدم الآن، تظهر فيه أساسات بعض الأبراج، فظنوا أن الرومان أنشأوه لصد هجمات البدو. ولا نظن ذلك أبداً. ولكننا لم نوفق إلى تحديد أبعاده وانعطافاته.

يتضح مما مرّ أن عصر بني أمية شهد انجازاً عمرانياً تعدى مسألة بناء القصور أو الحصون أو المساجد إلى شيء فريد لم يألفه العالم القديم من قبل ألا وهو: حديقة الحيوانات.

كانت الوحوش والحيوانات تطرد في الصحراء باتجاه أبواب هذه الحديقة حتى تلجها، ثم تغلق دونها الأبواب، فتظل محشورة هناك تحور (أو تحار) لا تدري أين تذهب. ومن هنا أطلق على هذا المحشر اسم: الحائر. ولم يغفل مهندسو الأمويين حاجات هذه الوحوش والحيوانات فأعطوها الماء والكلأ والظلّ والحماية. وكما عاشت الحيوانات في البرية، كذلك عاشت ضمن جدران الحائر. وتستشف هذه المعلومات من رسومات قصور الأمويين. ففي قصر الحائر الغربي صورة في أرضية غرفة من الغرف تمثل عبداً حافياً يسوق حيواناً وفي زنار هذا العبد مفتاح! وظهر في احدى جداريات الفريسكو في قصير عمرة صورة لمنظر طرد الحيوانات واحتوائها بالشباك[١٢]. وقد أورد ابن خلدون نصّاً يشرح فيه عملية شبيهة بذلك كانت تتم في «مصيد» واسع لأحد الملوك في بنزرت (تونس)[١٣] ولكن ماذا كانوا يصنعون بهذه الحيوانات؟

شاعت في بلاد الغرب نظرية مفادها أن الحيران (جمع حائر) ما هي إلا مشاريع زراعية رمت إلى أصلاح الأراضي الموات في بلاد الشام وتوطين القبائل البدوية التي هاجرت مع الجيوش المسلمة وليس هذا بصحيح. ذلك أن المرء يستهجن من خليفة المسلمين هشام بن عبد الملك أن يستثمر أمواله في مشاريع كهذه وقد تأتت له أموال الأرض كلها...

منتجعات للهو والصيد

حقيقة الأمر أن الأمويين من منطلق الحرص على ابقاء الأرض في بلاد الشام لاصحابها الأصليين، سكان البلاد العرب أو غير العرب، أثروا البقاء على تخوم البلاد بين القبائل العربية التي كان أغلبها مستوطناً هذه الديار قبل الفتح العربي. ولما كانت هذه المناطق متاخمة للصحراء السورية، فإن ثروتها الطبيعية كانت أقل من ثروة البلاد الداخلية. لما كان من هؤلاء الخلفاء، وأولهم الوليد بن عبد الملك، إلا أن ابتنوا

هذه المنتجعات النائية.

وكانت هذه الحيران الواسعة مراتع لهو ورياضة ومنتجعات نائية يرتاح إليها أصحابها بعيداً عن شؤون السياسة. ويمارسون فيها هواية الصيد ويشاهدون حلائب السباق.

وقد تبع بعض خلفاء المسلمين هذه النزعة. إلا أن ارتفاع تكاليفها، وضرورة وجود خليفة قوي مسيطر، أمران حدّا من انتشار هذا النوع من العمران. فاقتصر إنشاء الحيران على ابني هارون الرشيد، المأمون والمعتصم، وعلى المتوكل. وغير هؤلاء لم يوفق خليفة آخر إلى تقليد الأمويين أو محاكاة حدائق الحيوان التي ابتدعوها.

ويقيناً أن هذا الانجاز الحضاري له دلالات عديدة على الدولة التي أنجزته: القوة، والمتعة، والرفاء، وتقدم أساليب الهندسة والمعمار، بالاضافة إلى الروح الانسانية التي ترى في رعاية الحيوان وحماية الطبيعة، أمراً حرياً بالانفاق عليه، وجديراً بتكريس الجهد له ●

الهوامش

(١) هو أبو حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينوري، المؤرخ واللغوي المعروف. توفي عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م. وهو صاحب كتاب النبات أحد أهم المراجع اللغوية في أسماء النبات. راجع بروكلمن، **تاريخ آداب اللغة العربية** (بالالمانية)، (ليدن، مطبعة بريل، ١٩٣٧)، الذيل الأول، ص١٨٧.

(٢) الزبيدي، ج٣، ص١٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٣.

(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٣٧٣.

(٥) الزبيدي، ج٣، ص١٦٣.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) الفيروزآبادي، ج٢، ص١٦.

(٨) وهو كذلك البستان؛ راجع الفيروزآبادي مثلاً.

(٩) على غرار قصير عمره مثلاً؛ راجع في ذلك، كرمويل، **العمارة الاسلامية**، ص٨٤ وما بعدها.

(١٠) شرح عرفان (قعوار) شهيد معنى لفظة الحيرة في محاضرة ألقاها خلال المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية الشرقية في نيوهيفن عام ١٩٦٧م. وقد أكّد على أن اسم الحيرة مشتق من حار يحار وليس من الحور أو الحرة (وهما البياض أو السواد). ولم تنشر محاضرته إلى الآن.

(١١) وجدت بعض النقوش الرومانية فيه. فدفعهم هذا إلى التأكيد على أن القصر المعني كان قلعة رومانية بنيت على أنقاض قلعة نبطية. وأهمية «القلعة» هذه أنها حمت المنطقة من غارات البدو. راجع كرسويل، **العمارة الاسلامية**، ص١٠٤ – ١٠٥ في وصف المسجد في هذا القصر، وهاردنغ، **آثار الأردن**، (بالانجليزية)، ص١٥١ – ١٥٢. ولكن الحقيقة أن هذه الأحجار التي نقش عليها بالرومانية (وهي كثيرة العدد) جلبت من مكان آخر ليس بالبعيد لتُستعمل في البناء. فقد وضعت بحيث تكون الكتابة إلى داخل البناء. ثم طلي الداخل بالجبص وزين بالفريسكو. ولكثرة هذه الأحجار وأوضاعها الشاذة في البناء نؤكّد أنها جلبت من مكان آخر ليكمل بها البناء. والناظر إلى مداميك القصر يرى صفوفاً غير منتظمة من الأحجار السوداء بلون أحجار النقوش نفسه.

وليراجع القارئ مقالنا في سبب ابتناء القصور الأموية في الصحراء، فواز أحمد طوقان، «القصور الأموية الصحراوية: لماذا ابتنيت؟»، **حولية مديرية الآثار العامة**، (عمان)، ١٤ (١٩٦٩)، ص٤ – ٢٥.

(١٢) راجع الصورة في: مارتين ألماغرو، وآخرون، **قصير عمرة: سكنى وحمّامات أموية في بادية الأردن**، (مدريد، وزارة الخارجية الاسبانية والمعهد الاسباني العربي للثقافة ١٩٧٥)، الصورة رقم ١٦.

(١٣) راجع: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، (بولاق، المطبعة الأميرية الكبرى، ١٢٨٤هـ)، ج٦، ص٢٨١.



أزمة بنك انترا: دروس وعبر

د. يوسف شبل

لقد مرّ حوالي ثلاثة عشر عاماً على انهيار «بنك انترا» الذي تعرض في تشرين الأول أوكتبر من عام ١٩٦٦ لأزمة سيولة حادة أدت الى توقفه عن الوفاء بالتزاماته تجاه مودعيه وبالتالي الى اغلاق أبوابه ووقف أعماله المصرفية. ورغم مرور هذه المدة الطويلة على هذه الكارثة المالية والاقتصادية فإن الابحاث والدراسات التي ظهرت حول أسباب وذيول كارثة إنترا لا تتعدى بضعة بحوث غلب على معظمها الطابع الصحفي السريع الذي لم يصل الى أعماق المشكلة. ولا شك في انه لو حدثت كارثة اقتصادية بهذا الحجم وتلك الذيول الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في بلد آخر لكان التحقيق والبحث والدراسات قد شمل جميع المؤسسات التي لها علاقة بالموضوع ولكنا الآن أمام مجلدات في الآراء والفرضيات التي تحاول شرح ما حدث واستخلاص الدروس الكفيلة بتجنب كوارث مماثلة في المستقبل.

والمؤسف في الموضوع أن الدراسات اقتصرت على النواحي القانونية المترتبة على توقف مصرف انترا عن الدفع وعلى حماية حقوق المودعين في حين أن الدراسات المالية والاقتصادية ظلت قاصرة عن إعطاء شرح منطقي وشامل لما حدث. ولا شك في أن المصارف الوطنية قد دفعت ضريبة باهظة نتيجة لعدم تفادي كارثة انترا تمثلت في اضطرار بعضها الى اغلاق أبوابه وبعضها الآخر أصبح تحت يد الدولة والقلة الباقية خسرت جزءاً كبيراً من ودائعها لصالح المصارف الأجنبية، كما أن عدداً لا يستهان به من المصارف الوطنية اضطر الى الاندماج بمصارف أجنبية بارزة كي لا ينتهي الى المصير نفسه.

أن حدثاً اقتصادياً بحجم أزمة انترا لا يستطيع كاتب أو عقل اقتصادي أو مالي أن يوجزه في مقال أو مقالين نظراً لتشعب جوانبه وارتباطه بكثير من العوامل الاقتصادية والسياسية. لذلك فان المقال التالي هو محاولة للامساك بالخيوط الرئيسية التي يعتقد الكاتب أنها وراء الأزمة.

ان المنهجية السليمة المعتمدة في تفحص حالة مماثلة لحالة «انترا» تتطلب النظر الى الموضوع من عدة زوايا يمكن تلخيصها بثلاثة وهي:

(أ) وضع بنك انترا من خلال استقراء موجوداته ومطلوباته لمعرفة نوعية كل منها ودرجة المخاطر التي كانت تحيط بسياسته المصرفية.

(ب) دور البنك المركزي والمسؤوليات الملقاة على عاتقه في مثل هذه الحالة بصفته الرقيب المنتدب من قبَل الدولة لضبط سلوك المصارف.

(ج) أوضاع السوق المالي في اوروبا والولايات المتحدة وارتباط السوق المالي في لبنان بها.

وضع بنك إنترا:

عند حدوث كارثة انترا كان المصرف المذكور يملك في حوزته ودائع في حدود (٨٠٠) مليون ليرة لبنانية، وكانت موجوداته متنوعة وتشمل حقول النقل الجوي والمصارف والعقارات والصناعة والسياحة في لبنان وفي الخارج. وفيما يلي ملخص موجز لأهم استثمارات بنك انترا في داخل الاقتصاد اللبناني:

(أ) شركة طيران الشرق الاوسط ٦٢,٥٪ من أسهمها.


يوسف بيدس مع والده خليل والعائلة.

(ب) شركة الشرق الأوسط لصيانة الطائرات ٩٩.٨٪ من أسهمها.

(ج) شركة كازينو لبنان ويملك انترا ٥١،١٪ من أسهمها.

(د) الشركة المالية العقارية لمرفأ بيروت ويملك انترا ٩٧،٥٪.

(هـ) بنك الكويت والعالم العربي ويملك انترا ٩٤،٩٪.

أما في الخارج فكان أهم الموجودات التالية:

(أ) شركة أحواض السفن «لأسيوتا»: ٨٩٪.

(ب) ارض في الشانزليزه في باريس.

(ج) عقار في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة.

الملاحظة الأولى التي يمكن استنتاجها من تفحص موجودات بنك انترا أن استثماراته كانت متنوعة وحيوية للاقتصاد اللبناني. فالشركات المشار اليها والتي يملك بنك انترا حصة الأسد فيها لا شك هي مرافق حيوية للاقتصاد اللبناني وكانت توظف عدداً كبيراً من القوى العاملة في لبنان من أصحاب المهارات المختلفة. ويتبادر الى ذهن المحلل عند تفحص جانب الموجودات لأنترا مصرف عربي آخر لعب دوراً بارزاً في النهضة المصرفية والنهضة الاقتصادية في بلاده وهو بنك مصر الذي أسسه الأقتصادي العربي المعروف «طلعت حرب» وقام بتحويل عدد كبير من صناعات ونشاطات مصر الاقتصادية التي لا تزال شاهدة حتى الآن على الدور الكبير الذي لعبه «بنك مصر» والذي يمكن أن يلعبه أي بنك آخر يملك ودائع كثيرة.

إذن كان دور بنك انترا في تنشيط الاقتصاد اللبناني كبيراً من خلال تمويله لعمليات التوسع الأفقي والعمودي لكبرى الشركات الوطنية العاملة في مرافق الاقتصاد المختلفة وهي حقيقة لا يمكن للباحث أن يتجاهلها في معرض تقويمه لأزمة انترا.

الملاحظة الثانية التي تستدعي انتباه المحلل الاقتصادي والمالي هو أنه رغم تنوع وأهمية موجودات انترا فان تركيبة هذه الموجودات تنطوي على مخاطر كبيرة عندما تكون جزءاً أساسياً من استثمارات مصرف تجاري ذي طبيعة متشابهة مع «بنك انترا». والمعروف أن القوانين التجارية والنقدية والمصرفية في مختلف أنحاء العالم تميز بين «المصارف التجارية» (Commercial Banks) «والمصارف الاستثمارية» (Investment Banks). وتكون ودائع المصارف التجارية معظمها تحت الطلب (Demand Deposits) وودائع توفير Saving Deposits وجزء يسير منها «ودائع لأجل» (Time Deposits). أما ودائع المصارف الاستثمارية فإن معظمها يكون مودعاً لآجال طويلة وبالتالي فان احتمال السحب على هذه الودائع من قبل المودعين والمواطنين يكون بعيداً.

ومن أجل تخفيف مخاطر السحب المفاجيء على الودائع فان العرف المصرفي والقوانين المصرفية في معظم بلدان العالم تشترط على المصارف التجارية أن تكون «موجوداتها» (Assets) متطابقة الى حد بعيد مع «مطلوباتها» (Liabilitics) من حيث التوافق

الزمني بين استحقاق المطلوبات والقدرة على تصفية الموجودات بسرعة للوفاء بالتزامات المصرف التجاري تجاه مودعيه. ومبدأ التطابق المشار اليه والذي يعرف في ميـــدان النقـــد والمصارف في الغرب بـــاسم (Matching Principle) هو السياج الواقي الذي يحمي المصارف التجارية من خطر اغلاق أبوابه والتوقف عن دفع التزاماته من الودائع لمودعيه فيما اذا حدث إقبال مفاجيء من المودعين لسبب أو لآخر.

والسؤال الذي يتبادر فوراً الى الأذهان هو: لماذا لا تحترم المصارف التجارية كافة هذا المبدأ فتجنب نفسها مخاطر الافلاس والأغلاق. والرّد هو أن الالتزام «بمبدأ التطابق» يعني التضحية بأرباح كان من الممكن تحقيقها لو أن استثمارات المصرف التجاري أتجهت نحو الموجودات غير السائلة بطبيعتها مثل العقار والمصانع وأحواض السفن وغيرها. لذلك تحاول هذه المصارف دوماً أن توزع موجوداتها بين درجات متفاوتة من السيولة والأربحية حتى توازن بين عاملي الربح والمخاطرة. (Risk and Returns). وعندما يكبر حجم أي مصرف تجاري فان سمعته تزداد رسوخاً في السوق المالي وبالتالي فان امكانية فقدان الثقة بقدرته على الوفاء بالتزاماته تجاه أي سحب من قبل مودعية تتضاءل. لذلك تلجأ بعض هذه المصارف الى توظيف قسم كبير من ودائعها في موجودات قليلة السيولة ومرتفعة الأربحية.

من المسلّم به أن «بنك انترا» شأنه شأن معظم المصارف التجارية العاملة في لبنان لم يكن ملتزماً في توظيفه لودائعه «بمبدأ المطابقة» لعدة أسباب منها ما هو متعلق بغياب التطبيق الجدّي والدقيق لقانون النقد والمصارف الذين ينظم عملية الرقابة على المصارف التجارية من قِبل البنك المركزي ومنها عدم معرفته بالآثار المالية الواسعة التي خلقها ظهور سوق الدولار في أوروبا Euro Dollar Market على النظام المصرفي في لبنان.

دور البنك المركزي ومسؤوليته:

عندما وقعت أزمة انترا كان البنك المركزي في لبنان في الثالثة من عمره. فقد بدأ عمله رسمياً في عام ١٩٦٤ بعد أن ظل «مصرف سوريا ولبنان» يقوم بدور مماثل لدور البنك المركزي في الفترة التي سبقت ظهوره منذ فجر الاستقلال. ورغم أن البنك المركزي كان حديث العهد فان مسؤوليته في منع كارثة انترا كبيرة. فقد وقف فترة طويلة وحاسمة لا يقدم على اتخاذ أي اجراء محلي لمنع بنك انترا من الانهيار وعندما تحرك لانقاذه في النهاية كان الوقت قد فات وحدثت الكارثة التي كادت أن تطيح بالسمعة المالية للسوق اللبناني.

واذا كانت مسؤولية ادارة بنك انترا تكمن أساساً في عدم الاحتفاظ بحد أدنى من السيولة لمواجهته احتمالات سحب الودائع على نطاق واسع ومخالفة «مبدأ المطابقة» الذي شرحناه أيضاً، فان مسؤولية ادارة البنك المركزي آنذاك تتلخص في أمور ثلاثة:

اولاً: عدم استيعاب العلاقة بين كمية وسائل الدفع، أو مايشار اليه أحياناً باسم «الكتلة النقدية» وبين مستوى النشاط الاقتصادي في البلاد.

ثانياً: عدم استقراء بعض النسب المالية والنقدية من حلال تفحص الميزانيات العمومية للمصارف التجارية والتي تبين وضع السيولة لكل مصرف ودرجات المخاطرة المنطوية عليها سياسة التسليف والاستثمار التي يتبعها كل مصرف.

ثالثاً: عدم استعمال أي من الوسائل والأدوات والسياسات التي بحوزة البنك المركزي لمنع وقوع بنك انترا في الأزمة من ناحية ولاحتواء المشكلة التي نشأت من جراء تحويل نسبة كبيرة من الودائع في المصارف الوطنية، الى توظيفها في سوق الدولار في أوروبا الأمر الذي كاد أن يؤدي الى سلسلة من الانهيارات بين المصارف العاملة.

ان رصد العلاقة بين حجم الكتلة النقدية ومستوى النشاط الاقتصادي في لبنان هو في طليعة مسؤوليات البنك المركزي، ذلك أن الكتلة النقدية وهي التي تتألف من نقد في التداول، زائد ودائع تحت الطلب تؤثر تأثيراً مباشراً وغير مباشر على حجم السلع والخدمات المنتجة، وكذلك في المستوى العام للاسعار في الاقتصاد. ولو كان مثل هذا الرصد موجوداً قبل وقوع أزمة انترا لأمكن ملاحظة النقص في حجم الكتلة النقدية بسبب هبوط احتياطي المصارف التجارية وانخفاض «القاعدة النقدية» في الاقتصاد اللبناني بأسره.

أما الفشل في استقراء بعض النسب المصرفية التي يمكن أحتسابها من تفحص الميزانية العمومية للبنك



يوسف بيدس مع ابنه زياد

المركزي التي تصدر مرتين في الشهر وفي الميزانيات العمومية للمصارف التجارية العاملة في لبنان فقد أدى الى انزلاق معظم المصارف في مشكلة سيولة كبيرة دون أن يتحرك البنك المركزي لأتخاذ أي اجراء للحدّ من هذا التدهور. وللتدليل على صحة هذا الرأي نورد التطورات التالية التي طرأت على وضع المصارف التجارية في لبنان خلال العام ونصف العام اللذين سبقا انهيار انترا :

(أ) انخفضت نسبة سيولة المصارف من ٤٨٪ في شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٦٥ الى ٢٦٪ في شهر أيار (مايو) من عام ١٩٦٦. وتعرف نسبة السيولة على انها نقد لدى المصارف زائد ودائع لدى البنك المركزي مقسومة على مجموع الودائع.

(ب) انخفضت «القاعدة النقدية» من (١٧٠٥) مليون ليرة الى (١٤٨٩) مليون ليرة للفترة نفسها. والقاعدة تساوي النقد في التداول زائد النقد لدى المصارف.

(ج) في الوقت نفسه الذي انخفضت فيه نسبة السيولة والقاعدة النقدية، هبطت «نسبة الاقتراض» للمصارف التجارية في البنك المركزي من ٣،٢٪ الى ٢،٦٪ في الفترة الزمنية نفسها. ويمكن تعريف نسبة الاقتراض على أنها التسليفات الممنوحة بضمانات من البنك المركزي الى مجموع الودائع التي بحوزة القطاع المصرفي. وكان من المفروض أن تزداد هذه النسبة لا أن تهبط.

أن جميع المؤشرات الرئيسية تؤكد وجود أزمة سيولة في الجهاز المصرفي. وهذه الأزمة لم تكن طارئة بل جاءت نتيجة لتطورات معينة في أسواق الدولار خصوصاً في أوروبا.

تطورات مستوى الدولار في أوروبا :

في مطلع الستينات بدأت السلطات الأميركية تعطي موضوع الاختلال في ميزان المدفوعات الأمريكي اهتماماً خاصاً نظراً لتدفق الدولار الى خارج الاقتصاد الامريكي الأمر الذي بدأ يضغط على مخزون الولايات المتحدة من الذهب. وكانت حكومة الولايات المتحدة حتى ذلك التاريخ مستمرة في سياستها النقدية التي ترتكز على أساس استعدادها لبيع مخزونها من الذهب بسعر ٣٤ دولار للأونصة الواحدة. وبما أن هذا السعر ظل ثابتاً ما يزيد على الخمسة والعشرين عاماً فقد بدأ الاحتياطي الاميركي من الذهب يتناقص بسرعة مما شكل ضغطاً قوياً على قيمة الدولار. ومن أجل وقف هذا النزيف فقد لجأت حكومة الولايات المتحدة الى فرض قيود ورسوم وضرائب بقصد تخفيف تدفق الدولار الى أوروبا واليابان مما أضطر الشركات والمؤسسات الاميركية الى التوجه نحو سوق الدولار في أوروبا والاقتراض منه. وقد ارتفعت أسعار الفائدة على الدولار بشكل كبير مما حفز كثيراً من أصحاب الودائع في منطقة الشرق الأوسط على إيداع أموالهم بالدولار بدلاً من العملات المحلية بهدف الحصول على فائدة مرتفعة.

وبما أن بنك أنترا كان في طليعة المصارف من

حيث حجم ودائعه فقد بدأ يشعر بضغط شديد على ودائعه بالليرة اللبنانية. عندئذ بدأت ادارة انترا محاولة للحصول على تسهيلات البنك المركزي لقاء ايداع قسم من أسهم المصرف في الشركات اللبنانية والعالمية التي يملك فيها «انترا» حصصاً كبيرة. غير أن المفاوضات اصطدمت بمعارضة البنك المركزي على أساس أن نوعية وقيمة هذه الأسهم غير كافية لتغطية المبلغ المطلوب من السيولة النقدية. ويبدو أن موضوع المفاوضات لم يحط بالكتمان الضروري حتى لا تتسرب الى جمهور المودعين فيبادرون الى سحب ودائعهم بشكل فجائي كما أن رغبة بعض المسؤولين في لجم بنك انترا وادارته واعتبار أن هذه هي الفرصة التاريخية لتحقيق ذلك قد أدى الى فشل المفاوضات من ناحية والى تسرب المعلومات الى حالة من الخوف الشديد والذعر فاضطر المودعون الى طلب سحب ودائعهم على نطاق واسع. الأمر الذي أوقع انترا في حالة عدم قدرة على الوفاء بالتزاماته وأدى ذلك في النهاية الى اعلانه التوقف عن الدفع وبالتالي إحالة موضوعه على القضاء.

أما التطورات التي تلت ذلك ومنها تكليف دور ذات خبرة مالية ومحاسبية مثل «كوبر» (Cooper) بتقدير العجز في موجودات انترا فيمكن إبداء ملاحظتين رئيستين فيها. الملاحظة الأولى أن تقويم موجودات المصرف وهو في حالة التوقف عن الدفع خصوصاً الموجودات العقارية يختلف جذرياً من حيث القيمة المالية عن تقويم الموجودات نفسها عندما يكون المصرف لا يزال يعمل وقادراً على الوفاء بالتزاماته. لذلك فقد توصلت مؤسسة «كوبر» الى تقدير لقيمة موجودات انترا أقل من القيم السوقية لهذه الموجودات فيما لو عرضت للبيع والبنك لا يزال في فترة ازدهاره.

لذلك فان العجز الذي توصلت اليه مؤسسة «كوبر» وقدره ٢٥ مليون ليرة ينقلب الى فائض لصالح بنك انترا خصوصا وأن المؤسسة اعتمدت «القيمة الدفترية» ("Book value") بدلاً من «القيمة السوقية» (Market Value) في تقديرها لهذه الموجودات. وبالطبع فان المؤشر الثاني هو الأصح علمياً عندما يكون الموضوع بيع وشراء الموجودات في السوق المالي والعقاري وسوق الأسهم.

الملاحظة الثانية أن الجهد الذي بُذِلَ بعد أزمة انترا سواء لناحية تقدير وضع ومركز البنك أو لناحية حماية المصارف الوطنية الأخرى خصوصاً الصغيرة منها، ومدّ هذه المصارف بمبالغ طائلة لمنعها في الانهيار كان يمكن توفيره لو أن الجهات المسؤولة بادرت في هدوء الى مساعدة بنك انترا على اجتياز محنته ومن ثم دعوته الى البدء بحزم بعملية تكيف ضرورية حتى تستقيم سياسته المصرفية مع واقعه كمصرف تجاري وليس كمصرف استثماري.

في ضوء هذا التحليل والسرد لأحداث انترا يمكن استنتاج الدروس والعبر التالية:

أولاً: كان من الممكن تفادي كارثة انترا لو أن البنك المركزي آنذاك قام بتحذير ادارة انترا سرّاً بضرورة التقيد بمبدأ المطابقة لجهة توظيف ودائعه في موجودات ذات مخاطر مختلفة. وكان من الممكن أيضاً مده بالسيولة الضرورية لقاء التقيد بالشروط التي يريدها البنك المركزي خصوصاً وأنه كان في وضع القادر على ذلك.

ثانياً: لا يستطيع أي نظام مصرفي أن يعمل بكفاءة واستقامة اذا لم يكن يخضع لرقابة مستمرة من قبل البنك المركزي لجهة نسبة السيولة التي يجب الاحتفاظ بها ولنوعية التسليفات التي يقدمها. أن ترك الموضوع لاجتهادات ادارة المصارف التجارية والاعتماد على الأعجوبة اللبنانية في تخطي العقبات والصعاب قد أدى الى كارثة. ومن الممكن أن يتكرر ذلك مستقبلاً اذا لم تكن عين البنك المركزي واعية لما يجري.

ثالثاً: لقد أدى عدم وجود سياسة نقدية سليمة ذات مضامين وأهداف اقتصادية واسعة الى عدم القدرة على ربط الأحداث والتطورات في اسواق النقد العالمي بالتطورات في السوق المالي اللبناني وبالتالي الى تعريض النظام المصرفي اللبناني بأسره الى الانهيار وفي أحسن الحالات الى اهتزاز الثقة بدور المصارف اللبنانية في المنطقة.

رابعاً: أن الكلفة التي دفعها الاقتصاد اللبناني والمصارف الوطنية من سمعتها ومستقبلها نتيجة لانهيار كبير المصارف اللبنانية جسيمة. ولا يمكن تبريرها بأي حال بالاخطاء التي مارستها ادارة البنك المذكور، أي ادارة انترا. لقد اراد البعض معاقبة بنك انترا لكي يكون أمثولة لغيره فكانت النتيجة أن عوقب الجهاز المصرفي بأسره في البلاد واستفادت المصارف الاجنبية على حساب المصارف الوطنية واهتز دور لبنان المالي كمقر أمين لودائع المواطنين العرب ●

● يقصد بالسيولة ما تحتفظ به البنوك التجارية من أوراق نقدية لمواجهة سحب المودعين لجزء من إيداعهم. فلا يكفي لتأمين المركز المالي للبنك التجاري ألاّ تقل القيمة الفعلية لأصوله عن جملة حسوماته، وإنما يتعين عليه الاحتفاظ بجزء من الايداعات في شكل نقدي أو في قيم يمكن تحويلها بسهولة وبسرعة إلى نقد دون التعرض لخسائر في عملية التحويل هذه، وذلك لمواجهة سحب الأفراد والهيئات للمبالغ المودعة من جانبهم في هذا البنك.

وإذا كان الاحتفاظ باحتياط من السيولة أمراً ينبغي أن يجعله البنك التجاري من قواعد سياسته، فإنه ليس بالعامل الوحيد الذي يحدد اختيار أصول البنك التجاري ذلك أن ثمة اعتباراً آخر له أهميته، هو اجتناء الأرباح حتى لو كانت البنوك جميعها ملكاً للدولة في بعض البلاد. فإن الأرباح من معايير الكفاية.

ولا شكّ أنه لو زادت نسبة السيولة على الحدّ الواجب، لكان معنى هذا تعطيل مقدار قد لا يستقر بغير مبرر، كما يحرم هذا التعطيل الاستثمار القومي من جزء من المدخرات بغير موجب عقلي أو اقتصادي، مما يقلّل من دور البنوك كأداة فعّالة في النظام الاقتصادي.

ومن جهة أخرى لو قلت نسبة السيولة عن الحد الواجب لأصبحت البنوك في مركز حرج. فقد لا تتمكن من الوفاء بالتزاماتها تجاه المودعين. ومن هنا لا بدّ من التزام الدقة في التقدير عند رسم سياسة توزيع موارد البنك التجاري على الأصول، حتى يتسنى له التوفيق بين اعتباري السيولة وتحقيق الأرباح.

وخشية أن يتغلب اعتبار الربح، يفرض القانون أو العرف على البنوك التجارية أن تحتفظ بنسبة معينة من ودائعها في صورة أرصدة نقدية جاهزة للصرف، أما التقلبات الموسمية والتغيرات المفاجئة في سحب الودائع أو الاقتراض، فان البنوك تستطيع ان تواجهها أمابتصفية بعض أصولها السائلة أو بالاقتراض من البنك المركزي أو البنوك الأخرى.

وفي مصر، قبل السبعينات، خولت للبنك المركزي سلطة تحديد نسبة ونوع الأموال السائلة التي يجب أن تحتفظ بها البنوك التجارية، وقد حددت بمقدار ٣٠ في المائة اعتباراً من أول أيار (مايو) ١٩٥٨. وفي لبنان بعد أزمة بنك «انترا» سنة ١٩٦٦، الزمت الحكومة المصارف بايداع جزء من سيولتها لدى البنك المركزي، كضمان لعدم تكرر أزمة السيولة التي انهار في أعقابها البنك المذكور. وفي مختلف البلدان تشمل الابداعات الأصول السائلة «النقدية»، والارصدة لدى البنك المركزي، والشيكات، والحوالات والكوبونات والاوراق المالية تحت التحصيل بما في ذلك النقدية في العملات الاجنبية واذونات الخزانة، والأوراق التجارية القابلة للحسم وتستحق الدفع في الداخل أو في الخارج خلال ثلاثة أشهر، وأوراق الحكومة والأوراق المضمونة من جانب الحكومة، والمبالغ المستحقة على البنوك.

الشيخ نسيب مكارم

شاعر الخط واللون

د. سامي مكارم

«بسم الله الرحمن الرحيم. اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الانسان ما لم يعلم»[1]. هكذا بدأ التنزيل الحكيم. ينبئ عن منزلة القلم عند الله. وعن منزلة ما يكتب بالقلم.

ويروى أن الامام علي بن ابي طالب مرّ يوماً برجل يكتب المصاحف. فقال: «أجلل قلمك». فقصم منه قصمةً ثم كتب. فقال عليّ: «نعم هكذا. نوّره كما نوّره الله»[2]. ويروى عنه كذلك انه قال: «الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً»[3].

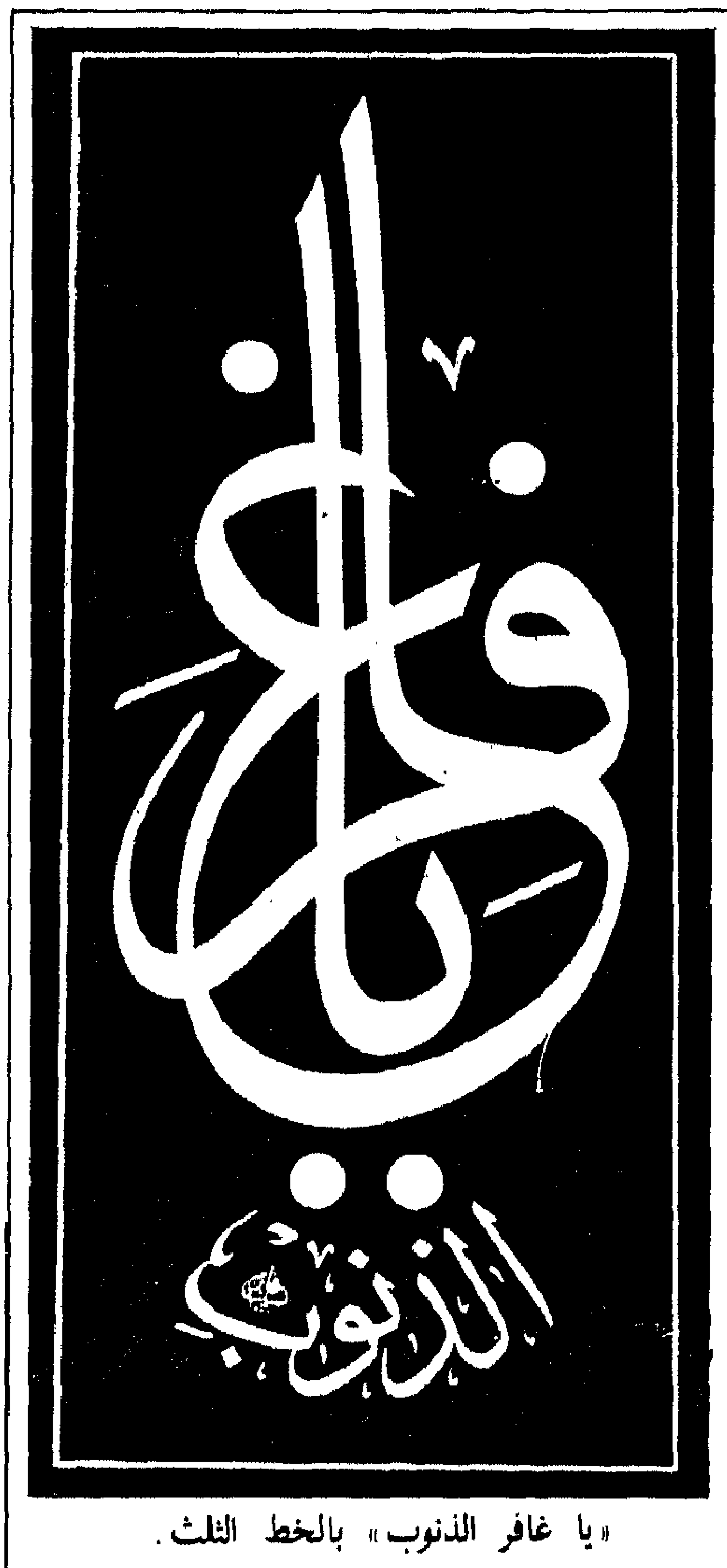


تدلنا هذه الاقوال وكثير من أمثالها على ما للقلم والخط من شرف في الاسلام. نسب إلى عبد الله بن عباس، شيخ المفسرين، انه فسّر اثارة العلم بانها الخط.[٤]. وذلك في قوله تعالى: «قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتابٍ من قبل هذا او اثارةٍ من علم ان كنتم صادقين»[٥].

وهكذا فان للقلم في الاسلام منزلةً من القدس ومكانة في الدين. فهو يصور كلمة الله ويعبّر عن المعرفة ويبلّغ عن العلم. الم يقسم به الله اذ قال: «ن والقلم وما يسيطرون»[٦].

وقد اطنب كثير من اعيان المسلمين في مدح الخط والقلم. نسب إلى العباس عم النبي (ص) انه قال: «الخط لسان اليد، والبلاغة لسان العقل، والعقل لسان المحاسن، والمحاسن كمال الانسان»[٧]. ونسب إلى ابراهيم بن محمد الشيباني قوله: «الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووحي الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الاخوان عند الفرقة، ومحادثتهم على بعد المسافة، ومستودع السر، وديوان الأمور»[٨]. وقال هشام بن الحكم: «الخط حلى تصوغه اليد من تبر العقول، وقصب يحوكه القلم بسلك الحذق»[٩]. وقال المأمون: «الخط روحنة العلم، وقلب الفهم، وفن الحكمة، وديباجة البيان»[١٠].

ولم ينس المسلمون، للدلالة على علو منزلة الخط، ان يستشهدوا بأقوال حكماء الاغريق وعظمائهم، فهم اصحاب منطقٍ وحكمةٍ وفنٍ وعلم، وكان لهم كبير الاثر في حضارة المسلمين. فأقوالهم إذاً تقوّي الحجّة وترجّح الكلمة وتثبت البرهان. ذكر ابن النديم عن اقليدس انه قال: «الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية»[١١]. وذكر ابو حيان التوحيدي عن افلاطون أنه قال: «القلم عُقال العقول، والخط بسط الحسّ والمدرك به مراد النفس»[١٢]. كذلك نسب ابن النديم إلى ارسطو طاليس قوله: «القلم العلة الفاعلة، والمداد العلة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة المتممة»[١٣].

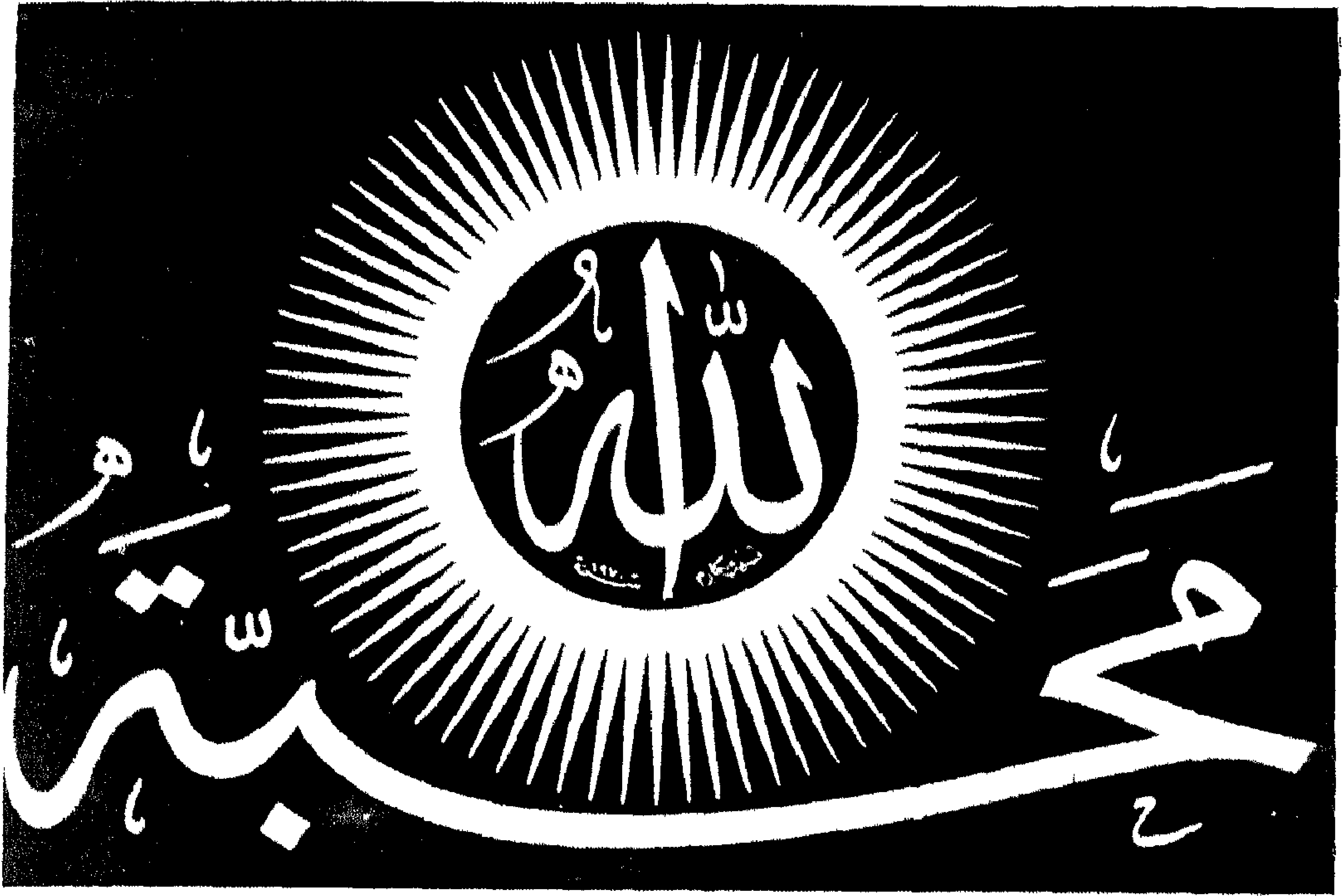


«يا غافر الذنوب» بالخط الثلث.

موقع الكلمة والخط في الاسلام

وقد بلغ الخط العربي منزلة في الفن عظيمة، وتجاوزت شهرته دار الاسلام، حتى أن ملك الروم،

* د. سامي مكارم استاذ في الادب العربي والفكر الاسلامي في الجامعة الأميركية، بيروت. بكالوريوس آداب، في الادب العربي والفلسفة من الجامعة الأميركية، بيروت. ماجستير في الادب العربي من الجامعة ذاتها. دكتوراه فلسفة في دراسات الشرق الاوسط من جامعة ميتشيغان آن اربر، الولايات المتحدة. علم في جامعة ميتشيغان المذكورة والجامعة اللبنانية والجامعة الأميركية في بيروت. رئيس دائرة الادب العربي ولغات الشرق الادنى ومركز دراسات الشرق الاوسط في الجامعة الأميركية في بيروت بين ١٩٧٥ و١٩٧٨. وهو يتعاطى فن الخط العربي واقيم له معرض في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ في الجامعة الأميركية في بيروت.



«الله محبة» من لوحاته.

فيما يروي ابو حيان التوحيدي، كان يعجب بخط احمد بن ابي خالد كاتب المأمون، فكان «يخرجه في يوم عيده في جملة زينته، ويعرضه على العيون»[١٤].

ولا عجب اذا وضع المسلمون الكتابة في هذا الموضع الرفيع فالكلمة الالهية في الاسلام انما نزلت بصورة كتاب، وليس بصورة انسان كما هي الحال في المسيحية او في غيرها من ديانات. لذلك كان الخط عند المسلمين ميداناً للفن ومجالاً له ومحتوى. فيه تجسد الذوق وانصب الرونق وانعكس الجمال. اذ يصور الحرف المنزل والكلمة الالهية والعلم اللدني حيث تنعكس اصداء هذه الكلمة الوحدانية على جدران المساجد الرحبة العالية المقببة المحلاة بجميل الخطوط وجلال تشامخها وانعطاف استداراتها ورونق النقوش، فتتحد بجلال شموخ المنائر وجمال تكنّف القباب لترجّع اصداء ترتيل الكتاب وترنيم المدائح النبوية والتعازي والأوراد وسماع المتصوفة الرقيق.

هنا نرى كيف يختلف الفن في الاسلام عن الفن في كثير من الاديان. ففي المسيحية مثلاً تجسدت كلمة الله في المسيح الانسان، ليتجسد الانسان على الخشب ايقونةً وعلى الرخام والبرونز تمثالاً، وفي البوذية والهندوكية تجلت الالوهة في الانسان كذلك ليتجسد هذا الانسان فناً في الحجر او في المعدن ايضاً. اما في الاسلام فقد اصرّ المسلمون على كون كلمة الله كتاباً. من هنا كان الخطاط يجسّد في فنه كلمة الله. وكان الخط، في اتحاد حروفه على كثرتها، انما يشير إلى الوحدانية، وفي تناسب بياضه وسواده، على تضادهما، وفي توافق الوانه على افتراقها، وفي اجتماع ثقيل حروفه بخفيفها ومستقيمها بمستديرها، انما ينزع إلى الوحدة في الكثرة، والى التوافق مع الوجود الكلي، والى الانسجام في الواحد الحق. قال العسجدي الخطاط يصف الخط الحسن: «واما حلاوته فافتراقه في اجتماعه»[١٥]. وهكذا كان الخط في الاسلام محور الفن وقطب الجمال. يطوّرونه ويحسنونه ويعبرون به عما يختلج في قلوبهم من عواطف واحاسيس ورؤى. وهذا ما حدا عميد الخط العربي في هذا العصر، الشيخ نسيب مكارم، موضوع هذه العجالة، على أن يقول: «الخط ضرب من التصوير مستمدّ من خيال رحب».

الشيخ نسيب: مولده ونشأته.

ولد الشيخ نسيب مكارم في عيتات من جبل لبنان في ١٤ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٩، وفيها توفي في ٤ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧١. كان قد نزح إلى



الشيخ نسيب مكارم بين ولديه وأحفاده. وكاتب المقال د. سامي مكارم إلى اليسار.

عيتات من رأس المتن، وهي احدى قرى المتن الاعلى من جبل لبنان، جد الشيخ نسيب، واسمه سلمان. نزح اليها وهو في العقد الثاني من عمره مع والده حمود زين الدين مكارم ووالدته عارفة، وهي في الاصل من عيتات من عائلة عبد الله التي عرفت بطيب المحتد والتقوى والورع.

كان حمود زين الدين مكارم من وجوه قومه. وكانت عائلة مكارم مشهورة بشدة البأس وقوة الشكيمة، حتى انها كانت تعد من «جمرات العيال» في جبل لبنان[١٦]. وقد تميّز حمود إلى جانب تقاه وورعه بصلابة العود والشجاعة والاباء ورجاحة العقل. وكان ذلك مما لم يرق للأمير اللمعي في المتن اثناء احتلال ابراهيم باشا المصري. فأضمر لحمود الشر وعزم على الايقاع به. وجاء من يقول لحمود ان الأمير اللمعي عازم على تجنيد وحيده سلمان في جيش ابراهيم باشا فرحل هو وزوجه وابنه تحت جنح الظلام إلى ناحية الغرب وتوجه بادئ الأمر إلى بلدة بيصور حيث يقطن بيت من آل مكارم ينتمي إلى فرع عبد الصمد وهو الفرع ذاته الذي ينتمي إليه حمود. هناك بقي حمود وزوجه وابنهما مدّة من الزمن، إلى أن دعاهم آل تلحوق، حكام ناحية الغرب الاعلى في ذلك الوقت، إلى السكن في عيتات مركز الناحية فلبى حمود الدعوة واسكنه التلاحقة داراً لهم[١٧] وذلك نظراً لما كان يتمتع به هو واسرته من فضل وتقى وصلاح.

وبلغ حمود رتبة في الدين عالية، وكذلك بلغت زوجه. ويروى انه عند موتها ابى آل تلحوق إلاّ أن يستاثروا بحمل نعشها دون اهل قرية عيتات، على غير عادة الحكام. فساهموا جميعهم بهذا الاجر الا الشيخ اسعد تلحوق، فقد منعه كبر السن من هذا الشرف فاكتفى بلمس النعش تبركاً. وما زال ضريح هذه السيدة الفاضلة قائماً يزار.

وبلغ الفتى سلمان بن حمود اشده. وتميز كوالديه بالتقى والفضل واخذ يجاهد ليل نهار ويعمل لدينه ودنياه فكان لا ينام إلا ردحاً من الليل لينهض بعده ويعمل في اصلاح الاسلحة، حتى اذا ما بزغ الفجر اصلح من شأنه وخرج لمزاولة مهنته الاخرى وهي التجارة. واستطاع أن يجمع ثروة اقتنى بها مساحات من الارض في عيتات. وقد رزق سلمان ولدين تعلما التجارة مهنة والدهما. وتزوج سعيد بفتاة من آل يونس من قرية عيناب المجاورة ورزقا سبعة بنين وابنتين. وكان نسيب ثاني اولادهما.

ارسل سعيد ابنه نسيباً إلى مدرسة سوق الغرب

العالية. غير أن المنية اختطفت الوالد وهو في الثالثة والاربعين وابنه نسيب ما زال فتى في الرابعة عشرة. فاضطر إلى مغادرة المدرسة ليعيل والدته وجدته لأبيه وأشقاءه الستة وشقيقتيه. وكان عمر شقيقه الأصغر آنذاك تسعة اشهر. ولحسن الحظ كان قد تعلم مهنة النجارة من والده واتقنها وهو صغير السن، حتى أن والده صنع له منصة واطئة يستطيع أن يعمل عليها. وقد اصبح معلماً حاذقاً وغالباً ما كان يتسلم الورَش عن ابيه، ويشتغل تحت ادارته أكثر من خمسة عشر عاملاً احياناً.

ولكن الفتى النجار كان ينظر إلى امه ذات الخط الجميل، فيعجب به ويطمح إلى مضاهاته. وكانت والدته واسمها عذباء، قد تخرجت من مدرسة شملان الانكليزية ونالت شهادتها الثانوية سنة ١٨٨٦. ونادراً ما كان ذلك يتسنى للفتيات في القرن التاسع عشر.

الفنان والانسان:

واخذ الفتى يتدرب على الكتابة في اوقات فراغه. وكانت امه تشجعه على ذلك وتقدم له بعض التوجيهات. وجمع الفتى آثاراً لبعض كبار الخطاطين من فرس واتراك، يأخذ عنها قواعد الخط على اختلاف انواعه، منقّلاً انامله بين القلم والريشة هوايته من جهة، والمنشار والرابوخ مورد رزقه ورزق اخوته وامه من جهة اخرى. وكان، بروح الفنان، يوفّق انامله إلى العملين، فيأتي في كليهما بآيات من الفن والابداع. كان يقول لي انه كثيراً ما امسك بالقلم يتمرن به على مختلف أنواع الخطوط عشر ساعات متتالية حتى يعود لا يستطيع تحريك انامله، فيطلب وعاء من الماء البارد ويغمس يده فيه يليّن اعصابه ويبرّد انامله الحرّى، ويرتاح قليلاً ليعيد الكرة من جديد. كان يتذرع بالصبر ويستنجد بالله، فهو الديّن الورع، تربى على محبة الله ونشأ على طاعته وعبادته. وقد لبس العمة وهو ما زال يافعاً.

قرأ مرة أن الأمير عزالدين جواداً التنوخي كتب آية الكرسي على حبة ارزّ، ويبلغ عدد كلمات هذه الآية نحو الخمسين. وحدثته نفسه الطموح بمنافسة الأمير، فكتب على حبة ارزّ قطعة بلغت كلماتها احدى وستين كلمة، وعرضها في معرض زحلة سنة ١٩٠٩ — وكان ابن عشرين سنة — فنالت الجائزة الاولى الممتازة[١٨]. ولم يكتف الفتى الشيخ بالتفوق على الأمير التنوخي، بل اراد أن يتحدى الاجيال الآتية. كان يقول: «كما نافست الخطاطين السابقين فقد يأتي من ينافسني في المستقبل لذلك فعلي أن انافس المستقبل». وهكذا كان، فقد توصل إلى أن يكتب على حبة ارزّ قصيدة بلغت ثلاثين بيتاً وبلغت كلماتها مائتين وسبعاً وثلاثين، بالاضافة إلى غيرها من النفائس التي بلغت غاية في الدقة.

في سنة ١٩١٩ تزوج الشيخ نسيب، وكان قد بلغ الثلاثين، من ابنة سليمان فرج من قرية عبيه[١٩]. وهي صاحبة فن رفيع ايضاً؛ اشتهرت بأشغالها اليدوية من تطريز وغيره. وقد ابدعت كزوجها آثاراً فنية في غاية من الاتقان فنالت جائزة الشرف مع المدالية الذهبية لما عرضته من تخريم الدانتال اليدوية في معرض المنتوجات والمصنوعات الوطنية الذي اقامته جمعية النهضة النسائية في بيروت سنة ١٩٢٨. كذلك نالت الجائزة الممتازة لما عرضته من تطريز وتخريم في معرض الصناعات الوطنية الذي اقامته وزارة الزراعة والتجارة السورية في دمشق سنة ١٩٢٩. وما زالت إلى الآن — وقد نافت على الخامسة والثمانين — تبدع اناملها الرقيقة آيات من الاعمال الفنية تزيّن بها بيوت ولديها واقربائها واصدقائها.

كان الشيخ نسيب تقياً ورعاً عابداً. درج على النهوض من النوم كل يوم في الساعة الثانية او الثالثة صباحاً. ليأخذ بالعبادة والابتهال والتهجّد. ويبقى على هذه الحالة حتى الساعة السادسة او أكثر، فيبدأ بتهيئة نفسه للذهاب إلى عمله. كان لا يأكل الا قليلاً، ونادراً ما يتناول من الطعام الا صنفاً واحداً. وكان إلى ذلك مبالغاً في الصدق، لا يرجع عن وعدٍ قطعه، ولا يغير قولاً ولا يتفوه بكلمة يُحتمل خلافها، ولو كان احتمالاً بعيداً. كان وزوجه مرة في غرفة من غرف البيت، فلما خرج سئل أين زوجه، فأجاب: «تركتها في الغرفة». ولم يقل: هي في الغرفة، خوفاً من أن تكون قد خرجت في تلك اللحظة من باب آخر، فيكون كلامه اذ ذاك غير صحيح.

كان الشيخ نسيب خبيراً بصحة الخطوط لدى المحاكم: وقد اشتهر إلى جانب تدقيقه بنزاهته الفائقة حتى أن القضاة كانوا يقولون: «ان الشيخ نسيب مكارم ضمانة للعدل». كثيراً ما كان يسمع قولهم: «اننا عندما نرى امضاء الشيخ نسيب في ذيل تقاريره يرتاح منا الضمير»[٢٠]. اما هو فقد عاش حياته راضياً

مطمئنا لا تفارق الابتسامة شفتيه وعينيه الا عندما يسمع كذباً او يرى غشاً او خداعاً او امراً منافياً للخلق القويم. لذلك كان يحن إلى الابتعاد عن الناس والانصراف إلى ربه وتمجيد الجمال بما يخطه من جمال.

في سنة ١٩٦٥ اصيب بمرض في القلب ترك على اثره مكتبه في بيروت ولازم بيته في قرية عيتات. فقلت مواجهته اكاذيب الناس، وكثرت البسمات تنير وجهه وتؤلق عينيه. وانصرف، كما كان يتمنى، إلى ربه يعظمه بما يبدعه من جمال، واخذ الفن يتدفق من قلبه وريشته ليمجد الله في كل حرف ولون، وهو يردد: «ان المرض نعمة من نعم الله الوافرة عليّ». واذا بيته في عيتات يزخر باللوحات الخطية الفنية، وقد كتب معظمها بالذهب على الزجاج، حتى اصبح بيته بحق، كما وصف، «المتحف الذهبي».

الشيخ نسيب والحرف العربي:

لم يهتم الشيخ نسيب بابداع اللوحات الفنية وحسب، بل شعر ايضاً بمشكلات الحرف العربي حيال التقدم الحضاري وما يتطلب ذلك من نشر للمعرفة ومشاركة في الحضارة. ورأى أن الابجدية العربية، بما فيها من تعدد اشكال كل حرف من حروفها، تقف عائقاً، ان هي لم تتكيّف، امام تطور الطباعة، لما تعرضه من صعوبات تقنية واقتصادية. فلقد بلغ عدد اشكال الحروف العربية المطبعية نحو ثلاثمائة وخمسين شكلاً. راع الشيخ نسيب هذا الأمر كما راعه أن كثيراً من الاقتراحات كانت تقوم اما على الغاء الحرف العربي وابدال الحرف اللاتيني منه، واما على تجريد هذا الحرف من جماله ورونقه. فيبتكر الشيخ نسيب مع صديقه يوسف غصوب حروفاً مطبعية جديدة اختصرا بها أشكال الحروف المطبعية إلى ستين شكلاً يرسمها الشيخ نسيب بخطه الجميل محافظاً على تقاليد الخط العربي ورونقه. ويعرف هذا الخط بخط غصوب — مكارم.

بالاضافة إلى ذلك عمل الشيخ نسيب على تحسين الحرف المطبعي العادي متوخياً أن يكون اقرب إلى الفن منه إلى جفاف الآلة وبرودتها. وينتهي إلى رسم حرف مطبعي جديد يحافظ فيه على اصول خط النسخ ورونقه. ويعرف هذا الحرف بحرف مكارم او بحرف عشرين.

الهوامش

(١) سورة العلق (٩٦): ١ — ٥.

(٢) ابو حيان التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي (تحقيق ابراهيم الكيلاني). دمشق: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٥١. ص ٤٦.

(٣) احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣. القاهرة: دار الكتب الخديوية، ١٩١٤. ص ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥.

(٥) سورة الاحقاف (٤٦): ٤.

(٦) سورة القلم (٦٨):

(٧) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ص ٣٨.

(٨) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٦.

(٩) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ص ٤٠.

(١٠) المصدر ذاته، ص ٤١.

(١١) ابن النديم، كتاب الفهرست، ج ٢ (تحقيق **Gustov Flügel**) بيروت: مكتبة خياط، ١٩٦٤. ص ١٠.

(١٢) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ص ٤٢.

(١٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٠.

(١٤) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة، ص ٣٦.

(١٥) المصدر ذاته، ص ٣٦.

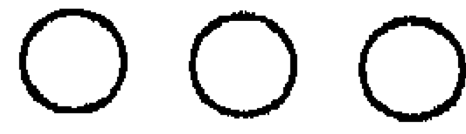
(١٦) جاء في **رسالة تاريخية في احوال لبنان في عهده الاقطاعي** منسوبة إلى الشيخ ناصيف اليازجي، ص ١٦، (حريصا: مطبعة القديس بولس) ما يأتي: «ومن رعايا هذه البلاد طوائف من اصحاب السيف لهم سطوة في البلاد ونجدة بين ولاة الأمور، فهم يراعون جانبهم ويحذرون تعصبيهم. وهم بنو سيف، وبنو عبد الصمد، وبنو ابي شقرا، وبنو

ملاّك ، وبنو جودية ، وبنو البعيني ، وبنو ذبيان ، وبنو حماده في الشوف ، وبنو الغضبان ، والحسنية ، وبنو زيتون ، وبنو بدر ، وبنو ابي ملهم في العرقوب ؛ وبنو احمد ، وبنو الصايغ في الجرد ، وبنو خداج وبنو غرز الدين في الشحّار ، وبنو سعد ، وبنو المدوّر في الغرب ؛ وبنو حاطوم ، وبنو هلال ، وبنو الاعور ، وبنو ابي المحُسْن ، وبنو النجار ، وبنو صالحة ، وبنو مكارم ، وبنو القنطار ، وبنو مرداس ، وبنو ملوط ، وبنو منذر ، وبنو الناكوزي ، وبنو الكعدي ، وبنو معلوف في المتن. وهم اشهر هذه الطوائف واشدها بأساً. ومنهم بنو بدر وابي ملهم والناكوزي والكعدي والمعلوف نصاري ، والباقي دروز. وهم جمرة العداوات والفتن في البلاد. ولهم عادة أن يخرجوا على ولاة امورهم يتعبون بهم تعبا شديداً. وفي أكثر الاحيان لا يقدرون على اخذهم الا بالحيلة ».

(١٧) تشاء الاقدار أن تنتقل اخيراً هذه الدار التي سكن فيها حمود زين الدين مكارم وزوجه وولده سلمان إلى ملكية احد احفاده ، وهو كاتب هذا المقال ، مع دار التلاحقة المجاورة.

(١٨) راجع انيس نصر ، **النبوغ اللبناني في القرن العشرين** ، ج ١ ، ص ١٥٢. حلب : مكتبة العصر الجديد ، ١٩٣٨. كذلك راجع الأب انطون ضو الانطوني ، **الشيخ نسيب مكارم ، فنان الخط واللون** ، ص ٥٣. بعبدا : منشورات المعهد الانطوني ، ١٩٧١.

(١٩) اشتهر سلمان فرج بالرقة والدماثة والسخاء وحسن الطباع. قيل أنه كان بجوار حقل له حقلٌ آخر تملكه سيدة مسيحية رقيقة الحال ؛ فكان يأبى الا أن يدفع عن تلك المرأة ضريبة حقلها ذاك حرمةً للجوار. وقد اصيب ، وهو دون الخامسة والاربعين ، بفالج ما أن شفي منه حتى سبب له صداعاً شديداً جعله يتضوع المًا كلما سمع صوتاً او رنيناً. فلما سمع مسيحيو قريته بمرضه ابطلوا قرع اجراس كنائسهم السبع حباً به وضناً بأن يصيبه أي ازعاج ، واكتفوا بدق ناقوس خفيف الصوت كان في كنيسة في قرية كفرمتى المجاورة. وبقوا على هذه الحال حتى انتقل إلى رحمة الله.



مع الصحافة وضدّها

«ان الدولة الحرّة تحتاج إلى تقرير صادق ، متفهّم ، ذكي ، عن احداث اليوم ، يحمل في متنه تحليلاً لهذه الاحداث ، ويمكنه أن يبلغ كل فرد في المجتمع. وهذا ما تؤمنه الصحافة».

لجنة اميركية لدراسة اصول الصحافة

«ان نابليون مدين للصحافة بجيش مؤلف من ٣٠٠ الف جندي»

مترنيخ

«الصحافة هي الدولة الرابعة في المملكة».

تيودور كارليل

«المال ، المركز ، الشهرة... كلها لا شئ هام امام الصحافة التي هي كل شئ».

كريميو

«كل صحيفة ، من السطر الأول حتى السطر الاخير ، ليست سوى رداء في الرعب : حروب ، جرائم ، سرقات ، تعذيب ، جرائم امراء ، جرائم امم ، جرائم افراد ، عربدة من الوحشية الكونية.

«ويمثل هذه الشهية المقرفة يرفق الانسان المتحضر وجبة فطوره كل يوم. لا افهم ابداً ان تستطيع يد طاهرة ان تمتد لتلمّس صحيفة بدون أن يعتبرها شعور بالقرف».

شارل بودلير.

من أخبار المسرح الكوميدي في مصر ١٩٠٥ - ١٩٢٠

عزيز عيد

د. محمد يوسف نجم، استاذ الأدب العربي في الجامعة الاميركية، بيروت.

عزيز عيد
من جوق اسكندر فرح حتى رمسيس

مع اسكندر فرح (١٩٠٥–١٩٠٧):

● يبدو من الأخبار القليلة التي بلغتنا عن البداية الفنية لعزيز عيد انه احترف التمثيل في موسم ١٩٠٥–١٩٠٦، حين التحق بجوق اسكندر فرح الجديد الذي الفه بعد انفصال الشيخ سلامة حجازي عنه واستقلاله بجوقه على مسرح دار التمثيل العربي. وقد ضم جوق فرح الجديد[١] الشيخ أحمد الشامي وعزيز عيد وأمين عطا الله وعلي يوسف وأحمد محرم ومحمود كامل، ومن السيدات ماري صوفان وابريزا ستاتي وشقيقتها المز. وكان يشرف على تدريب الممثلين الممثل المغني رحمين بيبس. كان يقوم بالادوار الغنائية في هذا الجوق الشيخ أحمد الشامي ورحمين بيبس، أما البطولات النسائية فكانت معقودة للممثلة البارعة ماري صوفان التي تألقت كالشهاب في هذا الموسم ثم انطفأت فجأة. وقد اشتهر عزيز في هذا الجوق الجديد بتمثيل الادوار الكوميدية في مسرحيات الجوق وفي الفصول الهزلية التي تعقبها، يشاركه في ذلك أمين عطا الله. ومن ادواره التي عرف بها آنذاك دور البوليس السري فوكس في مسرحية «الطواف حول الأرض»[٢] ودور المرابي في «ماري تيودور» (نقاش الخناجر)[٣] وبدور مولينيه في «العواطف الشريفة»[٤] (صاحب معامل الحديد).

جوق عزيز عيد وسليمان الحداد. (١٩٠٧–١٩٠٨):

بادر عزيز بعد حلّ الجوق إلى تكوين فرقة صغيرة من فلول الجوق، ومثل معها مسرحية «مباغتات الطلاق» التي عربها عن الفرنسية، على مسرح دار التمثيل العربي يوم السبت ٢٠ تموز (يوليو)[٥] ثم استقال من وظيفته في البنك الزراعي وضم اليه زميله في البنك نجيب الريحاني[٦]، والممثل القديم الشيخ سليمان الحداد الذي تولى ادارة الجوق[٧].

استهل الجوق موسمه في التياترو المصري (مسرح

اسكندر فرح) بشارع عبد العزيز في ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧ بتقديم مسرحية «ضربة مقرعة»[٨]. ومثل أيضاً «مباغتات الطلاق»[٩] و«الابن الخارق للطبيعة» و «الملك يلهو» و «ليلة الزفاف» و «الماسون»، و «جرنجوار» و «عندك حاجة تبلغ عنها»، وجميعها من المسرحيات الفودفيلية المعربة. كما مثّل مسرحية «في سبيل الاستقلال» التي الفها سليم النجار عن معركة رشيد التي وقعت بين محمد علي والانجليز. وتنقل في موسمه القصير هذا بين التياترو المصري، ودار التمثيل العربي ومسرح عدن الجديد وتياترو الحمراء بالاسكندرية.

واستمر الجوق في تمثيله حتى نهاية كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨[١٠].



عزيز عيد.

مع اسكندر فرح ثانية (١٩٠٩):

قضى اسكندر فرح موسم ١٩٠٧-١٩٠٨ وطرفا من الموسم الذي بعده دون جوق، واكتفى اثناء هذه المدة بتأجير مسرحه للاجواق الأخرى ومنها جوق عزيز. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩ عاوده النشاط، فألف جوقا واخذ يستعد لاستئناف التمثيل في الشهر التالي[١]. انضم عزيز عيد إلى هذا الجوق الذي استمر فترة قصيرة لم تتجاوز شهراً وبعض الشهر، مثل اثناءها عدداً من مسرحياته القديمة التي كان لعزيز أدوار فيها، ومنها «ابنة حارس الصيد» و «الطواف حول الأرض» و «الكابورال سيمون»[٢].

مع شركة التمثيل المصري وجوق الشيخ سلامة حجازي (١٩٠٩-١٩١١):

حلّ فرح جوقه ولما يمضي عليه أكثر من ستة اسابيع، وفي ١٨ تموز (يوليو) ١٩٠٩ أصيب الشيخ سلامة حجازي بالفالج اثناء وجوده مع جوقه في الشام. فقام افراد من جوقه ومن جوق اسكندر فرح بتأليف جوق جديد دعوه «شركة التمثيل المصري». وبدأوا نشاطهم بتمثيل مسرحية «الطواف حول الأرض» في صالة الأعياد بالاسكندرية، يوم الأحد ٨ آب (أغسطس)[٣].

وتتابعت الأجواق التي تفرعت عن هذين الجوقين[٤]، ولا ندري ماذا كان دور عزيز عيد فيها، ولكننا نعثر في كانون الثاني (يناير) ١٩١١ على خبر يفيد انه كان بطل مسرحية الكابورال سيمون في جوق الشيخ سلامة حجازي[٥]. ويبدو أن عزيزا كان أحد أفراد هذا الجوق الذي كان يتكون من بعض ممثلي جوق الشيخ سلامة برئاسة عبد الله عكاشة[١٦]. ويبدو انه استمر بعد ذلك في العمل مع هذا الجوق واخراج



الشيخ سلامة حجازي.

المسرحيات له إلى ان التحق بجوق جورج ابيض سنة ١٩١٢، اذ تذكر السيدة روز اليوسف في مذكراتها انها تعرفت اليه اثناء عمله مع اولاد عكاشة حين كان يخرج لهم مسرحية «عواطف البنين» على مسرح دار التمثيل العربي[١٧]. وقد قدّم اولاد عكاشة هذه المسرحية على مسرح دار التمثيل العربي، حسب ما وصلنا من معلومات، في ٣٠ نيسان (ابريل) و ٢٥ ايار (مايو) ١٩١١، وقدموها بعد ذلك في التياترو المصري بشارع عبد العزيز. ونجد بعد ذلك اسمه يتردد مع جوق عبد الله عكاشة[١٨]، ويذكر اسم المسرحية التي اشتهر باخراجها وتمثيل احد ادوارها وهي الكابورال سيمون[١٩].

مع جورج أبيض (١٩١٢–١٩١٥):


جورج أبيض.

ترك عزيز جوق عبد الله عكاشة واخوته، وانضم إلى جوق جورج أبيض الذي بدأ نهضة حقيقية في فن التمثيل اسعدت عزيزا واحيت الامل في نفسه واطلقت لسانه بعبارات التقدير والثناء[٢٠]. واشتهر عزيز بتمثيل عدد من ادوار المسرحيات التي قدمتها الفرقة منها دور ياجو في «عطيل» وكوكارداس في «الأحدب» وأمين في «مدرسة الازواج» والكابورال في «الكابورال سيمون». كما كان يقوم باخراج مسرحيات الفرقة. استمر عزيز مع جوق جورج في موسميه الأولين، ثم بقي معه حين اشترك جورج مع الشيخ سلامة في جوق أبيض وحجازي الذي بدأ موسمه الأول في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٤، وضم في من ضمّ نجيب الريحاني وروز اليوسف.

وقبل ان ينتهي هذا الموسم ترك عزيز الجوق ومعه روز اليوسف والريحاني وأمين عطا الله ليؤلفوا جوقا خاصاً بهم.

جوق الكوميدي العربي (١٩١٥):

الف عزيز هذا الجوق من زملائه الذين انفصلوا عن جوق أبيض وحجازي وضم اليه أمين صدقي واستفان روستي وأمين عطا الله وحسن فايق وأحمد حافظ وعبد اللطيف جمجوم[٢١]. وكان ممول الجوق هو صاحب مقهى متروبول بشارع عماد الدين، الذي امده بعشرة جنيهات[٢٢].

بدأ الجوق عمله على مسرح برنتانيا، وكان يمثل ثلاث ليال في الاسبوع. وقد استهل نشاطه يوم الخميس ٢٠ ايار (مايو) ١٩١٥ بتمثيل مسرحية «خلي بالك من اميلي» التي عربها أمين صدقي عن جورج فيدو[٢٣]. ثم قدم «ضربة مقرعة»[٢٤]. وقام في هذه الاثناء برحلة إلى المنصورة[٢٥].

كان اتفاقهم مع مسرح برنتانيا جائراً، ولذا قرروا الانتقال الى مسرح آخر، أقل تكاليف، فاختاروا مقهى الشانزلزيه بالفجالة[٢٦]. وانضم اليهم آنذاك عبد اللطيف المصري[٢٧]. وقدموا على مسرحهم الجديد: «الأبن الخارق للطبيعة»، و «شهداء الغرام الهزلية» و «عندك حاجة تبلغ عنها»، و «ضربة مقرعة» و «المهرج بلفجور»[٢٨] وظلوا على هذا المنوال طوال شهري تموز وآب (يوليو وأغسطس). وكانت حالة الجوق، من الناحية المادية تسير من سيء إلى أسوأ، ولذا اقترح عليهم علي يوسف، احد متعهدي الحفلات، ان يتفقوا مع منيرة المهدية، التي كانت مشهورة في عالم الغناء آنذاك، على أن تتعاون مع الجوق، فتخرج من دائرة الغناء إلى دائرة التمثيل، وتقدم في كل ليلة فصلاً من إحدى مسرحيات الشيخ سلامة حجازي الغنائية[٢٩]. ويقال انهم بدأوا العمل معها على مسرح سينما باتيه بشارع بولاق (فؤاد الأول،

ثـم ٢٦ يـوليـو) ، يوم السبت ١٤ آب (اغسطس). فمثّل الجوق مسرحية «المهرج بلفجور»، وقدمت منيرة الفصل الخامس من «شهداء الغرام»، وغنت فيه قصيدة «سلام على حسن يد الموت لم تكن تمحوه أو تمحو هواه من القلب»[٣٠]. واستهلت الحفلة بغناء اربعة أبيات اولها: «سلام على قومي وآل عشيرتي» تحيي بها الجمهور وتخبره باعتزامها الالتحاق بمهنة التمثيل[٣١].

وفي ٢٦ آب (اغسطس) قدم الجوق مسرحية «المدموزيل جوزيت مراتي»، على مسرح برنتانيا، ومثلت منيرة الفصل الثالث من «صلاح الدين الأيوبي» وفيه تغني قصيدة: «أن كنت في الجيش ادعى صاحب العلم/فـانني في غرامي صاحب الالم»[٣٢]. وافتتحت الحفلة بلحن استقبال من تلحين كامل الخلعي[٣٣].

وتهافت الجمهور على المسرح وارتفع الدخل ارتفاعاً غير منتظر. ولكن لم تمضِ مدة طويلة حتى شعرت منيرة انها هي وحدها المقصودة بهذا الاقبال، وان اسمها هو الذي يجذب الناس إلى ارتياد المسرح، وانه من الغبن ان تكون شريكة في الايراد بالنصف فقط، ومن ثم صممت على فصم الارتباط[٣٤]. وعندما انسحبت منيرة عاد الجوق إلى كازينو الشانزلزيه ثانية وعاودته أيام البؤس[٣٥]. وظل الدخل يتضاءل يوماً بعد يوم حتى اضطر إلى ان يلحق نفسه بجوق عكاشة.

مـع جـوق عبـد الله عكـاشة واخـوتـه (١٩١٥-١٩١٦):

بعد انسحاب منيرة وتعثر الجوق وانفضاض الجمهور من حوله، قرر الانضمام إلى اولاد عكاشة، الذين كانوا يعانون ما يعانيه من منافسة جوق أبيض وحجازي. وتم الاتفاق بين الجوقين على العمل معاً مع بقاء كل منهما مستقلاً عن الآخر، بمعنى ان يتناوبا ليالي التمثيل، على ان يقسم الايراد مناصفة بينهما[٣٦].

بدأ الجوق الجديد عمله في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ على مسرح دار التمثيل العربي[٣٧].

ولم يزدهم وجودهم مع العكاشيين-كما يقول الريحاني-الا خبالا[٣٨]، فقرروا حوالي منتصف ابريل ١٩١٦ الانسحاب من الجوق المشترك. واتفقوا مع الحاج مصطفى حفني على أن يمثلوا على مسرح برنتانيا وخاصة في اشتراكات أيام الجمعة. فمثل عدداً من المسرحيات منها «بسلامته ما دخلش دنيا» و «الكابورال سيمون» و «عيشة المقامر» وغيرها[٣٩].

وفي منتصف ايار (مايو) انفصل الريحاني عن الجوق، واخذ يترقب الفرص التي تتيح له ان يظهر على المسرح في عمل يبرز فيه مواهبه الحقيقية ويتيح له من النجاح والشهرة مما لم يتح لـه من قبل. واختفت اخبار عزيز عيد فترة من الزمن، ظهر بعدها منافساً صغيراً لزميله القديم الريحاني.

وقبل ان نتحدث عن هذه الفترة من حياته الفنية لا بد لنا من الحديث عن الحملة الصحفية التي اثارتها مسرحيات عزيز الفودفيلية في موسميه الاخيرين.

حملة صحافية

بدأ هذه الحملة الكاتب د.ن.ج. الذي علق على مسرحيات الجوق عامة تعليقاً موجزاً قال فيه:

«علمتم ولا شك بتأليف جوقة جديدة باسم الكوميدي العربي وتمثيلها رواية خلي بالك من أميلي، التي مثلت ليلتي الخميس والسبت من الاسبوع الماضي. ومع تقديري التعب الذي بذله افراد هذا الجوق الأدباء حق قدره، اقول ان هذا النوع من الروايات سيفضي إلى ضرر كبير من وجهين: الوجه الأول انه ازاء ما نعلمه من حب الجمهور في مصر للنكات الهزلية والروايات المضحكة، نخشى ان يؤثر هذا النوع من التمثيل وينصرف الجمهور اليه. والوجه الثاني ان هذا الجوق الجديد قد أبتدأ بسلسلة روايات جديدة وهزلية، وطلب من الاوانس والسيدات ان لا يحضرنها. وهذا كاف للدلالة على موضوعها»[٤٠].

وبعد ذلك بقرابة اسبوعين نشر كاتب وقع باسم «سهيل» مقالاً ضافياً بعنوان «حركة التمثيل العربي»، هاجم فيه اتجاه الجوق في اختيار المسرحيات وتعريبها وتمثيلها، وبعد ان تحدث عن الفودفيل بوجه عام، ختم مقاله قائلاً:

«ثم ان تلك اللغة التي يستعملها الجوق في رواية «ضربة مقرعة» واشباهها ليست بالعربية العامية كما يتوهم اصحابها. بل الغالب فيها شيء من أساليب الاعاجم اذا تكلموا لغتنا العامية. فاذا كانوا مضطرين إلى استعمال العامية فليقلدوا عثمان بك جلال فيما عربه

من روايات موليير. ولا بد لحضرات الممثلين ان يتحاموا في تمثيلهم تلك الحركات والاشارات المتناهية في الخلاعة. أما اذا كان ذلك كله فوق طاقتهم فالأولى ان يعدلوا عن نوع الفودفيل»[٤١].

وبعد يومين ردّ عليه أمين صدقي، وفند آراءه فيما يتعلق بالاختيار والتعريب. فردّ عليه كاتب آخر بتوقيع «محب للتياترو» ردّاً عنيفاً جاء فيه تعليقاً على مسرحية «خلي بالك من اميلي».

«تريد بهذه الرواية ان تضحكنا وتهذب اخلاقنا، لانك شعرت بان مصر ينقصها الأخلاق وانت رجل أخلاقي يهمه ذلك جداً. انك ترجمت رواية عبارة عن سلسلة جرائم لم تريد ان لا نستهجنها. ومن الشجاعة ان تقول ان مثل هذه الرواية تثير في النفوس شيئاً من الفضيلة كما تثير الأستعارة المقلوبة هذه شجاعة لم يتصف بها كاتب واحد من مؤلفي الفودفيل انفسهم.

لا احاسبك على استعمال اللغة العامية، فهناك عدد كبير من الكتاب والمصححين الذين يرقون لغة الأمة كل يوم، ولكن احاسبك على استعمال سلاح هادم للأخلاق. وليس في مصر إلا نفراً قليلاً من الأخلاقيين وقد يفوتهم غلطك لانه يختفي تحت اسم تمثيل».

وينهي مقاله، محرضا الرقابة عليه، فيقول:

«قد آن لقلم المراقبة الأخلاقية ان يشمل روايتك بعنايته خدمة للفضيلة»[٤٢].

ولم يسلم نشاط عزيز الفودفيلي أثناء عمله مع العكاكشة من نقد، فقد غمزه الكاتب فرح انطون غمزاً رفيقاً في جريدة الوطن، في معرض رده على مقال لميخائيل ارمانيوس في موضوع الفودفيل. قال:

«... فالكتاب والادباء الذين كتبوا في هذا الموضوع يخطئون في طلب مداخلة الحكومة لمنع هذه الروايات، ويجب الاكتفاء بمداخلة الرأي العام. وقد كان الرأي العام ذا تأثير فعال في هذه القضية، لان جوق حضرات عبد الله عكاشة واخوته اضطروا ان يوقفوا وقتياً تمثيل روايات الفودفيل بعد ما شهدوه من قيام الناس عليهم. ثم ان هناك خطأً آخر ارتكبه بعض القائمين على الفودفيل وهو تحريمهم نوعه كله وطلبهم مصادرته مطلقا. والحال ان الفودفيل قسمان، قسم نظيف وقسم خليع. فالقسم النظيف لا شيء فيه مما يمس الآداب، وأما القسم الآخر فأساسه غير ذلك، فلو كان جوق عبد الله عكاشة واخوته والممثل البارع عزيز عيد يأخذ بالقسم الأول ويترك القسم الثاني لما كان يتوجه على عملهم أقل اعتراض. وقد يقولون انهم مثلوا الفودفيل النظيف في روايات مباغتات الطلاق، والأبن الطبيعي فلم يقبل عليه الناس لان الناس لا يقبلون الا الروايات التي تتألف من ضروب المجون. والجواب ان هذا أقبح ما يوجه إلى الجمهور المصري»[٤٣].



عبد الله عكاشة.

في كازينو دي باري والابيه دي روز (١٩١٦-١٩١٧):

في أول حزيران (يونيو) ١٩١٦ انضم الريحاني إلى صديقه استفان روستي في كازينو الأبيه دى روز ليقدم معه اسكتشات ايمائية أشبه بخيال الظل أولاً، ثم ليطور هذه الاسكتشات في الشكل والموضوع ويستخرج منها هزلياته القصيرة التي تدور حول شخصية كشكش بك عمدة كفر البلاص، التي اصبحت علما عليه فيما بعد. وافتتح بها عهد التنافس الفودفيلي الذي شارك فيه عزيز عيد وكميل شمبير ومصطفى أمين وعلي الكسّار وأمين عطا الله وعمر وصفي ومحمد ناجي وسواهم.

أما عزيز فقد تخاذل عن منافسة صديقه القديم، ولم نسمع باسمه فترة من الزمن. ولكن عندما اتصل نجاح الريحاني في الأبيه دي روز تحرك اصحاب الملاهي

الأخرى بدافع الحسد، وحاولوا منافسة الريحاني بتقديم مسرحيات شبيهة بمسرحياته. فاختارت مدام مارسيل لانجلو صاحبة كازينو دى باري عزيز عيد وأمين صدقي اللذين ضما اليها روز اليوسف ويوسف وهبي ودولت القصبجي (أبيض). وتروي لنا السيدة روز اليوسف حكاية هذه التجربة الطريفة فتقول:

وانفقت مدام مارسيل مبلغاً ضخماً للدعاية للفرقة. وانهمك عزيز عيد في توزيع الادوار وعمل البروفات. وكانت دولت أبيض تمثل دور سيدة اجنبية. وأدت الممثلة الناشئة (روز اليوسف) دور «بنت بلد» تلبس البرقع والملاءة. وكان دور يوسف وهبي ان يلقي بعض المنولوجات خلال المسرحية. واذكر بهذه المناسبة ان عزيز كان يصر على ان يوسف ممثل كوميدي لا درام.

وارتفع الستار في الليلة الأولى، وفوجئ الممثلون بان الصالة غاصة إلى آخرها بالجنود الانجليز. لم يكن في الصالة كلها غير طربوش واحد لم يلبث الجنود ان تضايقوا من وجوده بينهم فاعتدوا على صاحبه ومزقوا الطربوش وطردوه.

ومضى الممثلون يؤدون أدوارهم والجنود الانجليز في واد آخر... يضجون ويسكرون ويعربدون، لا يفقهون من الرواية شيئاً ولا يلقون اليها بالاً. وكان الممثل من افراد الفرقة لا يكاد يدخل إلى الكواليس حتى يسقط مغشياً عليه من هول ما رأى في الصالة. ومن فرط ما ضغط على أعصابه ليستمر في أداء دوره.

أما مدام مارسيل فكانت في غاية السرور. فالصالة ليس فيها موضع لقدم، وهذا هو كل ما تريد. والجنود يضجون ويعربدون ويسكرون... وهي لجهلها باللغة العربية تحسب ان ذلك كله بسبب نجاح الرواية نجاحاً باهراً.

ومضى يوم ويومان واربعة والفرقة تمني نفسها بان الجمهور المصري سوف يقبل على الرواية تدريجياً. وفي الليلة الخامسة كان الجنود الانجليز قد ازمعوا امراً. فدخلوا الى الصالة محملين بكميات هائلة من البيض والطماطم وبأكاليل ضخمة من البرسيم. وارتفع الستار وبدأ التمثيل... واخذت القذائف تتوالى على المسرح... لا يظهر ممثل على خشبة المسرح الا وينهال عليه من البيض والطماطم... كان يوسف وهبي يغني منولوجاً يقول فيه: امسكوه... امسكوه حين أصيب اصابة



منيرة المهدية.



عمر وصفي.

مباشرة في جبهته من بيضة نزل سائلها على وجهه وملأ حلقه. ولبست دولت أبيض اكليلاً باهراً من البرسيم. وكان حظ عزيز عيد من كل هذه الخضروات باهراً... لم تفلت من الأذى في تلك الليلة سوى الممثلة الناشئة لانها كانت تمثل بنت البلد بالملاية اللف... فلا


نجيب الريحاني.

تكاد تظهر على المسرح حتى يصفق جنود الخليفة ويصفرون.

وفي الصباح ذهب عزيز عيد إلى المسرح ليجد ثيابه وثياب تلاميذه ملقاة على الرصيف بناء على أمر مدام مارسيل، التي أدركت في تلك الليلة–للمرة الأولى–أن المسرحية فاشلة.[٤٤].

وبعد أن باءت هذه التجربة بالاخفاق، لم تكف مدام مارسيل عن المحاولة وظلت تبحث عن العناصر الكوميدية الناجحة حتى اهتدت إلى مصطفى أمين وزميله علي الكسار[٤٥]، وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد.

وبعد أن ترك الريحاني الابيه دي روز وانتقل الى مسرح الرينسانس[٤٦]، حلّ محله عزيز فترة من الزمن، قدم اثناءها عدداً من الفودفيلات القديمة والجديدة، منها «هز يا وز»، «كل بعضك»[٤٧] و «ليلة الدخلة»[٤٨] و «عندك حاجة تبلغ عنها»[٤٩] و «أم اربعة واربعين» و «يا ستي ما تمشيش كده عريانة»[٥٠] و «دخول الحمام مش زي خروجه» و «بسلامته ما دخلش دنيا»[٥١] و «عقبال البكاري»[٥٢]، و «جنا–بنا–كتا» التي الفها أمين صدقي الذي انضم إلى جوق عزيز بعد انفصاله عن الريحاني بسبب الاختلاف على المرتب[٥٣].

ثم اختلف عزيز مع روزاتي، صاحب الابيه دي روز، فانفصل عنه ومعه روز اليوسف وانضم إلى زميله الريحاني في الرينسانس فترة من الزمن[٥٤] ●

(يتبع)

الهوامش

(١) انظر اخبار هذا الجوق في كتاب المسرحية في الأدب العربي الحديث للمؤلف (ص ص ١٢٩–١٣٢).

(٢) نقد فؤاد سليم لتمثيل هذه المسرحية في المقطم ١٦ شباط (فبراير) ١٩٠٦.

(٣) نقد فؤاد سليم لتمثيل هذه المسرحية في المقطم ٥ آذار (مارس) ١٩٠٦، حيث يمتدح تمثيل عزيز لهذا الدور وينبهه إلى بعض اخطائه الفنية.

(٤) نقد فؤاد سليم لتمثيل هذه المسرحية في المقطم ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٠٦.

(٥) المقطم والاهرام ١٩ تموز (يوليو) ١٩٠٧.

(٦) مذكرات الريحاني (ص ص ٢٥–٢٦).

(٧) الاهرام ٢١ آب (اغسطس) ١٩٠٨.

(٨) انظر الاهرام ٧، ١٤، ١٩ أيلول (سبتمبر)، والجريدة ٩ من الشهر ذاته، والمقطم في ١٤ منه ١٩٠٧.

(٩) انظر المسرحية في الأدب العربي الحديث ص ص ١٧١–١٧٢، والمقطم ١٤، ١٩، ٢١ أيلول (سبتمبر) ٩، ١١، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣١ تشرين الأول (أوكتوبر)، ٣٠ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٠٧، و١١ كانون الثاني و٨، ١٣، ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٨. والجريدة ٩، ١٢، ١٥، ١٩، ٢١، ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧، و١٤ ايار (مايو) ١٩٠٨. والاهرام ١٤، ١٩، ٢١ أيلول (سبتمبر)، ٣، ٤، ٧، ٩، ١١، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر)، ١، ٢٠، ٢٥، ٢٩ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٠٧، ١٥ نيسان (ابريل)، ١ ايار (مايو) ١٩٠٨.

(١٠) انظر المقطم ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) والأهرام ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨.

(١١) انظر المقطم ٢٥ كانون الثاني (يناير)، و٣ شباط (فبراير) ١٩٠٩.

(١٢) انظر: المسرحيـة في الأدب العربي الحديث ص ص ١٣١–١٣٢، والمقطم ٦، ١٨، ٢٦، ٢٧ شباط (فبراير)، ٤، ٦، ٩، ١١، ١٢ آذار (مارس) ١٩٠٩.

(١٣) المقطم ٧ آب (اغسطس) ١٩٠٩.

(١٤) انظر: المسرحية في الأدب العربي الحديث ص ص ١٤١–١٤٣.

(١٥) المقطم ١٧ كانون الثاني (يناير ١٩١١).

(١٦) انظر: المسرحية في الأدب العربي الحديث ص ص ١٤٢–١٤٣.

(١٧) روز اليوسف: ذكريـات ص ص ٢٣–٢٥.

(١٨) انظر لسان الحال ١٢ تموز (يوليو) ١٩١٢.

(١٩) انظر المقطم ٢٨ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١١، ٨ شباط (فبراير) ١٩١٢.

(٢٠) انظر رأي عزيز في ظهور جورج أبيض في مذكرات الريحاني ص ٣٦.

(٢١) مذكرات الريحاني ص ص ٥١–٥٤، ٥٩.

(٢٢) مذكرات الريحاني ص ٥٤.

(٢٣) الأهرام ٢٧ ايار (مايو)، ١٩١٥؛ ومذكرات الريحاني، ص ٥٦.

(٢٤) المقطم ٢ حزيران (يونيو) ١٩١٥.

(٢٥) مذكرات الريحاني ص ص ٥٩–٦٠.

(٢٦) كان صاحبه عبد الله غزالة (المقطم ١٣ تموز–يوليو ١٩١٢).

(٢٧) مذكرات الريحاني ص ٣٦.

(٢٨) انظر: مذكرات الريحاني ص ٦٤، والأهرام ٢ حزيران (يونيو)، ٢٢ تموز (يوليو)، والمقطم ٢٢ تموز (يوليو)، ٢٥ آب (اغسطس)، والوطن ٩ آب (اغسطس) ١٩١٥.

(٢٩) مذكرات الريحاني ص ٦٥.

(٣٠) مسجلة على اسطوانة اوديون رقم ٤٥٢٤٢ بصوت الشيخ سلامة.

(٣١) مـذكرة في فن التمثيـل ص ص ١٢٤–١٢٥. ولم نجد لهذا الخبر سندا في المراجع الأخرى التي بين أيدينا.

(٣٢) مسجلة على اسطوانة اوديون رقم ٤٥٢٣٢ بصوت الشيخ سلامة. وعلى اسطوانة بيضافون بصوت منيرة المهدية.

(٣٣) الوطن ٢١ آب (اغسطس)، والمقطم ٢٥ آب (اغسطس) ١٩١٥، ومذكرات الريحاني ص ٦٥.

(٣٤) المذكرات ص ٦٢.

(٣٥) انظر المقطم ١١ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٥.

(٣٦) مذكرات الريحاني ص ٦٧.

(٣٧) المقطم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥.

(٣٨) مذكرات الريحاني ص ٦٨.

(٣٩) انظر المقطم ٢٧ نيسان (ابريل)، ٥، ١٢، ١٩، ٢٦ آيار (مايو)، ١ حزيران (يونيو) ١٩١٦، وجريدة الافكار في التواريخ نفسها.

(٤٠) الأهرام ٢٧ أيار (مايو) ١٩١٥.

(٤١) الأهرام عدد ١١٣٨٩، ٨ حزيران (يونيو) ١٩١٥.

(٤٢) الأهرام عدد ١١٣٩٢، ١١ حزيران (يونيو) ١٩١٥.

(٤٣) الوطن ١٠ آذار (مارس) ١٩١٦.

(٤٤) ذكريات روز اليوسف ص ص ٢٠–٢١.

(٤٥) مذكرات الريحاني ص ٨٥.

(٤٦) نفسه ص ص ٨٦–٨٧.

(٤٧) الأهرام ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦.

(٤٨) نفسه ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧.

(٤٩) نفسه ٩ شباط (فبراير) ١٩١٧.

(٥٠) نفسه ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٧.

(٥١) نفسه ٢٣ شباط (فبراير) ١٩١٧.

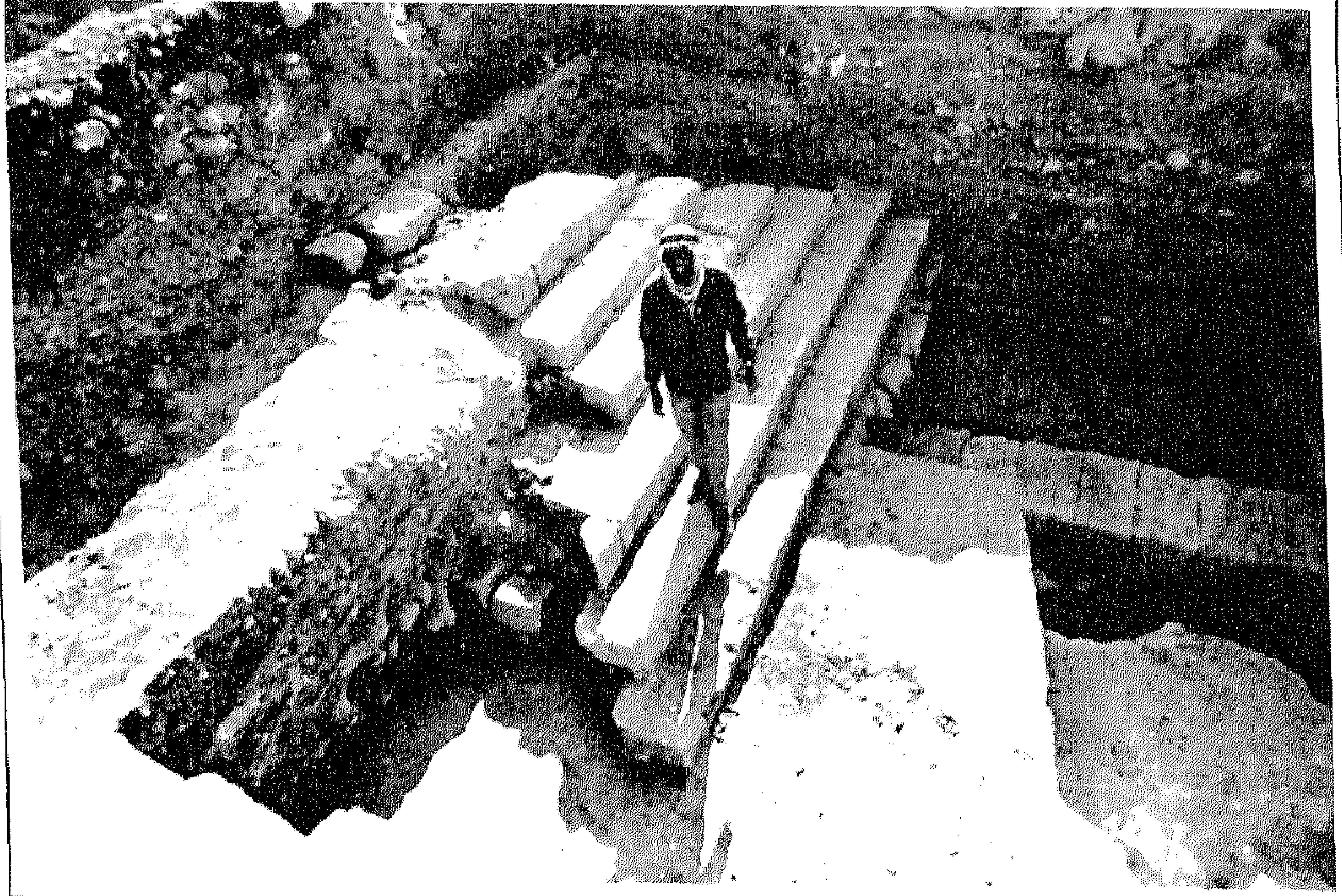
(٥٢) نفسه ٥ آذار (مارس) ١٩١٧.

(٤٣) نفسه ١٣ آذار (مـارس) ١٩١٧ ومذكرات الريحاني ص ٩٥.

(٥٤) الأهرام ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٧.

العصور الحجرية في الأردن

د. نقولا زياده



عمليات نبش الآثار في تل حسبان قرب مادبا

● لو أتيح لنا أن نرتفع في الجو بحيث نتمكنُ من القاء نظرةٍ على الأردن بكامله، لاتضح لنا ان تضاريس هذا البلد الطبيعية بينةُ المعالم والحدود. ذلك اننا نرى أمامنا سلسلة من المرتفعات والهضاب، التي تحتضن سهولاً صغيرة. وان هذه المرتفعات والهضاب تتكون من ثلاثِ مناطقَ يفصل بين الواحدة والأخرى واد عميق يمتد من الشرق إلى الغرب. فمنطقةُ عجلون تنتهي جنوباً بوادي الزرقاء الذي يحمل مياهَه إلى نهر الأردن. وبين وادي الزرقاء ووادي الموجب، الذي قد يُنزِلُ الرعبَ في الفرسِ والفارسِ، تمتد منطقةُ البلقاء. ويحصر وادي الموجب ووادي الحسا بينهما جزءاً من المنطقة الجنوبية التي تمتدُ في الواقع إلى مشارف الحجاز.

والمناطق الثلاث تنحدر نحو الغرب انحداراً فجائياً إلى غور الأردن أو البحر الميت أو وادي عربة. أما في الجهة الشرقية فان انحدارها يكون تدريجياً، فتذوب في البادية.

ومع أنّ الأودية التي ذكرنا عميقة فانها لم تكن في يوم من الأيام حاجزاً في سبيل الاتصال بين الشمال والجنوب على الطريق المعروف بطريق الملك، والذي يمتد من إربد شمالاً إلى العقبة جنوباً مروراً بجرش وعمان أو السلط ومادبا والكرك والطفيلة والشوبك ووادي موسى والقويرة. وهذا الطريق كان، في الأساس، طريق التاجر.

وثمة طريق آخر يكاد يكون موازياً للطريق الأول، وهو الطريق الذي يتبع سيفَ البادية، من المفرق شمالاً إلى المدورة جنوباً، مروراً بالمشتى والقطرانة وجرف الدراويش ومعان. وهذه يصلُها فرع من هذا الطريق بالعقبة، هذا الطريق الصحراوي كان يستعمل للتجارة أيضاً، لكن منذ أنْ ظهر الاسلام وانتشر في بلاد الشام، أصبحت لهذا الطريق أهمية خاصة لأنه كان درب الحاج الشامي. وجدير بالذكر انه لما بنيت سكة حديد الحجاز في مطلع هذا القرن اتبع هذا

الطريق في القسم الأكبر منها.

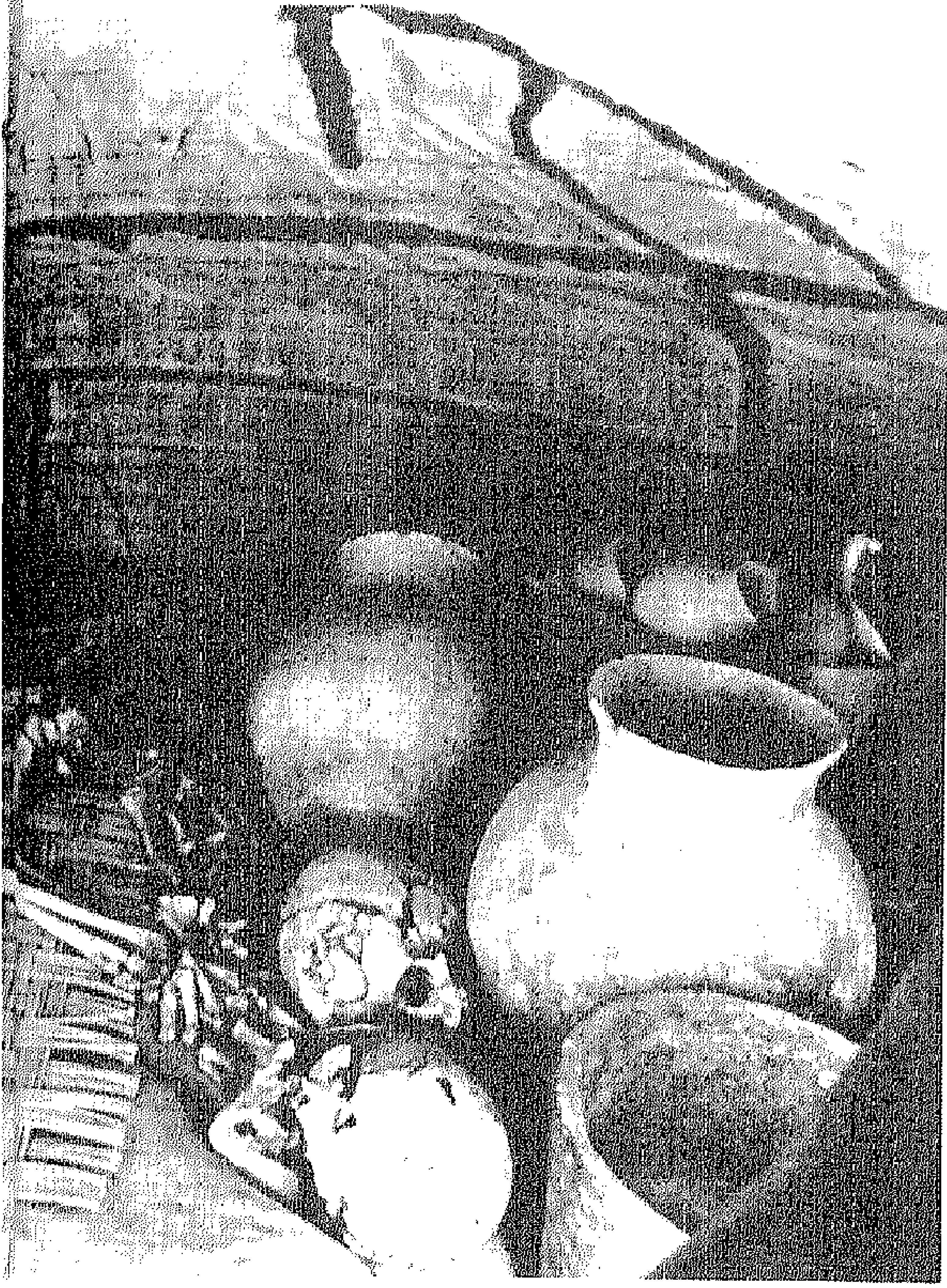
يضاف إلى هذا كله انه كانت ثمة طرق تقطع البلاد من الشرق إلى الغرب فتصلها بموانئ فلسطين ولبنان. كما كانت هناك طرق تمتد شرقاً في شمال وشرقاً في جنوب وتكون حلقات اتصال بين الأردن وانحاء البادية السورية والصحراء العربية.

والأردن من حيث الوضع العام هو الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد الشام. فهو مسرح صغير بالنسبة إلى المسرح الشامي الكبير. وكلاهما يكون جزءاً من مسرح أكبر هو منطقة الشرق الأوسط. في هذه المنطقة الواسعة تفاعلت الحضارات، وبذلك نال الأردن حصته من التأثر، كما قام بدوره في التأثير في هذه التفاعلات الحضارية.

انسان الأردن الأول:

وقد خلف الانسان آثاره في كل بقعة من بقاع الأردن. بعض هذه الآثار لا يزال ظاهراً على سطح الأرض، ولكن الكثير من آثار الانسان طمره الزمن تحت طبقات من التراب المتراكم من تهدم الأبنية التي قامت دوراً بعد دور، وجيلا بعد جيل. وقد وصل الباحثون الى تقسيم للعصور التي وجد فيها الانسان في الأردن الى قسمين رئيسيين: الأول هو أزمنة ما قبل التاريخ، وهذه تمتد منذ أن بدأ الانسان يتخذ من الصوان أدوات يستعملها في حاجاته المختلفة، الى حول سنة ٣٠٠٠ ق.م. وفي هذه السنة تبدأ العصور التاريخية. ويبدو ان هذا الوقت يتفق مع اعتماد الانسان على البرونز لصنع آلاته، ويمتد العصر البرونزي الى حول سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد حين يبدأ العصر الحديدي.

كانت البادية مصدراً رئيسياً من مصادر العناصر البشرية التي زودت بلاد الشام اجيالاً بما يمكنها أن تقبله وتحتضنه،هذه هي الشعوب السامية، ولعل الكنعانيين أبعدُها صيتاً وأكبرها اثراً، خاصة بتفرعاتهم المختلفة. وكان ثمة جماعات دخلت بلاد الشام من الشمال والشمال الشرقي، ولا بد ان فئات منها تسرّبت إلى الأردن. وفي العصور اللاحقة والواضحة نسبياً، وبسبب وجود النقوش والكتابات، نعرف انه جاءت بلاد الشام جماعات من الغرب عن طريق البحر كالفلسطينيين واليونان والرومان. وقد وصلت من هذه فئات إلى الأردن، وتركت آثارها في أرضه.



لكن العنصر الأهم الذي بدأ يدخل الأردن قبل ألفين وخمسمائة سنة على الأقل هو العنصر العربي. واقدم جماعة تاريخية هم الانباط وبعدهم جاء الغساسنة، ثم ازداد العدد واستمر بعد الفتح العربي.

حياة القرية وموتها:

صياد، قناص، راع – هذه الكلمات الثلاث تصف الانسان الأول الذي سكن ربوع بلاد الشام وغيرها، وطبعاً نزل الأردن. وقد كان رجلاً يطارد فريسته، فاذا ظفر بها أعمل أدواته الصوانية أو غيرها فيها مفيداً من كل ما يحصل عليه. فاللحم للأكل والجلدُ للكساء والعظام للأدوات الصغيرة. وهو إلى ذلك راع، بعد أن دجن بعض أصناف الحيوان، يسير مع قطعانه من مرتع كلأ إلى مرتع كلأ ومن مكان ماء إلى مكان آخر.

لكن هذا الانسان انتقل، حتى في عصور ما قبل التاريخ، بل حتى قبل ان يهتدي إلى صنع الفخار، إلى حياة لها من الاستقرار نصيب، وذلك حيث كان الماء متيسراً. صحيح انه كان بادئ بدء يكتفي بالاقامة الموسمية، لكنه بعد حين أقام باستمرار.

الانسان اتخذها أصلاً مكان يلجأ إليه مع صيده ليستمتع به، لكنه لم يلبث ان استقر هناك.

وقد اظهرت أعمال الحفر هناك ان أربع قرى قد أقيمت الواحدة فوق الأخرى. والأقدم منها، وهي التي في أعمق ما وصل إليه المنقبون، أقيمت قبل نحو ثمانية آلاف سنة!

ان التل الذي تمت فيه أعمال الحفر طوله سبعون متراً وعرضه ستون؛ والذي توصل إليه المنقبون الى الآن هو ان القرى الأربع القائمة واحدتها فوق الأخرى، تمثل نماذج مختلفة من البناء، مما قد يدل على ثقافات متنوعة، ومن ثم يقوم ذلك دليلاً على تباين الموجات السكانية التي جاءتها. لكن يبدو أيضاً ان هذه الموجات السكانية لم تهبط المنطقة بهجوم مخرب، بل لعل مجيئها كان تدريجياً، واستيطانها كان فيه تجاور بين فئة قديمة وفئة جديدة. ومع ان القرية الرابعة، السفلى، قد أحرقت، فليس ما يدل على ان ذلك تم بفعل هجوم تخريبي.

بين أريحا والبيضا:

والأبنية القائمة في القرية الرابعة، والتي وصل الرفش والمعول إليها، تبدو انها كانت مستطيلة، ولها حيطان مقعرة قليلاً، ويتوصل المرء إليها بالنزول ثلاث درجات أو ما يقارب ذلك. وجدران الغرف في هذه الأبنية جميلة البناء، وقد استخدمت حجارة رملية لذلك. وكانت الأبنية تخص الأفراد وعائلاتهم، أي انها لم تكن أبنية مشتركة.

وثمة الكثير من الشبه بين ثقافة سكان أريحا وسكان البيضا؛ ولو ان هذه النواحي يبدو انها كانت أسبق في أريحا منها في البيضا. ولعلّ أهم ما لفت نظر الباحثين من نواحي التشابه هو دفن الموتى. فالميت كانت تقطع رأسه قبل الدفن، هذا إذا كان قد بلغ الحلم. أما الأطفال فقد ظلت رؤوسهم في أماكنها. لكن هناك فرقاً حتى في هذا الأمر. ففي أريحا كان الميت، بعد أن تقطع رأسه، يدفن كما تأتى، أما في البيضا فقد اتضح انه كان لكل ميت قبر خاص به.

وثمة تشابه في الأدوات الصوانية والحجارة المصقولة والأدوات العظمية والأرحاء أي الطواحين. كما ان الجدران مقصورة في أريحا وفي البيضا. ويمكن القول أيضا بأن البيوت المنفردة المستطيلة الشكل موجودة في



آثار تعود إلى ثلاثة آلاف سنة جنوب عمان

وهكذا فقد انتقل من حياة الصيد والقنص والرعاية إلى الزراعة. لكن هذا لا يعني ان الصياد والقناص والراعي انتهى امرهم. لقد ظل هؤلاء إلى جانب الزارع.

والمهم في الزراعة ان يتوصل الانسان إلى استغلال الأرض. وهذا لا يتم إلا اذا دجن الانسان بعض النبات. ويبدو، على ما يقول علماء الآثار، ان المكان الأول الذي دجن فيه الانسان القمح هو أريحا في غور الأردن، ولعله دجن أصنافاً أخرى من الحبوب. وقد تم له ذلك قبل تسعة آلاف سنة.

والذي يسّر لأولئك الذين استقروا في أريحا ان يتابعوا أعمالهم الزراعية هو وفرة المياه هناك، فكان المترتب على السكان، عند إقامة القرية، وهي مكان التجمع الأقدم عهداً في التاريخ، أن ينظموا استغلال المياه بحيث تحمل في قني إلى حيث تتم الزراعة.

لكن الأغرب من ذلك ان تقوم قرى في أماكن لم تتوفر لها المياه على نحو ما توفرت لأريحا. ومثلنا على ذلك البيضا في جنوب الأردن، على نحو ساعة ونصف الساعة مشياً على الأقدام إلى الشمال من البتراء. وتقع البيضا على ضفة واد موسمي هو سيل. ويبدو ان

المكانين. لكن البيضا فيها شيء لم يعثر على مثيل له في أريحا الى الآن. وهو ممر طويل تقوم على جانبه غرف صغيرة جداً، لعلها كانت مصانع لانتاج الأدوات الصوانية والعظمية. وهذه موجودة في القرية الثالثة وفي القرية الثانية.

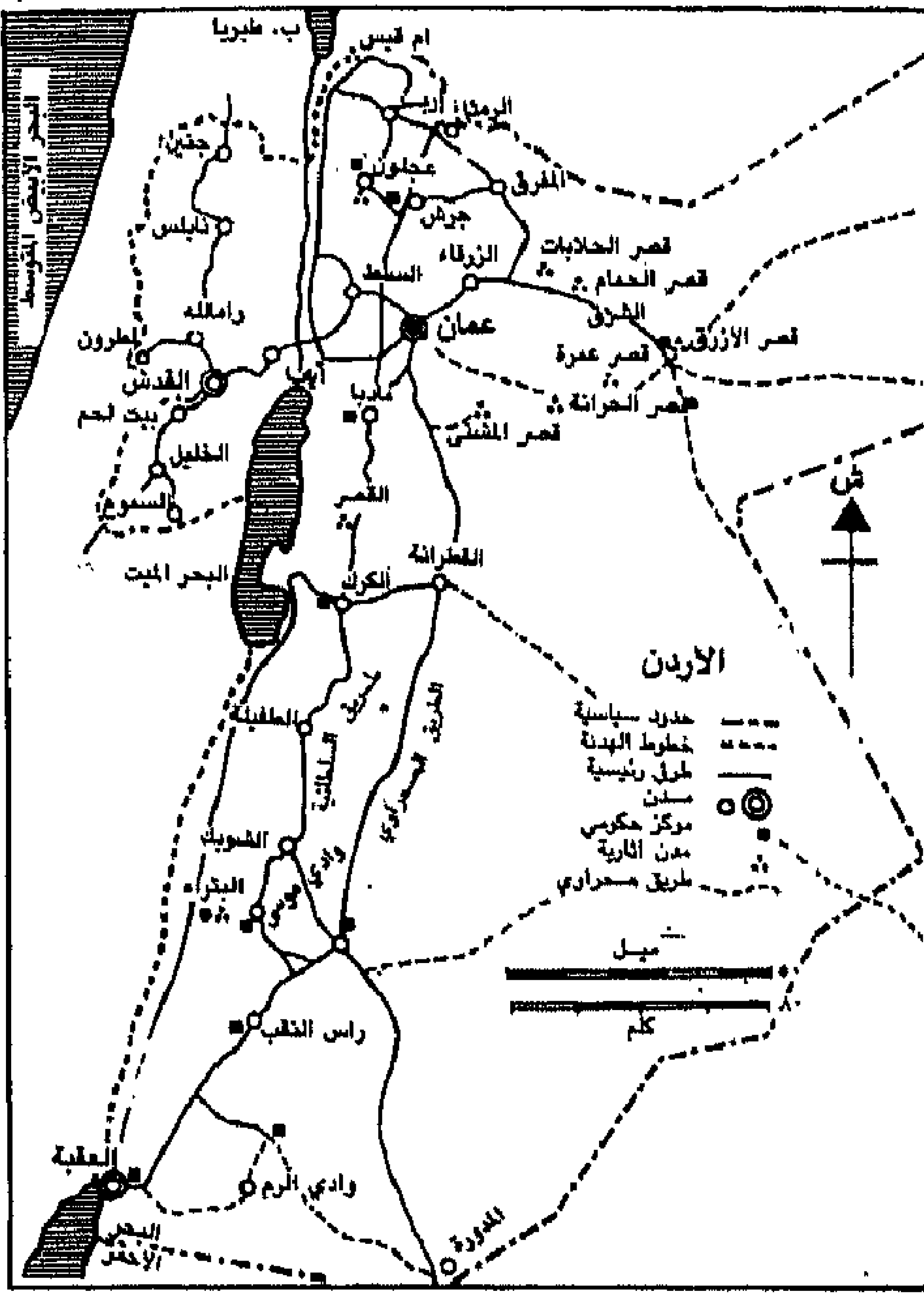
ان أريحا ظلت، منذ ان سكنها الانسان الأول مستفيداً من مائها، موزعاً هذا الماء على الأرض المحيطة بها، مركزاً للحياة، وانتقل بها من قرية إلى مدينة. أما البيضا فقد انتهى دورها قبل آلاف السنين، وأحدث آثار فيها، وهي قليلة، ترجع إلى أيام الانباط أي إلى قبل ألفين وخمسمئة سنة. فما هو السر في ذلك؟

مصادر المياه الدائمة:

ليست البيضا الوحيدة بين القرى الأولى التي قامت في الأردن وفلسطين وسورية ولبنان والتي انتهى أمرها قبل قرون. هذه القرى أكثر عدداً في المناطق الداخلية من بلاد الشام منها في السواحل والسهول. ونحن إذا سرنا من قصر الحلابات في الشمال الأردني إلى المدورة مثلاً، عبر مرتفعات الأردن وهضابه وسيف صحرائه، وجدنا عشرات من التلول التي كانت في يوم من الأيام مراكز لتجمع سكاني أو قرية. وقد كان السكان يحتفظون بكل ما يسقط من المطر في موسم الشتاء لينتفعوا به في أيام الجفاف. هذه التلول تخلى عنها سكانها، لأن أماكن أخرى جذبت إليها طريقاً كان يمر هنا، أو لأن موجة سكانية غاشمة هجمت على هذه القرى فدمرتها، ومرت بها. واذا دمرت السدود التي كانت تمنع انفلات الماء، وعجز القوم عن اصلاحها، عزت المياه وتفرّق القوم.

أما الأماكن التي كانت المياه فيها غزيرة، وأريحا مثل طيب على ذلك، فان الهجوم الخارجي أو التدمير بسبب الزلازل، أو أياً من هذه الأمور لا يحمل السكان على الرحيل. الماء والأرض موجودان والعمل يثمر حالاً، أو نسبياً على الأقل. وهكذا بقي السكان وتزايد عددهم، وانتقلوا تدريجاً بقريتهم إلى المدينة.

على انه حري بنا أن نذكر أن موت قرية في بقعة ما لم يكن يعني بالضرورة زوال معالم الحضارة من المنطقة. فموت قرية كان يتبعه، في الأغلب من الأحوال، حياة لقرية جديدة. فالعنصر البشري في هذه البقعة من الأرض كان يتجدد دمه بسبب ما كان



خريطة الأردن

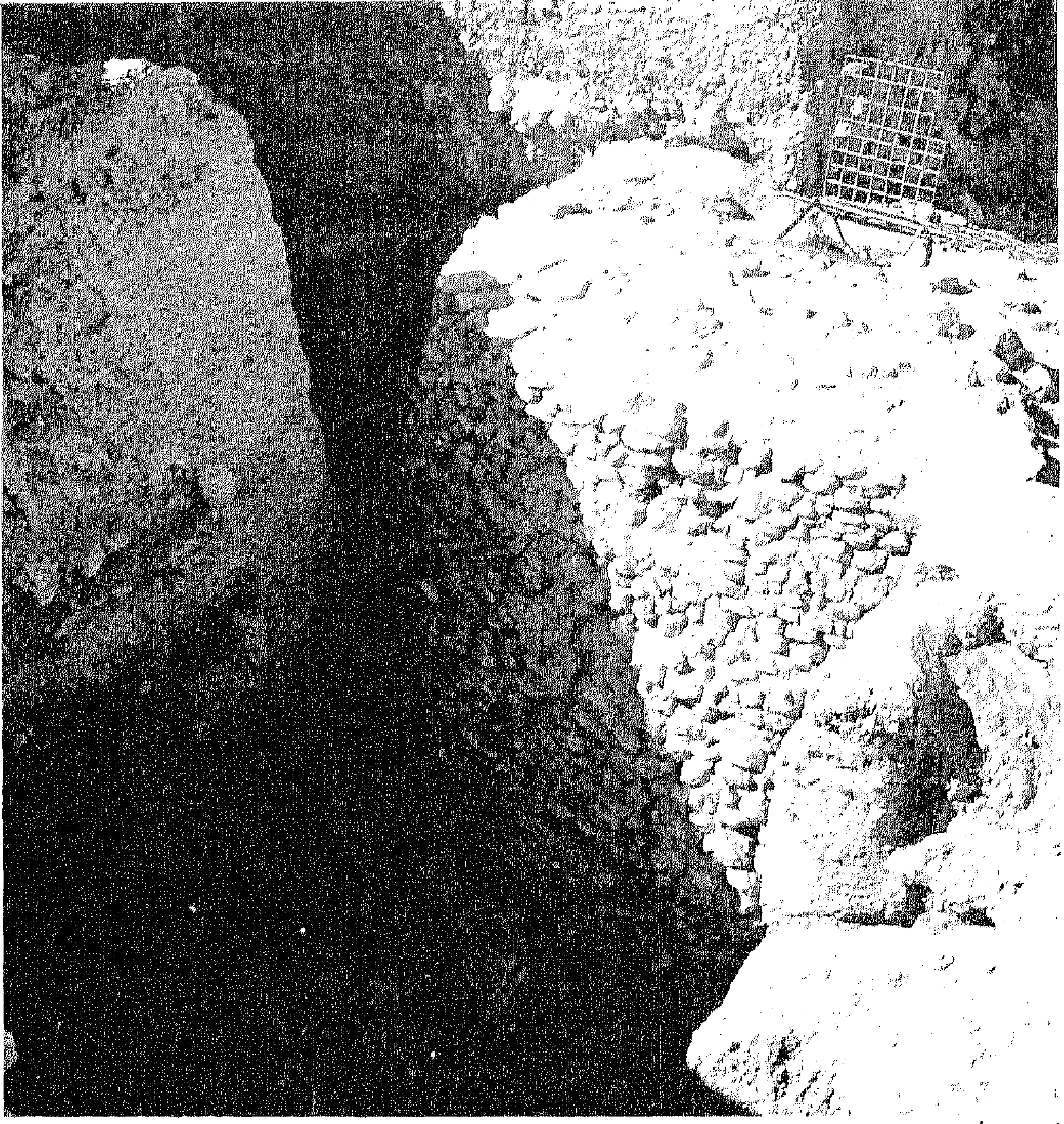
يفد إليه من رَفْد، وكان النشاط يتجدد تبعاً لذلك؛ والماء يجمع في مكان كما كان يجمع من قبل في مكان آخر.

المدن الأولى

أما عن الفترة الممتدة بين ٣٠٠٠ ق.م. و٩٠٠ ق.م، فيسمي الباحثون الجزء الأول منها، أي من نحو ٣٠٠٠ ق.م إلى ١٢٠٠ ق.م. العصر البرونزي بسبب ان الانسان غلب استعماله للبرونز لصنع أدواته وآلاته. أما في سنة ١٢٠٠ ق.م. فقد أخذ الحديد يحل محل البرونز في صناعة هذه الأشياء. ومع ان العصر الحديدي يمتد إلى فتوح الاسكندر لبلادنا، فاننا سنكتفي بالوقوف عند الدور الأول منه.

وهذه الفترة تبدأ معها ما نسميه بالعصور التاريخية والسبب الرئيسي لهذه التسمية هو ان الكتابة عرفت في المنطقة، وقد دونت بها أمور كثيرة على نحو ما أظهرته وثائق تل الحريري وحجر ميشع من قبل، ووثائق تل مرويخ أخيراً.

وحري بالذكر انه في هذه الفترة شهدت أرض الرافدين ومصر تقدماً زراعياً وصناعياً كبيرين جعلا من البلدين منطقتين مصدرتين، كما انهما احتاجتا إلى مواد خام كانت بلاد الشام غنية بها وأهمها الأخشاب. ومن ثم فقد كثر التبادل بين بلاد الرافدين والشام من جهة،


أريحا : أقدم سور مدينة معروف في العالم

وبين مصر وبلاد الشام من جهة ثانية ، وبين مصر وبلاد الرافدين ، عبر بلاد الشام من جهة ثالثة.

وفي أول هذه الفترة ظهر الكنعانيون على مسرح التاريخ الشامي ، كما ظهر العموريون في الألف الثاني ق.م. وقد أثر كل من هذين الشعبين في الأردن ، كما أثر في ربوع الشام كلها. ومع ان الهكسوس كان لهم تأثير كبير في سورية وفلسطين ، فان الاردن لم يقع تحت تأثيرهم إلا قليلاً.

تفرغ البنائين

ووجد الباحثون ان الصفة البارزة للحياة العامة في هذه الفترة هي ظهور المدن في بلاد الشام. وقد أظهر المسح الأثري للأردن أن قمم الهضاب الشرقية المحاذية للغور كان فيها مواقع كثيرة لها صفات المدن. وثمة أعمال حفر اخرى تمت في أماكن مثل جاوة في شمال البلاد وسحاب في وسطها وباب الزراع على لسان البحر الميت أدت إلى النتيجة نفسها. ومعنى هذا ان مفهوم المدينة قد تبلور على شكل لم يعرف في البلاد من قبل. وانتشرت المدن ودويلاتها في فلسطين والأردن في الألف الثالث قبل الميلاد.

ونحن عندما نتحدث عن المدن فاننا نركز اهتمامنا على أمور ثلاثة لارتباطها بالوجود المدني : وهي الأسوار والمعبد والماء. فالظاهرة الأساسية لوجود المدن هو أنها

أصبحت مسوّرة، وذلك للدفاع ضد الأعداء المهاجمين. ولا يقل أهمية عن ذلك وجود المعبد. ولهذين الأمرين دلالة اقتصادية اجتماعية خاصة. فسكان القرية القديمة كانوا يقومون بالانتاج الزراعي وحتى الصناعي على أساس أن كل فئة تنتج حاجاتها. لكن بناء الأسوار والمعابد كان معناه أن تتخصص فئة من سكان المدينة بذلك، وتعفى من العمل في الحقل أو المصنع، أي تقوم فئة تنفق عليها المدينة لتتمكن من انشاء ما تحتاجه من سور للدفاع ومعبد للعبادة.

وترتب على ذلك ان بناء الأسوار أصبح عملاً هاماً بالنسبة للمدينة. ومع انه كان أولاً يعتمد على النتوء والتكور في المواقع التي تقوم المدن عليها، فانه لم يلبث أن اصبح أمراً يعتمد على الهندسة. فالأساس أما صخر أو بناء صخري معين. والأسوار نفسها اما من الحجر الخام أو من الآجر القوي. وقد تقام الأبراج في الأماكن المختلفة من الأسوار لتقويتها وتسهيل الدفاع.

والمشكلة التي جابهت القوم هي مشكلة الحصول على الماء وخاصة في حالات الحصار. ونحن إذا تابعنا نتائج التنقيب الأثري لوجدنا ان الأماكن التي كانت ينابيع المياه قريبة منها، حفر أهلوها نفقاً يوصلهم إلى الماء. ومن أطرف الأمثلة على ذلك تل المتسلم أو مجدو الواقعة بين حيفا وجنين. فقد كان ثمة نبع غزير يقع في المنحدر الجنوبي الغربي من المدينة. ومصدر الماء هذا ظل خارج السور. ولكننا نجد ان السكان حفروا حفرة عمقها خمسة وثلاثون متراً، أحيطت بدرج. وعند نهاية الحفرة نقر الصخر ثلاثة وستين متراً حتى وصل الناس إلى النبع. وختم على النبع من الخارج ببناء متين. وعندها أصبح بامكان نساء مجدو ان ينحدرون مع الدرج ثم يسرن في النفق إلى النبع، دون أن يتعرضن للخطر ودون أن يتمكن العدو من قطع الماء عن المدينة.

• أول السدود؟

ومع ما في هذا العمل من مهارة هندسية، وهو ليس الوحيد، فهناك مثل أكبر أهمية على الافادة من مياه الأمطار وحدها. في جاوا، الواقعة في شمال الأردن، والتي تعتبر منطقة بركانية بازلتية لا ينابيع فيها، قام السكان ببناء سد للافادة من هبة السماء. ويقع هذا الموقع الأثري الهام على مرتفع تبلغ مساحته حوالي أربعة عشر دونماً، بين وادي راجل في الشرق ووادي جاوا في الغرب. وقد بنى القوم سداً كبيراً في الوادي يبلغ ارتفاعه نحو عشرين متراً، وجمعوا خلفه ما يتساقط من مياه المطر، ثم سيّروا الماء في قنوات إلى المنطقة السكنية – بيوتها ومزارعها. ونحن نعرف أن البيضا، في جنوب الأردن، كانت فيها قرية مزدهرة في العصور السابقة، وذلك بسبب تجميع المياه من سيل عقلات، ولكن جاوا كان فيها، على حسب التقديرات بين أربعة آلاف وخمسة آلاف نسمة.

والمدن التي قامت في فلسطين والأردن في الفترة التي نتحدث عنها كثيرة. وعندنا، على سبيل المثال، في الأردن سحاب وجاوا وباب الذراع وتل المزار.

ويغلب على هذه المدن ان تقصر أرض البيوت فيها، وان تكون البيوت مستطيلة الشكل، وان تطلى الجدران بطبقات من الجبس التي تحمل أشكالاً ملونة. أما الموجودات بين الآثار فتشمل على مجموعات من الفخار وبعض أنواع من الحبوب مثل القمح والشعير. وقد جاء في تقرير مختصر عن حفريات جاوا ان طوبغرافية الموقع ساعدت على بناء تحصينات عثر على بعض أجزائها. وتتكون هذه التحصينات من جزأين بحيث تقسم المدينة إلى قسم علوي وقسم سفلي. وللقسم العلوي ثلاثة مداخل وأربعة ممرات جانبية. أما التحصينات المنخفضة والتابعة للقسم السفلي من المدينة فتتصل بالسد وبركة الماء. وقد كشف عن بقايا أبنية نصف مستديرة تشبه الأبراج.

أما قليلات الغسول، على لسان البحر الميت غربي الكرك، فقد عثر فيها على بناء مستطيل لعله كان مركزاً دينياً. وعثر في داخله على مجموعة من الأواني الفخارية ومجموعة هامة من الأشكال التي تستعمل غالباً في الطقوس الدينية.

وقد بنيت المدن في أكثر الحالات كيفما اتفق، فكانت شوارعها وأزقتها متعرجة ضيقة، وكانت المدن مزدحمة بالسكان بسبب ضيق رقعتها. ولم تكن للمدن ساحات عامة، فكانت الأعمال من لقاء وبيع وشراء تتم حول الباب الرئيسي للمدينة، أما خارجه أو داخله. ومن الأمثلة على ذلك تل الفارعة التي تعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وكانت هذه المدن في حرب تكاد تكون دائمة فيما بينها، وهذا على صغر رقعتها، التي قلما تجاوزت، مع القرى التابعة لها، خمسة وثلاثين كيلو متراً في قطرها ●

مؤتمر فيينا (١٨١٥)

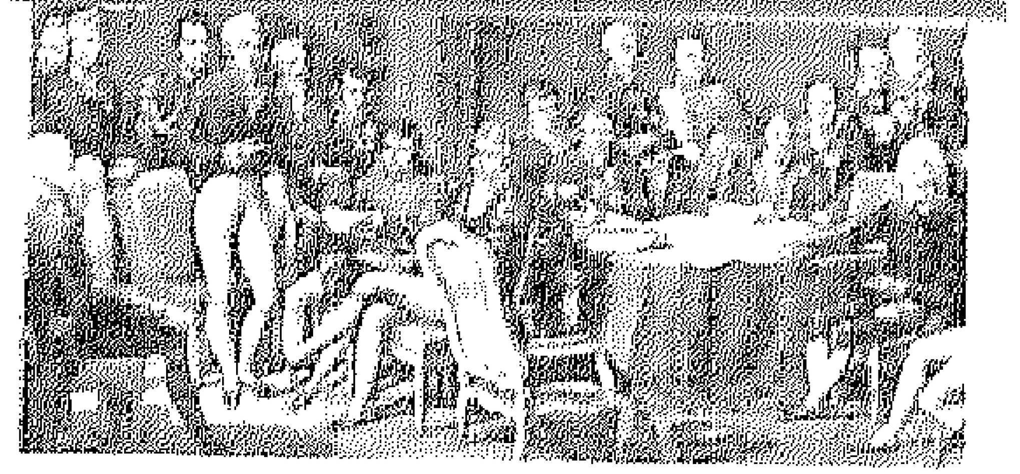
المؤتمر الذي تقاسم أوروبا بعد هزيمة نابليون

سعيد كريديه



مؤتمر فيينا، ويبدو أعضاء الوفود يحيطون بمترنيخ.





● على أثر انهزام نابليون ونفيه إلى جزيرة إلبا، التأمت الدول المنتصرة في فينا عام ١٨١٥ لتعيد تنظيم خريطة أوروبا بعدما غيرتها المطامع النابليونية. وقد أختيرت فينا بالذات نظراً لموقعها الجغرافي في وسط أوروبا وتقديراً للدور الذي لعبته النمسا في محاربة فرنسا.

اشترك في هذا المؤتمر كل الدول الأوروبية، ولكن بروسيا وروسيا والنمسا وبريطانيا كان لها نفوذ ودور خاصان في توجيه أعمال وسياسة المؤتمر. والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تشترك في هذا المؤتمر رغم سيطرتها على مناطق شاسعة في أوروبة الشرقية كالبلقان واليونان وبعض شطآن الأدريتيك وتحكمها بمضيقي البسفور والدردنيل. وكانت روسيا هي المعارض الأول لاشتراك العثمانيين في هذا المؤتمر كي تحصر خلافها مع السلطان في دائرة خاصة بعيدة عن أعين وآراء الدول الأخرى. وهناك سبب آخر كان القاسم المشترك بين كل الدول الأوروبية وهو إبعاد الأتراك المسلمين عن اجتماعات ومقررات أوروبا المسيحية.

ساد المؤتمر جو من الحقد والغل على المشاغب الأكبر فرنسا وعلى الآراء التقدمية التي بثها إبن الثورة الفرنسية في براعم أوروبا. وكانت كل دولة تريد حصة الأسد من قالب الحلوى الفرنسي. ولعل القضية البولندية – الساكسونية كانت من اعقد المسائل التي واجهت المؤتمرين. إذا كانت كل من روسيا وبروسيا بطالبان بضم بولندا للأولى وساكسونيا للثانية. لكن النمسا عارضت ذلك كي لا تقوي جارتيها فتصبحان خطراً عليها.

لكن ممثلي الدول الكبرى أدركوا خطورة الانشقاق والخلاف. لذلك قاموا بالتسوية ووضعوا مخططاً لأوروبا جديدة عائمة على مياه السياسة المحافظة والحقد على نابليون.

كيف تمت التسوية؟

وافق المؤتمر على اعلان بولندا دولة ملكية ذات كيان سياسي خاص وأن يمنح عرشها لقياصرة روسيا. ويعني ذلك ان روسيا فازت بالاستيلاء على بولندا بصورة غير مباشرة.

كما وافق المؤتمر كذلك على سلخ فنلندا عن السويد وضمها إلى روسيا.

وقد عوض للسويد عن فنلندا بضم النرويج إليها بعد سلخها عن الدانمارك التي أعطيت مقاطعتي الشلزفيك والهولشتاين الألمانيتين بدلاً عن النرويج.

أما بروسيا فقد أرضوها بنصف سكسونيا وعوضوها عن النصف الآخر الذي كانت تطالب به بمنحها منطقة بوزنان البولندية ومناطق واسعة على ضفتي نهر الراين.

وبقيت ساكسونيا دولة مصغرة تحتل مكانها على خارطة أوروبا الجديدة.

أما النمسا فقد سلخت عنها ممتلكاتها في الأراضي المنخفضة وضمت إلى هولندا. وقد عوضها عن ذلك منحها جمهورية البندقية التي كانت قبل حروب نابليون دولة مستقلة. واستردت النمسا أيضاً لومبرديا في ايطاليا وممتلكاتها السابقة على شاطئ دلماشيا كما استعادت نفوذها السياسي في بعض المناطق الأخرى.

أما بريطانيا فلم يكن لها مطامع أقليمية في أوروبا. لذلك نالت حصتها عدداً من المواقع الاستراتيجية المهمة في أنحاء العالم مثل مستعمرة رأس الرجاء الصالح وجزيرة سيلان، وجزيرة مالطا وجزيرة هاليفولاند في بحر الشمال.

ومن الاجراءات التي قرروا اتخاذها أيضاً: انشاء مملكة النذرلند أو الأراضي المنخفضة والمؤلفة من هولندا وبلجيكا اللتين كانتا تابعتين للنمسا. كما أعلنوا استقلال سويسرا وتعاهدوا على احترام حيادها.

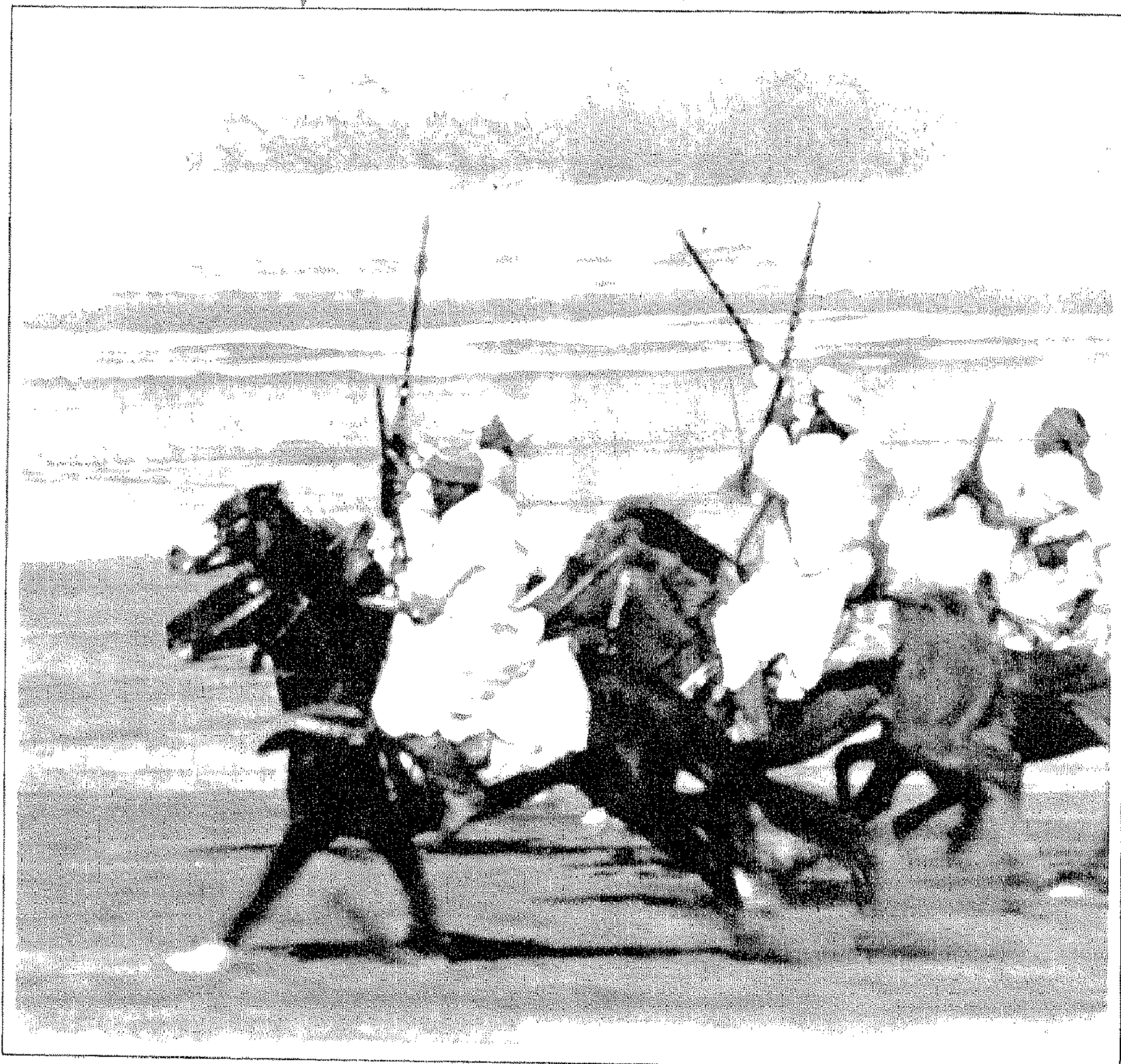
وفي اسبانيا أعيدت أسرة بوربون إلى الحكم بعد أن تربع فرديناند السابع على عرش اسبانيا.

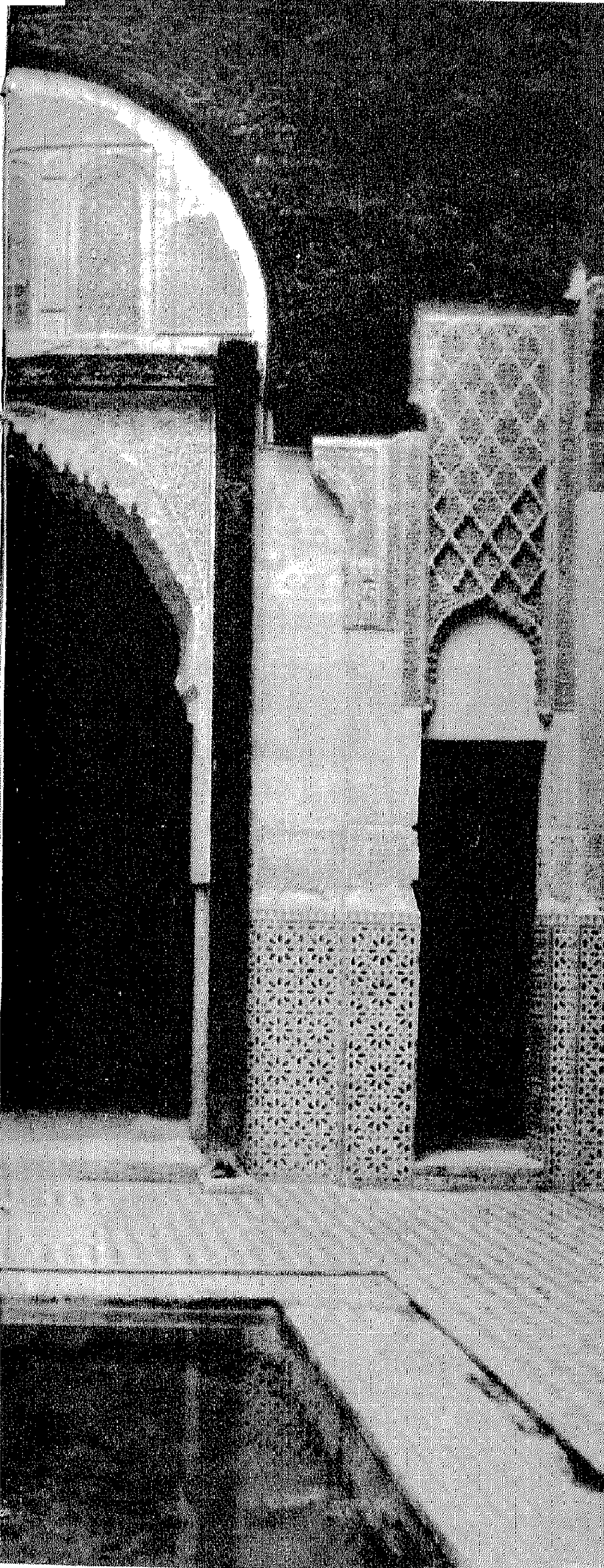
أما ايطاليا فبقيت مشتتة غير متحدة إذ شكلت كل من سردينية ونابولي – صقلية وممتلكات الباب دولة صغيرة تتحكم بها الدول الكبرى.

هذه أهم التغيرات الأقليمية التي طرأت على خارطة أوروبا والعالم بعد مؤتمر فينا. ومن الملاحظ أن المؤتمرين عاملوا سكان أوروبا كأنهم أدوات تنتقل ملكيتها من شخص إلى شخص بسهولة. كما كبتوا جميع أماني الوطنيين القوميين وطعنوا كل الآراء التقدمية والتحريرية التي بشرت بها فرنسا. لذلك لم يشف هذا المؤتمر جراح أوروبا بل فتحها وجعل جبالها وسهولها عرضة لحروب قاسية ●

المغرب

من عقبة بن نافع الى عبد الكريم الخطابي





● في سنة ٦٨٢ (٦٢ – ٦٣ هـ)[1] ، كان حشد عظيم من أشجع الفرسان يجر خلفه غمامة هائلة من الغبار ، ويتقدم بثبات نحو المحيط الأطلسي .

ويصل حشد الفرسان إلى الشاطئ فيتوقف . ويتقدم منه رجل في أوائل الخمسينات من العمر ، على قسمات وجهه مسحة من البطولة لا تتكرر . وينزل الرجل بفرسه إلى الماء حتى يصل منه إلى الخصر . ثم يرفع سيفه نحو السماء ويصرخ قائلاً :

« اللهم أشهد اني قد بلغت المجهود . ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك ، حتى لا يعبد أحد سواك » .

كان ذاك عقبة بن نافع الفهري ، الرجل الذي قيض له أن يفتح المغرب الأقصى ، ويثأر لقرطاجة من روما بعد ألف سنة ، الرجل الذي اختط القيروان حاضرة الفتح العربي في المغرب ، والذي مهد لتثبيت الفتح العربي ، بعد ان ظل هذا الفتح عقوداً لا يخرج عن كونه عمليات كر وفر وجس نبض . الرجل الذي كان من أقداره أن يقص الجناح الغربي للامبراطورية البيزنطية ، بعد ان كان جناحها الشرقي قد هيض .

ولا عجب ، فعقبة هو ابن خالة عمرو بن العاص داهية العرب وقائدهم الفطن . وهو سليل الأيكة الفهرية التي كان لها سهم كبير في فتح المغرب والاندلس . وقد أمضى عمره في فتح المغرب منذ ان دخل برقة مع ابن خالته وهو في الرابعة عشرة ، حتى استشهد في تهودة وهو في الخامسة والخمسين ، في خراج واحة بسكرة الرائعة (الجزائر حالياً) في ما يعرف إلى اليوم بمقام « سيدي عقبة » : والذي هو في مكان متوسط من المغرب الكبير الذي كان مسرحاً لصولات عقبة .

واذا كان عقبة بن نافع هو أول من دخل المغرب الأقصى فاتحاً ، فان الأمر لن يستتب للفاتحين على الفور . وستظل السيطرة على المغرب مداولة ، بين العرب والبيزنطيين ومن أنضم من البربر المحليين إلى هذا المعسكر أو ذاك ، منذ استشهاد عقبة سنة ٦٤ هـ (٦٨٣ أو ٦٨٤ م) وحتى تولية موسى بن نصير القائد الكبير ، ولاية المغرب ، عام ٨٩ هـ (٧٠٨ م) . هذا التابعي (اللخمي بالولاء) الذي قيل فيه انه لم يهزم له جيش قط . استطاع أن يقضي على المقاومة البيزنطية والخليفة ، وان ينهي الثورات ، فلا تأتي سنة ٩٢ هـ

(٧١١م) الا ويكون مولاه طارق بن زياد يدخل الأندلس مظفراً. فلماذا ثبت فتح المغرب مع موسى؟

لعل في التوقف عند شخصية أبي عبد الرحمن موسى بن نصير، فرصة لمعرفة العوامل الشخصية التي قيّضت له أن يثبت الفتح العربي للمغرب الأقصى نهائياً، الشيء الذي لم يقيض لعقبة. فعقبة كان مجاهداً بالسيف قبل كل شيء. ولم يسع كثيراً إلى تأليف قلوب زعماء القبائل في البلاد. فكان استشهاده على يد واحد منهم. لكن موسى، وهو القائد العسكري الصلب. كان في الوقت ذاته محنكاً وحذراً. يدل على حنكته استعماله زعماء البربر على البلاد المفتوحة. حتى كان مولاه طارق بن زياد (الذي ترجح المصادر أصله البربري) هو قائد جيوشه إلى فتح الاندلس. ويدل على حذره انه لم يجز إلى الاندلس إلا بعد حليفه يوليان القوطي. ثم قائده طريف بن مالك. ثم قائده طارق. ولعله ورث الاعتدال عن والده نصير الذي كان على حرس معاوية بن أبي سفيان. ورفض مقاتلة علي ابن أبي طالب.

هذان إذن هما صانعا عروبة المغرب الأولان: عقبة وموسى بن نصير.

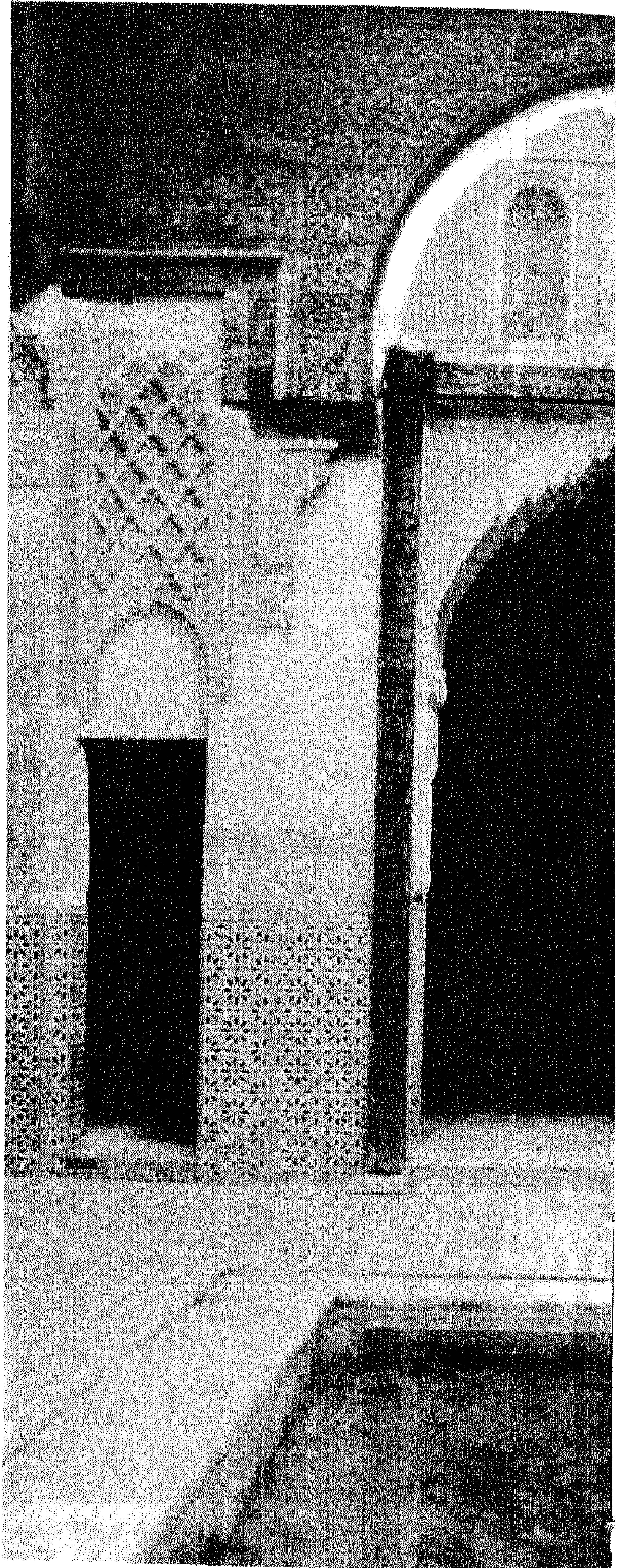
موقع استراتيجي

يتميز المغرب بموقع جغرافي ومناخي واستراتيجي جعله على مر التاريخ في موقع جيد من الاهتمامات الدولية في هذه المرحلة التاريخية أو تلك مما أثر تأثيراً بارزاً في حياة شعبه وتراثه الحضاري وتقاليده العربية والاسلامية الموروثة حتى يومنا هذا.

مساحته نصف مليون كيلومتر مربع ويسكنه الآن حوالي ١٧ مليون نسمة (احصاء ١٩٧٦) سيرتفع عددهم في العام ٢٠٠٠ إلى حوالى ٣٥ مليوناً (احصاءات البنك الدولي – ١٩٧٨). وقد لا يعرف كثير من العرب ان أعلى قمة جبلية عربية توجد في المغرب. إذ يرتفع جبل توبكال (أو طوبقال) إلى الجنوب من مدينة مراكش، إلى ٤١٦٥ متراً، ويتشح ببياض الثلوج. وفي جبال المغرب غابات أرز جميلة للغاية.

جناح مغربي قديم

نشأت أولى الحضارات المعروفة لدينا في البلاد التي تعرف اليوم بالمغرب على أيدي الفينيقيين منذ القرن



الحادي عشر قبل الميلاد. ومنذ دخول الرومان القدماء البلاد بدأت تشهد هذه المنطقة تحولات متسارعة على جميع الصعدان وخصوصاً من ناحية التطور غير المتجانس بين شمال البلاد وسواحلها (وطولها اليوم ١٧٠٠ كلم) ووسطها المكوّن من الجبال الوعرة التي شكلت دوماً الحاجز المنيع أمام التغلغل الأجنبي الاستعماري.

غير انه من الفريد أن الفتح الاسلامي قوبل بالترحاب والقبول السريع نسبياً فاعتنقت معظم قبائل البربر الدين الجديد كما اعتنقه العرب القادمون من المشرق وذلك لتعبيره عن انعتاقهم وتطلعهم إلى حياة عادلة. وقد ظل البربر منذئذ بالتالي، مع مواطنيهم العرب، مرهفين جداً تجاه كل ما يهدد هذه الحياة العادلة والكريمة التي أقامهم عليها الفتح الاسلامي.

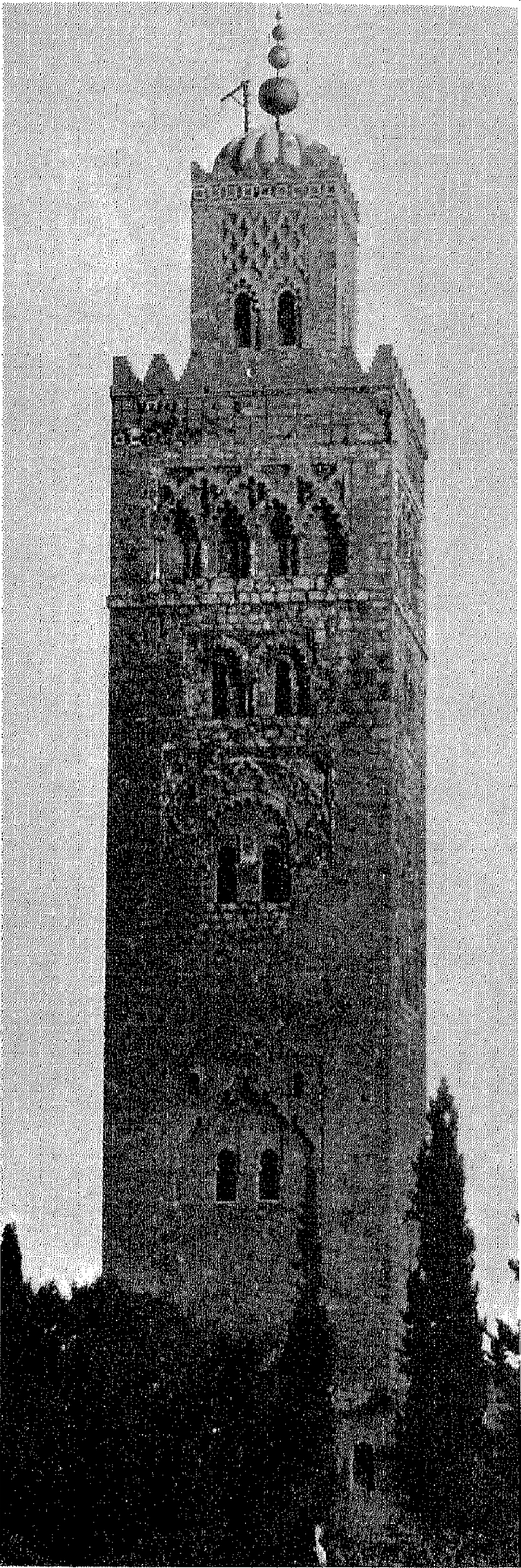
ولم يكن غريباً أن يدخل التاريخ ضمن أعظم رجالات المغرب، قائد يرجح أنه بربري هو طارق ابن زياد الفاتح العظيم.

رجالات في التاريخ المغربي

وطارق بن زياد من أشهر الشخصيات المغربية في التاريخ بلا شك. ويرجح المؤرخون انه من قبائل البربر. استعمله موسى بن نصير على طنجة عند فتحها، ومنها جاز إلى الاندلس، إلى الجبل المعروف باسمه حتى اليوم.

ويشك المؤرخون في أمرين مما عهد عنه في الروايات. فالمأثور أنه عندما جاز المضيق أحرق سفنه، وقال في المقاتلين خطبته الشهيرة: «أيها الناس، أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم»... الخ. وحرق السفن والخطبة مأثوران مشكوك فيهما. ذلك انهما لم يظهرا في ما تقدم من روايات تاريخية عن الاندلس. ولم تأت على ذكرهما إلا الروايات المتأخرة. وفي ذلك سبب للاعتقاد انهما من نسج الرواة والخيال الأدبي.

وواقعة حرق السفن شائعة في الأدب العسكري التاريخي، مثلما هي شائعة واقعة الطفل الذي يضعه ذووه في سل ويتركونه في النهر، فيأخذه أحدهم ليربيه (وقد يصدف ان يكون مربيه ملكاً). وللدلالة على شيوع قصة حرق السفن، ان الرواية الاسبانية تذكر مثلاً واقعة مشابهة عن فرنان كورتيث، فاتح المكسيك سنة ١٥٢٠م (٩٢٦ - ٩٢٧هـ).


جامع الكتبية في مراكش.

أما الخطبة فثمة سببان للشك فيها: الأول ان طارقاً كان على الأرجح من أصل بربري. ومن غير المرجح أن يكون قد اكتسب بهذه السرعة من البلاغة ما يجعله قادراً على قول خطبة كهذه. الثاني هو ان طارقاً، حتى لو كان من أصل عربي، فانه ما كان ليلقي في الجنود خطبة عربية بليغة، ومعظمهم من البربر.

من أسس فاس؟

ومن أهم شخصيات المغرب ادريس الأول وابنه ادريس الثاني مؤسسا فاس.

وتثير قصة تأسيس مدينة فاس مشكلة تاريخية بسبب خطأ وقع فيه على ما يبدو الجغرافي العربي الشهير ابن حوقل أو ناسخو كتابه. فهو أول من قال، على الأرجح ان ادريس الثاني بن ادريس الأول، هو الذي أسس هذه المدينة، فأحاط كلا من جزأيها بسور مستقل، يمر بينهما نهير شديد التيار.

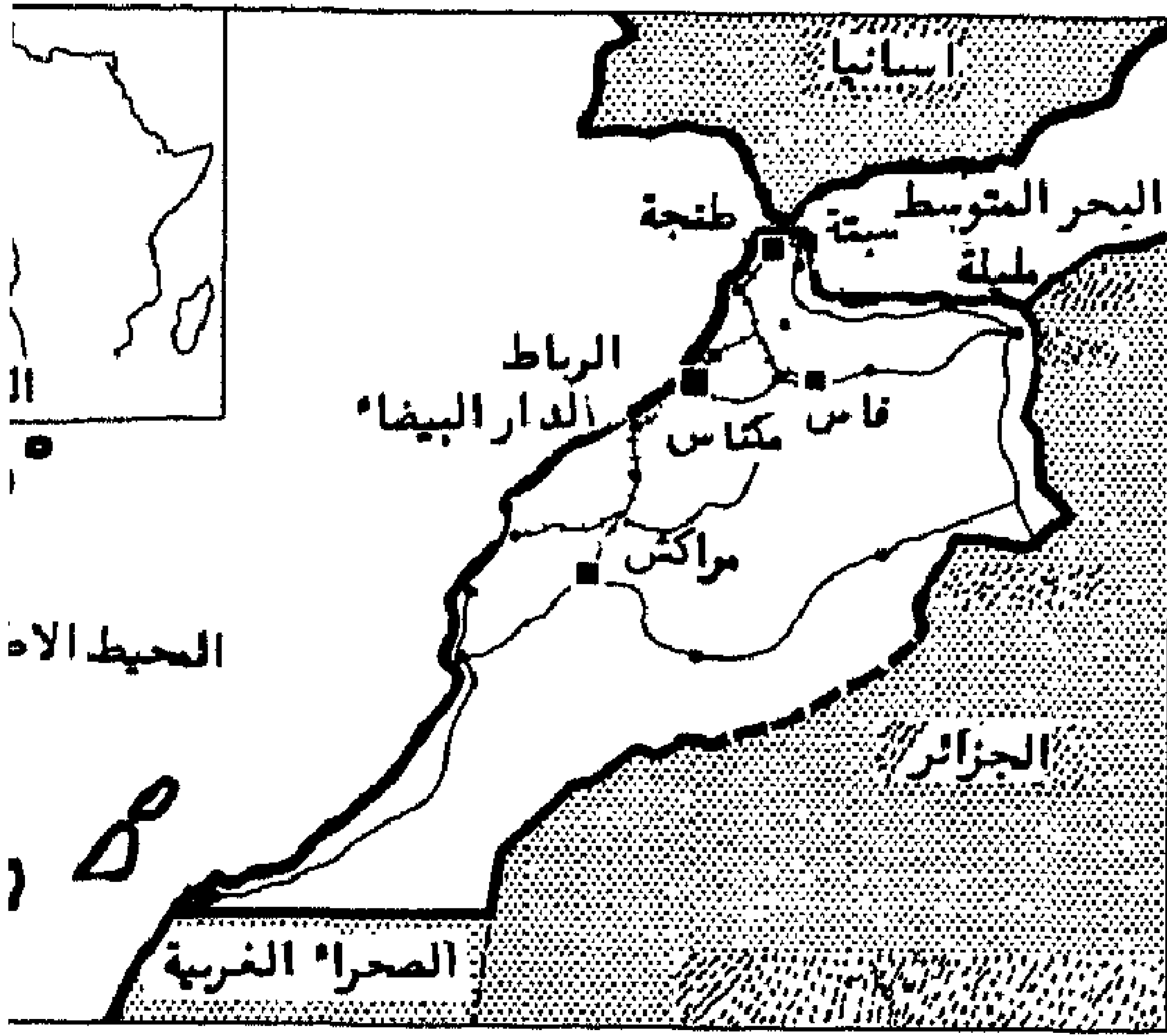
وقد خصص المؤرخ الفرنسي الكبير ليفي بروفنسال محاضرة لهذا الموضوع وخلص إلى نتائج قاطعة في هذا الشأن.

كانت فاس اذن من ضفتين: الغربية ضفة القرويين (سكنها جمع أحضروا من القيروان) والشرقية ضفة الاندلسيين (سكنها الاندلسيون الذين أبعدهم الحكم الربضي الأموي أمير الاندلس، بعد ثورة «الربض»، الحي الجنوبي من عاصمته قرطبة).

ولعل خطأ ابن حوقل أوقع من بعده في الخطأ ذاته. فقال المؤرخ والجغرافي الاندلسي أبو عبيد البكري ان ضفة الاندلسيين تأسست سنة ١٩٢ هـ (٨٠٨هـ) وضفة القرويين سنة ١٩٣ هـ. (٨٠٩م) في عهد ادريس الثاني.

والواقع ان هذا هو الاعتقاد السائد حالياً بين سكان فاس أنفسهم، وبين جمع من المؤرخين. أما ليفي بروفنسال فانه بدأ انطلاقاً من شكه في الحكمة من بناء مدينة واحدة، عاصمة لملك واحد، ضمن سورين منفصلين. وقيل في تبرير ذلك، ان ادريس الثاني أراد أن يفصل بين عناصر اجتماعية متباينة سكنت الضفتين. لكن هذه الحجة الضعيفة، والقراءة المتعمقة لكتاب «روض القرطاس» لابن أبي زرع المؤرخ، أوصلا ليفي بروفنسال إلى نتيجة أخرى.

فادريس الأول هو الذي أسس ضفة القرويين



خريطة المغرب

سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨-٧٨٩). وهي سنة تأسيس دولة الادارسة أيضاً. مما يضفي سبباً آخر لترجيح هذه الفرضية. وأسس ابنه ادريس الثاني ضفة الاندلسيين سنة ١٩٣ هـ. فكيف تحول تاريخ تأسيس الضفة الأولى من ١٧٢ إلى ١٩٢؟

يلاحظ ليفي بروفنسال ان الخطأ كان يمكن أن يبدأ خطأ في تصحيف الكلمتين سبعين وتسعين. فاهمال تنقيط الحروف، وهو ما كانت تجري عليه الكتابة العربية أولاً، لم يترك فارقاً كبيراً بين سبعين وتسعين.

ولم يكتف ليفي بروفنسال بهذه الحجة بل استعان بمجموعة من النقود الادريسية، بعضها كانت في حوزته (رحمه الله)، وبعضها في متحف مدينة خاركوف (إحدى مدن أوكرايينا في الاتحاد السوفياتي). فثمة درهم في هذا المتحف ضرب في فاس سنة ١٨٥ هـ (٨٠١م). وهذا يقطع بأن المدينة تأسست قبل سنة ١٩٢هـ (٨٠٨م)، ويثبت نظرية الخطأ في اعتماد التصحيف.

وقد توحدت فاس، فيما بعد، على يد مؤسس دولة المرابطين، يوسف بن تاشفين.

دولة المرابطين.. ومؤسسها

وابن تاشفين هو أيضاً من أهم الشخصيات التاريخية في المغرب. فهو مؤسس دولة «المرابطين» (أواخر القرن الحادي عشر الميلادي)، التي شحنت المغرب الغربي بقوة جديدة بعد وهن، وقضت على الطوائف التي فرخت في العدوتين المغربية والاندلسية،

وتمكنت من رد الهجمات عن الاندلس، فمددت بقاء العرب في اسبانيا أربعة قرون أخرى. وإبن تاشفين عاش تسعين سنة، وحكم طوال خمسين سنة، ولم يدانه في ذلك غير أمير الاندلس عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي لكن حكمه لم يمتد في البداية إلى المدى الذي اتخذه فيما بعد عند دخول المرابطين إلى الأندلس. ويوسف هو مؤسس مدينة مراكش.

واشتغل ابن تاشفين شخصياً في بناء المدينة. وكان متواضعاً متقشفاً متشدداً في الدين وفي استبعاد البدع. وقد بنى دولة المرابطين على عصبية قبائل صنهاجة البربرية، فسموا بالمرابطين لأنهم تتلمذوا على عبد الله بن ياسين في رباط أنشأه للدرس والعبادة في صحراء المغرب حيث تقيم قبيلة لمتونة الصنهاجية. ويتفق اللمتونيون على ان أصلهم حميري عربي من اليمن.

وحارب ابن تاشفين ملوك الطوائف في الاندلس، فوحدها بعد تفتت ثم انتصر على الفونسو السادس الذي كان قد تقدم شوطاً بعيداً، في موقعة الزلاقة، بعد حرب نفسية بدأها الفونسو بإنفاذ رسالة تهديد إلى يوسف، فكتب يوسف على قفاها رده: «أما بعد فان الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك. والسلام على من اتبع الهدى»، ثم أضاف بيتاً لأبي الطيب المتنبي:

ولا كتب إلا المشرفيـة والقنـا
ولا رسل إلا بالخميس العرمرم

وقد جرت المعركة بينهما في الزلاقة (ساغراخاس الاسبانية اليوم) في ١٢ رجب ٤٧٩ هـ (٢٣ تشرين الأول – أوكتوبر ١٠٨٦ م). وبدأ الفونسو هجومه وقت صلاة ظهر الجمعة، في مسعى واضح للمباغتة. غير ان المباغتة كانت من نصيبه فالجيوش التي هاجمها كانت جيوشاً أندلسية. فلما التحم الجيشان أسرع يوسف بجيوش المرابطين إلى محاصرة الاسبان. ولا شك في ان الجمال التي كان يحارب عليها المرابطون وأصوات طبولهم الهائلة (التي أخذوها عن الزنوج) أحدثت رعباً في خيول العدو، فجمحت براكبيها واضطربت الصفوف. ويقول المستشرق اشباخ إنه لو استطاع ابن تاشفين ان يستغل انتصاره المدوي هذا لكانت أوروبا تدين بالاسلام ولرأينا القرآن يدرس في جامعات موسكو وبرلين ولندن وباريس.

وثمة دولة أخرى لم يؤسسها صنهاجي هذه المرة بل مصمودي هو محمد بن تومرت، الذي خلفه تلميذه عبد المؤمن الموحدي وأبناؤه. تلك هي دولة الموحدين (١٠٥٥م–١٢٦٩م) التي ازدهرت في عصرها زوايا المتصوفين ومدارس الفقه. وكانت هذه الزوايا تتحول إلى مراكز عسكرية ورباطات، فور قيام غزوات ومخاطر من جانب الاسبان.

وقد نشأت في المشرق ظواهر مماثلة تماماً، إذ قامت مدارس الصوفيين وزواياهم بدور تجمعات دفاعية لمواجهة مخاطر المغول والصليبيين أيضاً، وذلك في الفترة ذاتها. وهذا تأكيد واضح على وحدة الوطن العربي في ذلك الوقت وتشابه المناخات الفكرية والسياسية فيه. من أقصاه إلى أقصاه.

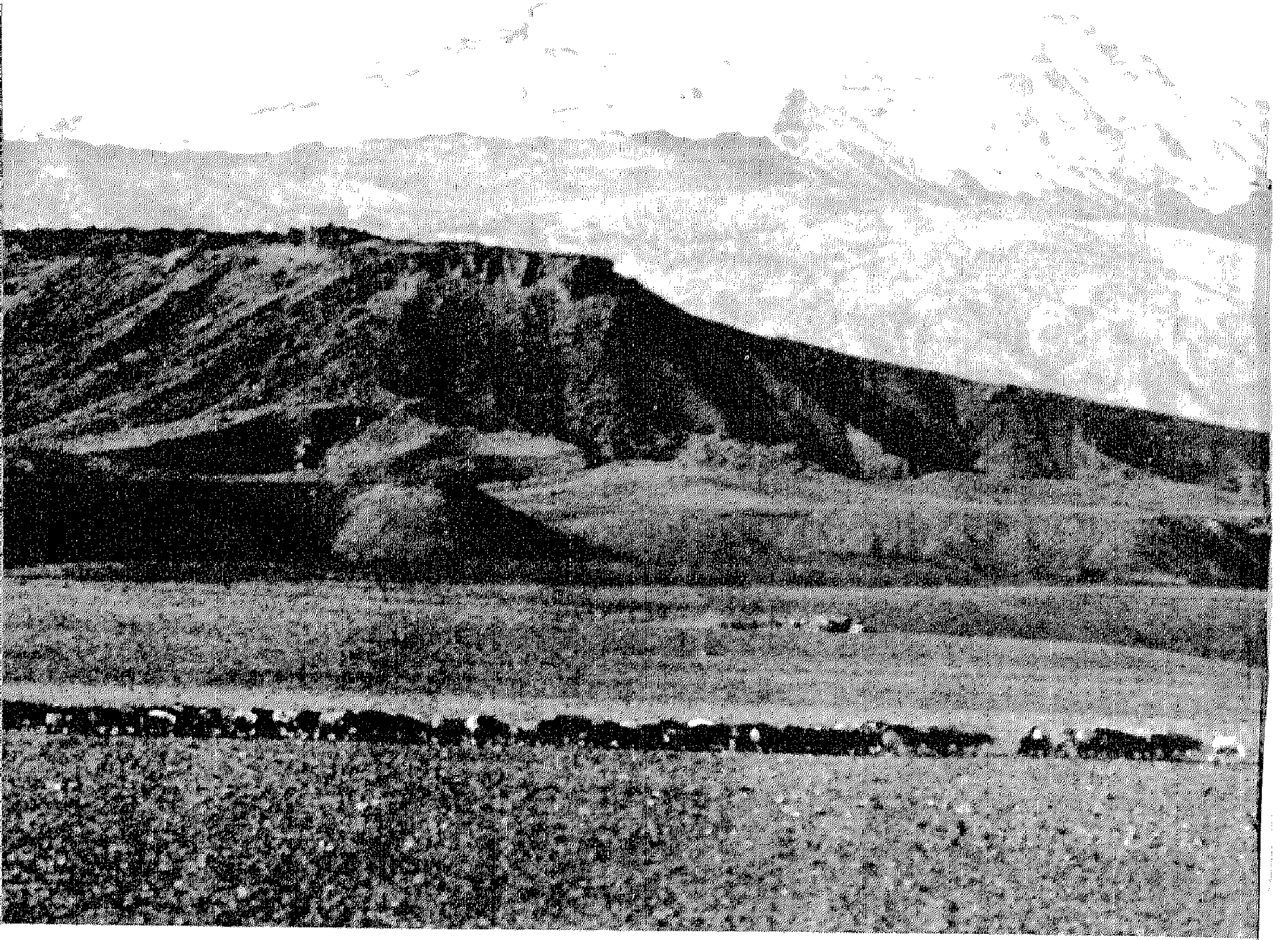
الاستعمار الحديث

واستمر الحكم الاسلامي في المغرب حتى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي. ثم بدأ البرتغاليون يتوسعون في سيطرتهم على البلاد وخصوصاً في المواقع الساحلية الاستراتيجية فيها. ومنذ ذلك الحين دخل المغرب مداولة، في دوامة التنافس الغريب بين اسبانيا وفرنسا والبرتغال خصوصاً ثم بينها وتركيا العثمانية.

وبين القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين سيطر البرتغاليون على ساحل مراكش الغربي وسيطر الاسبان على مواقع استراتيجية على الساحل الشمالي بينما تمركز الانكليز في طنجة.

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي تمَّ إجلاء البرتغاليين عن مراكش بينما استفاد الاسبان من الظروف السياسية الجديدة للتوسع في بقية أنحاء المغرب مما أدى إلى سلسلة حروب أهمها «الحرب الاسبانية – المراكشية» (١٨٥٩–١٨٦٠م) التي أدت إلى سقوط «تطوان» في يد الغزاة. وسميت هذه الحرب «معركة تطوان».

أما فرنسا فان غزواتها للمغرب بدأت منذ أواسط القرن التاسع عشر. وأبرز المعارك التي شنتها هي «معركة ايسلي» (١٨٤٤م) التي استخدمت القوات الفرنسية فيها أكثر من عشرة آلاف رجل و١٦ مدفعاً. وكانت القوات الفرنسية المتمركزة على الحدود الجزائرية – المغربية عبرت الحدود إلى المغرب لملاحقة أنصار البطل الجزائري عبد القادر والمجاهدين معه من المغاربة. واستطاعت هذه القوات الغازية ان تتغلب على المغاربة وتشلّ حركتهم في الرابع عشر من شهر آب (أغسطس) ١٨٤٤.



أعلى الجبال العربية: الأطلس.

وبعد الحرب العظمى الأولى بدأت حرب الفرنسيين ضد البربر. واستمرت حتى العام ١٩٣٤ تاريخ احتلال تندوف وهو الموقع الأخير الذي كان بيد المقاومين المغاربة. واحتلال تندوف أمّن اتصال القوات الفرنسية في المغرب بالقوات الفرنسية في موريتانيا.

ولكن إذا كانت فرنسا نجحت في إخماد ثورة المقاومين سنة ١٩٣٤م فذلك لأنها تحالفت مع حليفة قوية يومها هي اسبانيا إضافة إلى نجاحها في تأليب أبناء الوطن بعضهم على البعض.

على ان انتصار الاستعمار المؤقت لم يتحقق بسهولة. فقد عرفت اسبانيا أشد الهزائم على رغم تفوقها العسكري كماً ونوعاً. وذلك على يد المناضل الكبير عبد الكريم الخطابي قائد «معارك الريف» (١٩٢٠ - ١٩٢٦م).

موقعة أنوال العظيمة

ومن الجولات العسكرية التي انتصر فيها الخطابي نشير إلى معركة «أنوال» الشهيرة (آب - أغسطس - ١٩٢١م) التي اشترك فيها الخطابي نفسه بمؤازرة مجموعات صغيرة من المقاومين المغاربة. ورغم تفوق الغزاة الاسبان بقيادة الجنرال سيلفستر استطاع الثوار الانتصار في هذه المعركة. وفقدت القوات الاسبانية ١٥ ألف رجل بين قتيل وأسير ومفقود وثلاثين أل ، بندقية وكميات كبيرة من الذخيرة والامدادات والمؤن. وكانت هذه الأسلحة والمعدات أهم تسليح وصل يومها إلى أيدي الثوار. وقد ساعدهم هذا على مواصلة مقاومة الغزاة طوال أكثر من ١٣ سنة.

كان الخطابي من أجرأ المجاهدين في تاريخ المغرب الحديث وكان شعاره المأثور: «إذا لم تذهب لملاقاة عدوك فسوف يأتي هو لملاقاتك».

وبدلاً من أن يشرب الجنرال سيلفستر «الشاي في دار عبد الكريم» كما وعد. شربت اسبانيا الكأس التي بدلت مجرى تاريخها الحديث على حد قول تشارلز بتري في كتابه «تاريخ اسبانيا»: «ولو ان هذه الكارثة لم تقع لما قامت الدكتاتورية. ولو ان الدكتاتورية لم تقم لما قامت الجمهورية الثانية. وبالتالي ما وقعت الحرب

(الأهلية الأسبانية ١٩٣٦ – ١٩٣٩).

أهم الآثار المغربية

يرجع تاريخ وجود الانسان في المغرب إلى أبعد العصور قبل التاريخ. وتشهد على ذلك الآثار الحجرية التي عثر عليها في مراكز عديدة من البلاد.

وشهدت بلاد المغرب تعاقب حضارات كثيرة تركت كل منها بعضاً من آثارها حتى اليوم: فالآثار الفينيقية ما زالت ظاهرة إلى الآن في المدن الساحلية ولا سيما في طنجة والعرائش والرباط وتاموسيده وبناسة ووليلي.

أما الآثار الرومانية فان معظمها اندثر على مر التاريخ ولم يبق بارزاً منها اليوم سوى بعض الآثار في تطوان وفي وليلي. في هذه المدينة الأخيرة توجد أطلال رومانية عمرها ٢٠٠٠ سنة منها خصوصاً «الكابيتول» (قلعة رومانية) و«البازليك» (قاعة المحكمة والمعاملات)...

أما في شالة فيوجد موقع أثري كامل يعرف بالحي الروماني.

اضافة إلى ذلك نجد العديد من الآثار البرتغالية في مدينة أصيلة (وكانت قاعدة حربية برتغالية في القرن ١٦ م. السادس عشر الميلادي ويجاورها ما يعرف «بقصر الريسوني»)، والجديدة (وكانت في القرن السادس عشر الميلادي مركزاً استراتيجياً. وفيها حتى اليوم كنائس وابراج عظيمة ومنها برج المطقية) وأسفي (حيث يوجد الحصن الكبير والقصر الذي يسمى دار البحر).

ولعل أبرز الآثار الموجودة في أروع حلة لها اليوم في المغرب هي الآثار العربية الاسلامية المنتشرة في عواصم البلاد التاريخية الأربع: مراكش والرباط ومكناس وفاس.

في مراكش التي أسسها «المرابطون» في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي نجد:

– جامع «الكتبية» الذي تعلوه صومعة مشهورة ارتفاعها ٦٠ متراً ووشح أعلاها بثلاث رمانات ذهبية ذكر ان زوجة المنصور أذابت حليها لصنعها.

– قصر «الباهيه» الذي بني في القرن التاسع عشر الميلادي وهو كان المقر الصيفي للحاكم العسكري الفرنسي الماريشال ليوتي خلال العقد الثاني من القرن الحالي.

– مدرسة ابن يوسف المعروفة بمحرابها البديع.

– مقبرة السعديين وهي آية من آيات الفن المعماري العربي.

وأهم أثر تاريخي في الرباط التي بنيت سنة ١١٥٠م هو جامع حسّان وصومعته الشامخة بشكلها المعماري البيزنطي.

وفي مكناس التي تأسست في القرن العاشر الميلادي نجد اثر باب المنصور الضخم الذي يحتفظ إلى اليوم برونقته والوانه.

امّا مدينة فاس، اقدم العواصم في المغرب، وتحيط بها اليوم اسوار، فيها اربعة ابواب، فتضم مجموعة ضخمة من الآثار المهمة:

– جامعة القرويين.

– مدرسة ابن عنان بساعاتها الشمسية الغريبة ومصاريع ابوابها النحاسية.

– مسجد الاندلس وبابه الضخم.

– زاوية المولى ادريس.

– مقابر المرينيين.

وزراء مغاربة

• من اعظم فصول تاريخ المغرب العربي، ذلك الحشد من العباقرة الذين تولوا الوزارة فيه. على رأسهم ابن طفيل، ابو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي المولود سنة ١١٠١م (٤٩٧هـ)، او سنة ١١٠٦م (٥٠٢هـ)، والذي كان وزيراً لدى الخليفة الموحدي اي يعقوب بن عبد المؤمن. وهو صاحب «رسالة حي بن يقظان» الفلسفية.

• وقد كان ابن طفيل واسطة ابن رشد إلى هذا الخليفة المغربي سنة ١١٦٩م (٥٦٧هـ). وابو الوليد محمد ابن رشد المولود في قرطبة سنة ١١٢٦م (٥٢٣هـ)، هو اعظم من ترجم وطور فلسفة ارسطو. كما أن افضل مؤلفاته في الطب كتاب «الكليات في الطب»،

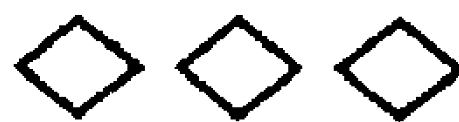
←

يضم فصولاً في التشريح وعلم وظائف الأعضاء وتشخيص المرض والعقاقير وغيرها ونظريته الفلسفية مهّدت لنظرية النشوء والتطور. وقد أصبح ابن رشد بعد وفاته (سنة ١١٩٨ - ٥٩٧هـ) محرّك الفكر الاوروبي على مدى ثلاثة قرون، فأخذ عنه دانتي وتوما الاكويني وغيرهما الكثير. وقد كان وزيراً لابن أبي يعقوب الخليفة الموحدي.

• أما عبد الرحمن بن محمد بن خلـــــدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) (١٣٣٢ - ١٤٠٦ق.م) فهو أشهر أن يعرّف، وهو الذي ينسبون إليه اليوم أنه مؤسس ثلاثة من علوم عصرنا: التاريخ، والاجتماع، والبيئة. وقد تولى الوزارة في فاس في عهد دولة بني مرين، وتقلّب من ولاء إلى ولاء في فترة تميزت بالاضطراب السياسي. وترك لنا في أثناء أربع سنوات من الاعتزال والصفاء الذهني «مقدمته» التي هي واحد من أعظم نتاجات الفكر البشري.

المصادر

- د. أحمد مختار العبادي: «في تاريخ المغرب والأندلس»، دار النهضة العربية، بيروت - ١٩٧٨.
- د. حسن ابراهيم حسن: «تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي»، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٧، ط٧.
- ليڤي بروفنسال: «الاسلام في المغرب والأندلس»، مجموعة محاضرات، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة - ١٩٥٦.
- عبد الواحد المراكشي: «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، من سلسلة «المختار من التراث العربي»، رقم ٦، دمشق ١٩٧٨.
- المختار من التراث العربي: «من مقدمة ابن خلدون»، دمشق - ١٩٧٨.
- د. عبد الله العروي: «تاريخ المغرب، محاولة في التركيب»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - ١٩٧٧.
- ابن طفيل الأندلسي: «رسالة حي بن يقظان»، تحقيق د. محمد عزت نصر الله، دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت - ١٩٧٠.
- د. فيليب حتي: «صانعو التاريخ العربي»، دار الثقافة، بيروت - ١٩٦٩.
- د. فيليب حتي: «تاريخ العرب»، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت - ١٩٥٣.
- روبرت فورنو: «عبد الكريم أمير الريف»، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق - من غير تاريخ محدد.
- قـاموس لاروس الموسوعي، لاروس، باريس.



(١) المصادر والمراجع المستعان بها لكتابة المقال لا تحدّد دائماً اليوم والشهر، لذلك أوردنا احتمالين للسنة الهجرية. وعندما يتكرر هذا الأمر في المقال فللسبب المذكور ذاته أو لكون الحدث المعني قد امتدّ على شهور.

حريق القاهرة

أحمد مرتضى المراغي



في الذكرى السابعة والعشرين للثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر، في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢، تنشر «تاريخ العرب والعالم»، هذا المقال لأحمد مرتضى المراغي عن حريق القاهرة، الذي اعتبر واحداً من الأحداث الأبرز التي كانت بشيراً للثورة. وفي المقال يقدم المراغي وجهة نظره في الجهة التي تقف وراء الحريق أو التي تمنع حدوثه. ومن الواضح أنه يعتبر الحريق نتيجة للتضارب بين الملك والحكومة. على أنه لا بد من التحفظ في أخذ كل ما في المقال من وقائع، نظراً الى أن المراغي هو من وزراء ما قبل ١٩٥٢، وهو يقلل من دور النقمة الشعبية في الحادثة.

● في يوم ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢، كنت في منزلي جالساً أحتسي قدحاً من الشاي. ويقع منزلي في حي زيزينيا بالاسكندرية، وكنت محافظاً لها، وكنت أشعر بشيء من الحمّى. فتناولت مع الشاي حبة من الاسبرين وكانت الساعة تقترب من السادسة مساء والى جانبي جهاز الراديو. ففتحته لاستمع الى أخبار محطة لندن. وأول خبر سمعته هو وقوع اصطدام بين قوات الشرطة المصرية أو ما يسمى «بلوك» النظام وبين القوات الانجليزية في مدينة الاسماعيلية على قناة السويس. وأن القوات الانجليزية بدباباتها ومدافعها الثقيلة اشتبكت مع رجال الشرطة المسلحين ببنادق من طراز رمنغتون القديمة. وهاجمت ثكنتهم، وأنهم لم يستسلموا الا بعد أن نفدت ذخيرتهم ودكت القنابل ثكنتهم وبلغ عدد ضحاياهم ستين جندياً.

قمت من مقعدي وأخذت أذرع الغرفة ذهاباً وجيئة ثم عدت وجلست أفكر. أن في الاسكندرية عدداً كبيراً من قوات «بلوك» النظام. وحين يسمعون قتل زملائهم فلن يهدأ لهم بال. والجماهير لا بد أن تقوم بتظاهرات واحتجاجات عنيفة والاسكندرية هي مركز تموين النفط. وفيها أكبر مخازن الغلال والقطن والاخشاب. وفيها أكبر مستودعات البترول. فاذا اندست عناصر التخريب بين الجماهير وأشعلت النار في تلك المستودعات فإن الأمر سينقلب الى كارثة محققة، ولن تجد مصر حاجتها من الغلال والأخشاب والبترول لمدة طويلة، وتفقد مصر ثروة عام من محصول القطن.

قررت أن أعمل فوراً. وطلبت قائد الشرطة اللواء يسري لمحه وقلت له بما سمعته وما فكرت فيه.

قال: وماذا نستطيع أن نعمل؟

قلت: ضع الاسكندرية من منتصف الليل تحت نظام طوارىء، وأرسل جنود البوليس يحتلون فوراً جميع المستودعات وصهاريج البترول. واجمع جنود «بلوك» النظام، وأرسلهم بلوريات شاحنات عند الفجر الى صحراء العامرية.

وكانت لهم علاوة طوارىء لم تصرف. فأمرت بفتح الخزينة الساعة الحادية عشرة مساء رغم احتجاج الرئيس المالي المسؤول عنها، بأن الصرف لا يكون الا بأمر وزارة المالية. وأعطيته تعهداً بمسؤوليتي، واتصلت بقائد حامية الاسكندرية. وطلبت منه المساعدة بانزال جنود الجيش لحراسة المرافق العامة كالماء والكهرباء



والبريد ومحطة السكك الحديدية. فاتصل بدوره بقائد الجيش الذي تردد كثيراً في الموافقة ثم وافق أخيراً. وطلبت من قائد الشرطة وقف وتفتيش القطار القادم من القاهرة الى الاسكندرية، والذي يبرح القاهرة الساعة الحادية عشرة مساء ويصل الى الاسكندرية الساعة الخامسة صباحاً. ولم يخب ظني، فقد كان في القطار حوالي خمسين شخصاً يحملون مواد حارقة ومعاول ومتفجرات. فقبضت عليهم الشرطة. وفي صباح ٢٦ كانون الثاني (يناير) كان الجيش والبوليس يشددان قبضتها على جميع المرافق بالاسكندرية، وجنود «بلوك» النظام كانوا في العامرية يمضون عند البحر وقتاً سعيداً ويشترون بالنقود المتوفرة معهم ما ترغب فيه نفوسهم، وظلت الحالة هادئة بالاسكندرية ولكن ما الذي جرى في القاهرة ذلك اليوم.

حريق القاهرة الكبير

في الساعة العاشرة من صباح ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢ أتصل بي تلفونياً وزير الداخلية فؤاد سراج الدين وسألني: كيف الحال في الاسكندرية؟

فقلت له: انه هادىء إلا بعض تظاهرات في الجامعة وبعض المدارس.

قال: وهل «بلوك» النظام مشترك فيها.

قلت: لا.

فقال: غريبة.

وسكت.

لفت نظري قول غريبة. فسألته: هل «بلوك» النظام في القاهرة يشترك في المظاهرات؟

قال: نعم.

قلت: وكيف الحال عندك؟

قال: توجد تظاهرات ولكن الموقف هادىء على وجه العموم. وانتهى الحديث التلفوني. وبعد ساعة بدأت الأنباء تتوارد من القاهرة. فندق شبرد الكبير يحترق والنزلاء يرمون بأنفسهم أو يرمى بهم من الادوار العليا للنجاة من الحريق. المتاجر الكبرى التي يملكها الأجانب تحترق وينهب ما فيها. البنوك تنهب من خزائنها الأموال وتلقى من النوافذ، ويملأ الناهبون جيوبهم والجماهير تقتسم الأموال. نادي الترف الانجليزي يهاجم ويضرب الانجليز داخله ويقتلون. بعض دور السينما قد احترقت. الملاهي والمقاهي تشتعل فيها النيران والارتيستات يلقى ببعضهن من أعلى الملهى الى الشارع. وأخذت الاشاعات تتضخم وتهول. الى أن انتهت بأن تصورنا أن القاهرة قد احترقت عن بكرة أبيها. لقد ظل حريق القاهرة الى الآن سراً مطوياً. ولعلي استطيع ان القي الكثير من الضوء على هذا الحريق—حريق القاهرة يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢.

في مساء ٢٧، أقال الملك فاروق حكومة النحاس وعهد الى علي ماهر بتشكيل الوزارة. وضمني علي ماهر الى وزارته، وعينت وزيراً للداخلية. وكانت هذه أول مرة أدخل فيها الوزارة. كان أول واجب علي أن أقوم به هو معرفة الفاعلين والمدبرين لحريق القاهرة. وعقدت اجتماعاً مع وكلاء الوزارة ومدير الأمن العام ومدير البوليس وحكمدار القاهرة ورئيس القسم السياسي فيها وناقشتهم. ولدهشتي العميقة لم أجد واحداً منهم يحدد بالضبط من الذي أحرق القاهرة.

قلت: لا شك أن الذي أحرق القاهرة ليس فرداً واحداً، ولكنها جماعة أو جماعات منظمة أعدت عدتها لذلك. ولا يمكن أن تكون أدوات الحرق وكسر الخزائن والأبواب وجدت أمام المتاجر والفنادق والبنوك جاهزة.

قالوا: لا شك.

قلت: ألم يكن عندكم علم من قبل بتلك الاستعدادات.

سكتوا. وهنا قال حكمدار القاهرة:

لقد فوجئنا باشتراك قوات «بلوك» النظام في المظاهرات وفقدنا عنصراً أساسياً لحفظ الأمن.

قلت: ألم يكن في تقديركم أن يحدث ذلك.

قال: لم يخطر ذلك في بالنا.

قلت: هل أخرج من الاجتماع بنتيجة أنكم لا تعرفون من الذي أحرق القاهرة؟ اني اذا خرجت بهذه النتيجة فسوف لا تكون في مصلحة أي منكم، لأن معنى ذلك أنكم مقصرون في أداء واجبكم، وأنا لا أطمئن الى العمل مع القصر. لقد أطلعت منذ ساعة على تقارير طلبتها عن حريق القاهرة قبل أن أجمعكم وأناقشكم. أتعرفون ماذا وجدت في هذه التقارير؟ لا شيء غير دفتر أحوال المطافئ عن زمان كل حريق وقيام عربة المطافئ اليه. فمثلاً الساعة الحادية عشرة ذهبنا الى إطفاء حريق مقهى بديعة ومنعنا المتظاهرون



تظاهرة جامعة «فؤاد الأول» في الجيزة الساعة ١٠ صباحاً.

من استعمال خراطيم المياه. الساعة الثانية عشرة ذهبنا لاطفاء حريق فندق شبرد وحطم المتظاهرون عربة الحريق. إني أسألكم الآن: من هم هؤلاء المتظاهرون؟ وهل قبضتم على واحد منهم؟ إني أطلب معرفة المحرضين والفاعلين ولم أطلب معرفة جهود رجال الاطفاء.

قال الحكمدار: نحن في سبيل التحقيق. وقد قبضنا على عدد ممن اشتركوا في الحريق.

قلت: وما عددهم؟

قال: حوالي العشرين شخصاً.

قلت: هل يعقل أن يكون عدد من اشتركوا لم يتجاوز العشرين؟

قال: نحن في سبيل التحقيق. وسنقدم تقريراً. أرجو إمهالنا اسبوعاً.

قلت: سأعطيكم هذه المهلة. والى اللقاء.

بعد أسبوع تقدم إليّ رئيس المباحث بتقرير تلفيق تهمة مدعم برسم هندسي لبعض أحياء القاهرة، وأسهم تشير الى مواقع بعض الأبنية يصحبه رسم آخر عن قنابل حارقة ومعاول لم أر لها مثيلاً من قبل. أما التقرير فيشير الى الرسوم الهندسية لاحياء القاهرة والأماكن المشار اليهابأسهم لحرقها. والصور الموجودة في الرسم الآخر للقنابل الحارقة والمعاول وجدت جميعها في دار الحزب الاشتراكي، وكان يسمى من قبل «مصر الفتاة». وهذا الحزب يرئسه المحامي احمد حسين. وقد صب التقرير الاتهام بحريق القاهرة على الحزب الاشتراكي. أخذت أقلب الرسمين. فوجدت الافتعال واضحاً فيهما. إنهما مطبوعان بالزنكوغراف، ولما كنت أعرف خبيراً أجنبياً في الزنكوغراف، كنت أستعين به حين كنت مديراً للأمن العام استدعيته. ولما اطلع على الرسم قال أن رسم الزنكوغراف لا يمكن أن يكون قد تم بواسطة خبير في المباني أو في المفرقعات. وأنه يظن أنه يعرف المطبعة التي طبع فيها الرسمان. وهي مطبعة بسيطة جداً في زقاق من حي الفجالة بالقاهرة.

طلبت من النائب العام أن يتولى التحقيق فارسل أحد وكلاء النيابة الى المطبعة. وأجرى تحقيقاً انتهى الى أن أحد ضباط القسم السياسي في محافظة القاهرة هو الذي حمل الرسم الى المطبعة وطبع هذه الوثيقة الزائفة.

اصبح السؤال الكبير هو: لماذا يريد السياسي أن يلقي التهمة على الحزب الاشتراكي وحده؟ لقد أمرت حكومة الوفد نتيجة تقارير البوليس بالقبض على أحمد حسين وعدد كبير من أعضاء الحزب الاشتراكي. وكانت من قبل قد عطلت صحيفة الحزب الاشتراكي.

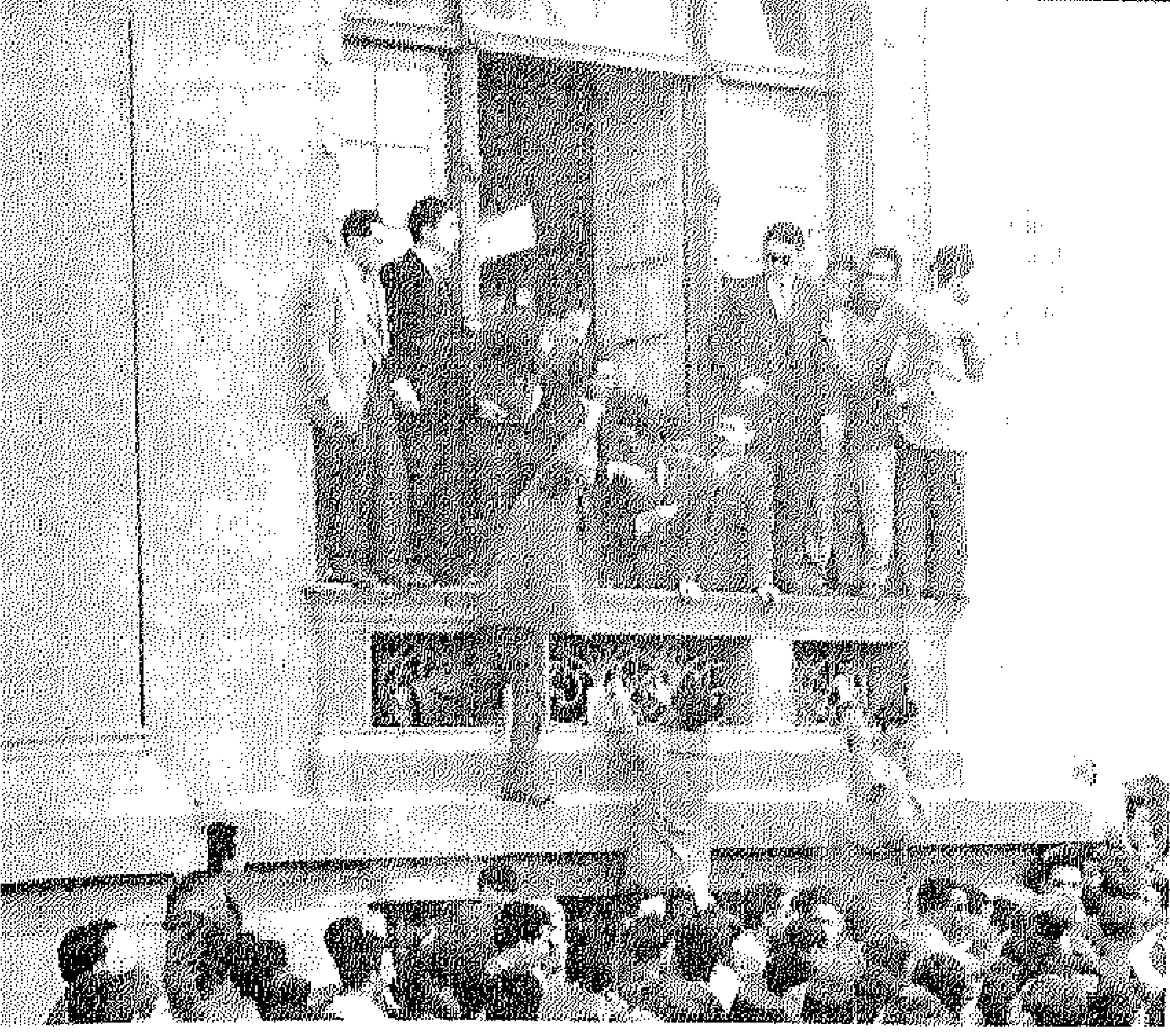
وفر أحمد حسين ولم يستطع البوليس القبض عليه.

أني أعلم من سابق خبرتي أن الحزب الاشتراكي لا يستطيع وحده ولا تسمح إمكاناته بالقيام بعمل

كبير، ويحتاج الى تنظيم دقيق وكبير لمثل حريق القاهرة. لقد جرّ أحمد حسين الى نفسه هذا الاتهام لأنه كان ينادي دائماً بأنه لا بد من التدمير حتى يتم الاصلاح. وقد وجدت عند مبنى دار الحزب الاشتراكي بواسطة النيابة أوراق استند اليها رجال المباحث في اتهام أحمد حسين. منها لافتات مكتوب عليها (يدير هذا المحل الانجليز الذين يقتلون إخوانكم بالاسماعيلية). ومنشور بأن سينما مترو يديرها يهودي اسمه جوستان زينك. وأن سينما ريفولي انجليزية (وقد جرت محاولة احراقها يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير). وخطاب بالانجليزية من سكرتير نادي الترف الانجليزي الى بكر أحمد عبد الجواد يطلب منه إقامة خيام وفرش سجاجيد بالنادي، ومرفق بعقد اتفاق بالانجليزية والعربية بين المستر توماس السكرتير وبكر عبد الجواد الذي هو عضو في الحزب الاشتراكي. وموضع الغرابة في هذا الاتفاق أنه يجري بين سكرتير نادي «الترف» الانجليزي وعضو في الحزب الاشتراكي. ويظل من محفوظات الحزب، في حين أن الحزب يندد بالذين يتعاقدون مع الانجليز. كما وجد خطاب موجه الى رئيس الحزب. بأن بنك باركليز يعمل كقلم مخابرات للسلطات الانجليزية. ولكن جماعات أخرى كالاخوان المسلمين ينادون بمثل هذا. وتذكرت أن الأخوان المسلمين كانوا قد قاموا قبل حريق القاهرة باشعال بضعة حرائق في ملاهي الهرم. والغريب انه لم يقبض على أحد منهم رغم أن الأخوان أعلنوا أنهم هم الذين قاموا بذلك. فهل كانت حرائق ملاهي الهرم بروفة لحريق القاهرة.

ومن الذي قام بحريق القاهرة؟

نشرت وزارة الداخلية بياناً مساء ٢٥ كانون الثاني (يناير) أعلنت فيه أن القوات البريطانية اعتدت في منطقة القنال على رجال البوليس في المنطقة، وقتلت خمسين منهم وجرحت ثمانين واسرت ما يقارب الألف من جنود وضباط. وكان لهذه الاذاعة أثر فعال في نفوس رجال البوليس وبلوكات النظام، وخصوصاً الشعب بطبقاته كافة. وكان الأثر ما يأتي: في الساعة الثانية من صباح ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢ وقع في مطار فاروق عصيان خطير من عمال المطار والجنود والمواطنين المدنيين حول أربع طائرات تابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية، إعلاناً لاحتجاجهم على



حادث الاسماعيلية. فمنعوا نزول الركاب وعددهم يفوق المائة ومنعوا تزويد الطائرات بالوقود. وتمكنت السلطات من أنهاء العصيان. وأقلعت الطائرات. وفي الساعة السادسة من الصباح تمرد جنود بلوكات نظام الاقاليم وخرجوا يحملون أسلحتهم وساروا من العباسية حيث توجد معسكراتهم الى الأزهر، حيث انضم اليهم الطلبة، فالى ميدان محمد علي حيث انضم اليهم بعض عساكر الجيش، فالى ميدان الاسماعيلية في الجيزة حيث جامعة فؤاد، واختلطوا بالطلبة وأخذوا يطلقون النار في الهواء. وقام عمال العنابر والسكك الحديدية بمظاهرة واندمجوا مع الطلبة وبلوكات النظام ثم توجهوا الى مجلس الوزراء. وخرج وزير الشؤون الاجتماعية عبد الفتاح حسن الى الشرفة ليخطب فيهم محاولاً تهدئتهم. صرخوا في وجهه وهتفوا بسقوطه. وقام أحد ضباط الجيش واسمه محمد علي عبد الخالق وكان محمولاً على أعناق المتظاهرين وصاح:

أيها الوزير. الجيش للحرب. لماذا لم ترسلونا الى القتال؟

زاد حماس المتظاهرين. وحاول عبد الفتاح حسن تهدئتهم فأخذ يهتف بسقوط الانجليز والاستعمار. اندفعت الجماهير في الشوارع وقد اندست فيها عناصر الشغب والتدمير تحمل القنابل الحارقة والمعاول، فحرقوا كازينو الاوبرا في الساعة الثانية عشرة وسينما ريفولي الساعة الواحدة والربع، وفي الواحدة والنصف تم حريق واتلاف سينما مترو ومحل اكسلسيور وفورد والترف كلوب وسينما ديانا ومطعم الكورسول، وفي الثالثة والدقيقة الثلاثين أتلف وأحرق ونهب بنك باركليز وشركات سيارات كايروموتورز وكرايزلر ثم سينما مترويول ومحلات شيكوريل وغروبي. وكانت بعض الحرائق مفاجئة

ورهيبة حتى أن نزلاء فندق شبرد كانوا يلقون بأنفسهم من الطوابق العليا والنار مشتعلة فيهم. والسؤال: أين كانت وزارة الداخلية؟

ادارة الأمن العام اتصلت بالوزير في منزله الساعة السابعة والنصف صباحاً، تخبره عن قيام تظاهرات ومعها جنود «بلوك» النظام. الوزير يطلب من مدير الأمن العام بأن يطلب من الجنود تفريق التظاهرات. لم يقل له مدير الأمن العام ان الجنود المطلوب منهم تفريق المتظاهرين هم متمردون ومتظاهرون. الساعات تمر حتى الثانية عشرة والنصف بعد الظهر، حيث بدأ المتظاهرون يشعلون الحرائق ويدمرون وينهبون. عندئذ أحس وزير الداخلية أن عليه أن يعمل شيئاً. فاتصل بقائد القوات المسلحة يطلب نزول الجيش. ووعد قائد القوات بعرض الأمر على الملك. ولكن وزير الداخلية حاول الاتصال في الساعة الواحدة بقائد القوات المسلحة ليبلغه أنه عدل عن طلب نزول الجيش لأنه اطمأن الى أن قوات البوليس تسيطر على الموقف. ولما لم يجد قائد الجيش الفريق حيدر اتصل برئيس الديوان حافظ عفيفي وأبلغه رأيه بالاستغناء عن الجيش. ولكن وزير الداخلية عاد في الساعة الواحدة والربع أي بعد ربع ساعة من عدوله يطلب نزول الجيش لأن المتظاهرين أشعلوا النار في سينما ريفولي وسينما مترو بينما رجال البوليس لا يقاومون.. فأين كان قائد الجيش الفريق حيدر؟

المادبة الملكية

في يوم ٢٥ وجه الملك فاروق دعوة عاجلة الى قائد الجيش وكبار ضباطه وجميع ضباط حامية القاهرة وكبار ضباط بوليسها لحضور مأدبة غداء في قصر عابدين حددت لها الساعة الواحدة والربع بعد ظهر يوم ٢٦! وكان غريباً أن وزير الحربية مصطفى نصرت أو وزير الداخلية فؤاد سراج الدين لم يدعيا الى هذه الوليمة التي أقيمت لضباط الجيش والبوليس. ويستوقف النظر كثيراً أن وليمة ملكية حدّدت بعد ٢٤ ساعة أو أقل من ارسال الدعوة، وأن الدعوة لم تكن مكتوبة في بطاقات ارسلت باليد أو بالبريد بل أبلغت تلفونياً الى قائد الجيش الذي أبلغها بدوره الى قواد الوحدات الذين أبلغوها الى الضباط، وأن الوليمة بدأت في الوقت الذي أخذت القاهرة فيه تحترق.

والسؤال الأول: هل كان الشكل الذي اتخذته الدعوة الى الوليمة طبيعياً؟ ولا شك ان الجواب على ذلك هو أنه غير طبيعي، وخصوصاً أن الداعي ملك وأن عدد المدعوين كبير جداً.

والسؤال الثاني: هل كانت مصادفة بحتة أن يدعى جميع ضباط حامية القاهرة الى وليمة تحترق القاهرة في اليوم المحدد لها؟ والجواب على ذلك أنه يمكن أن تكون مصادفة، لو أن الدعوة وجهت قبلها بعشرة أيام أو أسبوع على الأقل أو أن يوم ٢٦ هو مناسبة من المناسبات كعيد جلوس الملك أو عيد ميلاده أو عيد ميلاد ولي العهد. ولكن يوم ٢٦ لم يكن مناسبة من هذه المناسبات.

ثم سؤال آخر وهو: لماذا اقتصرت الدعوة على حامية القاهرة فقط ولم يدع اليها كبار ضباط حامية الاسكندرية أو القنال؟ وأخيراً:

أليس من الغريب أن تكون الدعوة إلى جميع الضباط حتى من صغار الرتب، وهو ما لم تجر عليه العادة في القصر الملكي؟

ولنترك التساؤل الآن ولنعد الى وزير الداخلية والى تصرفات الملك فاروق معه. وسيلقي ذلك مزيداً من الضوء على غرابة ما حدث في ذلك اليوم.

الملك في المأدبة والقاهرة تحترق

دخل الملك قاعة المأدبة في الساعة الواحدة والربع وقام الضباط وأدوا التحية العسكرية له، وكان مرتدياً ملابس المشير عابس الوجه. فرد التحية كأنه عسكري متمرس، وجلس الى جانبه الفريق حيدر والفريق عثمان المهدي رئيس الاركان. وفي الواحدة والثلث وصلت رسالة الى الفريق حيدر اطلع عليها ثم مال نحو الملك وأسر اليه بأنها رسالة من وزير الداخلية يطلب نزول الجيش. قال الملك له دعنا ننظر في أمرها بعد انتهاء المأدبة. وانتهت المأدبة في الساعة الثانية والنصف بعد أن وقف الملك ودعا الضباط الى الاقتراب منه وقال:

أيها الضباط أن حوادث خطيرة تحدث في البلد. وأنه لا بد من أتخاذ إجراءات حاسمة. وأنا أعتمد في ما سأتخذه على ولائكم وثقتي فيكم. لأن الحالة الخطيرة التي تجتازها البلاد لا يمكن أن تستمر.

وانصرف الضباط. ولم يقل لهم الملك أي شيء عن حريق القاهرة أو التوجه فوراً الى ثكناتهم. لأنهم قد يستدعون للنزول بجنودهم الى شوارع القاهرة.

أما وزير الداخلية فإنه لمّا لم يتصل به أحد من القصر، غادر مكتبه في الساعة الثانية والربع، فوصل الى القصر في الساعة الثانية والنصف ليستعجل الأمر. وقابل رئيس الديوان حافظ عفيفي وشرح له خطورة الحالة، وطلب اليه رفع الأمر الى صاحب الجلالة. فقام رئيس الديوان للتشرف بالمقابلة الملكية ومعه الفريق حيدر. وعادا اليه في الساعة الثالثة الا ربعاً وأبلغاه أن الملك أمر بنزول الجيش. فكيف نفذ الامر؟ وماذا صنع الجيش؟

اتصل الفريق حيدر بالفريق عثمان المهدي تلفونياً من قصر عابدين في الساعة الثالثة إلا ربعاً، وطلب منه أن ينزل الجيش بأكبر عدد من القوات. وسأله عن الوقت الذي يراه كافياً لنزول القوات.

الفريق مهدي: أن الأمر يقتضي اعداد اللوريات والجنود واستدعاء الضباط الذين توجهوا الى منازلهم إثر الوليمة الملكية. وهذا يستدعي ثلاثة ارباع الساعة. وعلى ذلك فالقوات ستنزل الى المدينة في الثالثة والنصف.

الفريق حيدر: أرجو أن تبدأ فوراً بالعمل.

ولكن في الساعة الرابعة اتصل محافظ القاهرة بوزير الداخلية في مكتب رئيس الديوان، وكان الفريق حيدر موجوداً وقال أن الجيش لم يصل بعد الى حديقة الأزبكية، حيث يتجمع هناك ليوزع على أحياء القاهرة، وطلب من الوزير الالحاح على قائد الجيش ليعجل بإرساله. وفي الرابعة والربع تكلم المحافظ والهلع يسيطر عليه عن انتشار الحرائق والتخريب. واستنجد بالوزير الذي ظل مرابطاً في القصر ثم أعاد المكالمة، وقد بلغ انزعاجه حده بعد ربع ساعة أخرى أي في الرابعة والنصف، فطلب الوزير من الفريق حيدر أن يستعجل الفريق المهدي. وفي الخامسة مساء وصل ١٥٠ جندياً الى حديقة الأزبكية ثم زيدوا الى ٢٥٠ في الساعة الخامسة والنصف. وبدأت القوات تغادر الحديقةفي طريقها الى شوارع المدينة. وفي السادسة والنصف اتصل المحافظ المسكين بوزير الداخلية ليقول له أن قوات الجيش التي نزلت الى المدينة تمر في الشوارع أمام المتظاهرين الذي يحطمون المحلات التجارية فيصفقون لها ويحيونها بالمعاول، وهي لا تطلق النار حتى في الهواء. فغضب الوزير وطلب من حيدر الاتصال بالمهدي. فردّ المهدي قائلاً ان قوات الجيش لا تستطيع اطلاق النار الا بأمر كتابي. وصرخ الوزير فزعاً وارتمى خائراً على مقعد ظل فيه حتى السابعة الا عشر دقائق مساء، ولم يصل اليه نبأ من الفريق المهدي ليطمئن قلبه. فغادر القصر الى رئاسة مجلس الوزراء حيث كان المجلس منعقداً لمناقشة الحال حتى الساعة التاسعة مساء، والقاهرة لا تزال تحترق الى أن دق جرس التلفون، وكان المحافظ. فهرع الوزير الى الهاتف عله يسمع خبراً. ولكن يده تراخت مع السماعة حين قال له المحافظ أن عدد القوات المسلحة لا يزيد عن ٥٠٠، وانها ممتنعة عن اطلاق النار على المخربين. واستمرت الحرائق حتى الساعة الحادية عشرة مساء حين بدأ تدخل الجيش الفعلي باطلاق النار.

المحل الوحيد الذي أسرع الجيش اليه هو كازينو الاوبرج.

وقد ذكرت من قبل الحرائق الكبيرة التي حدثت قبل نزول الجيش. أما بعد نزوله فقد حدثت أيضاً حرائق كبيرة منها:

١ - الاعتداء على محلات أوروزدي باك (عمر أفندي) وهي على بعد خمس دقائق من حديقة الأزبكية، مركز تجمع قوات الجيش.

٢ - حريق عمارة الشواربي، وهي على بعد ثلاث دقائق من حديقة الأزبكية.

٣ - حريق محلات شملا، وهي على بعد دقيقتين.

٤ - حريق محلات بنزيون على بعد ثلاث دقائق.

٥ - حريق محلات شارع محمد علي على بعد ثلاث دقائق.

٦ - حريق نادي شل الرياضي على بعد ربع ساعة.

٧ - حريق كازينو الاوبرج في شارع الهرم بين الساعة السادسة والنصف والثامنة والنصف مساء. ومن الغريب أن الكازينو على بعد نصف ساعة على الأقل من حديقة الأزبكية، وأن قوات الجيش تحركت اليه بمجرد التبليغ، ووصلت في الساعة السابعة والربع مع المطافئ. وكازينو الاوبرج هذا هو الذي يمضي فيه الملك فاروق سهرته آخر الليل وصاحبه يدعى ادمون صوصة وهو من حاشية الملك المقربة!!

من الذي حرق القاهرة؟ وما دوافعه؟

يرى القارئ من الصور الفوتوغرافية أن ضابطاً من

الجيش هو محمد علي عبد الخالق يسير علناً في التظاهرات محمولاً على الأعناق وهو يوبخ وزير الدولة عبد الفتاح حسن في مجلس الوزراء، وأن جنوداً من سواري الجيش أيضاً في التظاهرات وقد حملوا على الأعناق. وثمة تقارير للبوليس تقول أن الشيخ محمد فرغلي من زعماء جماعة الأخوان المسلمين كان يحرض الجماهير على حرق دور اللهو والفنادق.

وتقارير البوليس تقول أن بعض الشيوعيين اشتركوا أيضاً في التظاهرات واشعال النار وقد ذكر إسما فتاتين شيوعيتين هما عايدة السحيمي واجلال السحيمي واسم الطالب عبد المنعم تمام. أما الحزب الاشتراكي فنال نصيب الأسد من تقارير البوليس.

ولا أريد أن أترك هذا الموضوع قبل أن أبدي دهشتي من اشتراك ضابط الجيش محمد علي عبد الخالق وجنود السواري بهذه الصورة العلنية. فليس من المعقول أن يجرؤ ذلك الضابط وهؤلاء الجنود على السير في تظاهرة. لأن قوانين الجيش تحظر ذلك. والتظاهرة كانت تظاهرة تمرد من قوات مسلحة هي قوات بلوكات النظام. والعقوبة صارمة جداً. فما هي الدوافع التي جعلت الضباط والجنود لا يخشون مغبة ما أقدموا عليه؟ في اعتقادي أنهم ارسلوا حتى يظهر للبوليس والشعب أن الجيش معهم، فلا يخشون تدخل الجيش ونزوله الى المدينة بقوته الحربية الرهيبة. ويبقى السؤال: ومن أرسلهم؟ ونجيب عن ذلك السؤال وليمة القصر ظهر يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) الذي احترقت فيه القاهرة. وأذكر حادثتين لها دلالتها: الأولى، أني سمعت أن السلطانة ملك (زوجة السلطان حسين وكان فاروق يعتبرها بمثابة أم ويستشيرها في الكثير من الأمور) اتصلت بالملك على أثر حادث الاسماعيلية وسألته عن تفاصيله. ولما أخبرها قالت أن الحادث خطير والبلد سائر الى منزلق خطر. فقال الملك أوافقك ياسيدتي. ولكن لا بد من إيصالها الى أخطر منزلق حتى يمكن أصلاحها بعد ذلك.

والثاني، أن حافظ عفيفي أتصل بي ذات يوم، وقال إنه يود مقابلتي. فقابلته. وما أن سلمت وجلست حتى قال ضاحكاً وغليونه في فمه:

إنت تاعب نفسك كثير في موضوع حريق القاهرة.

قلت: وهل هذا عجيب؟ وأي شيء أخطر منه؟

قال: هذا شيء أنتهى وفات. والبلد لها مسائل كثيرة أخرى تستحق النظر أكثر من حريق القاهرة. أن كثيرين من موظفي وزارة الداخلية لا يزالون خائفين من أن تحملهم المسؤولية. لقد عاقبت بعضهم ممن ثبتت عليه مسؤولية التقصير ويكفي ذلك. أرجو أن تقفل ملف حريق القاهرة. هذا رجاء يا استاذ مرتضى وأنت حر في ما تقرره.

قلت: يا حافظ باشا. هل هذا رأي شخصي أم هو رأي الملك؟

فابتسم وقال: لا تنسى أني رئيس ديوانه.

وخرجت وأنا أفهم أسباب النصيحة. وكنت قد عاقبت بعض رجال الأمن الذين ثبت عليهم تهمة الاهمال من تحقيقات النيابة.

وترددت كثيراً قبل توقيع العقوبة. لأنهم كانوا تحت ظروف قاسية يحاولون القيام بشيء لوقف الدمار. ولكن موجته كانت أعلى من قاماتهم. ولكنني وقعتها ضماناً للمستقبل حتى لا يقصر من تقع عليهم المسؤولية، اتكالاً على أنهم سيكونون بمنجاة من العقاب.

لقد قبضنا على ضابط الجيش محمد علي عبد الخالق وجنود السواري الذين عرفت شخصيتهم من الصور الفوتوغرافية. ولكن قيادة الجيش والفريق حيدر تدخلا لدى النيابة وطلبا تسليمهم الى سلطات الجيش لتتولى محاكمتهم عسكرياً. وسلموا الى الجيش. وعلمت وتأكدت أن أحداً منهم لم يعاقب. وخرجت بنتيجة واحدة وهي أن القصر كان يتربص بحكومة الوفد للخلاص منها، وحانت له الفرصة يوم ٢٥ كانون الثاني (يناير) حينما اصطدمت القوات البريطانية بقوات بلوكات النظام، فدعيت حامية القاهرة بجميع ضباطها الى وليمة القصر يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) وانبث دعاة القصر يحرضون جنود البوليس على الثورة ويرسلون جنوداً وضباطاً من الجيش للاشتراك في التظاهر. وبذلك أصبحت القاهرة صباح ٢٦ خالية من أية قوة نظامية تحفظ الأمن. ولما انتهت مأساة الحريق خرج الجيش، وبدأ خروجه في الساعة الخامسة من مساء اليوم المذكور ولم يطلق النار حتى الساعة الحادية عشرة بعد أن تم الخراب والدمار ●

(من كتاب «غرائب من عهد فاروق وبداية الثورة المصرية» دار النهار للنشر، بيروت)



أشهر جاسوس في الحرب العالمية الثانية

الان ديكو

ترجمة "تاريخ العرب والعالم"

● ذات يوم من شهر آب ١٩٥٥، وبينما كان هواء اسطنبول الساخن يثير غباراً ذهبي اللون، كانت نوافذ الحجرة الأربع المقفلة لا تسمح بمرور سوى أصوات غامضة. فالسكون الثقيل لم يكن يعكره إلا انزلاق عجلات السيارات التي تأخذ منعطف شارع اكساراي بسرعة ٧٠ كلم في الساعة.

في هذا السكون السائد، لم ألبث أن طرحت سؤالاً على الرجل الجالس أمامي، المتكئ بصلابة إلى مقعده. وكان على جوابه يتوقف نجاحي أو فشلي.

وفجأة، ودون ظهور أي مقدمات على قسمات وجهه الجامد، يبتسم ويقول:

– نعم أنا شيشرون

أخيراً تكلم بصوت خافت ثم تابع الابتسام. هذه اللحظة أنستني كل شيء: اجتياز أوروبا، البحث المضني في مدينة مجهولة، والفشل الذي كنت أترقبه. نسيت كل شيء لأن رجلاً في الخمسينات اعترف لي وهو يبتسم:

– نعم، اني شيشرون.

مجهول أنقرة

شيشرون، انه اسم أطلق عليه قبل اثني عشرة سنة، وبالتحديد في ٣١ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٤٣. وقد عمّده شخصياً سفير الرايخ الثالث في أنقرة فرانتس فون بابن.

والقصة بدأت في ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣ في أنقرة.

في ذلك المساء، رقد الملحق الألماني موتسيش في سريره باكراً. ولم يكن يسكن في السفارة. كان يتقاسم مع زوجته شقة حديثة تطل على أنقرة، العاصمة الخارجة من الأرض حسب مرسوم اتاتورك.

كانت الأيام تبدو ثقيلة بالنسبة لموتسيش. لكن الأمر لم يكن كذلك عندما كانت أعماله كملحق تجاري تأخذ الكثير من تفكيره.

إلا انه بالاضافة إلى عمله كملحق تجاري، كانت للهر موتسيش وظيفة أخرى شبه رسمية كعميل للغستابو ومسؤول عن مصالح الأمن.

كان الهاتف يوقظه من نومه على غفلة. وبمزاج سيء كان يرفع السماعة. إنها مدام ينكه زوجة السكرتير الأول في السفارة تكلمه بلهجة قلقة ومقنعة في آن معاً.

– الرجاء، هل تسمح بالحضور حالاً لعندنا؟ ان زوجي يرغب في رؤيتك.

بعد ذلك ببضع دقائق، كان موتسيش يصل إلى السفارة التي تتألف من عدة أبنية ذات طابع جرماني.

كانت عائلة ينكه تحتل هناك منزلاً صغيراً. فتحت زوجة السكرتير الأول الباب بنفسها. وقالت ان زوجها لم يستطع استقبال «شخصية غريبة» كانت تنتظر في قاعة الاستقبال، فالمهمة تتطلب إذن ان يستقبله موتسيش.

– «انه يملك شيئاً يرغب ببيعه لنا»، أضافت مدام ينكه.

دخل موتسيش قاعة الاستقبال، وكان رجل ينتظر في مقعده دون حراك.

– من أنت؟

سأله بالفرنسية، وبصوت قلق.

– موتسيش.

أجابه باللغة نفسها. وبحركة منه أشار إلى مقعد قريب. إلا أن هذا الأخير توجه فجأة نحو الباب وفتحه بسرعة وعندما اطمأن عاد فجلس على مقعد تجاه موتسيش ثم ألقى عليه نظرة ثاقبة وتكلم:

– أتعطيني وعد شرف؟

– بالطبع أعطيك وعد شرف. تفضل بقول ما تريد قوله.

في هذا الوقت، ألقى موتسيش نظرة على ساعته، فبدأ الرجل منزعجاً إلا أنه قال:

– سوف تكرس لي وقتك كله عندما تعلم لماذا أنا موجود هنا.

ثم أضاف:

– ان في استطاعتي إعطاءك أوراقاً سرية للغاية، إنها أكثر الأوراق سرية.

عشرون ألف جنيه استرليني

وبحركة تمثيلية ترمي إلى مضاعفة الأثر، صمت قليلاً، ثم تابع هامساً: انها تأتي رأساً من السفارة البريطانية؟ ألا يهمك هذا الأمر؟

لقد كانت لهجة الرجل الغريب مزعجة إلى الحد

الذي تأكد فيه الانطباع الأول غير المريح لدى موتسيش وقد أحس الرجل بذلك فخاف أن يخسر الصفقة، وتابع قائلاً:

– لكنني أستطيع الحصول من جراء ذلك على المال، مال كثير... انني أريد عشرين ألف جنيه... جنيهات استرلينية انكليزية.

– هذا جنون.

– انني لست مجنوناً. لقد أمضيت سنوات للتحضير لهذا اليوم. لقد درست كل التفاصيل والآن حانت الفرصة للعمل. إذا كنت موافقاً؟ فهذا شيء جيد. والا....

وبأبهامه الأيسر، أشار إلى اتجاه يعرفه موتسيش جيداً. وكان هذا الاتجاه هو طريق السفارة السوفياتية.

– والا سأذهب في هذه الناحية، وأرى إذا كانوا يودون الحصول على وثائقي.

ولقد خيم بعد ذلك سكون عميق. حاول أثناءه موتسيش بصعوبة جمع ومقارنة انطباعاته...

من يكون هذا الشخص الغامض؟ وقبل أن يقطع موتسيش بالأمر، تكلم الرجل: في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) الساعة الثالثة بعد الظهر سوف يتصل هاتفياً وسيسمي نفسه بيار. وسيسأل اذا كان موتسيش قد تلقى جواباً بشأن بيار. فإذا كان الرد بالايجاب فسيلتقيان في اليوم ذاته الساعة العاشرة مساء، في مكان محدد، ليأخذ الرجل عشرين ألف جنيه نقداً، وفي المقابل يعطي موتسيش فيلمين. وكل فيلم يعطى فيما بعد يكون سعره خمسة عشر ألف جنيه.

– إذا كان الجواب بالنفي، فلن تراني أبداً.

لقد قبل موتسيش وماذا باستطاعته ان يفعل غير ذلك؟ لقد قبل، على الرغم من ان القضية كما اتفق عليها تبدو عجيبة. وقد اتفق على اللقاء قرب مستودع للأدوات قائم في طرف حديقة السفارة. وهناك قاد موتسيش الرجل. وعلى العتبة، امسك الرجل فجأة بذراع الألماني وتمتم:

– أتريد أن تعرف من أنا؟ أنا خادم في السفارة الانكليزية.

لفافتان من الصور

سنة ١٩٤٣ كانت سنة حاسمة في تاريخ الحرب العالمية. فالانزال تمّ بنجاح في ايطاليا، واستطاع الروس دحر الجيش الألماني الذي كان، لعدة أشهر خلت متقدماً حتى القوقاز. وبالنسبة لمراقب حيادي، كانت الأمور تبدو وكأنها قد انتهت.

لقد تعلق هتلر وأعوانه بأملين: أولها الأسلحة الجديدة، وثانيهما الخلاف بين الحلفاء. وقد امتلأت رأس فون ريبنتروب بتوقعات خيالية نتيجة معلومات خاطئة. وضمن هذه الحالة الذهنية، تلقى الوزير الذي كان قد قال ذات يوم: «سيعظمني التاريخ أكثر من بسمارك، تلقى في ٢٧ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٤٣ الرسالة الآتية:

إلى وزير خارجية الرايخ. شخصي، وسري للغاية.

«لدينا عرض من موظف في السفارة البريطانية يزعم انه خادم السفير البريطاني، بامدادنا بصور ووثائق أصلية سرية جداً. والتسليم الأول يتم في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) مقابل عشرين ألف جنيه استرليني نقداً. وخمسة عشر ألف جنيه مقابل كل فيلم اضافي. تفضلوا باعلامنا إذا كان العرض مقبولاً. فاذا كان الجواب نعم، فانه يجب إرسال المبلغ المطلوب بواسطة البريد الخاص ليصل قبل ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) ليس لدينا هنا أية معلومات أخرى. بابن». لم يصل إلى أنقرة أي رد، لا في ٢٧ ولا في ٢٨. ويوم ٢٩ كان عيداً وطنياً تركياً. فرانتس فون بابن والملحقون الآخرون في سفارته وجب عليهم الذهاب باللباس الرسمي لزيارة رئيس الجمهورية. وعندما عاد بابن إلى السفارة الألمانية، سلمت إليه رسالة تمت ترجمتها حال وصوله:

– اقبلوا عرض الخادم البريطاني مع أخذ كل الاحتياطات الضرورية. بريد خاص سيصل أنقرة في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) قبل الظهر. نحن ننتظر تقريراً فور تسلم الوثائق. ريبنتروب.

في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر)، الساعة الثالثة بعد الظهر، دق جرس التلفون. وشعر موتسيش بأن قلبه توقف عن الضرب، فقد اعترف هو نفسه بذلك. كان «بيار» على الهاتف وطرح سؤلاً واحداً:

– هل تلقيت رسائلي؟

أجاب موتسيش بالايجاب. وقرر الرجلان اللقاء في المساء نفسه وفي المكان المحدد.



احتفظت تركيا بحيادها. فالاعلام الالمانية والانكليزية ترفرف في حي بيرا الدبلوماسي في استانبول حيث الحرب السرية قائمة على اشدها.



ام ١٩٤٢، الرايخ الثالث يمثله فرانتس فون بابن بحضور العديد من الملحقين العسكريين والاميرال فون مارفيتس.

كانت الساعة العاشرة إلا دقيقتين عندما وصل موتسيش قرب مستودع الأدوات الواقع في طرف حديقة السفارة، وكان الظلام دامساً.

بعدها بدقيقة، ظهر رجل وقال:

-- هذا أنا، بيار. هل كل شيء على ما يرام؟

ثم أضاف: هل معك المال؟

كان موتسيش يحمل بالطبع العشرين ألفاً. وبعد لحظات، تسلم موتسيش في مكتبه اللفافتين المعلن عنهما مقابل رزمة كبيرة من الأوراق النقدية، فبرلين كانت قد أرسلت المبلغ بأوراق نقدية صغيرة القيمة.

كانت الساعة الرابعة صباحاً عندما أنهى



سير كناتشبل – هيوغسن، سفير بريطانيا الذي جرى تصوير، وثائقه لتشحن إلى المانيا.

موتسيش تظهير وتكبير اللفافتين. فهو لم يشعر إطلاقاً بالتعب، لكنه كان يشعر بنشوة الدهشة والحماسة. كانت تحت عينيه على الطاولة، اثنتان وخمسون صورة مكبرة. وهناك أمامه الأسرار المحفوظة بعناية من جانب العدو، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو عسكري وذو قيمة لا تقدر.

ليس هناك من شك حول حقيقة الوثائق. فقد كتب قائلاً «لدينا بين أيدينا نوع من الأوراق يحلم به طوال حياته أي عميل استخبارات، ولا يتصور يوماً أنه يستطيع الحصول عليه».

أسرار محفوظة جيداً

كيف يمكن تفسير وجود الأسرار المحفوظة جيداً منذ الحرب الأخيرة في خزانة السفير البريطاني في أنقرة؟ التفسير بسيط: فـــــالسفير هيو كناتشبل – هيوغسن، كان يشغل منصباً من الدرجة الأولى في مدينة كانت هي نفسها مركز المؤامرات الدولية. وهذا يفسر انه في الصباح، عندما قدم موتسيش حصيلة حصاد الليل إلى رئيسه السفير فون بابن، صاح هذا الأخير:

رائع لا يصدق!

.. وعندها تلقى الرجل الغامض اسماً، جعله في ما بعد شهيراً. فقد فكر فون بابن قائلاً: ان الولد سيعمد، من أجل مراسلتنا. يجب أن نعطيه اسم

شيفرة. هل فكرت بذلك؟

– ليس بعد سيدي.

أجاب موتسيش.

– ما قولك «ببيار»؟ فهكذا يسمي نفسه. انني أكيد من ان هذا ليس اسمه الحقيقي.

– هذا لا يناسب يا بني. انه نقص في الخيال. يجب اعطاؤه إسماً لن يعرفه أحد. حتى ولا هو. قل لي، بما أن هذه الوثائق شديدة الوضوح والفصاحة. فلنسمه شيشرون!

وهكذا أخذ شيشرون يمد موتسيش بوثائق متلاحقة، كانت كلها مهمة مثل الوثائق الأولى.

في تلك الأثناء بدأت المشاكل تأتي من برلين. كل يوم، كان يتلقى موتسيش قائمة من الأسئلة تتعلق بشيشرون، وتتطلب أجوبة مفصلة ودقيقة: إن ما يجب معرفته. هو هوية شيشرون الحقيقية.

وبدأت الرسائل والأسئلة تأتي من رئيس الاستخبارات الالمانية السرية. كما ان هيئات أخرى تدخلت في هذه القضية. وقد وصل موتسيش إلى نقطة وجد نفسه فيها مضطراً إلى مجابهة الطلبات الآتية من ستة أجهزة. وكان يختصر إجاباته دائماً بأنه لا يعرف شيئاً عنه.

... بعد بضعة أيام، كان الرجلان يسيران في شوارع أنقرة الغافية في الظلام. كان موتسيش يقود السيارة. وكان شيشرون جالساً على المقعد الخلفي عندما قال بهدوء:

– اسمي لا يعنيك أبداً ولا يعني برلين. فلن أقوله لكم أبداً. إلا أن هناك شيئاً يمكنك قوله لبرلين: فأنا لست تركياً ولا البانياً.

بعد سكوت أجاب موتسيش:

– قلت لي ذات يوم انك تكره الانكليز. هل باستطاعتك أن تقول لي لماذا؟

لم يجب شيشرون على الفور، ثم قال بصوت أجش:

– لقد قتل أبي على يد انكليزي.

شك في برلين

في اليوم التالي، علم موتسيش بأنه مدعو على وجه السرعة إلى برلين. وقد أتت طائرة خاصة لتأخذه إلى صوفيا. بعد عدة ساعات وجد نفسه أمام الجنرال في الصاعقة كالتنبرونر. وما ان جلس حتى علم لماذا أرسلت إليه طائرة خاصة: فكالتنبرونر يود رؤيته قبل ريبنتروب. وبالفعل فان وزير الخارجية ورئيس شعبة الاستخبارات يكره أحدهما الآخر. إن قضية مثل قضية شيشرون تولد منافسة حادة بين الرجلين. إنها قضية شخصية: فريبنتروب الذي يطلب أن تكون «عملية شيشرون» خاضعة لشعبة استخباراته. لا يثق بحقيقة الوثائق.

لقد قال كالتنبرونر لموتسيش بأن ريبنتروب مقتنع تماماً بأن الانكليز أنفسهم قد أرسلوا له هذا الخادم وان كل هذا ليس سوى فخ. وفي الانتظار، فان معلومات ذات أهمية لا تصدق تتكدس في مكتبه ولا تستخدم لشيء اطلاقاً. ونحن ليس في استطاعتنا تحمل هذا الترف. ولدي النية أن أتكلم شخصياً إلى الفوور حول هذا الموضوع. وان أتدبر أمري لكي تكون هذه العملية تابعة لشعبة استخباراتي. بناء على ذلك، فانك في المستقبل، سوف تتلقى تعليماتك مني وليس من أي شخص آخر.

استقبل ريبنتروب موتسيش بعد ذلك بقليل.

استقبله واقفاً «الاذرع متشابكة على طريقة نابوليون».

– انك قابلت شيشرون. ما أود معرفته هو ما إذا كانت الوثائق حقيقية.

– كما ذكرت في تقاريري، سيدي، أجاب موتسيش، فان رأيي الشخصي هو أن...

قاطعه ريبتروب بجفاء فهو لا تهمه اطلاقاً الآراء الشخصية:

– هل باستطاعتك أن تأتي لي ببراهين؟ أم يجب أن أرسل شخصاً آخر إلى أنقرة؟

كان موتسيش ينظر إليه وهو يأخذ صور ووثائق شيشرون، ثم يبعدها بحركة عصبية، دافعاً إياها إلى طرف مكتبه، وتمتم قائلاً:

– هذا أجمل من أن يكون حقيقياً.

ثم أردف بسرعة:

– ستبقى في برلين حتى إشعار آخر. ●

(يتبع)



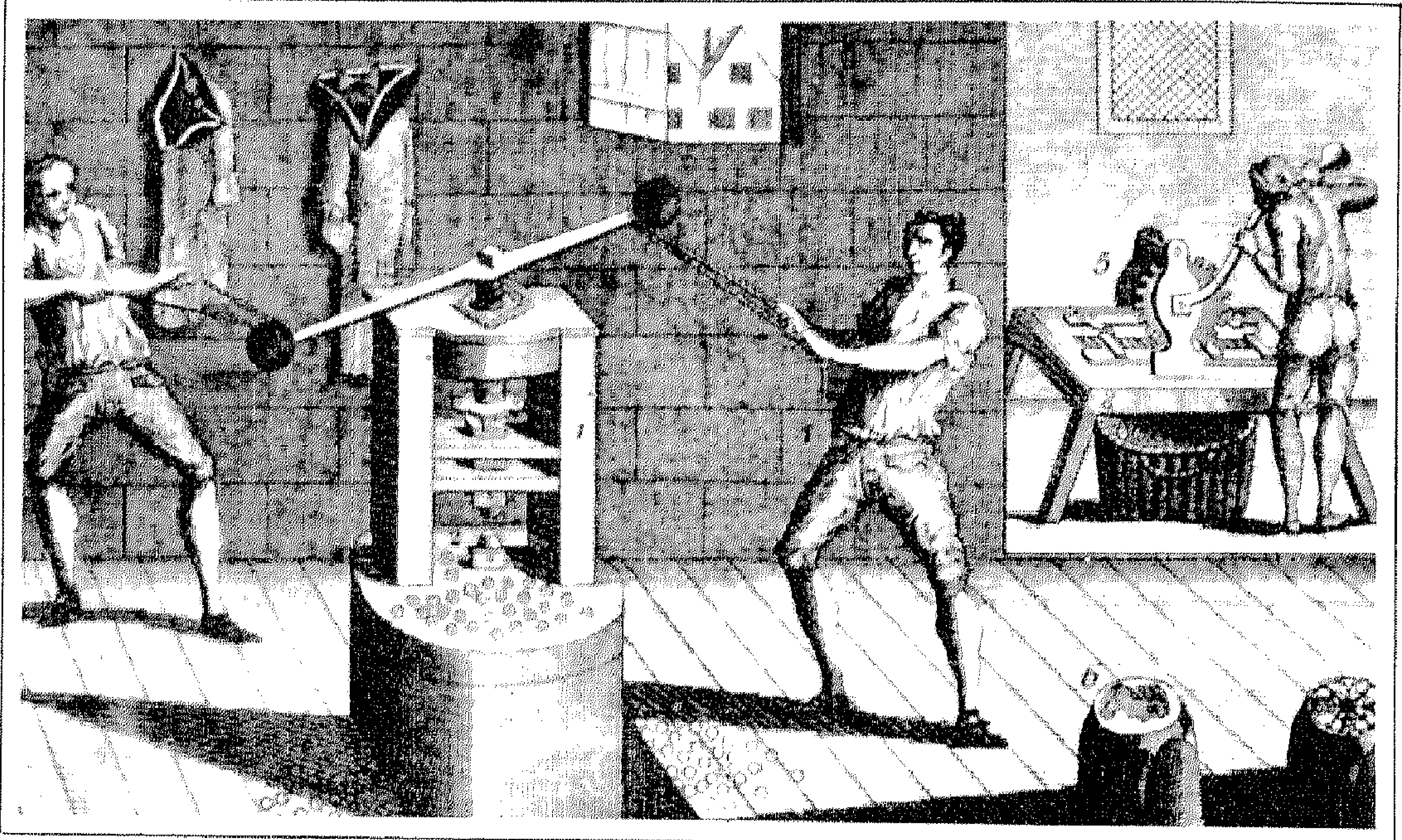

كيف نشأت النقود

ت . هانسون

اعداد : "تاريخ العرب والعالم"




النقود المعدنية صناعة يزيد عمرها على خمسة وعشرين قرناً. وهي تتخذ هواية لدى البعض، ولدى البعض الآخر تاريخاً. ولقد كان عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، أول من سك النقود الاسلامية بعد الفتح. هذا الموضوع المهم: سك النقود، سيكون موضوع مقالتين تنشرهما «تاريخ العرب والعالم» تباعاً وفي الحلقة الأولى، في هذا العدد، تاريخ عام عن كيفية صناعة النقود وتطور أساليب سكها عبر العصور، على أن تتناول الحلقة المقبلة، تاريخ النقود العربية والاسلامية.



دار للسكة فرنسية من القرن السادس عشر.

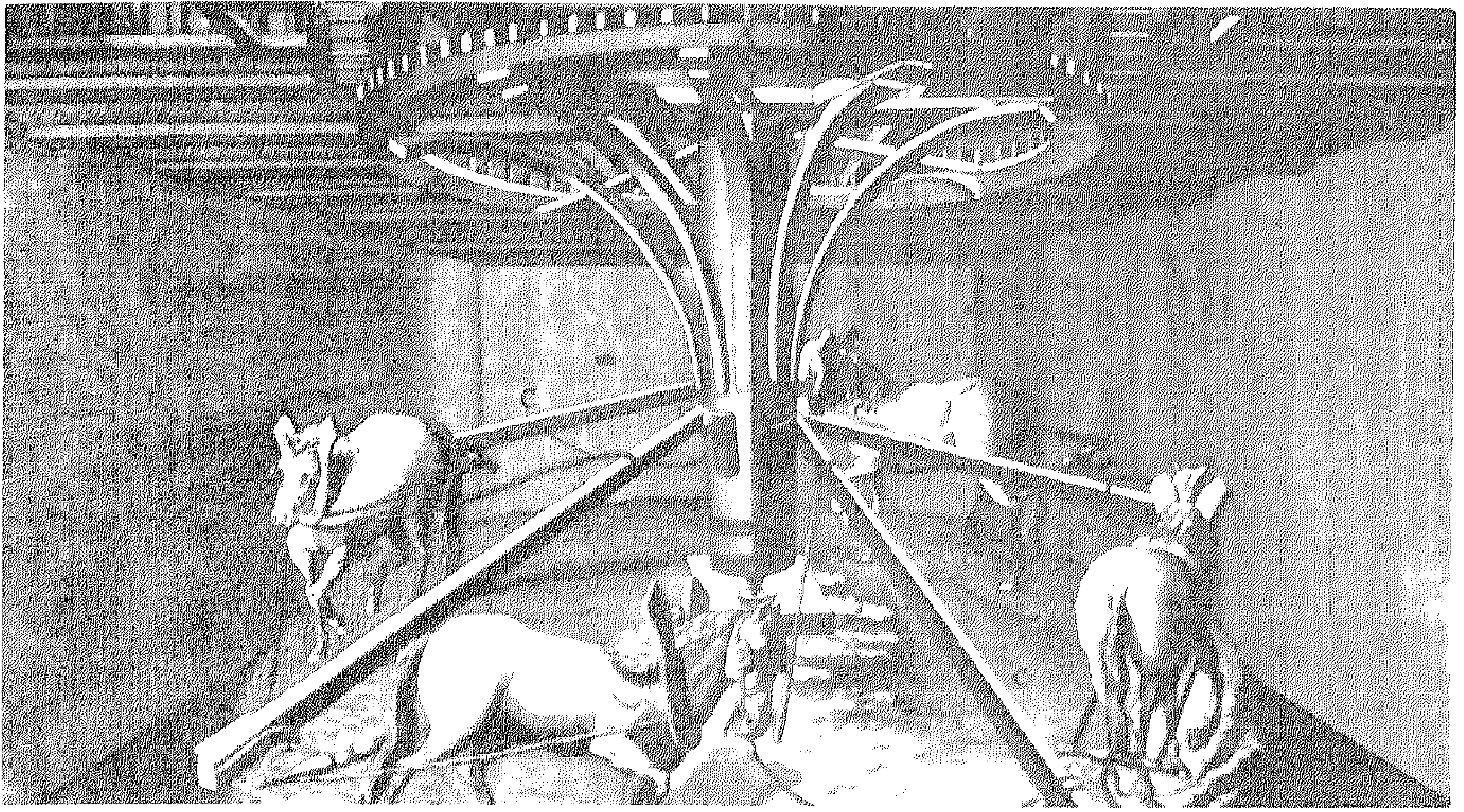
لاكتشاف مزيد من المتعة التي يمكن للنقود المعدنية أن توفرها للهواة، لا بد من معرفة كيفية صنعها. وعندما يفهم الهاوي كيف تسك النقود يصبح في مقدوره أن يقدر أكثر من ذي قبل جمال النقود الاغريقية الموغلة في القدم، أو سبب وجود معايب في بعض النقود الحديثة التي تقع بين يديه.

أساساً، النقود أو المداليات يمكن أن تصنع بواحدة من طريقتين. السبك في قالب، أو الضرب بين مطرقتين معدنيتين عليهما النقش المطلوب.

الطريقة الأولى هي، على الأرجح، الأبسط والأقل كلفة. ولكنه من المستحيل الحصول على نقش واضح فعلاً بواسطة السبك، خصوصاً إذا كانت النقوش دقيقة التفاصيل. لذلك يظل من الضروري، بعد السبك أن تعود يد الصانع إلى كل قطعة من أجل تنظيف النقش، ليصبح واضحاً.

ومن المؤكد ان هذه الطريقة تستغرق وقتاً أطول بكثير، عند انتاج أعداد كبيرة من النقود. ولذلك فان كل النقود والمداليات في أيامنا الحاضرة تصنع باسلوب الضرب.

ان تاريخ اختراع ضرب النقود كان دائماً موضع نقاش. ومعظم المؤرخين يميلون الآن إلى ان هذا التاريخ يتراوح بين ٦٤٠ و٦٣٠ قبل المسيح. وأقدم قطعة نقود



استخدام الحصان أقلق عمال السكة.

عثر عليها لها شكل حبة الفاصوليا. وقد طبع على أحد وجهيها رأس أسد وعلى الوجه الآخر علامات مربعة أربع.

ويمكن الافتراض ان ضارب هذا النقد احتاج إلى قالب واحد رسم عليه رأس الأسد. ويفترض ان كتلة المعدن وضعت على القالب وضربت بقدوم ترك عليها المربعات الأربعة. وكان طبيعياً أن يفيض المعدن عن القالب ويتخذ شكلاً غير مستدير. ولا شك في ان أصعب مراحل صناعة هذه النقود، هي صناعة القالب الذي نقشت عليه الصورة. وهذا القالب مصنوع من الحديد. وقد نقش الفنان الصورة عليه مقلوبة بالتأكيد.

مقتضيات المهنة

ويعتقد ان الفنان يدعى إلى صنع أكثر من قالب، ليس فقط لأن النقش الأول يبلى، بل لأن القالب نفسه تتسطح حافته تحت قوة الضربات المتلاحقة. وكثرة النقوش المطلوبة كانت تؤدي إلى تغيير تدريجي فيها، ومهما كان النقاش حريصاً. وقد أمكن للصناعة الحديثة أن تذلل هذه العقبات، كما سترى بعد قليل.

غير ان ضرب النقود بواسطة اليد استمر قروناً طويلة. ولم يطل الوقت حتى أصبح الصناع ينقشون نقشين للنقود، واحداً لكل من الوجهين. وهذا زاد صعوبات المهنة. وزاد الاقبال على القوالب المعدة للضرب، على حساب القوالب المعدة للسبك.

وفي القرون الوسطى كانت العادة قد جرت على أن يكون القالب التحتاني مختصاً بالنقش الأصعب والأعقد، فيما يحمل القالب الفوقاني النقش الأبسط.

وفي الحقبة النورماندية في انجلترا، ظهرت طريقة متطورة لصناعة القوالب. وبدلاً من أن يكون النقش كله مرسوماً على القالب، كان يجري دقه دقاً بواسطة مطارق مختلفة الاشكال. أما تلك الأجزاء من الوجه، التي لا يمكن دقها، فكانت تحفر بمظفار.

ولقد استعملت أشكال مختلفة من القوالب. والأشكال التقليدية كانت عبارة عن اسطوانات حديدية طرفها يستوعب النقش المطلوب ضربه. أما الطرف الآخر فكان عبارة عن لولب، لتثبيت الاسطوانة في كتلة خشبية. في تلك الأيام كانت الكتل المعدنية المنوي ضربها مسطحة، حتى لا تتدحرج عن مكانها. أما قبل ذلك فكان القالب التحتاني يقعر قليلاً، لمنع الكرة المعدنية من التدحرج، ولم يكن مستحيلاً أن تتحرك الكتلة المعدنية، فلا تأتي في مكانها بدقة، فيحصل الضارب على نقد لا يحتوي على النقش كاملاً. ولضمان عدم حصول ذلك، جهزت القوالب بملاقط.

أما وسائل انتاج القطع المعدنية المعدة للضرب فقد

تعددت كثيراً من عصر لآخر. وفي العصور النورماندية، كان المعدن الخام يذوب على الأرجح في أوعية فوق نار الفحم الحجري، فتبعد الأقذار وتؤخذ الفضة في رقائق. فاذا برد المعدن، ضرب إلى السماكة المطلوبة وقطع في اسطوانات بواسطة مقص. وفي بعض الأحيان كانت يد المقص تثبت لتمكين العامل من زيادة الضغط وقد وجدت هذه الطريقة ضرورية منذ ان تحسنت وسائل الصناعة في القرن الثالث عشر. وفي انجلترا، بدلاً من أن يذوب المعدن في رقائق، كان يصب في قوالب رملية بحجم النقد المطلوب تقريباً. وكان المعدن فيما بعد يقطع شرائح ويطرق ليتحول إلى شكل دائري قدر الامكان. بعد ذلك كانت النقود توزن. فاذا وجد بعضها أقل وزناً من المعدل، أعيد للصهر. أما ما فاض عن الوزن فكان يطرق من جديد ويقص الفائض منه. فاذا انتهت هذه العملية، أرسلت القطع إلى الناقش لينقش الرسمة المطلوبة.

توزيع الأدوار

وفي احدى الصور المرفقة بهذا الموضوع، تشاهد ورشة فرنسية نموذجية في القرن السادس عشر. المسؤول في الورشة يتسلم مجموعة من النقود أو المداليات القديمة من احد التجار، الذي سيتسلم بدلاً منها نقوداً جديدة



دار للسكة من القرن الثامن عشر.

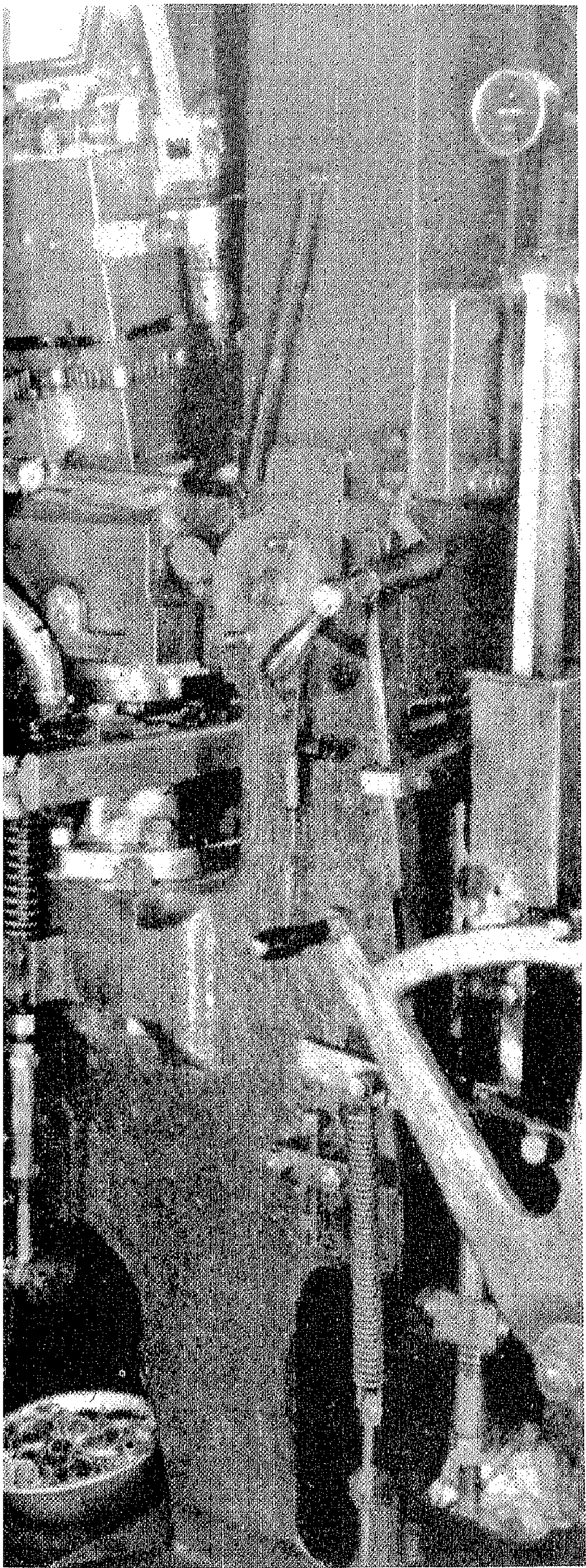
بعد حسم نسبة من القيمة كأرباح لورشة السبك. والى اليسار يبدو فرن وفي داخله عدد من البواتق. والعامل في وسط الصورة يطرق القطع المعدنية، بينما يجري قص القطع إلى اليسار. وإلى اليمين يبدو النقاش في المرحلة الأخيرة من العملية.

وقد كان لليوناردو دافنتشي فضل كبير على صناعة النقود. كما ان معاصره برامانتي اخترع مكبسة للسك. وقد استخدم بنفينوتو تشيلليني (١٥٠٠ - ١٥٧١م) أدوات مماثلة لتلك التي اخترعها دافنتشي وبرامانتي، ليضرب نقوداً للبابا بولس الثالث. وعندما وصل هنري الثاني إلى الحكم في فرنسا، استدعى أو بان أوليفييه، وهو صانع في أوغسبرغ، قيل انه يعمل لاختراع آلة تقطع نقوداً مستديرة تماماً، ومنحه ثلاثة آلاف ريال ليستكمل اختراعه. وفي أثناء حكم اليزابيت الأولى في انجلترا، استدعت الملكة ايلوي مستريل، وهو موظف سابق في دار سكة باريس، واستخدمته بخمسة وعشرين جنيهاً في السنة، وطلبت إليه أن ينقش نقوداً بواسطة أدوات استحضرها معه على ما يبدو من باريس. وقد استخدمت في هذه الصناعة لأول مرة قوة الحصان والمياه.

ومع ان النقود كانت أفضل بكثير من تلك المضروبة باليد، فان العمال خافوا على وظائفهم، من تلك الاختراعات الحديثة. وتبين ان الطريقة الجديدة أفضل انتاجاً، لكنها أبطأ. وقد شنق مستريل سنة ١٥٧٨ بسبب ذلك.

وفي سنة ١٦٤٥ حظرت فرنسا النقود المضروبة باليد. وتمكن فرنسي آخر هو بيار بلوندو، من نقش حافة النقود. وبذلك توقفت عمليات الاحتيال. فقد جرت العادة أن يقتطع المحتالون أطراف النقود ويجمعوا الفتات ويذوبوه ليبيعوه. لكن نقش الأطراف وضع حداً لهذه العملية، لأنه أصبح في الامكان معرفة قطعة النقود الكاملة بفضل طرفها المنقوش.

ويبدو ان بلوندو حفظ سر مهنته جيداً. والواقع ان يمين الحفاظ على السر كانت اجبارية لكل من يعمل في هذه المهنة. لكن الجمهور استطاع مع ذلك أن يتفرج على آلة سك نقود في باريس. وكان معروفاً ان آلة مماثلة توجد في لندن. وعلى الرغم من ذلك ظلت يمين كتمان السر اجبارية في دار سكة لندن حتى العام ١٨١١م.



آلة حديثة لضرب النقود.

ثورة الصناعة والنقود

وفي العام ١٨٣٩، تحققت خطوات أخرى في صناعة النقود. فاخترع الالماني أورهون آلة تضغط النقش الفوقاني بهدوء على الاسطوانة المعدنية المنوي نقشها. وجرى تحسين هذه الطريقة على يد تونلييه. واستخدمت آلات من هذا النوع في دار سكة باريس عام ١٨٤٥، وفي داري سكة سيدني وملبورن في أوستراليا سنتي ١٨٥٣ و١٨٦٩ على التوالي. واستخدمت مكابس من هذا النوع في لندن خلال السبعينات من القرن الماضي. وتبين انها أسرع وأقل ضجيجاً من سابقاتها بكثير.

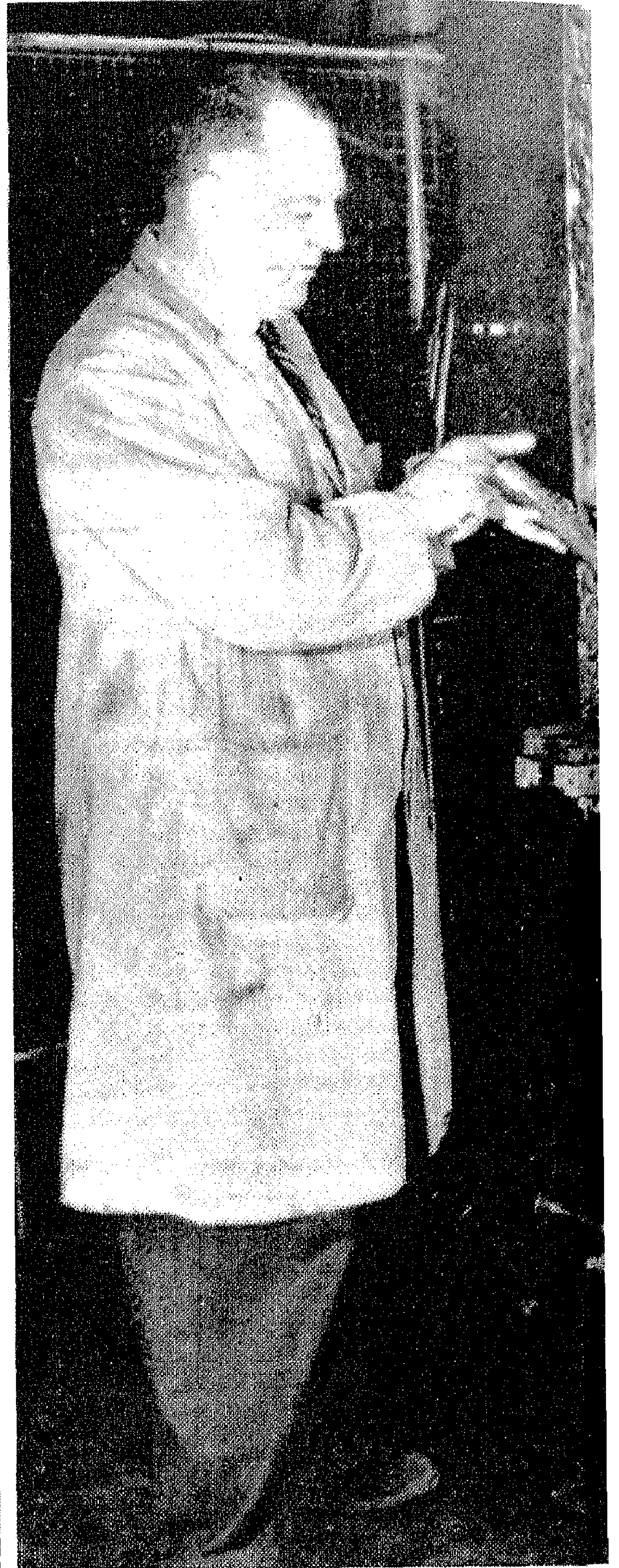
وفي عام ١٨٨٢ وجدت دار السكة الملكية البريطانية ان الحاجة تدعو الى استخدام الكهرباء، فاتخذت مولداً خاصاً بها. وفي العام ١٩٠٥، تم تحويل هذه الصناعة نهائياً إلى العمل بالكهرباء.

ومع اشتداد الحاجة إلى النقود، اشتدت الحاجة إلى أدوات ميكانيكية سريعة الانتاج دقيقة التصنيع. وقدر ان وسائل الضرب باليد كانت قادرة في آخر مراحل تطورها على انتاج عشرين ألف قطعة نقود حين يستهلك قالب ومطرقتان. أما الأسلوب الجديد فباستطاعته انتاج مائة ألف قطعة نقود ولا يستهلك إلا قالباً ومطرقة.

والفنانون اليوم يصنعون نموذجاً أصلياً لقطعة النقود يتراوح قطره بين خمسة عشر وخمسة وعشرين سنتمتراً. فتأتي نماذجهم بالجص دقيقة ونافرة. ثم يسبك النموذج معدناً. ويحول إلى آلة خاصة لتصغيره. وبهذا نحصل على قالب صغير شديد الدقة. وتأتي النقود صورة طبق الأصل عن النموذج الأول. ولا يختلف قالب عن قالب مهما كانت قطع النقود المطلوب سكها كثيرة. والواقع ان المعدن يذوب أولاً. ويجعل في رقائق بالسماكة المعينة ويقطع قطعاً بالوزن المطلوب بدقة لا يتعدى الخطأ فيها كسوراً غير ذات بال. وتكون القطع أسمك من النقود المنوي الحصول عليها، كما ان قطرها أصغر. فاذا ضربت أخذت الشكل والسماكة المحددة. أما المعدن الزائد فيعاد إلى الصهر.

والآلات الحديثة تستطيع أن تنتج ما يتراوح بين تسعين ومائة وعشرين قطعة في الدقيقة. وبعد ذلك تأتي المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة الوزن والرقابة فلا يبقى بعدها إلاّ جمعها رزماً وتوزيعها.

بتصرف عن كتاب «جمع النقود» كولينز — لنـــدن



سلفادور دي مادارياغا   ترجمة "تاريخ العرب والعالم"

انتفاضة الازتيك الاخيرة

في وجه الاسبان ١٥٢٠

● بعد استيعاب صدمة المفاجأة. أخذت المواجهة بين الغزاة الأسبان وأهل البلاد (المكسيك) الأصليين. في مطلع القرن السادس عشر. أخذت تغرق في مستنقع عدم الفهم. فالاسبان الذين اسكرتهم ثروات وذهب الأزتيك. بذلوا مجهوداً هائلاً لتحطيم آلهة الأزتيك. وحرموا عليهم اقامة الشعائر الدينية وحاولوا تبشيرهم بدينهم. أما الازتيك فقد شلتهم المفاجأة في البدء. لكنهم أخذوا شيئاً فشيئاً يقاومون بحزم. وفي أحد الأيام طفح الكيل. وثارت العاصمة تينو شتتلان على قادتها الذين استعبدوا. وطردت الحامية الاسبانية. وفي هذه المقالة يصف الكاتب الاسباني سالفادور دي مادارياغا. الذي خصص أحد مؤلفاته لهيرنان كورتيث (زعيم الحملة الاسبانية الغازية). يصف وقائع المقاومة الاخيرة لشعب الأزتيك الأبي وسقوط عاصمة امبراطوريته المتألقة. لقد ارتد الغزاة الاسبان إلى المدينة المجاورة تلاكسكالا. التي كانت على الدوام. منافسة لعاصمة الأزتيك. واخذوا يجمعون الصفوف وينظمونها. وفي ٢٨ نيسان (ابريل) شنوا هجمتهم الأولى. وضربوا حصاراً على عاصمة الأزتيك. وبدأوا بذلك حرباً طويلة لا رحمة فيها. وآثر الأزتيك ان يقاوموا مفضلين الموت على الاستسلام.

وفي ١٣ آب (اغسطس). وبعد معركة أخيرة. لم يبق من المدينة الفاخرة. التي تجتازها القنوات وتزينها القصور والبساتين الساحرة. غير الخرائب ورائحة الجثث.

وكان هدمها وتركها طعمة للنهب. إيذانا باندثارها إلى الأبد. ودخولها التاريخ رمزاً للبطولة والاستشهاد.

على مدى سنة ونصف السنة. من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥١٩. إلى نهاية نيسان (ابريل) ١٥٢١. عاش كورتيث ورجاله ساعات مثيرة وحافلة. داخل اسوار مدينة مكسيكو-تينو شتتلان وعلى الأخص داخل أسوار القصر الذي وضع تحت تصرفهم. في هذه الأثناء كان الامبراطور موتيكوزوما قد أوقف ووضع في إقامة جبرية تحت رقابة الاسبان. وأحرقت سعة خمسمائة عربة من الأسلحة المكسيكية. من باب الاحتياط. كذلك أحرقت أوثان الهيكل أو حطمت. وهذا أثار سخطاً عاماً. وأدى إلى تأجيج غضبة عارمة. وتم اكتشاف كنوز اخفيت عن أعين الغزاة. وكان جزء منها يعود آليا إلى شارلكان الملك الاسباني. وفيما كان الاسبان يستولون على كل ما يجدونه من ذهب، كان شعب التلاكسكالتيك. العدو التقليدي للأزتيك. يتحدى هؤلاء ويواصل الأستيلاء على ما تيسر من يشب وريش ثمين. وهكذا أخذ التوتر يتصاعد.

الليلة «الحزينة»

ولحسن حظ الاسبان. جاءت من كوبا إمدادات على ثماني عشرة سفينة. لتدعم قوات كورتيث. وهي قوات أصبح تعدادها ١٢٠٠ رجل. ولو أنها لن تظل بهذا الحجم طويلاً. بسبب ضخامة الخسائر. يضاف إلى هذا التعداد تسعون حصاناً وحوالي ثلاثين مدفعاً.

وفيما كان كورتيث قد توجه إلى ساحل الخليج ليكرس سلطته على هؤلاء القادمين الذين جاءوا كمتنافسين، ثارت مكسيكو في أيار (مايو) ١٥٢٠ ضد زعمائها المستعبدين وضد الكابتن الفارادو. الذي بقي في المكان مع تسعين رجلاً. والذي ارتكب لتوه حماقة قتل المؤمنين الذين تجمعوا للقيام باحتفال ديني. رغبة منه في ارهابهم. أو ربما بسبب من رعونة وعدم تبصر. وقد حوصر في قصره. وفي ٢٥ حزيران (يونيو) ١٥٢٠. غداة عودة كورتيث وجيشه المدعم إلى العاصمة. شن المكسيكيون الهجوم العام. بعد ان عزلوا امبراطورهم وانتخبوا أخاه كويتلا هواك مكانه. على أية حال لم يطل الأمر بموتيكوزوما الثاني. حتى أعدم في ظروف غير واضحة. وفي مواجهة أعداد وحماسة المهاجمين. اضطر الاسبان إلى الهرب ومغادرة المواقع التي أصبحت غير قابلة للصمود. ولم يكن ممكنا أن يغطوا هربهم دون ان يدفعوا ثمناً باهظاً في «الليلة الحزينة» الشهيرة. ٣٠ حزيران (يونيو).

ستمائة رجل قتلوا في تلك الليلة. أو ضحي بهم على الأهرام. كان يجب إعادة الكرة من جديد. فالاسبان الباقون لم يتعدوا ٤٤٠ رجلاً معهم عشرون حصاناً و١٢ قذافة أسهم و٧بنادق. وبدأت اعادة التنظيم في تلاكسكالا التي تحولت إلى حصن. ولحسن حظ الاسبان مرة أخرى وصلت امدادات أخرى على خمس سفن آتية من جامايكا وكوبا: حوالي مائة رجل و٥٠ حصانا و٩ مدافع. وفي الفريق الآخر كان الامبراطور كويتلاهواك يموت بفعل الجدري. لم يكن

المرض معروفاً حتى ذلك الحين هناك لكن الوباء الذي أحضره عبد زنجي معه من كوبا كان يفتك آنئذ بالمدينة. ولم يدم حكم الامبراطور أكثر من ثمانين يوماً. واختير ابن عمه الشاب مكانه، واسمه كواوتيموك («العقاب الذي يسقط»، أو «الأصيل») وكأنه اسم اختير للمناسبة. كان الامبراطور الجديد، حسبما وصفه بيرنال دياز، «شابا في حوالي الخامسة والعشرين، أجمل من أن يكون هنديا (!) شجاعاً جداً. وكان من الحزم ما جعل رجاله يرتجفون أمامه. وكان متزوجاً من ابنة مويتكوزمـا، التي كانت امرأة أجمل من أن تكون هندية». وطوال أشهر. أخذ الاسبان يحضرون، حول البحيرة، عملية استعادة المدينة. وذلك بمساعدة حلفائهم التلاكسكالتيك. وبنوا ١٣ سفينة شراعية بصارين. وجهزوها بالاشرعة والمدافع على بحيرة تكسكوكو. وأخيراً في نهاية شهر نيسان (ابريل) ١٥٢١. كان كل شيء جاهزاً.

بداية المعركة

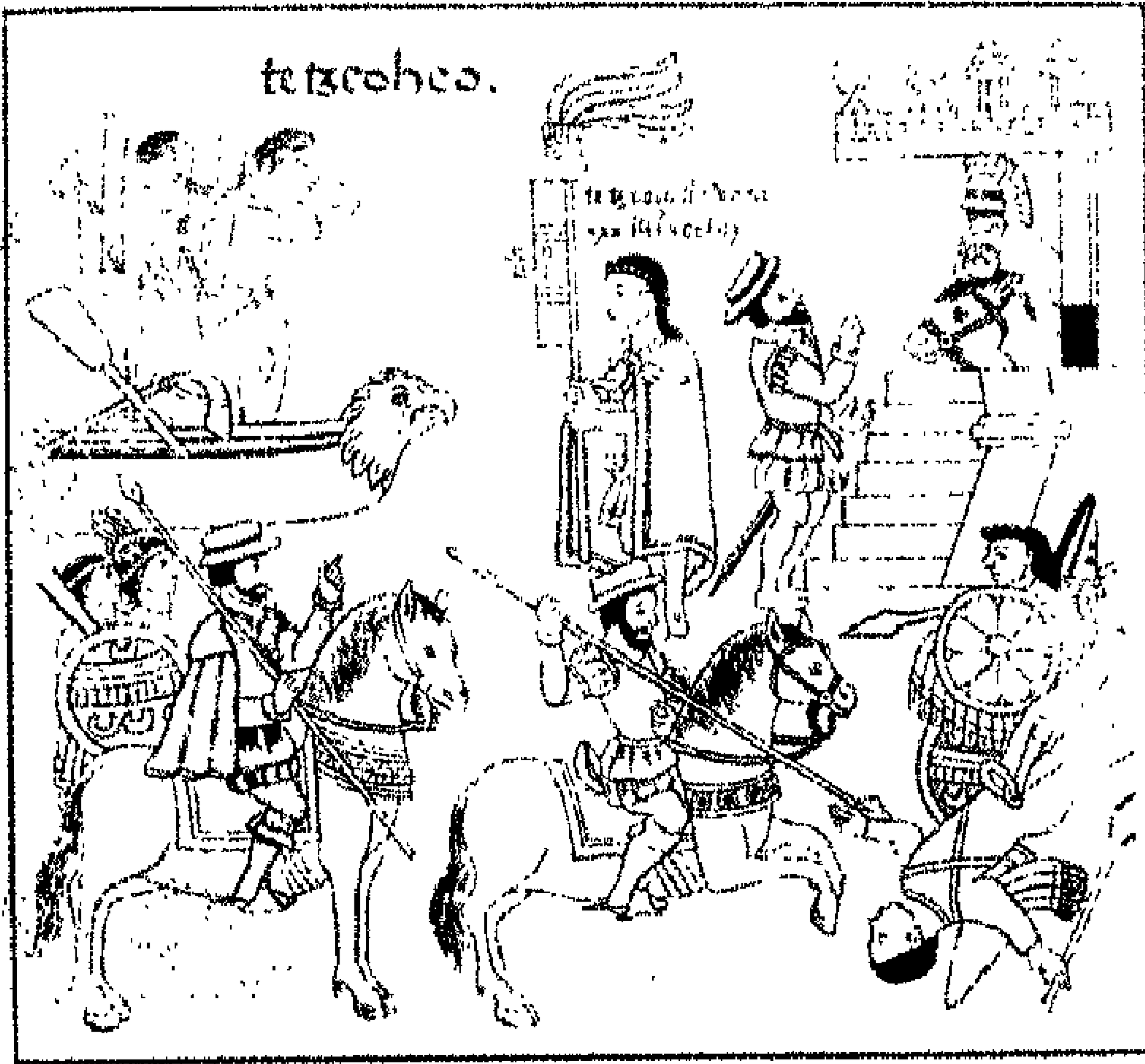
يوم الأحد ٢٨ نيسان (ابريل) اطلقت السفن الثلاث عشرة في البحيرة، بعد اقامة القداس وشعيرة المناولة. واطلق الاسبان للريح بطن أشرعتهم وأطلقوا عدة طلقات سمعها بألم المكسيكيون المهددون. ورددت صداها الأودية الآمنة. واستعرض كورتيث قواته: ٨٦ خيالاً. ١١٨ قواساً وحامل بندقية. وأكثر من ٧٠٠ راجل مسلح بالسيف والترس. ٣ مدافع حديدية ضخمة. ١٥ مدفعاً أصغر من البرونز وعشرة قناطير من البارود. ثم أخذ يشعل فيهم الحماسة. وكان حريصا على تماسكهم وعدم ترك اهوائهم المتضاربة تتفجر. حتى لا تتكرر المؤامرات التي كانت شائعة الحدوث بينهم.

بعد أيام. وصل حلفاؤه المحليون في قوة كبيرة من تلاكسكالا وشولولا وغواكسوسنغو. وكان جيش تلاكسكالا على الأخص. وعلى رأسه شيشيميكاتيكوتلي و كسيكوتنكاتل الشاب. كان هذا الجيش يتدفق حماسة.

وتقدم كورتيث للقياه مع بعض ضباطه. حالما عرف بمقدم كسيكوتنكاتل الشاب. وهذه مجاملة احتياطية. اقدم عليها في ضوء احداث ماضية كان لها مغزى خاص. ومرت الجيوش المحلية طوال ثلاث ساعات في شوارع تتزكوكو لتصل إلى معسكراتها.

وقام كورتيث بوضع خرائط مفصلة للبحيرة





هكذا رسم الازتيك الغزاة الاسبان. الذين أبادوا في مدينة شولولا وحدها ستة آلاف نسمة.

ليضمن لسفنه ان تتقدم بأمان ويبدو أن ثمة صعوبة برزت في العثور على مجذفين. فالجميع كانوا يريدون القتال. ولكن أحداً تقريباً لم يكن يريد الاكتفاء بالتجذيف على ان بيرنال دياز أجبر المنحدرين من مدن ساحلية. الذين عهدوا البحر وعهدهم. على التجذيف. ووزع الرجال على السفن. ١٨ في كل سفينة. منهم ستة نبالين أو حملة بنادق و١٢ جذافاً. وأخذ بنفسه قيادة السفن. وقسم بقية الجيش إلى ثلاث فرق: بيدرو دي الفارادو مع ٣٠ فارساً و١٨ قواساً وحامل بندقية. و ١٥٠ رجلاً يدعمهم ٢٥٠٠٠ مقاتل تلاكسكالتيك. أرسلوا إلى تاكوبا. أوليد مع ٣٣ فارساً و ١٨ قواساً وحامل بندقية و ١٦٠ رجلاً



رسم مكسيكي آخر: كورتيث في مدينة تكسكوكو التي تعاون زعيمها مع الغزاة تعاونا حسم الموقف لصالحهم.

يدعمهم ٢٠٠٠٠ حليف محلي أرسلوا إلى كويواكان. أما ساندوفال. ومعه ٢٤ فارسا و ٤ حاملي بنادق و ١٣ قواساً و ١٥٠ رجلاً. يدعمهم ٣٠٠٠٠ حليف محلي. فكان عليهم ان يجتازوا مدينة ايزتاپالابا. ويتقدموا بعد تدميرها على طول الممر الرئيسي نحو مكسيكو للاتصال بأوليد الآتي من كويواكان.

شنق الشيخ الشاب

وعلى الطريق إلى تاكوبا تشاجر القائدان الاسبانيان في شأن معسكرات قواتهما في اكولمان. وكان ذلك مثالا على سهولة لجوء الاسبان إلى المشاجرات. التي كانوا يجدون دائماً الوقت والهمة الكافيين لخوضها فيما بينهم. وكان الفارادو وأوليد قد سبق لهما التشاجر. وكاد جنودهما يحذون حذوهما. عندما عاد الجميع واستمعوا إلى نصائح العقلاء. وعلم كورتيث بذلك فلام ضابطيه بعنف. ولاحظ الفارادو ان كسيكوتنكاتل اختفى. وأسباب اختفائه غامضة وتختلف فيها الروايات. وعلم كورتيث بالأمر. فأرسل اليه يدعوه إلى العودة. ومن الواضح. مهما كان سبب غياب كسيكوتنكاتل. ان شيخ القبيلة الشاب كان مستاء جداً من سياسة الاسبان. وقد أرسل كورتيث أوخيدا إلى تلاكسكالا ليقول ان الجريمة التي ارتكبها الشيخ الشاب عقابها الموت في اسبانيا. فردوا عليه ان ما فعله هو عقابه الموت في تلاكسكالا. عندها صرخ كورتيث: «هذا



هيرنان كورتيث . كان في الثالثة والثلاثين عندما غزا مع جنوده المكسيك.

الشيخ الشاب لن يرعوي أبدا. انه لا يفكر الا بخيانتنا ! » وأمر بالقاء القبض عليه. **وتوسّل الفارادو الحلم. لكن كورتيث فيما كان يتظاهر بالعفو كان رجاله ينفذون أوامره ويعتقلون كسيكوتنكاتل ليشنقوه.**

الموت ولا الاستسلام

خطة كورتيث كانت بسيطة : محاصرة المدينة. ولم يفته ان يترك ممراً يؤدي إلى تيبياك. على أمل ان يعمد المكسيكيون المحصورون في المدينة إلى اخلائها. لكن كورتيث لم يكن يشك في الواقع بأن سكان المدينة كانوا مصممين على واحد من أمرين : الصمود بأي ثمن. أو الموت ولا الاستسلام. فقد بحث قرار الحرب والسلم في المجلس القبلي (تلولاك) بناء على رغبة كواوتيموك. وانتصر الشبان. يساندهم الكهنة على جناح المطالبين بالرضوخ. والمفاوضة. وكان كواوتيموك بالطبع من أنصار عدم الرضوخ. واحتفل باتخاذ القرار. فجرت التضحية بأربعة اسرى من الاسبان. وبعدد من التلاكسكالتيك قدره توركيمادا بأربعة آلاف.

ووجد الاسبانيون في كواوتيموك زعيماً ذا اندفاع لا يلين. وفكر عسكري لا يستهان بقدرته. وكان الدفاع عن مكسيكو ضد الاسبان تحفة عسكرية ومثالا عالياً جداً من التفاني والجلد والمبادرة والتكيف بالطوارىء والعبقرية التقنية والبراعة التكتيكية والستراتيجية. وقام القائد الاسباني في المقابل بقيادة عملية الحصار بواسطة نظام الاشارات الذي عمل بفاعلية.

وبدأ الحصار بهجوم قام به اوليد والفارادو ضد جسور شابولتيبيك. حقق نجاحاً. وتشجع القائدان. فدفعا جنودهما على طريق تاكوبا في هجوم خطر على المدينة. وازدادت غضبة المكسيكيين على التلاكسكالتيك عملاء الاسبان. وكانوا يلقون اليهم بأيدي وأرجل الأسرى. ويصرخون في وجه الأسبان : «ايها الملاعين. دمكم سيهدىء الهتنا. وثعابيننا ستشربه. ولحمكم سيطعم نمورنا وأسودنا». وطوال مدة الحصار. ظل يهيمن على القتال طابع الحرب الشخصية والنفسية. وشبح الموت القرباني. وهذا طبع الحرب بطابع سوداوي لا يرفع ظله المقيت لا ليلاً ولا نهاراً. فسارت مجريات القتال باقدام وصلابة لا مثيل لها في الجانبين.

وفي الجانبين كان تكتيك الحرب يتغير على مدار الأيام ومع تطور الخبرة. المدافعون بدأوا أولاً دفاعهم الستراتيجي. بالهجوم المستمر والمتواصل. ورد الاسبان بهجمات متواصلة أخرى على الطرق. وعلى أسراب الزوارق التي كانت تهاجمهم من الماء. وفي بداية هذه المرحلة تم تدمير جسور شابولتيبيك في ٢٦ أيار (مايو) ١٥٢١. وفي ٣١ أيار (مايو)، استقر ساندوفال وجيشه في ايزتابالابا. التي اخلاها سكانها المكسيكيون على عجل. وانطلق كورتيث بسفنه الثلاث عشرة ليمد له يد المعونة. ولكنه قرر أثناء المسير. ان يستولي على صخرة تيبوبولكو. وهي قلعة طبيعية ترتفع في وسط بحيرة تيتزكوكو. وقد استولى عليها عنوة بفضل حيويته ومثابرته. على الرغم من صعوبة الموقع والمقاومة البطولية التي ابدتها الحامية. وكتب كورتيث للامبراطور شارلكان : «لقد جرحوا ٢٥ من رجالي الاسبان. لكنه كان انتصاراً عظيماً» ●

(الحلقة الثانية في العدد المقبل)

— عن مجلة «التاريخ للجميع» الفرنسية —

كلام الصور من مجلة « **Histoire pour tous**

الفراعنة والرياضة

(١)

د. سيد كريم



المصارعة والسباحة والغولف والبنغ بونغ .. فرعونية الأصل

● صحة النفس من صحة العقل، وصحة العقل من صحة الجسد.

«الحكيم اني - كتاب الموتى - متون العقيدة»

هكذا احتلت الرياضة مكانها بين دساتير حياة المجتمع التي ربطها الفراعنة بالعقيدة فوضعوا تشريعات لاصولها ونظماً لقواعدها. أصبحت الرياضة ركناً من أركان العقيدة وضرورة من ضرورات الحياة، وضعوا لها قواعد ونظريات، ممارستها كعلم من علوم الحياة وفن من فنونها أضفت عليه العقيدة قدسيّة أسوة بمختلف المقومات التي أرست دعائم الحضارة المصرية القديمة وطبعتها بطابعها المميز الذي جمع بين الاصالة والاستمرار والخلود.

بذلك قدم الفراعنة للعالم أسس مثلث الرياضة والألعاب الرياضية الذي نطقت به حكمة العقيدة ذلك المثلث المرتبط الاضلاع الذي يتمثل في رياضة الروح أي الرياضة النفسية.. ورياضة العقل أي الرياضة

الذهنية.. ورياضة الجسد اي الرياضة البدنية. ظهرت جميعها مع أول شعاع في فجر الحضارة واستمرت عبر تاريخ البشرية تمسك قبضتها بشعلة الألعاب الأولمبية وتترك بصماتها على مباريات العصر الحديث.

الألعاب الرياضية:
الرياضة البدنية

● الصيد والرماية:

أقدم رياضة عرفتها البشرية.. نشأت مع الانسان كسنة من سنن الطبيعة ووسيلة للابقاء على حياته. مارسها بالغريزة كبقية كائنات المجتمع الحيواني الذي يحيط به ليدافع عن نفسه بما أمدته الطبيعة به من أسلحة في مقدمتها العقل، ويحصل على غذائه بما يقوم باصطياده وافتراسه ممن يشاركه عالم الغابة. رياضة تطورت بتطور المدنية. لقد تحول من الدفاع عن نفسه وبيته وأرضه من الحيوانات الضارية إلى الدفاع عن نفسه وبيته وأرضه من المغيرين والمعتدين من بني جنسه. تحولت أسلحته من أسلحة لرد عدوان الجنس الحيواني، إلى أسلحة لرد عدوان الجنس الانساني كوسيلة جديدة للابقاء على حياته تحولت رياضة صيد الحيوان.. الى رياضة صيد الانسان..

فرياضة الصيد والرماية في مصر القديمة هي أقدم رياضة مارسها المصري القديم.

كانت صحاري مصر عامرة بالحيوانات كما ظهرت بوفرة في النقوش والرسوم القديمة ولم يبدأ انقراض بعض أنواعها أو اختفائها إلا في القرن العاشر قبل الميلاد. وأهم حيوانات الصيد التي كثيراً ما رسمت على الآثار منذ فجر التاريخ هي السباع والفهود والفيلة والزراف والنعام والضباع والوعول والغزلان والثيران البرية وفرس النهر والتماسيح والثعالب والارانب البرية.

تدل رسومات الصيد في الدولة القديمة أن المصريين قد وضعوا الاصول الفنية لصيد مختلف أنواع الحيوانات وفي مختلف مناطق الصيد كما عرفوا طريقة اقامة السياج حول مناطق شاسعة من الارض يقوم الصيادون بدفع حيوانات الصيد داخلها ثم تبدأ بعد ذلك رياضة الصيد بالسهام وبالاستعانة بكلاب الصيد وقد سجل الفنان المصري القديم بمهارة فائقة مناظر حلبات الصيد وما يدور فيها ابتداء من اعداد السياج وطريقة استعمال مختلف الاسلحة والعودة بالغنائم. وكثيراً ما كانت الزوجة تشارك زوجها وترافقه في رحلات الصيد وتقوم بالعناية بكلاب الصيد واعداد غنائم الصيد وقد عثر على أكثر من لوحة من لوحات الصيد في الاسرتين الثالثة والرابعة تظهر بها زوجة الأمير أو النبيل وهي ترافق زوجها في طريقه الى الصيد وفي بعضها تحمل له السهام أو اقواس صيد الطيور، وكثيراً ما كان ملوك تلك الأسرات يأخذون معهم في الصيد بعض أتباعهم من الصيادين المحترفين وخاصة في رحلات الصيد الخطرة.

وكان الصيد في الدولة الحديثة من أحب ملاهي الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة. وكان الملوك يتفاخرون بشجاعتهم وقوة سواعدهم ومهارتهم الفائقة في إصابة الأهداف.

فيصف تحتمس الثالث كيف خرج في رحلة لصيد الأفيال في سوريا فاصطاد منها مائة وعشرين فيلاً. وقد رمى فيلاً ضخماً دون أن يصيب منه مقتلاً فهجم عليه الفيل وكاد يفتك بالملك الجريء لولا تعريض قائده العظيم امنمحب حياته للخطر ومبادرته بقطع خرطوم الفيل.

ويفخر الملك امنحوتب الثالث بأنه في العشر سنوات الأولى من حكمه قد اصطاد مائة سبع وسبعين وستة وتسعين فيلاً، وسجل سيتي الأول في لوحات الصيد كيف كان يترك عجلته ويذهب وحده راجلاً يصحبه كلبه الامين ورسم كيف كان يصارع الاسد وجهاً لوجه باستعمال الحربة التي يشق بها صدر الاسد بضربة واحدة.

ومن أكثر ملوك الفراعنة هواية بالصيد رعمسيس الثاني الذي كان يملك أسداً أليفاً يتبعه كالكلب ويرافقه في القتال وكان يرقد ليلاً في المعسكر أمام مخيم سيده الملك وقد أطلق عليه اسم «السيد».

ومن أشهر مباريات الصيد وأخطرها في نظر المصريين كان صيد التمساح وفرس النهر في «برك سايس» شمال الدلتا باستعمال الحراب والرماح وقد عني المصريون بكلاب الصيد ودربوها على مطاردة الأنواع المختلفة من الحيوانات وعلموا الكلاب كيف تحاصر إناث الغزال وصغاره وتمنعها من الحركة حتى يصل الصياد ويقيدها بالشباك أو الحبال ويحملها معه. إذ كانوا يحرمون قتل اناث الغزال وصغاره أو حتى اصابته بالاسلحة. كما دربوا كلاب الصيد على حماية خيام

الصيد وأوكاره من الافاعي والزواحف أثناء الليل.

وفي الدولة الحديثة قاموا بتدريب القطط على صيد الطيور وكان الصياد يحمل هره معه ويطلقه خلف الطيور التي يصيدها بعصا الرماية.

صيد الطيور:

كان صيد الطيور من الهوايات المحببة لدى المصريين فكانت تجمع بين الرياضة والمتعة وكثيراً ما كان الصياد يصطحب زوجته وأولاده لمشاركته في متعة الصيد.

وقد استخدموا عدة طرق لصيد الطيور في مقدمتها ومن أقدمها عصا الرماية (البومبرانغ) (   ) وهي عصا خشبية معقوفة الطرف شكلت بأشكال هندسية دقيقة الصنع، كانوا يقذفونها الى اعلى بخفة وبسرعة بين أسراب الطيور فتدور في اتجاهات سريعة ثم تعود الي راميها فيتلقفها وهو قائم في موضعه بعد أن يصيب الطير الذي يتساقط حوله. وقد وجدت منها مجموعات كاملة في مقابر الدولة القديمة وعصر ما قبل الأسرات كما احتفظ توت عنخ امون ببعض انواعها الدقيقة الصنع ضمن أثاثه الجنائزي.

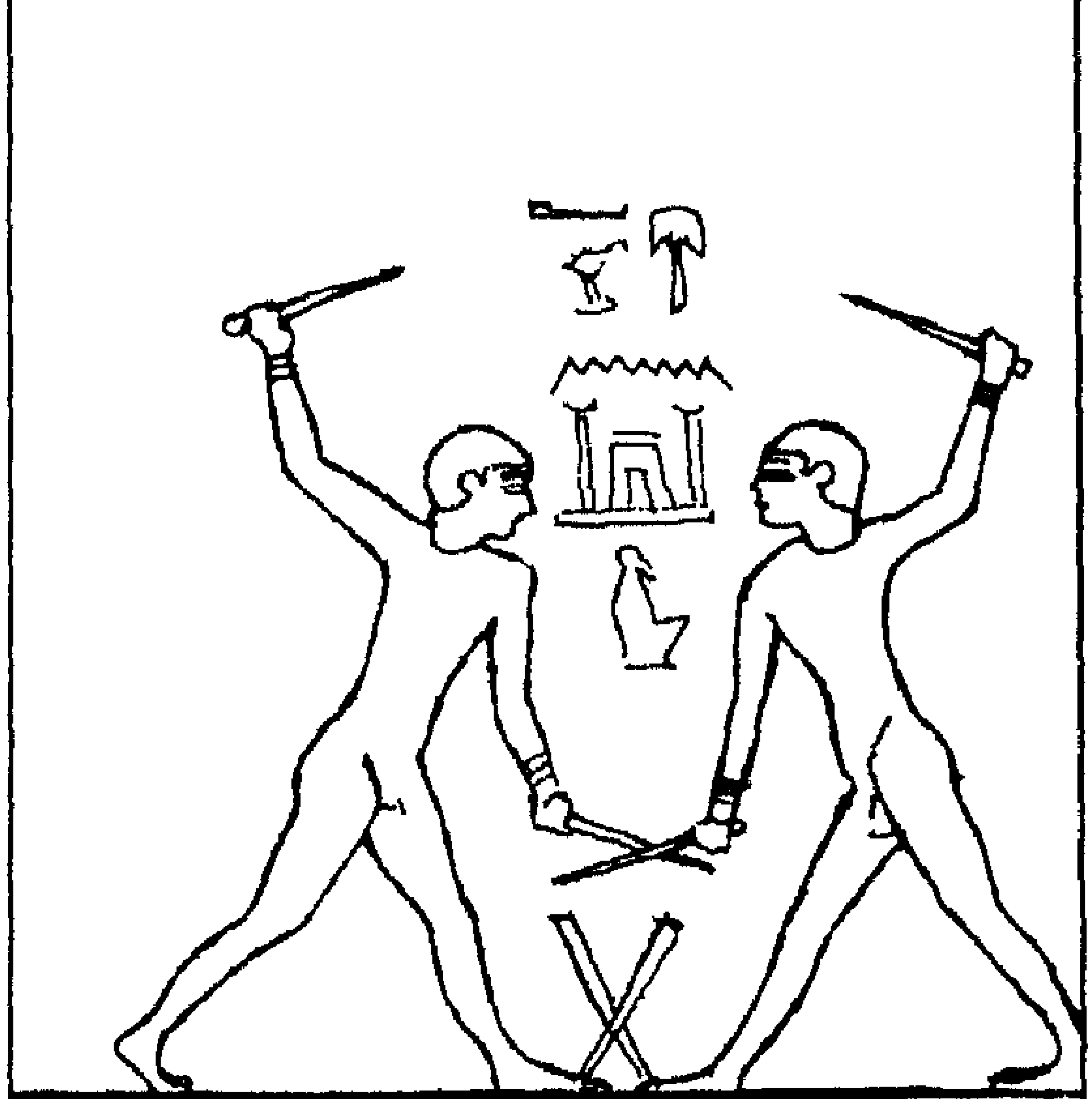
والطريقة الثانية التي برعوا بها في رياضة صيد الطيور استعمال الشباك الكبيرة وترى ممثلة في مثابر سقارة وبني حسن وكانت تصنع من ألياف النخيل وخيوط الكتان.

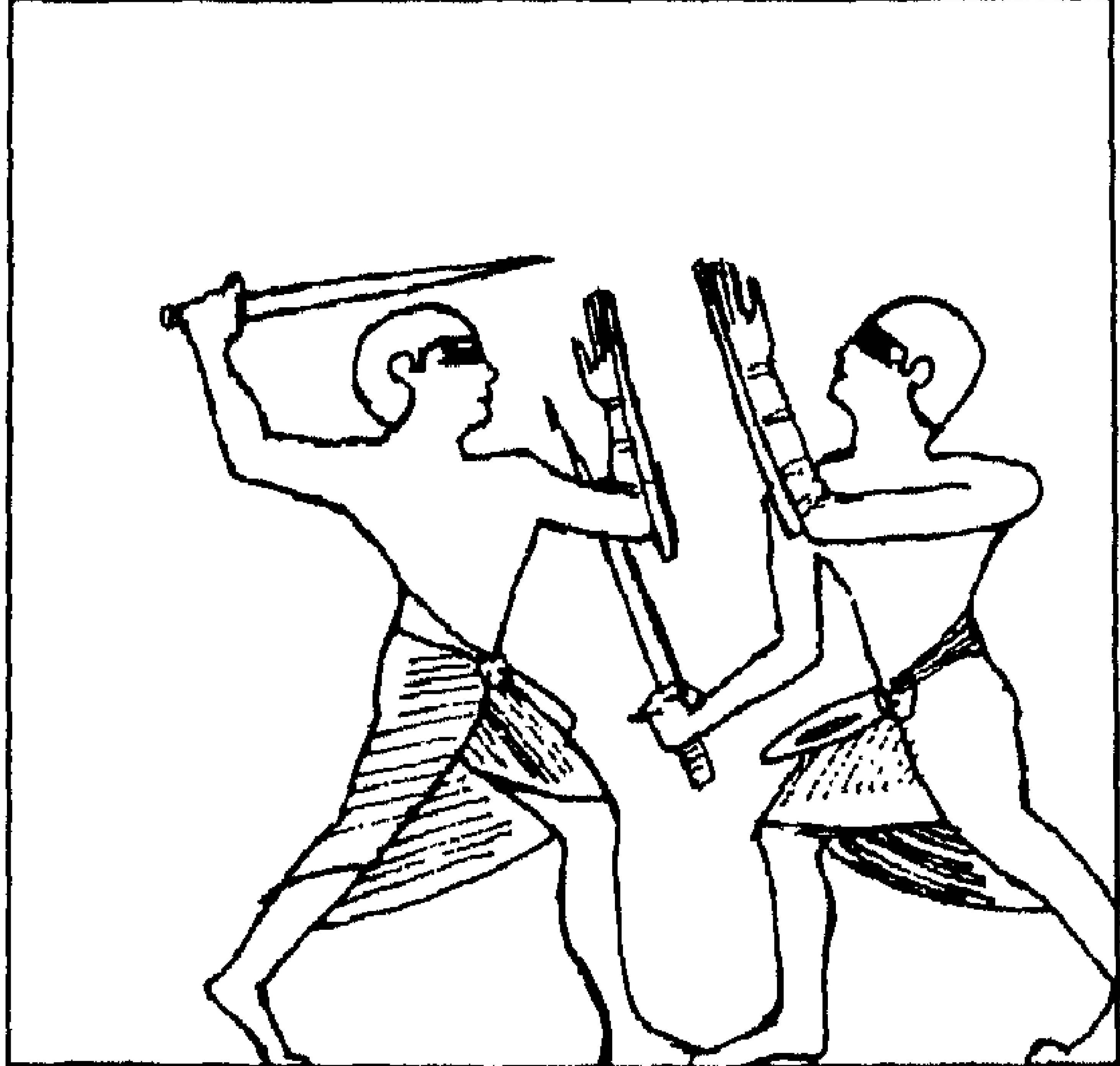
وشباك صيد الطيور كانت تصنع أيضاً وفقاً لاشكال هندسية من أشهرها الشبكة السداسية ويبلغ طولها ثمانية أذرع وعرضها أربعة اذرع، وكانت تغمر بقاعدتها المسدسة الشكل في الماء بعد اخفائها تحت النباتات المائية. فعندما تحط اسراب الطيور في الماء وتتجمع فوقها يشد الصيادون طرفي الشبكة المتصلة بحبال يمسكون باطرافها ويجذبونها بشدة وبحركة سريعة وهم مختفون بين عيدان البردى فتنطبق الشبكة وهي ممتلئة بصيدها.

أما في صيد الاسماك فقد كان المصري القديم أول من ابتكر الشص (السنارة) وأول من استعملها، صنعها من البرونز كما ابتكر رياضة صيد الأسماك بالحراب والخطاف وهي الرياضة التي انتقلت الى استراليا مع الصيد بالبوميرانغ.

أما صيد الأسماك بالشباك فقد ظهرت رسومها



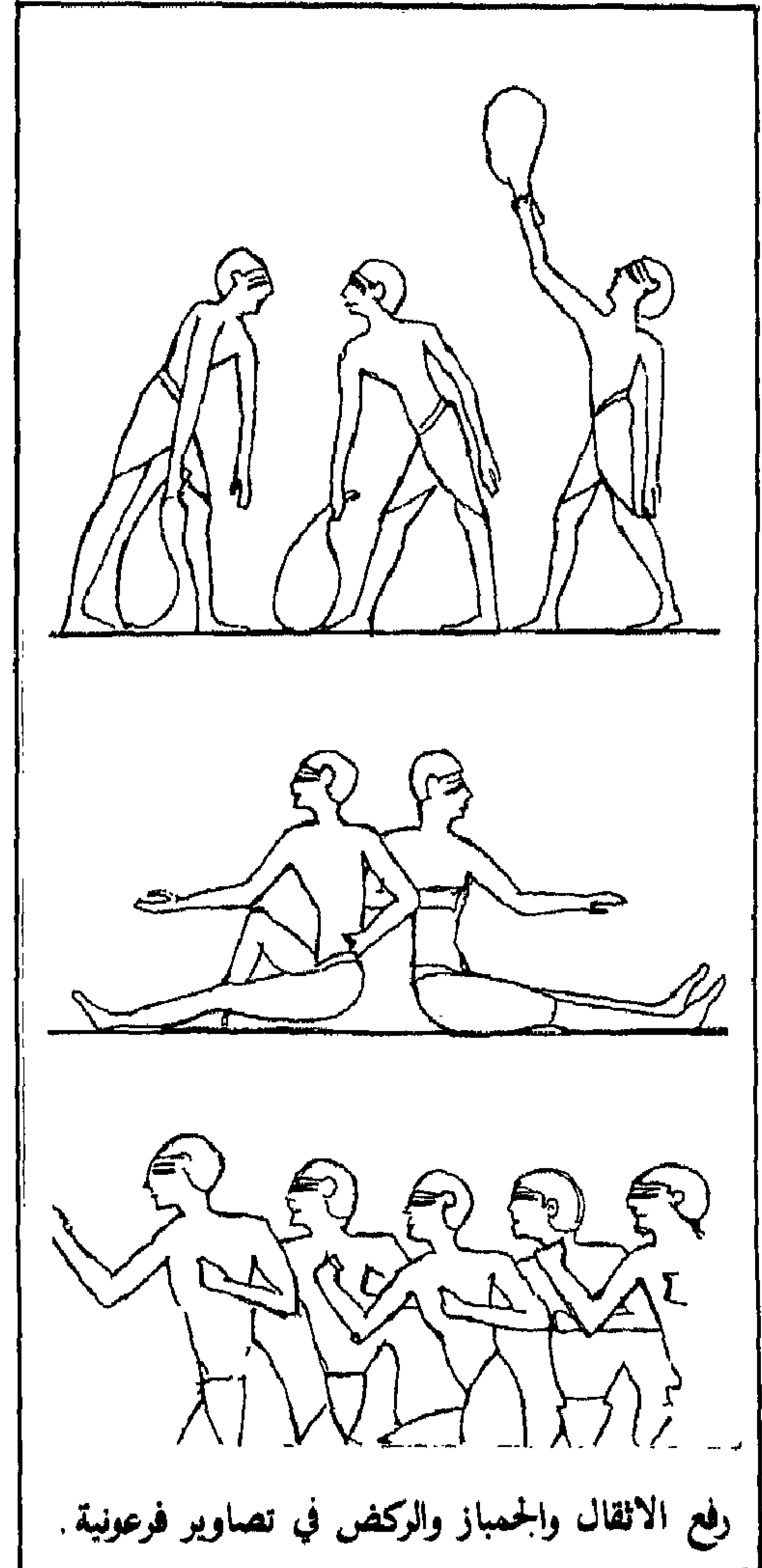




● مبارزة بالسيف من زمن الدولة القديمة قبل ٥٠٠٠ سنة.

على جدران كثير من المقابر ابتداء من الاسرات الاولى والدولة القديمة وقد وجدت الشبكة التي يلقيها الصياد بمفرده في الماء في جميع العصور بالطريقة نفسها التي تستعمل بها الآن. ثم الشباك الكبيرة التي يشترك في سحبها مجموعة من الصيادين وكانت لها عوامات من الفلين والخشب من أعلى واثقال من اسفل وكان نسيجها متسع الفتحات لتترك المجال لمرور الاسماك الصغيرة وعدم صيدها لتكاثرها حفاظاً على الثروة المائية كما استعملت الشباك المماثلة التي تجرها سفينة أو تشد بين قاربين.

كما ظهرت أنواع عديدة من الشباك اليدوية ذات المقابض الطويلة أو الأواني الشبكية المعروفة باسم «البجمة» التي ما زال استعمالها سائداً الى الآن في كثير من البلاد الاسيوية.


رفع الأثقال والجمباز والركض في تصاوير فرعونية.

● المصارعة:

ظهرت رياضة المصارعة ومبارياتها في كثير من النقوش واللوحات القديمة في عصور ما قبل الاسرات. فقد ظهرت محفورة باتقان على لوحات من العاج ومقابض الخناجر التي ترجع الى عصر نقادة الاولى كما وجدت أمثلة منها محفورة على مقابض الاسلحة ولويحات الاوستراكا في مقابر الاسرة الأولى مما يدل على أنها استمرار لطرق واصول منظمة ظهرت قبل ذلك العصر بفترة طويلة.

وتعتبر المصارعة من أقدم أنواع الرياضة التي عاصرت رياضة الصيد في جميع مراحلها. وكانت موضع اهتمام خاص في الدولة القديمة. إذ كان يمارسها الشعب بجميع طبقاته، وكانت من الالعاب الرياضية التي تدرس في المدارس وتعقد لها المباريات في مختلف المناسبات الدينية والشعبية والأعياد القومية وتعد لها ساحات خاصة في الاسواق والميادين. وفي لوحات الدولة القديمة وجد كثير من الصور والنقوش التي تمثل أوضاع المصارعة التي كان يدرب عليها الاطفال والشباب من الصغر، وقد وضعت لها قواعد واصول وأشرف عليها معلمون ومدربون محترفون.

وقد سجلت إحدى اللوحات المنقوشة على جدران مقبرة الوزير بتاح حوتب (الاسرة الثالثة ٢٤٠٠ ق.م) مختلف أوضاع المصارعة التي يؤديها الصغار من الشباب ويشترك معهم ابن الوزير وتظهر الرسوم الاصول الفنية وبساطة أوضاعها التي وضعت لتلك المصارعة والتي تختلف عن اصول المصارعة وحركاتها التي وضعت لمختلف الاعمار والمستويات. وسجلت برديات ذلك العهد اهتمام أبناء الملوك والأمراء وتفاخرهم. باقتنائها والتفوق فيها في المباريات العامة كما كان هنالك مدرب خاص لابناء الملك خوفو يشترك معهم في التدريب أبناء الامراء وكبار رجال الدولة.

تحوي مقابر بني حسن (مقابر حكام اقليم الغزال-الاقليم السادس عشر من أقاليم الوجه القبلي) مجموعات قيمة من صور المصارعة وهي منحوتة في الصخر أو منقوشة على الجدران برسوم ملونة فوق طبقة من الملاط ومن أهم المقابر التي احتفظت بتلك النقوش مقبرة الحاكم اميني ومقبرة باقت ومقبرة خيتي التي تجمع بين المصارعة والتدريبات الرياضية العسكرية وتشرح صور المصارعة في مقبرة اميني الكثير من أوضاعها



مباريات المصارعة – عهد ما قبل الاسرات – حفر على مقبض خنجر من العاج ٤٠٠٠ق.م.

وتفاصيل حركاتها الفنية التي كان يؤديها خبراء ذوو مران. وتشير برديات ذلك العصر إلى انه كان بينهم محترفون يتكسبون من مبارياتهم وعرض العابهم وكانت هناك القاب خاصة للمحترفين والمدربين كما كان لرياضة المصارعة وأبطالها رعاية خاصة من امراء الاقاليم الذين كانوا يجدون متعة كبيرة في مراقبة تمريناتهم الرياضية. وكان لكل اقليم فريق خاص يعتز به ويشترك به في المباريات العامة والدورية بين الأقاليم.

وفي احدى لوحات مقابر بني حسن رسم المصور المصري القديم ٢٢٠ وضعاً مختلفاً من اوضاع المصارعة تشرح قواعدها واصولها وتقاليدها وتشرح بعض الرسوم كيفية بداية المباراة عندما يواجه كل من الخصمين زميله ويتمهل في الهجوم حتى يفرغ خصمه من عقد حزامه حول خصره ثم تبدأ المباراة باشارة متبادلة من كليهما وتبدأ المباراة هادئة ومنظمة وتتطور الى العنف بعد أن يدرس كل منهما خصمه بدقة.

وفي الدولة الحديثة (١٥٧٠–١١٥٠ق.م) دخلت المصارعة مرحلة أخرى بعدما أصبحت من التدريبات العسكرية التقليدية وظهر ما اطلق عليه المصارعة المسلحة والتي تشبه الى حد كبير تدريبات فرق الفدائيين. وكانت تقام لها مباريات خاصة في المناسبات العسكرية القومية وأعياد النصر الحربي وفي الحفلات التي كانت تقام خاصة عند تلقي الجزية من المستعمرات المصرية في عهد الامبراطورية.

كما كان يشترك في المباريات ضباط من الأجانب والمصارعين من الاسرى الذين كان يكافئهم فرعون بتحريرهم والافراج عنهم اذا انتصروا في المباريات. كما كانت تظهر فرق المبارزة من المحترفين والمدنيين بفرقهم الخاصة لمباراة العسكريين.

وبدراسة المباريات الرياضية في الدولة الحديثة نجد انها وضعت اسس المباريات العالمية في الرياضة حيث كانت تقام المباريات في بلاط رعمسيس الثاني وتظهر فيها جنسيات مختلفة من المتبارين وكانت تغطي رؤوسهم وأذقانهم احزمة من الجلد ويظهر الفريق المنتصر وهو يتقدم لتقبل التهنئة والهدايا من الملك. وكان الأمراء والنبلاء يتنافسون في الاشتراك في تلك المباريات لاظهار مهارتهم ومقدرتهم أمام الملك.

وكما كان لبداية المصارعة تقاليدها التي صورتها نقوش الدولة الوسطى فقد ظهر تقليد جديد في الدولة الحديثة إذ كانت المباراة تبدأ بأن يشد كل لاعب على يد منافسه بيسراه ويجذب عنقه بيمناه وهو تقليد يهدف به اللاعب إلى اختبار بأس خصمه. كما كان يشترط للفوز أن يجبر المغلوب على أن يلمس الارض بثلاث نقط كاليدين والركبة والاكتاف ويتساوى أن تمدد المغلوب على بطنه أو على ظهره.

ومما يلفت النظر أن تلك الاشتراطات تعتبر من اصول القواعد التي تخضع لها مختلف العاب المصارعة في العصر الحديث ●

قبل ٢٥ سنة
تموز (يوليو) ١٩٥٤

إعداد : إيمان نويهض

١ ، تموز (يوليو) :

● الصاغ صلاح سالم ، وزير الإرشاد القومي في مصر ، يواصل اتصالاته السياسية مع المسؤولين اللبنانيين .

٢ ، تموز :

● الحاكم العام الفرنسي في تونس يستدعي الاحتياطي في تونس بعد ازدياد موجة العنف المضادة للفرنسيين ؛ بينما يطلب الحاكم العام الفرنسي في مراكش من الشعب المغربي العودة إلى الهدوء والابتعاد عن العنف بعد اغتيال أحد الصحفيين الفرنسيين في مراكش .


● الملك حسين

٥ ، تموز :

● الملك حسين ، ملك الأردن ، يبعث برسائل إلى الملوك والرؤساء العرب طالباً دعم الأردن ضد إسرائيل ؛ وذلك بعد توتر استمر عدة أيام في أحياء القدس وتدخل لجنة الهدنة المشتركة لوقف إطلاق النار .

٦ ، تموز :

● أريك جونستون ، المبعوث الأميركي الخاص إلى الشرق الأوسط ، يعلن بعد عودته إلى الولايات المتحدة أن الأردن وسوريا ولبنان واسرائيل مستعدة لاقتسام مياه نهر الأردن .

٨ ، تموز :

● بعد نزول ثلاث فرق عسكرية في تونس واستقالة حكومة التسع عشرة سنة أمام الانتفاضة الشعبية ، الاحتلال الفرنسي يسعى إلى تأليف حكومة عسكرية برئاسة فرنسي بعد تعذر الحصول على شخصية تونسية تقبل المنصب .

● رئيس الوزراء اللبناني عبد الله اليافي يبدأ اتصالاته السياسية في القاهرة .

٩ ، تموز :

● الأردن وسوريا يعلنان فتح قنصلية لكل منهما في عاصمة الآخر .

● الصاغ صلاح سالم يصل إلى اليمن ويتفق مع إمامها على ضرورة تغليب المصلحة العربية على أي اتفاق مع دولة غربية .

١٠ ، تموز :

● افتتاح أول مؤتمر سياحي عربي في الاسكندرية .

● الحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور الجديد يقترح :

١ - العودة إلى معاهدة باردو المعقودة سنة ١٨٨١ والتي تعطي فرنسا حق التمثيل الدبلوماسي وإقامة القواعد العسكرية في تونس .
٢ - إلغاء معاهدة ١٨٨٤ التي تشترط الموافقة الفرنسية على كل قرار تونسي .
٣ - إعلان صريح من الفرنسيين يتضمن حق التونسيين في حكومة مستقلة .

١٣ ، تموز :

● إضراب في مراكش ضد الإجراءات الانتقامية التي يقوم بها الاحتلال الفرنسي .

١٤ ، تموز :

● حكومة عبدالله اليافي اللبنانية تنال ثقة المجلس النيابي مجدداً.

١٥ ، تموز :

● الأمير عبدالإله ، ولي العهد العراقي ، يصل بيروت تلبية لدعوة رسمية.


ايزنهاور

● بعد عودة المفاوضات البريطانية المصرية حول السويس ، الرئيس الأميركي ايزنهاور يعلن في رسالة للرئيس المصري محمد نجيب استعداد الولايات المتحدة لدعم مصر اقتصادياً وعسكرياً بعد الاتفاق حول السويس.

١٧ ، تموز :

● الولايات المتحدة ترحب باتفاق حول القناة يعقبه دخول مصر في «حلف للدفاع عن الشرق الأوسط». ولكن مصر رفضت فيا بعد الدخول في أي حلف واختارت سياسة عدم الانحياز.

١٩ ، تموز :

● بعد اتهامات يمنية متكررة باختراق سلاح الجو البريطاني الأجواء اليمنية عدة مرات ردّت الخارجية البريطانية على هذه الاتهامات بعنف متهمة اليمن بدعم الثورة في عدن.

٢٠ ، تموز :

● مباحثات مصرية – سعودية في القاهرة تؤكد على ضرورة توحيد الجيوش العربية وخاصة على صعيدي التدريب والتسليح.

٢٢ ، تموز :

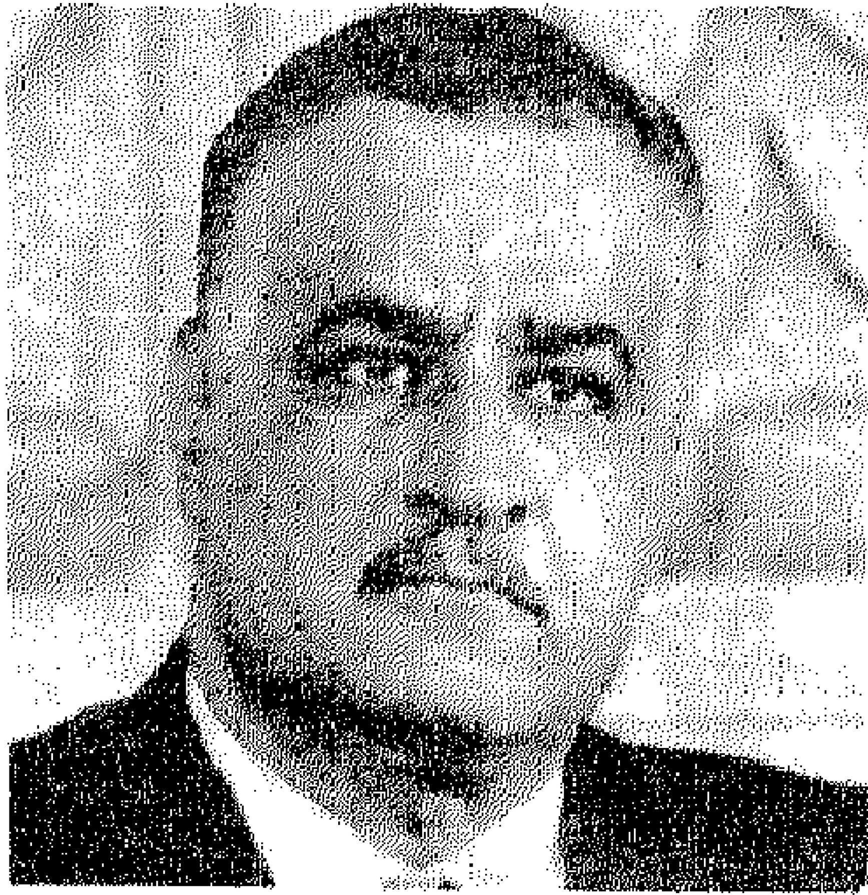
● عشية الذكرى الثانية لثورة ٢٣ يوليو رئيس الوزراء المصري جمال عبدالناصر يتهم اسرائيل بعرقلة قرارات الأمم المتحدة ودفع المنطقة إلى حافة الانفجار.

٢٣ ، تموز :

● احتفالات الذكرى الثانية لثورة ٢٣ يوليو تعمّ مصر. والقاهرة تشترط بياناً عراقياً يؤكد عدم الدخول في أحلاف دولية للموافقة على مؤتمر قمة عربي.

٢٦ ، تموز :

● افتتاح البرلمان العراقي الجديد بخطاب للعرش ألقاه الملك فيصل الثاني أكّد فيه قبول نوري السعيد تأليف حكومة جديدة ، بينما أعلنت الجبهة الوطنية في العراق تأليف تكتل نيابي مؤمن بتحرير فلسطين ورافض لدخول العراق في أي حلف غربي.


● جمال عبدالناصر.

٢٧ ، تموز :

● التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق الجلاء عن قناة السويس : جمال عبدالناصر عن الجانب المصري ، ووزير الحربية البريطاني انطوني هيد عن الجانب البريطاني. مدة المعاهدة ٧ سنوات تشمل انسحاب ٨٠ ألف جندي بريطاني عن السويس وإبقاء مشرفين بريطانيين مع العمال المصريين مع حق بريطانيا بالعودة إلى قاعدتها في حالة تعرض تركيا أو أية دولة عربية لهجوم عسكري.

٣١ ، تموز :

● رئيس الوزراء الفرنسي يبلغ الباي التونسي استعداد دولته للتخلي عن الحكومة الداخلية مع الاحتفاظ بحقيبتي الدفاع والخارجية.

● بعد يومين من التظاهرات الدامية والاضرابات في بيروت وصيدا : الجيش اللبناني يعود إلى ثكناته والهدوء يعمّ بيروت.

الهند

مات الأمير .. فروى أخوه القصة لأمه .. بالشطرنج

محمد مراد بكر



● مهما اختلفت الروايات والاساطير، فهناك أكثر من دليل على أن هذه اللعبة ترجع في نسبها إلى الهند. وقد ذكرنا في مقال سابق ما كتب عن الصين في هذا المضمار واشرنا إلى أن بعض المراجع الصينية كانت تشر تشير ياناً إلى أن اصل هذه اللعبة هو الهند وان ما وجد في الصين لم يكن سوى العاب تشبه الشطرنج. في الادب الهندي القديم وصفت لعبة تدعى الشاطورنجا. تشبه كثيراً الشطرنج المعروف حالياً، ولعل قصيدة «بانا» في القرن السابع الميلادي هي اقدم مخطوطة تذكر شيئاً عن الشاطورنجا. وهناك قصيدة اخرى لروتناكارا في كشمير وكتاب «هالا يودها» في القرن العاشر الذي يصف في فصل من فصوله الشاطورنجا وخاناتها الاربع والستين.

اجمل الاساطير واغزرها ذكرتها الشاهنامة للفردوسي كما اعاد ذكر بعضها المسعودي في كتابه مروج الذهب وسنعود إلى ما ذكره المسعودي وما كتبته الشاهنامة حول هذا الموضوع لنشير الآن إلى منسوخة عن الشطرنج كتبت على ما يظهر في عهد تيمور او بعده بقليل، وتحتفظ بها الجمعية الآسيوية في لندن.

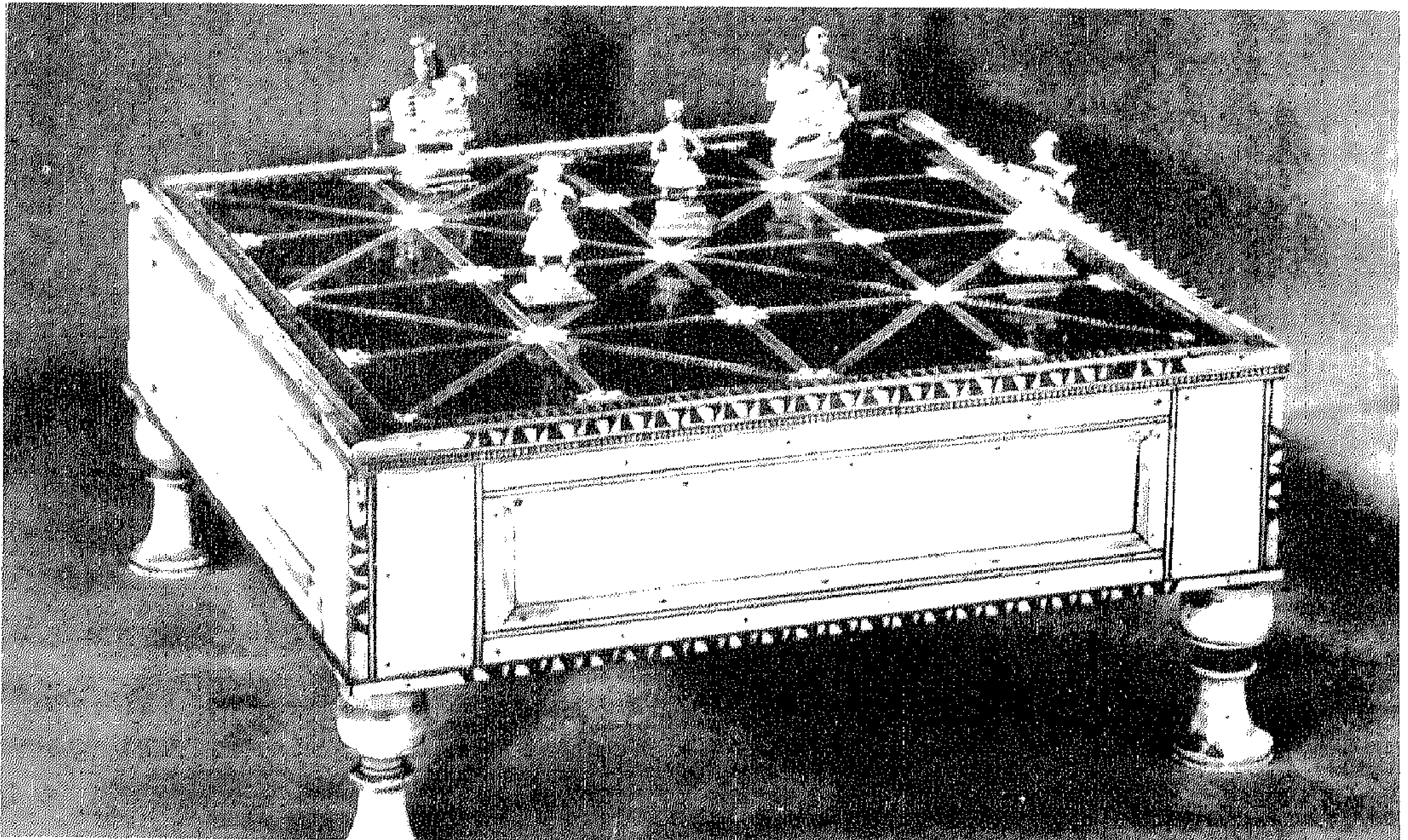
كاتب هذه المنسوخة مجهول وهو يروي فيها ثلاث قصص عن اصل الشطرنج ويحدد ساساً او صصه لا كمخترع لهذه اللعبة انما كواحد من الذين عدلوا في الشطرنج.

الشطرنج بعد الحرب:

القصة الاولى هي عن ملك هندي يدعى قايد، اصابه الملل بعد عدة معارك قهر بها اعداءه ونزع بها من انفسهم شهوة التحرش به، فنعم شعبه بالسلام والطمأنينة، هذا الهدوء اغرقه في سأم ازعجه واقض مضجعه، فدعا وزيره صصه ابن داهير ليجد له شيئاً يرفه عنه ويسليه، فقام صصه باختصار لعبة الشطرنج وقدمها لمليكه يملأ بها فراغه، فتعلمها الملك بسرعة واخذ يمارسها بانتظام بلذة ابعدت عنه سأمه، فطلب من وزيره أن يحدد المكافأة التي يريد، فقال له صصه يكفيني من الدراهم الفضية ما تملأ به خانات الشطرنج على الشكل التالي، درهم في الخانة الاولى واثنان في الثانية، اربعة في الثالثة وثمانية في الرابعة وهكذا يضاعف المبلغ في كل خانة إلى أن نصل إلى الخانة الرابعة والستين، ولكن المبلغ الحاصل كان من الضخامة بحيث تعذر تلبيته، عند ذلك رفض الوزير العاقل الهدية مفضلاً الحكمة على الغنى ورضا الملك عن أية هدية.

وفي قصته الثانية يقول: عندما توفي الملك فور ورث العرش ابنه الوحيد، وكان يافعاً قليل الخبرة لا يعرف شيئاً من فنون الحرب، فطمع به جيرانه من الملوك واستعدوا لمعركة يقتسمون بها مملكته، فما كان من المليك الشاب الا أن جمع حكماء المملكة طالباً منهم ارشاده، فهو يرى ان لا بد من رفع الحسام بوجه اعدائه، ولكن انى له أن يستطيع قيادة جيشه وهو الذي لم يشترك مرة في معركة ولا يعرف كيف تكون الحرب. وكان صصه بن داهير الوزير الاول في البلاط يتقن الشاطورنجا فأخذ يستنبط منها لعبة مختصرة يسهل تعلمها. ثم قام إلى مجلس مليكه حاملاً معه الشطرنج واخذ يشرح له مبادئها: هذه يا سيدي لعبة الحرب، وهكذا توضع الخطط، ولم يزل حتى اتقنها المليك الشاب، فأقدم على قيادة جيشه ولم يعد الا وقد تغلب على جميع اعدائه، وما أن استقر به المقام في مملكته حتى عاد يقضي بقية حياته إلى جانب الشطرنج الذي انقذ له شرفه وشرف شعبه.

قصته الثالثة رويت بتفصيل اكثر في الشاهنامة لأبي القاسم الفردوسي. والشاهنامة هي قصيدة تحوي مائة وعشرين الف بيت من الشعر الفارسي، ترجمها نثرا الفتح بن علي البنداري وقارنها بالأصل الفارسي واكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام.



الشاطورنجا: اللعبة كما بدأت في الهند.

جاء في الجزء الثاني من الطبعة الأولى الصادرة سنة ١٩٣٢ من الصفحة ١٤٧ إلى ١٥٤ ما يلي عن الشطرنج ننقله بحرفيته مع تعليق الدكتور عزام.

حرب الأخوين

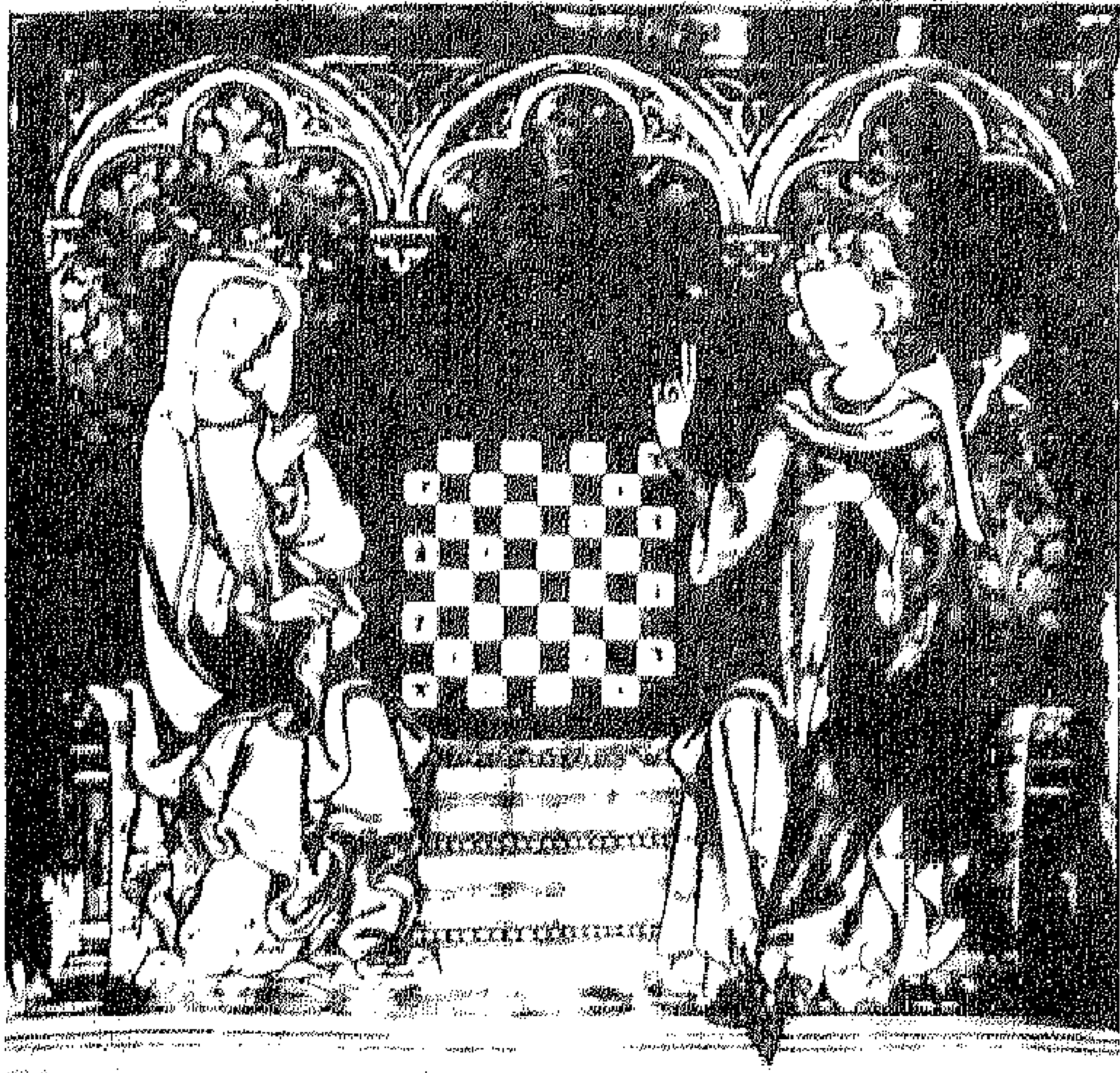
كان في بلاد الهند في ذلك الزمان ملك يسمى جمهور. وكان له الأمر على تلك الممالك من حد كشمير إلى ارض الصين. وكانت مدينة سندلي دار ملكه ومستقر جنوده ومخبأ خزانته. وكانت له زوجة من بنات الملوك موصوفة بالرأي والعقل. فرزق منها ولداً سماه كوا (وفي مكان آخر دعاه غو)، فمات الملك بعد ولادة هذا الابن عن قريب واوصى إلى زوجته. فاجتمعت الجنود عليها وبقيت تنهي وتأمر. وكان لزوجها اخ اسمه ماي وكان يسكن مدينة زنبر. فقدم وتزوج بزوجة اخيه، وقعد مقعده من سرير السلطنة، واجتمعت عليه العساكر. فكان يدبر امورهم ويسوس جمهورهم. فرزق منها ابناً وسماه طلخند. فمات بعد سنتين من ولادة هذا الصبي. فاجتمعت العساكر واتفقت كلمتهم على تقديم زوجة الملك والرضا بسلطنتها. فأرسلوا اليها واشاروا عليها بأن تتقلد الأمر وتقوم بالملك وكفالة الولدين إلى أن يصلح احدهما للتقدم والسلطنة. وكان احد الولدين ابن سبع سنين والآخر ابن سنتين.

(ونوجز القصة هنا نظراً لعدم علاقتها بالموضوع).

كبر الولدان وكان كل منهما يطمع بالملك، ولم يرض طلخند أن يبايع اخاه الأكبر، فدبت بينهما عقارب الشحناء يغذيها اهل النفاق فوقعت الحرب بينهما، وتغلب رجال غو فتفرق اصحاب طلخند، ولما وجد الأخير نفسه وحيداً في المعركة فاضت روحه من الاسف والهم. فنقله اخوه بتابوت من العاج إلى دار ملكه.

(ونعود هنا إلى نص الشاهنامة).

وكانت امها مضطربة تنتظر ما تسفر عنه تلك الوقعة ترجف احشاؤها وتضطرب فرائصها وقد ارصدت على المراقب ربايا حتى يأتوها بالخبر. فلما طلعت رايات غو وفقدت اعلام طلخند انهي اليها الخبر. فمزقت الثياب على نفسها واخذت في البكاء والعويل. ثم دخلت إلى ايوان طلخند، واحرقت جميع ما كان له من الاثواب والاسلحة، واوقدت ناراً عظيمة وعزمت على أن تلقي نفسها فيها، على آيين الهنود ورسمهم. فلما اعلم غو بذلك، تقدم راكضاً حتى اتاها فأمسكها



وضمها إلى صدره، واخذ يسليها ويعزيها ويخبر أنه لم يباشر قتل اخيه ولا احد من اصحابه وذويه، وانه لم يمت الا حتف انفه. فلم تصدقه امه على ذلك واخذت تعنفه وتوبخه. فحلف لها على ذلك بالايمان المغلظة. ثم قال لها: ان كذبتني فيما اقول احرقت نفسي. وعزم على ذلك فرقت امه وقالت: اذا كان الأمر على ما ذكرت فأبن لي ما جرى في هذه الوقعة، وكيف كان موت طلخند، فلعلي اتسلى بذلك فينجلي عني بعض ما بي من الهم والحزن والجزع والأسف. فانصرف غو إلى ايوانه، واحضر وزيره وفاوضه فيما دار بينه وبين امه، وذكر له ما التمسته منه. فأخذا يتشاوران ويتفاوضان فقال الوزير: الرأي أن نجمع علماء الهند ونأمرهم باعمال الفكر في حكاية صورة المعترك بما اشتمل عليه من العساكر والحفائر، وكيفية موت الشاه طلخند. فبثوا الرسل في بلاد الهند وجمعوا العلماء عند الملك فاوقفوهم على صورة المعترك وما جرى فيه. فخلوا وباتوا ليلتهم في ذلك الفكر حتى اصبحوا. فاستحضروا الابنوس وعملوا تختاً، وصوروا فيه مائة بيت. ثم عملوا من الساج والعاج صورة شاهين معتصبين بالتاج مع جنودهما وخيولهما وفيولهما. ثم صفوها صفوفاً فجعلوا كل واحد من الشاهين في قلب عسكره وعلى يمينه وزيره، وإلى جانب كل واحد منهما من الميمنة والميسرة فيلان يتنقلان في ثلاثة بيوت. وجعلوا دون الفيلين جملين عليهما راكبان ودونهما فرسين عليهما فارسان، ودون الفرسين رخين كأنهما مبارزان يركضان يمنة ويسرة، لا يقف

قدامها احد. ورتبوا الرجال مصطفين امام الكل. ومهما انتهى واحد منهم إلى آخر المعترك صار في مرتبة الوزير، يقعد بجانب الشاه ويختلف بين يديه. ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين اذا رأى الشاه في بيت صاح واشار اليه بالاحجام والتنحي من ذلك البيت. ثم أن احد المعسكرين غلبوا فسدوا الطريق على الشاه فنظر فرأى عساكر العدو قد احاطوا به من كل جانب، وسدوا عليه كل مسلك فمات من الهم والاسف ما بين المعترك.

قال فكانت ام طلخند تشاهد الشطرنج يلعب به عندها فتتعرف احوال ذلك المعترك الذي جرى فيه على ولدها ما جرى. ولم يزل ذلك دأبها إلى أن قضت نحبها.

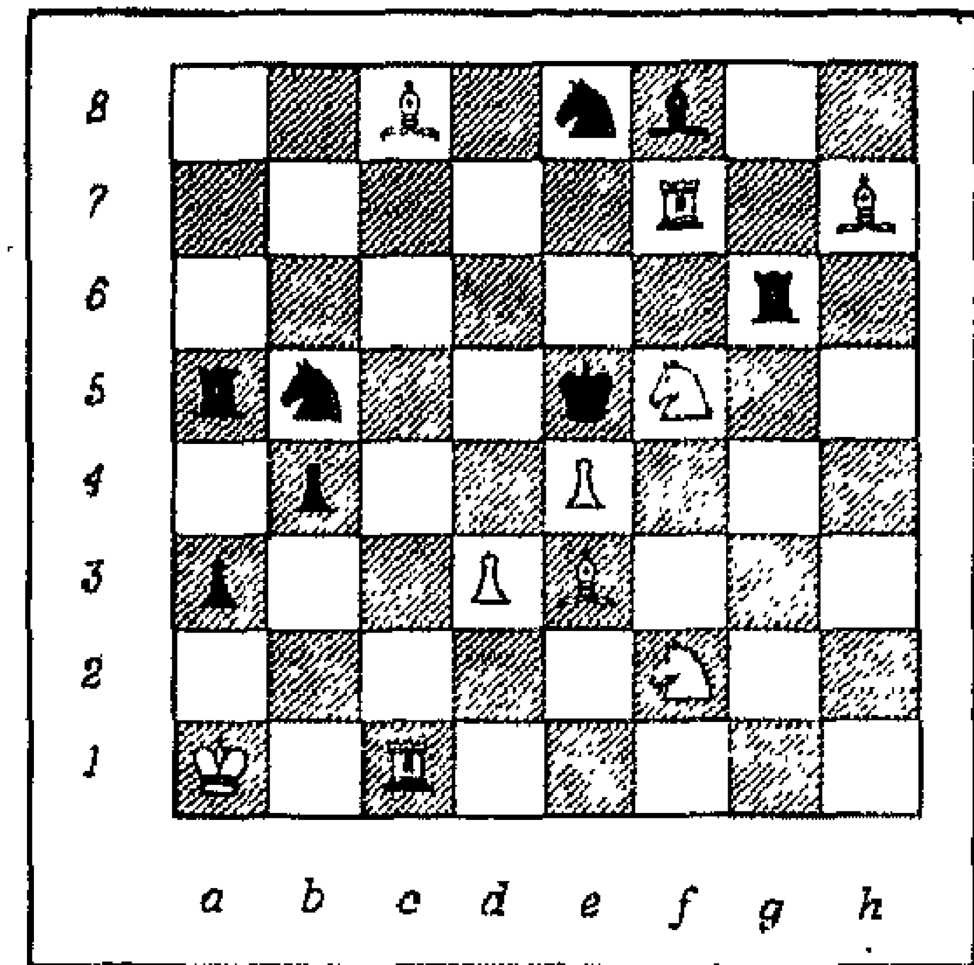
ويعلق الدكتور عزام فيقول:

اختلفت اساطير الأمم في الشطرنج فنسب إلى امم كثيرة والى اناس عديدين. وكذلك كثر جدال الباحثين.

وارجح الآراء فيما يظهر أن مهد الشطرنج الهند. ومهما يكن منشأه فلا خلاف أن العرب اخذوه عن الفرس وان الفرس اخذوه مرة عن الهند. واسمه العربي «شطرنج» محرف عن الفارسي جترنك، وهذا محرف عن السنسكريتي «جتورنكا» -كلمة تكررت في شعر قدماء الهند وصفا للجيش. وهي مركبة من «جتور» أي اربعة و«انكا» أي عضو، فمعناها اربعة اعضاء. ويراد بها اعضاء الجيش. وهي عندهم الخيل والفيلة والعجلات والرجالة. والشاه في وسط الشطرنج وقصته تقارب كتاباً فهلوياً اسمه «جترنك نامك» يظن انه كتب في القرن السابع الميلادي. ويذكر ملك الهند فيه باسم دوسرام (بكسر الدال وفتح الواو). وفيه ان بزرجمهر فطن اللعب بالشطرنج ولاعب رسول الهند فغلبه اثنتي عشرة مرة ولاً... (أي بالتتابع).

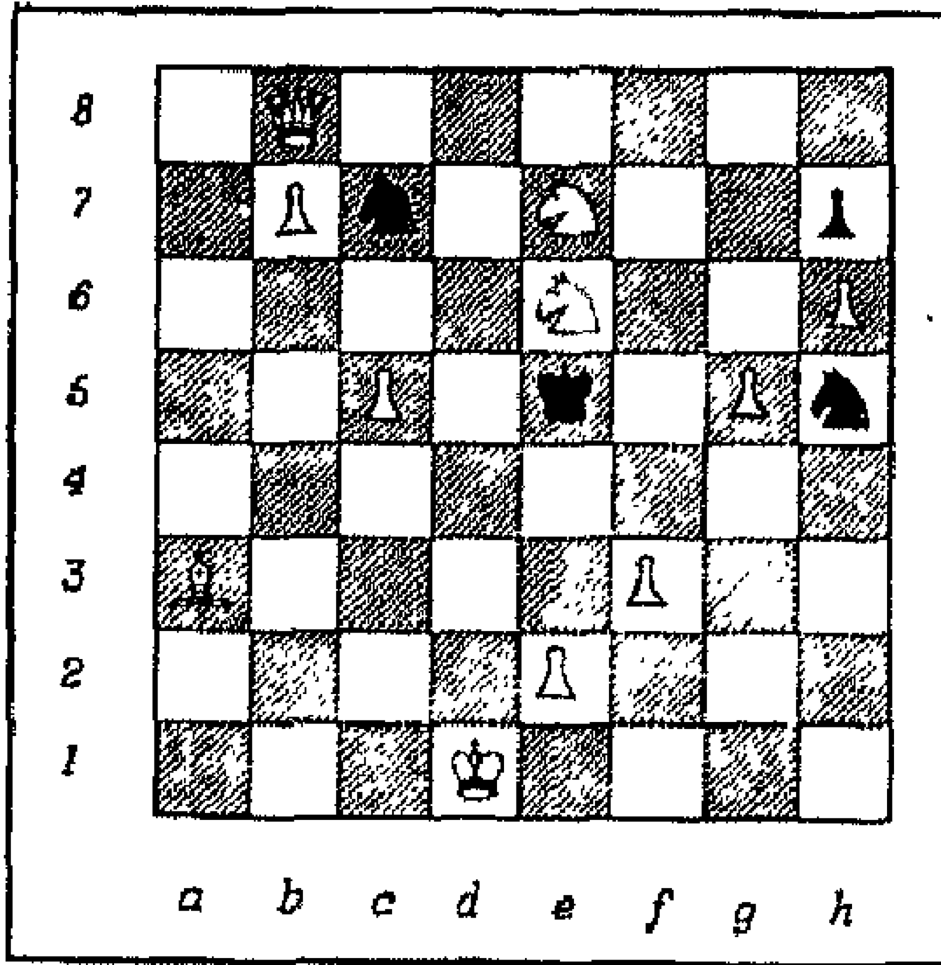
وهنا يروي الفردوسي قصة ثانية لا تقل اهمية عن الاولى ونترك سردها مع ما كتبه المسعودي ورواه البستاني إلى العدد المقبل.

مسابقة الشطرنج رقم ٩



المسألة رقم ١٧
مات بنقلتين

المسألة رقم ١٨ مات بثلاث نقلات



حل المسابقة رقم ٧:

المسألة رقم ١٣: المفتاح TXç5

المسألة رقم ١٤: المفتاح Da2

يهدد الابيض ب 2.DXç4

امام الاسود ثلاث امكانات:

الاولى: **1 — Da2 Rxe5**
2 — Dh2 +

الثانية: **1 — Da2** Cç7
2 — Dg2

الثالثة: **1 — Da2** Fç6
2 — CXç4

نتائج مسابقة العدد السابع.

رغم ازدياد عدد المشتركين في هذه المسابقة، لم يتوصل احدهم إلى كل المسائل باستثناء الآنسة ندى عتال - ببروت - لبنان التي استحقت الجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية. والآنسة عتال لم تذكر عنوانها الكامل في الرسالة فنرجو منها الاتصال برئاسة التحرير لاستلام جائزتها.

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

ميشال سطفان

● إلحاقاً بما كتبنا في العدد السابق عن اليمن وتاريخه من نحو ٧٠٠ سنة قبل الميلاد إلى أن دخلتها القوات المصرية سنة ١٨٣٨، نضيف المعلومات التالية: احتلت السلطات البريطانية مقاطعة عدن سنة ١٨٣٩ بحجة تموين بواخرها بالمياه، وسُمِّيت بمحمية عدن ثم استعمرتها رسمياً سنة ١٩٣٧ ولم تتركها إلا في سنة ١٩٦٧ على أثر الثورة الشعبية المعروفة، وانشاء الجمهورية.

هذه الجمهورية الفتية هي جزء من اليمن القديم الذي اشتهر في عهد المملكة السبئية في القرن الثاني قبل الميلاد، وازدهرت تجارته بعد استعمال مضيق باب المندب.

أعلن استقلالها في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٧ بعد قتال عنيف بين جبهة تحرير جنوب اليمن والجبهة الوطنية للتحرير من جهة وسلطات الاحتلال البريطانية من جهة أخرى، التي كانت قد وعدت بالاستقلال سنة ١٩٦٤ شرط ابقاء قاعدة عسكرية لها هناك، ثم اخذت بالمماطلة.

قبل ان تكون هذه البلاد جمهورية مستقلة كانت معروفة منذ سنة ١٩٦٣ باتحاد الجنوب العربي وتتألف من ٢٠ ولاية وسلطنة ومشيخة بايعاز من الحكومة البريطانية لكي يبقى نفوذها بهذه التفرقة مستحكماً، وهي: مقاطعة عدن، وسلطنة لحج، والعوذلي، والعوقلي العليا الأولى، والعوقلي السفلى الثالثة، والفضلي، والحوشي، ويافع السفلى الأولى، والواحدي، وإمارات الضالع، وبيحان، ومشيخات العلوي، والعقربي، والعولقي العليا الثانية، والمفلحي، وشعيب، وولاية دثينا، وجزر البريم، وقمران، وكوريا موريا.

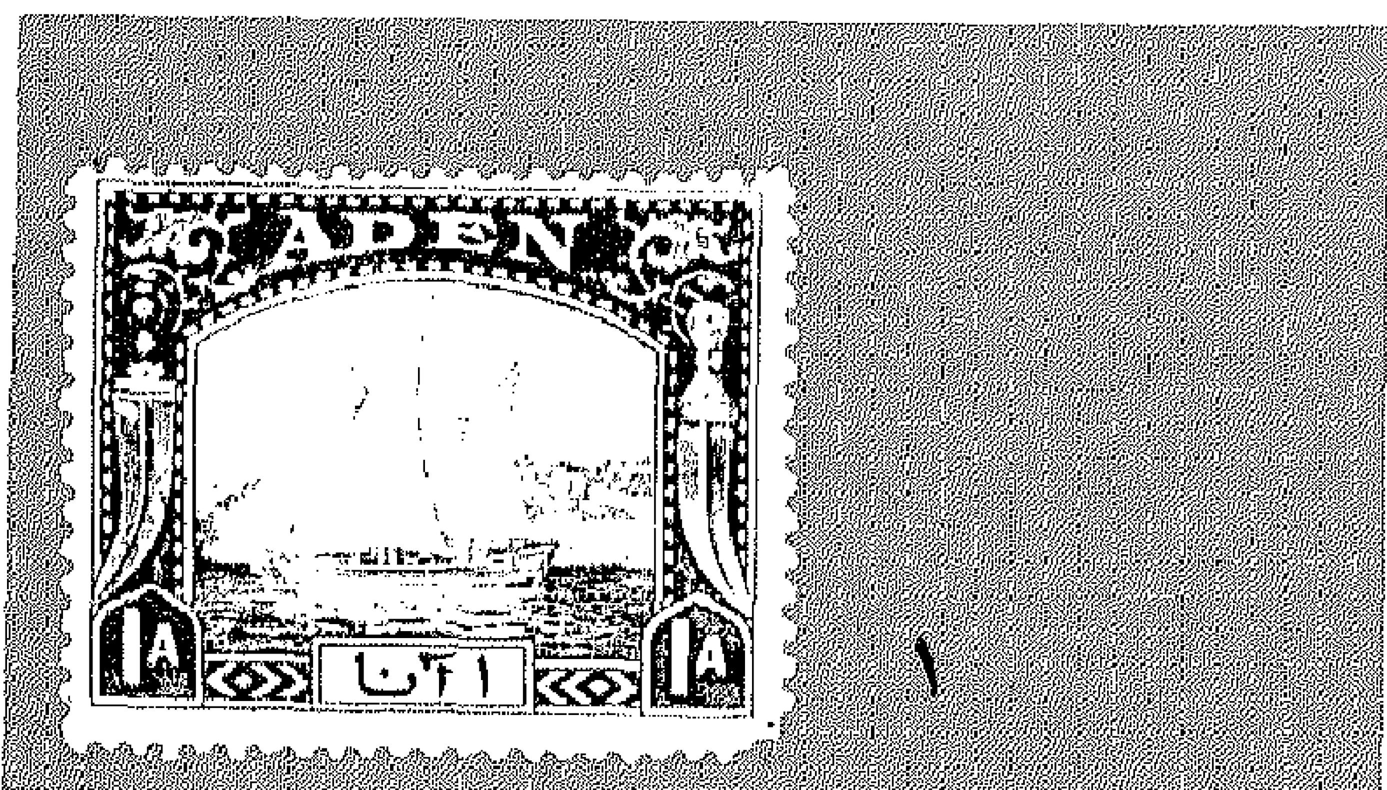
يضاف إلى ذلك سلطنة يافع العليا الثانية، والقعيطي (الشحر والمكلا)، والكثيري (سيون)، وسلطنة مهرا (القشن واسقطرى)، التي لم تكن جزءاً من الاتحاد.

اعلنت هذه الجمهورية سنة ١٩٦٧ باسم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وفي ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٠، اتخذت اسماً جديداً هو «جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية» وبقيت عاصمتها عدن.

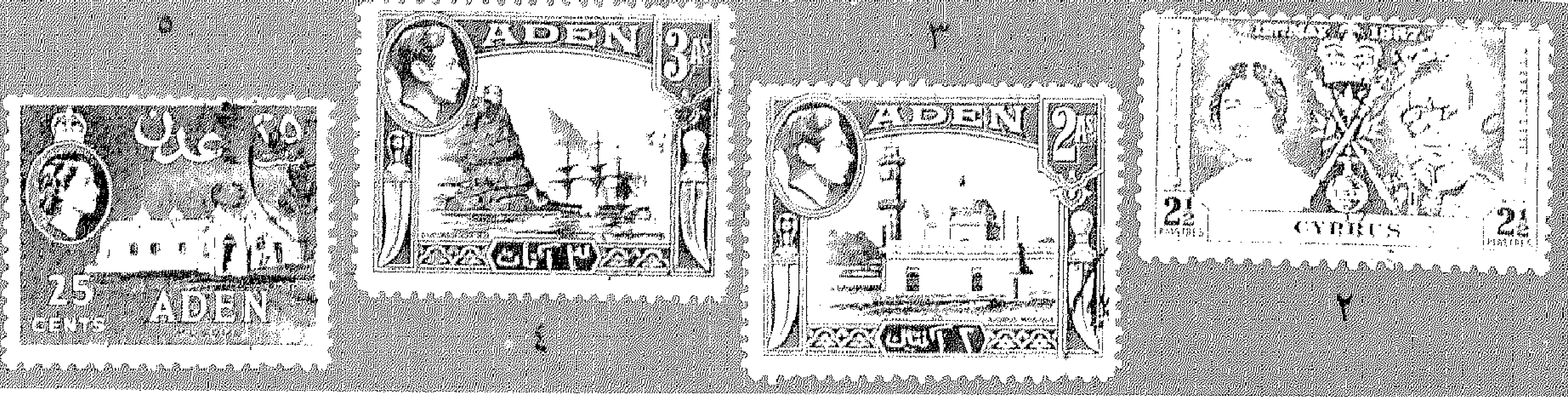
وفي ٢٨ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٧٢، صار التوقيع على اتفاقية بين ممثلين عنها وعن الجمهورية العربية اليمنية لاتحاد البلدين فيما بينهما خلال سنة، ولكن للأسف لم يتم هذا الاتحاد.

تاريخ الطوابع:

منذ احتلال القوات البريطانية عدن سنة ١٨٣٩ ولتاريخ جعلها محمية سنة ١٩٣٧، لم يكن هناك طوابع خاصة بها، بل كانت تستعمل الطوابع الهندية البريطانية كما كانت تُسمَّى آنذاك، وكانت تُعطَّل باختام خاصة تُميِّز بموجبها بلد الاستعمال. هذه الاختام كانت تحمل رقم (B22) أو (124, 125) مع كلمة (ADEN) أو بدونها، إلى ان اصدرت السلطات البريطانية الحاكمة في أول نيسان (إبريل) سنة ١٩٣٧ أول مجموعة مؤلفة من ١٢ طابعاً من فئة نصف آنة إلى ١٠ روبيات (صورة ١).



١



وفي ١٢ أيار (مايو) من السنة نفسها صدرت مجموعة من ثلاثة طوابع لمناسبة تتويج الملك جورج السادس بالشكل الذي استعمل لهذه المناسبة في جميع المستعمرات البريطانية (صورة ٢)، ثم صدرت بتاريخ ١٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٩ أول مجموعة بصور مختلفة للمنطقة مع رسم الملك جورج السادس في الزاوية العليا (صورة ٣و٤) مؤلفة من ١٣ طابعاً، ثم الحقت بها مجموعات تذكارية مختلفة: النصر، واليوبيل الفضي للزواج الملكي، والذكرى الخامسة والسبعين عاماً لاتحاد البريد العالمي، وللزيارة الملكية للمستعمرات، وذكرى الدستور المعدّل، والتحرر مع الجوع، أسوة بجميع المستعمرات التي أصدرت مثل هذه المجموعات. وهناك مجموعتان عاديتان تحملان رسم الملكة اليزابيت (صورة نموذج واحد-٥).

وأما آخر إصدار فبتاريخ ٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٦٤، ثم سُحبت جميع طوابع عدن من الاستعمال بتاريخ ٣١ آذار (مارس) سنة ١٩٦٥ لتحلّ محلها طوابع اتحاد الجنوب العربي.

طوابع اتحاد الجنوب العربي:

أول مجموعة كانت للذكرى المئوية للصليب الأحمر الدولي صدرت في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٣، وبما انه كتب عليها:

"FEDERATION OF SOUTH ARABIA"

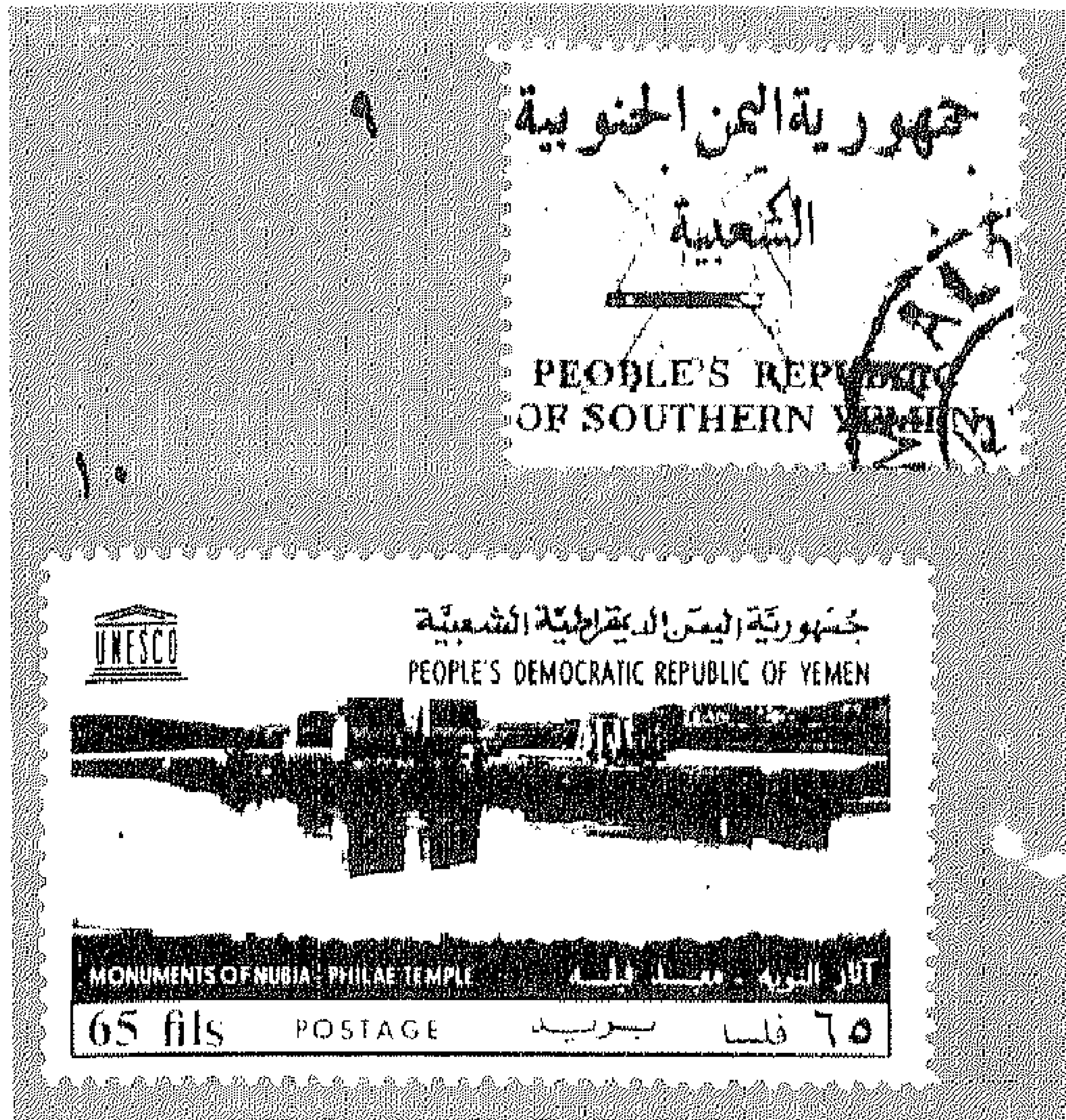
(صورة ٦)، فقد صُنِّفت مع طوابع الاتحاد. ثم صدرت مجموعة خاصة بالاتحاد في اول نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ مؤلفة من ١٤ طابعاً وبالعملة المحلية الجديدة وهي بالفلس والدينار (١٠٠٠ فلس يساوي دينار)، وكانت من فئة ٥ فلوس إلى ٥٠٠ فلس وطابع أخير بدينار واحد. (صورة ٧و٨).

ثم الحقت بها مجموعات تذكارية مشابهة أيضاً لمجموعات المستعمرات البريطانية، وهي: السنة العالمية للتعاون، وتخليداً لذكرى تشرشل، وكأس العالم لكرة القدم، وتدشين المركز الرئيسي العالمي للصحة، وكان آخرها للذكرى العشرين لليونسكو التي صدرت في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٦٦. وخلال شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٦٨ ظهرت طوابع وغلافات تحمل طوابع من أول مجموعة عادية لاتحاد الجنوب العربي المعروفة، موشحة باليد بموجب ختم مطاط بشكل سطرين طولها ٤٤ مليمتر ليغطي اسم الاتحاد الموجود على الطابع كما ان طوابع تذكارية مختلفة لسنة ١٩٦٨ ظهرت موشحة باليد بختم مطاط ومكتوب عليه باللغتين «جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية»، وقد أصبحت هذه الطوابع والغلافات ثمينة لأن عدد الصادر منها غير معروف.



وفي أول نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٨ صدرت أول مجموعة موشحة «جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية» وبالانكليزية، على مجموعة اتحاد الجنوب العربي العادية لسنة ١٩٦٥ المؤلفة من ١٤ طابعاً من فئة ٥ فلوس إلى دينار واحد، (صورة ٩)، ثم تلتها ١٩ مجموعة تذكارية مختلفة حتى آخر سنة ١٩٧٠.

وفي أول شباط (فبراير) سنة ١٩٧١ وكان قد تغير اسم الجمهورية في السنة السابقة كما ذكرنا، صدرت أول مجموعة تذكارية لمناسبة إنقاذ معبد فيله في النوبة مؤلفة من ثلاثة طوابع، (صورة ١٠)، تلتها مجموعة تقديم أول دستور للبلاد مؤلفة من أربعة طوابع، والحقت بها إصدارات عدّة على هذا المنوال إلى يومنا هذا.



- اسئلة القراء -

السيد نبيل نقولا الدبس من ميناء طرابلس لبنان يقترح ان نعطي في زاوية الطوابع توضيحاً يساعد على معرفة الطوابع القيمة. فنجيبه ان هناك كتالوغات عالمية وبلغات مختلفة تصور جميع طوابع العالم ويعطى التوضيح اللازم عن كل منها. وقد اصبح وزن المجموعة السنوية من هذه الكتالوغات أكثر من خمس كيلوغرامات.

من هنا يتّضح صعوبة الاستجابة لهذا الاقتراح، الآ أننا على استعداد للافادة اذا تعلق الاقتراح بطوابع معينة أو ببلد معيَّن.

أما اقتراحات السيد نبيل الأخرى فقد اخذناها بعين الاعتبار وشكراً.

مسابقة العدد

افقياً :

(١) عاصمة بلد عربي – مؤسسة للتعليم العالي.
(٢) امارة سابقة في اليمن.
(٣) بلد في اليمن (معكوسة) ضمير متصل.
(٤) حيوان يضرب المثل بعقادة ذنبه.
(٥) حرف نصب – محفظة من جلد ونحوه (معكوسة).
(٦) جزيرة عربية – نصف موال.
(٧) مشيخة عربية – ذر الماء.
(٨) مضيق عربي (معكوسة).
(٩) اله – نربح.

عمودياً :

(١) امارة عربية (معكوسة) – لمح.
(٢) يدرس على البيدر (معكوسة) – حيوان مفترس.
(٣) بلد في سوريا – بلد في اليمن.
(٤) دولة عربية – نقدم الطعام (مبعثرة).
(٥) سلطنة في اليمن (معكوسة) – عملة عربية (معكوسة).
(٦) متشابهة – مدخلان.
(٧) وشى (معكوسة) – بحر (معكوسة) – بئر (معكوسة).
(٨) جزيرة عربية.
(٩) سلطنة في اليمن.

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
					■				١
■	■						■		٢
		■							٣
	■		■	■		■			٤
					■	■			٥
		■							٦
		■					■	■	٧
									٨
				■		■			٩

حل مسابقة العدد السابع :

افقياً :

(١) الملك خالد.
(٢) جبيل (معكوسة) – بلال.
(٣) خالد ظو (معكوسة).
(٤) ب – ويستهوي.
(٥) رمل – هـ – ر – ١.
(٦) الرياض.
(٧) محني – منى (معكوسة).
(٨) كل – أجم – اف.
(٩) ة – المدينة.

عامودياً :

(١) الخبر – مكة.
(٢) ايل (معكوسة) – م – حل.
(٣) مبلولان – ١.
(٤) يدجل (معكوسة) – ليال.
(٥) ك – سهر – حجم.
(٦) خبرة – دماي (معكوسة).
(٧) الظهران – ي.
(٨) لا – و – ضمان.
(٩) دل – يا – فة.

ملاحظة : يرجى من المشتركين بالمسابقة ان يكتبوا الحل بالكلمات المتصلة ولا يكتفوا برسم الاحرف على الشبكة. كما يرجى كتابة الاحرف المنفردة التي لا تدخل ضمن أية كلمة في السطر، كما هو مبين أعلاه في حل المسألة السابعة. وعدم الالتزام بهذين الامرين يعطي افضلية الربح لمن يلتزم.

قسيمة الطوابع

للطلاب فقط...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

● هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي . خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد أقصاه شهر بعد صدور العدد . أي في منتصف الشهر الذي يلي صدور العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

إذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

ماهي؟

● جريدة ثقافية اسبوعية كانت تصدر في مصر. انشئت ١٩٢٦ واحتجبت ١٩٣٣ واشترك فيها أئمة الفكر العصري أمثال علي عبد الرزاق ، طه حسين ، محمود عرفي ، عبد العزيز البشرى ، محمد حسين هيكل الذي ترأس تحريرها.

● مستعمرة بريطانية (مساحتها ٤٠٥ كيلومترات مربعة سكانها ٥٠٠٠٠ نسمة) تضم حوالي ٩٢ جزيرة بركانية في المحيط الهندي. على بعد ١٦٠٠ كلم من زنجبار. احتلها الفرنسيون في القرن ١٨ ، ثم تنازلوا عنها لبريطانيا ١٨١٤ . كانت منفى الوطنيين العرب أثناء الانتداب الانكليزي.

● شركة تجارة واستعمار. تأسست عام ١٦٢١ وتنظمت ١٦٢٣ . حصلت من جمهورية هولندا على حقوق احتكار التجارة بين القارتين الأوروبية والأميركية وأخذت على عاتقها مهمة التضييق على النفوذ البرتغالي والاسباني في العالم الجديد. قامت بتأسيس «نيو» (هولندا الجديدة). واحتكرت حق التجارة بين مدار السرطان ورأس الرجاء الصالح على الشاطئ الافريقي وبين مضائق ماجلان على الشاطئ الأميركي. تمتعت بسلطات كاملة في مجالها واسهمت في توسيع رقعة الاستعمار الهولندي. آلت ممتلكاتها إلى الحكومة الهولندية بعد تصفيتها.

من هو؟

● عضو بارز في البرلمان مهمته مراقبة نواب حزبه للتأكد من انهم يقترعون في البرلمان وفقاً لقرارات الحزب ويذكرهم بمواعيد جلسات البرلمان حتى لا يتخلفوا عن حضور ما يهم الحزب منها.

● أكبر أمراء الشهابية في لبنان. ولد بقرية غزير قرب بيروت. أقام في بيت الدين عند شيخ خلوة توسم فيه النجابة. اتصل بأحمد باشا الجزار والي صيدا. ولاه امارة لبنان (١٧٨٨ - ١٨٤٠) ولما قدم ابراهيم باشا من حملته على الشام آزره لمدة طويلة. ولما استعادت الأستانة حكم سورية قبض الانكليز عليه ونفوه إلى مالطة ١٨٤٠. وبعد سنة نقل إلى الأستانة وبروسية وعاد إلى الاستانة وتوفي فيها.

ما هــو؟

● الممر المائي والمصب الذي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات ويجري صوب الخليج العربي. يبدأ تحت بلدة القرنة العراقية ويبلغ طوله حوالي ١٢٠ ميلاً.

أجوبة مسابقة العدد السابع:

١ - مشروع مارشال ٢ - الكواكبي ٣ - جزر كومور (القمر) ٤ - دار مسالا.

الفائزون:

الأول: فاروق ناصر الدين. الكلية الوطنية بيروت، مائة ليرة لبنانية.

الثاني: حسام البدر. الرياض - المملكة العربية السعودية. اشتراك سنة في المجلة.

الثالث: سامر تكريتي. مدرسة معهد الحرية - دمشق - سوريا. اشتراك نصف سنة في المجلة.

وبما ان الأخ سامر قد سبق وربح الجائزة الثانية في العدد الثامن. فاننا قد استبدلنا بالاشتراك جائزة رمزية مقدارها ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها.

الجوائز هي

● الفائز الأول: مائة ليرة لبنانية.

● الفائز الثاني: اشتراك سنة في «تاريخ العرب والعالم»

● الفائز الثالث: اشتراك نصف سنة في المجلة.

سئل «فولتير» عن أعظم رجل في العالم فقال: انه اسحق نوتن... ولو ان فولتير قد سئل ايهما أنفع لابناء فرنسا كي يدرسوه وينقلوا مؤلفاته إلى لغتهم... شيكسبير مؤلف روميو وجولييت أم اسحق نيوتن صاحب مبدأ الجاذبية فقال فوراً: اسحق نيوتن.

سلامة موسى

اعرف نفسك واعرف عدوك ثم خض مائة معركة.. فسوف تنتصر فيها جميعاً.

قائد عسكري صيني

اذا كان في وسعك أن تحب ففي وسعك أن تفعل أي شيء.

تشيخوف

ان الهدف من الحياة هو الاحساس العنيف والشعور بأننا أحياء. ولو كان ذلك في خضم الآلام.

بيرون

البروج الفلكية

الحلقة السادسة من تاريخ البروج.

منى تنير

برج السرطان

٢٣ حزيران (يونيو) - ٢٣ تموز (يوليو)

● بغض النظر عن الطابع العلمي أو الأسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس، فان فيها مقداراً من العلم، كانت للعلماء العرب حصة فيه، أمثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وأبي الريحان البيروني. ولقد كان «لعلم التنجيم» بداية وتطور، حتى وصل إلينا. وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ. وفي ما يلي تاريخ برج السرطان:

يرمز الى برج السرطان بصورة الحيوان البحري «السلطعون». ومن المثير، لدى عودتنا الى التراث المصري القديم، أن نرى الرمز نفسه لبرج السرطان على لوحة الزودياك الموجودة على سقف بهو الأعمدة في معبد دندره، وهو معبد الاله الفرعوني «حتحور»، اله الجمال والحب والسعادة والكواكب. ويذكر أن هذه اللوحة الفريدة في أهميتها العلمية نقلت الى المكتبة العامة في باريس خلال الحملة الفرنسية وهي اليوم في متحف اللوفر.

أما الكلدانيون الأوائل فهم اعتقدوا أن برج السرطان هو «باب الرجال» الذي تخرج منه ارواحهم وبنزل الى الأرض لتتجسد في شكل مواليد تجدد. من هنا يعتبره بعض علماء التنجيم الفلكي في الوقت الحاضر بمثابة «برج الأمومة» في لوحة الزودياك (لوحة البروج الـ١٢).

أن مواليد برج السرطان عاطفيون ونشطون في الوقت نفسه الى حد انهم يبادرون الى تلبية مطالب المقربين اليهم بمجرد احساسهم بحاجة هؤلاء الى مثل هذه المطالب. اضافة الى ذلك فان لديهم شعوراً جامحاً بأهمية في توفير الحماية للغير عند الملمات. ولكن مع تغير حركة النجوم في بعض فصول السنة تتحول عاطفتهم المرهفة الى حساسية مفرطة والى نوع من الاشفاق على الذات، كما يتحول لطفهم ومداراتهم للغير الى توتر شديد يتجسد في شكل تصرفات وممارسات غير منطقية أحياناً. ومع ذلك فان هذا الوضع يبقى مؤقتاً الى حين تكيفهم مع الأجواء الجديدة الطارئة.

أنهم يدافعون عن مؤسسة العائلة ويجهدون للحفاظ على التضامن بين افراد العائلة من خلال إتصافهم بروح الأمومة (أو الأبوة) الحارة والصادقة الى أقصى حد. يظهرون للناس وكأنهم قساة وواثقون من أنفسهم. لكنهم في الواقع حساسون ومرهفون للغاية. وهم يتمتعون بذاكرة قويه وبسرعة الفهم وبسعة الخيال. يحاولون في تواضع ملحوظ أن لا يعارضوا آراء الغير وأن يتجنبوا فرض افكار غريبة أو جريئة. وعلى رغم كل هذه المظاهر فان مواليد برج السرطان يهوون روح التحدي والصراع ويبرعون فيه عند المحك. وهم يجدون أنفسهم مذنبين اذا ما افتقدوا الى من يتحدونه أو الى ما يقاومونه. من هنا لا عجب أن نجد في بعض رسوم الايطاليين في القرون الوسطى الأوروبية لوحة لاله الحرب «مارس» وعن يمينه رسم للسلطعون (رمز برج السرطان) وعن يساره رسم للكبش (رمز برج الحمل)، وهما اشارتان الى تلازم القوة مع العفو عند المقدرة.

استناداً الى أبحاث العلماء فان برج السرطان له تأثير مباشر في ناحيتين محددتين من الجسم البشري هما الصدر والمعدة.

من الشخصيات العالمية المشهورة في القديم والحديث والتي ولدت في برج السرطان، نذكر:

الموسيقي الاميركي لويس ارمسترونغ، المخرج السينمائي السويدي اينغمار برغمان، يوليوس قيصر، الكاتب الفرنسي جان كوكتو، الكاتب الاميركي ارنست همنغواي، جينا لولو بريجيدا، الكاتب الفرنسي مارسيل بروست، الفنان الهولندي رامبرانت، جون د. روكفلر، الكاتبة الاميركية بيرل باك ●



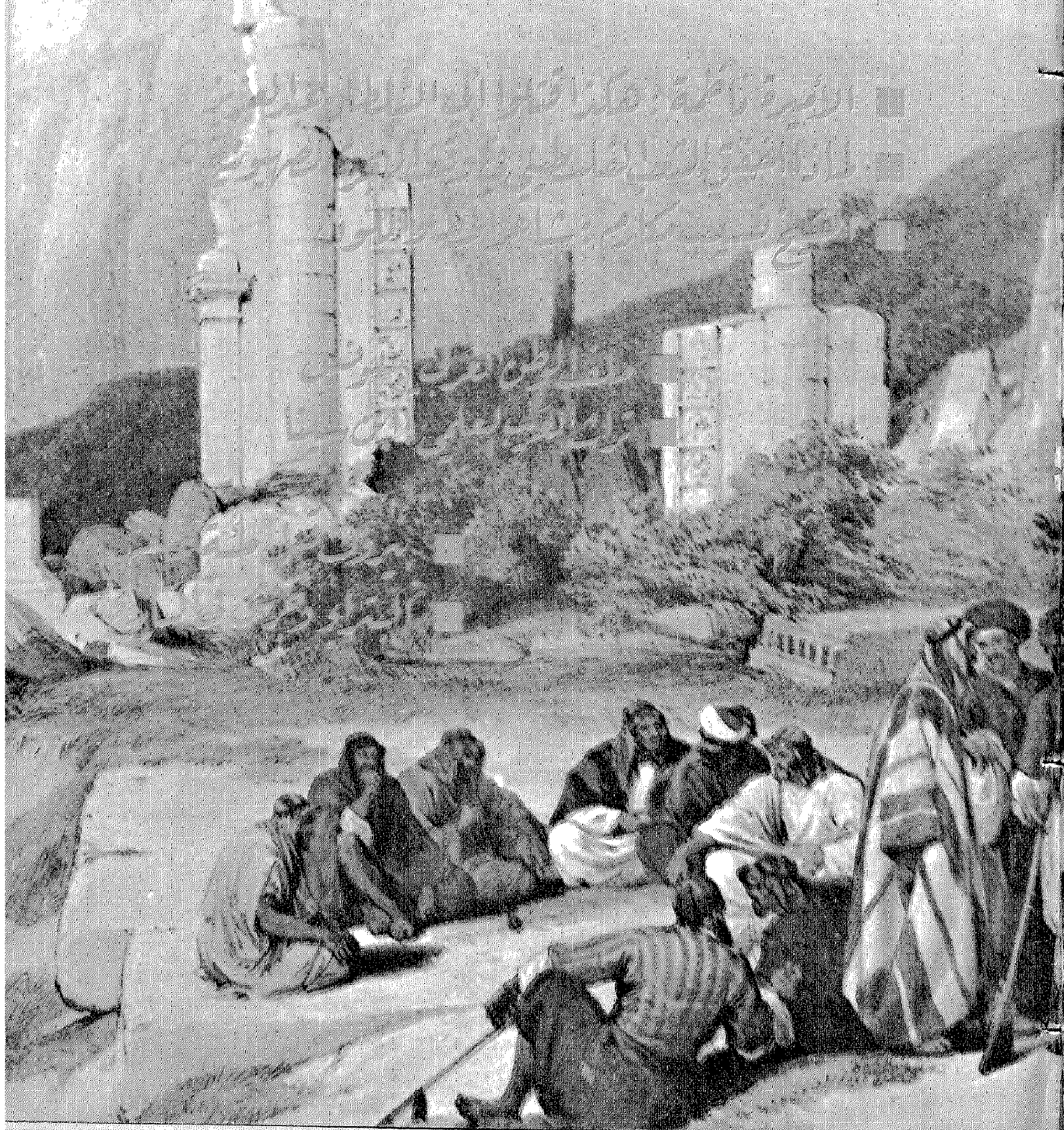
«أمير الأزهار» عند الأزتيك (انظر الموت فلا الاستسلام)


تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى - العدد العاشر - آب " اغسطس " ١٩٧٩ - الموافق رمضان ١٣٩٩





تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى
العدد العاشر
آب (اغسطس) ١٩٧٩
رمضان ١٣٩٩ هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير   المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت، لبنان

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	المغرب : ٥ درهم

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

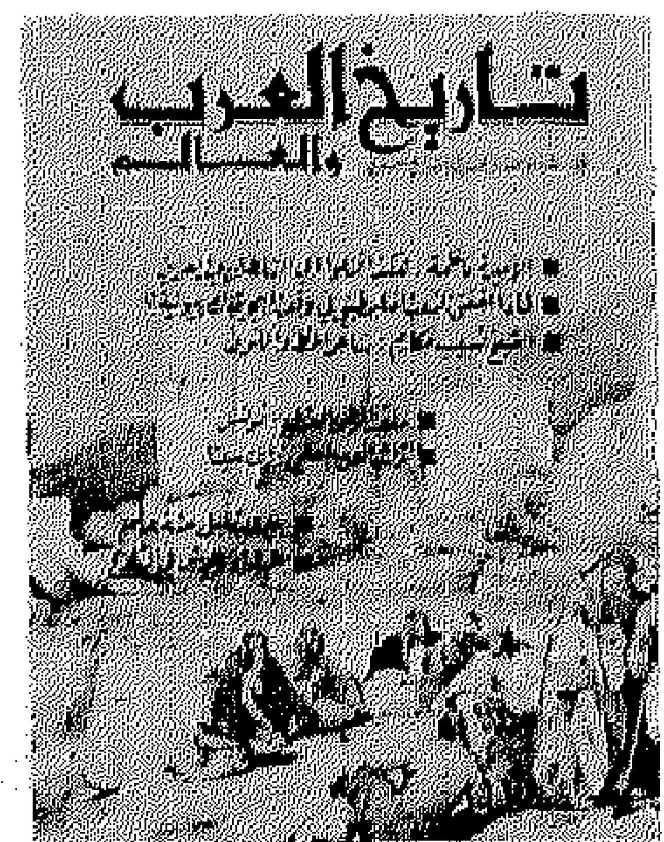
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 10. August, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع | الصفحة



راجع مقالة البتراء وجرش في التاريخ ص ١٤ د. نقولا زياده

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت.

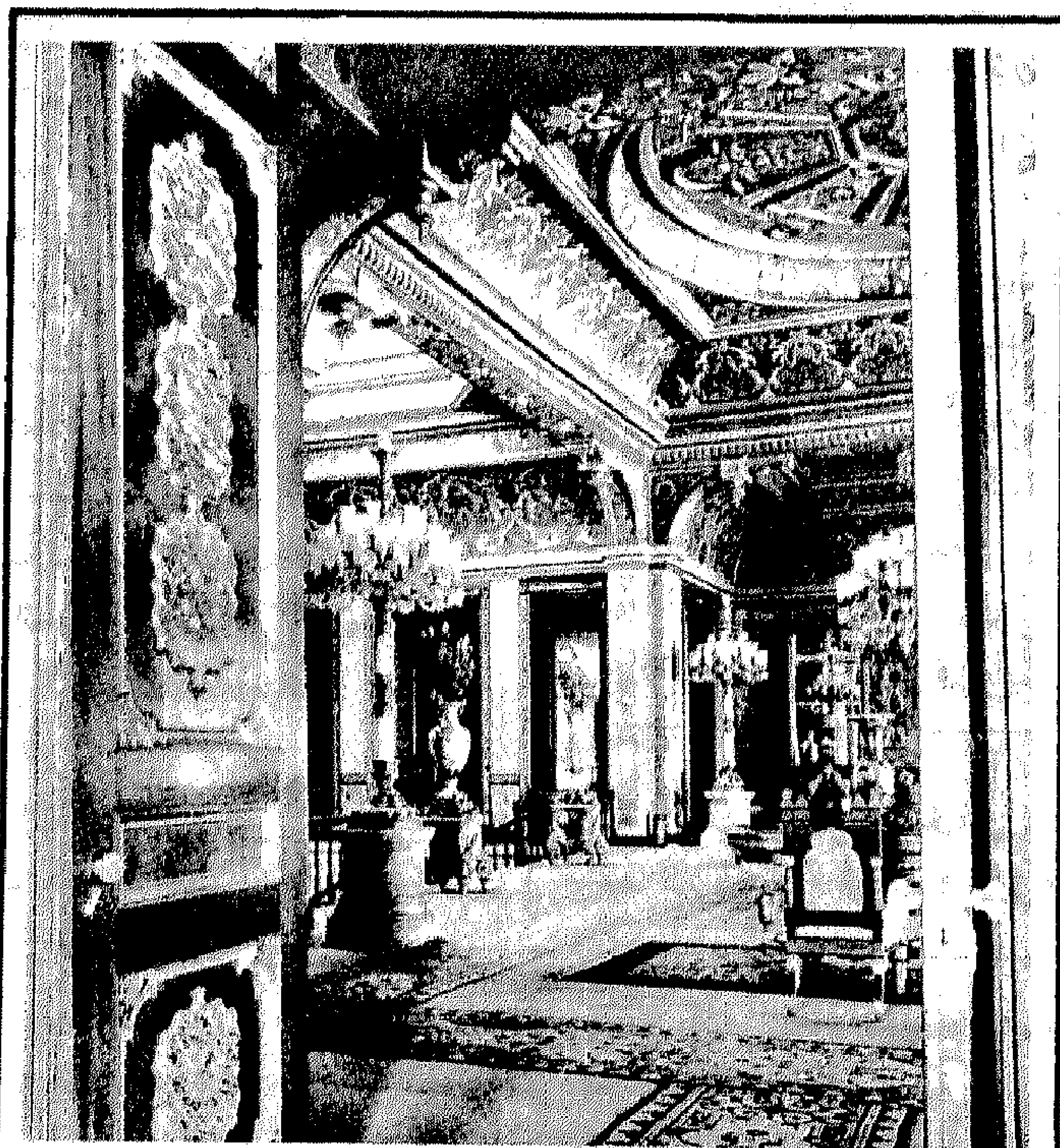
● المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تنشر.

الأميرة ناظمة:

هكذا قتلوا ابي السلطان عبد العزيز

بقلم: عادل الصلح*


قصر ضولمه باقجه

● في ٣ اذار (مارس) سنة ١٩٢٤ الغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية واقصى العائلة المالكة عن تركيا فخرجت هذه العائلة من اسطنبول وتفرقت في مختلف الأنحاء وجاء قسم كبير منها إلى لبنان. فسكن البعض في بيروت والبعض الآخر في جونية. وكان من بين هؤلاء الوافدين المرشال خالد درويش باشا وزوجته وقد نزلا في قرية صربا وسكنا البيت الذي أصبح فيما بعد القصر الجمهوري. والداماد خالد باشا عضو في مجلس الأعيان العثماني وقرين الاميرة ناظمة سلطان ابنة السلطان عبد العزيز وشقيقة عبد المجيد آخر خلفاء بني عثمان. وقد قدر لي أن أصاهر عائلة درويش باشا وأن يتسنى لي بذلك التعرف إلى الأميرة ناظمة سلطان وهي سيدة فاضلة ذكية ذات ثقافة عالية وخلق سام ولطف جم. وقد جرى لي مرة حديث معها عن التاريخ العثماني وعلى الأخص الحقبة التي تولى فيها والدها عبد العزيز عرش السلطنة وحكاية وفاته. ولعل هذا الحديث هو أوضح رواية شخصية وعيانية من مشاهد للحادث البارز في حياة السلطنة. ولكن قبل الانتقال إلى شهادة الاميرة لا بد من الاطلاع على الرواية الرسمية كما نشرتها الصحف في حينها.

الرواية الرسمية

قالت جريدة «الجوائب»(١) الصادرة في اسطنبول في عددها المؤرخ في ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ:
«قد شاع انه من يوم خلع المرحوم السلطان عبد العزيز اعترضته أمراض دماغية فاضطرب في حركاته فكان يتحيل ان البواخر السلطانية الراسية في البوغاز تطلق النار على العدو فزاده ذلك قلقاً فلم يستطع الرقاد في ليلة الأحد. فلما أصبح ذهب إلى الحمام كعادته ثم إلى البستان ثم رجع إلى حجرته وجعل يأمر بفتح الشبابيك والأبواب ثم يخرج منها ويرجع ثم يذهب مرة ثانية إلى البستان فكان الدنيا ضاقت عليه برحبها. ثم حاول الخروج إلى شاطىء البحر فرآه الضابط الذي كان يحرس الباب فقال له متأدباً: لا إذن في الخروج يا سيدي، فأبى وشتمه ثم جاء ضابط آخر وأشار عليه بالدخول إلى مقره فدخل وزاد بلبالا واضطراباً، حتى ظهرت فيه علامات الاختلال فكان يتوهم أن العدو هاجم وأنه يجب على العساكر أن تهجم على العدو وعلى البواخر ان تطلق النار عليه. وصار يتحدث مع أحد أعوانه في كيفية محاربة العدو. ثم طلب من احدى الجواري مقصاً ليقص به أطراف لحيته على عادته فخرجت الجارية واخبرت والدته بذلك فأعطتها مقصاً ومرآة فأخذهما وجعل يقص أطراف لحيته ووالدته تنظر اليه من وراء الباب فرآها وأمرها بالانصراف. ثم جلس على متكأ ونادى أحد الأعوان مرة اخرى واعاد عليه ذكر محاربة العدو ثم اخذ المقص وقطع به عرقا في وسط ذراعه اليمنى فحاول العون ان يأخذ المقص منه فمانعه. فذهب إلى والدته صارخاً فجلس المرحوم على متكأ وقطع عرق يده اليسرى قطعا مبينا. وقيل إنه قبل أن فعل ذلك أقفل الباب فجاءت والدته والجواري وطفقن يصرخن ويعولن وكسرن زجاج الشبابيك فجاء الضباط وسبعة عشر من مشاهير الأطباء. ولكن قبل وصولهم كان رحمه الله قد قضى نحبه فمات على تلك الحالة وصراخ جواريه يسمع من مسافة بعيدة. وعلم من تقرير الأطباء أن طول الجرح كان خمس أصابع وعمقه ثلاثا. وقد طبعت شهادة الاطباء ليكون معلوماً عند الناس كيفية موته. وفي الساعة الخامسة من ذلك اليوم أرسلت جثته إلى سراية طوبقبو لتغسل قبل دفنها. وفي الساعة العاشرة مرت جنازته من ديوان يولي ودفن إلى جانب أبيه المرحوم مولانا السلطان محمود وصحب جنازته عدة من الوكلاء الكرام والمؤمرين الكرام الفخام والمشايخ والعلماء وجم غفير من الناس رحمه الله وعفا عنه إنه غفور رحيم.

كانت ولادة المرحوم السلطان عبد العزيز خان في ١٥ شعبان سنة ١٢٤٥ وجلوسه على سرير السلطنة السنية في ١٧ ذي الحجة ١٢٧٧ وخلعه في ٧ جمادى الأولى ١٢٩٣ ووفاته في صباح يوم الأحد الموافق ١١ جمادى الأولى من السنة المذكورة».

••• ورواية ابنته

هذا ما نشرته «الجوائب» في صدد وفاة السلطان عبد العزيز وهي الرواية الرسمية التي سمح بنشرها.

(*) عادل الصلح: رئيس بلدية ببيروت سابقاً. مجاهد قديم، مسجل وقائع تاريخية شهدها بنفسه. له كتابان: «سطور من الرسالة»، ويروي فيه عن والده قصة حركة ١٨٧٧م، من أجل استقلال الشام وتولية عبد القادر الجزائري عليها، «وحزب الاستقلال الجمهوري»، ويؤرخ فيه كتائب لرئيس الحزب. مساهمته في المقاومة ضد الانتداب الفرنسي.

وما ان ذاع الخبر حتى سرت الاشاعة بأن الرواية كاذبة وان السلطان قتل قتلاً وبقي الأمر غامضاً وموضوع تضارب في الرأي وقضية غير محسومة من قضايا التاريخ العثماني.

ولذلك اهتممت بمعرفة ما عند الاميرة ناظمة عن موت والدها. واليك الآن شهادتها في وفاة السلطان عبد العزيز كما روتها لي. قالت الاميرة: «ان الذين يقولون بأن والدي مات منتحراً مضللون. وقد شاهدت مقتله بأم عيني. وهاك ما رأيت:

في ذات يوم بينما كان والدي جالساً في إحدى قاعات القصر. وأنا إلى جانبه يداعبني. وكنت يومئذ في العاشرة من عمري. دخل علينا ثمانية رجال يشبهون المصارعين وتبدو عليهم القوة البدنية والشراسة. فلما شاهدهم والدي ادرك سوء قصدهم. ووقف يحاول الإفلات منهم. فأخذوا يتقدمون منه ببطء وحذر. تحسبا لما يحتمل ان يصدر عنه من مقاومة. وقد كان رحمه الله ضخم الجثة قوي البنية ومن المصارعين الاشداء. وبعد عدة مداورات استطاع أن ينأى عنهم. وأن يصل إلى مكان سلم نقال يؤدي إلى الطابق العلوي من القصر. وفوجىء هناك بخلو المكان من السلم لأن المتآمرين كانوا قد انتزعوه تحسباً واحتياطاً. فوقف ينادي بأعلى صوته «بورادة يومرديوه ن واردي كيم الدي» (هنا كان يوجد سلّم من اخذه؟) وأخذ يردد هذا السؤال ويطوف في قاعات القصر مهتاجاً والمهاجمون في أثره. وقد أرعبني هذا المشهد. فاتخذت من ستائر أحد الأبواب مخبأ استرق منه النظر إلى ما كان يجري. ثم رأيت هؤلاء الرجل قد تمكنوا في النهاية من محاصرة والدي بعد مقاومة عنيفة في زاوية من الزوايا. والقائه ارضا على ظهره. وجلس اثنان منهم فوق ذراعه اليمنى. واثنان فوق اليسرى. واثنان فوق ساقه اليمنى. واثنان فوق اليسرى. وتولى احدهم قطع شرايين كلتا يديه بموس. وبقوا فوقه حتى نزف دمه. وفاضت على هذه الحال روحه. ثم لفوه بعد ذلك بقطعة من ستائر النوافذ وحملوه إلى المخفر القائم عند المدخل. وكان مدحت باشا موجوداً فيه. مما يدلك على أنهم كانوا يبيتون له السوء منذ البداية أنه يوم وقوع الخلع بعثوا بالمناديس ينادون في الاحياء بأن عبد العزيز مات والسلطان مراد تولى مكانه.

إنني لا أدعي أن والدي لم يخطىء في حكمه. وجل من لا يخطىء. ولكنني أؤكد لك انه كان صادقاً في خدمة بلده. وعمل كثيراً من أجل مجد الأمة فقوى الجيش وجعل البحرية العثمانية القوة الثانية في العالم. كان إنساناً



مدحت باشا.

كريم الخلق حليماً توابا. وكان كاتباً أديباً. كتاباته الرسمية قطع ادبية رائعة. وكان ملما إلماما حسنا بالأدبين العربي والفارسي ورساماً ماهراً وموسيقيا موهوباً. كان أحياناً يقضي فترات للراحة في مقصورته في قصر ضوبله باقجة المطلة على البوسفور. ويشوقه روعة ليالي الصيف المقمرة لسماع لحن جميل فيأخذ الناي الذي يحبه ويطلق منه الألحان الجميلة فيتجمع لها المتنزهون في قواربهم حتى يمتلىء بها البحر. وكنا نحن من قاعات القصر نشارك مواطنينا نشوتهم وسرورهم. وغصت الأميرة هنا بالبكاء وسكتت هنيهة ثم قالت: لقد ظلم والدي».

واقعة شركس حسن

نقلت إلى القارىء حديث الأميرة ناظمة سلطان كما روته لي وقد أخبرني الصديق السيد عزت خورشيد رئيس دائرة التشريفات في وزارة الخارجية اللبنانية ان الأميرة روت له هذه الحادثة كما ذكرتها أعلاه.

وقد كان لوفاة السلطان عبد العزيز على هذا الشكل الغامض ذيول كثيرة منها حادث مقتل بعض الوزراء وكان ذلك بعد وفاته بأربعة أيام. اذ بينما كان مجلس

الوكلاء (الوزراء) مجتمعاً في بيت رئيس مجلس شورى الدولة مدحت باشا اقتحم مكان الاجتماع ضابط شاب ينتمي إلى أسرة قفقاسية عريقة اسمه شركس حسن واخذ يطلق الرصاص بكثرة على الحاضرين، فقتل خمسة أشخاص منهم حسين عوني باشا نفسه وناظر الخارجية راشد باشا. وفي التحقيق قال الضابط القاتل: انني فعلت ذلك من أجل السلطان عبد العزيز والأمة.

ويروي هنا الكاتب المؤرخ الشهير وأحد كبار موظفي القصر الملكي محمود جلال الدين باشا، وقد كان حاضراً الاجتماع الذي قتل فيه الوزراء ونجا هو من الموت، هذه الحادثة فيقول: بعد وفاة السلطان عبد العزيز باثني عشر يوماً وفي مساء الخميس ٢٣ جمادى الأولى دعي مجلس النظار إلى الاجتماع في اسكدار في بيت رئيس مجلس شورى الدولة مدحت باشا لمعالجة قضية الثورة التي نشبت ضد الحكومة في جزيرة كريت. وكان الحاضرون هم وزير الدولة الشريف مدحت باشا والصدر الأعظم محمد رشدي باشا والسر عسكر حسين عوني باشا ومدير الطوبخانة المشير رضا باشا وناظر البحرية قيسرلي أحمد باشا وناظر الخارجية راشد باشا وعضو مجلس شورى الدولة الشريف حسين باشا، (الملك حسين بن علي ملك الحجاز فيما بعد)، وناظر المعارف المؤرخ جودت باشا، ومستشار الصدارة العظمى سعيد أفندي. وبعد ان تناول المجتمعون طعام العشاء في الطابق الثالث من البيت انتقلوا إلى احدى القاعات الكبرى. وفي اثناء الاجتماع دخل ضابط شاب يحمل بأحدى يديه مدية شركسية وفي الأخرى مسدساً وتقدم خطوات قليلة ثم توقف وصاح بالمجتمعين لا تتحركوا. وأطلق الرصاص على السر عسكر حسين عوني باشا وناظر الخارجية راشد باشا وراح يجهز عليهما طعنا بمديته ثم تابع إطلاق الرصاص على الصدر الأعظم محمد رشدي باشا وعلى ناظر البحرية قيسرلي أحمد باشا وأحمد آغا خادم مدحت باشا. وقد ظن المجتمعون ان ثمة مؤامرة انقلابية وراء هذا الاعتداء ولما فوجيء المجتمعون باطلاق الرصاص فر منهم من فر واختبأ من أختبأ. ثم أطفأ الضابط الأنوار وأنزل ستائر النوافذ وأخذ ينادي النظار كلا بمفرده ليخرجوا من مخابئهم. ولكن الجنود لم يمهلوه. ودخلوا القاعة وجاء وراءهم الأهالي وأحاطت مفارز من الجيش والشرطة بالمكان وقبضوا عليه بعد أن تمكن من قتل شكري بك مرافق الصدر الأعظم وأحد الجنود. وبلغ عدد القتلى في هذا العراك خمسة والجرحى اثنان. وكانت الساحة قد أصبحت كأنها ساحة حرب. ثم انتقل المجتمعون إلى سراي السلطان لاجراء التحقيق في أسباب هذه الحادثة.



مصطفى كمال بالملابس التركية التي ألغاها.

اعترافات في التحقيق

ولما سيق الضابط القاتل إلى التحقيق قال أمام المحقق العسكري:

إنني في السادسة والعشرين من عمري، أعزب، ولدت سنة ١٢٨١ (هـ). جئت من شركستان الى دار السعادة ودخلت طالباً في الكلية البحرية. ثم انتقلت منها إلى الكلية الحربية البرية. وبعد ما اكملت فيها دروسي تخرجت برتبة يوزباشي والحقت بالجيش الهمايوني السادس ثم قضيت ياورا في مجلس الشورى العسكري ومنه نقلت إلى الدائرة الخاصة كمرافق للشهزاده يوسف عز الدين أفندي.

إلى أن يقول: كنت أنوي قتل حسين عوني باشا أثناء مراسم دفن السلطان عبد العزيز في تربة السلطان ولكنني عدلت عن ذلك لأنني لم أر من المناسب تحقيق امنيتي في هذا المكان.

وخرجت اليوم من بيتي قاصداً السر عسكر حسين عوني باشا أحمل مسدساً وخنجراً شركسياً. في الساعة الثانية وصلت اليه وبادرت الاغاوات بالسؤال عما إذا كان الباشا موجوداً في البيت فقيل لي انه ذهب إلى بيت مدحت باشا وقد أرسل في طلب أوسمته. فسرت رأساً إلى

بيت مدحت باشا. وعند وصولي اليه مكثت قليلاً في غرفة الاغوات. ثم سألتهم اذا كان السر عسكر باشا موجوداً هناك فأجابوني بالايجاب. فقلت لهم إن طيار باشا أرسلني لمواجهته. وصعدت إلى الطابق العلوي. ودخلت إلى القاعة مكان اجتماع النظار أحمل بأحدى يدي مسدسي وفي الأخرى مديتي. وقلت لهم لا تتحركوا انهضوا جميعاً. وما ان لمحت عيناي حسين عوني باشا أمامي حتى أطلقت الرصاص عليه وقتلته. وأذكر أنني أصبت كذلك ناظر الخارجية رشدي باشا. ثم اقتربت من حسين عوني باشا وطعنته بمديتي عدة طعنات وكذلك فعلت برشدي باشا. وتأكدت من موت الأثنين. وبينما كنت افتح باب الغرفة التي لجأ اليه مدحت باشا والصدر الأعظم وقيسريلي أحمد باشا. ضربني أحد الاغوات بآلة حادة على رأسي فأطلقت عليه الرصاص فقتلته ثم جاء رجال الحرس وأطلقوا الرصاص علي بكثرة فقاتلتهم بالمثل ولا أعلم اذا كان أحد منهم أصيب. وفي النهاية سلمتهم سلاحي. فقد قتلت حسين عوني وناظر الخارجية واحد الاغوات ولم أقتل غيرهم. وبعد ذلك قبضوا علي وجاءوا بي إلى هنا. انني فعلت ذلك من أجل الأمة والسلطان عبد العزيز.

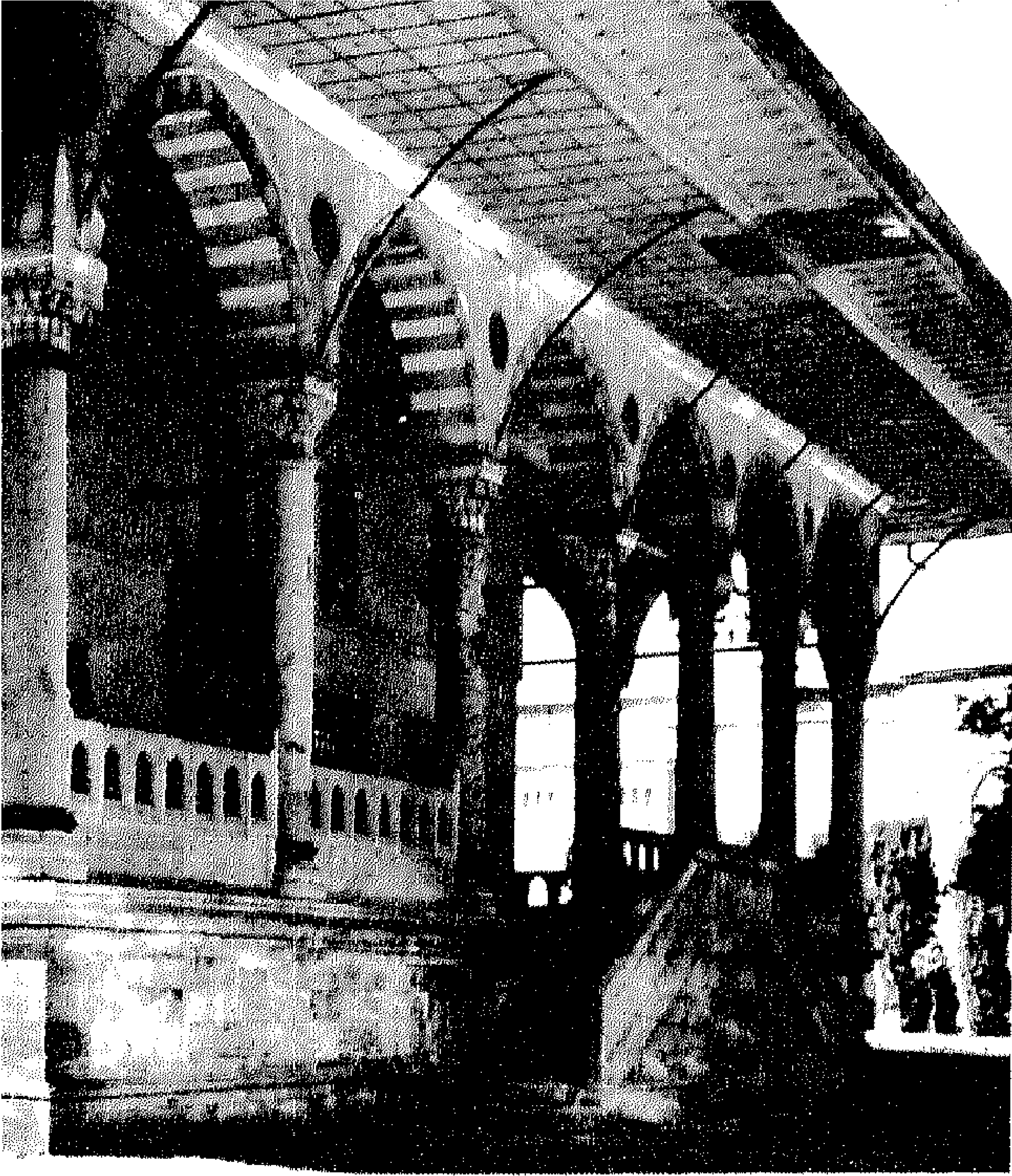
وبعد مرور أربعة أيام على وقوع الحادث أعدم شركس حسن شنقاً في ميدان بايزيد. ودفن في مقبرة «أدرنه قبوس».

وقد أقامت له والدة السلطان عبد العزيز ضريحاً فخماً نقشت على بلاطه ما يأتي: المرحوم المغفور له شركس حسن بك نجل ديش براكي زاده غازي اسماعيل بك. احد مشاهير الامراء الغزاة تخرج من الكلية الحربية وحصل على رتبة القول اغاسي. قدم روحه وهو في شرخ الشباب فداء لولي نعمته الفاتحة سنة ١٢٩٣ (هـ).

وشهادات أخرى

وللمؤرخين القائلين بموت عبد العزيز قتلاً شواهد عديدة تثبت مدّعاهم أهمها: الشهادات التي أدلى بها أمام محكمة يلدز التي تشكلت لمحاكمة مدحت باشا بتهمة قتل السلطان عبد العزيز. وقد أثار هذه الدعوى البرنس يوسف عز الدين أفندي بن عبد العزيز بتحريض من السلطان عبد الحميد.

ومن هذه الشهادات شهادة البرنس يوسف عز الدين نفسه فقد قال أمام المحكمة انه في يوم وقوع الحادثة، السراي كلها كانت محاطة بالجند على غير عادة، «وعندما بلغني نبأ الفاجعة حاولت الدخول إلى غرفة صاحب الجنان



سراي طوبقبو حيث غسل جثمان عبد العزيز.

فلم يأذنوا لي. وقناعتي أنه مات شهيداً».

وقال أحد موظفي القصر: رأيت الفاعلين يدخلون إلى الغرفة وهم: جزائرلي مصطفى، ومصطفى جاويش، ومحمد آغا، وفخري، ونجيب، وعلي، ورواقم. وبعد هنيهة سمعت صوت السلطان يصرخ: أمان الله. وكانت النوافذ مقفلة وفي الباب جنديان يحرسان مدخل الدار. وقد دامت هذه الحالة عشر أو خمس عشرة دقيقة. وبعد ذلك لفوا صاحب الجنان بستار احدى النوافذ. وقال شاهد آخر: «عندما جيء بالأطباء إلى مخفر قصر «فرعية» حيث كان يقيم السلطان وحاولوا معاينة أطرافه، تصدى لهم حسين عوني باشا وكان واقفاً عند الباب متكئا على سيفه، ومنعهم من ذلك قائلاً ليست هذه جثة أحمد آغا ومحمد آغا بل هي جثة بادشاه. انني لن اسمح لكم بازالة الستر عنها كلها لمعاينتها. وكان هذا الموقف التهديدي الذي اتخذه السر عسكر داعيا لحمل الأطباء على الاكتفاء بالمعاينة السطحية ووضع التقرير بحضوره.

وأدلى مدحت باشا في المحكمة بشهادة طويلة ختمها بهذه الخلاصة: «لقد اطلعت على شهادات الاشخاص الذين يعتقدون بانتحار السلطان عبد العزيز وعلى ادعاءات الأشخاص الذين يقولون بموته شهيداً. وقرأت أيضاً بدقة تامة الأوراق التي ملأت صندوقاً كبيراً من صناديق محكمة يلدز. ورغم كل ذلك لم اوفق إلى أعطاء أي حكم قاطع في أي من الادعاءين هو الصحيح.

وبشر القاتل بالقتل

انـنا اذ استعرضنا بأمعان الحوادث الذي وقعت منذ اليوم الذي بدأت فيه تهيئة خلع المرحوم حتى ساعة رحيله أو ترحيله إلى دار البقاء أقول : اذا كان السلطان عبد العزيز مات قتلاً فان قاتله يكون حسين عوني باشا واذا كان موته حصل انتحاراً فان السبب في هذا الانتحار وبتعبير آخر القاتل المعنوي هو أيضاً حسين عوني باشا».

ولما بلغ الصدر الأعظم السابق يوسف كامل باشا مقتل حسين عوني باشا على يد حسين شركيس قال : «وبشر القاتل بالقتل».

أما حسين عوني فهو من مواليد قرية من لواء اسبارطة وكان والده حاجباً في إحدى الدوائر الرسمية. وكان ذكيا محباً للعلم دخل المدرسة الابتدائية في بلدته ثم سافر إلى اسطنبول والتحق بالكلية الحربية. وبعد ما اتم تحصيله فيها انتسب إلى السلك العسكري وتدرج في رتبه حتى بلغ أعلاها. ومنه انتقل إلى السلك الاداري وترقى فيه حتى تولى الصدارة العظمى. وكان عسكرياً جريئاً وادارياً ممتازاً. وكان من المناصب التي تولاها مشيرية الجيش الهمايوني الخاص. فكان بحكم هذا المنصب مجبراً على قضاء معظم أوقاته في القصر السلطاني وان يظل في معية سيده حيثما يكون. ويبدو ان حسين عوني كان يسلك مع بعض نساء القصر سلوكاً لا يتفق وتقاليد ذلك الزمن فيعمد أحياناً أثناء رواحهن وغدوهن في أروقة القصر ودروب الحدائق إلى مطارحتهن كلاماً يتنافى وقواعد الحشمة والرصانة. وانه كان يخص إحدى الجواري بدعابته ويفرط في إسماعها ما لم يرضها. فشكت أمره إلى والدة السلطان. وكان قد بلغها من أمره الشيء المثير. فنقلت بدورها الشكوى إلى السلطان فثار لذلك وأقاله على الفور من منصبه في الجيش الخاص، ونفاه إلى مدينة اسبرطة. وبعد ان قضى فيها عدة أشهر تقدم بعض أصدقائه من رجالات البلاد باسترحام إلى السلطان ليعفو عنه فأجابهم إلى طلبهم وأعاده إلى اسطنبول.

وقد اضطرت بعد ذلك كفاءات حسين عوني السلطان إلى تسليمه اخطر المهام في الدولة. ولكنه بقي



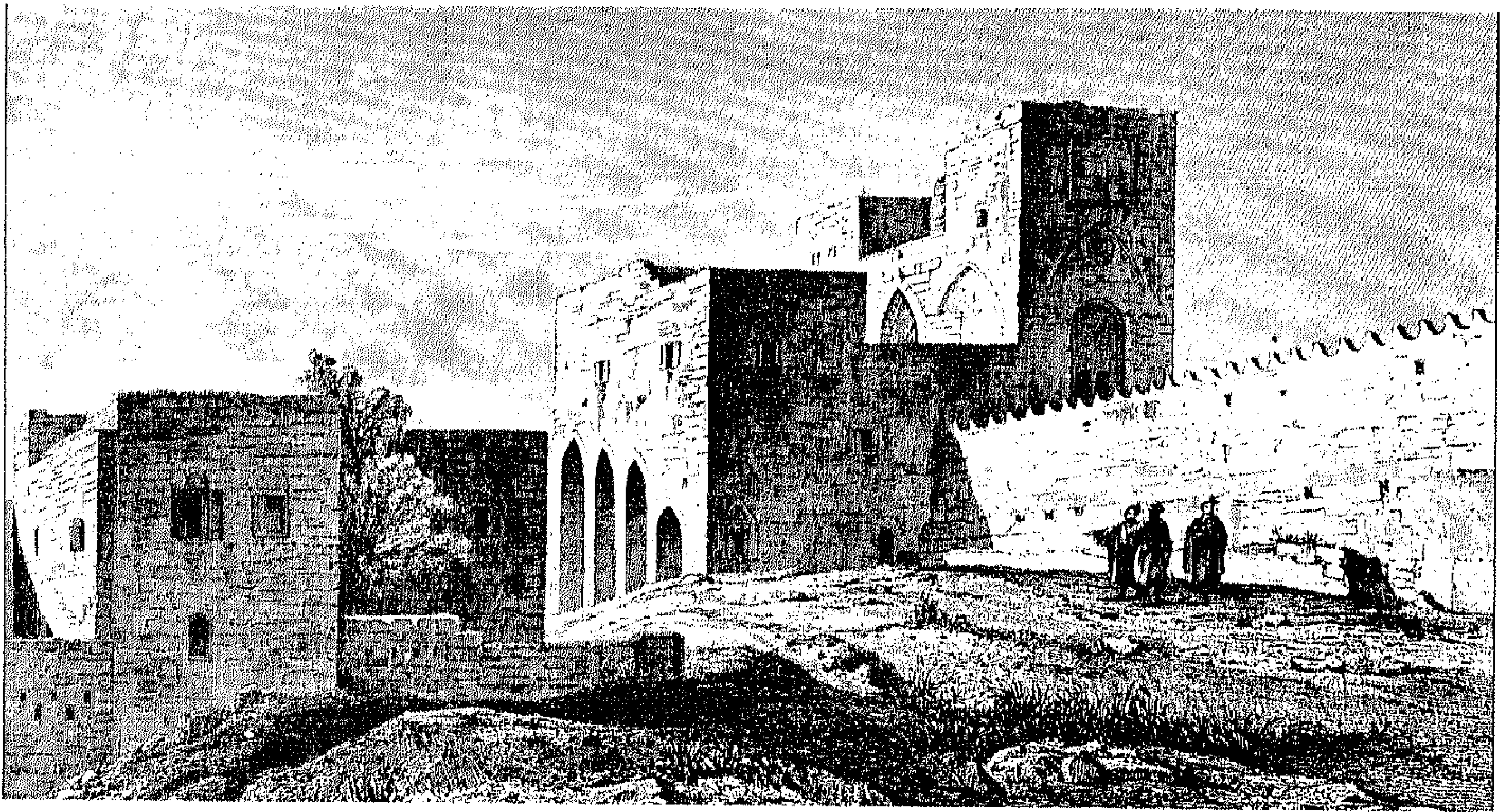
حاقداً عليه وكذلك كان شأن عوني تجاه السلطان. وظل هذا الحقد والنفور المتبادل يتأجج مع الزمن. واغتنم حسين عوني أخطاء عبد العزيز، فاتفق مع مدحت باشا على السعي لخلعه. وتمكن الاثنان من تنفيذ مشيئتهما. ويبدو ان ذلك لم يشف غليل حسين عوني. يضاف إلى هذا أنه كان يخشى ردة في الجيش والشعب تعيد عبد العزيز إلى عرشه وكان له فيهما أنصاره ومريدوه الأقوياء. فدبر على ما يقوله البعض مقتله. وقد حرص عوني باشا على ان يتولى منصب «السر عسكر» أي وزارة الحربية وقيادة الجيش ورئاسة الاركان قبيل موعد تنفيذ الخلع، حتى يتسنى له القيام به والقوات المسلحة كلها تابعة لسلطته. وقد هيأ للأنقلاب بأن جاء بالجنود من خارج اسطنبول، وبفرق من سوريا وسائر البلاد العربية لأن هؤلاء بحكم وجودهم بعيداً عن العاصمة لا يعرفون ما يدور فيها من التآمر. واشاع عوني قبيل موعد الخلع بيومين أن الروس على أهبة احتلال العاصمة، ثم أمر كتيبة من طلبة الكلية الحربية الفرسان باحاطة قصر ضولمه باغجة من ناحية البر وقطع الأسطول من جهة البحر لتنفيذ الخلع. وخطب قائد المفارز العسكرية المتمركزة في ميدان القصر بجنوده «انه كان في نية السلطان عبد العزيز تسليم الدولة إلى الروس. وانه لذلك تم خلعه وتولية جلالة السلطان مراد الذي أنقذ البلاد من الأعداء مكانه، وأوصاهم بالمحافظة عليه» ●

(١) انشأ جريدة الجوائب في الاستانة أحمد فارس الشدياق أحد اركان النهضة الأدبية العربية الاخيرة سنة ١٨٦١. وقد انتشرت انتشاراً واسعاً واشتهر امرها في الشرق والغرب. وكان لها شأن كبير عند ادباء العرب لما كانت تحويه صفحاتها من ابحاث لغوية وادبية قيمة. وكانت تعد في السياسة وسائر شؤون الدولة على انها تعبر عن رأي السلطان والحكومة. وقد توقفت عن الصدور في الاستانة سنة ١٨٨٤.

بيروت

قبل مائة عام

د. مروان بحيري*



داخل سور بيروت ١٨٤٠.

● لم يكن ثمة ما ينبيء في عام ١٨٢٥، ان بيروت ستصبح مدينة لبنان الأولى. كانت مدن أخرى مثل طرابلس وصيدا معروفة أكثر بأهمية تجارتها وكثافة سكانها ومبانيها. ومع ذلك، وفي مدى جيل واحد استطاعت بيروت ان تلحق بمنافستيها، وان تتفوق عليهما، لتصبح المرفأ الرئيسي أولاً، ثم عاصمة للبنان.

هذا التطور ذو المظاهر المعقدة، نجد رواية لاحداثه في شهادة ثلاثة رجال عاشوا سنة ١٨٥٠ : تومسون وفارلي ورزق الله.

كانت حملات ابراهيم باشا العسكرية وتدخل القوى الأوروبية قد نشطت الاقتصاد. وتدفقت الدراهم والبضائع على البلاد. واختيرت بيروت كمرفأ ومحجر لا بد للسفن من ارتياده والتوقف فيه. وأقيم فيها مقر اركان القوات المسلحة طوال سنوات الحرب. وبعد هزيمة ابراهيم باشا وعودته إلى مصر عام ١٨٤١، انصرفت الطبقة

(*) د. مروان بحيري، استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية، بيروت، متخصص في تاريخ الاقتصاد الحديث وعلاقات الشرق والغرب، خريج جامعة برنستون في الولايات المتحدة الاميركية.

الوسطى الجديدة المكونة من المقاولين ، إلى العمل لتضخيم الثروات المتراكمة بفضل الاحداث .

وفي الخمسينات ، كتب و. م. تومسون مؤلف : «الارض والكتاب» ، عن بيروت حيث كان يقيم : «منذ ثلاثين سنة كانت تسكن بيروت ٥٠٠٠ نسمة . وكانت المدينة تعتمد على صيدا في مؤونتها . واليوم يسكنها ٤٠ ألف نسمة . وأصبحت صيدا هي المعتمدة كليا على بيروت . ومنذ ثلاثين سنة لم يكن ثمة خارج سور المدينة أي مسكن لائق ، عملياً . أما اليوم فان ثلثي السكان يعيشون في مئات

كان يصدرها عبد القادر القباني ، مؤسس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية[1] ، ومنها «لسان الحال» التي أسسها خليل سركيس عام ١٨٧٧ . كذلك كان يصدر عدد مماثل من المجلات المتخصصة ، الناطقة بالنهضة الثقافية في الشرق الأدنى : «المجمع الفاتيكاني» ، وأصدرها اليسوعيون سنة ١٨٧٠ ، «والجنان» لبطرس البستاني وقد أسسها في السنة ذاتها ، «والمقتطف» ليعقوب صروف وفارس نمر (١٨٧٦) . وكان لبيروت حتى مجلة طبية : «الطبيب» ، التي اطلقها الدكتور جورج بوست ، من الكلية السورية البروتستانتية ، التي ستتحول فيما بعد إلى

لمحات عن نهضتها الاقتصادية والاجتماعية

المنازل المشيدة بذوق في البساتين . والمنازل الفخمة التي تزين الضواحي ، ليست نادرة» (ص ٣٧) . وأضاف تومسون يقول : «لم تشهد أية مدينة أخرى في الامبراطورية العثمانية مثل هذا التوسع السريع» .

وفي الستينات ، تأثر ج. لويس فارلي ، رئيس محاسبة البنك العثماني . الذي كان قد استقر لتوه في بيروت ، تأثر هو الآخر بالتطور المدهش لحركة البناء : «خلال اقامتي التي دامت أقل من عامين شقت طرق جديدة واقيمت عمارات كبيرة في رأس بيروت . مركز البريد والقنصلية الفرنسية أقيما هناك . وفي الوقت نفسه فتحت عدة مقاه أبوابها . ويقال لي انها مجهزة بطاولات البليار . وبالقرب من فندق «بيلفو» جرى هدم مجموعة من المباني القديمة . وفي مكانها اقيمت مبان كبيرة مخصصة لاحتواء مجموعات من المكاتب . ويحتل التجار الانجليز اثنين من هذه المباني . واتسعت حركة البناء إلى خارج الاسوار . وهكذا شيد زعيم عائلة بسترس الغنية قصراً أميرياً فخماً ، كما شيد السيد مشاقة قصراً أقل فخامة» .

وفي العام ١٨٥٨ بدأت شركة فرنسية رصف طريق للعربات تصل بيروت بدمشق . والمشروع ، وهو مفيد جداً ، يجعل السفر ممكنا بعربات الخيل ويسهل الاتصالات السريعة بداخل البلد . وفي السنة ذاتها كان خليل الخوري يطبع أول صحيفة في بيروت : «حديقة الأخبار» . وبعد عشرين سنة كانت تصدر في العاصمة دزينة من الصحف منها «ثمرات الفنون» ١٨٧٥ ، التي

جامعة باسم جامعة بيروت الاميركية وأيضاً مجلة «بيروت» التي كان يصدرها محمد رشيد الدنا .

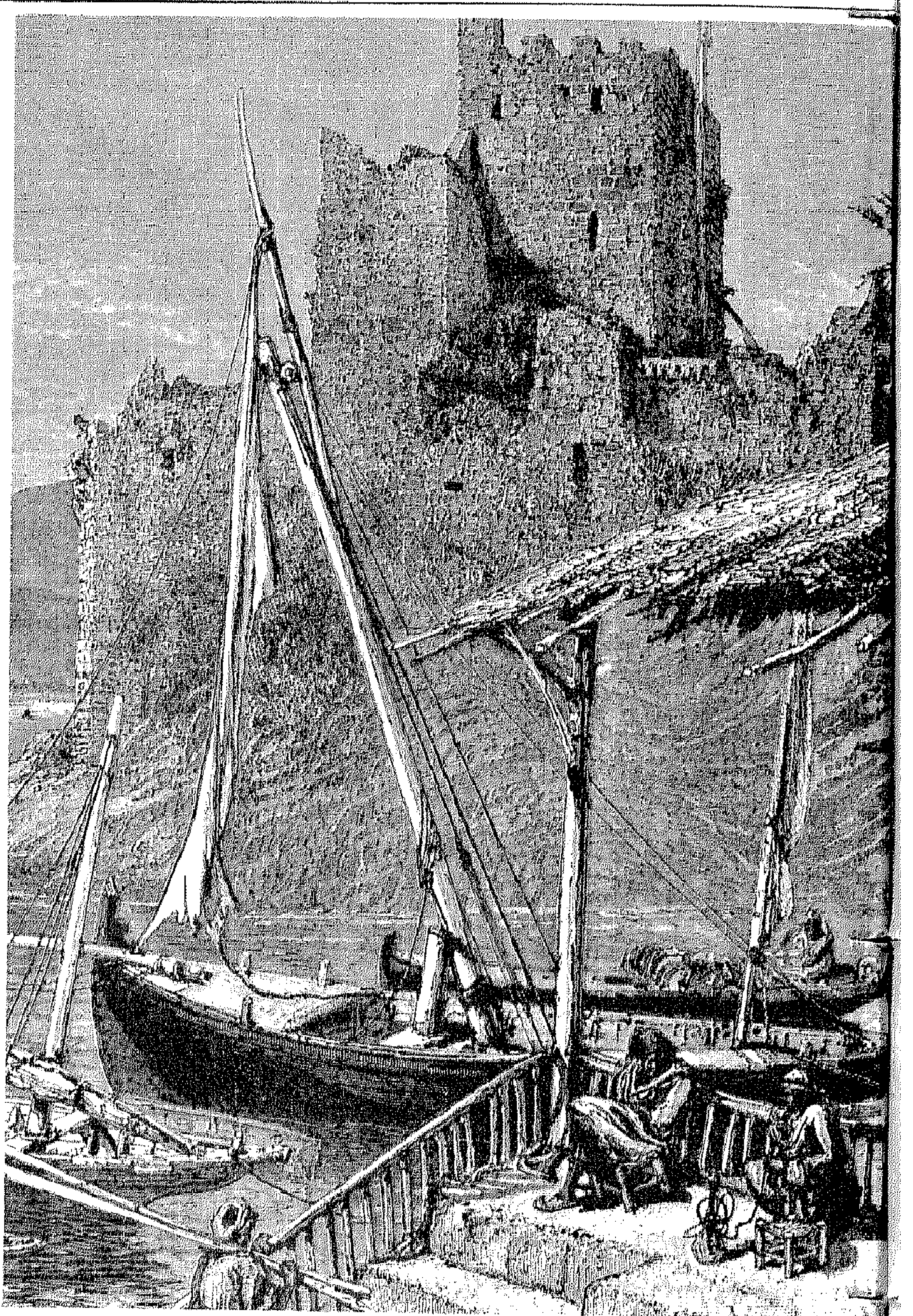
وهكذا أصبحت المدينة المركز الثقافي والاعلامي في البلاد . وللمقارنة ، فان طرابلس لم تشهد صحيفتها الأولى «طرابلس» الا سنة ١٨٩٣ ، وقد أصدرها محمد كامل بحيري . أما صيدا فلن يصدر فيها أحمد عارف الزين «جبل عامل» ، الا في العام ١٩١١ .

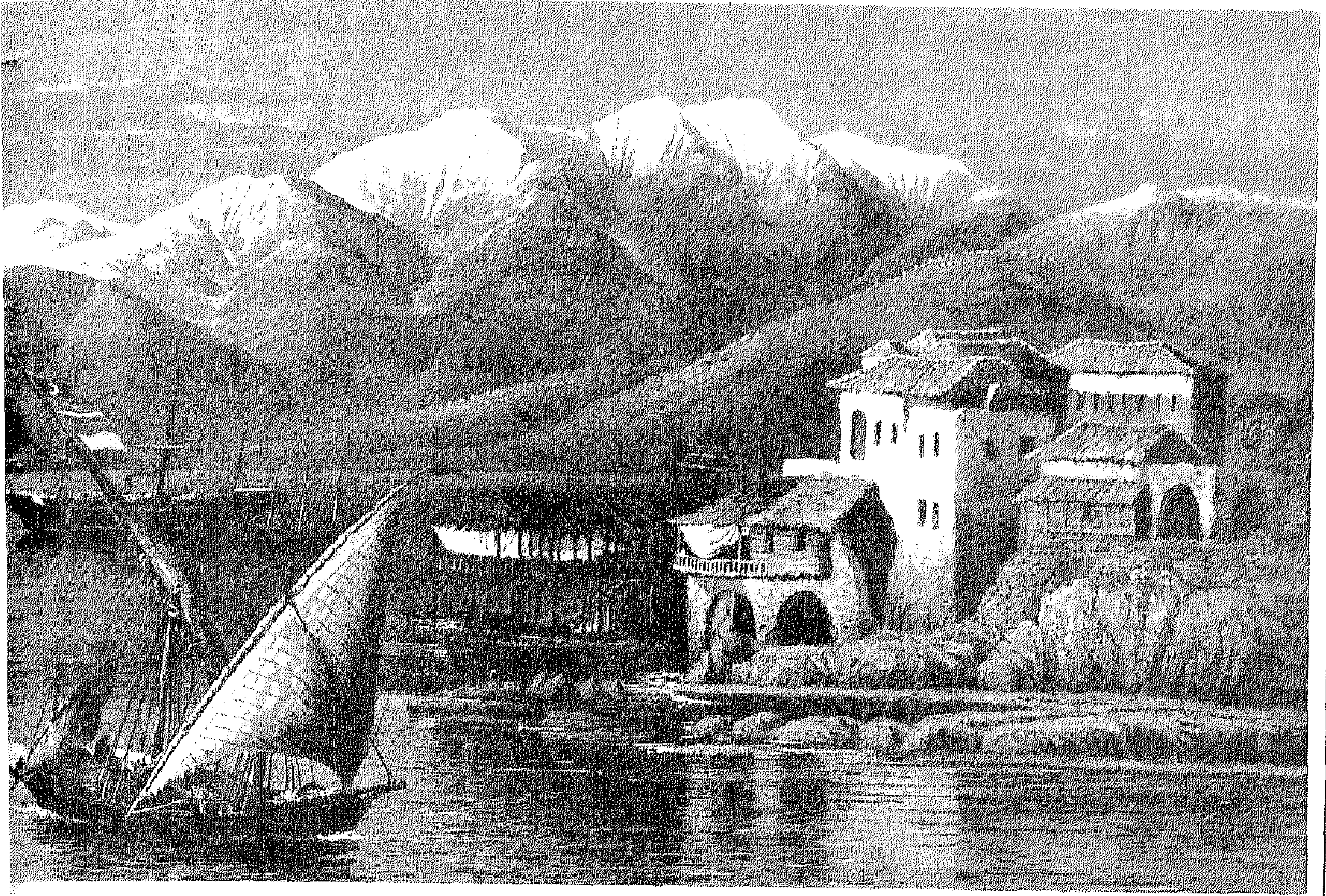
الشاهد الثالث على تطور بيروت ، في منتصف القرن الماضي ، هو حبيب رزق الله . وهو كاتب من الشويفات ، ألف بالانجليزية كتاب «الشوك وأرز لبنان» (لندن ١٨٥٤) . وهذه ترجمة لأحدى مشاهداته الحية : «مدينة بيروت التي اكتسبت أهمية كبيرة بسرعة ، يمكن اعتبارها المستودع الرئيسي للتجارة السورية . في عام ١٨٤٠ كان ثمة ثلاث أو أربع عائلات أوروبية مقيمة في البلد . وكان نادراً ما تلقي باخرة انجليزية مرساها في مياه مرفأ بيروت . أما اليوم ، أي بعد ثلاث عشرة سنة ، فان التجار والحرفيين القادمين من كل صوب أوروبي اجتاحوا المدينة . ولا يمر اسبوع الا وترسو ثلاث أو أربع سفن ، آتية من مختلف المرافىء الأوروبية . مشهد البحر من أزهى ما يمكن . ويوم الأحد ، كانت السفن المختلفة تترك بيارقها للريح ، وتقابلها على الشاطىء بيارق القنصليات . وكنت ترى سربا من السفن الانجليزية والفرنسية والسردينية والنمساوية والاميركية والبرتغالية والاسبانية والهولندية والدانمركية والنرويجية والسويدية ، تحمل يومياً سلعاً من ما نشستر ،

ومنتجات من لندن جلبت من المستعمرات البريطانية. وسكر من هامبورغ، وأطعمة منوعة من فرنسا وايطاليا، وكماليات متعددة وضروريات أساسية من كل أنحاء العالم. وبدورها كانت بيروت تصدر خيطان الحرير المكببة في أكثر من مصنع في الضواحي أو في جبل لبنان، والحبوب الآتية من الداخل، والحرير الخام الذي كان جزء منه يأتي من مسقط رأس كاتب هذه السطور. يضاف إلى هذه زيت زيتون بيروت وسورية، والخشب والجوز وعينات عديدة من الفاكهة المجففة، التي أخذ شحنها ينتظم على يد رجل أميركي صاحب مبادرة. وكان سكان بيروت يتزايدون بوتيرة سريعة، والازدهار أيضاً، والمؤسسات الجديدة تؤسس. ويكتشف التجار شبكات تجارية جديدة. واخذ الناس يشيدون البيوت ويقيمون الاسوار ويسوون الحدائق، ويشترون الأراضي ويزرعونها. وبيروت التي حولها زلزال ١٨٢١ إلى مدينة بؤس ودمار تحولت بسرعة إلى مدينة جميلة مزدهرة ذات أبنية رشيقة وجنائن زاهرة تطل على واحد من أجل المشاهد البحرية التي يحلو لريشة الرسامين أن ترسمها، أو لقريحة الشعراء ان تنشدها. وان شاء الله آمل أن أرى اليوم الذي تصبح فيه بيروت العزيزة قادرة على منافسة أو تخطي أزمير. أو حتى اسطمبول».

الحياة في بيروت

كيف كانت الحياة في بيروت منذ قرن من الزمان؟ لنفترض أنه في العام ١٨٨٨، أراد تاجر بيروتي أن يقابل زميلاً أوروبياً نزل لتوه من البحر من إحدى السفن الاثنتي عشرة البخارية التي تؤمن الخطوط البحرية المتعاملة مع مرفأ بيروت اسبوعياً. لكان يجده مستقرا في فندق «بسول» أو في فندق «بيلفو» (١٠ إلى ١٥ فرنكا في تلك الفترة) في منطقة الزيتونة، الا اذا كان الزائر من انصار التعرف على البيئة البلدية. لكان عندئذ يجده إما في فندق «كوكب الشرق»، في ساحة الشهداء، حيث كان سليم الشامي صاحب الفندق يتقاضى فرنكين لليلة، أو في إحدى الغرف المفروشة عند مدام باسكال في الزيتونة أيضاً، وبأجرة متواضعة... والواقع ان دليل بيروت، الذي أصدره عام ١٨٨٩ أمين الخوري، باسم «الجامعة»، يعدد حوالي سبعة عشر فندقاً. فاذا وجد تاجرنا زميله، واذا كان مغرماً بالحمامات التركية. فهو يأخذه إلى أحد الحمامات الكثيرة في المدينة، مثل الحمام «الكبير»، قرب باب الدركة، «والزهور»، شارع دمشق، أو «البرغوت» قرب التكنات المركزية للجيش العثماني، أو «الشفاء»، أو «الباشورة»، أو يقترح عليه أخذ حمام بحري في واحدة من المؤسسات البحرية الجديدة المقامة في الزيتونة أو المدور.


مقهى على الشاطئ.



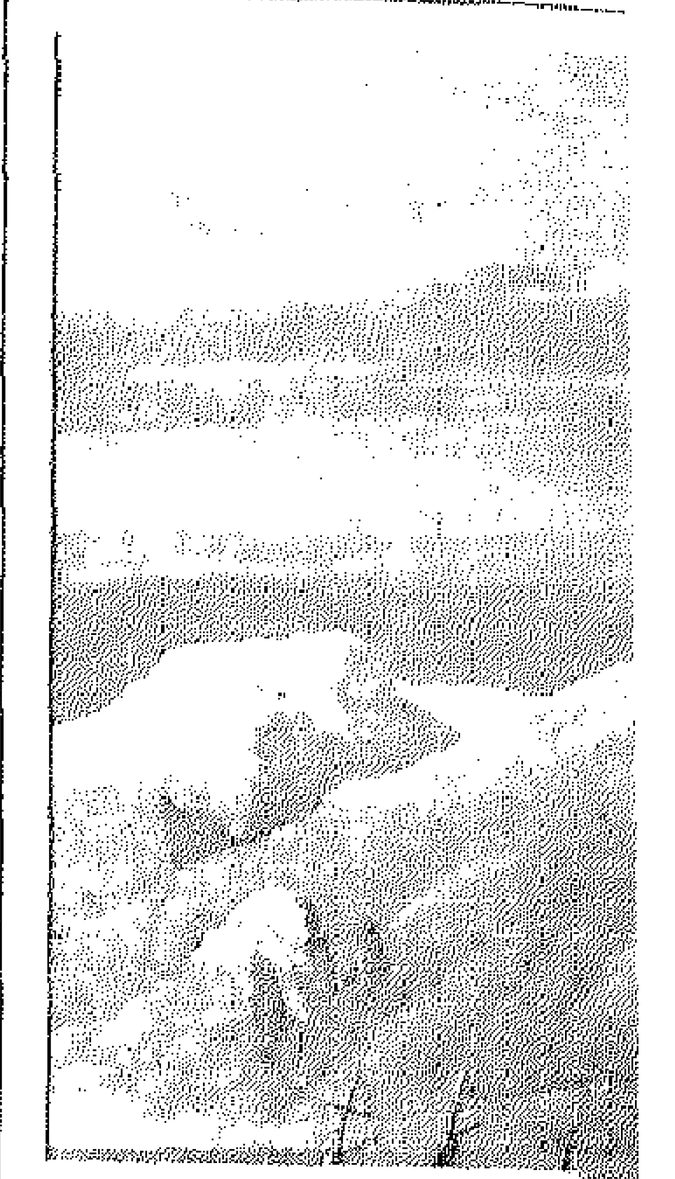
وبعد عملية الانعاش هذه، يقوم الزائر بجولة على المصانع، تبدأ بمصنع الكبريت الجديد (١٨٨١) لصاحبه عدوان خوري، ومصنع الصابون «سلطاني» لصاحبه جرجي الصابونجي، ثم مصنع الرخام الجديد لأبراهيم الشامي وطنوس شعيا، قرب مكتب التلغراف. والجولة الكاملة على مصانع الحرير، يفترض ان تتضمن عادة زيارة مصنع قسطنطين نجار (الدحداح سابقاً)، ومصنع بيدروني في منطقة الحرش، ومصنع نصر، شارع دمشق، ومؤسسة سليم جبيلي وانطوان ورده في النهر. أما معمل القرميد الذي بدأ بداية طيبة، فقد أقفل أبوابه. لكن المسافر المهتم بصناعة الورق، كان يمكنه زيارة مصنع أحمد عيتاني أو مصنع الكرتون المجاور الخاص، بمطبعة اليسوعيين.

وصفقة تلك الحقبة، كانت اعطاء امتياز استثمار المرفأ إلى جوزيف مطران، وتكوين «الشركة العثمانية لمرفأ وأرصفة ومخازن بيروت» (١٨٨٨) بمساهمة البنك الامبراطوري العثماني، وبنك الحسم الباريسي، وشركة المواصلات البحرية. وفي عام ١٨٨٨ اضيئت المدينة بالغاز بفضل امتياز منح لشركة فرنسية. ووقعت البلدية عقدا لتجهيز شبكة من ٦٥٦ موقعاً منيراً. لكن سكان بيروت ظلوا متمسكين بقناديلهم التي تضيء بالنفط. ولذلك قررت شركة الغاز تنويع عملها، وانطلقت في تجارة توزيع الثلج.

والأعمال المصرفية كانت تحظى بتقدير كبير. وكان في امكان التاجر اللبناني وزميله الأوروبي ان يختارا واحداً من المصارف التالية: المصرف الامبراطوري العثماني في خان انطون بك، مصرف جبور طبيب وشركاه في خان فخري بك، مصرف سرسق، مصرف فرعون وشيحا قرب وكالة الشقال.

وكان ثمة عدد كبير جداً من المبادلين الصغار وبيوت التسليف. أما الجواهر، التي انطبع بها الشرق في أذهان الغربيين، فكانت تباع في سوق رعد وهاني، عند الياس نقولا الحمصي وباسيل طوقتلي وحبيب ديان وسليم فيعاني.

وامتد نفوذ الغرب إلى كل البنية الاجتماعية، واشتد الاقبال على خياطي الازياء على الطراز الأوروبي: جرجي عرمان قرب خان انطون بك، جرجي خديج في سوق أياس، ويوسف شاوول في سوق الحرير. أما السيد بيانشي فكان من جانبه يقدم آخر مبتكرات تصاميم الأزياء الرجالية. أما الأزياء الشرقية فكان كبار خياطيها: حنا



بيروت وخلفها الجبل.

اسعد خياط.



فليفل في سوق البازركان، وسليمان أبو شاكر ومحمد البلطجي.

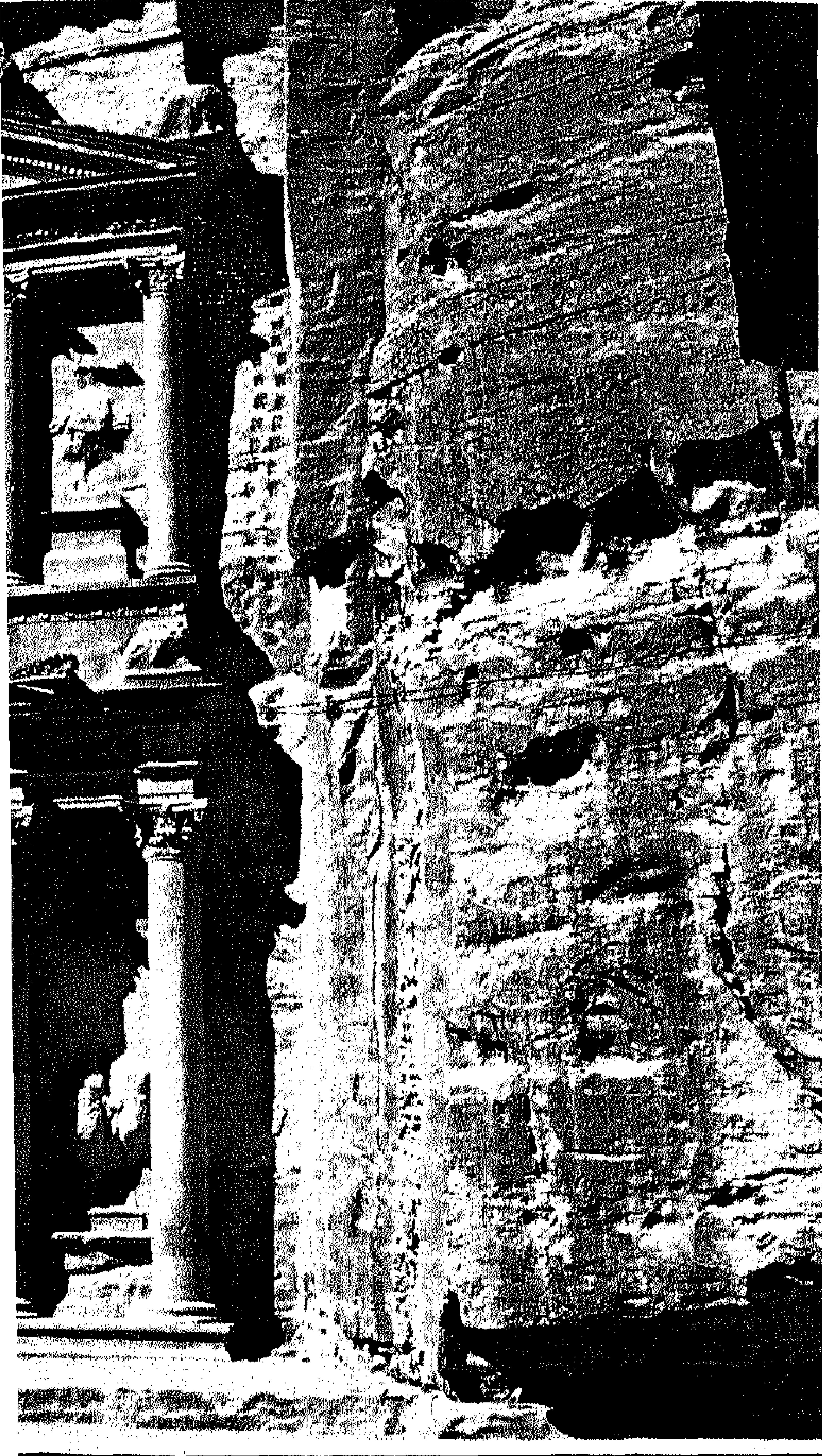
لقد كانت الجبال تشكل ملجأ بشكل تقليدي. وخلال عشرين سنة من الحرب الطائفية (١٨٤٠ - ١٨٦١) تحولت بيروت إلى قطب جاذب لموجة من اللاجئين في الاتجاه الآخر... وأدى النماء الديموغرافي إلى نماء مماثل في الخدمات الطبية. وكان كثير من اللبنانيين يزاولون مهنة الطب عام ١٨٨٨، نذكر من بينهم ابراهيم صافي، الياس شكر الله، شاكر خوري، ابراهيم مطر، اديب قدورة، يضاف اليهم الاطباء المزاولون في الجامعة الاميركية والجامعة اليسوعية. والسيدة صبرا، الطبيبة الشهيرة آنذاك، كانت تعنى بالمرضى من النساء. أما في طب الأسنان فالخيار كان أضيق. كان هناك الياس ونقولا يواكيم، وخريستو انسطاسي. وفي المقابل كانت الصيدليات كثيرة جداً. كان ثمة خمس عشرة صيدلية على الأقل. وبين الصيادلة المؤهلين كان هناك مسعود حيمري (الذي بدأ يعمل عام ١٨٥٠)، وايلي عرب، وايلي تابت، واسكندر حلو، ومراد بارودي، ويمين وسوراني، والاخوان مطر.

واستمر نماء بيروت الذي بدأ في الربع الأول من القرن الماضي. واجتذبت المدينة المزيد من مؤسسات التعليم والبواخر والشركات الدولية، أي انها اجتذبت منافسة متزايدة ومفيدة. والواقع ان المدينة أصبحت سوقاً كبيرة للاستيراد والتصدير، من والى سورية الداخلية. وفي نهاية ذلك القرن كان كثير من الناس يتكلمون لغتين معاً. وهذا الأمر طبع بيروت بطابع دولي خاص جداً. لقد أصبحت المكان الأمثل للقاءات الدولية، ومستودعا فسيحاً للمنتجات الاشد تنوعاً ومصهراً للافكار والتيارات السياسية ●

الهوامش

(١) هي أول الجرائد الاسلامية في بيروت وأول صحيفة عربية انشأتها شركة مساهمة في العالم كله. كانت شركتها تتألف من أثني عشر سهماً وقيمة كل سهم الفان وخمسمائة غرش ذهب عثماني. وكان المساهمون من أدباء المسلمين واعيانهم يؤلفون «جمعية الفنون» برئاسة الحاج سعد حماده ابن الحاج عبد الفتاح حمادة الشهيرين. الا أن جمعية الفنون لم يطل عمرها لدى وفاة مؤسسها الحاج سعد حمادة، فانتقل اسم الجريدة الى صاحب الامتياز الشيخ عبد القادر قباني الذي جعل قبلته خدمة الامة. وكانت للمسلمين ثقة عظيمة بهذه الصحيفة التي بقيت لسان حالهم زماناً طويلاً ولا سيما بعد احتجاب جريدة الجوائب في الاستانة. فكانوا يطالعونها بكل اهتمام لأنها كانت تنشر اخبارهم وحوادث ممالكهم واحوال شعوبهم في مشارق الأرض ومغاربها. وفي ١٢ أيار (مايو) ١٨٩٩ جرى الاحتفال الرسمي بعيدها الفضي فحضره ذوو الوجاهة والفضل مأمورو الحكومة تقديراً لخدمة صاحب الامتياز. وقد عد القوم ذلك الاحتفال حادثاً تاريخياً للصحافة العربية.

البتراء


اليعاقبة ... ثورة وطنية

● وقفت أمام مقر الشرطة في وادي موسى. كان ذلك قبيل المغرب. والقيت بنظرة كلها شوق إلى المكان الذي تتوسطه البتراء. التي آثرت ان تظل محتجبة عني. وهي تحتجبُ عن كل زائر حتى يصلها.

وفي صبيحة اليوم التالي. وقبل ان تظهر الشمس على الافق الشرقي. كنت في طريقي إلى البتراء. وكان السيق مدخلنا الوحيد إلى قلبها. وهناك وقفت أمام خزنة فرعون. وقد تدلّت من فوقنا بوادرُ اشعة الشمس. فبدت هذه آيةً من ايات الفن. وهي آية اتحدث يدُ الانسان والطبيعة في اخراجها. وكل البتراء– هياكل وبيوتا ومدافن– هي آيات من الفن. نحتها الانسانُ في الصخور الجميلة الألوان. فاضاف إلى طبيعتها الجميلة فنه الدقيق.

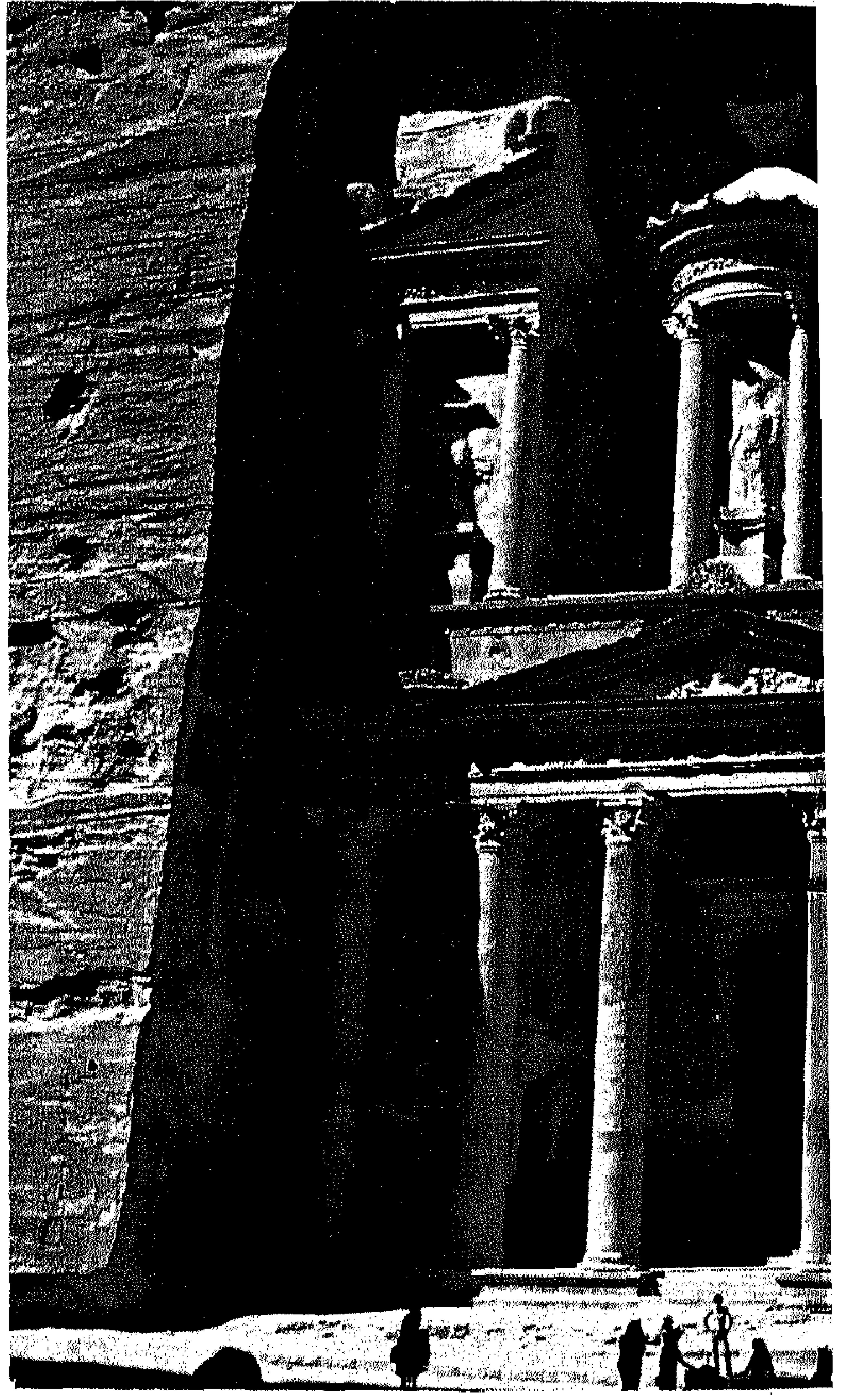
وانت اذ تسير في انحاء البتراء. وتزور متحفها. وترى في الكتب والصور نقودها وتقرأ نقوشها. تقفز إلى ذهنك أسئلة لا حد لها: من هم الانباط الذين فعلوا هذا؟ ولماذا اختاروا هذه البقعة؟ ولماذا قبل الناس أن يأتوا اسواقهم للاتجار؟ وغير ذلك.

الانباطُ استقروا في البتراء وما يحيط بها في القرن الخامس قبل الميلاد. ولعلهم كانوا ورثاء الادوميين. لكن هؤلاء استقروا في بقاع اخرى. والأنباطُ. على ما هو عليه اكثر الباحثين، هم عرب جاءوا هذه الرقعة من أواسط الجزيرة العربية أو حتى من جنوبها. وقد حاول السلوقيون السيطرةَ على الانباط واحتلال البتراء. ولكنهم فشلوا. هذه الحملة يفصل اخبارها ديودورس الصقلي المؤرخ اليوناني فيقول ان الجيش السلوقي الذي هاجم البتراء سنة ٣١٢ قبل الميلاد، كان مؤلفاً من ستمائة فارس واربعة آلاف راجل. وان الجيش تمكن من الدخول إلى البتراء واستولى على ما في اسواقها من اللبان والمر. كما صادرَ خمسمائة وزنة من

جرش في التاريخ

د. نقولا زياده

عربية ضد الحكم البيزنطي



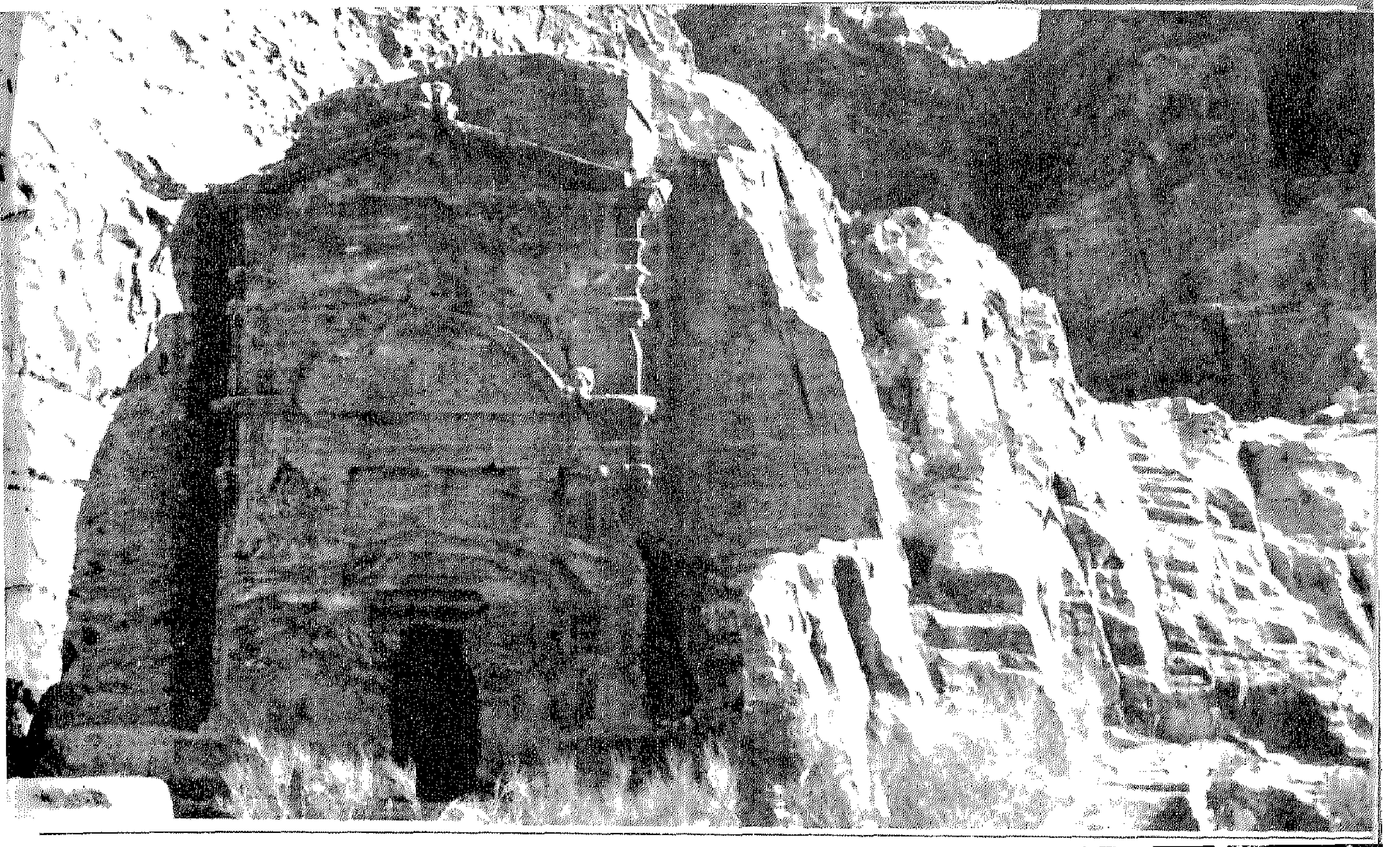
الفضة. لكن سكان البتراء. أي الأنباط. كانوا قد وضعوا أبناءهم ونساءهم واطفالهم في مكان حريز. وقاموا بهجوم معاكس حرروا فيه مدينتهم. واستردوا الاسلاب. وكانت خسارتهم في ذلك كله خمسين رجلاً.

ومع ان السلوقيين جددوا الحملة. لكنهم لم ينجحوا. وقد كان للقار الذي يستخرج من البحر الميت أثر هام في اهتمام السلوقيين بالاستيلاء على ديار الأنباط. فالقار الذي كان يطوف قطعاً صغيرة على سطح هذا البحر. والذي كان يجمع في شباك. كان ينقل إلى مصر ليستعمل في صنع العقاقير. كما كان مادة اصلية في التحنيط. ومن ثم فقد كان مصدر ثروة كبيرة.

تجارة منوعة

لكن القار لم يكن الشيء الوحيد الذي كان الانباط يتاجرون به. ذلك ان الطرق التجارية الآتية من اليمن عبر الحجاز. والواصلة من أواسط الجزيرة عبر دومة الجندل. وهي الجوف اليوم. والطرق الموصلة إلى جنوب فلسطين ومصر وشواطئ المتوسط. والطرق التي يتبعها الناس إلى دمشق وبقية الانحاء الداخلية من بلاد الشام — هذه الطرق كلها كانت تلتقي في البتراء. والمتاجر التي كانت تنقل على هذه الطرق من لبان حضرموت ومر الصومال وطيوب الهند وتوابلها. كانت يتاجر بها في اسواق البتراء. وكان من حسن حظ الانباط ان الجمل كان قد دخل ميدان حمل البضائع قبل مجيئهم بنحو خمسة قرون. وحل محل الحمار حيوان نقل. فيسر عليهم الكثير. فالجمل على المشاق اصبر. وعلى الحمل أقدر.

والانباط كانوا صناعا ماهرين. ولعل الفخار الذي أنتجوه من أجمل ما انتج في المنطقة جمعاء. فهو إلى



المقابر الملكية في البتراء.

زخرفه الانيق الملون الدقيق، رقيق إلى حد يكاد أن يكون شفافاً. ومن هذا صنعوا المعاطر والمكاحل والصحون والاطباق. هذا إلى ان الانباط افادوا من نحاس وادي عربة، وكانت معرفته سابقة لعهدهم، فافادوا من المعرفة هذه. وكان العطر مما يصنعونه. ومن هنا فقد اضافوا إلى المتاجر المحمولة إلى بلادهم الكثير من صنعهم مما نقل جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً.

وقد توسع الانباطُ في سبل العناية بالماء النابع من الأرض والماء الساقط من السماء. والقني التي يشاهدها زائر البتراء اليوم محفورة في اعالي السفوح الجبلية لتوصل الماء إلى تلك الأماكن هي مدعاة للاعجاب. والانباط كانوا من أكبر الشعوب التي ظهرت في المنطقة مقدرةً على الحفاظ على الماء وعلى التربة أيضاً. وهذه الأمور ليست وقفاً على البتراء، بل هناك اماكن كثيرة على شاكلتها مثل بويصرة وغيرها.

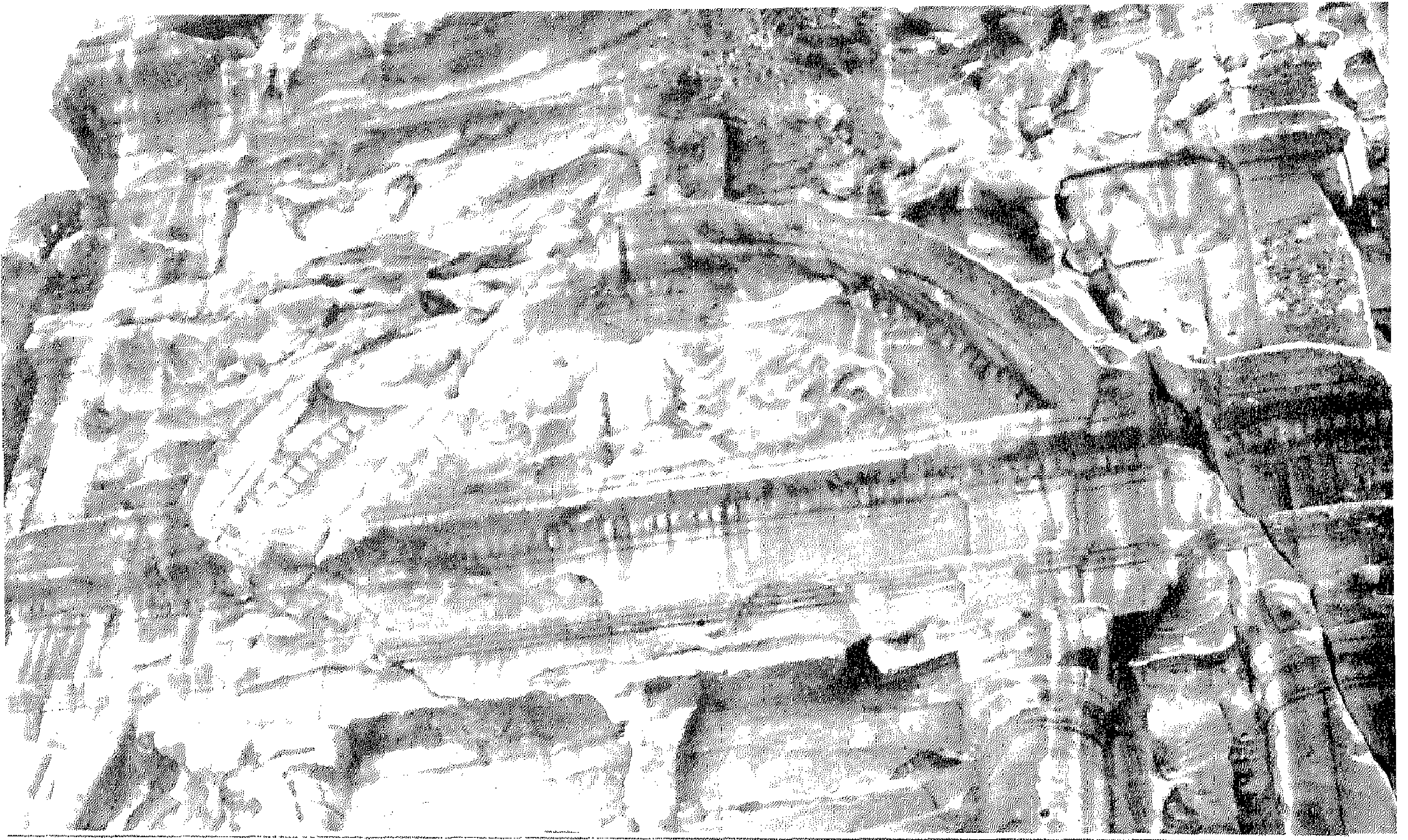
وقد رأى الانباط ان الحفاظ على طرق التجارة يحتاج، بالاضافة إلى الجند المدرب، إلى حصون، فأقاموا من هذه ما احتاجوا اليه. ولأن ملك الانباط امتد من مداين صالح في شمال الحجاز إلى دمشق، فان الرقعة التي استقروا فيها كانت رقعة واسعة. وقد جاء احتلالهم لدمشق حول سنة ٨٠ قبل الميلاد.

وأسماء ملوك الانباط فيها رنة عربية. فهناك الحارثُ وعبادة ومن أسماء ملكاتهم صقيلة وجميلة، وان كان في نطق بعض هذه الاسماء لكنة لعل سببها انهم كانوا يستعملون الخط الآرامي بادي بدء. ويبدو ان اشهر ملوك الانباط هو الحارث الرابع، الذي حكم نحو نصف قرن من سنة تسع قبل الميلاد إلى سنة اربعين بعده. وقد عرف باسم حبيب الشعب.

الاحتلال الروماني

بعد ان احتل الرومان سورية ولبنان وفلسطين وشمال الاردن سنة ٦٣ قبل الميلاد، وجهوا نظرهم نحو الانباط. ولكنهم لم يهاجموا البتراء إلا سنة ١٠٦ أيام الامبراطور تراجان، الذي انشأ ولاية سماها «العربية»، ووصل بين المدينة وبقية الانحاء الواقعة إلى شمالها بطرقٍ منظمةٍ. ومع ان الملك النبطي انتهى امره، الا ان تجارة الانباط وما كان لهم من مشاركة في الفنون وامور الحضارة لم ينته. فالذي اظهره البحث أخيراً هو ان هذا الشعب النشيط ظل يجاهد قرناً أو اكثر بعد مجيء الرومان. وقد ورثه في المنطقة شعب «عربي» آخر هم الغساسنة.

واليوم البتراء قبلة الزوار. وهكذا فقد فرضت على الناس ان يذهبوا اليها مرتين: الأولى يوم جاءوها للاتجار، والثانية يوم يأتونها ليستمتعوا بالفن وآياته.



من عمان إلى جرش

كان الاتصال الأول الكبير لبلاد الشام بالنسبة إلى عالم الاغريق في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، اذ احتل الاسكندر الكبير المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط إلى شمال الهند وأواسط آسية. وبعد وفاة الاسكندر قامت بين خلفائه خصومات انتهت، بالنسبة إلى ما يهمنا، إلى استقرار السلوقيين في بلاد الشام وقيام دولة البطالمة في مصر. ومع ان الحرب كانت سجالا بين الدولتين، فان ذلك لم يمنع حضارة اليونان من ان تنتشر في هذه الرقعة، ونال الاردن منها حظاً ليس بالقليل.

واذا نحن اخذنا بالبحث عن المظاهر المادية لهذه الحضارة وآثارها لوجدناها في بناء المدن والمعمار والفن – حفراً ونقشاً وتصويراً، كما نتعرف على آثارها المعنوية شعراً ينظمه شاعر من جدارا القديمة أي ام قيس الحالية، وفكراً وفلسفة يتفاعل مع ما كان عند أهل البلاد.

وتعثرت أمور الدولة السلوقية والبطلمية. وكان العالم يرقب ظهور قوة جديدة هي رومة. وهذه وصلت جيوشها إلى بلاد الشام في أوائل القرن الأول قبل الميلاد. وكان الرومان ممتازين في الادارة وبناء الطرق والجسور، لذلك ادخلوا إلى هذه البلاد شيئاً من هذا الذي عرفوه. أما في النواحي الحضارية الأخرى فقد كان عملهم نشر الحضارة اليونانية على نحو ما كان الأمر من قبل. هذا بالاضافة إلى ان القرنين الأول والثاني للميلاد كانا زمن «السلم الروماني» وهو زمن الازدهار.

فاذا نحن أخذنا الفترة اليونانية الرومانية كلها كأنها وحدة حضارية، لوجدنا فيها أموراً حرية بالذكر.

منها أن المدن عامة كانت شوارعها تتقاطع على زوايا قوائم، وتسير في خطوط مستقيمة، وكانت المياه الصالحة للشرب تنقل اليها من جهات بعيدة. فقد نقلت مياه الشرب إلى درعا من مسافة خمسة عشر كيلو متراً.

ومنها ان الرومان انشأوا عدداً من الحصون والقلاع والمسالح كانت تمتد من المدورة في جنوب الاردن إلى الفرات. وهذه امنت للسابلة الطرق.

ومنها ان الطرق عمرت البلاد فطريق بحري يمتد من الساحل الشامي إلى مصر، وطريق سلطاني يجتاز الاردن من الشمال إلى الجنوب، وطرق عرضية تصل الطرق الرئيسية المذكورة؛ وكل هذا يتصل بالبلاد المجاورة.

وعادت الحياة للمدن اليونانية والمدن التي هي أقدم منها عهداً، وتقاطر اليها الناس وسكنوها. فكانت عمان (فيلادلفيا) وبيسان وفحل وجدارا وجرش مراكز للحياة المتحضرة.

وفي كل مدينة من هذه المدن . وغيرها كثير في بلاد الشام . يجد الواحد مدرجا يتسع لآلاف من المتفرجين . الذين يؤمونه ليشاهدوا تمثيل الروايات التي كتبها ابناء البلاد أو نقلت عن اليونانية . وكان لكل مدينة ساحة ندوة كان الرومان يسمونها «فورم» حيث كان يلتقي احرار المدينة تلبية للدعوة التي يوجهها الرئيس اليهم ليقرروا الشؤون العامة . وكانت للمدينة مبانيها المشرقة وهياكلها الجميلة . ونشطت مجالسها المحلية لتجميلها .

. . وبقيت جرش

ولنلق نظرة على جرش . على اعتبار انها مثل حي للمدينة التي تحدثنا عنها . فعمان وام قيس وغيرهما من المدن المعاصرة لجرش عملت يد التخريب فيها . وعمان بني الكثير فوق ما كان منها مخبأ تحت التراب . أما جرش فقد استمرت حياتها حتى بعد الفتح العربي إلى أيام العباسيين . على نحو ما ظهر من أعمال الحفر والتنقيب الاثري الذي تم أخيراً .

فالدخول المألوف إلى جرش هو من الباب الجنوبي . مروراً تحت ركنيه وتاجه . والغالب ان يتجه الزائر يساراً إلى المسرح المدرج فيتسلقه . ومن هناك يشرف على آثار المدينة . فالندوة البيضاوية شكلاً تمتد أمامه . وارضها التي بلطت قبل الف وستمائة ويزيد من السنين لا تزال هناك . وتحيط الأعمدة الكورنثية الجميلة . وهناك نحو سبعين منها . بساحة الندوة هذه . هذا غير الذي تهدم بفعل الزلازل .

وهناك الشارع الرئيسي الذي كان يخترق المدينة من الجنوب إلى الشمال . وقد كان مكونا من طريق للمركبات عرضه نحو ستة أمتار في الوسط . يحيط به رصيفان مرتفعان للمارة . وعلى جانبي هذا الشارع كانت تقوم الحوانيت والمتاجر الكبيرة . فضلاً عن ساحة الندوة ذاتها التي كانت سوقاً كبيرة للبلد وتجاره .

وفي وسط هذا الشارع حوض منحوت من الصخر الأحمر الجميل . تعلوه مصاب للماء . الذي لعله كان مسبحاً لآلهة الجمال .

وهناك بقايا هيكل أرطميس . وكان لهذا الهيكل مائتان وستون من الأعمدة الكورنثية يعتمد عليها . وليس منها هناك اليوم سوى عدد ضئيل . كان هذا هيكلاً تعبد فيه الشمس . كما كانت تعبد الشمس في اماكن كثيرة من بلاد الشام . فقد كانت هذه العبادة أشيع انواع العبادات في القرنين الثاني والثالث للميلاد في منطقتنا جمعاء . وكان كهنة الشمس قد نظموا شؤونهم وادخلوا تنجيم البابليين وأساطير الكواكب في عبادتهم . وكانت الشمس قلب الكون النابض ومصدر النور الحق للعالم . فعبد سكان بلاد الشام الشمس على انها أكبر الآلهة . ومن بلاد الشام انتشرت عبادة الشمس في العالم الروماني . بتأثير هؤلاء الكهنة الذين عنوا بتفسيرها وشرحها للناس . حتى ان الامبراطور اورليان . وهو من أباطرة القرن الثالث الميلادي . رفع «الشمس التي لا تقهر» إلى مقام اسمى إله في الامبراطورية .

ومثل كل مدينة رومانية كبيرة كان لجرش حلبة لسباق الخيل تسمى هيبودروم . وهذا البناء كان يحيط بالمسبق وفيه صفوف من المقاعد يجلس فيها المتفرجون . واذا كانت عمان قد نعمت بمدرج يتسع لنحو خمسة الاف شخص . فان جرش كان فيها مدرجان—الجنوبي وهو على يسار الداخل من الباب الجنوبي—والشمالي والأول يتسع لثلاثة الاف متفرج . أما الشمالي فكان اصغر وكانت فيه اقبية تحت أدنى صف من المقاعد لعلها كانت غرفا للاحتفاظ بالحيوانات المفترسة لاوقات الجلاد .

وكان لجرش . مثل غيرها . حمامات عامة . وهي في جرش غربية وشرقية . والحمامات كانت للاغتسال . كما كانت تقوم مقام الاندية .

ويوم في مادبا

كان الانباط أول جماعة عربية استوطنت الاردن وأقامت فيه مدينة لا تزال تبهر الناظرين في البتراء وغيرها من مدنهم وقراهم . ولكن الذي يجب ان نذكره أيضاً هو ان جماعات صغيرة كانت تنتقل من الجزيرة العربية إلى اجزاء مختلفة من بلاد الشام . وفي القرن الثاني أو الثالث بعد الميلاد نجد ان هذا العدد من الجماعات الصغيرة يزداد حجماً وقوة . بحيث اننا لا نكاد نصل إلى القرن الرابع أو الخامس حتى نجد ان الغساسنة قد استقروا في الاردن والجولان . وكانت لهم قوة وعنفوان وحضارة وبلاط . ونعرف انهم استولوا . فيما استولوا عليه . على اطراف دمشق ان لم يكونوا قد وصلوا إلى المدينة نفسها .

وكان حدث هام قد أخذ طريقه إلى الاردن في القرن الرابع للميلاد . وهو انتشار المسيحية في ربوعه . ومن هنا كانت هذه الكنائس الكثيرة التي بنيت . ويبدو هذا واضحاً في جرش . إذ لا تزال آثار اثنتي عشرة كنيسة قائمة فيها . وأشهرها الكاتدرائية الكبرى التي كانت موجودة في

سنة ٣٥٩ بدليل اشتراك اسقف جرش ـ أي مطرانها ـ في مجمع سلوقية الذي عقد في تلك السنة . على أنه ثمة ما يدل على بناء كنيسة أو أكثر هناك تعود إلى القرن الثاني وأوائل القرن الثالث . الا أنه من الثابت ان بعض الكنائس القائمة آثارها في جرش تعود إلى القرنين الخامس والسادس .

ثورة وطنية عربية ضد بيزنطية

وهناك أمران هامان يتعلقان بانتشار المسيحية وبناء الكنائس في الأردن . أما الأول فهو أن الغساسنة ـ الذين كانوا حلفاء البيزنطيين أو الروم ـ كانوا يعاقبة أي إنهم كانوا يختلفون عن المذهب الرسمي لحلفائهم . وكانوا ـ من هذه الناحية ـ على وفاق مع أقباط مصر الذين كانوا يعاقبة أيضاً . وكانت مصر كذلك ولاية بيزنطية أي رومية . ومن المؤرخين من يرى ان هذا الموقف الذي وقفه الغساسنة ، وهم أقوى فئة مسيحية في بلاد الشام ، واخوانهم الاقباط في مصر لم يكن في طبيعته خلافاً على مسائل دينية مع الكنيسة البيزنطية الرسمية ، بل كان موقفا وطنيا يعبر عن ثورة داخلية في البلدين ضد السلطة الاجنبية عنهما .

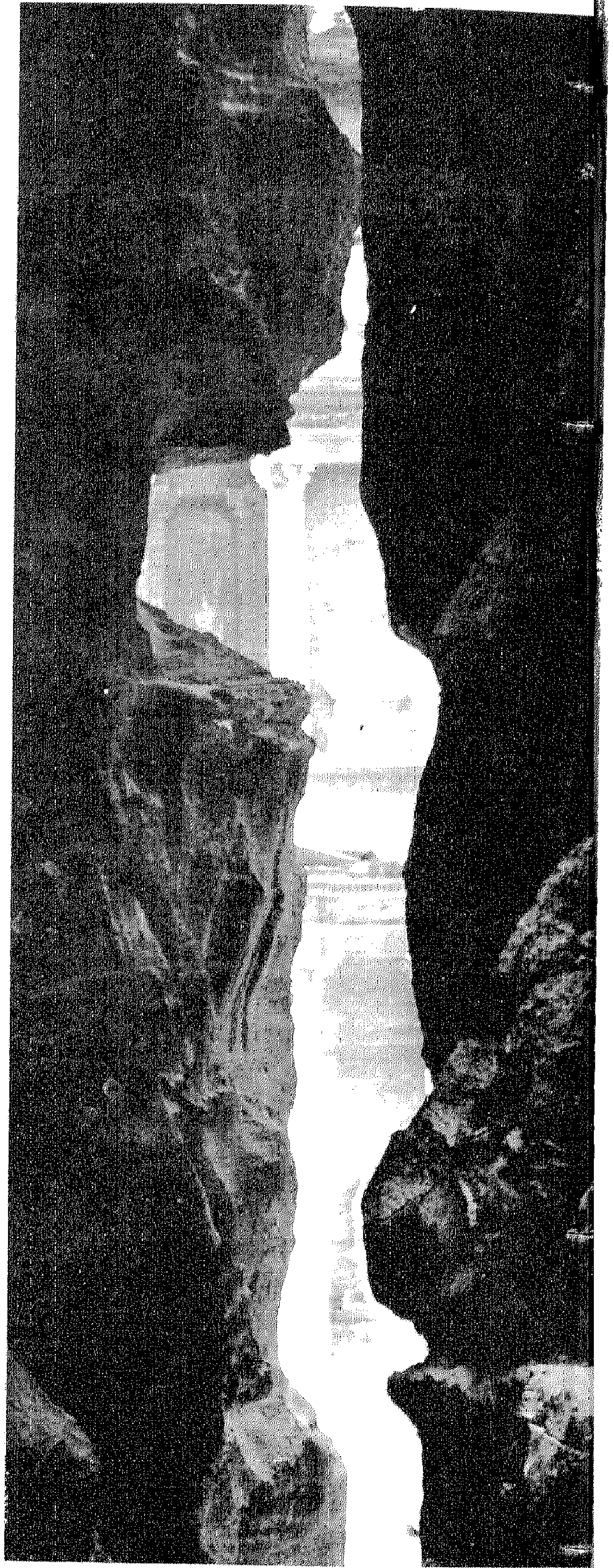
أما الأمر الآخر الحري بالذكر فيتعلق بالكنائس نفسها . فقد شاعت في ذلك الوقت ـ منذ القرن الرابع إلى القرن السابع ـ زخرفة الكنائس بالفسيفساء ، أي الحجارة الصغيرة الملونة التي كانت تستعمل لزخرفة الارضين والجدران . وقد استعملت قطع الزجاج الصغيرة الملونة أيضاً .

ونحن واجدون في جرش في الكاتدرائية الكبرى وفي كنيسة القديس ثيودوروس وفي الكنيسة ذات الرواق مصليات صغيرة مزينة أرضها بالفسيفساء . وقد كانت الفسيفساء الموجودة في كنيسة القديس يوحنا المعمدان فسيفساء على جانب عظيم من الروعة وتشتمل على صور مدن ومن جملتها الاسكندرية وممفيس ، ويحيط بها إطار عريض يشتمل على رسوم اشخاص وحيوانات . ويمكن لمن يريد ـ أن يشاهد هذه في متحف جرش ومتحف الفسيفساء في عمان .

وقد كانت ثمة غرفة على مقربة من درج الكاتدرائية تستعمل مصنعاً للفسيفساء الزجاجية وذلك في القرن السادس .

خريطة من الفسيفساء

على أن المكان الذي يبدو فيه فن الفسيفساء الأردني على جماله فهو مدينة مادبا وجبل الصياغة القريب منها .



السيق : الممر الوحيد إلى البتراء بين جبال الصخر .



«الدير» : تحفة فنية خالدة منحوتة في الصخر في البتراء.

هذا بالاضافة إلى أماكن منتشرة حول مادبا.

فالزائر للكنيسة الارثوذكسية في مادبا يستطيع أن يشاهد حتى اليوم صناعة متقنة عجيبة. ولعل أكثر هذه اتقاناً خريطة الأرض المقدسة وسورية وسيناء ومصر. وقد تلف قسم منها. لكن الموجود إلى الآن تتضح فيه معالم الصناعة الدقيقة. فهناك خريطة صغيرة. داخل الخريطة الرئيسية. لمدينة القدس تبدو فيها الأماكن المسيحية المقدسة واضحة. ويظهر نهر الاردن والبحر الميت بوضوح. ولعل من أطرف ما يشاهده الزائر هو هذه السمكة التي تصل في الاردن إلى قرب مصبه في البحر الميت ثم تلوي عنقها محاولة العودة ادراجها. اشارة إلى انه بحر لا تقوم فيه الحياة بسبب ملوحة مائه الشديدة.

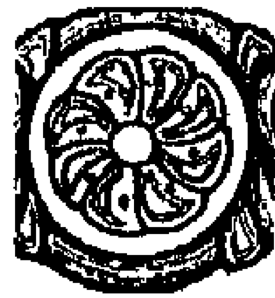
ثم هناك بقية من الخريطة التي تبدو فيها اجزاء من سورية. ولكن القسم الذي تظهر فيه سيناء ومصر أوضح. والنيل وفرعاه اللذان يكونان الدلتا بينة المعالم في هذه الفسيفساء الأرضية.

إلى جانب هذا كله فهناك الابراج السماوية الأثنا عشر. ممثلة بالنجوم وما ترمز اليه اسماؤها من حيوان أو رمز. يضاف إلى ذلك صور لبعض أنواع النباتات التي تظهر في المواسم التي تمثلها الأبراج.

وفسيفساء الصاغة، المعروف باسم جا نه أيضاً. تعكس الأفكار نفسها التي تعكسها الصور الأخرى. ومن طبيعة الأشياء ان تكون أسفار الكتاب المقدس وما ورد فيه من قصص دينية هي المصدر الرئيسي للمارسم في الكنائس من فسيفساء. لكن حتى اخبار العهد القديم مطبوعة بالطابع المسيحي الممثل في العهد الجديد.

ونحن إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود مدن مصرية مصورة في بعض كنائس جرش. وخريطة مصر التي نشاهدها في فسيفساء مادبا. أدركنا مدى ما كان يعتمل في نفوس الذين زخرفوا هذه الكنائس من ارتباط بين الفريقين التابعين للمذهب اليعقوبي القائل بالطبيعة الواحدة. مقابل المذهب الرسمي للكنيسة البيزنطية. ولعل هذا يؤكد ان الارتباط لم يكن دينيا فحسب. بل كان ارتباط معارضة وطنية للحاكم الاجنبي.

هذه الآثار الجميلة الممثلة في المعمار والفن في الكنائس وغيرها قضت عليها عوامل مختلفة. لعل أهمها الزلازل الكثيرة التي كانت تضرب البلاد. وتؤذي المباني الشاهقة أكثر مما تصيب المباني الأصغر. وكان من أكثر الزلازل تدميراً لكثير من هذه المباني. في جرش وغيرها. ذلك الذي وقع سنة ٧٤٦ للميلاد. وهو الزلزال الذي جعل جرش مدينة شبه مهجورة. اذ تساقطت معظم مبانيها ●



بائع بطيخ فاشل... يصبح من كبار الاطباء!

هو ابراهيم النبراوي بك..

أرسله أهله الى القاهرة ليبيع بطيخاً. فخسرت تجارته. فخاف الرجوع الى أهله فدخل الأزهر واتفق احتياج محمد علي باشا الى شبان يعلمهم الطب. فتقدم النبراوي ودخل مدرسة أبي زعبل. ومن ثم أرسل الى باريس مع البعثة الأولى. فتزوج فرنسية، وترجم —وهو بفرنسا— مؤلفات كلوت بك. وتولى بعد ذلك تعليم الجراحة الكبرى في زمن كلوت بك. واختاره محمد علي باشا طبيباً خاصاً له ورقاه الى رتبة أميرالاي. وانتخبه أيضا عباس باشا طبيباً له.

(عن كتاب: حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر)



لعل من أغرب الظواهر التاريخية ظاهرة نشوء الامبراطورية البريطانية وتقدمها وبقائها. فانه ليستعصي على الفهم أن ينجح سكان جزيرة صغيرة. تقع وسط بحار مكفهرة. ويمتاز جوها بالقسوة والعنف. في فتح امبراطورية مترامية الاطراف تشغل ثلث مساحة الارض. ثم السيطرة عليها قروناً.

اندريه موروا

من أخبار المسرح الكوميدي في مصر

١٩٠٥-١٩٢٠

٢

د. محمد يوسف نجم

عزيز عيد



لقطة تجمع بين ستيفان روستي ونجيب الريحاني (وبينهما ليلى مراد في فيلم غزل البنات).

العودة إلى جورج أبيض (١٩١٧ - ١٩١٨):

● انفصل عبد الرحمن رشدي عن جوق استاذه جورج أبيض في نهاية موسم ١٩١٦ - ١٩١٧ وكوّن فرقة مستقلة باسم «شركة التمثيل العربي». وعاد عزيز إلى صديقه القديم جورج أبيض عقب انفصال رشدي، مخرجاً وممثلاً.

وقد شارك عزيز في تمثيل بعض المسرحيات. وعرفنا من ادواره دور سالومون في «الممثلكين»[1] ودوره في «دخول الحمام مش ذي خروجه»[2]. التي كان قد قدمها على مسرح الأبيه دي روز. ودور جاكمان الحاج في «شارل السادس»[3]. ودور كواتيه في «لويس الحادي عشر»[4]. ودور فوشيه في «مدام سان جين»[5] ودور كليوفاس في «الساحرة»[6]. ودور ياجو في «عطيل»[7].

وتجول الجوق في مديريات الوجه البحري إعانة لمشروع «يومنا ١٩١٧». ووافق عزيز على أن يرافقه في هذه الرحلة مخرجاً وممثلاً. على أن يتقاضى خمس الأرباح. ويقال أن جورج حقق في هذه الرحلة أرباحاً طائلة بلغت الخمسة آلاف جنيه. أبى أن يسلم لعزيز بحقه فيها[8]. ويقال أن عزيزاً احتقبها في نفسه وانتقم

من جورج انتقاماً فنياً بارعاً وذلك باقناعه باخراج «فيروز شاه» التي كانت وبالاً عليه من الناحيتين الفنية والمالية.

وبعد عودة الجوق من تلك الرحلة استأنف التمثيل على مسارح القاهرة والاسكندرية وقدم موسمه المعتاد في الأوبرا. وأخرج عزيز مسرحيات هذا الموسم المرموق ومثل فيها دور أوغلو، أبو تيمورلنك. في «تيمورلنك»[٩]. ودور ريمون في «العثرة الأولى»[١٠]. ودور فلت في «الشعلة»[١١]، ودور سالون في «الممثل كين»[١٢]، ودور جاكمان الحاج في «شارل السادس»[١٣].

وأخرج له في هذا الموسم أوبريت «فيروز شاه» التي الفها عبد الحليم دولار ولحنها سيد درويش وغنى فيها جورج. وكانت كارثة فنية ومالية كما ذكرنا[١٤].

مع منيرة المهدية (١٩١٨ - ١٩١٩):

بعد ذلك ظهر اسم عزيز ثانية على مسرح دار التمثيل العربي الذي كان يديره محمود بك جبر زوج منيرة المهدية. فقدم باشراف منه عدداً عن مسرحياته الفودفيلية ومنها «يا ستي ما تمشيش كده عريانة» و«زي ما انت راسي»[١٥].

ثم ألف له محمود بك جبر جوقاً خاصاً أخذ يمثل إلى جانب جوق منيرة. فاختار مسرحية «عبد الستار أفندي» لمحمد تيمور. واختار لها من الممثلين والممثلات زكي طليمات وأحمد حافظ وعبد المجيد شكري وحسن فايق ومحمود فهمي وروز اليوسف ولطيفة أمين وزاهية ومثل هو دور عبد الستار أفندي. وقدمها بمسرح دار التمثيل العربي في ديسمبر ١٩١٨[١٦].

وفي هذا الموسم أخرج لها عزيز أوبريت «روزينا» ومثل فيها دور لاكوكارديير[١٧].

عودة الى الفودفيل، والريحاني (١٩١٩ - ١٩٢٠):

انفصل امين صدقي والكسار عن جوق مصطفى امين في كازينو دي باري حوالي نهاية ١٩١٨، والفا جوقاً خاصاً بهما اخذ يمثل على مسرح الماجستيك ابتداء من يناير ١٩١٩. فاضطرت ادارة الكازينو الى الاستعانة بمواهب فودفيلية أخرى تستطيع ان تصمد امام الريحاني الذي كان آنذاك يتألق على مسرح الاجبسيانة في مسرحية «حمار وحلاوة» انجح مسرحياته من الناحية المادية في هذه الفترة[١٨]. فاستعانت بعزيز عيد الذي ما كاد يظهر على المسرح ويقدم مسرحية «حنجل بوبو» حتى عاوده سوء الطالع وداهمته احداث ثورة ١٩١٩. فاخفق مشروعه الجديد[١٩].

في تلك الاثناء كان الريحاني. بعد ما حققه من شهرة فنية ونجاح مادي على مسرح الاجبسيانة. يفكر في مشروع تمثيلي من نوع جديد يسير جنباً الى جنب مع نشاطه الفودفيلي الموفق. دون ان يتعارض معه أو يؤثر على نجاحه. فكلف عزيز عيد بتأليف فرقة تجمع بعض البارزين من الممثلين. واستأجر له كازينو دي باري نفسه يمارس عليه نشاطه الجديد. واتفق مع محمد تيمور على ان يمصر له



نجيب الريحاني.

مسرحية «ذو اللحية الزرقاء» عن الفرنسية. فمصرها تيمور ودعاها «العشرة الطيبة». وكتب ازجالها بديع خيري ولحنها سيد درويش.

قضى عزيز في اخراج هذه الأوبريت وتدريب الممثلين عليها زهاء اربعة اشهر[٢٠]. وقدمها ابتداء من ١١ مارس ١٩٢٠. وقد استمر تمثيلها حتى أوائل شهر مايو[٢١]. واشترك في تمثيلها استفان روستي ومحمد صادق سيف وزكي مراد ومحمود رضا ومنسى فهمي ومختار عثمان وعباس فارس وروز اليوسف ونظلي مزراحي وبرلنتي حلمي[٢٢].

واستمر عمل هذه الفرقة المستقلة، باشراف الريحاني وادارته، في كازينو دي باري. فقدمت الى جانب «العشرة الطيبة» عدداً من فودفيلات عزيز المشهورة، منها «خلي بالك من اميلي». و«ياستي ما تمشيش كده

عريانة»، و«بسلامته ما دخلش دنيا»[٢٣].

ثم اختلف الريحاني مع عزيز وسيد درويش، وتخلّى عن الفرقة وتركها لشأنها[٢٤].

العودة إلى ابيض (١٩٢٠-١٩٢١):

بعد ذلك ظهر اسم عزيز ثانية مع جوق ابيض بعد عودته من رحلته الطويلة في بلاد الشام. وذكر اسمه في تمثيل مسرحية «قيصر وكليوباترا»[٢٥] و«أوديب الملك»[٢٦] و«الممثل كين»[٢٧] و«الساحرة»[٢٨] و«برج نيل»[٢٨] (وقد مثل فيها دور اورسيني).

مع جوق سيد درويش (١٩٢١):

كان عزيز اثناء عمله المتقطع مع ابيض يعدّ العدة لعمل عظيم، هو اخراج أوبريت شهرزاد لجوق سيد دوريش. وقد الف هذه الأوبريت بيرم التونسي ولحنها سيد درويش، وقدمت على مسرح برنتانيا في أوائل حزيران (يونيو) ١٩٢١ واستمر تمثيلها حتى ١٦ تموز (يوليو)[٣٠] وبعد ذلك اعاد الجوق تمثيل «العشرة الطيبة»[٣١].

مع منيرة المهدية (١٩٢١):

بعد ذلك التحق عزيز بجوق منيرة المهدية الذي افتتحته في ١٤ آب (اغسطس)[٢٢] ١٩٢١ بالاشتراك مع فتحية احمد. ورافق عزيز هذا الجوق في رحلته الى البلاد السورية التي امتدت من منتصف ايلول (سبتمبر) حتى أوائل تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢١[٣٣].

* * *

هذا ما استطعنا الوصول اليه من اخبار عزيز عيد في هذه الفترة المتعثرة الحائرة من حياته، قبل اتصاله بمسرح رمسيس. ويبدو لي ان هذه الاخبار، وهي هيكل موضوعي لنشاطه التمثيلي، لا تمدنا بفكرة صحيحة عن جهاد عزيز الفني وعن سعيه الدائم الى خلق الكوميدية المصرية الأصيلة التي تعبر عن روح الشعب المصري وتصور ملامح شخصيته وقسماته الفارقة. وقد كان عزيز، في ما يبدو لي، مثالياً دائماً، يهوّم بأحلامه في عالم بعيد، لا يمت بصلة الى اوضاع المسرح المصري آنذاك، وهي أوضاع غلبت عليها الروح التجارية التي كانت تتملق الشعب وتدغدغ احاسيسه ونزواته، بعيداً عن الفن الحقيقي الذي كان عزيز جادًّا في تحقيقه مع قلة من الفنانين بعضها طأطأ لحكم الظروف واحنى هامته امام الواقع، كجورج ابيض، والآخر خاض المعركة وحده، ولم يكن له دور



عبد الرحمن رشدي.

محسوس آنذاك برغم الجهود المضنية التي بذلها، كعبد الرحمن رشدي ومحمد تيمور وتلك الحفنة من الشبان التي كانت تلتف حولها كأعضاء جمعية انصار التمثيل التي كانت خليقة، لو اسعفت الظروف، ان توجه التمثيل وجهة أخرى، غير ما اراده له أولاد عكاشة والريحاني والكسار.

ولقد أدرك المنصفون من النقاد وأهل الفن الدور الحقيقي الذي كان بامكان عزيز ان يضطلع به في خدمة المسرح المصري، وقدروا له جهاده الحقيقي، وبينوا بعض عيوبه بموضوعية وتجرد، وسأكتفي في هذا الصدد باقتباس رأيين منصفين، احدهما للسيدة روز اليوسف التي تعتبر تلميذته الأولى، والثاني لصديقه وزميله محمد تيمور الذي عرف عزيزاً عن قرب وادرك سر موهبته الفنية الكبيرة وطموحه العظيم. تقول السيدة روز اليوسف:

لا مــــهادنة:

اني لا اعرف فناناً مصرياً ضحى من اجل الفن، وتشبث بمبادئه الفنية في جميع الظروف مثل عزيز عيد. ولم يكن عزيز فناناً على المسرح فحسب، بل كان فناناً في حياته الخاصة، في علاقاته بالناس... فناناً حتى اطراف أصابعه.

كان عزيز يرضى بالفقر، بالجوع، بأي شيء... الا ان يخرج رواية تمثيلية واحدة بطريقة لا يرضى عنها. فاذا

ومع ذلك فقد كان عزيز يقول انه مخرج أولاً وان تلاميذه هؤلاء هم الممثلون... فاذا خرج مفلساً بحث عن طريقة يلفق بها مسرحاً يخرج عليه مسرحية ترضي نزعته الفنية من لون الفودفيل الاخلاقي... بعيداً عن أي تهريج أو سخف أو ابتذال(٣٤).

هذا هو رأي السيدة روز اليوسف الممثلة القديرة والصحفية النابهة في استاذها الذي تعهّد موهبتها الفنية بالصقل والتثقيف حتى غدت من أعظم الممثلات اللاتي ظهرن على المسرح المصري وخاصة في دورها في غادة الكاميليا الذي أظهرت فيه من البراعة والرقة والانوثة ما جعلها تبذ كل ممثلة مصرية في عصرها، وتسجل فيه نجاحاً يجعلها تسامق فيه الممثلات الاوروبيات اللاتي تألقن في هذا الدور كسارة برنار.

وعلى الرغم من ان حديثها عنه امتزجت فيه العاطفة الشخصية واعجاب التلميذ باستاذه، بالاحكام الموضوعية المجردة، الا ان استقراء حياة عزيز الفنية واقوال تلاميذه الأخر وزملائه والنقاد فيه يدل على انها لم تكن مبالغة في تقديرها له.

أشجار جذورها في مصر:

والرأي الثاني الذي أود ان استعين به في تقدير دور عزيز عيد في المسرح المصري، في الفترة الأولى من حياته الفنية قبل انضمامه الى فرقة رمسيس، هو رأي الناقد الموضوعي المثقف محمد تيمور، يقول تيمور:

عزيز عيد يحب التمثيل كما يحبه ابيض ورشدي ويغار عليه كما يغاران عليه ولكنه ينظر اليه من وجهة اخرى. فالتمثيل في نظر الجميع كالروضة التي تترنح معاطفها وتتناغى اطيارها، ولكن عزيز يرى اشجار تلك الروضة وازهارها وطيورها كلها غريبة عن اعين المصريين. ولهذا يود ممثلنا الكبير ان يقوم بيده وفأسه يـ.ـسف هذه الازهار ويقلع هذه الأشجار ويشتت شمل هذه الاطيار ثم يزرع عوضاً عنها اشجاراً لا تنبت إلاّ في قرية مصر ولا تزدهر بغير زهور مصر ولا يسكنها غير البلبل والكيروان وعصفور الجنة والقمري والحمام واليمام. فرشدي وابيض يمثلان الانواع العديدة من الروايات وسيان عندهم ان كان جوّ رواياتهم بلاد الهند والسند أو اليابان والصين أو فرنسا وانكلترا. أو كانت موضوعاتها عامة توافق ذوق المصري والاجنبي أو خصيصة بذوق المصري. ولكن عزيز يرى ان الروايات المصرية المصبوغة بصبغة البلاد والتي تدور حوادثها في مصر والتي يحلل فيها المؤلف النفوس المصرية مفقودة معدومة



محمد تيمور.

اخذ في اخراج رواية دقق في اختيار الممثلين تدقيقاً بالغاً... لا يعطي اتفه دور فيها لممثل لا يؤمن بكفاءته... اما الكفاءة «الخام» فقد كان يلتقطها من أول لمحة ويعرف على الفور اي الادوار يصلح لهذا الفتى أو الفتاة... ثم ينصرف بكليته الى تدريب النجم الناشىء وتمرينه حتى يخلقه خلقاً جديداً. فاذا اضطر لاسناد دور في الرواية الى ممثل لا يعتقد بكفاءته الفنية تركه يمثل كما يشاء، ويبخل عليه بملاحظة أو نصيحة واحدة... انه في الفن لا يعترف بالشيء الوسط ابداً، اما ان يكون الواحد فناناً تماماً، أو ليس من الفن في شيء.

وكانت هذه الطبيعة تكلفه ثمناً غالياً لا يتحمله الناس العاديون... هو الافلاس التام بالايام والشهور. فهو لم يكن يملك شيئاً على الاطلاق... وقد يرفض اخراج الرواية التي لا تلائمه ويرفض معها الأجر الكبير، ليخرج الى الشارع معدماً، مفلساً يصوم اليوم وبعض اليوم حتى يزور امه فيأكل عندها مجاناً، وقد تعطيه وهو خارج قرشين أو ثلاثة.

... اما عزيز فقد كان ممثلاً كوميدياً من الطراز الأول وكان يمتاز بصفة قل ان توجد إلاّ في مثله من الاساتذة هي: انه اذا وقف على المسرح انصرف الى مساعدة الممثلين الذين يلعبون امامه مهما كانوا ناشئين. ذلك ان قدمه راسخة جداً على المسرح، فهو في غنى عن العناية بنفسه، في غنى عن محاولة الظهور على غيره...



احدى المسرحيات في بدايات فن المسرح المصري.

لا أثر لها في بلادنا. ولهذا يود ممثلنا الكبير من صميم قلبه ان يكون أول القائمين بهذه النهضة. فان انفرد بجوق برأسه ابتدأ بتمثيل الفودفيل ليمتلك به قلب جمهوره ثم يسير به في طريق الكوميدي المصرية. وان انضم لجوق من الأجواق الكبيرة اشترط على رئيسه ان يسمح له بتمثيل الروايات التي تروق في عينه ليتسنى له ان يمثل الفودفيل ثم الكوميدي المصرية. وكم من مرة جلست معه نتجاذب اطراف الحديث فكان يقول لي وهو يبتسم (لقد عاكستني الظروف فلم انجح ولكني سأعيد الكرة وأبدأ بالفودفيل الافرنسي حتى اذا شعرت بميل الجمهور اليه قدمت له رواية من نوع الفودفيل المصري ثم رواية بين الفودفيل والكوميدي. فاذا استحسن الجمهور عملي أخرجت له الكوميدي المصرية وبهذا اكون قد وصلت لتحقيق ذلك الأمل الكبير بل ذلك الخيال الغريب البعيد). فالناس جميعاً ترمي عزيز عيد بتلك التهمة الشنعاء تهمة اخراج الفودفيل الافرنسي المملوء بالالفاظ القبيحة والعبارات المخجلة ولكنهم لا يعلمون انه يود ان يتدرج بهم من الفودفيل الافرنسي الى الفودفيل المصري ومنه الى الكوميدي المصرية. ولعل هذا السبيل الذي يسلكه عزيز عيد هو السبب في خيبته وتدهوره. ولو رآه الجمهور وهو جالس يقول (اني رجل كبير الامل لا اخشى ان يقتلني ذلك الخيال الذي تراه عيني في كل ساعة واني على ثقة من خروجي من كل ذلك صفر اليدين لا املك ابيض ولا اسود ولكني اريد ان ترى عيناي قبل ان يغمض الموت اجفاني ذلك الخيال قد تحقق ولا يهمني بعد ذلك ان تراني الناس على فراش موتي فقيراً بائساً لا املك ما اسد به رمقي) ثم يتنهد ويقول: (ولكن ما حيلتي والجمهور لم يعرني سمعه ولم يكفف عني – فانا ضحية ذلك الجمهور الذي لا اريد الا خدمته خدمة خالصة من الطمع والانانية). أجل لو رآه الجمهور وهو يقول ذلك وعرف ان الرجل المسكين اصبح فريسة ذلك الهم الذي قرح قلبه لأقبل عليه وساعده على تحقيق أمله الكبير.

أربعة عيوب في عزيز :

لما هي عيوب عزيز عيد بل ما هي الاسباب التي تقف في سبيله تمنعه عن ان يصل الى غايته؟

لو نظرنا لعيوبه نظرة المدقق لعرفنا انه ذو عيوب أربعة : (الأولى) : عدم ارادته وينتج من ذلك قلة ثباته في اعماله وعدم صلاحه لان يكون مديراً . (والثاني) : جهله الطريق الذي يصل به لغايته . (الثالث) : تمثيله الادوار التي لا تتفق مع طبيعته . (والرابع) : ثقته بعد كل ذلك في ارادته وكفاءته للادارة ولتمثيل الادوار التي تروق في عينه ووقوفه على السبيل الذي يتحقق به أمله .

(عيبه الأول) : أول ما نعيب على عزيز فقدانه ارادته وينتج عن ذلك كما قلنا عدم صلاحيته لان يكون مدير جوق وقلة ثباته في اعماله . فتجده احياناً يمثل في جوق أبيض ثم تراه انتقل الى جوق عكاشة ثم يغادر جوق عكاشة ويؤلف جوقاً يحمل اسمه ثم يحله بعد اشهر معدودة ثم يمكث مدة من الزمن لا تسمع عنه شيئاً ثم يعيد تأليف جوقة ثم يحله ثم يعود لأبيض ومنه الى عكاشة ومن عكاشة الى جوق يؤلفه وهكذا يدور عزيز حول الدائرة التي رسمتها له الايام حاملاً معه أمله الكبير الذي يكاد ان يضيق صدره عن احتماله . وتراه في كل جوق من الاجواق هو عزيز عيد الرئيس الفني يعلم الممثلين ويبتكر المناظر والمواقف . تراه غيوراً على عمله يجدّ ويعمل ويذهب ويجيء ويصرخ صرخاته المحبوبة في تلاميذه فهو على المسرح قوام كل مائل ومفزع كل ملهوف .

ولكنه مفقود الارادة والصبر لا يتسع صدره لتحمل تلك الصدمات الشديدة التي تحول بينه وبين أمله الكبير . ولهذا يغادر الجوق الذي يعمل فيه الى جوق آخر لا يكون نصيبه فيه خيراً من نصيبه في الجوق الأول . ولو عرف عزيز ان لا درع كالارادة ولا حصن كالصبر لمكث في الجوق الذي يعمل فيه يقاوم ويغالب الى ان يصل لأمنيته ويقع على مطلوبه . وينتج عن ذلك حسن ظنه بالناس واعتماده على كل من يلبس المودة والاخلاص . فاذا ما سأله مدير من مديري الأجواق ان ينضم اليه ليعملا سوياً على خدمة الفن وعلى تحقيق ذلك الامل الكبير تراه قد تردد قليلاً ولكن المدير لا يلبث ان يطويه بحسن كلامه وكثرة وعوده فينضم عزيز اليه بلا قيد ولا شرط ويقف تحت لوائه الى ان يرى امله الكبير تعبث به الاهواء وتذريه رياح الاغراض فيغادر الجوق الى جوق آخر — بل ليس شيء في الوجود اسهل من اغراء عزيز عيد على ترك الجوق الذي يعمل فيه اذا اتيته من سبيل امله الكبير ولهذا نجرؤ ونقول ان عزيز اكثر الممثلين كفاءة وأقلهم صلاحية لان يكون مدير جوق .

(عيبه الثاني) : وثاني عيوب عزيز جهله الطريق الذي يصل به لغايته . يظن عزيز ان بتمثيله الفودفيل الافرنسي يملك أعنة الجمهور ويسير به في الطريق الذي رسمه لنفسه لتحقيق امله . ولكنه نسي ان هذا النوع من الروايات لا يوافق كثيراً الذوق المصري وقد اثبتت له الايام ذلك . فعلام يقدم لنا في كل مرة يشب فيها لتأليف جوق جديد (خلي بالك من اميلي . وعندك حاجة تبلغ عنها . يا ستي ما تمشيش كده عريانة) ولعل السبب الذي يدفع عزيز للتمسك بهذه الروايات هو ما يراه من اقبال الجمهور على الريحاني ولهذا لا يتحول عزيز عن البدء بالفودفيل ظناً منه ان كل شيء يضحك يكون مدعاة لاقبال الجمهور . ولكنه نسي ان الريحاني يقدم للجمهور شيئاً مصرياً يسهل على الجمهور فهمه بل مجموعة من الحان السوقة يهذبها المؤلف ويؤلف لها كلاماً مسرحياً يقدمه للجمهور في شكل جديد وما هي الا الحان (عصفوري يامه . ولا ملامة عليك يا عيوني) وهذا هو سر نجاح الريحاني . اما روايات عزيز فكلها افرنكية يمجها الذوق المصري ويا حبذا لو الهم الله عزيزاً ان يبدأ اعماله بروايات مضحكة مصرية بحتة (كدخول الحمام مش زي خروجه) حتى يظهر للجمهور ما يجري في بيوته وفي شوارع بلاده وأزقتها . فيقبل الجمهور عليه ويتسنى لعزيز حينذاك ان يسير به من الفودفيل



روز اليوسف .

المصري الى الكوميدي المصرية وعندها يكون قد حقق أمله الكبير.

(عيبه الثالث) : وثالث عيوب عزيز تمثيل الأدوار التي لا تليق به وقد تمسّك بهذا العيب الكبير من يوم تأليفه جوق الفودفيل . فقد كنا نرى عزيز قبل ذلك لا يمثل غير الأدوار التي توافق طبيعته وأمامنا أدوار (شمبرال في القضية المشهورة) ودور (باسبارتو في الطواف حول الأرض) ودور (اللص في نتيجة الرسائل) ودور (صاحب معامل الشوكولاته في العواطف الشريفة) دليل قاطع على صحة ما نقول . ولكنه تحوّل عن هذا الطريق من يوم تأليفه جوق الفودفيل وعذره في ذلك ان الدور المهم لا يصلح إلاّ لمدير الجوق وهذا خطأ فادح . اتخذ عزيز من ذلك العهد سنّة تمثيل الأدوار المهمة وهذا حتّم على نفسه تمثيـــــــل أدوار الفتى الأول (jeune premier) . ومن كان له وجه غير جميل كوجه عزيز وجسم ضئيل كجسمه وصوت بين الضعف والقوة كصوته خير له وأولى أن يبعد عن هذه الأدوار . ولكن عزيز غير ذلك ومن البلية أن يكون الرأي في يد من يملكه دون من يبصره . وان قارن عزيز بين دوره في (خلي بالك من اميلي) ودوره في (دخول الحمّام مش زي خروجه) أو بين دوره في (عندك حاجة تبلّغ عنها) وبين دوره في (القرية الحمراء) لَظَهرت له الحقيقة ناصعة كالشمس ولتمسّك بالأدوار التي تليق به .

(عيبه الرابع) : وعيبه الرابع ، وهو في نظرنا أكبر عيوبه هو اعتقاده بعد كل ذلك في قوة إرادته ، في كفاءته لأن يكون مديراً أو لأن يمثل كل دور مهم وفي اهتدائه إلى السبيل السوي الذي يصل به لتحقيق أمله . وينسب خيبته إلى صروف الدهر وتقلّبات الأيام .

رأي في روز اليوسف :

وقد كانت روزا اليوسف تلميذة عزيز وممثلته الأولى باعترافها واعتراف النقاد. ونشاطه في الفودفيل في هذه الفترة لا يمكن ان ينفصل عن نشاطها. ولذا فمن المفيد حقاً ان نقتبس أيضاً رأي محمد تيمور فيها. قال تيمور(٣٥) :

قليل جداً عدد ممثلاتنا القادرات وأقل منهنّ عدد اللواتي يمثلن من أجل الفن. وروزا اليوسف من بين الممثلات اللواتي جمعن بين القدرة والغرام بالفن. فهي من ممثلات الدرجة الأولى بمصر. بيد أن شهرتها الكبيرة كانت في طي الخفاء بل ولبثت كذلك عهداً طويلاً إلى أن وقع عليها نظر ممثلنا العبقري عزيز عيد ورأى فيها تلك القوة الكامنة في نفسها أو تلك القوة التي كاد أن يقضي عليها تعسُّف المديرين الجدّيين فأخذ بناصرها وأعلى شأنها وجعلها تمثل الأدوار التي توافق طبيعتها فنبغت في أدوار الفودفيل حتى لقّبها محررو الصحف (الفودفيلية الحسناء) . ولكن روزا اليوسف وان ظن فيها الجمهور انها لا تجيد غير أدوار الكوميدي والفودفيل فهي قادرة على تمثيل أدوار الكوميدي دراماتيك الدرام ولكنها تعجز عن تمثيل التراجيدي لأنها لم تخلق لهذه الأدوار ونظرة منا لجسمها الصغير وصوتها الناعم تثبت لنا صحة ما نقول .

ميزاتهـــا :

لروزا اليوسف اربع ميزات كبيرات لا نغالي لو قلنا اننا لم نجدها في غيرها من الممثلات . فأولى ميزاتها حبها الكبير للفن وتفانيها في خدمته فهي تعمل من اجل الفن ولا تخدم سواه . وثاني ميزاتها رشاقتها الكبيرة على المسرح . ولهذا يصح ان نقول عنها انها اكبر الممثلات الشرقيات اتقاناً للأدوار الأوروباوية . وثالث ميزاتها فهمها للادوار التي تمثلها ولهذا لا تخرج ادوارها على طريقة واحدة . ونظرة منا لدورها في (بائعة الخبز) ثم لدورها في (خلي بالك من اميلي) ثم لدورها في (القرية الحمراء) ثم لدورها في (دخول الحمام) تثبت لنا انها قادرة على فهم ادوارها واخراجها على المسرح كما يتطلب المؤلف أو المعرّب . لقد كانت روزا في (بائعة الخبز) فتاة افرنكية اضناها مرض السل وكانت في (خلي بالك من اميلي) تلك الفتاة الرشيقة اللعوب . وكانت في (القرية الحمراء) تلك القروية المصرية الساذجة . وفي (دخول الحمام) فتاة من ساكنات القاهرة التي يصح ان تطلق عليهن لفظة (شلق). وهنا يظهر للقارئ الكريم كيف تقلبت ممثلتنا القادرة في هذه الادوار وكيف وصلت لان تلبس لكل دور لبوسه . ورابع ميزاتها صوتها العذب الذي تتخلله الرعشة الناعمة وقد ظن بعض النقاد انها من ذوات الصوت الضعيف وكان الاجدر بهم ان يقولوا انها من ذوات الصوت الناعم الحنون . وياحبذا لو شاهدنا ممثلتنا القادرة تمثل دوراً ذا عواطف فياضة حتى تتفق نغمة صوتها مع رقة عواطفها وتكون قد بلغت بذلك شيئاً جديداً لم تسبقها اليه غير الآنسة ماري ابراهيم في دور (عزة) برواية (عزة بنت الخليفة) .

عيوبـــــها :

أول عيب يؤخذ على ممثلتنا القادرة هو تفانيها في تمثيل الادوار الافرنكية تفانياً يحدوها على ان تكره تمثيل



بديع خيري.

الادوار البلدية المصرية وخير لروزا ان تمثل النوعين بعد ان ظهر لها وللجمهور أيضاً اتقانها في دوريها في (القرية الحمراء) و(دخول الحمام).

لماذا تأبى ممثلتنا تمثيل الادوار المصرية مع ان روحها اكثر اتصالاً بهذه الادوار من الادوار الافرنكية. ونحن لا نرجو الا ان تصلح روزا هذا العيب وما اصلاحه بالشيء العسير.

وثاني عيوبها انها لا تصلح لتمثيل التراجيدي وذلك لصغر جسمها وحنان صوتها الناعم ولقد وقفت روزا على هذا العيب ولهذا تراها تحجم عن تمثيل هذا النوع من الروايات ولا يغيب عن فكر القارئ اني لا أقصد إلاّ التراجيدي. اما الدرام والكوميدي دراماتيك فلروزا قسط كبير فيها والدليل اتقانها دورها في رواية (قبلة في الظلام) والرواية من نوع الجنيول. والجنيول عبارة عن الفظائع والصراخ والاندهاش والانفعالات التي تتطلبها الدرام والكوميدي دراماتيك احياناً.

مجهودها التمثيلي :

الطور الأول: احترفت روزا اليوسف التمثيل في شركة التمثيل العربي أيام تياترو عبد العزيز ولبثت تمثل في هذه الشركة الادوار الصغيرة دون ان يلتفت اليها من الممثلين من يهتم بإعلاء شأنها والوقوف على قوتها التمثيلية ثم انتقلت الشركة الى دار التمثيل العربي. بيد أن روزا انفصلت عنها ولم تعد للتمثيل إلاّ ايام كان جورج ابيض في الكازينو دي باري ولبثت عهداً طويلاً لا يعرف الجمهور عنها شيئاً الى ان ساقت الظروف اليها دور (الاميرالة) في رواية (عواطف البنين) وشاهدتها تمثل الدور وقد اتقنته اتقاناً كبيرا فقلت لنفسي: لم تعيش هذه الفتاة في الظلام. ظلام التمثيل. لا يسمع بها احد ولا تراها العيون إلاّ في الادوار الصغيرة التي لا تخرج عن دائرة (الكمبارس)؟

ثم اتفق جورج ابيض مع المرحوم الشيخ سلامه حجازي وكونا فرقة ابيض وحجازي وانضم اليه عزيز عيد ومثلوا في برنتانيا عهداً طويلاً والفرصة بعيدة عن روزا لاظهار براعتها ومواهبها. ووقع الخلاف بين عزيز عيد والشيخ انفصل على أثره وكون جوقه الجديد ومثل فيه روايات الفودفيل. ورأينا روزا تبذ الكثيرات من الممثلات وتمثل ادوار الرشاقة وكانت فيها آية من الابداع والاتقان.

الشطر الثاني :

هنا يحسن بنا ان نشكر عزيز افندي عيد لوقوفه على حقيقة روزا اليوسف وقوتها الكامنة فهو الذي علمها ودربها فوقفت على المسرح تمثل الادوار الجديدة بشكل جديد واتقان مدهش. لقد زفّ عزيز افندي عيد الى التمثيل عروساً جديدة كانت في عالم الخفاء فظهرت فجأة الى عالم النور تحمل معها بضاعته التمثيلية الخالية من العيوب.

مثلت روزا مع عزيز عيد في كل مرة جمع فيها جوقة للتمثيل. مثلت معه في برنتانيا في الشانزليزية ثم في دار التمثيل العربي في الرينسانس ثم في الكازينو ثم في الابيه دي روز ثم مع ابيض. ثم سافرت معه الى الاسكندرية وستمثل معه قريباً في دار التمثيل العربي. ابتدأت بتمثيل ادوار الفودفيل فأتقنت جميع ادوارها في رواية (عندك حاجة تبلغ عنها) و(خلي بالك من أميلي). و(ضربة مقرعة) اتقاناً كبيراً وظهرت فيها بمظهر لم تظهر به ممثلة اخرى ثم مثلت دور جوزيت في رواية (مدموازيل جوزيت امراتي) واخرجت للناس نوعاً جديداً. نوع الادوار الكوميدية التي تختلف اختلافاً كبيراً عن الروايات الفودفيلية. وكانت في الدور مثال العفة والطهارة والسذاجة وما هذا الدور الا من ادوارها الشهيرة. ثم مثلت دوراً قصيراً في رواية (القرية الحمراء) أثبتت به قدرتها الكبيرة في تمثيل الادوار المصرية التي لا تحب تمثيلها ثم بلغت الغاية القصوى بل الغاية التي ليس وراءها غاية في دورها برواية (دخول الحمام مش زي خروجه). ثم انضم عزيز

عيد لجوق ابيض ومثلت روزا في رواية كين دور (آن دامي) ولكنها كانت في دور (بيتسول) اكثر اتقاناً بل بلغت فيه اكبر غاية ثم مثلت في (الشعلة) دور (مدام فلت) فأدهشت الجمهور اذ ظهرت فيه بمظهر الممثلة القادرة التي لا تعجز عن تمثيل الدرام والكوميدي دراماتيك. لقد كانت روزا في الفصل الثاني من الرواية مثالاً للاتقان والابداع. فصفق لها الجمهور واعترف بقدرة الممثلة الكبيرة ووقف على قيمة مجهودها الفني ومجهود روزا كبير وعظيم.

ثم انفصل عزيز عن ابيض وسافر للاسكندرية ومثلت معه روزا ولم تفعل غير اعادة ادوارها القديمة وانحل هناك الجوق وعادت الى مصر وظلت بلا عمل الى ان الف عزيز افندي عيد جوقه الجديد ويبدأ بالتمثيل في دار التمثيل العربي قريباً.

هذا هو مجهود رزوا وعهد احترافها بالتمثيل قصير. ولكنها سبقت فيه الكثيرات من الممثلات وفي هذا الكفاية والمستقبل امامها كبير واسع الأرجاء والروايات عديدة وروزا من الممثلات اللواتي تعشقن الفن ولا يعملن الا من اجل الفن فلننتظر قليلاً وسوف لا نمل من الانتظار ●

(انتهى)

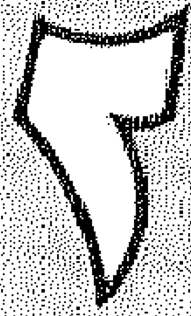
الهوامش

١ - المقطم ٢ آب (اغسطس) ١٩١٧.
٢ - نفسه ١٠ آب (اغسطس) ١٩١٧.
٣ - نفسه ٢٣ آب (أغسطس) ١٩١٧.
٤ - نفسه ٢٩ آب (اغسطس) ١٩١٧.
٥ - نفسه ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧.
٦ - نفسه ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧.
٧ - نفسه ١١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧.
٨ - انظر ذكريات روز اليوسف ص ص ٢٨-٣٠.
٩ - المقطم ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨.
١٠ - نفسه ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨.
١١ - نفسه ٥ شباط (فبراير) وذكريات روز اليوسف ص ص ٣٦-٣٧.
١٢ - نفسه ٧ شباط (فبراير) ١٩١٨.
١٣ - نفسه ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٨.
١٤ - نفسه ٢١ تموز (يوليو) وذكريات روز اليوسف ص ص ٣١-٣٢.
١٥ - المقطم ١٧ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٨.
١٦ - انظر المقطم ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨، ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩، وكتاب «المسرح المصري» لمحمد تيمور ص ١٠٤.
١٧ - المقطم ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨.
١٨ - انظر مذكرات الريحاني ص ص ١١٤-١١٥.
١٩ - انظر الوطن والاهرام ٢٦ شباط (فبراير) ١٩١٩. وقد استمر الاعلان عن المسرحية حتى ٨ آذار (مارس). وانظر ايضاً مذكرات الريحاني ص ١٩٩.
٢٠ - مذكرات الريحاني ص ١٢٠.
٢١ - الاهرام ٣ أيار (مايو) ١٩٢٠.
٢٢ - المسرح المصري لمحمد تيمور ص ٢٥٨.
٢٣ - الاهرام ١٥ حتى ١٨ أيار (مايو) ١٩٢٠.
٢٤ - مذكرات الريحاني ص ١٢٣.
٢٥ - الاهرام ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠.
٢٦ - نفسه ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠.
٢٧ - نفسه ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠.
٢٨ - المقطم ١٥كانون الثاني (يناير) ١٩٢١.
٢٩ - نفسه.
٣٠ - انظر المقطم بين هذين التاريخين.
٣١ - المقطم بين ٢١ و ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢١.
٣٢ - المقطم ٤ آب (اغسطس) ١٩٢١.
٣٣ - المقطم بين ٢٨ آب (اغسطس) و ٨ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٢١.
٣٤ - ذكريات روز البوسف ص ١٦-١٧.
٣٥ - حياتنا التمثيلية ص ص ١٦٨-١٧٣.



الشيخ نسيب مكارم

شاعر الخط واللون



د. سامي مكارم

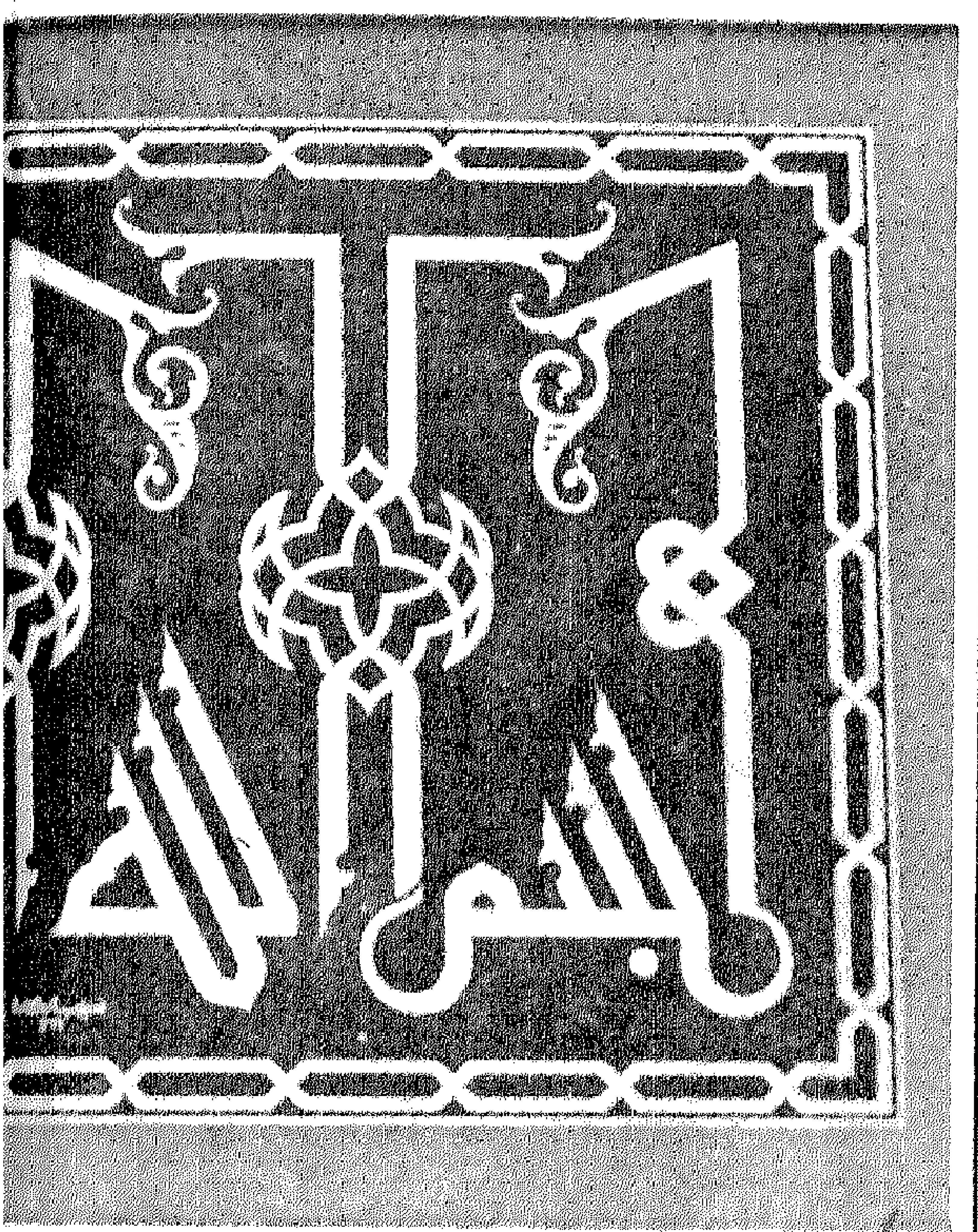


صورة رسمية بالأوسمة.

● جعل الشيخ نسيب مكارم من الخط تعبيراً عن حقيقته. ومظهراً لروحه المتدفقة بالجمال. المتطلعة الخير. الساعية إلى التحقق بالواحد الأحد. فالخط عنده امتداد لروحه المتحققة، وتعبير عن كينونته التي لا تقصد إلا إلى الجمال. والخط عنده لا يتعرف في جوهر حقيقته بأين. ولا بنسبية الحيّز ومصطلحات الحجم فظهوره بمظهر الصغر أم بمظهر الكبر عنده سواء فما هذان المظهران إلا آلة يتبدى بها الجمال من حيث النظرة الواهمة للانسان. وقد حجبته مفاهيم الزمان والمكان. وحدده هذا الجسد الحقل الذي تبدو خلاله الروح لتفعل في عالم الجسم. حسب طاقة هذا الحقل الكثيف. فترقى به إلى ما يستطيع أن يستوعبه من الحق ويستلهمه من الجمال. لا فرق إذاً. ان كان الخط كبيراً في حجمه أم متناهياً في صغره. كلا المظهرين ينم عن وحدة هذا الفن وحقيقة هذا الجمال. وكلاهما يبدي ليونة هيولى الابداع إذ يتشخص هذا الابداع في الحسّ ويتصور في المتى ويتجسد في الأين. ذلك ما حدا بالشيخ نسيب مكارم ان يكتب الكتابة الصغيرة الدقيقة وان يخط الجمل الجليلة الجسيمة.

قضى بعض شبابه ولبنان جزء من الدولة العثمانية. ورأى ما كان عليه الحكام من ظلم واستبداد وطغيان. فراعه ذلك وثار عليه. فلما قامت الحركات الاصلاحية هلل لها وكبّر. أُعلن الدستور العثماني. فظن. كما ظن غيره من الناس. ان فيه خلاصاً من الظلم ونجاة من الاستعباد. فيأتي ببيضة من الرخام بحجم بيضة الدجاج. والبيضة رمز الحياة المتجددة. ويركزها على لولب يديرها بسهولة. ويركز اللولب على ظهر نسر من البرونز باسط جناحيه. والنسر ملك الطير. ويقيم النسر على اسطوانة عمودية من مادة تشبه الحجر المجزّع. توّج الشيخ البيضة بالطغراء السلطانية وأحاطها بهالة بيضاء. ثم كتب فذلكة أثبت فيها اسمه ودعاء للسلطان والدولة العثمانية والسبب الذي حدا به إلى صنع هذه الرائعة. ثم كتب الدستور العثماني باللغتين التركية والعربية. ثم اثبت تاريخ اعلان الدستور للمرة الأولى ثم تاريخ اعلانه للمرة الثانية. ثم كتب عبارة شرح فيها ما رمز إليه من حمل النسر للبيضة ودوران البيضة على نفسها. وتتلو هذه العبارة قصيدتان أولاهما في مدح الدستور وثانيهما في مدح الجيش[1]. ثم اثبت تاريخ كتابة هذا الأثر. وبعد ذلك رسم خريطة الدولة العثمانية واسماء أمهات المدن فيها. وبلغت الكلمات المكتوبة على تلك البيضة. عدا الطغراء والخريطة. نحو عشرة آلاف كلمة كتبت بسطر واحد لولبي الشكل. ويقول الشيخ نسيب ان المدة التي صرفها في كتابة هذا الأثر تقارب السنتين. أما الأقلام التي استعملها فنحو ألف قلم.

وثار العرب على الأتراك بقيادة الشريف حسين. ودخل الأمير فيصل بن الحسين دمشق. فيقدم الفنان العربي لفيصل حبة قمح كتب عليها ما يقارب مئة وعشر كلمات. فتأثر فيصل بهذه الرائعة أبلغ التأثر وطلب إلى

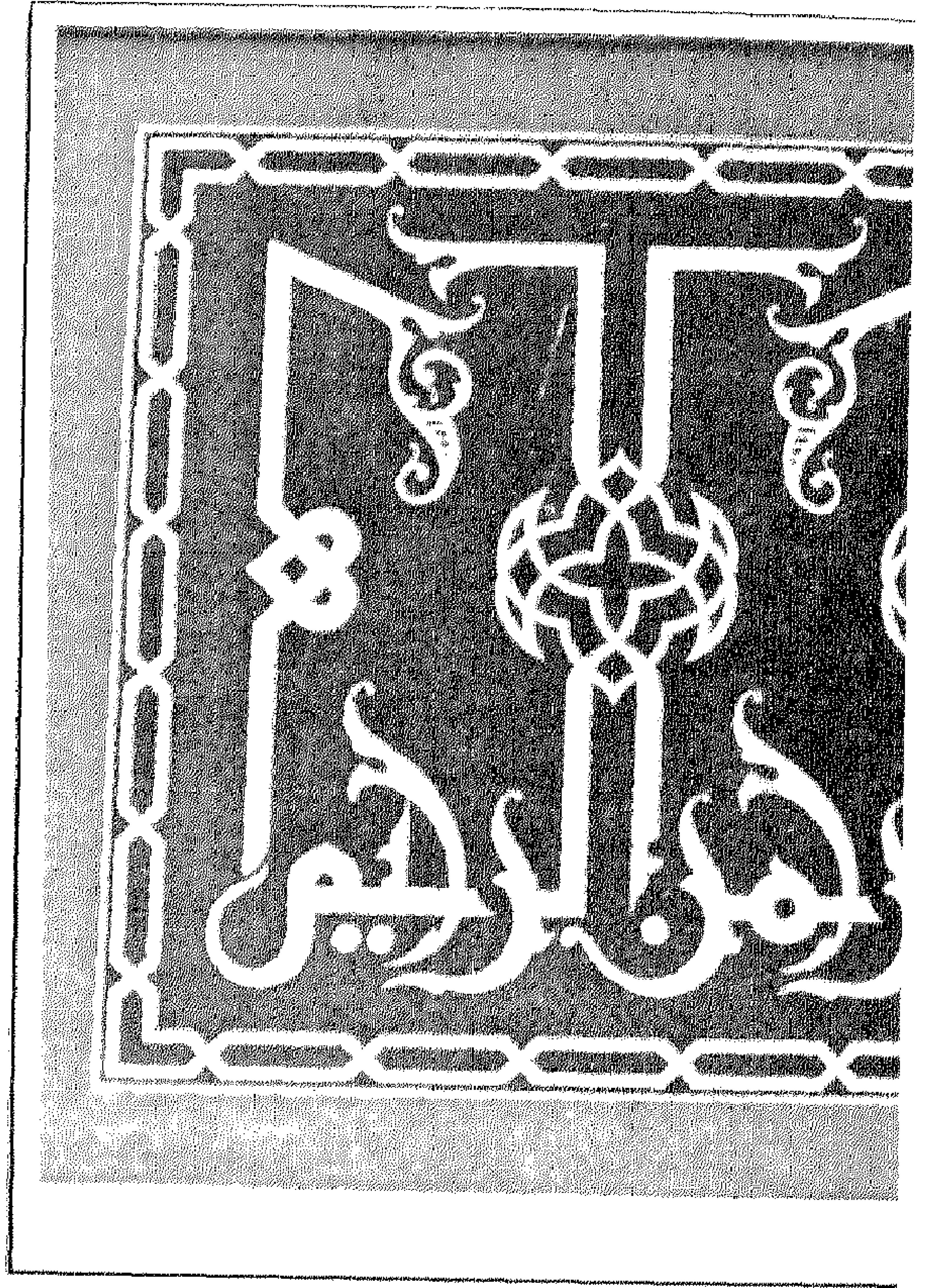


«بسم الله الرحمن الرحيم» لوحة بالكوفي.

الشيخ نسيب أن يكون خطاطه الفخري وخلع عليه ثوبا ملكياً كاملاً. كذلك رافق الشيخ نسيب أحداث العالم العربي فسجل هذه الأحداث بتحفه الفنية الدقيقة من سوريا إلى العراق إلى مصر إلى المملكة العربية السعودية إلى غير ذلك من بلاد العرب. ولم ينس لبنان بطبيعة الحال. فقد حفر الشيخ الفنان نشيده الوطني على قلب خاتم من ذهب مساحته ٧×٥٠٥ ملم وقد عرض هذا الخاتم في معرض نيويورك العالمي سنة ١٩٣٩. كذلك رسم على احد وجهي حبة أرزّ من رخام آثار بعلبك كما تبدو الآن

وعلى الوجه الثاني الهياكل قبل أن تتهدم. وكأنه أراد بذلك أن يُظهر عظمة الله في الإنسان الذي توصل ان يبني هذه الهياكل متناهية في الضخامة آناً. ومتناهيةً في الدقة والصغر آناً آخر. كذلك حفر على حبة أرزّ من فضة خريطة لبنان بأنهاره ومدنه وأنزل الحفر ذهباً نافراً. حتى ان حلقات الواو والصاد والطاء والميم في كلمات بيروت وصيداً وصور وطرابلس وفي توقيعه «مكارم» واضحة غير مطموسة.

وفي سنة ١٩٣٩ أقيم معرض نيويورك العالمي فارسل الشيخ نسيب إلى جناح لبنان في المعرض بعض آثاره الفنية. كما صنع خصيصاً للمعرض حبة أرزّ من فضة حفر



عليها خريطة الولايات المتحدة الأميركية بأسماء مدنها الكبرى. ونزّل الحفر ذهباً نافراً. وقد قدّرت هذه الرائعة في المعرض بمئة وخمسين ألف دولار. ونال الشيخ نسيب على هذه الآثار التي عرضها في المعرض جائزة الشرف.

واحتلت النشاطات الحضارية الأخرى مكانها الواسع في قلبه أيضاً: المعرفة والسلام والفضيلة والدين والعزة والجهاد في سبيل الحق والصناعة والعلم والشعر والأدب. فغناها هذا الفنان بريشته المرهفة. حفر سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وسورة الفلق وسورة الناس على حبات الأرزّ كما حفر على حبة أرزّ أخرى خطاب أبي بكر الصديق يوم تولى الخلافة. ويؤخذ الفنان بالثورة الصناعية فيكتب على حبة أرزّ بعض الجمل المأثورة لهنري فورد ويرسم أولى ثلاث سيارات من صناعته. أما الشعر فقد دوّن منه كثيراً من القصائد على حبات الأرزّ لفكتور هيجو وشكسبير وطمسون وغيرهم من الشعراء العالميين. ولا ينسى الشيخ الفنان العلم والمعرفة فهو يمجدهما على حبة قمح أهداها لمتحف الجامعة الأميركية في بيروت (الكلية السورية الانجيلية آنذاك) وذلك سنة ١٩١٩، بصفة كون هذا الصرح معهداً للعلم والثقافة كان وما زال له الفضل الجم على العالم العربي[٢].

الشيخ مكارم وصوفية الفن

أما لوحات الشيخ نسيب الكبيرة فكانت لا تمتاز بإتقان أصول الحروف وحسب، وانما تمتاز كذلك بجمال التركيب وبما توحيه من حقائق تجريدية وما تعبّره من صور تتجاوز الخط إلى المعنى فالى ما هو فوق المعنى من بعد روحي الهي كانت نتيجة لرؤى هذا الفنان ولجمال خطوطه وبديع تراكيبه وانتقاء ألوانه. فاللون عند الشيخ نسيب مكارم ظاهرة روحانية هي نتيجة لتفاعله مع الطبيعة التي كان يعشقها ومع الله الواحد الأحد الذي كان يحبه ويوحده. وهكذا أعطى هذا الفنان الخط العربي. بما أضفي عليه من صوفيةٍ ومن تعالٍ إلى الحقيقة الكونية. زخماً ورونقاً وسحراً جعل الخط العربي يواصل مسيرته الفنية. بعد ان حرم هذا الفن من كثير من مبدعيه على اثر إحلال الحرف اللاتيني في تركيا محل الحرف العربي. وقد اشتهر الفنانون الأتراك قبل هذا الحدث بابداعهم في الخط وبالغنى الفني الذي اسبغوه على هذا الفن الرئيسي في الاسلام. وهذا ما حدا بالخطاط المصري الكبير الأستاذ أحمد عبد القادر. استاذ الخط العربي في مدرسة تحسين الخطوط العربية في القاهرة عند زيارته مع وفدٍ من الخطاطين العرب الشيخ نسيباً في بيته في عيتات ان يقول له بعد ان قبّل يده اجلالاً واعجاباً: «لقد انتقلت استانبول إلى هنا».

معرض بعبدا خاتمة أعماله وحياته

في سنة ١٩٦٨ زاره الأب انطوان ضو والأب جورج رحمة الانطونيان. فاعجبا بفن الشيخ نسيب مكارم. ونظراً إلى ما أبدعته يداه من جمال. فرأيا ان بين الله وهذا الانسان علاقة وثيقة بدت فيما أبدعته ريشته من

جمال تمخض عن محبة خالصة تعدت كل أنانية إلى هذه الوحدانية الشاملة لكل شيء . فيقترحان اقامة معرض له في المعهد الانطوني في بعبدا . حيث تعرض لوحات خطّ فيها هذا الفنان آيات من القرآن الكريم وجملاً اختارها من الأحاديث الشريفة أو من الأقوال المأثورة.

غير ان الشيخ الفنان لم يكن يسعى لأي تقدير ولم يكن يحب أن يتعرض لأي إطراء. فذلك قد يقوّي فيه الأنا التي طالما سعى إلى اذلالها. وحسبه من فنه ذلك التجاوب بين لوحاته ونفسه التواقة إلى الجمال . فهو قد رغب في الانفراد بنفسه وفنه بعد ان زهد بما في أيدي الناس. ولكنه يرضى في الأخير بعد إلحاح . ويأخذ بالاستعداد لذلك المعرض أخذ الفنان الحق الذي أعطى جل سعيه إلى تحقيق الجمال في اسمى معانيه. ها هو قد أشرف على الثمانين من عمره. ولكن بريق عينيه ينبئ بما لديه من رؤى ومحبة وعزم يهون عنده كل صعب.

غير ان كبر السن والجهاد المتواصل والإرهاق والكتابة الدقيقة قد أوهنت أعصاب يده اليمنى. فهي ترتعش كلما حاول أن يمسك بالقلم. وقد زاد هذا الارتعاش في المدة الأخيرة وكاد لا يقوى على جرّ القلم. فكيف له ان يبدع وينفح معرضه هذا بروائع جديدة. انه لا يرضى أن يقتصر المعرض على نتاجه القديم. فالفنان الحق. بما لديه من رؤى وأخيلة وأفكار وعواطف وعقل وأحاسيس وبما يبدعه من خطوط وألوان. انما هو محبة خالصة دائبة السعي دائمة الحركة حتى النفس الأخير. وأخذ هذا الفنان الشيخ يحضّر لمعرضه العتيد. رأى ان يده تكون أكثر ارتياحاً واسترخاء في الفجر أو قبل بزوغ الفجر. فاذا هو ينهض أبكر من عادته، ويمسك بالقلم ويأخذ بالعمل. وكأن الصلوات التي كان يقوم بها، والابتهال الذي كان يتوجه به إلى الواحد في هذه الساعات الهادئة من الليل، كانت تهدئ أعصاب يده الواهنة فتعطيها قوة ونشاطاً وتزيد عزيمته عزيمةً تذلل كل صعب من أجل ابداع الفن واستنزال الجمال. وكان الشيخ الفنان. إذا ما تعبت يده وزاد ارتعاشها يمسك بها بيده اليسرى تعينها على الكتابة وتؤيدها على جرّ القلم. وأخذت الخطوط تنساب من يدي الفنان الشيخ لتتألف في تراكيب عجيبةٍ تشير. بما فيها من تناسب الحروف وانسجامها. وتكامل الألوان وتناغمها. إلى الوحدة الحق التي تنصهر فيها الآحاد وتتحد في هوية كلية لا وجود ألا وهو تعبير عن أحديتها. ولا حقيقة ألا وهي مظهر من مظاهر حقيقتها.

ولكن ذراعه اليسرى أخذت تؤلمه. وأخذ الألم يزداد ويشتد يوماً عن يوم. ولكن الشيخ لم يهن له عزم. ولم تضعف له شكيمة. فهو دائب على الإبداع. مستمر على استثارة وتملّك الجمال. ولكن الألم شديد مبرّح. عاد لا يقوى على رفع يسراه تعين يمناه على جرّ القلم. ولكن الشيخ لا يلقي السلاح. فهو يحمل يسراه بيمناه حملاً. ويضعها برفق على المنضدة لتسند بدورها يمناه تهدئ من ارتعاشها وتعينها على مواصلة الإبداع وإفاضة الجمال.

يوم السبت في التاسع والعشرين من شهر نوار سنة ١٩٧١ افتتح وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة. وكان آنذاك الدكتور نجيب أبي حيدر. ممثلاً رئيس الجمهورية معرض أعمال الشيخ نسيب مكارم في المعهد الأنطوني في بعبدا. وقد قدّر القيّمون على المعرض الحضور في ذلك اليوم بأكثر من ألف وخمس مئة زائر جاءوا ليشاهدوا هذه الأعمال التي تجسد الجمال القدسي. ولينظروا إلى هذا الرجل الذي أبدعت أنامله هذه الآيات من الفن. ولكن الشيخ الفنان لم تسمح له وطأة المرض. وقد ثقلت عليه. ان يرى المعرض الذي عمل على تحقيقه ليل نهار. وذهب ممثل رئيس الجمهورية بعد افتتاح المعرض في موكب رسمي إلى بيت الشيخ نسيب عند ابنه كاتب هذا المقال في بيروت حيث كان ينزل الشيخ الفنان قريباً من الأطباء. وهناك قلّده ممثل رئيس الجمهورية وسام الأرز من رتبة ضابط.

بعد ستة أيام من هذا التقدير قضى الشيخ نسيب مكارم نحبه. كان ذلك مساء الجمعة في ٤ حزيران سنة ١٩٧١. وفي اليوم التالي. أي في يوم السبت الأول بعد افتتاح معرضه. وبينما كانت وفود الزائرين تؤم المعرض في بعبدا. أقيم له في بلدته عيتات مأتم حافل بالألوف من المعجبين بفنه المبدع وبخلقه الرفيع وبشخصه الأنيس يبكونه ويبكون فيه هذه البسمة المحببة. وهذه النظرة المتألقة بالروحانية. وهذه الأنامل التي أبدعت روائع الفن والجمال. وبقي المعرض مزاراً للألوف من المشاهدين المعجبين قرابة ستة أسابيع.

تقدير عربي وعالمي

وقف الشيخ نسيب حياته للفن والجمال. ووقفها قبل كل شيء لمحبة الله. لم يكن يطمح إلى جاه ولا إلى شهرة ولا إلى مال. ولكن الجاه والشهرة جاءاه صاغرين. فلقد تحدث في فنه وخلقه الخاص والعام. وزينت لوحاته الدور والقصور وقلدته الدول والمجامع العلمية والفنية أوسمتها وبراءاتها. وخلع عليه الملوك والأمراء الخلع. واطنبت فيه الصحف والمجلات والكتب. قلدته الدولة العثمانية الوسام


الشيخ نسيب يحمل سميه وحفيده في أواخر عمره.

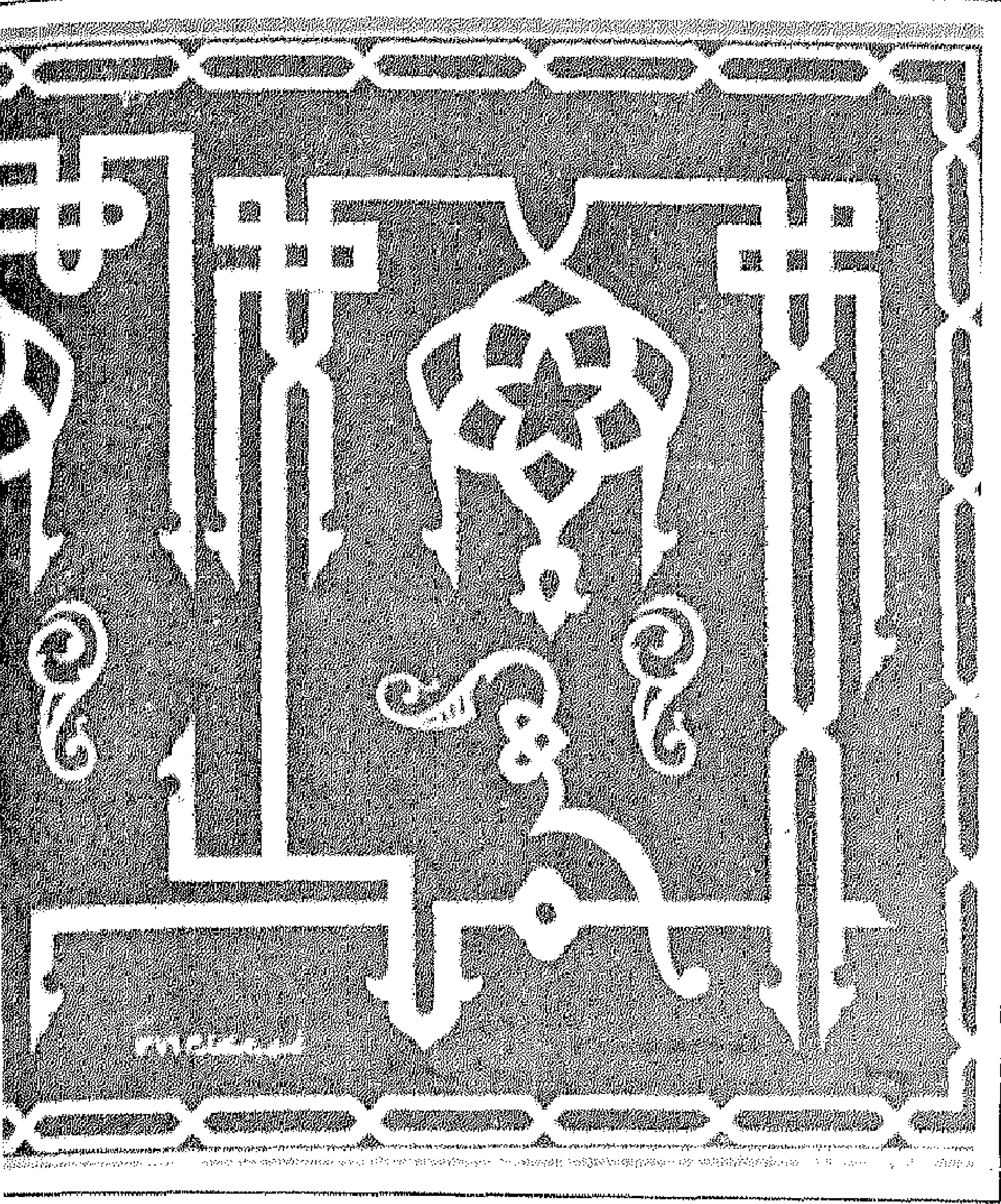
المجيدي. ودولة شرقي الأردن وسام الاستقلال العالي الشأن. وأمر له الملك فيصل بن الحسين عندما كان ملكاً على سوريا بوسام الفنون الجميلة. وقلدته فرنسا المدالية العسكرية الذهبية. ووسام المعارف والفنون الجميلة الفضي. ووسام المعارف والفنون الجميلة الذهبي. وقلّده لبنان وسام الاستحقاق الذهبي. ووسام الأرز من رتبة فارس. ووسام الأرز من رتبة ضابط. عدا المداليات والأوسمة والبراءات الأخرى. وقد أنافت على الخمسين. كذلك خلع عليه الشريف حسين عباءته المذهبة وكوفيته وعقاله وخلع عليه الأمير زيد بن الحسين خنجره. وقد عينه إلى ذلك المجمع العلمي الدولي عضواً فيه. وكذلك أكاديمية فيكتور هوغو. والأكاديمية اللاتينية. وجمعية النهضة الوطنية الفرنسية. والجمعية الوطنية الفرنسية للمدالية العسكرية. هذا وقد عينته الجمهورية اللبنانية خطاطاً فخرياً لها. وكذلك عينه الملك عبد الله ابن الحسين. والملك فيصل بن الحسين. والملك غازي الأول. والشيخ أحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت.

الشيخ نسيب: فن وانسانية

ولقد أصاب الشيخ نسيب في أعماله الفنية. إلى جانب الشهرة والجاه. قسطاً من المال أعانه على إعالة أسرته وعلى ابتياع قطعة من الأرض في عيتات بنى على بعضها بيتاً اغدق عليه كثيراً من ذوقه وفنه. وجعل من بعضها الآخر بستاناً اتخذه مستجماً له من عناء الكد والاجتهاد. أما ما تبقى من ماله فكان ينفقه في سبيل الله. كان إذا جاءه سائل يغدق عليه العطاء، وهو يجهش بالبكاء. وكان عندما يلفته أحد الناس إلى مبالغته في الاحسان يجيبه قائلاً: «إن الذي أوصلني إلى هنا لن يتخلّى عني.». لقد عاهد الله على محبته لم يتخلّ عن الله يوماً. ولم يتخلّ الله عنه يوماً. وكان دائماً يردد هذا الدعاء: «اللهم لا تجعلني غنياً فأنساك. ولا فقيراً فأتحير.».

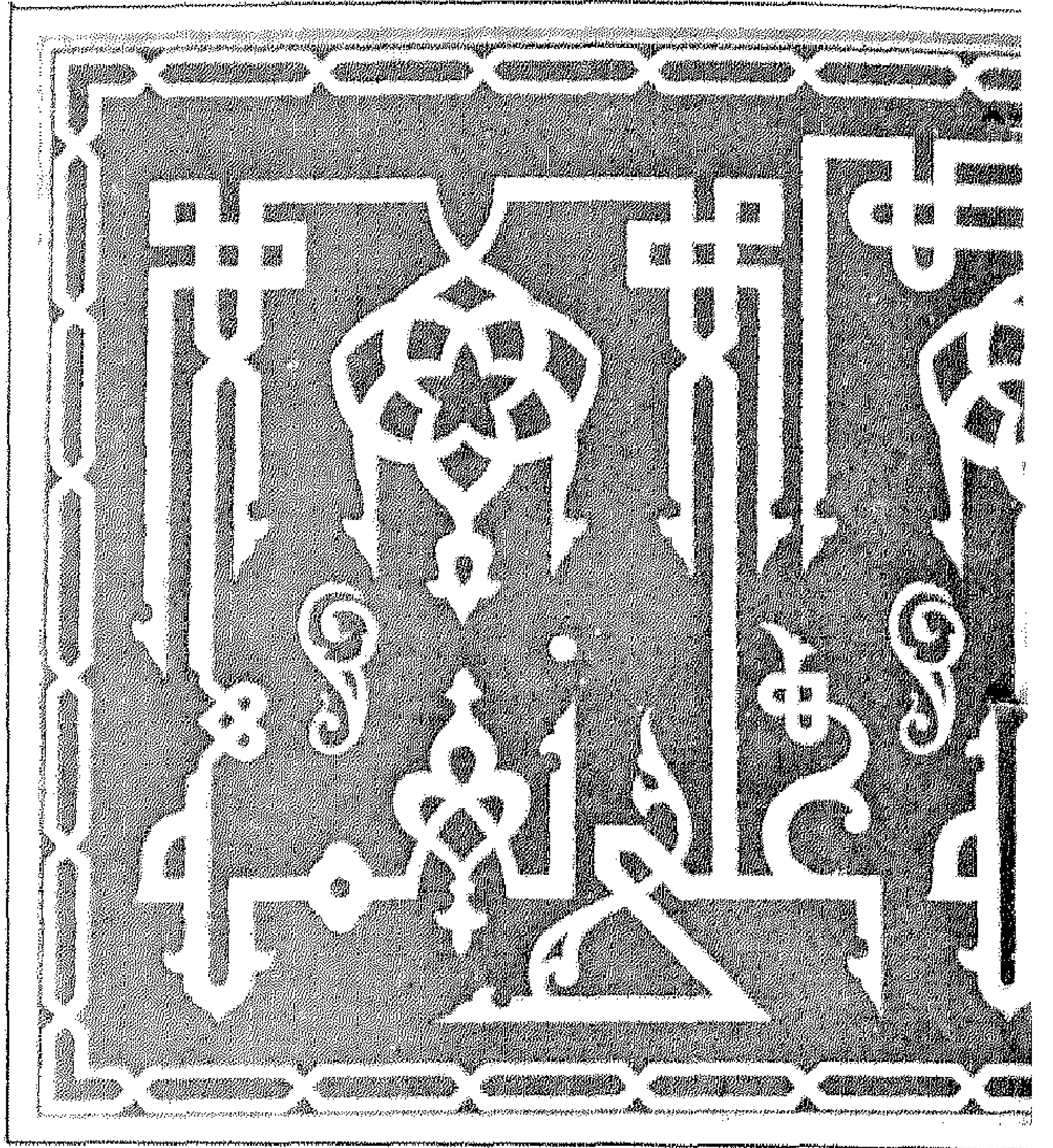
كان الخط عند الشيخ نسيب مكارم فناً متعالياً. يشير إلى الألوهة ويدل على الوحدانية. وكان الخط عنده تعبيراً صوفياً. فهو في تناسب أجزائه وتناغمها. وتجانس ألوانه وتمازجها. وتكامل حروفه وتوافقها. وفي زخم حركة خطوطه واستقرارها. وتعاليها وشموخها. واستداراتها وتكنّفها. انما يعبّر عن جلال الله وجماله. وجبروته ورأفته. وتعاليه واحاطته. وعزته ورحمته. واقتداره وحدبه. وهو. في توحيد حروفه على استقلالها. واجتماع خطوطه على افتراقها. انما يفصح عن وحدة هذا الوجود حيث يسعى الجزئي إلى الكلي. ويقصد الكثيف إلى اللطيف. وتتحد الآحاد بالواحد. ان التوجه. بما فيه من جهاد ضد النفس الامارة. ومن سعي لتحرير الذات من الأنانية. وبما يتطلبه من توبة وتألم ونَصَب. ومن اجتهاد في سبيل المعرفة. كل ذلك انما يحدث في المتوجه توتراً ومعاناة يظهران. عند هذا الفنان الصوفي. في تلك الخطوط المستقيمة المزواة التي لا ترتفع إلا لتنحدر ولا تستقيم إلا لتنحرف ولا تنطق إلا لتنعكس وتتكسر.

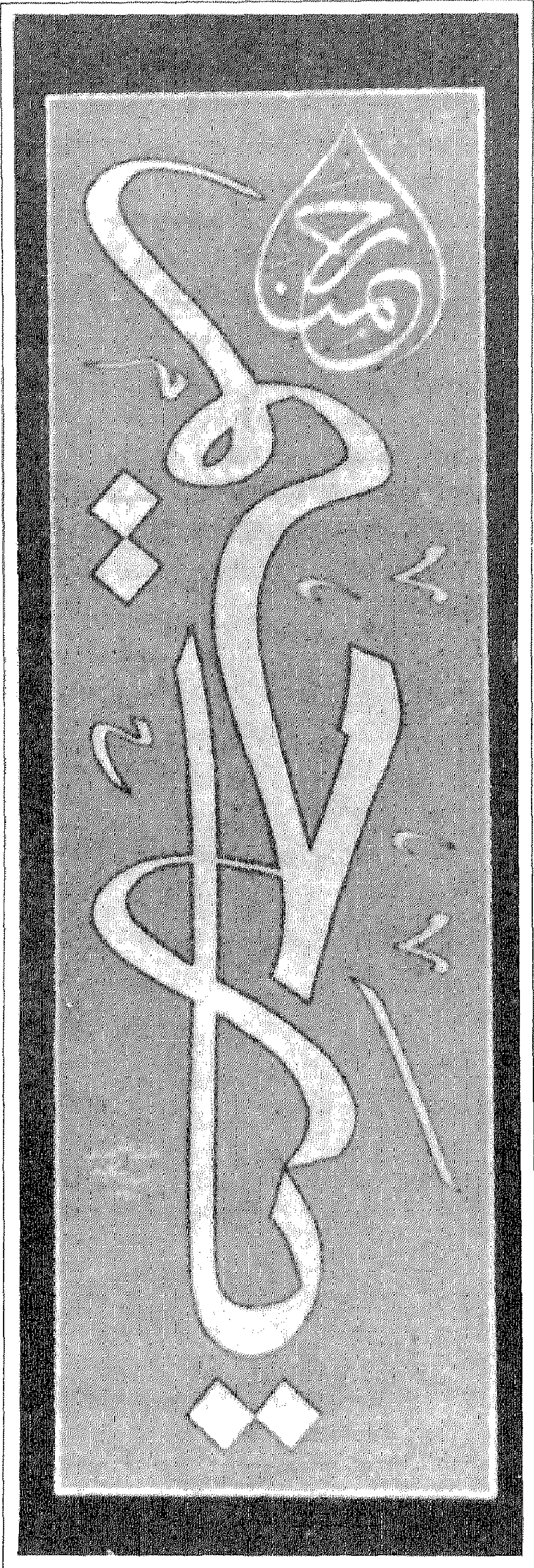






انها تصور تلك المعاناة التي يختبرها المتوجه في بدء توجّهه إلى الله . ولكنه ما ان يستغرق في المعرفة ، وما ان يتحرر من الأنا الصغرى ويقترب إلى الأنا الكبرى ، حتى تتبدّل حالته تلك ، فإذا هو مستقر بعد قلق ،آمن بعد خوف ، قد حلت عليه السكينة وطغت على وجهه الطمأنينة وبدا على عينيه







الارتياح. وهكذا تتحول خطوط هذا الفنان المتوجه إلى استدارات مسترخيةٍ مطمئنة لا توتّر فيها ولا قلق، فتنساب في استداراتها انسياباً فيه كثير من السكينة والسلام والاطمئنان. هكذا يصور الشيخ نسيب في فنه الطريق التي يسلكها السالك في مسيرته نحو الواحد الأحد كما في لوحته

الكوفية «بسم الله الرحمن الرحيم» .

ان هذا الكون مظهر من الله نور الأنوار الذي لا حد له ولا نهاية ، بل هو الشامل لكل شيء والحاوي لكل حقيقة والقادر المهيمن الجبار الذي تجلى نوراً ورحمة ، فكان الكون – والانسان أجلى مظاهره – يطل على الألوهة من خلال حقيقتين اثنتين هما النور المتمثل بالمعرفة ، والرحمة المتمثلة بالمحبة . فاذا بلوحته «يا رب يا نور الأنوار رحمتك» وقد مثل الشيخ نسيب فيها احدية الله ولا نهايته بعلامة النهاية في عبارة «يا رب» . وقد جعل هذه العلامة عمودية بدلاً من أن تكون ، كما هو متفق عليه ، أفقية ، للدلالة على ان هذه اللانهاية الإلهية تختلف عن أية لا نهاية أخرى . أما حرف الراء في كلمة «رب» فقد جعله الفنان على صورة السيف دلالةً على قدرة الله وسلطانه . أما النقطتان في أسفل اللوحة فتدلان على الحقيقتين الكليتين النور والرحمة المتمثلتين في الانسان بالمعرفة والمحبة . وهكذا يتقرب الانسان إلى الله النور الأزلي والمحبة والغفران باثنين : عقله وقلبه . فاذا ذنوب هذا الانسان التي هي نتيجة انانيته تتلاشى أمام عظمة حضرة الواحد الأحد ، وتسقط من وجوده الكلي امام رحمته ورضوانه ، كما هو متمثّل في لوحته . «يا غافر الذنوب» حيث نرى كلمة «الذنوب» أصغر حجماً وقد كتبت في الأسفل . وهكذا يتوجّه الانسان ويصل إلى طمأنينة ترتفع به إلى حقيقته الأزلية ، فينعم في ملكوت الله الأحدي.

أليس الله محبة شعشانية ؟ كما صور «الله» في لوحته «الله محبة» . أليس الوجود كله مجلي لمحبة الله ؟ تلك المحبة الإلهية التي يتمثلها الشيخ الفنان وكأن الله ، من واسع حبه ، تنزل رحمةً تجلت دمعةً إلهية فكانت هذا الوجود وبدا الله ربّ العالمين ، كما في لوحته «الحمد لله رب العالمين» ؟ واذا ابواب رحمة الله تتجلى أمام من تقبل هذه المحبة ، فلجأ إلى الله مستعيذاً من نفسه الأمّارة لتستقر آفاق توجهاته ، وتتوازى قواه الانسانية وتتعادل ، وتنصب على باب معرفته ؛ واذا هو يتوجه إلى اسمه الأعظم ، لتنفتح أمامه الأبواب ، واذا هذا الماخر عباب يم الحقيقة يستحيل إلى سفينة ينفتح أمامها خير الباب لتنطلق منها إلى ما لا نهاية له ولا حد . لقد تمثل هذا في لوحة الفنان التي على شكل السفينة : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يا مفتح الأبواب افتح لنا خير الباب .» .

مني الشيخ نسيب مكارم في آخر حياته بمرض عضال ، أصاب ذراعه اليسرى ، كما سبق القول ، وظهر في رأسه . وكاد هذا المرض أن يحرمه نظره لولا ان المنية عاجلته . وقبل أن يتوفى بخمسة أيام ، على ما أذكر ، نظر إلى لوحة من لوحاته الأخيرة ، فلم يستطع أن يركّز نظره . فرأى الخط خطين . ولكنه أعجب بما رأى ، فخاطبني وهو تحت وطأة المرض : «ما أجمل ما أرى ! غداً إذا قيّض لي الشفاء ستكون لوحة كهذا الذي أراه .» . ولكن الله لم يقبض له أن يشفى ، فمات واللوحة في مخيلته لم تنته . مات كما يموت الفنان الحق ●

(انتهى)

الهوامش

١ – القصيدتان من نظم الشاعر أمين آل ناصر الدين . (راجع نسيب مكارم) ، «ترجمة حياتي» ، العرفان ، ج ٣ - المجلد ١١ (تشرين الثاني ، ١٩٢٥) ص ٢٨٨ صيدا : مطبعة العرفان ١٩٢٥ .

٢– وتتضمن حبة القمح هذه ما يأتي :

فريضة المدح في حبة القمح .

مقدمة إلى متحف الكلية السورية الأنجيلية في بيروت . تنويهاً بمالها من الفضل في خدمة العلم .

يا معهد العلم الصحيح تحية
علمتنا معنى الحياة ولم تزل
وغرست في النشء الجديد خلائقاً
واقت للآثار اسنى متحف
فاليك من خطي الدقيق هدية
هي لمحة سجلت فيها آية
لا زلت في هذي المواطن زاهراً

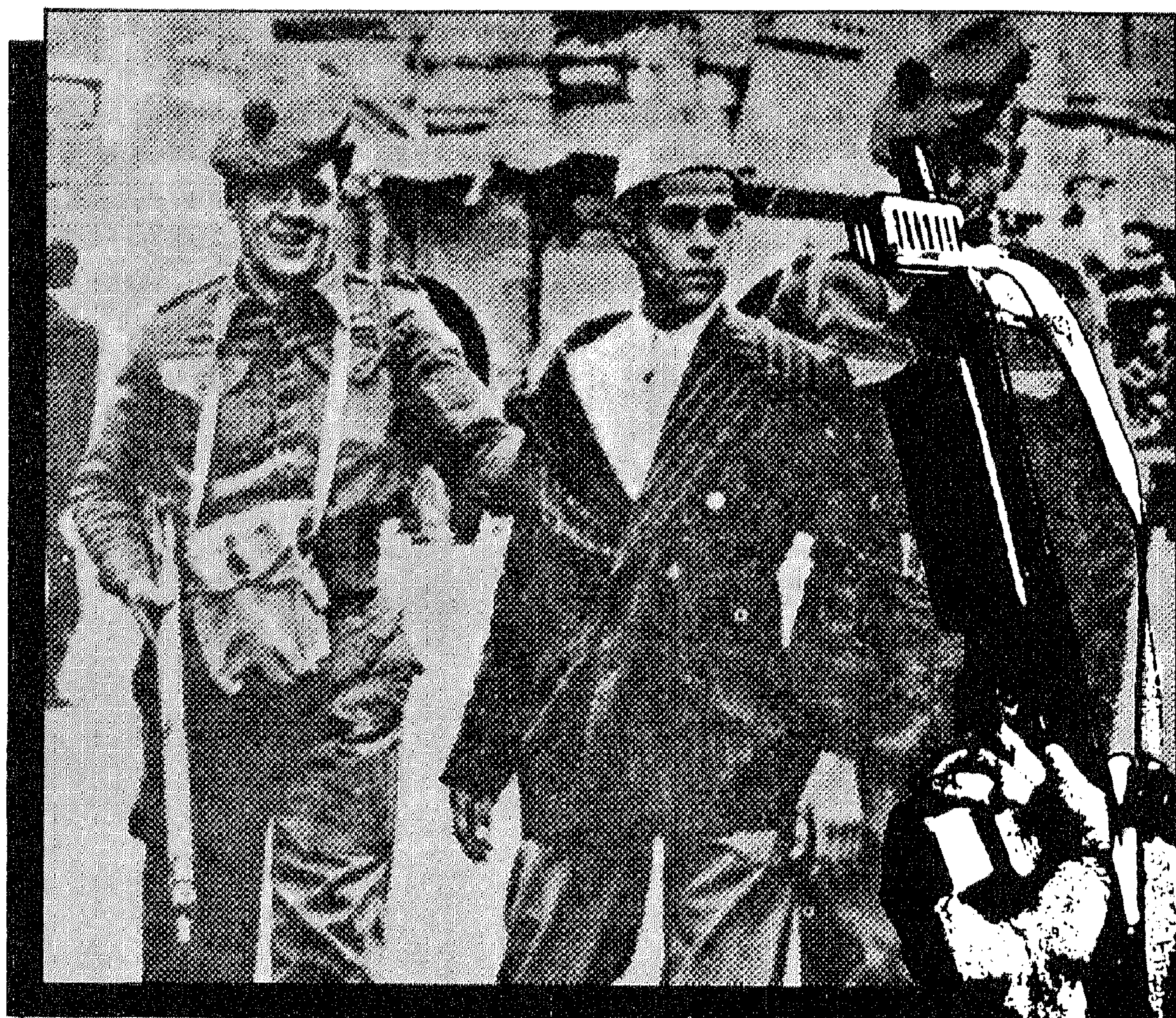
من كل سوريّ لوردك ظامي
تعطي بذور العلم والأقدام
جاءت نتائجها بكل همام
تنمو محاسنه مع الأيام
صغرت اقدّمها مع الاعظام
من آي فضلك في ربوع الشام
وعليك الف تحية وسلام

في ١ كانون الأول سنة ١٩١٩

نسيب سعيد مكارم

لماذا اخفق الشعب الفلسطيني في وقف الهجمة الصهيونية ١٩٤٨ ؟

عبد القادر ياسين *



* عبد القادر ياسين : سكرتير تحرير « الكاتب الفلسطيني » دورية الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين. له كتب عديدة منها : « كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨ » ، « الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٧٠ » ، « شبهات حول الثورة الفلسطينية ». وله مقالات عديدة في كثير من المجلات الثقافية.

● تمخضت حرب ١٩٤٨ في فلسطين عن نكبة حقيقية للشعب العربي الفلسطيني ؛ اذ تحطم نظامه الاجتماعي ، وتمزق تكوينه الطبقي ، بعد أن تم للصهيونيين طرد أغلبية الشعب العربي الفلسطيني من بلاده ، في حين عاش من بقي منه عيشة ، يتفق كثير من الكتاب والباحثين ، على انها تضعهم في مصاف المواطنين من الدرجة الثالثة. وفقد الشعب العربي الفلسطيني أرضه ومصادر رزقه ومنازله ، وتبعثر في البلدان المجاورة والمهاجر البعيدة ، بحثاً عن لقمة العيش ، التي عزت ، واحتوت أغلبهم خيام مهترئة ، كدستهم فيها «وكالة غوث اللاجئين» ، حيث عاشوا حياة دون الحد الأدنى لمستوى البشر.

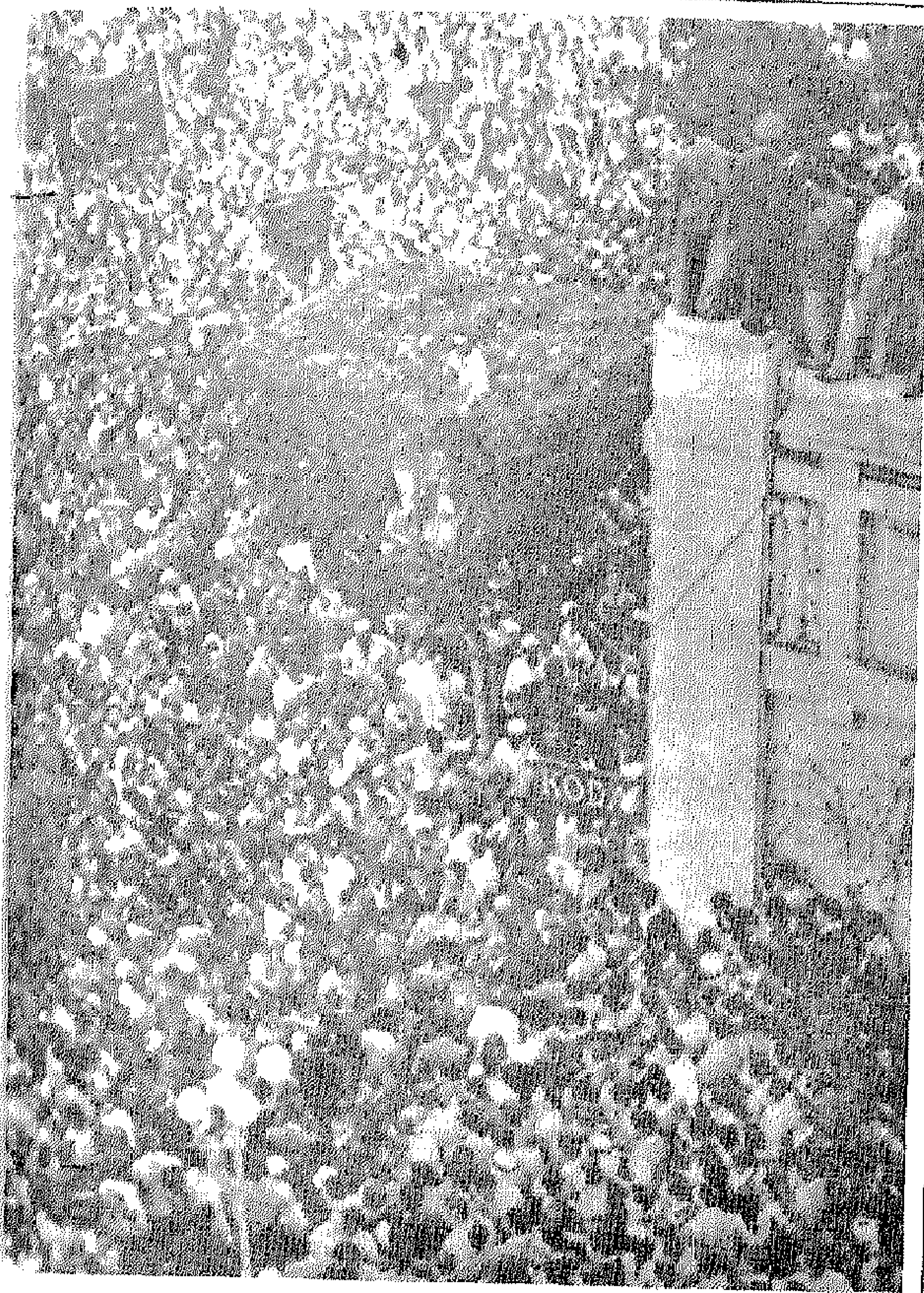
القصور :

ربما كان من المفيد الاشارة ، بداية ، إلى العوامل التي عجز الشعب العربي الفلسطيني معها عن وقف تقدم العصابات الصهيونية المسلحة ، في المدة التي سبقت اشتراك الجيوش العربية في القتال ، في الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨. ويمكن حصر أهم تلك العوامل فيما يلي :

١ – ميل ميزان القوى العسكري لصالح الحركة الصهيونية ؛ من حيث حجم القوات ، ومستوى تدريبها ، والثقافة العسكرية التي حصلها قادتها ، ودرجة تسليحها. والشواهد والاستشهادات في هذا المجال عديدة. في مذكرات الجنرال غلوب اشار قائد الجيش الأردني من عام ١٩٣٩–١٩٥٦ ، إلى ان المناضلين الفلسطينيين كانت «تنقصهم الخبرة في الأعمال الحربية». وذكر ، في مجال إشارته إلى قلة خبرة هؤلاء المناضلين ، قصة شاهدها بعينه ، اثناء احتدام معركة القسطل ، في التاسع من نيسان (أبريل) ١٩٤٨ ، حين كان ماراً بشارع رام الله الرئيسي واذا بسائق سيارة ينادي بأعلى صوته : «إن رجال القسطل بحاجة إلى الذخيرة ، وإني على استعداد لدفع ثمن هذه الذخيرة نقداً». وسرعان ما أخذت الحمية أبناء المنطقة ، فتدافعوا نحو السائق وزودوه بما طلب.

وفي الوقت الذي كان المقاتل الصهيوني يمتلك السلاح الحديث والذخيرة الجيدة الوفيرة ، التي تصرفها له الوكالة اليهودية ، كان المقاتل العربي الفلسطيني يعاني الأمرين في مجال التسليح والذخيرة ؛ إذ كان يحصل ، من جيبه الخاص وبعد عناء كبير ، على سلاح قديم ، غالباً ما يتم الحصول عليه من صحراء مصر الغربية ، حيث تركت القوات الألمانية والأيطالية ، التي حاربت هناك في الحرب العالمية الثانية ، جزءاً من أسلحتها ، وهو السلاح الذي أتلفته الرمال ، واهترأ بفعل عوامل التعرية ، وجهل البدو في تلك الصحراء بأمر صيانته. كما كانت الذخيرة نادرة وباهظة التكاليف.

وفي القطاع اليهودي كان الأمر مختلفاً تماماً ، في



١٩٤٨/١٢/١٤ : القاهرة تغلي والشعب يدعو للجهاد.

كتاب أبيض صدر عام ١٩٤٦ ، وصفت حكومة الانتداب منظمة «الهاغناه» الصهيونية بأنها منظمة عسكرية غير مشروعة ، جيدة التسليح وتضم قوة تقدر بـ٦٠,٠٠٠ جندي عدا مجموعتين انفصلتا عنها هما : عصابتا «الأرغون» و«شتيرن» ، وكانت قوة الأولى تتراوح بين ٣,٠٠٠ و٥,٠٠٠ جندي في حين ضمت الثانية ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ رجل. وقد أصدر بن غوريون–مسؤول الدفاع في الوكالة اليهودية آنذاك–أمره إلى اثنين من مساعديه بالذهاب إلى أوروبا واحضار ١٠,٠٠٠ بندقية ، و٤٥٠ مدفعا رشاشا ، وأن يبحثا عن طائرات ومدفعية ، ورصد لها اعتماداً قدره ٧٥٠,٠٠٠ دولار لهذا الغرض.

وكانت البالماخ (القوى الضاربة في الهاغناه) تضم نحو ٣,٠٠٠ مقاتل، وتمتلك نواة للقوة الجوية وأخرى للقوة البحرية. وكان بن غوريون قد جرد مخازن الأسلحة لديه. في نيسان (أبريل) ١٩٤٧، فوجد أنها تحتوي على: ١٠,٠٧٣ بندقية و ١,٩٠٠ مدفع نصف آلي. و ٤٤٤ مدفعا آليا خفيفاً، و ١٨٦ مدفعاً اوتوماتيكياً متوسطاً. و ٦٧٢ مدفع هاون عيار ٢ بوصة. و ٩٦ مدفع هاون عيار ٣ بوصة.

أوضاع ذاتية متفاوتة

ويعترف مرجع اسرائيلي بأن قادة المناطق من عرب فلسطين (أمثال عبد القادر الحسيني. قائد منطقة القدس العسكري، وحسن سلامة. قائد منطقة اللد والرملة العسكري) لم تكن تنقصهم الحماسة، وان افتقروا للثقافة العسكرية. بمفهومها الاكاديمي. في حين عجز الضباط المحترفون السوريون والعراقيون. المنخرطون ضمن المتطوعين العرب للقتال في فلسطين، عجزوا عن تطبيق ما درسوه من تكتيكات على وحدات المتطوعين العرب، التي كانوا يقودونها؛ وذلك بسبب تخلف هذه الوحدات. كما لم يكن لدى عرب فلسطين قادة على مستوى الفصائل والسرايا. وكانت العمليات التي تخطط جيداً. تفشل بسبب عجز الوحدات الصغيرة العربية عن تنفيذ المهام القتالية الموكلة اليها.

هذا مقابل قوة أكبت الحركة الصهيونية على بنائها، وتسليحها، وتدريبها وفق أحدث الطرق. منذ العشرينات وهي القوة التي تعززت واكتسبت المزيد من الخبرات القتالية بعد اشتراكها في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء. فيما عرف «بالفيلق اليهودي».

ويجب أن نشير هنا إلى أن الاستعمار البريطاني كان، أثناء الانتداب. يصادر الأسلحة التي يعثر عليها لدى العرب الفلسطينيين. ويصدر على حائزيها أحكام الأعدام، في حين يغمض عينيه عن الأسلحة المتدفقة على الحركة الصهيونية. وعن مصانع الأسلحة التي تقيمها تلك الحركة في المستوطنات اليهودية. وعن التدريبات الواسعة التي كانت تقوم بها الهاغناه، وكان الاستعمار يتجاهل نمو نشاط التشكيلات العسكرية الصهيونية. وجاء في تصريح لكريتش جونز. وزير المستعمرات البريطاني أمام مجلس العموم البريطاني. «ان المحاكم العسكرية البريطانية أصدرت أحكاماً بالأعدام ضد ١٤٨ عربياً فلسطينياً، بتهمة حيازة أسلحة أو ذخائر».

٢ – المذابح البشعة التي نظمتها الحركة الصهيونية للآمنين العزل من السلاح من عرب فلسطين (مذبحة دير



تفتيش دقيق ولكن للعرب فقط! (القدس، باب العمود).

ياسين ١٩٤٨/٤/٩) ، والدور الساذج الذي لعبته أجهزة الأعلام العربية آنذاك ، حين نشرت ، بكل الوسائل الأعلامية وبشكل واسع ، أخبار هذه المذابح ، وأدت هذه المذابح ، وتلك السياسة الأعلامية العربية الساذجة إلى ترويع عرب فلسطين ، والى تدهور الحالة المعنوية لهم ، وهو أمر خدم - إلى حد بعيد - أهداف الحركة الصهيونية .

... ودور بريطانيا

٣ - موقف القوات العسكرية البريطانية المحابي للصهيونيين ، اذ شجعت هذه القوات عرب فلسطين على هجر ديارهم ، بعد أن أوهمتهم بأن جيوش الدول العربية ستعيدهم اليها . وعلى سبيل المثال ، طلب الكولونيل أندرسون ، القائد البريطاني لمدينة طبريا ، من السكان العرب الرحيل ، متذرعاً بعجزه عن حمايتهم ، ورغبته في منع مذبحة ينظمها لهم الصهيونيون ، على غرار مذبحة دير ياسين . ونشر رجال الانتداب الفزع بين عرب حيفا ، ونصحوهم بالفرار إلى الميناء ، وتطوع الانجليز لاجلاء ١٥,٠٠٠ شخص من ضواحي حيفا . وفي وقت لاحق اتهم المحامي الفلسطيني المعروف الياس كوسا ، حكومة الانتداب البريطاني بأنها هي «التي خلقت جو الفزع ...» فان البريطانيين هم الذي دبروا فكرة هرب العرب من البلاد ، وعملوا الكثير لتنفيذها ، ومنحت حكومة فلسطين موظفيها العرب رواتب ثلاثة شهور مقدماً ، وسهلت لهم السفر في إجازة للدول المجاورة ، وقامت الشركات البريطانية ، مثل شركة الصناعات الكماوية الامبراطورية واخوان ستيل ، بنقل قسم من مكاتبها ومعظم موظفيها العرب ، دون داع إلى لبنان ، وبذلوا جهدهم في اقناع العرب بأن المنطق يحتم عليهم مغادرة البلاد ، وأن عليهم أن يفعلوا هذا ، على الأقل ، لدواعي الحذر . ويشير المحامي الحيفاوي ، كوسا ، إلى ما حدث في طبريا ، فيقول أن السلام كان يسود هناك ، ولكن السلطات البريطانية نقلت السكان العرب ، بالقوة ، إلى شرق الأردن مع ترك ديارهم وممتلكاتهم في البلاد ، وقد عرضت حكومة الانتداب على العرب في كل مكان من فلسطين أن تنقلهم مجاناً ، وزينت لهم الخروج من البلاد .

٤ - تفكك الجبهة الداخلية العربية الفلسطينية ؛ في مقابل جبهة موحدة في القطاع اليهودي من فلسطين ، في الجانب العربي كانت هناك ثلاث كتل رئيسية . الأولى ، وتضم «الهيئة العربية العليا» التي أقامتها الجامعة العربية عام ١٩٤٦ ، وضمت الأحزاب العربية الفلسطينية كافة ، عدا «عصبة التحرر الوطني» ، التنظيم الماركسي الفلسطيني ذا الخمسة آلاف عضو . ومن الجدير بالذكر أن نحو ١٣ ألفاً من عرب فلسطين أرسلوا بطاقات إلى الجامعة العربية ، طالبوها فيها بضرورة ضم العصبة للهيئة العربية ، إلا أن الجامعة العربية أدارت ظهرها لهذا المطلب ، عن عمد وسبق إصرار .

ومع ذلك لم تكن الهيئة العربية تمتلك الحد الأدنى من الانسجام ، أو وحدة الموقف ، ذلك أنها كانت تفتقر إلى التصور المشترك ، أو ما اصطلح على تسميته ببرنامج الحد الأدنى .

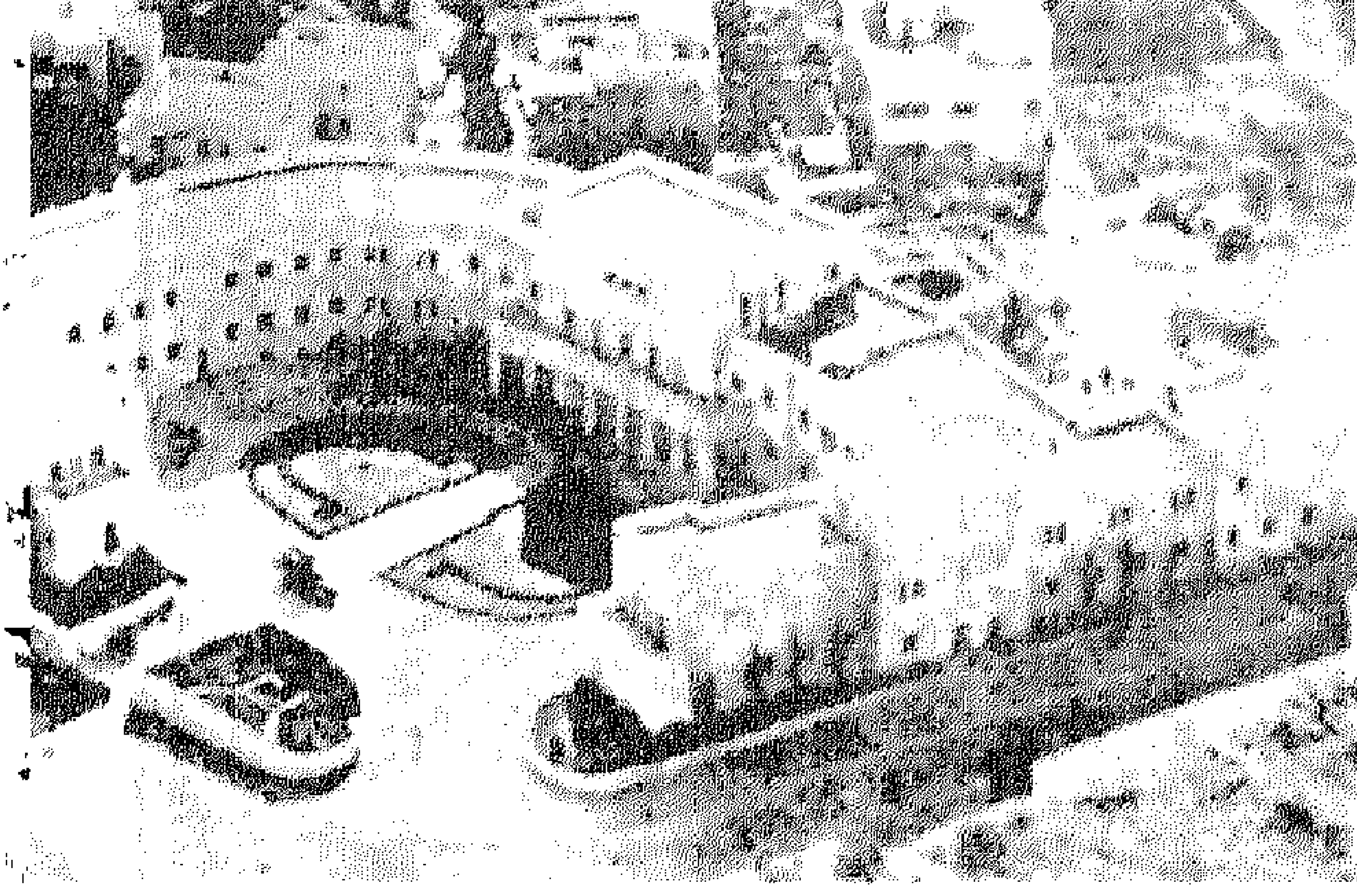
وقد نجحت حكومة العراق في شق الهيئة العربية ، حين زكت موسى العلمي ، وعززت مركزه في الجامعة العربية كمندوب لفلسطين فيها . وبرز العلمي كمناوىء صلب للحاج أمين الحسيني ، وكان خطر العلمي على الحركة الوطنية الفلسطينية يكمن في إعجابه بنمط الحياة الغربي ، وفي تعاطفه مع السياسة الاميركية ، وتوهمه بأن قليلا من الدعاية في أميركا وبريطانيا كفيل بحل القضية الفلسطينية ، وكان أن أنشأت له الجامعة العربية «المكاتب العربية» ، لبث الدعاية للقضية الفلسطينية في لندن وواشنطن . وبهذا يمكن اعتبار رجال هذه المكاتب بمثابة الكتلة الثالثة في أوساط عرب فلسطين ، بعد الهيئة العربية وعصبة التحرر . هذا ، مع الاشارة إلى التفاوت الكبير بين قوى الكتل الثلاث .

دون مستوى التحدي

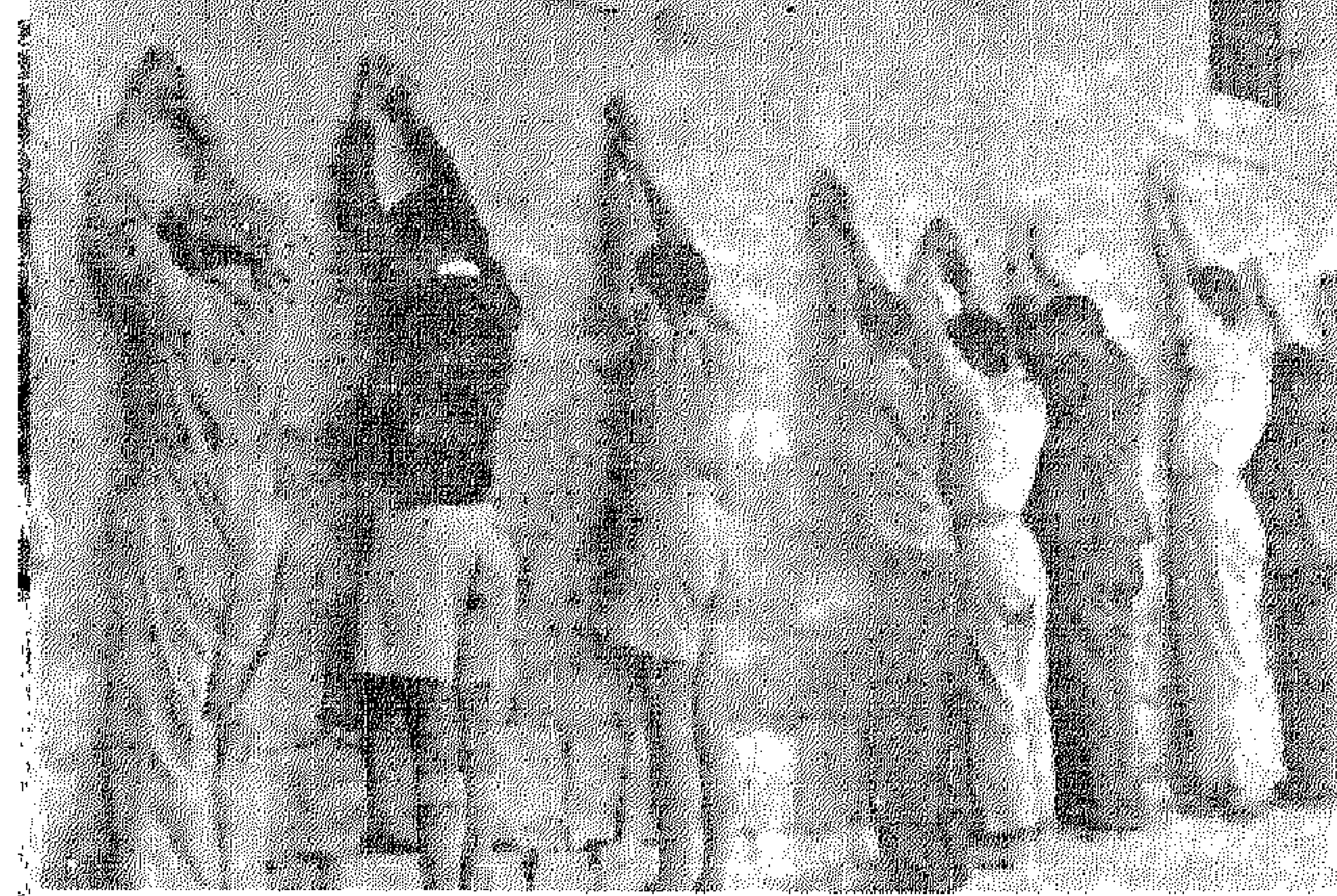
ومن الطبيعي أن مواجهة الخطر المزدوج في فلسطين ، الصهيوني والاستعماري ، كان فوق طاقة جهد حزب واحد أو كتلة واحدة . بل كان الأمر يتطلب تحالفاً مخلصاً ، صلباً ، وعريضاً ، يجمع كل القوى والطبقات الوطنية ، المعادية للاستعمار والصهيونية ، وصاحبة المصلحة الأكيدة في محاربتهما وقهرهما .

وبديهي أن مثل هذا التحالف الوطني من شأنه تعزيز حركة الجماهير ، وهي الحركة التي تقرر كل شيء في النهاية . وقد أدى الفشل في إنجاز التحالف إلى العجز عن توسيع القاعدة السياسية والاجتماعية لحركة التحرر الوطني ، ذلك أن مثل هذا التحالف يتيح تحقيق وحدة عمل دائرة أكثر اتساعاً ، تناضل ضد العدو المشترك ، مما يمكن التحالف من لعب الدور الحاسم في الصراع .

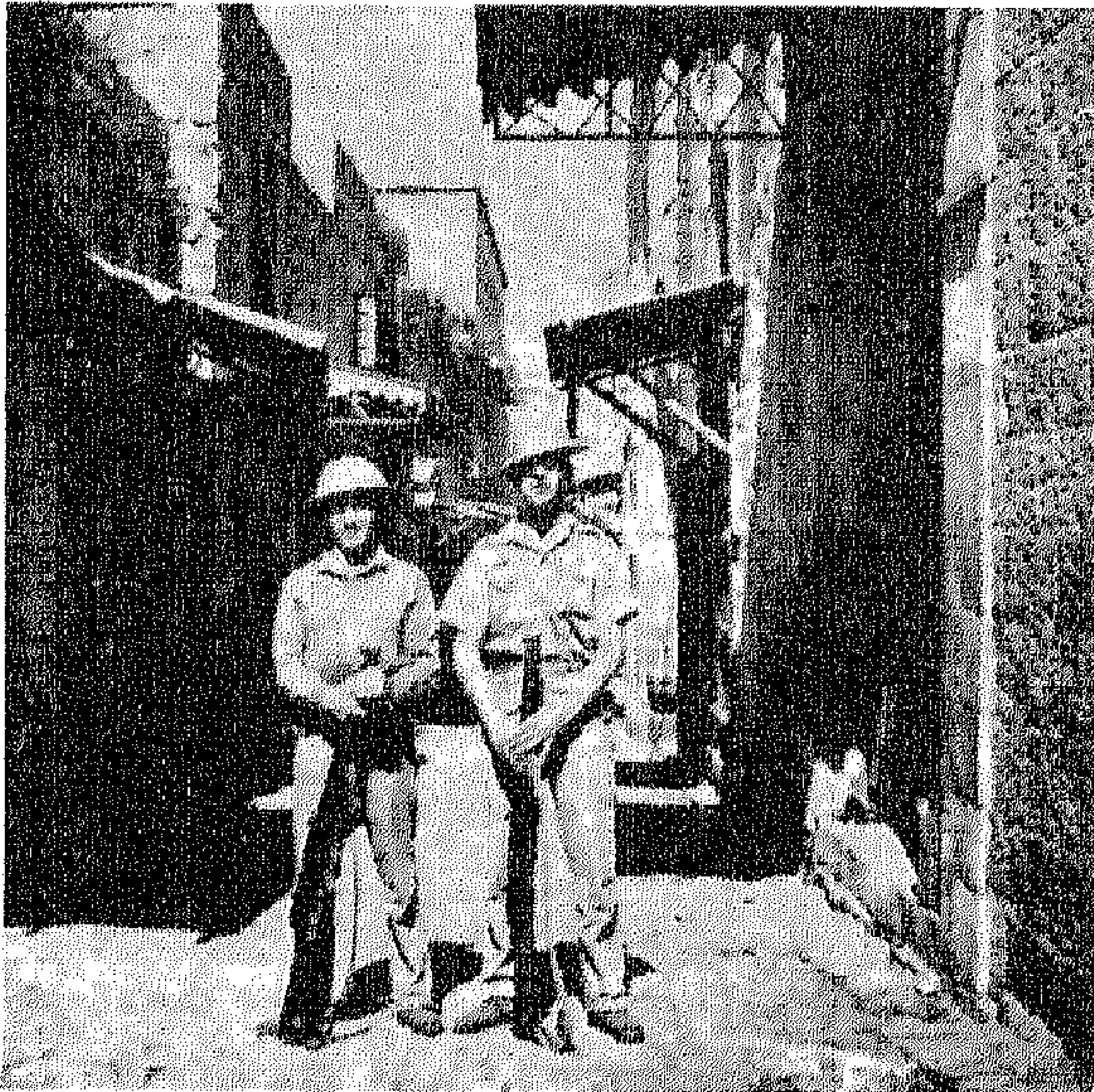
الوكالة اليهودية في القدس قبل نسفها بيوم واحد في ١١ آذار ١٩٤٨

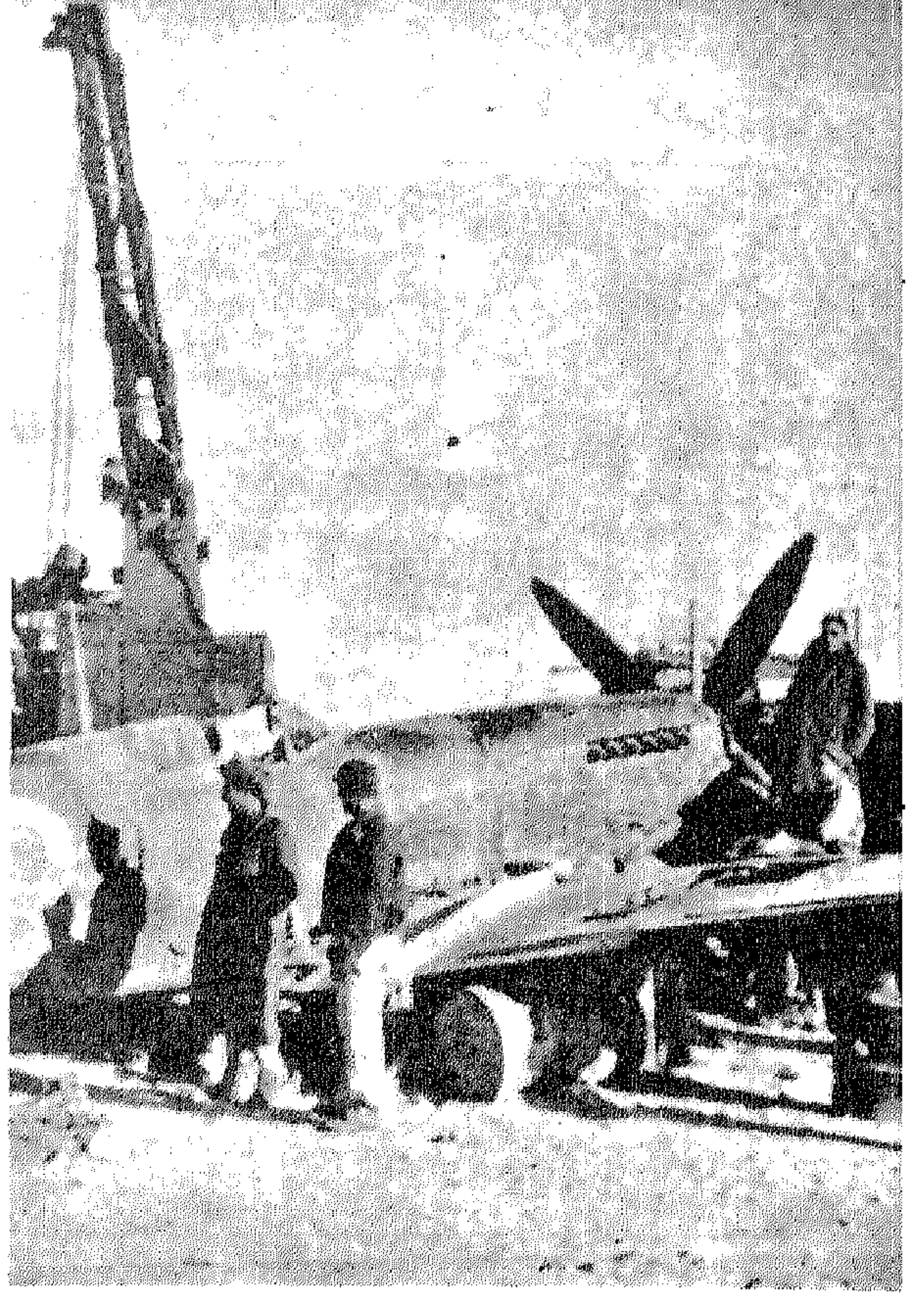


اسرى يهود قبض عليهم المناضلون العرب-٢٧ آذار (مارس) ١٩٤٨.



كانت مهمة الانتداب حماية اليهود (القدس القديمة).





طائرة مصرية اسقطها البريطانيون لحساب اليهود.



«بطل» مجزرة دير ياسين وقائد منظمة الارغون الارهابية... مناحم بيغن.


عبد المجيد حسن : قتل رئيس وزراء مصر النقراشي باشا لمهادنته اليهود ومنعه الفلسطينيين من شراء السلاح وسماحه بنقل اسلحة الالمان والانجليز من الصحراء الغربية إلى تل أبيب .

٥ – فقدان الوضوح الفكري ؛ إذ ظلت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية تكتفي برفع شعارات عمومية عريضة ، قوامها : رفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ووقف بيع الأراضي لليهود ، واقامة حكم وطني . وهذه الأمور لا يمكن ان تشكل برنامجاً سياسياً متكاملاً لحركة تحرر وطني ، تخوض كفاحاً معقداً وسط ظروف شائكة . هذا فضلاً عن أن هذه الشعارات لاتمت للاستراتيجية السياسية بصلة . فالبرنامج السياسي يتطلب تحديد طبيعة المرحلة ، والهدف الاستراتيجي ، والأساليب والتكتيكات الموصلة إلى هذا الهدف ، مع الاشارة إلى الأهداف المرحلية للحركة ، اضافة إلى تحديد دقيق لمعسكر الثورة ولمعسكر الأعداء . وبدون مثل هذا البرنامج لا يمكن أن يوجد الحزب كجهاز سياسي كامل ، قادر على التمسك بالخط عند أية انعطافة في الاحداث .

٦ – انهيار الاقتصاد العربي في فلسطين ؛ عقب تسريح موظفي الحكومة وعمالها ، وبعد توقف كثير من الأعمال العربية إثر تعرضها لقنابل القوات العسكرية الصهيونية .

ومع هذا كله ، فان مجموع ما فقده المقاتلون الفلسطينيون ، منذ صدور قرار التقسيم (٤٧/١١/٢٩) وحتى دخول الجيوش العربية (٤٨/٥/١٥) ، هو أقل بكثير مما تركته هذه الجيوش في أراضي فلسطين غنيمة للعصابات الصهيونية .

ولكن ، لماذا عجزت الدول العربية ، أيضاً ، عن التصدي للهجمة الصهيونية ، وهي الدول الأكثر عراقة ، والأقوى عسكرياً وسياسياً ، في كل المقاييس ؟ ! .

هذا ما سيحاول مقالنا القادم الاجابة عنه ●

المراجع :

١ – جون باغوت غلوب : «جندي مع العرب» ترجمة عفيف حسني الصمدي ، دار النشر للجامعيين ، دون تاريخ ، بيروت .

٢ – سامي هداوي : «فلسطين تحت الانتداب ١٩٢٠–١٩٤٨» . انظر «دراسات فلسطينية» ، مجلد رقم ١ ، ندوة فلسطين العالمية الثانية ، شباط (فبراير) ١٩٧١ .

٣ – يغال ألون : «من كلا جانبي التل» . الترجمة العربية ، القاهرة . د ت .

٤ – محمد أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٧ .

٥ – الاتحاد (حيفا) .

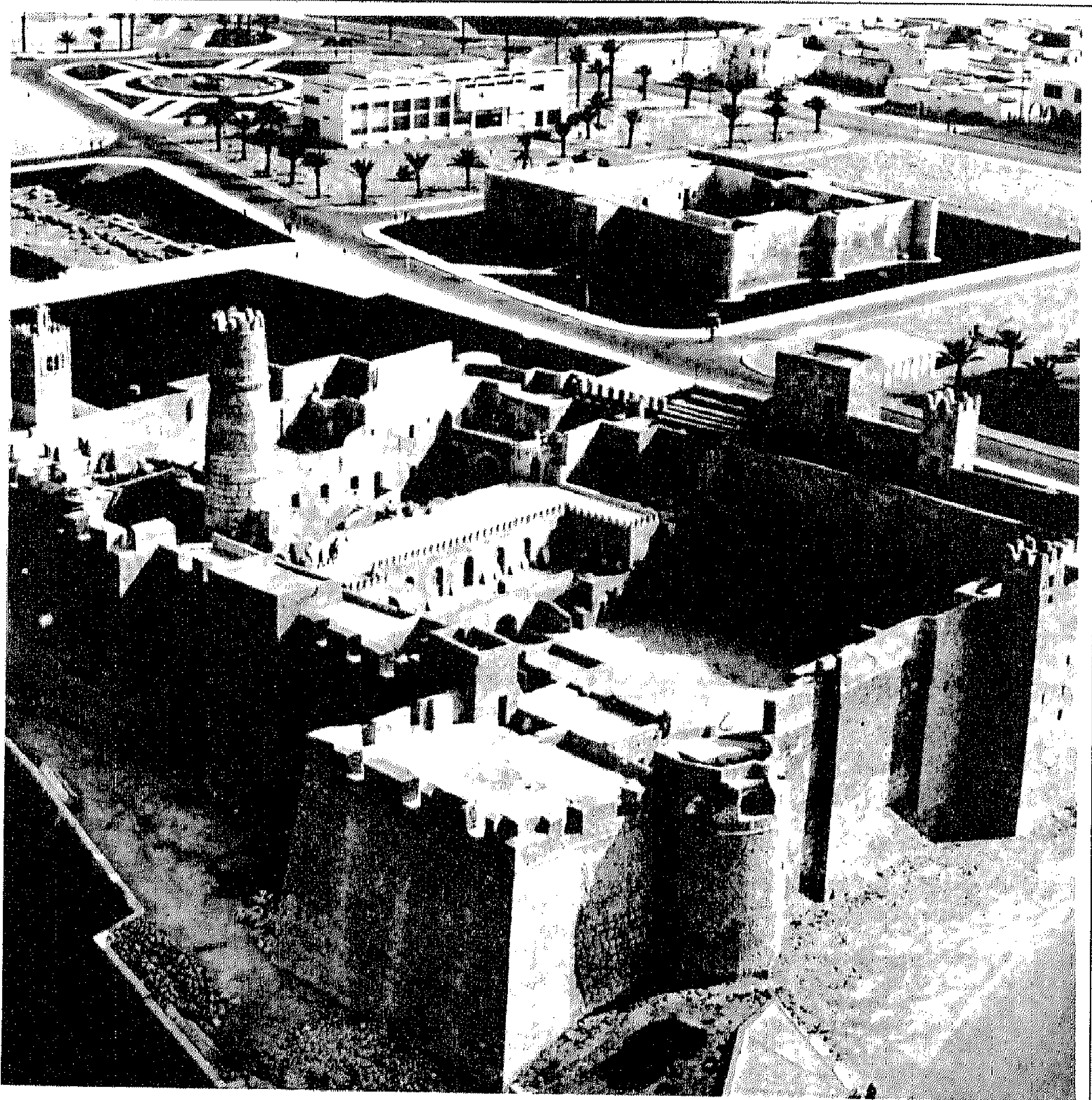
٦ – أهرون كوهين : إسرائيل والعالم العربي ، الطبعة العربية ، القاهرة ، د . ت .

من ملف الوطن العربي

تونس

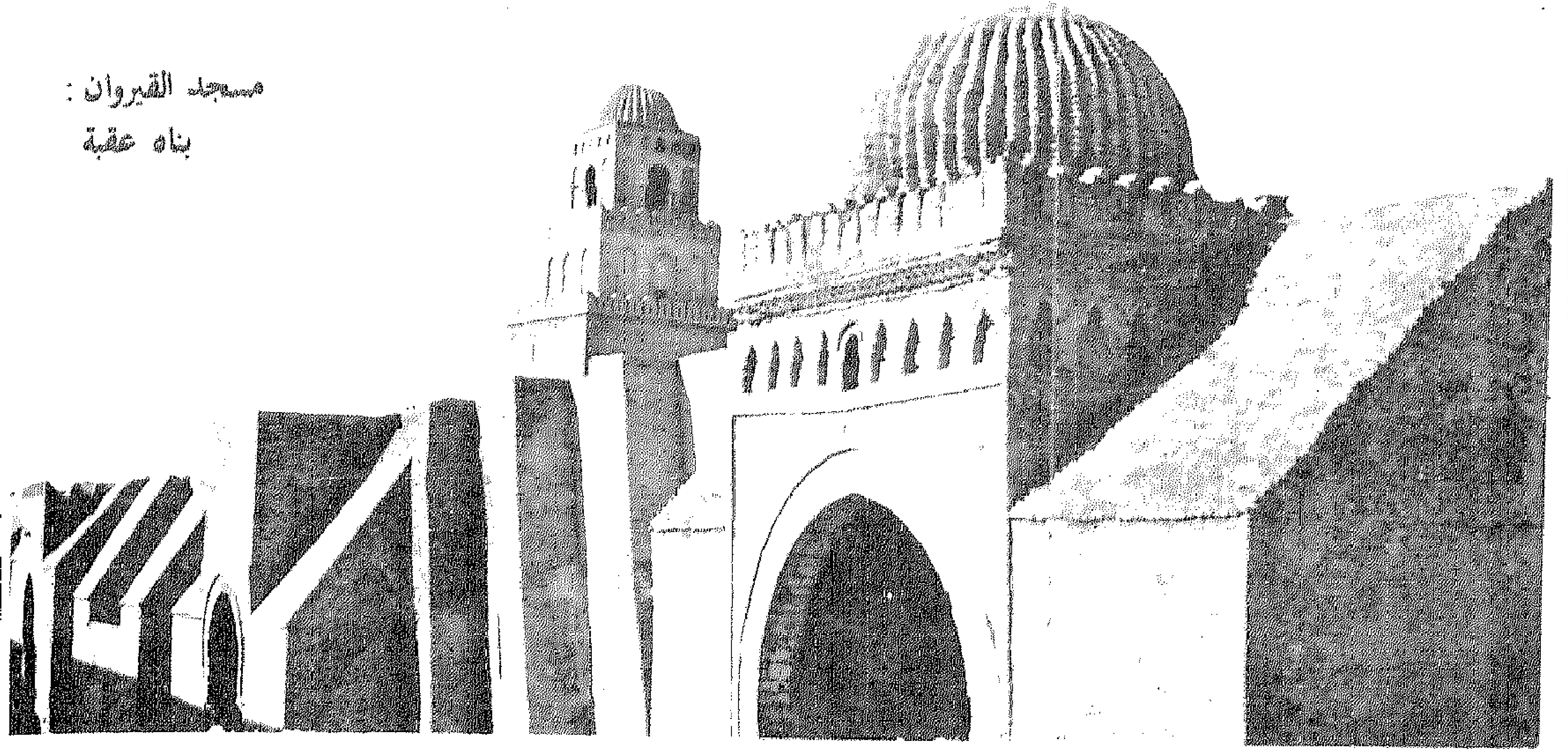
قسم الابحاث والدراسات

فتحها أكابر العرب وجعلوها حاضرتهم في المغرب



رباط المنستير من الجو.

مسجد القيروان :
بناه عقبة



● في العصور الحجرية إتجهت الحياة في ما نسميه اليوم المشرق العربي ، نحو الزراعة والاستقرار. وفي ما يسمى اليوم المغرب العربي ، اتجه الانسان في تلك الحقبات القديمة نحو حياة الرعي ، بفعل البيئة المغربية وطبيعتها الجغرافية.

ولذلك فان العصر الحجري الحديث (أي العصر الحجري الذي بدأ فيه الانسان ينتج أدوات وأسلحة حجرية دقيقة) قد تأخر في الظهور في المغرب ، بسبب من ارتباط العصر الحجري الحديث بالحياة الزراعية المستقرة.

وقد تأخر ظهور العصر الحجري الحديث في المغرب ألف سنة عن ظهوره في المشرق. وانتقل المشرق إلى عصر النحاس (أي عصر الأدوات والاسلحة والاواني النحاسية) في حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل المسيح ، في حين لم ينتقل المغرب إلى ذلك العصر الا سنة ١٢٠٠ ق.م. وفي بعض المناطق امتد العصر الحجري الحديث في المغرب حتى الحقبة الرومانية.

وقد استدل العلماء على بداية عصر الزراعة والاستقرار ، بعثورهم على الأدوات الفخارية ، التي كان الانسان قد أخذ يصنعها ليخزن فيها طعامه وشرابه ، وهو أمر لم يصنعه أيام الرعي والصيد.

وتدل دراسة الاستاذ كاتون تومسون في المغرب العربي والصحراء ، على أن بداية عصر الجفاف شهدت نزوح الانسان من المناطق التي غزاها الجفاف نحو مناطق وجد فيها مصدراً لمأكله ومشربه ، ومنها تونس.

بداية تاريخ تونس

ينتمي سكان المغرب الأصليون ، البربر ، إلى مجموعات يغلب على لغتها الانتماء إلى عائلة اللغات الحامية المختلطة باللغات السامية. وهي شعوب ترجع اصلاً إلى منطقة عمان واليمن والصومال وتحركت غرباً مع مرور الزمن. ويرى بعض العلماء في هذه القرابة مع الشعوب السامية ، سبباً في سهولة تقبل البربر الهجرة الفينيقية إلى بلادهم ، ثم انخراطهم دون صعوبات نسبياً في حركة الفتح العربي في القرن السابع بعد الميلاد. وفي حين نظر أهل البلاد إلى الوجود اليوناني والروماني والبيزنطي (وفيما بعد الفرنسي) على أنه وجود اجنبي ، كانت النظرة إلى الفينيقيين والعرب (والى حد ما العثمانيين) نظرة مختلفة تماماً. فتونس تنتمي إلى الشرق وتطل على الغرب. ولقد كان انتماؤها هذا واطلالتها تلك من الملامح المستقرة في تاريخها الطويل.

وحين بدأ التاريخ في تونس ، بدأ منتمياً إلى الشرق ومطلاً على الغرب. إذ يعتبر المؤرخون أن قرطاجة التي كانت بداية عظيمة لتاريخ تونس ، هي ابنة لصور ، التي هي بدورها ابنة لصيدا على ما يعتقد.

وعلى الرغم من اختلاف العلماء حول مسألة ما إذا

كانت صور أسسها الصيدونيون في جزيرة قبالة الشاطئ بعد انتصار ملك عصقلان، على صيدون، وما اذا كان تاريخ تأسيسها يعود إلى سنة ١١٩٤ ق.م. فانه ليس من مجال للاختلاف حول ارتباط موقع صور (كجزيرة أولاً) باتجاهات سكانها البحرية. واتجاه الصوريين صوب البحر هو الذي جعلهم في حاجة إلى خشب الشاطئ الفينيقي والاقمشة المصرية، لصنع السفن واشرعتها. وهذه العلاقة الجدلية بين البيئة والاهتمامات الاقتصادية، كانت تمهيداً طبيعياً لفتح عيون ابناء صور على الآفاق الجديدة صوب الشمال الأفريقي. واذا كان من غير المؤكد أن الهجرة إلى قرطاجة اقتصرت على الصوريين كعنصر بشري، فانه من المؤكد أن صور لعبت الدور الأساسي في هذه الهجرة. هذا ما يقوله علم التاريخ.

تأسيس قرطاجة

أما ما يقوله «أدب» التاريخ، فهو أن هليسا أخت ملك صور بغماليون، تزوجت من خالها اشرباس، أحد كهنة ملقارت. فغضب بغماليون وقتل الكاهن. وهربت هليسا إلى قبرص مع الصوريين المعارضين، ومنها توجهت إلى قرطاجة في الساحل التونسي اليوم.

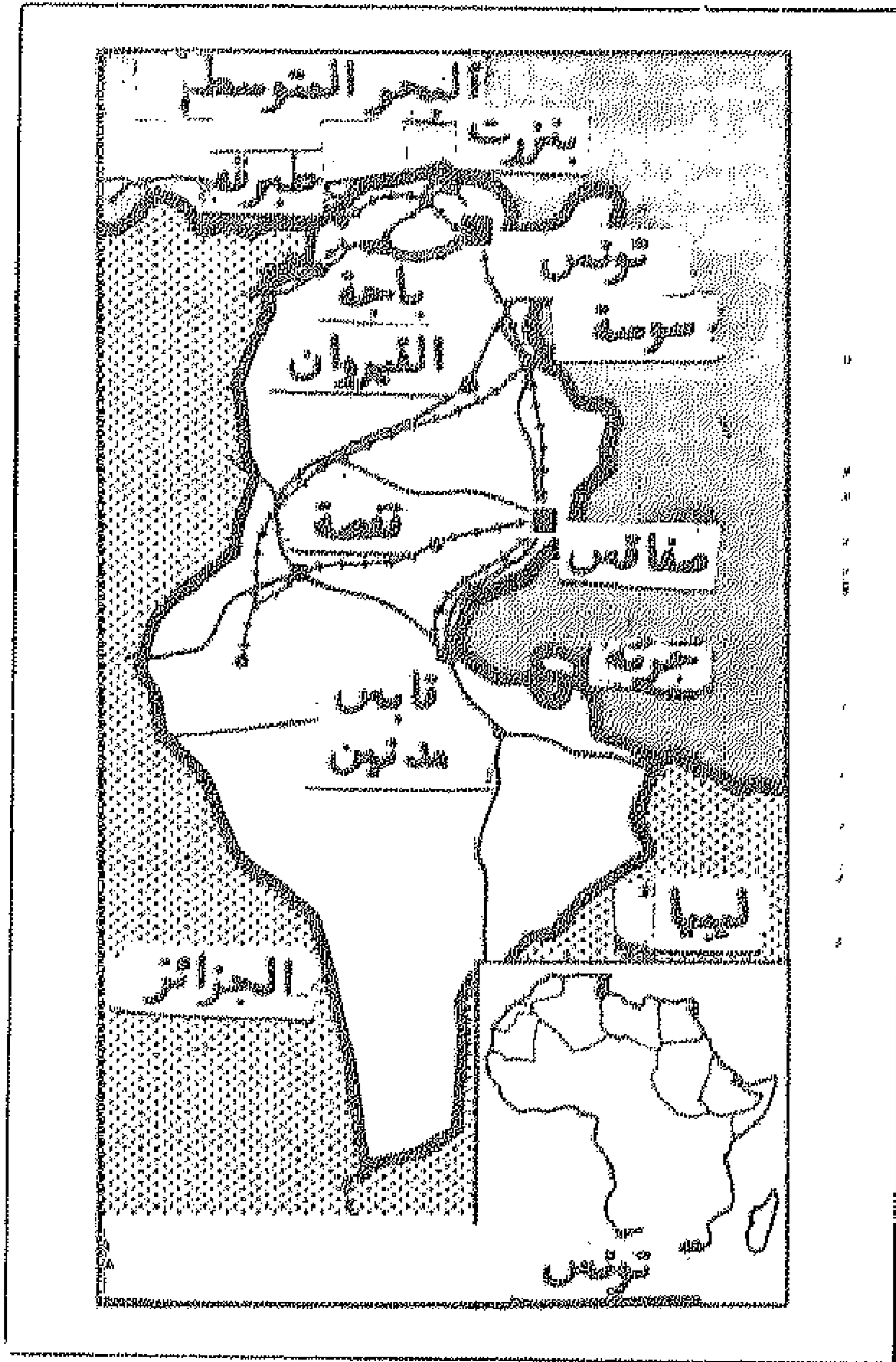
هذه هي رواية المؤرخين اليونانيين. أما المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد، فقد أكد أن هليسا أسست قرطاجة في السنة السابعة لحكم بغماليون. وعلى الرغم من اتفاق المؤرخين غير القاطع على قبول سنة ٨١٤ ق.م. تاريخاً لتأسيس المدينة، فإن الحفريات الأثرية لم تعثر بعد في تونس على أي أثر فينيقي يسبق سنة ٧٥٠ ق.م. ويتعين اذن اعادة النظر في تاريخ تأسيس أوتيك، الذي اصطلح حتى الآن على القول انه جرى سنة ١١٠١ ق.م. وفقاً للمصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية.

حروب روما وقرطاجة

ومهما كانت حقيقة تاريخ تأسيس قرطاجة فانها ضمت في عهدها الأول قبائل وشعوباً عديدة عاشت في وئام مما دفع أهلها إلى استقطاب شعوب جديدة، وإلى تعمير بلاد متزايدة الاتساع. وهذا ما أخذ يثير حفيظة روما القديمة. ونظراً إلى تداخل مناطق نفوذ القوتين، خاصة في صقلية توترت العلاقات الرومانية القرطاجية. وكانت شرارة الحرب بين الدولتين الخلاف على مضيق مسينا الاستراتيجي بين ايطاليا وصقلية. فنشبت بينهما ثلاث حروب دامت ١١٨ عاماً (من ٢٦٤ إلى ٢٤١ ق.م. ومن ٢١٨ إلى ٢٠١ ق.م. ومن ١٤٩ إلى ٢٤١ ق.م.).

وبرز في هذه الحروب التي عرفت «بالحروب البونيقية» (أو البونية، وفقاً لتحريف روماني لكلمة الفينيقية) قائد عسكري عظيم هو هنيبعل الذي استطاع أن يقود جيشه بجنوده وأفياله من شمالي أفريقيا إلى اسبانيا ففرنسا ليهدد روما نفسها. وانتهت الحروب البونيقية بتدمير قرطاجة تدميراً كاملاً بعدما حوصرت لمدة سنتين واحرقت سنة ١٤٦ ق.م.

وفي عهد الأمبراطور الروماني اغسطس



(٦٣ ق.م. - ١٤ م) أعيد احياء قرطاجة من تحت الرماد وأصبحت في فترة قصيرة عاصمة لأفريقيا الرومانية.

وتدور دورة التاريخ على روما ويثور عليها البربر وتدخل في دوامة الفوضى والخراب مما أدى إلى تقسيمها. فأصبحت عرضة للغزو الخارجي بدءاً من هجوم قبائل «الفاندال» الجرمانية - الشرقية في القرن الخامس م. ثم الروم البيزنطيين، حتى جاء الفتح العربي الذي أعطى تونس طابعها الحضاري الذي تتميز به اليوم.

فتح الأكابر

فتحت تونس نهائياً على يد عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري. وكان العرب قد تهيبوا أيام عمر بن الخطاب

مد فتوحهم إلى أفريقيا (هكذا كانت تونس تسمى)، خوفاً من عدم القدرة على تنظيم الفتح والاستمرار فيه. فلما قتل عمر وبويع عثمان، أرسل الخليفة أخاه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر، على رأس حملة قوية اجتاز بها طرابلس، واستولى على سفن البيزنطيين هناك. ثم واصل سيره إلى أفريقيا والتقى الجيوش البيزنطية في سبيطلة (سنة ٢٧هـ – ٦٤٧م)، إلى الجنوب الغربي من القيروان التي لم تكن قد شيدت بعد. وفي سبيطلة انتصر العرب انتصاراً حاسماً، ومات القائد البيزنطي غريغوريوس (جرجير كما يسميه العرب) على يد عبد الله ابن الزبير، الذي كان صاحب الفضل في هذا الانتصار. لكن ابن أبي سرح اضطر إلى الانسحاب ليقاتل النوبيين في جنوب مصر. ويلاحظ أن حشداً من أكابر العرب حارب في هذه المعركة، منهم مروان بن الحكم (الخليفة لاحقاً)، وابن الزبير، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن أبي بكر. ويمكن لتونس أن تفخر بأن فتحها تم على أيدي هؤلاء، ولو أنها ستنتظر سنة خمسين هجرية (٦٧٠م) ليفتحها عقبة بن نافع، ابن خالة عمرو ابن العاص نهائياً، ويبني فيها مصراً جعله حاضرة المغرب العربي كله، هو القيروان.

ويقول البلاذري: إن عقبة غزا أفريقية في خمسة آلاف مسلم، فافتتحها واختط قيروانها «وكان موضع غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتالة. وكان ابن نافع رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة، فدعا ربه، فأذهب ذلك كله، حتى ان كانت السباع لتحمل أولادها هاربةً بها». وأراد عقبة تمصير القيروان ففكر «في موضع المسجد منه، فأري في منامه كأن رجلاً أذّن في الموضع الذي جعل فيه مئذنته، فلما أصبح بنى المنابر في موقف الرجل ثم بنى المسجد».

وهكذا اصبحت تونس عربية، بل مستقر الجناح الغربي للأمبراطورية العربية.

ولكن ما بين العهد العربي والعصر الراهن عانت تونس ما عانته بقية دول الاسلام من فترات توزّع الكلمة وتفكك الجبهة الداخلية: فأسس ابراهيم بن الأغلب دولة الأغالبة (١٠٤هـ – ٨٠٠م.) التي دامت حتى العام ٢٩٦هـ – ٩٠٩م. ثم أسس عبيد الله المهدي دولة الفاطميين بدءاً من العام ٢٩٦هـ – ٩٠٩م. وخلفهم الصنهاجيون الذين اعلنوا استقلالهم سنة ٤٣٩هـ – ١٠٤٧م. مما دفع الخليفة الفاطمي في مصر إلى إرسال جيشه لمعاقبتهم على تمردهم (٤٤٢، ٤٤٣هـ.



الكابيتول في طبوربو ماجوس.

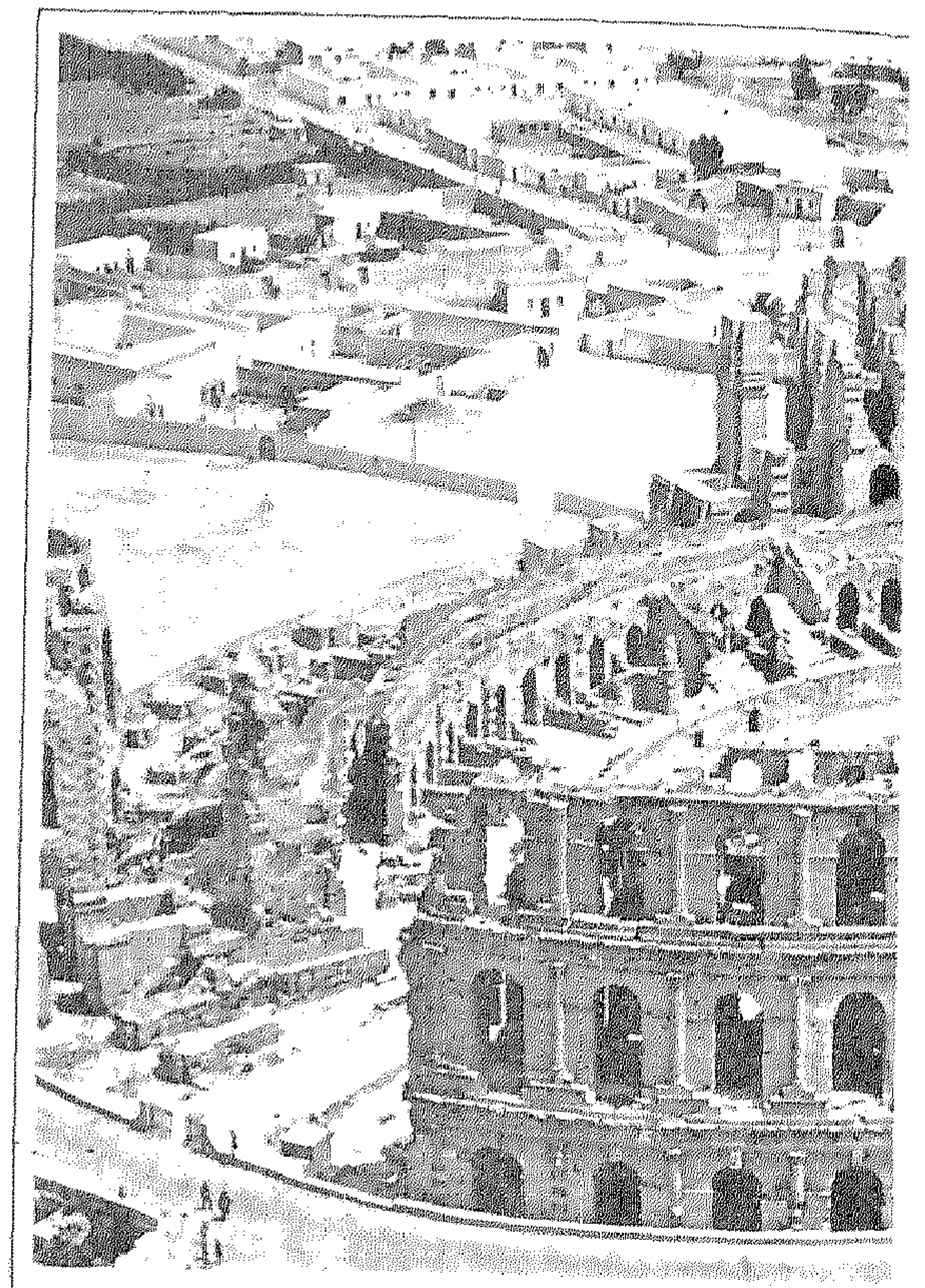
أو (١٠٥٠م – ١٠٥٢م.)، بعد انقضاء دولة الصنهاجيين.

امتدت دولة الموحدين من المغرب إلى تونس منذ العام ٥٥٥هـ. (١١٦٠م) وأصبحت عاصمة لها. ثم أعقب عهد الموحدين في تونس الأمراء الحفصيون الذين توالوا على الحكم في البلاد منذ العام ٦٠٣هـ (١٢٠٧م). وحتى دخول الاسبان في العام ٩٤١هـ (١٥٣٥م).

العصر العثماني

ولم يدم حكم المستعمرين الاسبان طويلاً خصوصاً وأن الدولة العثمانية كانت في أوج قوتها تتوسع بلا منازع جدي. وتحولت تونس إلى ولاية عثمانية منذ دخول سنان باشا البلاد العام ٩٨١هـ (١٥٧٤م).

ومر عهد الحكم العثماني التركي في تونس بمراحل متعددة: من عهد انقسام النفوذ بين «الباشا» و«الداي» و«الباي» ثم عهد استيلاء «الداي» على سلطة الباشا وازاحته ثم عهد استيلاء «الباي» على سلطة «الداي» و«الباشا» وازالتهما للانفراد بالسلطة.



ومهدت الخلافات العثمانية هذه إلى قيام الدولة المرادية المملوكية ثم الدولة الحسينية المملوكية التي دام حكم أمرائها (من ١١١٧ إلى ١٣٧٦هـ). أي (من ١٧٠٥م إلى ١٩٥٧م). تاريخ إعلان أول جمهورية مستقلة في البلاد.

عبد الرحمن بن خلدون

ولا يمكن طي صفحة تاريخ تونس دون أن نأتي على ذكر ابن خلدون.

واذا كانت تونس تعتبر ابن خلدون واحداً من ابنائها الخالدين، فان هذا العقل العربي الجبار، يعتبر نموذجاً للانسان الذي تتجسد فيه وحدة الوطن العربي. فعائلته على الأرجح يمانية حضرمية، على ما يقوله علي عبد الواحد وافي في كتابه عبد الرحمن بن خلدون (مكتبة مصر، القاهرة). وجده الأول خالد بن عثمان لا بد وأنه انتقل إلى الأندلس «في القرن الثالث للميلاد». وينقل ابن خلدون عن ابن حزم في «جمهرة انساب العرب» أن هذا الجد «خالد» أعطى اسمه للأسرة الخلدونية. وكان العرب في الأندلس قد اختلطت بلغتهم بعض الكلمات والاستخدامات اللغوية الاسبانية والقوطية. ومنها أن يزاد على آخر الاسم حرفا الواو والنون للدلالة على التعظيم، فيقال مثلاً لزيد: زيدون (أي زيد الكبير). ومن هنا جاءت أسماء حفصون وخلدون وحمدون وغيرها. ويبدو أن أحد أجداد ابن خلدون اشترك في ثورة في اشبيلية، حيث كانت تقيم الأسرة. وحارب الخلدونيون مع المرابطين في معركة الزلاقة (٤٧٩هـ - ١٠٨٦م) التي هزم فيها الفونس السادس. وارتبطوا بالحفصيين وانتقلوا معهم إلى تونس. وقد تنقل ابن خلدون كثيراً فكان من أكابر المقربين من عدد من الحكام في تونس والجزائر والمغرب والأندلس، في حقبة مضطربة. وتولى الحجابة والوزارة أكثر من مرة، في الجزائر والمغرب. وختم حياته في القاهرة التي أقام فيها ربع قرن، فأصلح القضاء وتفرغ للدراسة والتأليف.

ولعل هذه الوحدة العربية المتجسدة في شخص ابن خلدون، صفة تنطبق كذلك على تونس نفسها التي كانت حاضرتها القيروان عاصمة عربية من كبريات الحواضر.

معلومات جغرافية واحصائية

ان موقع تونس الجغرافي والاستراتيجي جعلها مطمع الغزاة وقبلة الفاتحين إذ يمكن العبور منها براً من المشرق إلى الأطلسي. وشواطئها الممتدة على طول ١٣٠٠ كلم لا يفصلها عن القارة الأوروبية إلا ممر عرضه حوالي ١٤٠ كلم.

إنها اصغر بلاد شمال أفريقيا المغربية مساحة وأقلها جبالاً وأكثرها تنوعاً من حيث سطح ارضها واختلاف جوها ومناخها. والفرق بين شمالها وجنوبها هو الفرق بين جو أوروبا وجو الصحراء وهي بالتالي متنوعة في طبيعة الأرض من السهول التي في مستوى البحر إلى قمم الجبال العالية.

عدد سكان تونس ٦ ملايين نسمة (١٩٧٦) وتشير التقديرات الموثوق بها أن هذا الرقم سيرتفع إلى ١٩ مليوناً في العام ٢٠٠٠ (احصاءات البنك الدولي - ١٩٧٨).

أهم الآثار التاريخية :

● يجمع علماء الآثار اليوم على أن أهم الآثار التاريخية في تونس هي التي تعود إلى العهود التالية :

● العهدان الفينيقي والروماني.

● العهدان العربي والعثماني.



سبيطلة : شهدت أول انتصار عربي في تونس .

وتتعايش آثار هذين العهدين في قرطاجة واوتيك وأودنة وسوسة والجم ودقة وبلاريجيا .

في قرطاجة مثلاً نجد المحرقة (او الطوفيت) التي كان الفينيقيون يضحون فيها بطفلهم الأول للاله بعل ، كما نجد الحمامات الرومانية التي بنيت في القرن الثاني.م . في عهد الأمبراطور أنطونيوس وهذه الحمامات هي من أوسع الحمامات التي كانت توجد في الأمبراطورية الرومانية . وفي دقة نجد الضريح الفينيقي الشهير المشيّد في القرن الثاني ق.م . كما نجد أوسع المواقع الأثرية الرومانية وأسلمها من الخراب في تونس .

كما نجد بعض الآثار الفينيقية الأخرى في كركوان والكاف . ويذكر أن كركوان هي المدينة الفينيقية الوحيدة التي وصلت الينا من غير خراب كبير . أما الآثار الرومانية القديمة فأبرزها :

● الفسيفساء الرائعة الموجودة في الجم وسبيطلة خصوصاً . والمعروف أن تونس تملك أغنى مجموعة من الفسيفساء الرومانية في العالم وهي تمثل لوحات حية تزخر بمشاهد الحياة اليومية للرومانيين القدماء ومشاهد الأساطير الرومانية الشهيرة .

● آثار أبنية «الكابيتول» في أكثر من مدينة وموقع كما في دقة وطبوربو ماجوس وسبيطلة . ولا شك في أن «كابيتول» طبوربو ماجوس هو من أفضل المعالم المماثلة في الدول الأفريقية التي شهدت الغزو الروماني القديم .

● الآثار الواسعة للساحات العامة والمسارح والحمامات .

في الجم يوجد مسرح يعود إلى بداية القرن الثالث م . وهو من اوسع وأفخم المسارح المماثلة في الأمبراطورية الرومانية . وفي دقة توجد ساحة «الغوروم» ثم «ساحة ناعورة الرياح» ومسرح دقة الأثري الشهير . وفي مكثر يوجد ميدان الرياضة البدنية التابع للحمامات الكبرى مع قوس نصر الأمبراطور تراجان .

إضافة إلى ذلك تنتشر سلسلة من المتاحف التونسية التي تحوي آثاراً من العهدين الفينيقي والروماني :

● المتحف القومي بباردو .

● المتاحف المتخصصة عن آثار قرطاجة .

● ومتاحف سوسة والجم وصفاقس واوتيك والنفيضة ومكثر .

الآثار العربية الاسلامية :

إن الآثار العربية – الاسلامية في تونس هي شاهد على الأهمية التاريخية الحاسمة للفتح الاسلامي بالنسبة إلى حياة

الشعب التونسي وحضارته.

فقلعة (أورباط) «المنستير» التي شيدها في أواخر القرن الثامن م. حرثمة بن أعين تمثل مع قلعة سوسة أقدم وأهم المنشآت العسكرية العربية في عموم أفريقيا الشمالية. وكانت قلعة المنستير تستعمل كقاعدة لفرق من المرابطين المجاهدين النساك الذين قاموا بدور حاسم في الدفاع عن السواحل وحراستها وفي خوض المعارك البحرية. كما توجد في المنستير صومعة «الجامع الكبير» التي يرجع عهد بنائها إلى القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري).

وفي تونس العاصمة هناك بيت الصلاة بجامع «الزيتونة» أو «الجامع الأعظم» الذي بنى الجزء الأكبر منه الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد بين ٢٤٢ – ٢٤٩هـ أو ٨٥٦ – ٨٦٣م. وفي سوسة هناك الجامع الكبير وهو شيد في الفترة نفسها تقريباً مع جامع الزيتونة، اي في حدود العام ٨٥٠م (٢٣٥ – ٢٣٦هـ).

وفي القيروان يعتبر الجامع الأكبر آية معمارية لا مثيل لها في المغرب العربي بأكمله باستثناء الأندلس وفي القرن ١١ م. (الخامس الهجري) بنيت مئذنة رائعة للجامع وهي تظهر في وضوح روعة الفن المعماري الذي يعبر عن حضارة في أوج ازدهارها وتوسعها.

ولا بد من ذكر منبر جامع القيروان بنقوشه البديعة. وهو يعطي فكرة عن الاتقان الفريد الذي بلغه النحاتون المسلمون على الخشب في ذلك العصر.

أما متحف القيروان فيقع قبالة جامع عقبة بن نافع ويحتوي على مجموعة غنية من مخطوطات القرآن الكريم المكتوبة على الرقوق وكتب اسلامية يرجع تاريخها إلى القرن ٩ م (٣هـ). وزجاجيات وخزفيات متنوعة.

ومن الجوامع المالكية الأخرى التي بنيت في العهد العربي نشير إلى جامع المهدية الذي يرجع عهده إلى القرن ١٠ م (٤هـ) أيام الفاطميين. وهو أعيد بناؤه حديثاً استناداً إلى الفن المعماري القديم وبعض الأدوات والمواد الأولية التي تعود إلى القرن نفسه.

وهناك جامع ابن زمعة البلوي (أو جامع الحلاق) الذي بني في القرن ١٧ م. (١١هـ) على الطراز الأندلسي.

الآثار العثمانية التركية.

ان اللمسات العثمانية على الآثار العربية – الاسلامية ما زالت ظاهرة في وضوح حتى يومنا هذا مما يفنّد رأي من يحاول أن ينفي عن الحضارة العثمانية التركية تحقيق انجازات مهمة في مجال الفن والعلوم.

وأهم الآثار العثمانية – التركية في تونس ضريح حموده باشا المرادي الذي شيد في اواسط القرن ١٧م. (١٦٥٥م – ١٠٦٥هـ). وهو يعتبر من أكثر المباني تمثيلاً للتأثير التركي.

أما مئذنة جامع حموده باشا المشهورة بمنارتها المثمنة التي هي للجوامع الحنفية. وتتميز بالتالي عن المنارات أو الصوامع المالكية المربعة شكلاً.

وأهم الجوامع الحنفية التركية الأخرى «جامع اليوسفي» او «جامع القصبة» و«جامع صاحب الطابع» الذي يرجع عهده إلى القرن ١٩م (١٣هـ).

كما أن هناك ميضاة السلطان الحفصي أبو عمر عثمان التي بنيت في أواسط القرن ١٥م (٩هـ).

ولا بد من ذكر المدرسة المرادية في قابس التي بنيت في مطلع القرن ١٧م (١١هـ) وهي تعتبر أثراً فنياً مغموراً عن فن ذلك العصر.

المصادر والمراجع :

– الناضوري، رشيد: «محاضرات في تاريخ المدن الفينيقية». جامعة بيروت العربية. بيروت – ١٩٧٦.

– عثمان، سهيل ودرويش، محمد: «من مقدمة ابن خلدون». مجموعة «المختار من التراث العربي». نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي. دمشق – ١٩٧٨.

الامام أبو الحسن البلاذري: «فتوح البلدان». تحقيق رضوان محمد رضوان. دار الكتب العلمية. بيروت – ١٩٧٨.

العبادي، أحمد مختار: «في تاريخ المغرب والأندلس». دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٨.

غربال، شفيق: «تونس الخضراء». دار المعارف. القاهرة – ١٩٤٣.

– عبد الهادي، راضي وجابر. عبد المحسن والنمري. طاهر: «الوطن العربي في أفريقيا». دار العلم عمان – (بلا تاريخ).

– فراديي. جورج: «الفسيفساء في تونس». دار سيراس للنشر. تونس – ١٩٧٦.

نساء شهيرات

ميمونة

• هي برّة بنت الحارث بن حزن الهلالية من أكرم سيدات مكة وإحدى أخوات أربع قال عنهن الرسول «الأخوات المؤمنات».

• كان لها أخت اسمها أم الفضل رأت أبا لهب يضرب خادماً من خدم العباس لأنه أسلم وأوقعه أبو لهب على الأرض وبرك عليه وضغط على عنقه بيديه يريد خنقه، فضربته أم الفضل بعمود من الحديد شج رأسه وهي تصيح فيه: «استضعفته يا جبان حينما غاب عنه سيده!» وقد مات أبو لهب عدو الله والرسول بعد هذه الضربة بسبعة أيام.

• أسلمت برة وأعجبت بالرسول ووهبت نفسها له كما هو وارد في (سيرة ابن هشام) وبعض الروايات تقول إن العباس زوج شقيقتها أم الفضل علم بإعجابها العميق بالرسول فحمل الرسالة إليه وكان صداقها أربعمائة درهم.

• زفت إلى الرسول في ناحية (سرف) قرب التنعيم وقد أبدل اسمها إلى (ميمونة) تيمناً بالمناسبة السعيدة التي دخل فيها أم القرى لأول مرة بعد سبع سنين.

• ماتت بعد منتصف القرن الأول للهجرة، أوصت قبل وفاتها بأن تدفن في ناحية (سرف) وفي نفس المكان الذي زفّت فيه إلى الرسول، فنفذت وصيتها وكانت الوحيدة بين زوجات الرسول التي لم تدفن في البقيع وقالت عنها عائشة: «لقد كانت والله من أتقانا لله وأوصلنا للرحم».

تراث العرب العلمي

ابن سينا

د. غازي ابو شقرا (*)



(*) د. غازي أبو شقرا، استاذ في كلية التربية، الجامعة اللبنانية. دكتور في علم البيئة والعلوم الطبيعية. باحث في التراث العلمي العربي.

● قبل الإحاطة الشاملة والموضوعيّة الرامية إلى دراسة التاريخ التطوريّ للعلوم البيولوجية والطبيّة ، لا بُدّ لنا من الافصاح عن الدوافع التي حدتنا الى اختيار موضوع هذا البحث المتعلق باسهام العلماء العرب المتقدمين في دراسة الدم – هذا السائل الحيويّ المؤمن لدفق الحياة فينا – واكتشاف الدورة الدمويّة الرئوية أو الدورة الدموية الصغرى ، كما إصطلح على تسميتها في المصنفات العلمية والكتب المدرسيّة المبسّطة ، وتصدر وتقدم هذا الاكتشاف بقرون عدة ، العالم البيولوجي هارفي « والمدرسة الايطالية » كما يذهب بعض الباحثين غير المدققين والذين ارجعوا فضل هذا الاكتشاف للمدرسة المذكورة بعد أن غمط حق ابن النفيس الطبيب العربي الذائع الصيت ، وبعد أن القيت السجف المعتمة على التراث الضخم الذي تركه نابغة عصره ابن سينا والازاهير المفعمة بالطيب ، طيب النشر ، الذي أسهم بتبرعمها وتفتقها ابن طفيل والرازي وغيرهما من العلماء الأعلام.

هذه الدراسة هي اذن لاماطة اللثام ، وتمزيق هذه السجف المصطنعة توخياً لابراز الحقائق العلميّة دون تعصب ودون شوفينيّة.

ولا نُخفي باديْ بدء ، تردّدنا وربما احجامنا عن الخوض في هذا الخضم المتلاطم الأمواج لوعورة المسالك التي تقودنا لاكتشاف هذه الكنوز وهذه الذخائر النفيسة ومحاولة طمس معالمها باصطناع الترسبات والأتربة الفكرية فوقها عن قصد أو غير قصد لمحو هذه المعالم ، بهدف فصم الحلقات التواصلية لتطور الفكر البشري وتفكيكها . واذابة الاضافات البنيوية أو لُبنات صرح الفكر الواحد الموحد بقطع النظر عن الحدود والسدود الطبيعية والمصطنعة في آنٍ واحد.

إن هذا التردد الاحجامي جزئياً لم يوهن من مضاء عزيمتنا للتبحر في البحث والاستقصاء بالرغم من تثبيط هذه العزيمة خاصة بعد توجّهنا الى نفر طيب وخير من الأطباء القدامى توسلاً لارشادنا وتزويدنا ببعض المراجع الضرورية لأعمدة وهيكلية كلّ بحث موضوعي.

وكانت اجابات بعضهم تنحصر متمحورة بالنزوع الى التصريح بأنه يوجد النذر القليل ، وهذا القليل هو دون فائدة تذكر إذا ما قيس بالمعلومات الآنية العصرية.

هذا الشيء لم يدفعنا الى التنقيب عن مواضيع أخرى تنعت أحياناً بعبارات فضفاضة ، براقة ، مبرقعة تقول : « هذا الموضوع أعم وأشمل » وذلك « اعمق » كأن العمق يكتشف قبل الغوص ، وكأن النظرية تدرك قبل شق النفس وتقديم الاطروحات المثبتة الدامغة ، وبصورة استنسابية تقديرية غير تمحيصية.

كل هذه العقبات شحذت من عزيمتنا فأذكت عندنا الفعل الاراديّ للبحث توخياً لتسليط الانوار الكاشفة على تراث أسهم المتخرصون على عفاء بعض معالمه ، وذلك بغية ابراز هذه الصفحات المجيدة المطوية والقائمة الداكنة بفعل التراكم الزمني ومحاولات التعتيم ، والمنسية أحياناً في تاريخ العلوم البيولوجية والطبية.

التقدم نسبي :

إن المفهوم المعاصر السائد للعلوم البيولوجية والطبية لم يكن معروفاً لدى المتقدمين من أسلافنا ويعود ذلك لسبب جوهري : تخلف هذه العلوم نسبياً خاصة في حقول علم التشريح وعلم الحياة (البيولوجيا) ووظائف الأعضاء (الفزيولوجيا) لقصور الوسائل في تلك الأزمنة عن الادراك الواعي والمنظم للحقائق العلمية والترابط بين بعض هذه الحقائق وبعضها الآخر.

وكان لاكتشاف المجهر (الميكروسكوب) من قبل الفيزيائي (ليفينهوك) التأثير الكبير والعميم الفائدة في تقدم الأبحاث في العلوم الطبيعية والطبية ، إذ ارتكزت هذه الأبحاث على المشاهدة والاختبار الحسيين بفضل منجزات العالم البيولوجي الفرنسي كلود برنار.

لذلك نستطيع القول بأنه لم يكن للعرب في القرن العاشر الميلادي الى القرن الثالث عشر ، ولم يكن لغيرهم من الشعوب في الوقت ذاته ، علماء بيولوجيون وباحثون علميون حسب المفهوم العصري للأبحاث العلمية نظراً لعدم توفر وسائل البحث العلمي التي تعتبر ، كجميع الوسائل امتداداً للعقل البشري كاليدين تماماً. بل كانت الحال السائدة في تلك الأزمنة هي الجمع أو التكامل بالمفهوم العصري لهذه اللفظة بين مختلف العلوم والفنون بحيث يبرز دور العالم العلامة : (Erudition). فالطبيب هو في الوقت نفسه ، فيلسوف ، وعالم ديني ، وقاضٍ متشرع ، وعالم فلك ، ورياضيّ وفيزيائي وموسيقي احياناً. وما اسماء الاعلام امثال الفارابي ، وابن سينا إلاّ الدليل القاطع على ما ترمي اليه.

فكتاب « القانون » في الطب لابن سينا كان المنهل في العلوم الطبية في ذلك الزمان وتمّ تداوله في معاهد الطب في فرنسا وايطاليا قرابة ستة قرون متتالية. لكننا إذا



«رسالة دعوة الأطباء»، للمختار بن الحسن بن بطلان : واحد من مؤلفات طبية لا تحصى وضعها العرب(١٢٧٣م).

ما تناولنا هذا المصنف الضخم بالتحليل لوجدنا انه لم يكن من ديدنه الطب فقط ، بل كان يرمي للاحاطة بموضوعين جد متباعدين أو مختلفين بالمفهوم العصري للفصل والتجزئة بين أبواب المعرفة الواحدة . فأحدهما يبحث في الطب (القانون) وثانيهما في الفلسفة الماورائية أو الماتفيزيقية (الشفاء).

أضواء وسط ظلمات :

ومن غريب الأمور وسخرية القدر تجاهل العلماء الغربيين لذلك المنهل العذب الذي عبّ منه اسلافهم، المعين المحيي ، لعدة قرون خلت .

كما انهم لم يدركوا امكانية وتوافقية اللغة العربية الأصلية الموغلة في علو الشأو ورفعة المنزلة ، ولرقة التعبير وأمانته في آن واحد ، وطواعيتها في نقل العلوم المختلفة ، والطب أحد فروعها ، وحسن أدائها بل والتناغم الدائم بين الصور الذهنية وتألقها وتوهجها في الحروف والكلمات التي تسطر والمقالات التي تدبج وتنشر.

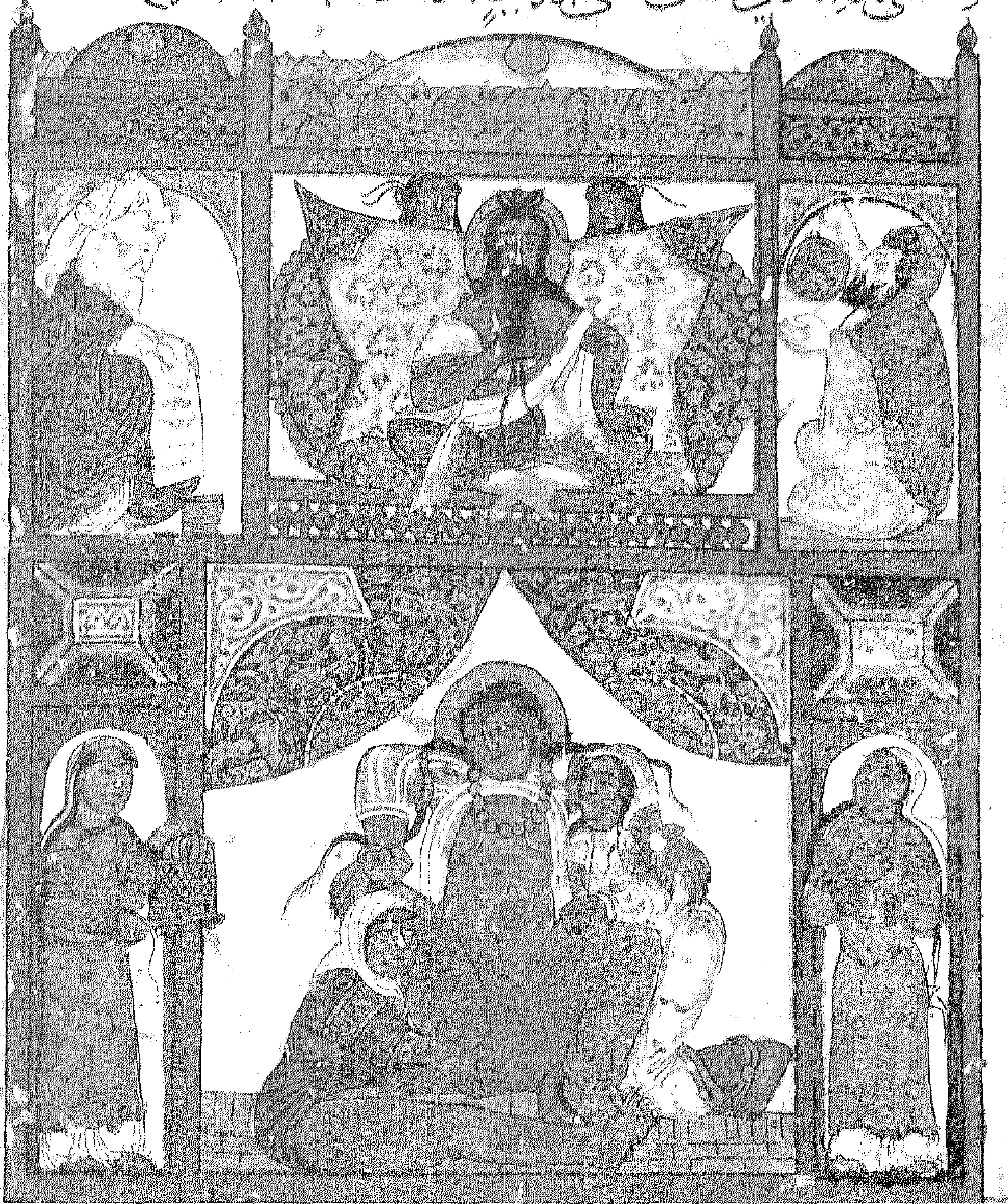
إن هؤلاء العلماء ربما تناسوا انه في الوقت الذي تألقت فيه وشعت اسماء امثال : الكندي ، والرازي ، وابن سينا وابو القسيس ، وابن طفيل وابن النفيس الذين اتحفوا الطب باكتشافاتهم ومنها اكتشافات الدورة الدموية الرئوية ، كانت القارة الأوروبية قابعة في غياهب الظلمات ، ولم تسع الى أن تشق لها دروباً في تلك الليالي الحالكة .

إنهم ، ولا شك ، لم يستطيعوا الاكتناه بأنه في الوقت الذي كانت تدبج فيه مئات الآلاف من المخطوطات العلمية وتنشر، في بغداد ودمشق ، في القاهرة وقرطبة بلغةٍ فتية متحرّرة من ربقة أي استبداد أو تعسف آسر ، في تلك الحقبة ، لم تكن اللغة الفرنسية الحية بالمفهوم العصري قد تحررت من اللاتينية ولم تكن تشع مع غيرها من اللغات الاوروبية كالانكليزية ، والالمانية والاسبانية ... كما تُشع اليوم.

● يمكننا الآن بعد هذا التمهيد أن نبرز الخطوط العريضة أو محاور البحث ، والتي تُشكل بمجموعها موضوع هذه الدراسة .

وسنستعرض تباعاً الأبواب التالي بيانها :

أولاً : عرض تاريخي مقتضب للعلوم الطبية عند العرب ودور الترجمات للمصنفات العلمية اليونانية في تقدم هذه العلوم ، وكان للنسطوريين علو المنزلة في هذا المقام.



ساعة الولادة: رسم يحيى بن محمود الواسطي (سنة ١٢٣٧م).

ثانياً: ابن سينا ودراسة الدم. والنبض. والأوعية الدموية وسريان الدم فيها.

ثالثاً: ابن طفيل ودراسة الدم التي تبرزها رسالة «حي بن يقظان».

رابعاً: علاء الدين ابن النفيس واكتشاف الدورة الدموية الرئوية مع تحليل لدراسته النقدية لكتاب القانون في الطب لأبن سينا.

العرض التاريخي لتطور الدراسات في العلوم الطبية:

يعتبر اكتشاف الدورة الدموية من المنجزات الفائقة الأهمية في تاريخ العلوم الطبية والبيولوجية.

وقد حفلت الكتب الباحثة في تاريخ العلوم باسماء لامعة نذكر منها اسم البريطاني «هارفي» (Harvey)

والفرنسي ميشال سيرفيه (M. Servet) وريالدو كولومبو وسيزالبان من المدرسة الايطالية في القرن السادس عشر الميلادي.

إنّ الشهرة الذائعة الصيت للعالم البريطاني هارفي ترجع اليه الفضل في هذا المضمار، ليس في المصنفات الطبية والبيولوجية فحسب بل في الكتب المدرسية التي تبحث في علم وظائف الجسم البشري للصفوف المتوسطة والثانوية.

لكنّ توهج اسم هارفي ما لبث أن خفت، دون ان يؤثر ذلك في علو منزلته في دراسة الدم وكل ما يصاحبها من التجارب الفذة التي قادها والنتائج العميمة الفائدة التي توصل اليها.

وكان لاكتشاف بعض المخطوطات العلمية المدبجة باللغة العربية تأثير في قلب المفاهيم السائدة رأساً على عقب.

وتؤكد هذه المخطوطات داحضة جميع الاطروحات التي سبقتها، على الدور الفذ والرائد الذي قام به الطبيب العربي ابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية الرئوية أو الدورة الدموية الصغرى، قبل المدرسة الايطالية بثلاثة قرون، أي في القرن الثالث عشر الميلادي. وكان الفضل في الكشف عن هذه الوثائق الدامغة للطبيب المصري محي الدين التطاوي الذي عثر في مدينة برلين عام ١٩٢٤ على مخطوطة ذات أهمية كبيرة فسحت له المجال لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الطبية بعد ان شكلت موضوع رسالته الجامعية.

وفي الوقت ذاته عثر الالماني «ماكس ما يرهوف» على وثائق أخرى تتعلق بالموضوع نفسه في تعليل دوران الدم بحيث يمكننا التأكد من ان الطبيب العربي علاء الدين ابن النفيس قد توصل بأبحاثه الى اكتشاف الدورة الدموية الرئوية، وكما سنثبت ذلك بالأدلة والقرائن الدامغة فيما بعد. وقد عاش هذا العالم الكبير في القاهرة ودمشق في القرن الثالث عشر الميلادي أي منذ ما يقارب السبعمائة سنة.

وقد أبرز المؤرخ الكبير «لكلوك» دور العلماء العرب في الطب في ابحاثه الأولية خاصة قبل أن يكون علماً منظماً له قواعده واصوله، وكان للصدفة حيناً ولدقة المشاهدة أحياناً دور في توصل هؤلاء العلماء لاكتشافات كبيرة الأهمية وعميمة الفائدة في العلوم الطبية في الأزمنة الوسيطة.

وفي الوقت نفسه تطرق لكلوك الى تبيان الأثر الكبير لمدرسة «جنديسابور» الطبية في بلاد الفرس وتناول بالبحث الطبيب المشهور الحارث بن خلدة.

وكان لانهيار الامبراطورية الرومانية الغربية الاسهام المباشر في توقف التطور في ميادين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية على حد سواء في العالم الغربي.

بينما برز دور مدرسة الاسكندرية بفضل ترجمة أو نقل الروائع اليونانية التي كان لها التأثير البالغ الأهمية في تطور العلوم البيولوجية والطبية التي اصبحت تستند معتمدة مبادئ التحليل العلمي، والنقد والاختبار.

ومن جانب آخر برز دور مدرسة النسطوريين في القرن الخامس الميلادي وهي المدينة التي أسهمت بشكل بارق وهاج وعميق في تطوير العلوم على يد نصاري الشرق الذين نقلوا من اليونانية الى السريانية الدرر الفريدة لعلماء الاغريق القدامى. وكان لمسيحيي الشرق الفضل الكبير في الاشعاع العلمي في سوريا والعراق ولبنان.

وأدى التطاحن الديني بين البيزنطيين والنسطوريين الى هجرة هؤلاء نحو بلاد الفرس حيث أسسوا عُمد مدرسة جنديسابور الطبية السالفة الذكر، فشعت منها العلوم الطبية وكانت القبس والمنارة في آن في الوقت الذي كانت اوروبا قابعة في غياهب الجهل والجهالة نظراً لعدم قدرتها في ذلك الزمان على أن تشق لها طريقاً تحت الشمس في ميادين التجارب والعلوم لأنها كانت مفتتة وكانت شعوبها عاجزة عن اللحاق بموكب العلم بسبب البدائية من جهة والتطاحنات والحروب القبلية من جهة أخرى.

ولم تعتمد مدرسة جنديسابور الطبية اللغة السريانية أو الفارسية كما يتبادر الى الذهن للوهلة الأولى، بل على النقيض كانت اللغة العربية هي اللغة المعتمدة في التدريس الجامعي والعالي.

يمكننا أن نستخلص بانه لم يكن للعرب قبل الاسلام مدنيّة مشرقة وحضارة مشعة.

وتسنى لبعض طلاب العلم من اليمن والحجاز السفر الى مدرسة جنديسابور كي ينهلوا من معينها العلوم الطبية حيث حصل التماس والتمازج الثقافيان بين العرب والفرس، هذا التمازج الذي أينع وأعطى ثماره الأولى في بغداد فيما بعد.

العلم مؤسسة رابحة:

وبرز بعد الاسلام الدور الكبير للخلفاء المسلمين الذين احسنوا وفادة الفلاسفة وعلماء الطب الى دورهم

وقصورهم أو اسندوا اليهم مهمة تنشئة المؤمنين في حداثتهم. كما أناطوا بهم مهمة تثقيف صغارهم. وترك لهؤلاء الاساتذة حرية معتقداتهم الدينية والمذهبية التي لم تمس. وبذلك برزت روح الاسلام السمحاء التي اندغمت متأصلة بروح المسيحية السمحاء المنفتحة، فتحققت التعددية في الوحدة أو الثنائية في الوحدانية، للمرة الأولى في التاريخ. نتيجة لهذا الحوار ومحصلة لذلك التناغم.

وكانت بغداد قبلة انظار العلماء ومحجهم فوفدوا اليها من كل حدب وصوب وقطنوا في بلاطها الملكي.

ونذكر في هذا المجال الخليفة الذائع الصيت هارون الرشيد الذي أوكل اليهم شؤون تربية واعداد ابنه المأمون الذي أصبح فيما بعد، بعد ارتقائه سدة الخلافة، الدعامة الركائزية للعلوم والفلسفة والفنون.

وكان هاجس هذا الخليفة المستنير أن يعب من معين العلم في اصوله وان يستقصي المعرفة من جذورها. فلم يكتف بالترجمات المنقولة الى السريانية والفارسية. لذلك أوفد المبعوثين الى اليونان والى الهند، لتزويده بالكتب والمصنفات الضخمة أو إستخراج نماذج عنها.

كما شجع هذا الخليفة الرائد مكاتب الترجمات والتأليف وأملى على الامبراطور اليوناني ميشال الثالث بعد انتصاره عليه، في شروط الهدنة بعد الحرب، رغبته في الحصول على عدد كبير من المؤلفات العلمية ذات المقام الرفيع.

وبعد ذلك تيسر للعرب في القرن الحادي عشر تكوين فلاسفتهم، وفلكييهم، ومهندسيهم، ومعماريهم، واطبائهم...

فأزهر الطب مبشراً بيانع الثمر في بغداد بعد نقل مؤلفات أبي الطب، أو واضع المدماك الأول في صرح العلوم الطبية، أبقراط الى اللغة العربية الى جانب مؤلفات ديسكوريد وغاليان وأورباز وبول داجين والكسندر دي ترال.

وبرز من الأطباء العرب الكندي، والرازي، والفارابي، وابن سينا... وتجدر الاشارة الى دور أحمد بن طولون في مصر الذي شيد داراً للاستشفاء أو مارستاناً كما كانت تعرف بالفارسية لا يزال يحمل اسمه الى يومنا هذا؛ الى جانب الاشعاع العلمي في عهد المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ودور دار الحكمة والجامعة الأزهرية. وكانت مدينة القاهرة المعزية «أو مدينة المعز لدين الله» قبلة الأنظار في ذلك الزمان.

وبرز في الأندلس وفي مدينة قرطبة بالذات، الاسبانية اليوم، العلماء الاعلام في عهدي عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني.

وتجدر الاشارة في هذا المجال، الى الدور الضخم في اشعاع العلوم من اسبانيا في ذلك الزمان. ويعترف بذلك جميع مؤرخي وعلماء أوروبا في يومنا هذا. اذ كانت القارة الأوروبية بمجموعها غافلة وقابعة في عصر الظلمات وغير قادرة على «مواكبة الشمس» إلاّ فيما بعد. وبعد ثورتها الصناعية بالذات. هذه الثورة التي دفعت بها في مواكب التقدم والتي تكتوي اليوم بنارها التي أوقدها الانسان لتقدمه فأصبح يحترق تدريجياً بلهيبها المتأجج. وبعد تحول المجتمعات البشرية الى مجتمعات استهلاك. وبعد أن استشرى سرطان التلوث الطبيعي والنفسي في مجتمعات اليوم مما حدا العالم البيئي الاميركي باري كومنر. لأن يصرخ بأعلى صوته: «بأن قبائل البوشمان في افريقيا الوسطى. وهم يسعون مئات الأميال للتزود ببعض جرعات من الماء لأغراضهم المعيشية في الصحاري الجافة هم أرقى –على بدائيتهم– من المجتمعات الاميركية والأوروبية على تقدمها المدني، وهي مجتمعات اصبحت فريسة للتلوث الذي أصبح سمة العصر المميزة».

كانت القارة الأوروبية تغط بسبات عميق ورجعية فكرية أو امية حضارية اذا صح التعبير الى أن قدم من الاندلس الى مدينة ساليرنو في ايطاليا والى مدينة مونبلييه في فرنسا، نفر من الأطباء الاعلام، مزودين بالذخائر العلمية النفيسة وبالروائع في العلوم الطبية فتأسست معاهد الطب وابتدأت تشع بدورها بعد أن تعدت الطاقة المسيرة والدافعة لمعاهد الطب في الشرق وفي الاندلس وبعد تفسخ وانحطاط الأمم الشرقية والتهافت على شهوة الحكم أو شهوة التحكم، فنامت شعوبها وطال نومها وابتدأت الآن تستفيق بعد هذه الغفوة، ممزقة السجف المعتمة ومعيدة انتصارها على ذاتها، بعد أن كانت فريسة لشهوات ذاتها طيلة هذا «السبات الشتوي» على صعيد الفكر.

الحضارة... بالدور:

وكانت ظواهر انحلال المجتمع المتخم والماجن في آن بدء انحسار منحنى التطور التصعدي، نحو «الانسفال» أو الانحدار والتكثف بعد التسامي.

ونستعيد هنا وفي هذا المقام بالذات ذكر الفيلسوف مونتسكيو الذي سطر وللمرة الأولى ربما هذا المنحنى البياني

لتطور الفكر وبالتالي تطور الشعوب صعوداً فركوداً فهبوطاً أو انسفالية أو السعي الدائب الحثيث الى تحت.

ومن الاسباب المشجعة والفاعلة في آن معاً لهذا الانحدار والتقهقر عند أسلافنا العرب، الحروب الصليبية وما تجره وتخلفه الحروب من وبال ونكال الى جانب تأثيراتها النفسية في سلوك الشعوب وتصرفاتها، والغزو المغوليّ على يد هولاكو وجنكيزخان الذي خرب البلاد العربية وطمس معالم حضارتها وغطى بعض هذه المعالم بأتربة متراكمة من الجهل والتخلف الحضاري.

وكان لسقوط الأندلس والحضارة الاندلسية الانسانية وما رافقها من علوم وفنون أدبية وموسيقية خالدة الأثر الكبير في عفاء هذه المعالم الانسانية الحضارية فكانت «ثالثة الأثافي» فانفرطت حبات العقد.

وكان الدور البارز لبعض العلماء الغربيين في المحافظة على التراث الضخم الذي تركه أسلافنا رغم غوائل الدهر وعذابهم ومعاناتهم سعياً وراء المعرفة الواحدة التي تتناقل الشعوب حمل انصبائها وبنودها، كلٌ بدوره وبذلك تتحقق الاضافات البنيوية في صرح الفكر الواحد الموحد والمعرفة الانسانية الشاملة والتي هي ليست وقفاً على شعب من الشعوب.

ونذكر من هؤلاء العلماء الغربيين في القرن الثاني عشر الميلادي جربير وقسطنطين الافريقي وأسقف طليطلة الذين نقلوا من العربية الى اللاتينية بعض المصنفات العربية في العلوم الطبية والبيولوجية.

ومنهم أيضاً مثل روبير دي تاتين وجيرار دي كريمون الذي نقل وحده ما يزيد عن السبعين كتاباً علمياً وفلسفياً ومنها كتاب 'القانون في الطب لابن سينا وهو أكثرها أهمية وجدارة.

وشجع بعض الحكام في الشرق أمثال شارل دانجو وفريدريك الثالث البحث الاستقصائي والترجمات وبرزت بعض الاسماء مثل اتيان الانطاكي. وفيليب الطرابلسي، اللذين ترجما الروائع العربية الى اللغة اللاتينية فأصبحت لغة العلوم المتداولة في ذلك الزمان. ونحافظ حتى يومنا هذا وفي المصطلحات العلمية على التسمية اللاتينية للمفردات العلمية في علم الحياة (علم النبات وعلم الحيوان خاصة، والعلوم الأخرى) نشداناً للتواصلية في حبال الفكر الواحد للحؤول دون انقطاعها وتيسيراً للتفاهم والتداول بين العلماء ذوي اللغات المتعددة.

لكن العلماء الغربيين فعلوا كالعرب الذين تقدموهم فأوغلوا في البحث والتنقيب في اليونانية المنهل الأول للمنقبين كافة بالاضافة الى نقلهم الى اللغة اللاتينية التراث العلمي الذي ورثوه عن أسلافهم العرب الذين شكلوا الجسر المتين بين الثقافة اليونانية الموغلة في القدم. والثقافة الغربية العصرية.

التعريف بابن سينا ومكتشفاته:

هو الحسن بن عبد الله بن علي بن سينا المكنى بابي عليّ والملقب بالشيخ الرئيس. درس الطب على يد عيسى بن يحيى فنبغ وأصبح مرجع الأطباء وهو في السادسة عشرة من سنيه. وكان للأختبار تأثير طيب في مقدرته الطبية قال: «ثمانية عشر شهراً ما نمت فيها ليلة واحدة بطولها، استعين على عجزي بالابتهال الى الله فيهديني وعلى استلامي الى النعاس بقدحٍ من الشراب يوقظني، ومتى أغمض الكرى أجفانيَ تكشفت لي المشاكل العويصة عن حلول لم تكن اليقظة لتهديني الى مثلها».

تحليل كتاب القانون المتعلق بدراسة الدم(١):

نجد خمسة فصول تبحث في الشرايين ومصدرها وشكلها وعددها. ومن الامور الغريبة بل والمنطقية بلغة علم التشريح ذكر ابن سينا للوريد الشرياني والشريان الوريدي كأنه كان على بينة بدقائق علم التشريح المعاصر. فكانت تسميته المزدوجة تلك تأخذ في عين الاعتبار معاً طبيعة الغلاف للوعاء الدموي وصنف أو طبيعة الدم الذي يسري في تلك الأوعية.

وفيما يتعلق بالشريان الوريدي المعروف اليوم باسم الشريان الرئوي فان ابن سينا يؤكد على انبثاقه أو تولده في جدار القلب ثم ذهابه الى الرئتين حيث يتشعب منقسماً الى وعاءين اثنين. كل الى رئة ليخالط الدم الذي يحوي العناصر البالغة الشفافية (أي أوكسجين الهواء بالمفهوم العصري) في الرئتين حيث يتم تبادل الغازات التي لم تكن معروفة في ذلك الزمان. ويقول بالحرف الواحد: «استنشاق النسيم» في الرئتين.

فطبيعة غلاف هذا الشريان بالمفهوم العصري هي عضلية ملساء مطاطة لكن الدم الذي يسلك فيه هو دم وريدي أي دم مشبع بغاز ثاني أوكسيد الكربون. ففاقت تسمية ابن سينا له دقة وأمانة علمية التسمية العصرية

وتصح تسمية الأوردة الشريانية على الأوردة الرئوية الاربعة التي تنقل الدم المشبع بغاز الاوكسجين من الرئتين

الى الاذين الأيسر من القلب فطبيعة غلافها غير مطاطة. لكن الدم الذي تنقله هو دم شرياني قان وليس قاتما كالدم الذي ينقله الشريان الوريدي أو الشريان الرئوي.

أليس ذلك من العجب العجاب قبل توصل الأبحاث العلمية لغازات التنفس من جهة (الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون) وقبل الالمام الكافي والتبحر في علم تشريح الأنسجة.

ثم يخصص ابن سينا فصلاً لدراسة الشريان الأبهر أو الأورط وهذه الأسماء اطلقها عليه أرسطو من قبله وتقارب تماماً مفهومنا العصري لطبيعة هذا الشريان الحيوي الدافع للدم القاني المشبع بالاوكسجين الى خلايا الجسم جميعها مؤمناً لها هذا الغذاء الغازي الضروري لعملياتها الاستقلابية أو التحويلية.

ويتكلم طبيبنا الفيلسوف ونابغة عصره ابن سينا عن «إنحناء هذا الشريان» أو تقوسه كأننا أمام عالم تشريح معاصر ثم يذكر الشرايين الصغيرة المتفرعة من هذا الشريان الضخم والتي تنقل الدم الى مختلف انحاء الجسم البشري.

دراسة الأوردة الدمويّة[٢]:

يطلق ابن سينا على هذه الأوعية اسم «العروق الساكنة» ويخمن بانها تتولد من الكبد ويبدع في هذا المجال عندما يتكلم عن «الوريد الباب الكبدي» كما يعرف في كل اللغات العالمية اليوم.

ولا يقتصر دور ابن سينا على تسمية هذا الوريد فقط بل يتوغل لمعرفة اصوله وطبيعة الدم الذي يسري فيه. فيذكر أن اصول هذا الوريد الكبدي تكمن متأصلة في الأعضاء البطنية الأخرى كالطحال والمعدة والأمعاء فيقول: «هذا الوريد يجلب الغذاء الى الكبد ويخلق في الأمعاء والطحال...».

وهذه مفاهيم عصرية لدور نقل الأغذية السكرية والبروتينية (الأحماض الأمينية) مع الماء والأملاح بعد عملية الامتصاص في الجدار المعوي من الأمعاء الدقيق الى الكبد الذي أبرز دوره «كمختبر» يحصل فيه التركيز والتحويل العالم البيولوجي الذائع الصيت كلود برنار بعد اجراء سلسلة من التجارب الخارقة ومنها تجربة الكبد المغسول لاثبات دور هذه الغدة الحيوي في انتاج سكر الغلوكوز أو سكر العنب. بعد أن خزن السكر الغلوكوزي محولاً إياه إلى غلوكوجين.

لكنّ وصف ابن سينا للوريد الأجوف السفلي فيه الكثير من الغموض وعدم الدقة لأنه يعتبر أن هذا «الوريد ينبت من الكبد» كما يقول بحيث يبتعد عن المفهوم العصري الذي يؤكد على انبثاق هذا الوريد الأجوف من الوريدين الفخذيين.

لكنّ ذلك لا يدل على جهل ابن سينا لدور وطبيعة هذا الوريد تماماً نظراً للقصور في وسائل التشريح. ولعل وجود الأوعية الوريدية تحت الكبدية والتي تنبثق من الكبد وتصب كما نعلم في الوريد الأجوف السفلي. جعل هذا العالم الفذ يصر على انبثاق الوريد الاجوف السفلي من الكبد نفسه.

تشريح القلب[٣]:

يقول ابن سينا وبوضوح كليّ:

«هو لحم قوي فيه أصناف من الألياف قوية شديدة. وهو منبت الشرايين من الجانب الأيسر».

أليس في هذا العرض المبسط الواضح. «روح العصر» عن العضلة القلبية وأليافها. و«منبت» الشرايين في الجانب الأيسر منها خاصة الشريان الأبهر أو الأورطي؟! لكن طبسنا البارز يخمن وجود اتصال بين الجويفين الأيمن والأيسر كما يحصل في بعض العاهات القلبية. وهذا مبدأ غير صحيح اطلاقاً. متوارث عن السلف الطيب الذكر ونقصد غاليان وارسطو على وجه التحديد وسنبين في سياق البحث الدحض الموضوعي على يد ابن سينا كما سيأتي بيانه فيما بعد.

أمراض القلب:

لا شك في ان المعلومات الواردة في هذا المجال تنقصها الدقة لتعسر سبل البحث العلمي وطرق القياس غير المتوفرة آنذاك. ويبدو بعض هذه المعلومات مستهجناً وغير ذي فائدة إذا ما قيس بالمعلومات العصرية. لكننا سنذكر بعضها دلالة على مدى الالمام الكافي في ذلك الوقت. ويكفي ابن سينا كما يكفي من سبقوه اعتزازاً أنهم تطرقوا لدراسة هذه المواضيع بوسائلهم البدائية وذلك بغية إستشفاف انماط التطور في مفاهيم علم الحياة أو البيولوجيا.

ويذكر ابن سينا عدة اساليب للكشف عن عاهات القلب أو امراض العضلة القلبية منها:

النبض: ويُستخدم اليوم من قبل الاطباء الاخصائيين كوسيلة أولى وكلنا يعلم أهمية «جس عرق الساعد» كما هو متعارف عليه عند عامة الناس.

الشهيق والزفير : هنالك علاقة وثيقة بين وهن عضلة القلب وتعسر التنفس أو عدم انضباطيته.

القوة البدنية والوهن الناتج عن «تراكم السنين» أو التقدم في السن وكلنا يعلم امكانية تعرض المسنين لأمراض القلب بنسبة تفوق كثيراً امكانية تعرض الأحداث لهذه الأمراض اللهم إلاّ في بعض العاهات الوراثية أو التكوينية.

شكل الصدر : وكلنا يرى كيف يتكور الصدر ويبرز عند الرياضيين ودور التربية البدنية في الجمال الجسماني.

ويخص ابن سينا بعض الفصول لدراسة امراض القلب منها :

- فصل في علامات أمراض القلب : الضعف والانحلال أو القوة.
- فصل في الاسباب الموترة للقلب : الانفعالات النفسية.
- فصل في الموت فجأة.

وكلها فصول ذات قيمة في تشخيص العاهات القلبية واساسية في سبل العلاج.

النزيف الدموي[٤] :

سنعرض ما تطرق اليه ابن سينا في هذا المجال تاركين التعليقات للقارئ المستنير.

«النزيف الشرياني : فتح في فوهة أحد الشرايين فيعسر التحامه وفي الشرايين الصغار يحتبس من تلقاء نفسه».

هل يختلف المفهوم العصري لتشخيص السبب المادي للنزيف الشرياني عن هذه الكلمات بشيء رئيسي ؟.

النبـــض[٥] :

لندع ابن سينا نفسه يفصح عن مفهومه :

«كل نبضة مركبة من انبساط وانقباض يمكننا الوقوف عليها بجس عرق الساعد».

ثم يذكر عدة صنوف للنبض فيذكر :

- النبض الموجي.
- النبض النملي.
- النبض الدوريّ.
- النبض التواتري.

ثم يتطرق الى «نبض الفصول» أي فصول السنة ويؤكد أن النبض يكون طبيعياً معتدلاً في فصل الربيع. تواترياً وسريعاً في الصيف. وبطيئاً في الشتاء.

فيقول :

«يكون النبض في الربيع معتدلاً. وفي الصيف سريعاً متواتراً. وفي الشتاء بطيئاً». ويختلف النبض باختلاف الجنسين. فهو أقل تسارعاً عند الذكر وأشد توتراً عند الأنثى (مبدأ عصري).

في النبض الذي توجبه المتناولات[٦] :

يزداد تواتر النبض بعد إدخال الأطعمة في القناة الهضمية (مبدأ عصري).

النبض والتمارين الرياضية :

يشتد النبض ويزداد توتره عند ممارسة التمارين الرياضية، وكلنا يلاحظ ازدياد خفقان القلب بعد العدو أو الركض.

ثم يتناول تأثير النوم والاستحمام في نبضات القلب فيؤكد انه اثناء النوم يتباطأ النبض ويشتد اثناء اليقظة. ويسهم الماء البارد في خفض نبضات القلب بينما يزيد الماء الحار الشديد السخونة من تسارعه.

ويتناول ابن سينا أخيراً علاقة النبض بالأورام والحميات فيقول :

«الورم إما أن يغير النبض بنوعه. وإما أن يغيره بوقته، وإما أن يغيره بمقداره. وإما أن يغيره بالنسبة للعضو الذي هو فيه».

ومن الملاحظ هنا التقارب في الاسلوب العلمي بين ابن سينا وخليفته النابغة كلود برنار الفرنسي ●

الهوامش

(١) القانون في الطب. دار الكتب الوطنية. لبنان. ص ص ٢٩-٣٢.
(٢) المرجع نفسه ص ٤٠٣.
(٣) المرجع نفسه ص ٤١١.
(٤) المرجع نفسه ص ٩٥٠.
(٥) المرجع نفسه ص ص ١٦١. ٣٣٢.
(٦) القانون في الطب، ص ٦٦ (طبعة روما. القرن السابع عشر).

حول الحلقة الدراسية في الجامعة
الأميركية في بيروت ٢٩ - ٣١ ايار (مايو) ١٩٧٩

خالد عايد*

الحياة الثقافية والسياسية في الشرق العربي ما بين ١٨٩٠ و ١٩٣٩

(*) خالد عايد: طالب دراسات عليا في الجامعة الاميركية في بيروت.

● نظمت دائرة التاريخ ومركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط في الجامعة الأميركية في بيروت حلقة دراسية موضوعها «الحياة الثقافية والسياسية في الشرق العربي في الفترة ما بين ١٨٩٠ و١٩٣٩». وقد بدأت هذه الحلقة في التاسع والعشرين من أيار (مايو) الماضي واستمرت حتى الواحد والثلاثين منه، واشترك فيها عدد من الأساتذة الجامعيين في الجامعة وفي الخارج.

فكرة تنظيم حلقة دراسية تتناول المسائل المختلفة المتعلقة بالتاريخ الفكري والسياسي للشرق العربي كانت موضع بحث في دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت منذ مدة. هُنالك أبعاد اقتصادية واجتماعية لم تكشف بعد. كما ان هنالك مفكرين عديدين لم يعطوا الاهتمام الكافي لسبب أو لآخر. أما اختيار الفترة من ١٨٩٠ إلى ١٩٣٩ فيعود إلى أنها تشتمل على حقلين من حقول البحث: أواخر العهد العثماني، والانتداب الأجنبي (الفرنسي والبريطاني).

ثلاث خصائص ميزت إعداد الحلقة الدراسية وتنفيذها، هي - كما قال البروفسور مروان بحيري الذي لعب دوراً بارزاً في الاجراءات التحضيرية للحلقة -:

أولاً: ان المشاركين في تقديم الأبحاث هم أنفسهم الذين كانوا يناقشونها، وطوال ثلاثة أيام، الأمر الذي أعطى «مفعولاً تراكمياً» من اليوم الأول وحتى الآخر.

ثانياً: اعطاء الأولوية في الحضور لطلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ والآثار ودراسات الشرق الأوسط والحقول الأخرى المتعلقة بها، وذلك على اعتبار أن الحلقة الدراسية جزء لا يتجزأ من البرنامج الأكاديمي في تلك الحقول.

ثالثاً: اجراء حوار ليس فقط بين أساتذة التاريخ في الجامعة الأميركية وزملائهم في الجامعات الأخرى، بل وأيضاً بين التاريخ وغيره من العلوم الاجتماعية كالعلوم السياسية والأدب العربي وعلم الاجتماع والانتربولوجيا والدراسات الدينية.

الأبحاث المقدمة:

توزعت الأبحاث الستة عشر التي قدمت في الحلقة الدراسية على خمس دورات. وفيما عدا اثنين من هذه الأبحاث عرضا موضوعات عامة، فإنه كلا منها تناول «الأبعاد غير المكشوفة» في فكر واحد من المفكرين العرب الذين عاصروا الفترة موضع البحث.

الدورة الأولى افتتحها البروفسور كمال الصليبي، رئيس دائرة التاريخ والآثار في الجامعة الأميركية، بالترحيب بالمشاركين في الحلقة. وقد أكد الصليبي في كلمته على الحاجة إلى كتابة أولية للتاريخ السياسي الحديث للشرق العربي، طالما أنه ما زال هنالك مفكرون غير معروفين يستحقون المزيد من الاهتمام، وذلك دون الاستهتار بما كتب حتى الآن في مجال تاريخ الفكر العربي الحديث.

البروفسور روجر أوين (كلية سانت انطوني، اكسفورد) تحدث عن «القومية الاقتصادية والبرجوازية الوطنية» في مصر. تناول أوين نشأة البرجوازية المصرية في إطار علاقة الاقتصاد المصري بالرأسمالية الغربية، كما تناول الأفكار القومية التي طورتها هذه البرجوازية. وقال ان تركيز هذه الطبقة على القومية انما يعود إلى سببين رئيسيين هما: تحسين موقعها ضمن إطار العلاقة مع الرأسمال الغربي ومنع تطوير أية ايديولوجية تلحق الضرر بمصالحها الإقتصادية. وأضاف أنها نجحت في الأمرين حتى بداية ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢. فأبقت الدولة في خدمتها بدلاً من أن تخضع لها. وخلص أوين إلى الاستنتاج ان الأفكار القومية التي نشأت في مصر كانت تعكس نقاط قوة البرجوازية المصرية ونقاط ضعفها وتشوشها في آن معاً. فهذه الطبقة، وان اهتمت بتطوير الصناعة المحلية كصناعة النسيج والكيميائيات وغيرها، إلا أنها لم تعتبر أنه من الواجب أن يكون الرأسمال مصرياً وكانت مستعدة للاتكال على الأجنبي.

أما البروفسور دومينيك شوفالييه (جامعة باريس، السوربون) فقد تحدث عن «الشرق الأدنى قبل ١٩١٤: تاريخ وأفكار سياسية». عن الشرق العربي قبل التوسع الأوروبي قال شوفالييه انه كان مجتمعاً يتصف بالانغلاق والتراتب. وأضاف انه انطلاقاً من الخصائص الأصلية والتغييرات الحاصلة يصبح من الأهمية بمكان معرفة مدى تأثير اقتباس النماذج الفكرية الغربية من جهة وتأثير الدفاع عن النماذج الفكرية المحلية والمحافظة عليها من جهة ثانية، على المفكرين في الشرق الأدنى في الفترة موضع الدراسة. (مثلاً، مفهوم بولس نجيم عن الحدود الطبيعية للبنان، وهو مفهوم مقتبس عن مفاهيم فرنسية، لا معنى لها ضمن إطار الامبراطورية العثمانية). وتوصل شوفالييه إلى الاستنتاج بأن الغرب لم يحصل من مفكري الشرق العربي إلا على صورته هو، وانه إذا كان هذا الشرق يريد التحديث فعليه الرجوع إلى ذاته وتحقيق ذاته مع المطالبة بالانضمام إلى العالم الحديث.

البروفسور يوسف ايبش (دائرة العلوم السياسية والادارة العامة، الجامعة الأميركية في بيروت) تحدث عن «نظرة شكيب ارسلان إلى التقدم» قائلاً إنه بالامكان تجزئة نظرته هذه إلى ثلاث دوائر متداخلة. فقد كان إرسلان قائداً شوفياً درزياً من جهة، وعربياً قومياً من جهة ثانية وعثمانياً مسلماً من جهة ثالثة. وفي حين لم يكن ثمة من تناقض بين هذه الدوائر، فان الواحدة منها تصبح مهمة وفقاً للحافز الذي توفره الأحداث المحددة. وحول المشكلة الأساسية عند إرسلان، قال ايبش إنها لم تكن تدور حول وجود الله أو عدمه أو حول ازلية الكون، وانما حول أسباب تأخر الاسلام في حين يتقدم آخرون. ان السبب الرئيسي في هذا التأخر، كما يرى إرسلان، يقوم في أن الناس ابتعدوا عن الأصول الدينية، عن القرآن. وهكذا جاءت دعوته إلى العودة إلى تلك الأصول واغلاق الباب في وجوه الدجالين. ان أهمية ارسلان حسب ما ذهب إليه ايبش، هي انه أعطى جواباً من الداخل عن المشاكل التي واجهتها الأمة بعد تعرضها للتوسع الغربي.

الدورة الثانية

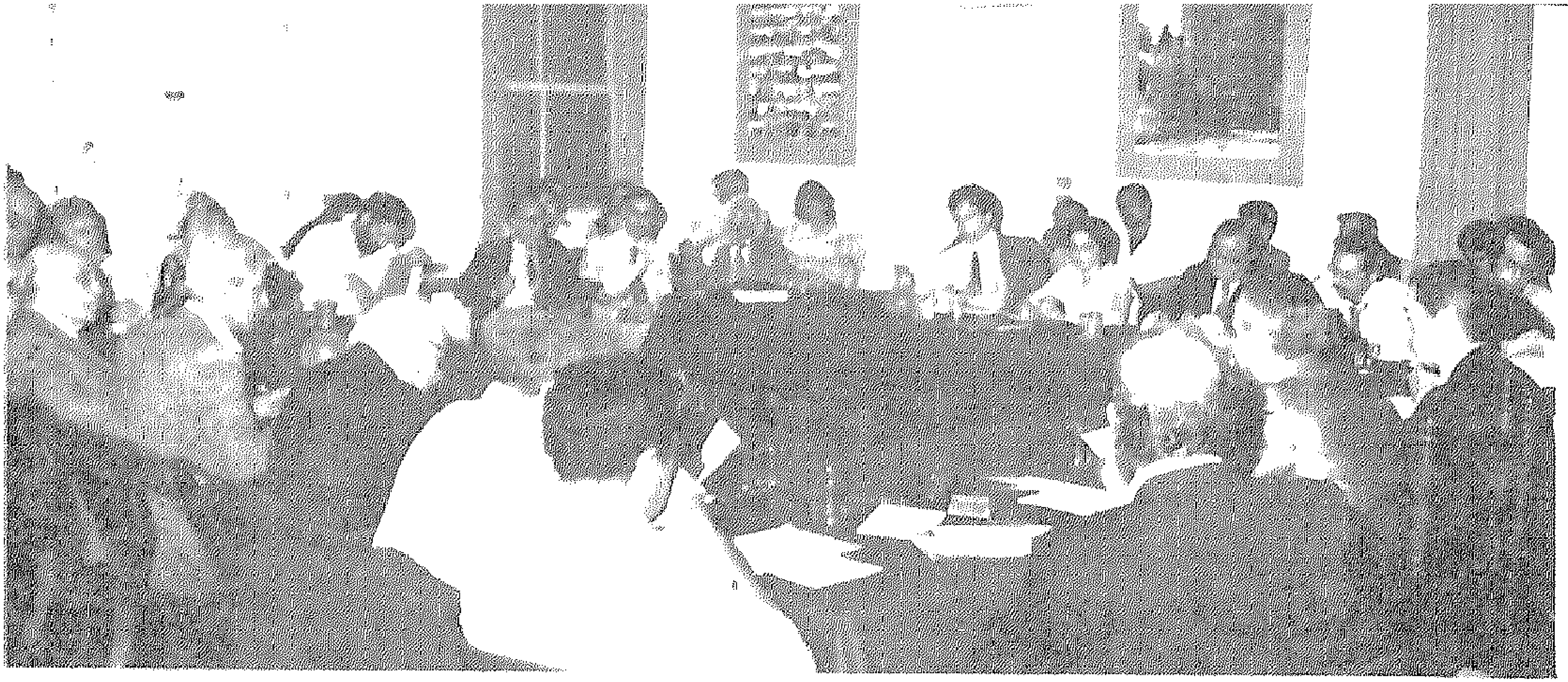
في الدورة الثانية من الحلقة الدراسية تحدث كل من البروفسور هشام نشابة (دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت) والبروفسور طريف خالدي (دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت) والبروفسور سمير صيقلي (دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت) والبروفسور عباس كليدار (مركز الدراسات الشرقية والافريقية – لندن).

هشام نشابة تحدث عن حياة الشيخ عبد القادر قباني ومجلته «ثمرات الفنون» ذات التوجه الاسلامي. قال نشابة انه في حين انصرف مفكرون آخرون كالافغاني وارسلان وعبده إلى العمل السياسي، فإن الشيخ قباني كان يؤكد على ضرورة تجسيد الأفكار في مؤسسات، إذا ما أريد لتلك الأفكار أن تكون فاعلة. وأكثر من ذلك، كان القباني يرى أن تكون هذه المؤسسات اجتماعية وتربوية، خلافاً لغيره ممن كانوا يرون أن تكون سياسية. كما أكد على أهمية تعليم المرأة. وانطلاقاً من هذا كله، كان الاسهام الكبير الذي قدمه الشيخ قباني في تأسيس ورعاية جمعية المقاصد الاسلامية. ولا عجب أن تكون أول مدرسة تابعة للجمعية هي ابتدائية للبنات.

أما طريف خالدي فقد دار بحثه حول «الشيخ أحمد عارف الزين ومجلة العرفان»، التي صدرت في جبل عامل (١٩٠٩ – ١٩٣٩). تحدث خالدي عن دائرتين: داخلية تتعلق «بالصورة الذاتية» للمجلة، وخارجية تتعلق بالبنية الاجتماعية في الجبل. عن الأولى، قال خالدي ان المجلة ذات الخط الديني العام، غير الايديولوجي، اشتملت على البعد الرئيسي المتمثل في ان جبل عامل كان عربياً مسلماً منذ البداية. وقال ان المجلة تعكس ثورة رجال الدين الشباب الغاضبين ضد مؤسسة العلماء (١٩١٩). وقد بلغت هذه الثورة حد مهاجمة مبدأ الاجتهاد الشيعي وخلع العمامة، وكذلك مهاجمة السيطرة الأجنبية. وضمن إطار الدائرة الثانية، عرض خالدي كيف انه بالامكان، استناداً إلى العرفان، تقسيم مجتمع جبل عامل إلى أربع طبقات هي الزعماء والعلماء والوجهاء وعامة الفلاحين، وان المفتاح لفهم التغير الاجتماعي يكمن في ضريبة الاراضي وعمليات مسحها. وخلص خالدي إلى الاستنتاج الى المجلة، شأنها في ذلك شأن طبقة العلماء التي كان ينتمي إليها رئيس التحرير، قد اتخذت موقفاً مترفعاً من السياسة اليومية، وان لم يكن من القضايا النظرية والسياسية.

سمير صيقلي تناول في البحث الذي قدمه «محمد كرد علي والمقتبس»، ورأى ان المجلة تعكس المجتمع العربي على نحو أكثر مباشرة من غيرها. وقد تناول صيقلي نظرة محمد كرد علي إلى ثلاث مدن بوصفها رموزاً تمثل موقفه من التغيير والاستعمار الغربي. فباريس هي مدينة النظام والترتيب، عاصمة معظم الخافقين، رمز التقدم والمدنية، وباختصار رمز «الحديث». انها عند كرد علي ما يتمنى ان تكون المدن العربية. أما اسطنبول، فهي لا تمثل «القديم» وحسب، بل وما هو سيء في هذا القديم. انها تفتقر إلى التعليم والحرية السياسية. واللغة التركية لا هي لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة. أما القاهرة، في منتصف الطريق بين باريس واسطنبول، فهي تمثل الزواج الموفق بين الحديث والقديم. فيها التقى كرد علي محمد عبده وغيره وتتلمذ على يديه. ومنها يمكن أن نشهد ولادة حضارة عربية – غربية جديدة. وكذلك فإن محمد كرد علي، كما يظهر على صفحات المقتبس، يعي أشكال التوسع الغربي، الايطالي في ليبيا والفرنسي في الجزائر والصهيوني في فلسطين وفوق ذلك، فهو يدعو العرب المنبثين من شواطىء بحر الظلمات الى شواطىء المحيط الهندي إلى التركيز على التعليم. وهو يعطي لرابطة اللغة أهمية خاصة: فعظمة الغرب، كما يعتقد، تكمن في التعليم أولاً ومن ثم في التقدم الاقتصادي.

أما موضوع البحث الرابع والأخير من الدورة الثانية



مشهد عام للحلقة الدراسية.

والذي قدمه عباس كليدار فهو «الشيخ علي يوسف: صحافي سياسي وقومي مسلم». في هذا البحث تحدث كليدار عن أهمية الصحافة، في مصر خاصة، وكيف لعبت دور الأحزاب السياسية في تشكيل الرأي العام. وكان من بين صحف الفترة موضع الدراسة مجلة «المؤيد» التي أصدرها الشيخ علي يوسف، ذو المنبت الاجتماعي المتواضع، وأول صحافي تضطهده السلطة لنشره معلومات حكومية. على صفحات «المؤيد»، دعا الشيخ يوسف إلى التضامن الاسلامي، وليس إلى دولة اسلامية واحدة. كما دعا إلى الحد من سلطة اللورد كرومر ومن تدخل المستشارين البريطانيين في ادارة شؤون البلاد. ودافع عن حرية الصحافة. ولكن الفكرة الرئيسية التي كانت تتكرر باستمرار في المجلة هي الاصلاح: بدءاً بنظام الري مروراً بالنظام التعليمي وانتهاء بوضع المرأة. ان سيرة حياة الشيخ علي يوسف ومجلته المؤيد مثال واضح على دور الصحافة في أواخر القرن التاسع عشر كمنبر سياسي لمواجهة السيطرة الغربية والدعوة إلى النهضة الاسلامية.

الدورة الثالثة

الدورة الثالثة من الحلقة الدراسية، استهلها البروفسور ستيفن وايلد (جامعة فريدريش فيلهلم، بون) بالبحث الذي قدمه حول نجيب عازوري وكتابه القومية العربية المنشور سنة ١٩٠٥. ان الحكم التركي، كما يرى عازوري، حكم بربري ويفتقر إلى الفعالية. والعرب الذين كانوا من الأتراك، ومن الأتراك فقط، يكرهون هذا الحكم. وتبنى عازوري الدعوة إلى القومية العربية، تلك الدعوة الهادفة إلى إقامة دولة عربية واحدة تمتد من دجلة والفرات وحتى السويس (أي الهلال الخصيب زائداً شبه الجزيرة العربية). ليس هذا فحسب، بل اشتهر عازوري بموقفه الصلب تجاه المطامع الصهيونية في فلسطين. ولكن الجدير بالذكر، حسبما يرى وايلد، ان دعوة القومية العربية التي تبناها عازوري انما كانت تأتي ضمن اطار المصالح الاستعمارية في المنطقة، وانها كانت بالأساس دعوة للفرنسيين لكي يحلوا محل الأتراك. ويستنتج وايلد أن نجيب عازوري الذي درس في باريس وهرب إليها سنة ١٩٠٤ بعدما حكمت عليه السلطات العثمانية بالموت، كان يوجه كتابه للاستهلاك الأوروبي بصورة رئيسية.

بعد وايلد، جاء دور البروفسور رشيد الخالدي (دائرة العلوم السياسية والادارة العامة في الجامعة الأميركية في بيروت) وبحثه الذي يدور حول «عبد الغني العريسي والمفيد: الصحافة والقومية العربية قبل ١٩١٤». الاطار العام لبحث الخالدي، كما يظهر من العنوان، وهو دور الصحافة في حركة القومية العربية في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى. بعد أن عرض الخالدي لحياة العريسي، تناول بالتحليل أهمية صحيفة «المفيد». فهي صحيفة ولاية بيروت التي تشمل معظم الشاطئ السوري، من يافا حتى اللاذقية. وهي صحيفة القومية العربية، صحيفة كاملة لها مراسلون في أنحاء متفرقة من الولاية — كما يظهر من الاعلانات المنشورة فيها. وكان عشرة ممن أعدمهم جمال باشا سنة ١٩١٦ يكتبون فيها بانتظام (رفيق العظم، عبد الحميد الزهراوي، شكري العسلي وغيرهم). أما أهم أفكار «المفيد» فتتعلق بالقومية العربية والاسلام ومواجهة السيطرة الأجنبية. كانت الصحيفة ترى ضرورة احترام الاسلام. وان لا تناقض بين القومية والاسلام. وكانت تدعو إلى قومية عربية تجمع العرب — المسلمين وغير المسلمين — ضمن اطار الامبراطورية العثمانية. كما اتخذت خط العداء للتتريك والاستعمار الأوروبي والصهيونية (ولكن دون العداء لليهود).

أما البروفسور وليد قزيهة (الجامعة الأميركية في القاهرة) فقد قدم بحثاً بعنوان «قراءة أخرى في مفهوم القومية العربية عند ساطع الحصري». يرى قزيهة انه يجب

وضع هذا المفهوم ضمن اطار الظروف الاجتماعية والسياسية التي مر بها الشرق العربي في الفترة ما بين الحربين العالميتين. لقد كان هذا المفهوم نتاجاً للجهود التي بذلها مفكر عربي في معضلة آراء مصالح طبقة اجتماعية محددة في المجتمع العربي (طبقة الأعيان) خلال فترة زمنية معينة. أما بحث مفهوم القومية العربية خارج مثل هذا السياق التاريخي فليس من شأنه – كما يرى قزيهة – تشويه معناه فحسب بل أيضاً تغييب اسهام الحصري في التاريخ الفكري الحديث للشرق العربي (وهو أمر تعكسه الاتهامات الموجهة إلى الحصري – بأنه أخذ معظم أفكاره عن المفكرين الأوروبيين الذين عاشوا في القرنين التاسع عشر والعشرين. أو بأن أفكاره قد عفا عليها الزمن).

البروفسور مروان بحيري (دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت) تحدث عن «بولس نجيم ومثال لبنان الكبير ١٩٠٨ – ١٩١٩». تناول بحيري في بحثه هذا حياة نجيم وتفسيره للتاريخ اللبناني ومقارنة مفهومه عن لبنان الكبير بغيره من المفاهيم. فبعد عرض سريع لسيرة حياة «جوبلان» بوصفه عضواً في النخبة المثقفة. انتقل بحيري إلى دراسة أهم جوانب نظرة نجيم إلى التاريخ اللبناني بوصفها عاملاً محدداً لرؤيته السياسية وبرنامجه السياسي. دعا نجيم إلى لبنان الكبير ذي الحدود الطبيعية الذي يشتمل على طرابلس وعكار والبقاع ومرجعيون والحولة وصيدا وبيروت. ويرى نجيم ان لبنان الكبير هذا. الديمقراطي. بمذاهبه المتعددة. وبالاصلاحات المتمثلة في اخضاع العقارات الدينية للضرائب كغيرهما وفي المصادرة مع التعويض...الخ. ان لبنان هذا هو القابل للحياة اقتصادياً – على عكس لبنان الصغير الذي كانت تدعو إليه مفاهيم أخرى.

الدورة الرابعة

الدورة الرابعة تحدث فيها كل من البروفسور وداد قاضي (دائرة اللغة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت) والبروفسور أرنولد هوتنغر (صحيفة نويه تسورخر تسايتونغ) والبروفسور خلدون الحصري.

«الشرق والغرب في مؤلف علم الدين لعلي مبارك كان موضوع وداد قاضي». «علم الدين» قصة خيالية اصدرها مبارك سنة ١٨٨٢ في الاسكندرية. بطلها شيخ أزهري مصري تحمل القصة اسمه. يلتقي في القاهرة مستشرقاً انجليزياً يسعى لتحقيق معجم «لسان العرب» ونشره. ويتفق علم الدين مع المستشرق على مساعدته في العربية والسفر معه إلى أوروبا وتنتهي رحلته لاحقاً في باريس. يعتبر الكتاب. كما ترى قاضي. واحداً من المؤلفات التي تصور اعادة اكتشاف العرب للغرب. بل وتضع الشرق في وضع تقابل عنيف مع الغرب. ينتقد علي مبارك في كتابه خضوع الشرق لتقليد ديني يقيد انطلاقه ويجعله مكتفياً بما لديه من العلوم الدينية واللغوية. في حين ان التقدم لا يكون إلاّ مادّياً. فعلى الشرق. إذن. إذا أراد التقدم ان يخرج من قيده ويتعلم لغات الغرب وعلومه – شرط الابقاء على انتمائه الديني وقيمه الأخلاقية.

... ومحاولة إعادة اكتساف الغرب للعرب. كانت موضوع بحث ارنولد هوتنغر الذي يحمل عنوان «أمين الريحاني: نظرة ذاتية لعربي حديث» وذلك انطلاقاً من مقدمة كتاب الريحاني ملوك العرب. أوضح هوتنغر ان الريحاني الذي عاش في أميركا قد تمرد ضدها اذ انه تمثل له المادية. وهكذا غادرها وعاد ليكتشف البلدان العربية. لقد أراد الريحاني الانتماء إلى هذه البلدان في حين كان آخرون من معاصريه العرب يحاولون اكتشاف أميركا (والغرب) ويدعون إلى الحداثة على طريقتها. كما حلل هوتنغر ردة الفعل الريحانية لأجيال لحقته ولطبيعة نضالها القومي.

أما خلدون الحصري فقد تناول بالبحث «يونس السبعاوي (١٩١٠ – ١٩٤٢): آراؤه الاجتماعية والسياسية». بعد ان عرض الحصري حياة السبعاوي وكيف وصل إلى قمة النفوذ السياسي في عراق ما بين الحربين العالميتين. تناول آراء السبعاوي السياسية والاجتماعية. كان المجتمع العراقي يمر بطور من التغيرت عبر احتكاكه بالحضارة الغربية. وقد استطاع السبعاوي تقديم صورة صادقة وحية للقلق الذي كان يعتري جيل الشباب بسبب هذه التغيرات. وقد أخذ السبعاوي بالخيار التقدمي الثوري للتحرر من السيطرة الغربية ومن شوائب الأوضاع الداخلية في المجتمعات العربية. وخلص الحصري إلى القول بأن حياة السبعاوي وكفاحه السياسي يجعلان منه دون شك مثلاً ممتازاً عن جيله.

الدورة الخامسة

الدورة الخامسة والأخيرة من الحلقة الدراسية شارك فيها اثنان هما البروفسور محمود زايد والبروفسور جيرالد أوبرماير. فيما غاب عنها اثنان هما البروفسور دافيد واينز (جامعة لانكستر) الذي كان يفترض أن يقدم بحثاً بعنوان «علي عبد الرازق والدولة الاسلامية» والبروفسور محمد

يوسف نجم (دائرة اللغة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت) وبحثه حول« احمد لطفي السيد ومدرسة الجريدة ».

محمود زايد (دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت) قدم بحثاً حول «محمد حسين هيكل والاشتراكية الاسلامية». بدأه بعرض لسيرة حياة هيكل مركزاً فيها على خلفيتها الاجتماعية والفكرية والسياسية. تبنى هيكل دعوة إلى العدالة: تقليص الهوة بين الأغنياء والفقراء – وليس انهاء اللامساواة. الاشتراكية في نظره مزج بين الفردية والمصلحة العامة تكفل الحق في التعبير عن الرأي وفي ملكية الأرض وفي تشكيل عائلة. وتقوم أداتها في الزكاة والصدقة. وقد عاد هيكل إلى التاريخ الاسلامي ونظر في مدى تطبيق العدالة على مر عصوره. وتوصل زايد إلى الاستنتاج بأن اشتراكية محمد حسين هيكل هي العدالة الاجتماعية في الاسلام.

أما أوبرماير (دائرة علم الاجتماع في الجامعة الأميركية في بيروت) فقد تحدث حول «جريدة الايمان والامام – مؤشرات نشوء الأيديولوجيا والدولة في اليمن». تحدث أوبرماير عن أهمية الأئمة عامة بوصفهم منتجي ايديولوجيات. كما تعرض للرموز والمفاهيم السائدة في اليمن (امامة. قبيلة. فوضى. هاشمي. قحطاني. منكر. دولة. السيد...الخ) ثم قدم عرضاً لحياة الامام يحيى (١٨٧٠ – ١٩٤٨) وجهاده ضد الأتراك والانكليز. عن فكره السياسي. قال أوبرماير انه كتب عدداً من الرسائل وأصدر جريدة «الايمان» التي كانت توزع نحو ١٥٠٠ نسخة. على صفحات هذه الجريدة. اعتبر الامام ان العصر الذهبي هو عصر محمد وان اليمن استطاعت تجنب الانحطاط بسبب الأئمة والسادة المتحدرين من سلالة النبي وان حكام السلطان في اليمن فاسدون يفرضون الضرائب ويعتبرون اتباع المذهب المهدوي خوارج. وعنده ان الغرب (خاصة بريطانيا) يقف ضد الاسلام – كما يظهر من تطورات الوضع في فلسطين. كما الحّ الامام على ضرورة العمران في بناء الدولة.

محاورات عامة

بالاضافة إلى الأبحاث المقدمة. تخلل الحلقة الدراسية ولحقها حوار بين المشاركين كان في جزء كبير منه يتعلق بقضايا ذات طابع عام. فقد جرى تناول المسائل المرتبطة بطريقة البحث التاريخي: ضرورة الكشف عن مصادر تاريخية جديدة. لا تتوقف عند حد الكتب بل وتتعداها إلى الصحف. والصحف بدورها أدت إلى الحديث حول «الأقلام المأجورة» ومدى تأثير كون بعض الصحف يتلقى مساعدات مالية من جهة أو أخرى في صدقها وصحة الأخذ بها كمصدر تاريخي ثم ان هنالك مسألة تقسيم التاريخ إلى فترات متميزة – وهي مشكلة يزيد من تعقيدها كون الجغرافيا السياسية للشرق العربي ما تزال بحاجة إلى الاكتشاف. وثمة أيضاً مشكلة النزوع إلى خلق أبطال أو عمالقة من رموز تاريخية غير معروفة. لدونما سبب سوى رغبة الباحث في تبرير بحثه.

جانب آخر من هذه القضايا العامة يتعلق بالمفاهيم المستعملة في البحث. كان هنالك التشديد على ضرورة الا يصار إلى فسخ المفاهيم الغربية وفرضها على تحليل تاريخ الشرق العربي. وانما بلورة مفاهيم جديدة أكثر انطباقاً على هذا التاريخ. (الا نستطيع القول. استطراداً. ان الأمر ذاته ينطبق على اللغة التي تكتب بها الابحاث؟ أليس من المنطق اذا كان يقصد بالأبحاث مخاطبة الانسان العربي ان تكتب باللغة العربية؟) كان هنالك أيضاً الدعوة إلى ادخال مفهوم خط الجريدة. فيما انتقد البعض غياب مفهوم الامبريالية من البحوث المقدمة. وطولب بإعداد حلقة دراسية جديدة تتناول العلاقات الاجتماعية – الاقتصادية بين العرب والغرب في العصر الذي يمكن تسميته «بالعصر الأوروبي».

مهما يكن من أمر. كانت هذه الحلقة الدراسية خطوة في الاتجاه الصحيح. فهل تتبعها خطوات؟



«انك تقرأ كتب التاريخ لتستفيد من أعمال الناس. وما وقع لهم. وما صدر منهم. وما كان من نتائج أعمالهم وتقرأ سير العظماء لتتشبه بهم. وتدرك موضوع عظمتهم. وتقرأ الطبيعة والكيمياء لتستفيد من استكشاف من قبلك لقوانين الطبيعة. فالحياة كلها تجارب واستفادة من التجارب.

أحمد أمين

شيشرون

٢



الياسا بازنا ، أو شيشرون ، ولد في بريستينا (يوغوسلافيا) وعاش نشأة غير مستقرة. ولكن في عام ١٩٣٢ ، وكان في الثامنة والعشرين من العمر ، انفتحت له أبواب المجد : خادم في أنقرة.

أشهر جاسوس في الحرب العالمية الثانية

الان ديكو

ترجمة "تاريخ العرب والعالم"

ملخص الحلقة الأولى :

● ١٩٤٣ : الحرب مستعرّة في أوروبا،واسطمبول هي الأرض الحيادية التي يلتقي فيها الجواسيس من كل جنسية . الملحق الالماني موتسيش يهتدي إلى رجل بسيط يلقبه شيشرون ويحصل منه على نبع لا ينضب من الاسرار الانجليزية التي لا تقدر بقيمة ، ويدفع له ١٥ ألف جنيه استرليني عن كل فيلم وثائق . وتثير قضية شيشرون خلافاً بين رئيس شعبة الاستخبارات الالمانية الذي يرى الوثائق بالغة الأهمية ، وبين فون ريبنتروب وزير الخارجية الذي يرى فيها فخاً بريطانياً . وتنتهي الحلقة الأولى وموتسيش في برلين بانتظار السماح له بالعودة إلى تركيا .

لم يستطع موتسيش العودة إلى أنقرة إلا في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) وعادت اللقاءات بينه وبين شيشرون . وعن كل لفافة ، كان «الخادم البريطاني» يتسلم مبلغ خمسة عشر ألف جنيه . والمعلومات الجديدة لم تكن تقل أهمية عن الأولى . وهكذا تمت معرفة الشيفرة البريطانية من قبل الاستخبارات الالمانية ، إنها معلومات ذات قيمة فائقة .

مرت الأشهر وتغير شيشرون . وبالفعل فقد كنا نعتقد بأننا نتعامل مع شخص مختلف . إذ كان يرتدي ثياباً أنيقة ، من أجود الأجواخ الانكليزية ، كما كان يلبس الحلى ويحبها كثيراً .

في هذه الأثناء ، وخلال شهر كانون الثاني (يناير) ، لاحظ الانكليز أن تسرباً قد حصل في أنقرة . وقد جاء لهذا الغرض عملاء من لندن ، لوضع أجهزة انذار في السفارة . وكان يمكن اعتقاله لو كان أقل تعقلاً .

في هذه الأثناء كان موتسيش قد أعطاه أكثر من مئتي ألف جنيه . وهذه الثروة كانت تسمح له بأن يعيش في رخاء «حتى آخر أيامه» .

إلا ان شيشرون لم يتوقف . فبمهارته الفائقة ، نجح في اختراق أجهزة الانذار واستمر في عمله .

شتاء ١٩٤٣ - ١٩٤٤ وربيع ١٩٤٤ ، ظهرت كلمتان جديدتان في الوثائق :

عملية أوفرلورد . كل وثائق شيشرون كانت تعلن عن ذلك ، عملية أوفرلورد كانت قريبة .

ماذا كانت حقيقة هذا الأمر ؟

لا شك في أنها عملية ذات أهمية كبيرة ترتدي الطابع العسكري . لقد قلقت برلين ، وأمضى موتسيش ليالي لدراسة الوثائق . وأخيراً ، وبمقارنة عدة نصوص فهم الموضوع :

عملية أوفرلورد لم تكن سوى الأسم السري لانزال الحلفاء في أوروبا .

أنذر موتسيش برلين فوراً وذلك في شهر آذار (مارس) ١٩٤٤ . ثلاثة أشهر قبل الإنزال . صدفة غريبة أظهرت للألمان متى يتم الإنزال .

وعاد جواب مختصر من برلين :

«معقول ، لكن الاحتمال ضعيف» .

إن المعلومات التي أعطاها شيشرون وهي الأكثر روعة قد قوبلت بازدراء لدى الآخرين .

في ٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٤ ، اختفت سكرتيرة موتسيش . لقد كانت تجهل تفاصيل عملية شيشرون ، إلا أنها تعرف الأساس . لقد انتقلت سكرتيرة موتسيش إلى جانب الأميركان .

وكانت نهاية مغامرة لا تصدق بالنسبة لشيشرون . إنه الخطر القاتل .

لذلك أسرع إلى عند موتسيش نفسه .

– إن سكرتيرتك عند الأميركان .

ثم سأل بشكل هستيري :

– ماذا تعرف عني ؟

– إنها تعرف إسم الشيفرة التي تخصك ... وربما أكثر من ذلك ...

كان موتسيش يراقبه . لقد كان ساهماً وفي عينيه خوف ، بينما هو يقول :

– يجب أن أذهب الآن .

«إن قلقاً عميقاً أصاب وجهه» ، كتب موتسيش في ما بعد ، «لقد لاحظت انه يقضم أظافره من جديد . انه الآن رجل منهك ، ليس أمامه أي مخرج . كما يمكن قراءة

الخوف في عينيه الداكنتين».

- «إلى اللقاء، سيدي، قال مخاطباً موتسيش، إلى اللقاء».

لقد انتهت عملية شيشرون. لقد اختفى الممثل الرئيسي. ماذا حلّ به؟

إحدى عشرة سنة مرّت قبل ان أجد الياسا بازنا أو شيشرون.

اعترافات جاسوس

- إنني من مواليد يوغوسلافيا.

حصلت على هذا الاعتراف الأول في سيارة التاكسي. انها سيارة «ديسوتو» تسير وسط الازدحام في استانبول. يجلس بجانبي شخص عريض المنكبين، مبتسم وذو ثياب فاخرة: إنه الياسا بازنا. على المقعد الجلدي وبلغة فرنسية مترددة اعترف شيشرون لأول مرة قائلاً: لقد ولدت في يوغوسلافيا...

ولد شيشرون في بريستينا في ١٨ تموز (يوليو) ١٩٠٤. والده حافظ يسار كان استاذاً للدين الاسلامي. انتقلت العائلة من بريستينا إلى سالونيك، ثم إلى استانبول. كان ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى. يقول بازنا «أن فرقاً أجنبية احتلت تركيا. وقد اشتغلت كعامل مساعد في وحدة النقل الفرنسية، كان ذلك كل ما يستطيعون فعله لي».

ثم عمل كسائق لدى كابتن انكليزي. وذات يوم «استعار» دراجة ضابط فرنسي ومن سوء حظه انه صدمها وحوّلها إلى حطام. التي به في السجن ثم استطاع الهرب. وتم العثور عليه ثم عاود الهرب من جديد. ونرى في ملفه العبارة التالية: «انتباه: بازنا مجرم خطير ومحتال...». يقع من جديد في أيدي الشرطة الفرنسية وتجرمه المحكمة فيسجن مدة ثلاث سنوات. ثم ينقل إلى مرسيليا لاتمام مدة العقوبة.

وهناك يقول بازنا إنه ألمّ بمعرفة اللغة الفرنسية ونال من أجل ذلك تهنئة من السيد هيو، السفير البريطاني في استانبول.

كانت تلك السنوات غير مشرقة بالنسبة إليه. كان يشاهد أمام أبواب الفنادق وقرب علب الليل عارضاً «خدماته». على الأقل هذا ما صرح به أحد أصدقائه وهو سائق يدعى كوستا.

وبممارسة تلك المهنة، استطاع الياسا أن يقيم له بعض العلاقات، خصوصاً مع سائقي السلك الدبلوماسي.



لودفيك هـ. موتسيش الملحق التجاري والضابط المكلف بالتعامل مع شيشرون.

هؤلاء السائقون كانوا من الشخصيات اللامعة والمهمة بحكم عملهم وتنقلهم بسيارات الليموزين العائدة لأسيادهم. وقد قارن الياسا مصيرهم بمصيره. كان يحلم بحياتهم المؤمّنة والمريحة. وكلهم تقريباً كانوا من اليوغوسلافيين.

إعلان صغير

على ضفاف البوسفور كان هناك تقليد غريب فهيئة الخدم العاملة في السفارات والقنصليات كانت تنتقى من اليوغوسلاف والالبانيين المهاجرين، وكان لهم إسم خاص «الكافاس». فلماذا لا يجرب الياسا ذلك؟ ان حلمه بدأ يتجسد مع الأيام.

ذات صباح حصل شيء مهم. فسائق السفارة اليوغوسلافية ترك وظيفته. وبعدها بساعة تقدم الياسا إلى بواب السفارة وتم قبوله سائقاً على أثر مقابلة له مع الوزير المفوض ميروسلاف بانكوفيتش. حدث ذلك العام ١٩٣٢. وخلال تلك الفترة تزوج الياسا ورزق بابنة ثم بصبي. لم يكن في تلك الأثناء تعيساً، بل كان يغني دائماً. لقد كان يحب الغناء. ويقول أصدقاؤه إن الشيئين المهمين بالنسبة إليه كانا المال والغناء.

نقل بعد ذلك إلى أنقرة. وقد أعجب الياسا بتلك العاصمة الإصطناعية حيث علب ليلية. ومرت أشهر

عديدة ثم حدث المحتوم: لقد صرف من الخدمة.

كان عليه أن يعيش. واستطاع العثور على وظيفة لدى الكولونيل غلاس في السفارة الأميركية، من هناك استطاع أن ينتقل ويعمل لدى المستشار ينكه في السفارة الالمانية... ومرة أخرى صرف من الخدمة. لماذا؟ لأنه ضبط ذات مرة يقرأ بريد معلمه.

كيف استطاع العمل في السفارة البريطانية؟ لقد تم له ذلك بطريقة بسيطة جداً، عن طريق إعلان صغير:

«السفارة البريطانية تبحث عن سائق لدى السكرتير الأول».

ازدواج المفاتيح

مضت الأشهر الأولى من عمله في السفارة البريطانية دون أية حوادث. وقد أظهر الياسا أنه خادم أمين، دقيق في عمله ومتفان واستطاع أن يجتاز الحرب التي اندلعت بسلام، تماماً كما كان يجتاز أروقة السفارة.

هذا الصفاء لم يكن سوى صورة ظاهرية. فقد ارتفعت الحرارة السياسية في أنقرة وازدادت حدتها من شهر إلى شهر. وهذه الحمى كان يتجاذبها قطبان: السفارة البريطانية وسفارة الرايخ وان اسراراً كثيرة كانت ترقد في صناديق كل منهما. ان خادم السفير هيو كناتشبل – هيوغسن بدأ يهتم بأسراره.



أرنست كالتربرونز الذي كان يرئس الاتصالات مع شيشرون.

وقد حدد خريف عام ١٩٤٣ ساعة العمل. فالياسا بازنا الصغير أصبح جاسوساً، بل الجاسوس الأكثر فعالية في الحرب العالمية الثانية. وبفضله لم يكن هتلر ليجهل أي مشروع يتعلق بالحلفاء.

كيف استطاع العمل؟

أدرك بازنا أن الأوراق السرية كانت موجودة في صناديق حمراء صغيرة وفي صندوق أسود توضع أثناء النهار على طاولة السفير المخصصة للعمل. في الليل، يتم توضيب الصناديق الحمراء في «خزانة حديدية ذات طراز بسيط». أما الصندوقة السوداء، فكان السفير ينقلها معه كل مساء إلى غرفته حيث يضع فيها الوثائق لدراستها أثناء الليل. كيف استطاع بازنا الحصول على المفاتيح؟ لقد اشترى قطعة كبيرة من الشمع، ثم انتظر الفرصة التي وأتته ذات صباح.

«سعادة السفير كان يستحم، بينما كنت أنا أحضر بذلته الرمادية في غرفة النوم. رأيت المفاتيح على المنضدة: مفتاح الخزنة الحديدية، مفتاح الصناديق الحمراء ومفتاح الصندوق الأسود فأخذت النقشة. قليل من الشمع بقي عالقاً على أحد المفاتيح، فأخذت منديلاً من خزانة السيد هيوغ، نظفت المفتاح وأعدت علاقة المفاتيح إلى المنضدة. وفي هذه الاثناء دخل السفير الغرفة وكان يلبس ثياب الحمام. لقد دخل فجأة حتى انه لم يكن لدي الوقت لأرتعش من الخوف وبنظرة خاطفة تفحصت المنديل، ثم درت صوب سعادته وقلت له:

«هذا المنديل ليس نظيفاً يا سيدي، سوف أضعه مع الأمتعة الوسخة.» وافق السفير بحركة من رأسه مع ثقتي بأنه لم يسمع ما قلت له. لقد نظر حوله وفجأة رأى المفاتيح فالتقطها متنهداً ووضعها في جيب ثوب الحمام وانصرف دون أن يقول شيئاً.

ان الحصول على المفاتيح عن طريق النقشة كان بمثابة لعبة أطفال بالنسبة لبازنا. بعد هذا لم يكن عليه سوى انتظار غياب السفير. فقد كان يعمل غالباً في المساء عندما يكون السفير مدعواً إلى حفلة. إلا أنه كانت لديه الجرأة لدخول غرفة السفير وهو نائم، فيفتح الصندوق ويأخذ الوثائق إلى غرفته.

المشكلة كانت في عملية التصوير. ففي أيامنا هذه توجد أفلام شديدة الحساسية تسمح بتحضير نسخ دون اللجوء إلى مواد أخرى. إلا ان الحال لم تكن كذلك في عام ١٩٤٣. لكن لا بد له من الحصول على شيء يمكنه



١٩٦١ . شيشرون يعقد مؤتمرا صحفيا في ميونخ ويقدم عرضا لتصوير الوثائق السرية؟ لعبة أطفال !

من صنع نسخ عن الوثائق . كان بازنا في غرفته في السفارة عرضة للمناداة من وقت لآخر مثل أي خادم آخر لذا وجب عليه الاتيان بآلة لا تثير الشكوك.

يقول : «اشتريت مصباحاً قوته ١٠٠ واط ووضعته على المنضدة . كما اشتريت أربعة أوتدة أو جذوع وحلقة معدنية . بهذا استطيع تثبيت جهاز التصوير إلى تلك الحلقة . ان قطع هذا الجهاز ذات حسنة هي أنه لا يمكن ملاحظتها كما هو الأمر بالنسبة لجهاز خاص . فاثنان من الأوتدة يصلحان لوضعها في الخزانة وتعليق ربطات العنق عليها . والاثنان الآخران تم تثبيتهما في الحائط قرب المغسلة ووضعت عليها منشفتي . أما الحلقة المعدنية . فوضعتها حول منفضة السجائر كاطار لها . حيث يمكن وضع السجائر المشتعلة .

... والباقي معروف : اللقاءات مع موتسيش والأموال الضخمة التي كان يتقاضاها شيشرون . لكنها كانت جنيهات استرلينية مزيفة .

ربحت في اليانصيب»

مع نهاية عام ١٩٤٣ . استأجر الياسا بازنا في استانبول قرب ساحة تاكسيم شقة كان يسكنها يهودي . دفع الياسا مبلغ خمسة آلاف ليرة تركية لأخذها . بعدها . استأجر شقة أخرى في شارع قريب ودفع هذه المرة اثني عشر ألف ليرة . بضعة أسابيع بعد ذلك صار يقود سيارة مرسيدس . هذه الرفاهية المفاجئة أدهشت أصدقاءه الذين قال لهم دون مبالاة :

– لقد ربحت في اليانصيب ...

وأخيراً الوشاية . فسكرتيرة موتسيش انتقلت إلى جانب الأميركان . وفي ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٤ استأذن شيشرون موتسيش بالرحيل .

– عليّ أن أذهب الآن !

ومضت أشهر دون ان يسمع أحد عن الياسا بازنا . انتهت الحرب مع طوفان من الحديد والدم وأخذ السلام

يعود تدريجيا إلى العالم. في استانبول. كانت زوجة بازنا وأولادها يعيشون حياة سرية في شقتها الواقعة في ساحة تاكسيم.

ذات يوم. رأى اسماعيل. حارس البناية سيارة جديدة تتوقف أمامها. وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى رجلاً أنيقاً جداً ومبتسماً ينزل منها. انه المستأجر الياسا بازنا. لا شيء يدل على أنه كان ذلك الخادم أو الجاسوس الخائف. لقد تحوّل بازنا إلى رجل أعمال السيد بازنا. هذا الاسم يتناسب من الآن فصاعداً مع مؤسسة بازنا القوية. السيد بازنا كان قبل كل شيء المتعهد الغني.

«ذات يوم سأصبح غنياً...» هذا ما قاله الكافاس الصغير من بريستينا. وقد استطاع أن يفي بوعده.

ان مؤسسة بازنا تهتم أيضاً بشراء وبيع السيارات. وكانت حركة دائمة بين انقرة واستانبول.

العملة كانت مزورة

لم يقتصر السيد بازنا على هذه النشاطات. فقد وظف خمسة وعشرين مليون فرنك فرنسي في عملية مع السيد نيازي عكار في استانبول. وبينما كانت جدران قصره ترتفع. بدأ عملية كان يجب حسب رأيه أن تدر عليه أرباحاً طائلة. فشركة تاميز استوردت ١٣٥ طناً من مادة ملح الصوديوم. كان يملكها تاجر يدعى اسماعيل قره علي. وقد اشترى بازنا ٩٠ طناً من الصفقة. ودفع جزءاً بالعملة التركية أما الباقي وقيمته ٢٣ ألف جنيه استرليني فقد دفعه بالجنيهات.

وكانت هذه بداية التعاسة لالياسا. فأصدقاء قره علي ذهبوا إلى سويسرا دون أن تكون لديهم عملة أجنبية. فقدم قره علي لأصدقائه رزمة من الجنيهات الاسترلينية. وما أن سلموها إلى شباك أحد البنوك في لوزان حتى ظهرت الحقيقة المؤلمة: الجنيهات كانت مزورة.

عاد أصدقاء قره علي إلى تركيا بائسين. وطلبوا بعض الايضاحات من التاجر الذي هزّ كتفيه قائلاً إنه لا يعلم شيئاً. وانه هو شخصياً ملاحق بتهمة ترويج عملة زائفة. ومن سوء حظ التاجر أنه أراد استبدال الأموال المتبقية لديه في استانبول... وبدأ سيل من الدعاوي لم ينته إلا في تموز ١٩٥٥.

طلب قره علي إلى المحاكمة وكان عليه أن يدل على بازنا الذي مثل أمام المحكمة الجزائية وحكم عليه. استأنف الحكم. لكن الحكم النهائي صدر في ١٩٥٥ ويقضي بتغريم بازنا مبلغ ١٢ ألف ليرة تركية كعطل وضرر أي أكثر بقليل من مليون فرنك فرنسي قديم.

وكانت ثمة أسباب للتأكيد على ان الحكم سيبقى حبراً على ورق: بازنا كان عاجزاً عن الدفع.

عندما وجدته عام ١٩٥٥. كان الياسا قد أصبح رجلاً فقيراً. تراه في استانبول يتعاطى بعض الأمور غير المهمة. باحثاً بشتى الوسائل لجعل الدائنين يصبرون عليه... وعندما سألته عن مهنته أجاب بابتسامة صفراء:

أنا وسيط سيدي... إلا ان حلمه لم يرد الموت. فالوسيط المتعب. عندما يعود إلى بيته في المساء، يشعر بأنه رجل آخر. فالياسا بازنا يرفع رأسه. ويصبح من جديد شيشرون. حتى الأوهام عنده لم ترد الموت.

كل شيء مكتوب

في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٥٤. وضع الياسا في البريد مغلفاً يحمل العنوان التالي:

«سعادة السيد اديناور. رئيس المجلس الالماني الاتحادي. بون».

وبعبارات بسيطة تثير الشفقة. يحكي شيشرون السابق قصته للمستشار الالماني: لقد دخل إلى السفارة البريطانية خلال الحرب. وكان عميلاً للألمان «بسبب التعاطف معهم». وان «خدماته القيمة» قد بودلت بها جنيهات استرلينية مزيفة. لقد كان أمراً غير عادل. بعد الحرب. انهار السيد بازنا مادياً لاضطراره إلى التعويض على أولئك الذين دفع لهم جنيهات انكليزية. وهو يطلب من السيد أديناور أن يعوض عليه. فهو لا يطلب ٣٠٠ مليون بل يكتفي بمليونين ومائة ألف مارك.

لم يردّ عليه المستشار. بل أجابه وزير خارجية حكومة بون. وبرسالة مؤرخة في ٩ آب (أغسطس) ١٩٥٤. يعلمه بأدب بأن قضيته قيد الدرس. وفي ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) يتلقى رسالة ثانية يعرب فيها وزير الخارجية عن أسفه. لأن نظام البنك والتشريع المعمول به بالنسبة للعملة يتعارض مع ما يطلبه السيد بازنا.

إلا ان علاقات شيشرون مع المانيا لم تبق عند هذا الحد. فمنذ ذلك الحين. استطاع صحفي أن يستقصي له ذكرياته وينشرها.. وهذا الأمر دعاه إلى السفر. فقد عرف المانيا وايطاليا والنمسا وفرنسا.

لقد رأيته من جديد في فرنسا. وأثرت أمام الجمهور الفرنسي وجود شيشرون. وتناولت عدة صحف



آب (أغسطس) ١٩٤٤ - هتلر يقلد وسام «ريتركرويتس» إلى السفير فون بابن الذي لعب دورا من الدرجة الأولى عام ١٩٣٣ في وصول الحزب إلى السلطة.

أجنبية معلوماتي. الآن، يوم أحد من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣، كنت انتظره في أورلي أمام الباب رقم ٠٤٤ كنت انتظره محاطاً بالصحفيين والمصورين. وانني أعترف بقليل من القلق وأتساءل. كيف ستكون ردة فعله عندما يراني؟ لقد دعوناه لزيارة باريس. أنا، وستيللو لورنزي واندريه كاستللو لاجراء مقابلة معه في برنامج «الكاميرا تكتشف الزمن». كيف سيتصرف عندما يتعرف علي؟.

لقد بدأت المزاحمة. انه رجل قوي البنية، أصلع. ذو وجه مربع. يضع على وجهه نظارتين. ومعه حقيبة سفر كرجل الأعمال ويحمل بيده مظلة: انه هو! أتقدم وحالاً يبتسم لي:

صباح الخير سيد ديكو!

لقد عرفني. وهو لا يحمل أية ضغينة! بدأت عدسات المصورين تعمل والأسئلة تنهار عليه. وقلت له:

— كل هؤلاء صحفيون. ألا يضايقك هذا كثيراً؟

ابتسم وقال:

— انه شرف كبير لي...

ظاهرياً. الشهرة تسحره. فهو يجد فيها ثأراً للحالة التعيسة التي كان يعيش فيها لدى اكتشافه ان ثروته كانت مؤلفة من أوراق نقدية مزورة...

— متى علمت ان الأوراق النقدية كانت مزورة وما كان شعورك؟

— اعتقدت انني أصبحت مجنوناً، سيدي.

لقد قال هذا دون أي انفعال، ثم تابع شارحاً:

— أنا مسلم. وأعتقد بأن كل شيء مكتوب.

عندما تركته بعد المقابلة التي أجريتها معه ذات صباح أمام عدسات المصورين سألته:

— إذا سنحت لك الفرصة مجدداً. فهل تعود إلى مهنة التجسس؟

ابتسم، وبلغته الفرنسية الثقيلة أجاب:

— من يدري، سيدي؟

شيء آخر، قبل التوجه إلى الاستوديو في شركة التلفزيون الفرنسية طلب شيشرون أن ندفع له ما يناسب. اقترحت عليه شيكاً فرفض. لم تعد لديه ثقة. لذلك وجب انتظار المحاسب الذي جلب معه عشرين ورقة من فئة المئة فرنك. فتفحصها واحدة واحدة بكثير من الانتباه، ثم قبل أن يتوجه أمام الكاميرات... ●

انتهى

عن «ايستوريا»

سلفادور دي مادارياغا ترجمة "تاريخ العرب والعالم"

المقاومة

(٢)

انتفاضة الازتيك الاخيرة



في وجه الاسبان ١٥٢٠

لا استسلام



تمثال ازتيك : كان المتحدر من ابسط العائلات يستطيع ان يتبوأ أعلى المراكز بالكهانة أو الجندية.

● كان ظهور سفن كورتيث على البحيرة حدثا مهماً بالنسبة للمعسكرين. لكن المكسيكيين الشجعان واجهوا الموقف بثبات. وشاهد كورتيث من قلعته الصخرية خمسمائة زورق تقترب بأقصى سرعة في اتجاه سفنه. فأمر رجاله بالعودة إلى سفنهم على عجل، لكنه أمر أيضاً الربابنة بعدم التحرك، ليوهم الهنود الحمر بأن الاسبان خافوا. وتوقفت الزوارق على مسافة من السفن الشراعية الاسبانية. وتمنى كورتيث أن يعطي الاشتباك الأول هذا، الهنود الحمر، انطباعاً بتفوق الأسبان. وكتب يقول: «لقد شاء الله ان تهب على سفننا الشراعية من اليابسة، ريح ملائمة... وهكذا دخلنا بين زوارقهم وحطمنا عدداً لا يحصى منها، وقتلنا واغرقنا عدداً كبيراً من الاعداء. كان ذلك أعجب ما يرى من مشاهد».

هذان الانتصاران شجعا كورتيث على محاولة تحقيق ثالث، ربما هو الأهم. في فترة بعد الظهر نزل في كسولوك مع ثلاثين من رجاله الثلاثمائة، وعدد من حلفائه المحليين. وكسولوك هي المدينة المشيدة على الماء، والتي تحمي الطرق إلى كويوهواكان وايزتابالابا. وبعد قتال عنيف، انزل كورتيث ثلاثة مدافع، قصف بها ذلك الشارع الذي سبق لموتيكوكوما ان حضر اليه قبل سبعة اشهر لملاقاة كورتيث. غير ان معركة كسولوك استمرت ستة أيام، وظلت في مد وجزر بين الأسبان والمكسيكيين. في غالب أيام المعركة كانت الاشتباكات غامضة المعالم متشابكة الخيوط، فتستمر طوال النهار وأحياناً طوال الليل أيضاً خلافاً لتقاليد المكسيكيين، على الزوارق والسفن في الطرقات والمياه وبين السابحين. وكانت قمة هذه المرحلة الأولى من الحصار هجوماً مشتركاً لألفارادو وكورتيث يوم التاسع من حزيران (يونيو). وكانت خطة الهجوم واحدة: التقدم بفضل الثبات في وجه عقبات تنبت بلا توقف. وتبين ان السفن كانت عوناً لا يقدر بثمن في هذه المعركة. وقد اضطر الاسبان تحت ضغط المقاتلين، إلى التخلي عن عملائهم التلاكسكالتيك، وكادت لحظات الهلع والتقهقر عند التلاكسكالتيك ان تنقلب إلى هزيمة منكرة لحلفائهم. على ان المعركة انتهت إلى نتيجة غير حاسمة.

بداية انتصار الاسبان

المرحلة الثانية من الحصار استمرت بقية شهر حزيران (يونيو). واشتد الحصار بتخصيص سفينتين لمهمة ملاحقة الزوارق التي تمون المدينة بالطعام والماء تحت جنح الظلام: «ولم يمض يوم لم تحضر فيه السفينتان زوارق



المعبد الهرمي في تيوتيهواكان. وكانت الاضاحي تقدم على أعلاه.

وهنوداً حمراً مشنوقين إلى الصواري. وابتكر كواموتيموك خططا في غاية الذكاء لنصب أفخاخ للسفن واغراقها. لكنه على الرغم من نجاحه مرة في قتل قبطانين إلا انه لم ينجح في إغراق أية سفينة.

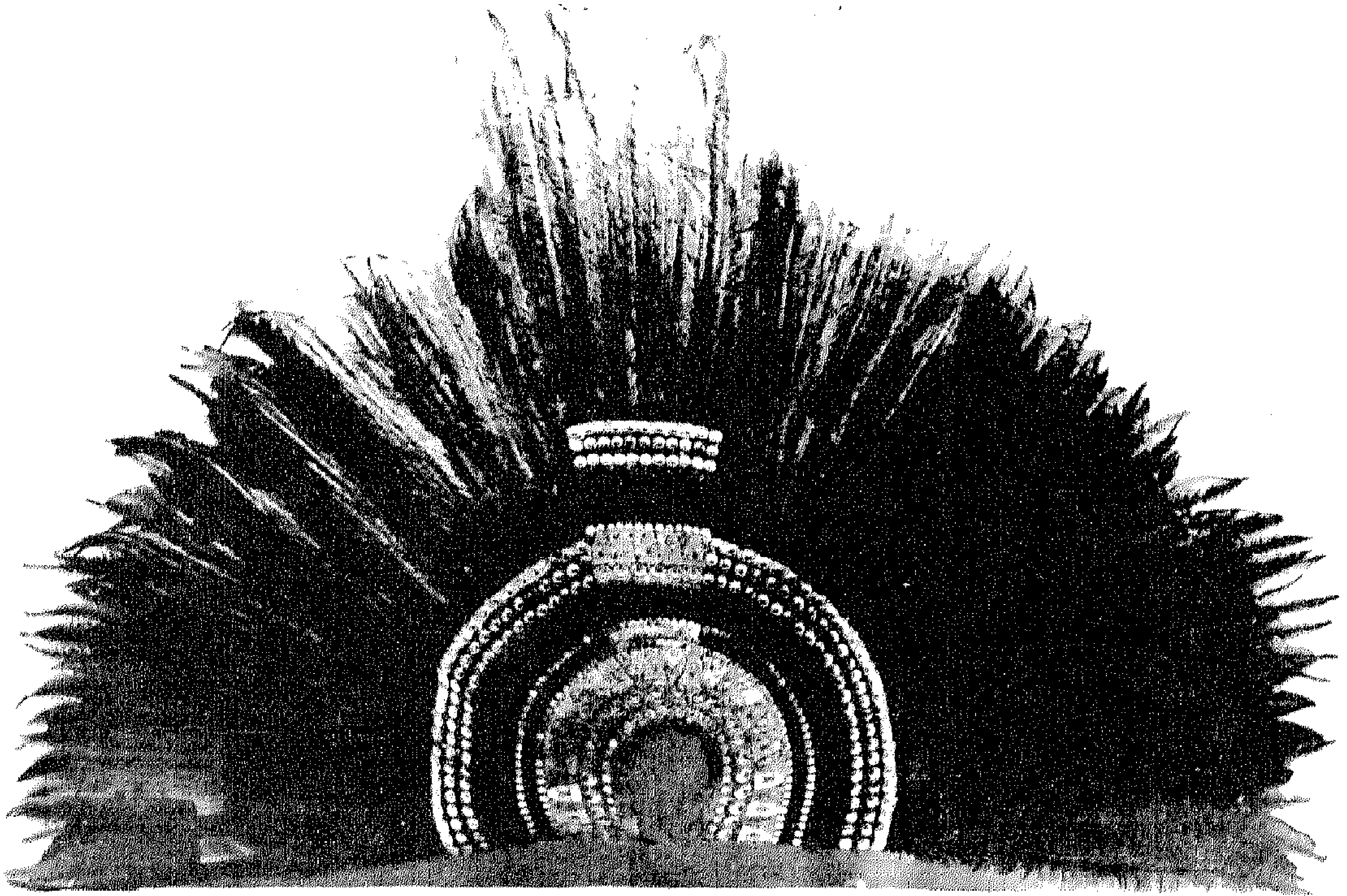
وفي هذه المرحلة أخذت هيبة المكسيكيين تتآكل في وادي البحيرة. وسر كورتيث غاية السرور بوصول ثلاثين ألف مقاتل مجهزين جيداً، أرسلهم اليه «دون فرناندو» ملك تتزكوكو الجديد، وتلقى أيضاً تأييد مدينة كسوشيميلكو وقبيلة الاوتومي. وكان هذان العاملان حاسمين استراتيجياً. وقد امتدت موجة «التأييد» إلى ايزتابالابا وشوروبوسكو ومكسيكالسنغو وغيرها من مدن وقرى البحيرة. وقد طلب كورتيث من ابناء هذه القرى ان يساعدوه في الحصار وان يشيدوا له مدينة-حصنا في كسولوك.

وهكذا كان القتال يستمر رتيباً، ولكن خطراً، حول الثغرات التي يفتحها المقاومون في طوق الحصار. وكتب كورتيث إلى الامبراطور يقول: «وكان الاسبان يتعبون في قتال النهار إلى حد انهم لم يكونوا يقوون على الحراسة ليلاً».

وكان الجنود يرفضون بناء السور عند الثغرات، ويشعرون بالخزي ان يقاتل الآخرون فيما هم يعملون. وتمكن كورتيث والفارادو من النفاذ إلى داخل المدينة والقيام بعمليات قتل وتدمير. وأدى هذا إلى قيام تنافس بين الجيشين على الوصول أولاً، على أساس أن الوصول إلى احتلال السوق سيؤدي إلى انهيار المقاومة، على حد اعتقاد الاسبان. وبنتيجة ذلك ارتكب الفارادو حماقة خطيرة: فقد اجتذبه المكسيكيون الذين تظاهروا بالتراجع على عجل ونسي أوامر كورتيث المتكررة بأن لا يترك ثغرة في صفوفه الخلفية حين يتقدم. وهكذا ضربه فجأة في تاكوبا جيش من المكسيكيين الاحتياطيين، وقطعت الطريق التي سلكها، ولم يبق الا طريق يؤدي إلى فخ خطر. فالثغرة الوحيدة التي اتيحت لرجاله وهم عائدون، كانت تسمح لهم بالفرار سباحة في الوقت الذي كان فيه المكسيكيون في زوارقهم، ينتظرونهم للقضاء عليهم. وقد أسر خمسة اسبان تم تقديمهم قرباناً. وكاد برنال دياز نفسه ان يقع في الفخ لولا معجزة.

واستاء كورتيث جداً لأنه رأى في ما حدث دليلاً على الاستهتار بالاوامر المتكررة التي أصدرها. بسد كل

معطف الامبراطور موكتيزوما المصنوع من الريش: آية في الصناعة اليدوية.



الثغرات في السور. فقصد الفارادو، لكنه فوجيء بالتقدم الكبير الذي احرزه هذا على الأرض، وبالعدد الكبير من الجسور التي كان يسيطر عليها باستمرار. وهكذا زال استياؤه على الفور. ولعل في هذا السرور المتسرع الخطوة الأولى إلى القرار الذي دفعه إلى أخطر فشل تعرض له.

.. وهزيمة اسبانية منكرة

فقد كان نجاح الفارادو باهظ الثمن على أية حال نظراً لتصميم المكسيكيين وثباتهم وصمودهم. لقد سقط في الاسر ١٨ أسيراً من رجال الفارادو الاسبان، و ٥٣ من رجال ساندوفال. وكان الاسبان يرون من مراكزهم زملاءهم يصعدون إلى النصب الذي تجري عليه الاضاحي. ومع ذلك فان كورتيث قد وجد جنوده مستائين، لا بسبب صمود الهنود، بل بسبب تقدم ألفارادو وقاوم كورتيث هذه الضغوط، لكنه عاد ورضخ لها. وسلم قيادة بعض قواته إلى الدريتي، مأمور مالية الامبراطور، وهو أمر ندم عليه فيما بعد. وحدد موعد هجومه يوم الأحد ٣٠ حزيران (يونيو) بعد القداس. وكان الأمر الأهم هو «سد الثغرات جميعا في المؤخرة».. وكان الهجوم الأول ناجحاً. فقد وصل الفارادو وساندوفال إلى تخوم سوق المدينة. وحققت مجموعات كورتيث الثلاث نجاحاً مماثلاً. ولكن في ظروف امتنع كل من كورتيث وبرنال دياز عن روايتها بوضوح، انقلب انسحاب إحدى الطلائع إلى كارثة، بسبب عدم سد احدى ثغرات السور. وكاد كورتيث ان يقتل في هذه المعركة، لولا أحد الهنود الحمر المتحالفين مع الاسبان. وفي خضم القتال المستعر، استخدم المكسيكيون الحرب النفسية بذكاء شديد. فقد القوا على تجمع جنود كورتيث رؤوس ستة اسبانيين، وأعلنوا ان الفارادو وساندوفال قد قتلوا. واستخدموا الخدعة ذاتها بين جنود الفارادو. وعندما أسرع ساندوفال، حاملاً جراحه إلى كورتيث ليؤنبه على الهزيمة، اشتكى له كورتيث والدمع في عينيه قائلاً: «انه الدريتي. لقد اعتمدت عليه لسد هذه الثغرات، لكنه لم يفعل، لأنه لم يألف الحرب أو تلقي الأوامر من الضباط».

ولم يجد كورتيث سوى المناشدة ليكف رجاله عن

القتال الذي كان استمراره ينذر بافنائهم ، في وقت كان فيه صوت طبول الاضاحي يكلل هامة ذلك النهار الأحمر ، ارضاء لالهة الملح فيكسوتوسيواتل.

انهيار سريع ودموي

بعد هذا الفشل الذريع استمر الحصار ، لكن الهجمات توقفت مؤقتاً ريثما يضمد الاسبان جراحهم ويعيدون تنظيم صفوفهم ويرممون ترسانتهم. وقضت خطة كورتيث ، بأن يهدم كل بيت يؤخذ من المدينة ، التي وصفها هو نفسه في رسالة إلى الامبراطور بقوله « انها أجمل شيء في العالم ». وفي الجهة الشمالية ، كان الفارادو يتقدم ، حتى سيطر على تيوكالي ، الهيكل الهرمي ، المطل على المدينة ، واستطاع ان يتصل بكورتيث الذي صعد إلى الهيكل ليجد رؤوس رجاله الذين ضحى بهم المكسيكيون لاله الحرب. وكان الحصار قد استمر طوال شهرين ، حتى أكل الاحياء من السكان قشور الشجر. وكان من ينجون من مذابح الاسبان وحلفائهم يموتون جوعاً. وكانت رائحة المدينة لا تطاق. وفي الوقت الذي كان كورتيث ينتظر فيه مقدم كواوتيموك مستسلماً ، ظل الزعيم المكسيكي على صموده ، مفضلاً الموت على الاستسلام.

وأمر كورتيث أخيراً بالهجوم النهائي ، ونقل كواوتيموك مقر قيادته إلى أحد القوارب. وكانت المدينة قد اقتصرت على ما تبقى من بيوت لا تتسع لما بقي من سكان بائسين. وأخذ الأطفال والنساء بأعداد كبيرة يفرون من الجحيم ، فيتلقفهم الاسبان وحلفاؤهم باستقبال متباين ، فيعتقهم البعض ، ويذبحهم البعض الآخر. واعترف كورتيث بمقتل ١٥ ألف مكسيكي من غير المقاتلين ، في هذه الظروف. وفي مرحلة من هذا الحصار حاول كورتيث ان يدعو كواوتيموك إلى الاستسلام ، لكن الزعيم المكسيكي ، كرر موقفه ، مفضلاً الموت على الاستسلام ، فخاطبه كورتيث بقوله : « اذهب إلى شعبك واستعد للموت ».

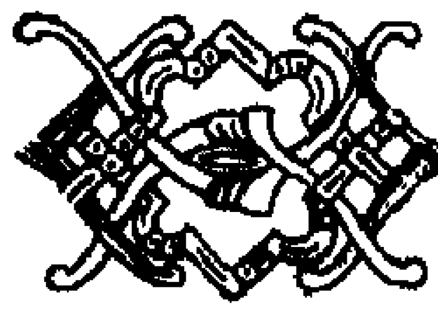
ووقع كواوتيموك في الأسر. واستدعاه كورتيث على عجل ، وأجلسه بقربه. وتكلم كواوتيموك ، فقال للقائد الاسباني : « لقد بذلت كل ما وسعني للدفاع عن مدينتي ، ولم استطع اكثر. وبما انني لم آت اليك إلا مغلوباً على أمري وأسيراً ، خذ هذا الخنجر من وسطك ، واقتلني في الحال ». وامتدت يده إلى السلاح ، وانحدرت دمعة ساخنة على وجهه. غير ان كورتيث امتنع عن الاستجابة ، وأرسل في طلب نساء وابناء كواوتيموك.

في ذلك اليوم هطلت أمطار غزيرة ، وخيم سكون الموت عميقاً ، حتى خيل ان العالم كله أصيب بالصمم.

غير ان وعود كورتيث باكرام كواوتيموك لم تصمد طويلاً. فقد لجأ القائد الاسباني إلى تعذيب الزعيم المكسيكي لاجباره على البوح بمكان الكنوز المكسيكية التي كانت قد خبئت بعناية قبل القتال. وأرسل كورتيث الحصة التي تعود إلى الامبراطور شارلكان ، من المغانم ، بحراً. فاعترضها قرصان يعمل لحساب فرانسوا الأول ملك فرنسا واستولى عليها. وهكذا انتهت هذه الثروة في الخزائن الفرنسية. وسميت المكسيك « اسبانيا الجديدة » ، لكن قصة استبسالها ظلت أمثولة لا تفنى للبطولة والاباء ●

انتهى

(عن مجلة « التاريخ للجميع » الفرنسية)



النوابغ في شبابهم

- عندما بدأ الاسكندر المقدوني زحفه على الشرق ، وقاد جيوشه الظافرة في الميادين ، كان عمره ١٦ سنة.
- وفي سن الخامسة عشرة ، قدم الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو قصيدته الأولى الى المجمع الادبي لمنح عليها جائزة.
- وكان الموسيقي موزارت يعزف في بلاط برلين وهو في السابعة عشرة.
- وعندما قادت جان دارك جيشها لتحرير فرنسا ، لم تكن بعد قد بلغت الثامنة عشرة.
- وفي العشرين ، بدأ بتهوفن يؤلف الحانه الخالدة.
- وعندما كتب شيللر روايته « دي روبر » كان عمره ٢٢ سنة.
- وكان نيوتون قد أذاع اكتشافاته العلمية وأصبح يعد من كبار العلماء وهو ما يزال في الرابعة والعشرين.

قبل ٢٥ سنة

تموز (يوليو) ١٩٥٤



● الرئيس الحبيب بورقيبة.

● الرئيس عبد الله اليافي..



إعداد : إيمان نويهض

٣ آب.

● الاخوان المسلمون يعلنون عن معارضتهم لاتفاقية الجلاء عن قناة السويس التي وقعها رئيس الوزراء المصري جمال عبد الناصر.

٤ آب.

● بعد اعلان نوري السعيد عن تشكيل حكومة عراقية جديدة احتفظ فيها بمنصب وزير الدفاع. الملك فيصل الثاني. ملك العراق. يعلن عن حل البرلمان العراقي.

● الحبيب بورقيبة يطالب بتمثيل كافة الاتجاهات وحتى الأقلية في الحكومة التونسية القادمة.

٦ آب.

● وصول جمال عبد الناصر. رئيس الوزراء المصري. الى مكة المكرمة لقضاء فريضة الحج وحضور مؤتمر اسلامي يعقد فيها لطرح قضية الوحدة العربية والاسلامية.

٧ آب.

● بعد محاولات عديدة نجح طاهر بن عامر في تشكيل حكومة تونسية جديدة من عشرة أعضاء ٤ من حزب الدستور الجديد، ١ إشتراكي، و ٥ مستقلين.

● عودة الرئيس السوري السابق شكري القوتلي الى دمشق بعد نفي طوعي الى القاهرة لمدة خمس سنوات.

٨ آب.

● زعماء وطنيون مغربيون يطالبون المؤتمر الاسلامي في مكة بتبني مطالب الشعب المغربي الداعية الى

وقف القمع الفرنسي والمطالبة بالاستقلال واعادة تثبيت السلطان المخلوع سيدي محمد بن يوسف سلطاناً للمغرب.

١٠ آب.

● حزب الدستور الجديد في تونس يرحب بقرار فرنسا اعطاء تونس حكماً ذاتياً ويطالب بنظام ديمقراطي يضمن السيادة التونسية. ويحافظ على المصالح الفرنسية شرط عدم تعارضها وحقوق الشعب التونسي.

١٥ آب.

● الصاغ صلاح سالم، وزير الارشاد القومي في مصر، يسافر برفقة محمد رياض، مسؤول الشؤون العربية في وزارة الخارجية، الى بغداد لاجراء محادثات مع المسؤولين العراقيين في محاولة لتقريب وجهات النظر وتخفيف التوتر بين الدولتين.

١٧ آب.

● انتهاء المحادثات العراقية – المصرية باتفاق كامل حول أغلب المسائل وتصميم على تجاوز العقبات التي تقف حاجزاً بين الدول العربية.

٢١ آب.

● جمال عبد الناصر، رئيس الوزراء المصري، يعلن عدم ارتباط مصر بأي حلف دفاعي أو هجومي مع بريطانيا، كما يعلن استعداد مصر لقبول المساعدات الأميركية أو البريطانية دون أية شروط.

٢٢ آب.

● أعلن موشي شاريت، رئيس الوزراء الاسرائيلي، أن اسرائيل تعارض سياسة الولايات المتحدة بتسليح الدول العربية مؤكدة أن اتفاقية الجلاء البريطاني عن السويس أخلّ بموازين القوى في الشرق الأوسط.

٢٤ آب.

● الحكومة الأميركية ترفض تمويل مشروع نهر الليطاني في جنوب لبنان مع العلم أن المشروع قد وضع من قبل النقطة الرابعة الأميركية.

٢٧ آب.

● عبد الله اليافي، رئيس الوزراء اللبناني، يغادر الى بغداد لاجراء مباحثات مع المسؤولين العراقيين.

الفراعنة والرياضة

٢

د. سيد كريم



المبارزة والتجذيف .. ألعاب الكرة والجمباز والرياضات الذهنية والروحية

● لا شك في أن ألعاب المصارعة التي بدأت مع الحضارة الفرعونية من عصور ما قبل التاريخ هي النواة التي تفرعت منها الكثير من الألعاب الرياضية فظهرت المبارزة التي كانت تطوراً طبيعياً لبعض أنواع المصارعة بعد أن أدخلت في التدريبات العسكرية وتمارينها واستعراضاتها فظهرت المصارعة بالأسلحة أو المبارزة مع بداية الدولة الحديثة وكانت أولى أسلحتها العيدان الخشبية ذات الرؤوس المدببة والأسياخ المعدنية والتي لم تكن تختلف عن المبارزة بالشيش المعروفة حالياً وكان المتبارزون يغطون رؤوسهم وأذقانهم بأحزمة وخوذات من الجلد وفي كثير من الحالات كان اللاعبون يحمون سواعد دفاعهم بأربطة جلدية يتلقون بها الضربات. بجانب مبارزة الشيش ظهرت أنواع مختلفة من المبارزة بالخناجر والمبارزة بالسيوف.

تعد ألعاب المبارزة بالسلاح بصفة عامة امتداداً «للتحطيب» الذي كان من الألعاب والمباريات الشعبية المستحبة والشائعة بين المصريين من أقدم العصور وخاصة في الريف وكانت تلعب بعصيّ اختلف تصويرها.

كانت في أول ظهورها تستخدم عيدان الغاب التي تنمو على شواطئ النيل ثم استعملت عيدان سعف النخيل وعندما انتقلت إلى المدن صنعت لها عصي خاصة خلال الدولة القديمة من سيقان الأخشاب الصلبة. وتزود العصا بمقبض جلدي كما كان اللاعب يتلقى ضربات خصمه بترس صغير ضيق يشده إلى ذراعه اليسرى بشريط من الجلد مماثل لما ظهر في المبارزة بالأسلحة وقد تفنن المصريون في فن التحطيب في الدولة الوسطى فظهرت أشكال مختلفة للعصي اختلفت في الطول والسمك وقد ينزل اللاعب إلى المباراة بعصوين واحدة يضرب بها وأخرى يرد بها ضربات خصمه.

لقد اقترنت كل لعبة من ألعاب الفروسية والمبارزة والتحطيب برقصات توقيعية خاصة ابتكروا حركاتها من حركات الألعاب نفسها كانوا يقومون بها بمصاحبة الفرق الموسيقية في الأعياد وحفلات الترفيه التي تعقب المباريات والمسابقات.

● لقد ظهر ضمن صور المصارعة في لوحات سقارة وبني حسن وما ارتبط بالمصارعة من ألعاب، رياضية ابتكرها المصري القديم فكان له قصب السبق في اكتشافها ووضع أصولها: حمل الأثقال، إذ صورت النقوش كيف كان يتدرب الشباب على رفع أكياس خاصة من الرمل إلى أعلى بطريقة النطر بيد واحدة، أو أن يرفع كل منافس خصمه المماثل له في الوزن بيديه إلى أعلى في وضع أفقي.

ولمصارعة الثيران والقفز فوقها صور من الدولة القديمة وجدت في مقابر الأسرة الثالثة بسقارة ومما هو جدير بالذكر أنه قد وجدت صور مماثلة لها بتفاصيلها في حفريات كريت التي ظهرت بعد الدولة القديمة بألف وخمسمائة عام كما ظهرت صورها أيضاً في الحضارة الاغريقية التي ظهرت بعد الحضارة الكريتية بخمسمائة عام. وقد نقل كل من الحضارتين الكثير من الألعاب الرياضية المصرية التي كانت معروفة في ذلك الوقت وكان لها الفضل في انتقال الرياضة من مصر إلى العالم الحديث بأكمله.

● السباحة وألعاب الماء

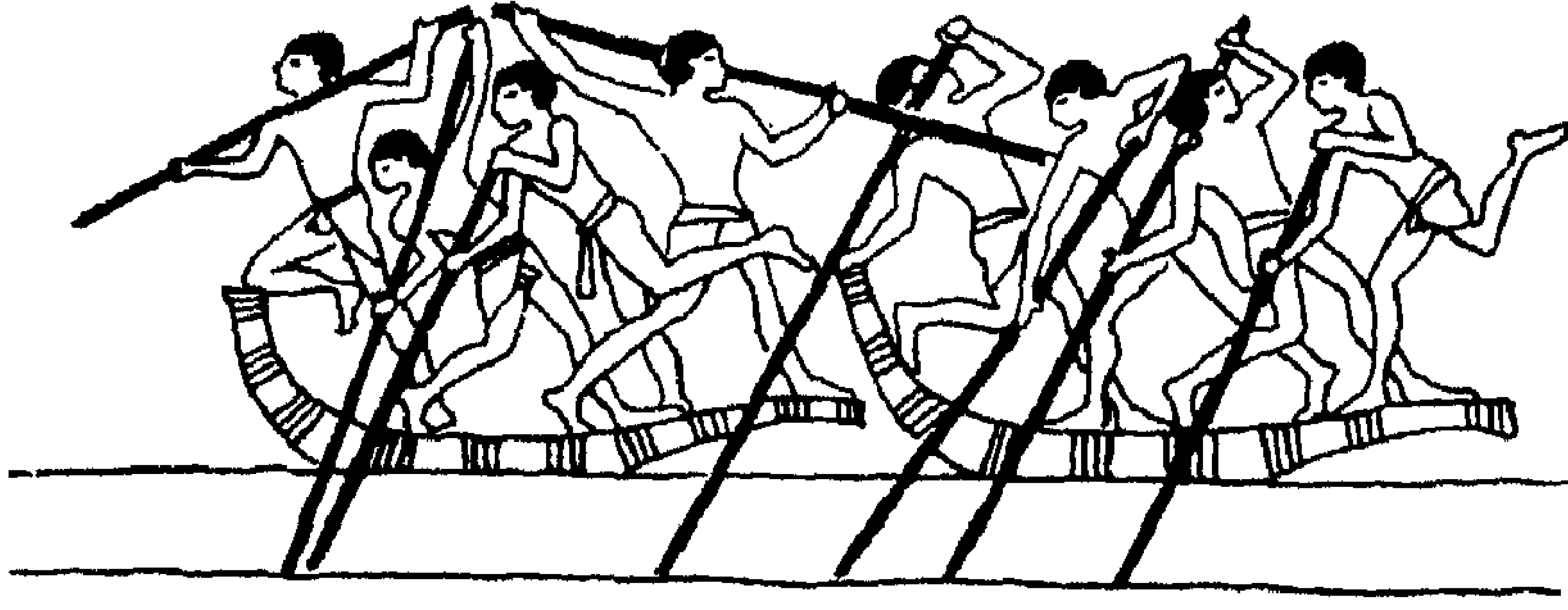
كانت للسباحة هوايتها التي ظهرت من أقدم عصور تاريخ الفراعنة. وقد خلفت لنا نقوش مقابر الدولة القديمة وكثير من أوستراكا الدولة الوسطى العديد من الصور والرسوم التي تعبر عن اهتمام المصريين بالسباحة واتقانهم لها وشغفهم بها. فوضعوا لممارستها القواعد والأصول الفنية التي ظهرت في نقوشهم ووصفوها في كثير من أساطير أدب قصصهم، وصفوا اللقاءات والمباريات بين الشباب في أحواض السباحة وبرك البردى والبحيرات المقدسة. صوروا قصص سباقات السباحة تحت الماء ومباريات الغوص لالتقاط قطع الحلي التي تكون من نصيب من يلتقطها من أعماق البحيرات والنهر المقدس في مناسبات الأعياد المقدسة وعيد حتحور إلهة الحب والجمال. ووصف الكاتب القديم مهارة شباب الريف في مباريات السباحة لعبور النيل في عيد الاله حعبي إله النيل. ووصفت إحدى البرديات الأرقام القياسية التي حققها المتبارون في عدد مرات عبور النهر بغير توقف أو السباحة الاستعراضية الطويلة في مرافقة سفينة حورس المقدسة وهي تنتقل في النيل بين إدفو ودندرة في عيد زواج حتحور من حورس.

ومع رياضة السباحة ظهرت رياضة التجذيف التي برع فيها المصريون ابتداء من ملازمتها لرياضة الصيد كما سبق ذكرها. وقد تفنن المصريون في صناعة مختلف أنواع سفن التجذيف والقوارب الشراعية وكانت هواية التجذيف من الهوايات المفضلة والمستحبة عند النساء والرجال على السواء. وكانت للنساء قوارب خاصة تفنن المصري القديم في صنعها وزخرفتها. كن يخرجن للتجذيف بها في بحيرات البردى بالفيوم والدلتا وعلى صفحة النيل وفي الأحواض الخاصة بالقصور في مختلف المناسبات والأعياد وتصاحب ضربات المجاذيف دقات الطبول والدفوف وآلات الموسيقى وأصوات الغناء مما كان مادة خصبة لكثير من أدباء وشعراء الدولة القديمة في وصف كثير منها.

ومن الرياضات المائية التي ابتكرها المصريون ما أطلق عليه اسم مبارزات القوارب. كانت المباراة تبدأ عندما يتقابل قاربا الفريقين المتنافسين فيتضاربان بعمد طويلة يحاول خلالها كل فريق اسقاط منافسيه في الماء. وهناك مباريات مماثلة كان سلاح المتبارين فيها أكياس من الجلد أو الكتان..

● ألعاب الكرة

● الكرة.. أقدم أدوات اللعب التي ابتكرها المصري القديم من أقدم الأزمان.. صنعها من أكياس نسيج الكتان وحشاها بالقش والخيش وهي المعروفة شعبياً



المباريات المائية أيام الدولة الوسطى

اليوم باسم الكرة الشراب ... وضع للعبتها أصولاً وتقاليد ما زال معمولاً بها إلى اليوم لم يطرأعليها تغيير رغم مرور ستين قرناً على ميلادها ، وأطلق عليها الفراعنة اسم «حري سنو» أي مرتين إلى الخلف و «داوا سنو» أي الرمية الخامسة. ما زالت تلك الأسماء والتعبيرات يطلقها عامة الشعب المصري على الكرة الشراب إلى يومنا هذا.

كما أن لعبة «الحكشة» الريفية التي استعملوا فيها مضارب للكرة صنعوها من جريد النخيل المفرطح الطرف ، أو سيقان الخيزران بجذوره الصلبة المعقوفة ما هي إلا لعبة الغولف العالمية بعصيها وطريقة لعبها. وحتى تتحمل الكرات ضربات العصي الصلبة الأطراف فقد هداهم التفكير إلى كسوتها بجلد الماعز ثم تطورت صناعة الكرات المختلفة الأحجام والأغراض إلى كسوتها بمختلف أنواع جلد الحيوان خاصة ما كانوا يستعملونه في الألعاب المائية.

كانت ألعاب الكرة بأنواعها التي تفننوا في ابتكار وسائل وطرق لعبها من الألعاب المحببة إلى الشعب بجميع طبقاته. فكانت هناك ألعاب الكرة الخاصة بالأطفال التي تجمع بين التسلية واللهو والتربية الرياضية اللازمة لبناء أجسامهم على اختلاف أعمارهم وهناك ألعاب خاصة بالبنات والنساء تجمع بين الرياضة البدنية وألعاب الجمباز والرقص التوقيعي صوروا الكثير منها على جدران مقابر بني حسن وسقارة منها الألعاب الثنائية أو المشتركة التي تشترك فيها مجموعة كبيرة من اللاعبات. ومن بين الألعاب المعروفة لعبة الحصان حيث تمتطي كل لاعبة كتفي زميلة لها وتتقاذف اللاعبات الطائرة برشاقة ومهارة واللاعبة التي تهزم تقوم بدور الحصان في حمل زميلتها لمواصلة المباراة.

كما استعمل المصريون في لعب الكرة أنواعاً مختلفة من المضارب الخشبية يشبه بعضها مضارب كرة الشاطئ والبنغ بونغ كما كسوا بعضها بالجلد أو سيور الجلد ونسيج الليف التي تشبه مضارب التنس الحالية ، كما ابتكروا ألعاب الرماية بالكرات وكانوا يضعون لها أهدافاً من التماثيل الخشبية أو لوحات مزينة بمختلف الرسوم والنقوش.

● ألعاب الجمباز والأكروبات

برع المصريون القدماء في ألعاب الجمباز والألعاب الاستعراضية. وقد حفظت نقوش صور الحياة اليومية التي تزين جدران كثير من مقابر الدولة القديمة والدولة الوسطى مجموعات قيمة من استعراضات ألعاب الجمباز الجماعية التي تشترك في بعضها الفتيات مع الشبان وتجمع حركاتها الكثير من حركات الأكروبات المعروفة حالياً بأوضاعها الفنية التي تجمع بين الرشاقة والتناسق وكانت هناك أنواع خاصة من الاستعراضات للحفلات الدينية وأعيادها تجمع بين الحركات التوقيعية والتمثيلية التعبيرية كرقصات الباليه. وكانوا في حفلات الاستعراض والمباريات يرتدون أزياء رياضية موحدة تتشابه مع أزياء الرياضة الحالية ويتألف الزي من ازار نصفي محبوك على الخصر ومثبت بحزام عريض يحمل شارة الفريق الذي ينتمي إليه اللاعب وأشرطة عريضة يربطها كل لاعب حول معصميه ورسغيه. كما كان للمدربين والمحترفين زي خاص يميزهم عن بقية اللاعبين.

● رياضة العقل : الرياضة الذهنية

كانت لعبة الضامة أو الشطرنج من أقدم ألعاب الرياضة الذهنية التي كان الملوك وعلية القوم يتبارون في ممارستها وكانت اللعبة المفضلة عند الكثير من الفراعنة والكهنة وكانوا يحتفظون بنماذج منها في مقابرهم ضمن الأثاث الجنائزي ، كما سجلت رسومها وصورها على حوائط كثير من المقابر ضمن صور الحياة اليومية لأصحابها ، وقد وصل الكثير من نماذجها سواء ما وجد منها في حفريات

العصر العتيق والدولة القديمة بسقارة أو في مقابر الدولة الحديثة ، كان الفنانون يتبارون في تصميم أشكال مناضدها ووحدات قطعها ومن أجمل أمثلتها ما وجد في مقبرة توت غنج أمون .

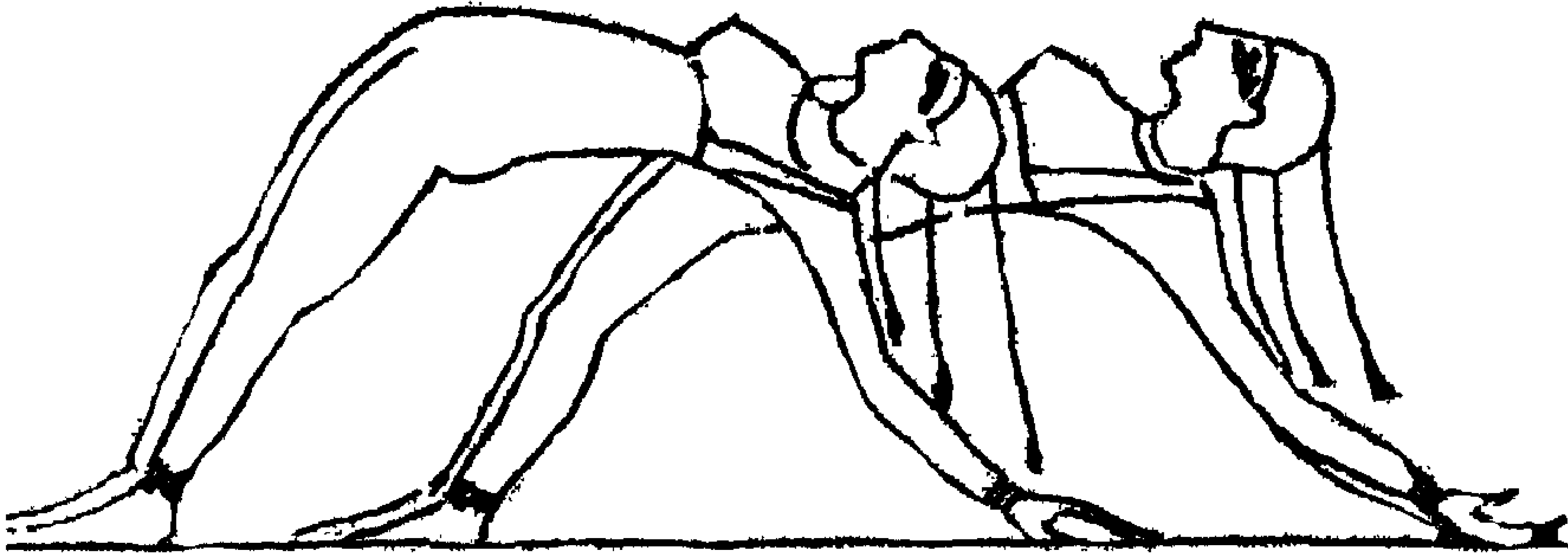
وكانت لوحة الشطرنج أو الضامة المصرية مقسمة إلى ١٨ و ٣٠ و ٣٦ مربعاً تميز عن بعضها البعض بالألوان أو الرموز والأرقام .

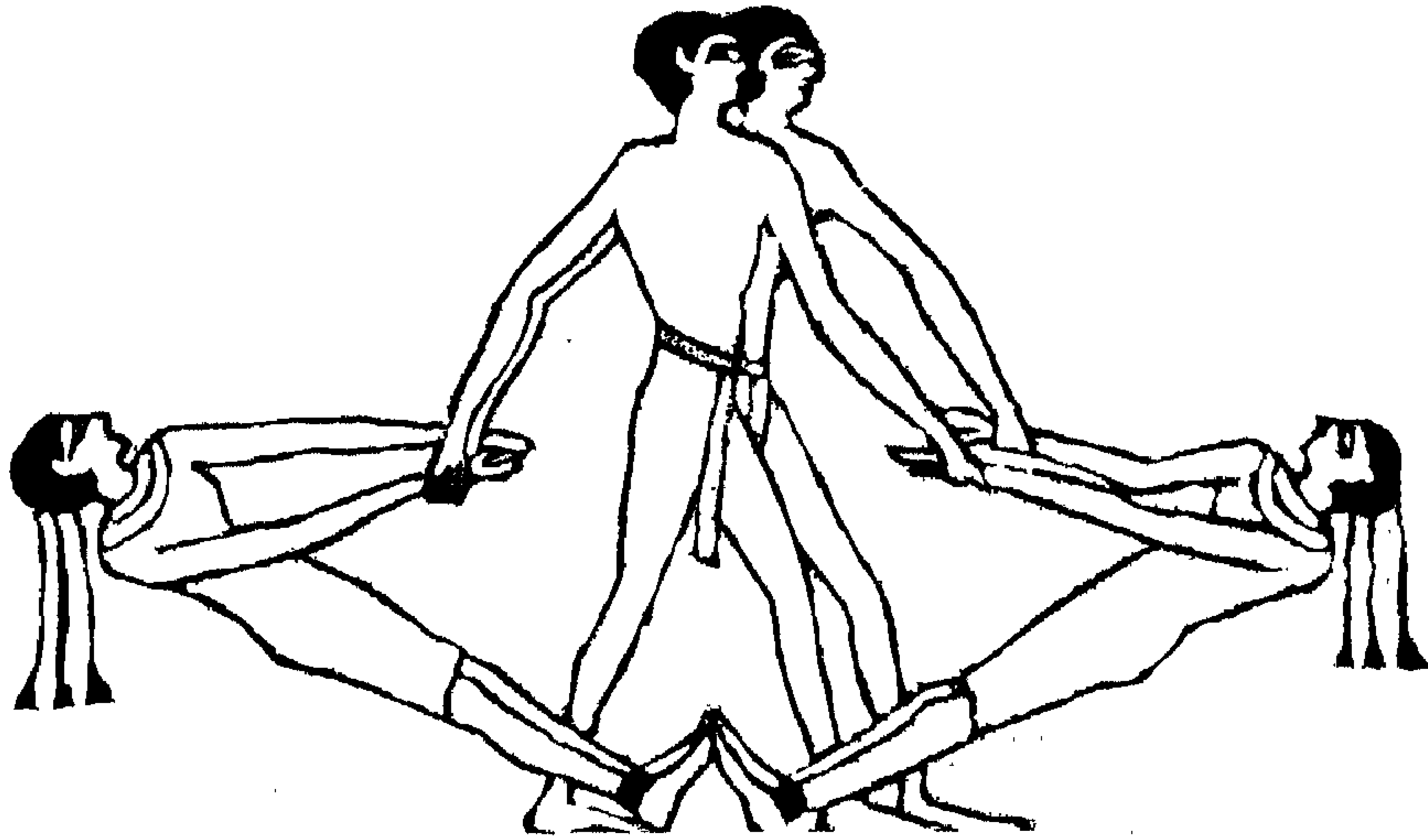
وكانت قطعها تصنع على هيئة الناقوس والمخروط ونصف الكرة كما كانت تشكل بعض قطعها بأشكال انسانية وحيوانية تصنع من العاج والابنوس والخشب ويختلف لون كل مجموعة عن الأخرى . كما تفنن المصريون في صناعة مناضد اللعب وخزائن حفظ القطع . وكان بعضها يصنع على شكل مناضد متحركة تفتح وتغلق بطرق فنية مبتكرة وبها أماكن رص القطع .

كما كانت منضدة اللعب التي تعد من أهم التحف الفنية التي يحتفظون بها في مجالسهم تضم خزائنها أكثر من لعبة من مختلف الألعاب الذهنية وألعاب التسلية حتى يشترك في اللعب أكثر من شخصين من الضيوف وأصحاب الدار كل على حسب هوايته .

لعبة الدومينو المعروفة حالياً وجدت لعبة مماثلة لها بأحجارها وترقيمها في احد مقابر الأسرة الثانية ومن الألعاب التي كانت شائعة في الدولة الحديثة لعبة يطلق عليها اسم «الكلب والثعلب» ولوحتها على شكل الدرع يتوسطها رسم نخلة وتتضمن لوحتها ٦٠ تجويفاً يساير عشرون منها جانبي ساق النخلة . وتعاقبت الأربعون الأخرى حول حوافها . أما أوتادها فهي على شكل دبابيس عاجية طويلة تشكل رؤوسها على هيئة رؤوس الكلاب والثعالب .

لقد خلف لنا الفراعنة عدة نماذج أخرى لبعض الألعاب الذهنية المعقدة أو ما أطلق عليها اسم ألعاب الذكاء والتي تعتمد على الذكاء والخبرة . ولكن لم تصل إلينا للأسف تفاصيل طرق اللعب الخاصة بها .

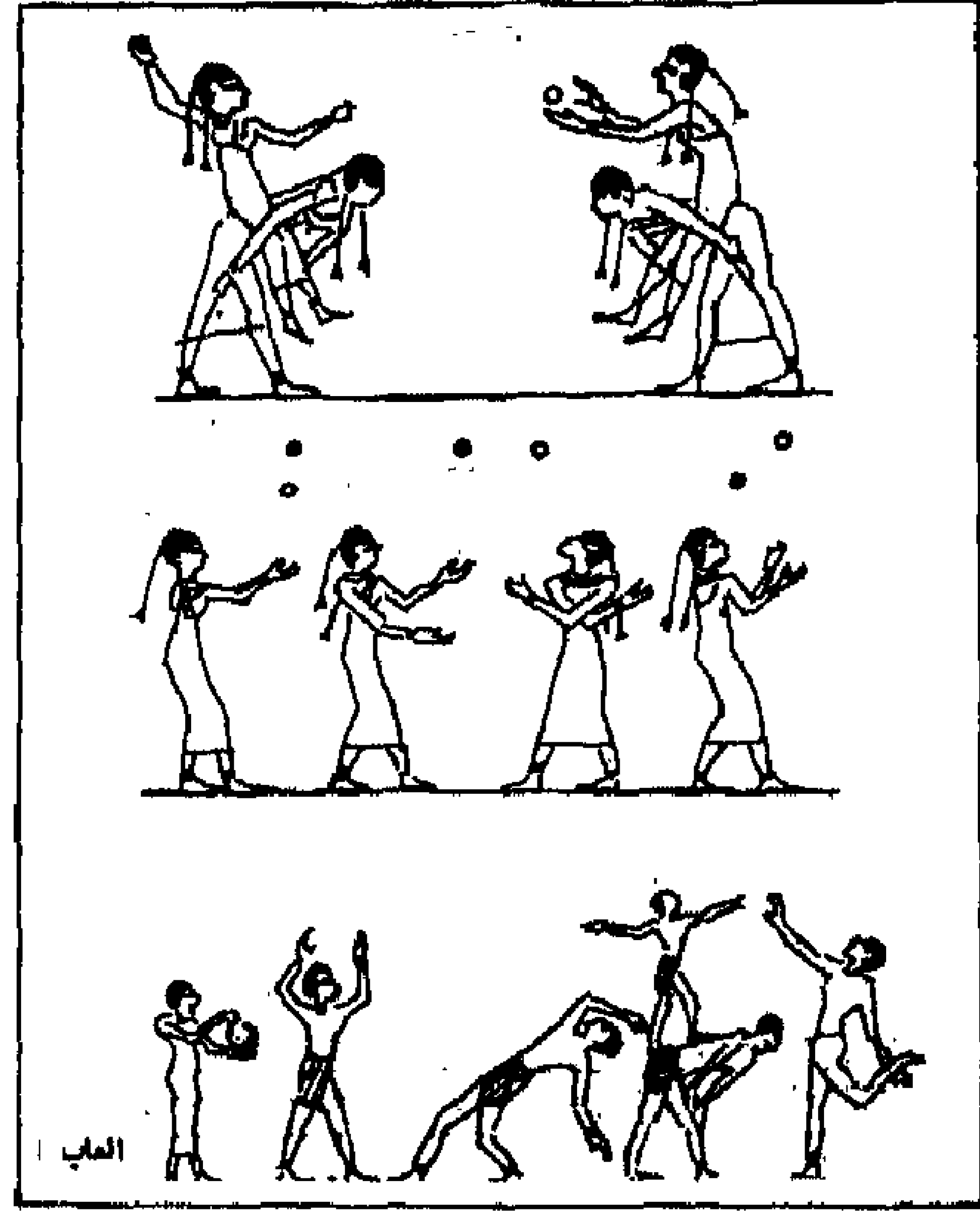




ألعاب الجمباز

● رياضة الروح : الرياضة النفسية

● ان رياضة الروح أو رياضة النفس كانت تلقن كعلم قائم بذاته له تعاليمه وطقوس ممارسته التي يعبر عنها بالرقص الديني. وكانت جزءاً لا ينفصل عن الخدمة الدينية سواء في المعابد أو خارجها في الحفلات الدينية... وقد وصفوا الرياضة الدينية وحركاتها بأنها من الفنون الراقية التي يمارسها الآلهة والتي تستمتع بمشاهدة طقوسها. وان حركاتها هي لغة التخاطب مع الآلهة. ففيها ما يعبر عن الدعاء أو الاستمالة أو الاستجابة أو طلب الحماية وابعاد قوى الشر.



ألعاب الكرة والبهلوان

ويصف بعض علماء اللاهوت طقوس الرقص الديني بأنه نوع من الصلاة كما هو الحال في كثير من الأديان التي تعتمد طقوس الصلاة بها على الحركات الجسمانية والتوقيعية التي تصاحبها الأنغام الموسيقية والأناشيد ومنها ما كان يعبر عنه بالرقص الطقسي الذي يعتبر من الطقوس الدينية الجنائزية ومنها الرقص التمثيلي الذي تمثل فيه الحوادث التاريخية الدينية وأساطيرها ومظاهرها المختلفة بما يشبه التابلوهات التعبيرية الحية في فن الباليه الحديث. وتمتد طقوس الرقص الديني من الحركات التعبيرية والتوقيعية الهادئة إلى الطقوس التي تشبه حركات الذكر الحديث.. ان لم تكن الأخيرة امتداداً طبيعياً لها والتي تسير مواكبها حاملة الطبول أو الدفوف وسعف النخيل والسيوف لطرد الأرواح الشريرة التي تعترض الموكب أو تعوق مسيرته. وما حفلات الزار الحالية وما يصاحبها من حركات هستيرية إلا امتداد لطقوس مماثلة من أنواع الرقص الديني أو الرياضة الروحية التي قصد بها طرد الأرواح الشريرة وشفاء الأمراض المرتبطة بها والتي ارتبطت بعلاقة السحر بالعقيدة وطقوسها. وقد حاول بعض علماء العصر الحديث في علوم الرومانيات دراسة علاقة الأوضاع والحركات الرياضية التي ترتبط بتلك الطقوس. بالتأثيرات والمؤثرات الطبيعية والكونية.

لقد كشفت رياضة الروح والنفس عند قدماء المصريين عن أن رياضة اليوغا كانت معروفة عندهم وكان لهم السبق في ممارستها وأنها كانت من الطقوس الدينية. وقد وجدت صور كثيرة من أوضاع اليوغا في نقوش مقابر حفريات الدولة القديمة قام ببحثها العالمان الفرنسيان سانبوسي ولوبري في البحوث التي قام بها كل منهما عن أصول اليوغا وتعاليمها وتاريخ نشأتها. وأثبتا أن كهنة الفراعنة كانوا أول من وضع أسس اليوغا وانهم قاموا بممارستها ضمن طقوسهم المقدسة ابتداء من الأسرة الأولى نفسها أي حوالي عام ٣١٠٠ ق.م.

كما كشف البروفسور لوبري ان أول أوضاع اليوغا وهي رفع الذراعين إلى أعلى لاستقبال القوى الكونية أو علاقة الروح بالقوى العليا عبر عنها قدماء المصريين بعلامة «الكا» أي النفس التي صوروها على شكل ذراعين ممدودتين إلى أعلى تشيران إلى السماء. كما ذكر سانبوسي ان تماثيل فراعنة مصر في مختلف العصور تشترك جميعها في وضع واحد معين وهو التقدم بالساق اليسرى إلى الأمام وقبضة كل من اليدين على قطب مغناطيسي وهي من تمارين تعاليم اليوغا التي تعمل على سيطرة الشخص بقوته وشخصيته على من يقف أمامه.

كما كشف في الوقت نفسه علاقة الحركة في النحت الفرعوني وصور الآلهة وأوضاعها باليوغا أو الحركات المقدسة والتي وجدها لأوضاع معينة وثابتة لم تتغير بتغير فن النحت والتصوير وطابعه من عصر إلى آخر كما هو الحال في الأوضاع الثابتة لتماثيل الملوك وقد لعبت اليوغا دوراً كبيراً في السحر في مختلف العصور الفرعونية عندما كان كهنة السحر يحتفظون بأسرارها وطرق ممارستها داخل أسوار معابدهم.

وهكذا كان ارتباط الرياضة بالعقيدة هو الذي مهد لخلودها بوضع التشاريع الثابتة لأصولها وقواعدها فتمسك بها الشعب وحافظ عليها لتصبح من تقاليده الموروثة ومن المقومات المميزة لحضارته. وجعل ممارستها من أركان العقيدة لسلامة النفس والعقل والجسد.

نادى العالم بسلامة الجسم لسلامة العقل.

ونادى المصري القديم بسلامة الجسم لسلامة العقل وسلامة النفس ●

انتهى

تاريخ الشطرنج

الهند (٢)

بقلم محمد مراد سكر



الهند تتحدى اذكياء فارس .. بالشطرنج

يروى الفردوسي في الشاهنامة القصة التالية نقلها كما جاءت في الجزء الثاني من الطبعة الأولى الصادرة سنة ١٩٣٢م.

قال صاحب الكتاب: جلس أنوشروان ذات يوم على تخت السلطنة في مجلس حضرته ملوك الأطراف وارباب الدولة، وأعيان الحضرة. فجاء بعض الحجاب وأعلمه بوصول رسول من صاحب الهند وفي صحبته الف جمل باحمالها. فأذن له فدخل وخدم وأثنى على الملك ونشر بين يدي التخت جواهر كثيرة. ثم عرض ما استصحبه برسم الهدية. وكانت من جملتها مظلة مرصعة بالجواهر وعشرة أفيال. ثم حل الاحمال فكانت مشتملة على الذهب والفضة والعود والكافور وسائر أنواع الجواهر. فعرض الكل عند

التخت، ثم جاء بكتاب مكتوب على الحرير وتخت للشطرنج. فقال: أن الراي - يعني ملك الهند - يقول: ليأمر الملك اعلم أصحابه واذكى من على بابه أن يضع هذا التخت قدامه، وينظر فيه، ويلعب بهذه التماثيل على الصحة، ويذكر اسم كل واحد منها ويضعه في بيته من الرقعة، ويعرف كره وفره. فان قدرتم على استخراج ذلك، التزمت الخراج ونفذته الى الخدمة. وان عجزتم عن ذلك فلا تلزمونا الخراج والتزموه. فحق عليكم أن تقدموا العلم ولا تتقدموه.

قال: فاخذت تلك الرسالة بمجامع قلب انو شروان، فاستحضر النطع والتخت، وشاهد تلك التماثيل، فرأى بعضها منحوتاً من الساج والبعض مخروطاً من العاج. فسأله عنها فقال: أن هذا موضوع على رسم القتال وآيين الحرب بين الرجال، فاقبل الملك على علمائه وموابذته، وقال: عليكم باستماع ما يقول هذا الرسول، واستخرجوا المكنون من السر. فتقدم بزرجمهر وبسط النطع، وأخذ يتفكر. فعبى تلك التماثيل صفوفاً: فجعل الشاه في القلب، ورتب على يمينه دستوره، يعني الفرزان، ورتب الميمنة والميسرة، وقدم الرجالة، يعني البيادق، بعد أن قام على كل طرف من الرقعة مبارزاً، يعني الرخ، ورتب الفيل والفرس من جانبي الشاه، فسوى صفوفها حتى تقابلت وتوازت مثل الصفوف المعباة يوم اللقاء. فلما رأى الهندي ذلك، أظلم في عينه ضوء النهار، واصفر وجهه حتى صار كورق البهار، وتعجب من ذكاء ذلك العالم ومن تفطنه لذلك. فتهللت اسرة وجه أنو شروان، وتوردت وجنتاه، واستبشر بنصب بزرجمهر لتك التماثيل ووضع كل منها في موضعه. فامر له بجام مملوء من الجواهر الشاهية، وبدرة من الذهب، وفرس بسرجه ولجامه. واثنى عليه كثيراً. فقام بزرجمهر وعاد الى منزله فوضع بين يديه التخت والفرجار، وغاص في بحر الفكر، وحذا حذو الهنود في وضع الشطرنج، وتحاوب عساكر الروم فيه والزنج، فوضع النرد بفطنته وذكائه، وأمر بعمل خرزتين من العاج منقطتين بالساج. ورتب له ناوردا كناورد الشطرنج، وسوى الصفوف من الجانبين وقسم العسكرين صفوفاً ثمانية كأنها كراديس متشمرة للقاء. ولما فرغ من ذلك ركب الى خدمة أنو شروان، وذكر له ما وضع. ثم أنهم استمهلوا الرسول سبعة ايام ليستخرجوا كيفية اللعب بالشطرنج. فانزلوه في مكان وأمر انوشروان باستحضار العلماء والموابذة فحضروا وأخذوا في استخراج ذلك اللعب الخفي فطال عليهم الأمر فلم يقدروا. وصعب ذلك على أنو شروان وقال: ان لم يتضح هذا السر أورث علماء ايران وهنا عظيماً. فخلا بزرجمهر بنفسه ونصب الشطرنج بين يديه فبقي يوماً وليلة ينقل تلك التماثيل يمنة ويسرة حتى وقف على كيفية اللعب به. فاظهر ذلك لأنو شروان فقضي العجب من ذلك واثنى عليه. ثم أمر فاوقروا الفي جمل من الأمتعة التي تجلب من الروم والصين وسائر تلك الممالك. ثم استحضر رسول الراي ملك الهند، وأجاب عن كتابه وذكر فيه أنه قد وصل رسولك وعرض ماكان معه من الهدايا والتحف فقبلناها. وأما الشطرنج فانا استمهلنا الرسول اسبوعاً فتجرد الموبذ الطاهر القلب للتفكير في استخراج اللعب به. فلم يزل ينقب ويبحث حتى وقف عليه وعلى استخراج سره الخفي. وقد نفذنا هذا الموبذ الى خدمتك مع ألفي حمل من الاقمشة النفسية ووضعنا النرد بازاء الشطرنج، ونفذناه الى الخدمة. فان فطنتم للعب به فلكم هذه الأحمال، وان عجزتم فاضيفوا اليها مثلها من عندكم ونفذوها الى خزائنتا. والسلام. فسار بزرجمهر بمن معه نحو الهند حاملاً معه النرد الى آخر القصة مما ليس له أية علاقة في الشطرنج.

تاريخ الشطرنج للمسعودي.

وينسب المسعودي (سنة ٩٠٠) م. في كتابه مروج الذهب، هذه اللعبة الى الهند ويرجعها الى الملك بلهيط فيقول في أخبار الهند:

وضع الشطرنج في أيام الملك بلهيط، فقضي بلعبها على النرد وبين الظفر الذي يناله الحازم والبلية التي تلحق الجاهل وحسب حسابها ورتب لذلك كتاباً للهند يعرف بطرق الحكماء يتداولونه بينهم، ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صورة الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق، وجعلهم درجات في مراتب، ومثل الشاه بالمدير الرئيس وكذلك من يليه من القطائع، واقام ذلك مثالاً للأجساد العلوية التي هي الأجسام السماوية من السبعة والاثني عشر، وافرد كل قطعة منها بكوكب، وجعلها ضابطة للملكة، واذا كان عدد من اعدائه فوقعت منه حيلة في الحروب، نظروا من أين يؤتون في عاجل وآجل، وللهند في لعب الشطرنج سر

يسرونه في تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك، وما اليه منتهى العلة الأولى واعداد أضعاف الشطرنج (٦١٥٠٠٠ ١٨٧٤٠٠٠٩٥٠٠٠٥١)، وهذه الألوف لها عندهم معان يذكرونها في الدهور والأعصار وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها أو لليونانيين والروم وغيرهم من الأمم عن الشطرنج كلام ونوع من اللعب قد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ممن تقدم منهم الى الصولى والعدلى، واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر..

... ويشرح البستاني :

● لغوياً

ويروي البستاني في كتابه دائرة المعارف القصة التالية: الشطرنج - قيل هو لفظة فارسية مشتقة من شاه لأنه أهم نقطة في اللعبة، وقيل هو معرب ششي رنك بالفارسية، أي ستة أبواب، وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التي يلعب بها فيه، وقد اختلف في مخترعه وزمن اختراعه، فأرجع الى بعض من مشاهير المؤرخين القدماء السابقين لعصر هيرودوتس وفرجيلوس واورانيوس، وزمن اختراعه الى زمن حرب طرواده. ولكن الشرقيين عارضوهم في ذلك وارجعوه الى الهند، وقالوا أن لعبة الشطرنج وضعت منذ خمسة آلاف سنة ثم انتقلت الى بلاد العجم في عهد الملك كسرى، وأيدوا رواية تذكر السبب الباعث على اختراعه فقالوا :

● تاريخياً

قام في بداءة القرن الخامس من التاريخ المسيحي على مقربة مصب نهر الكنك ملك فتى متصف بكل السجايا التي تكسبه محبة رعاياه وثقتهم به، غير أن المراهنين المقربين اليه جعلوا سجاياه غرضاً لنيال نواياهم الخبيثة ومآربهم الفاسدة، وتمكنوا بالاستمرار في افساد اخلاقه وحببوا اليه التأنق والملاهي واللذات والاسراف، فلها بها أي لهو عن خير رعاياه وما يؤول الى نجاحهم وفلاح المملكة، فساد ذلك الحكماء والمتعقلين ولكنهم لم يجسروا على التفوه بكلمة ولا على معارضته في أمر خشية أن يعرضوا نفوسهم لانتقام اتباعه منهم، ويجلبوا عليهم سخطهم وسخطه، وكان من جملتهم حكيم على جانب عظيم من الخدمة والدراية اسمه سيساك، فجهد نفسه في هداية الملك وتقويم طرقه وإصلاح الخلل قبل أن يلم بالمملكة الخراب والدمار. وان كان يعلم العلم اليقين أن الملوك كسائر البشر لا يطيقون لضعف الطبيعة البشرية تعييب أعمالهم وتخطئه تصرفاتهم صريحا، وأن المقربين لدى الملك حاجز يحول دون عمله، ويرد الخير الساعي به شراً عظيماً. فأخذ يتصرف تصرف الحكيم البصير، وشحذ قريحته ليلاً ونهاراً توصلا الى وسيلة تفتح عيني الملك وتريه ضلاله وتوجعه عن غيه دون أن تجرح احساسه ولا أن يصيبه هو منها أي أذى. فاخترع لعبة الشطرنج وجعل كما هو مشهور أهم دور فيها للملك موقفاً بقاءه وسلامته على غيرة رعاياه وصحبتهم له كل التوقف، ومن المعلوم أن لعبة تورث القهر والنكاية مثل الشطرنج تحرك رغائب القوم في تعلمها، ولا يلبث خبرها طويلاً حتى يجوب أقطار المملكة، فبلغ خبرها مسامع الملك في برهة يسيرة. فهام غاية الهيام بتعلمها، واستدعى على الفور الحكيم سيساك وطلب اليه أن يعلمه أحكامها وطوابقها. فأطاع الحكيم أمره بملئ السرور، وأخذ يشرح له كل مرة شروحاً تمثل حالته وسيرته وكل تصرفاته كما هي بأساليب شائقة وعبارات رائقة فنجع خيراً كلامه فيه فارعوى عن غيه ورجع الى معرفة الصواب وانعتق فؤاده من الأميال والعواطف التي كان الى ذلك الحين رقيقا لها. فوجه حينئذ معظم اهتمامه الى اصلاح سيرته وتعويض ما فرط منه فصار في مدة وجيزة مثال تقى وحكمة. ولشدة امتنانه في سيساك أراد أن يجزل جزاءه فقال له اقترح ما شئت فأنيلكه. فقال سيساك :

أحسب للخانة الأولى من رقعة الشطرنج حبة قمح، واثنتين للثانية، وأربعة للثالثة، وثمانية للرابعة وهلم جرا الى الخانة الرابعة والستين واعطني ما يتحصل منها جميعاً وكفى، فلاح للملك أنه طلب حقير لا يوازي ماله في الفضل. فقال له وفر الطلب ولا تخشى الفشل فأجابه: اني على ما طلبت لا غير. فضحك منه وأمر أن يعطى كما قال. ولكن لما حسب مطلوبه علم أن كل ثروة المملكة لا تكفيه. ولما وجد الملك أنه من غير المستطاع اجابته فقال له سيساك منتهزاً الفرصة أنه يجب على الملوك أن يتيقظوا لأنفسهم ويحذروا من المقربين لديهم وأن لا يعدوا وعوداً دون أن يدركوا أهميتها وعواقبها (يبلغ هذا الرقم نقلاً عن موسوعة لاروس الفرنسية ٦١٥، ٥٥١، ٧٠٩، ٠٧٣، ٧٤٤، ١٨،٤٤٦

حبة قمح). ويزيد الصفدي على هذه القصة فيقول: أنه تبين للملك أنه كان عليه لتلبية الطلب أن يجمع محصول ١٦٣٨٤ مدينة على أن تقدم كل مدينة ١٠٢٤ مخزناً في كل مخزن ١٧٤٧٦٢ كيلاً في كل كيل ٣٢٧٦٨ حبة مما يجعل العدد ٦٥٦، ٦٩٢، ٥٤٦، ٤٢٥، ٠٧٦، ٨٧ حبة.

هذا العدد حدده الكونت باسترو في كتابه ((Traite élémentaire du jeu des échecs

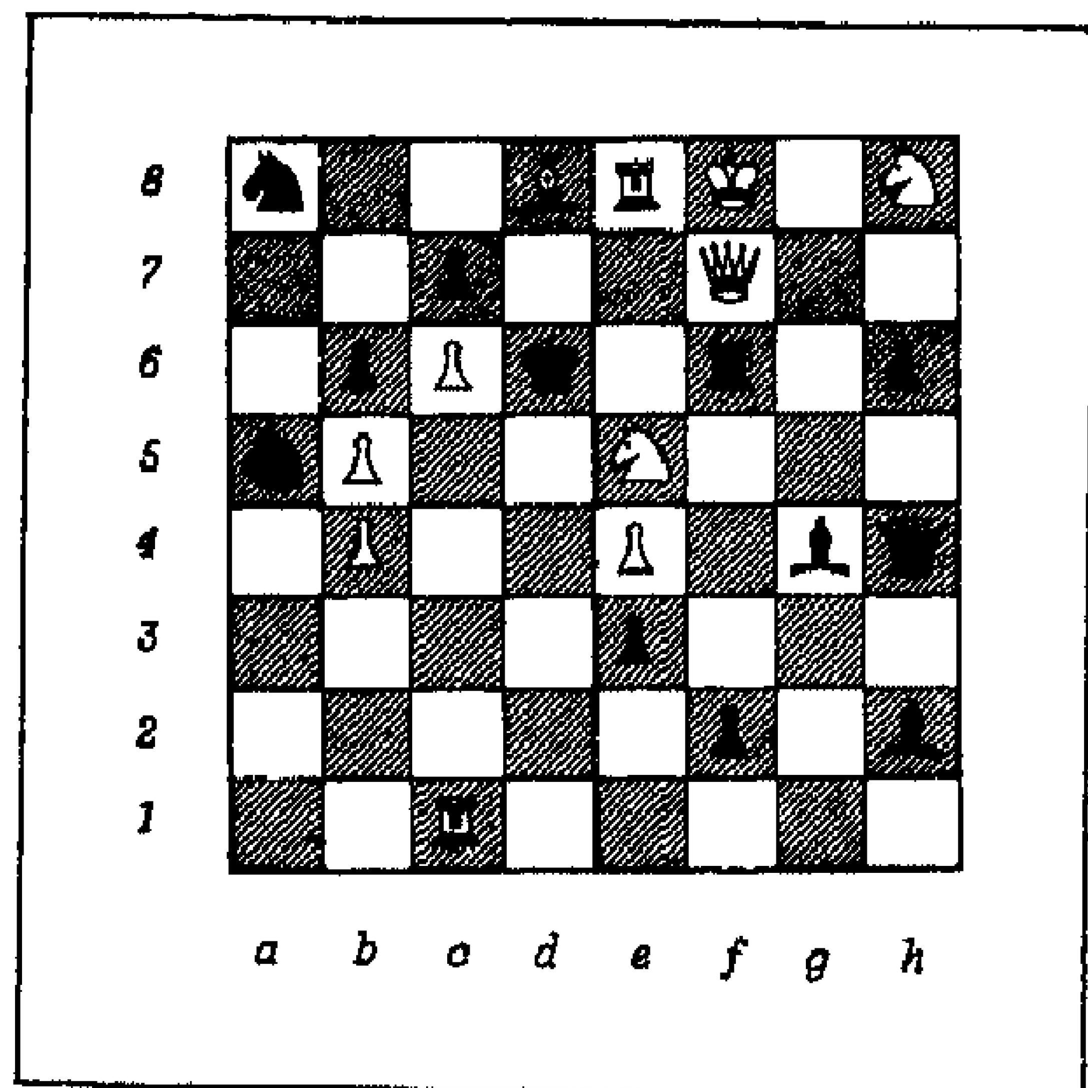
ويضيف ان محصول فرنسا إذا جمع ١٠٩٦٠٠ سنة لما كفي لتسديد وعد الملك.

كتاب (بهاويشيا بوران) الذي وصفه (غوتاما) الفيلسوف الهندي يحوي شرحاً بشكل محاورة بين «يودهشتر» و«فيازا» لهذه اللعبة الهندية القديمة وكانت تدعى كما يقول الكاتب الفيلسوف هذا تشاطيرنجا والمعروفة أكثر باسم (تشاطورادجي) أو الملوك الأربعة، ويذكر أهم قواعدها ويضيف فيازا بعد هذا الوصف إلى أن أغلب الكتب القانونية القديمة كانت تشير إلى هذه اللعبة وعلى أن امرأة رافان ملك لانسا اخترعت هذه اللعبة على شكل الحرب لتسلي بها زوجها عندما كانت عاصمة بلاده محاصرة من قبل راما، كما يضيف أن براهمة غور والبنغال كانوا ماهرين بهذه اللعبة (عاش الفيلسوف غوتاما في القرن الخامس عشر قبل الميلاد) كما يقول بعضهم بينما يذكر آخرون أنه عاش في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

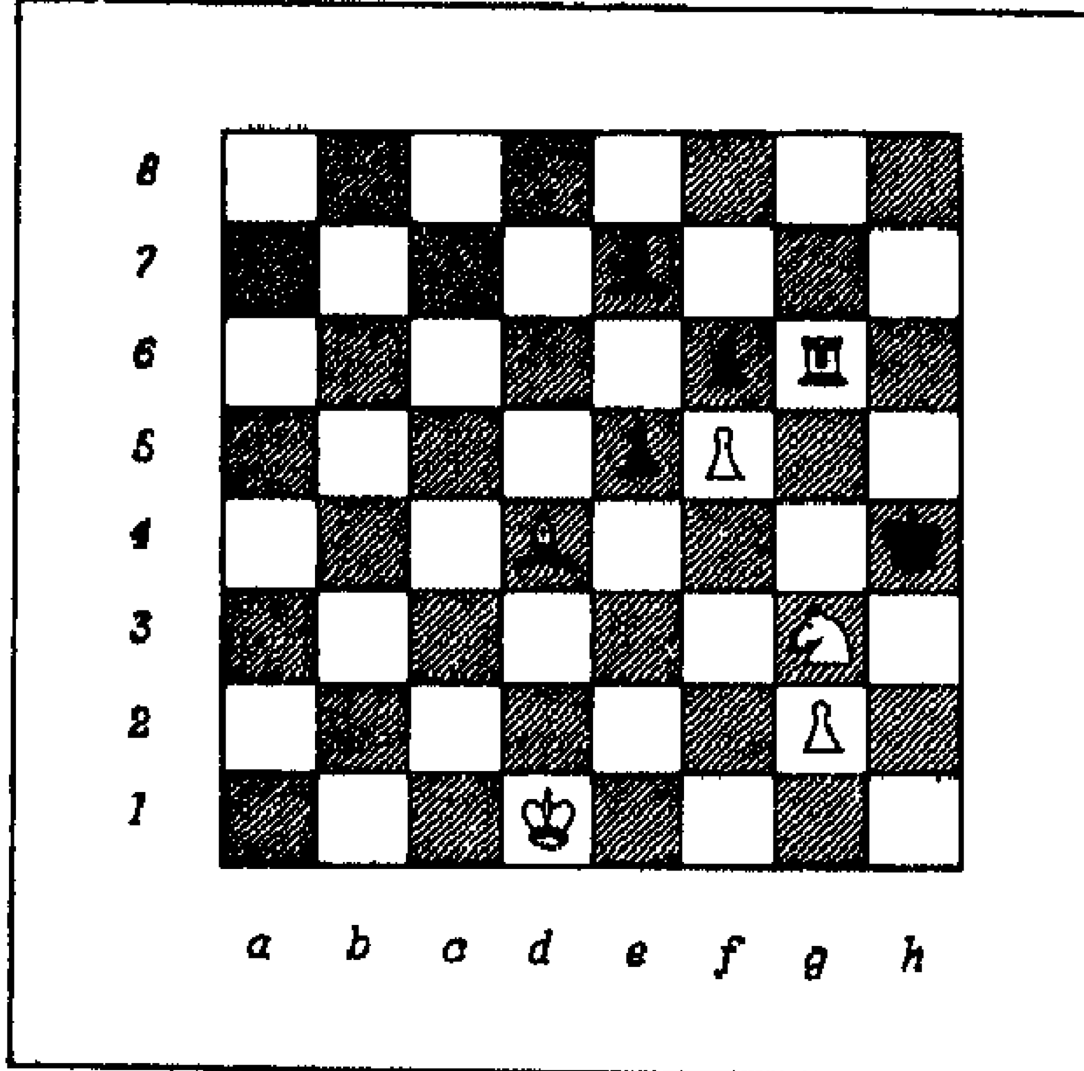
وقبل أن نختم كلامنا عن الهند لا بد في ذكر هذه الطرفة التي روتها مجلة (لابريس) في ٢٨ آذار ١٨٦٤ عن لاعب هندي شاب كان يقوم بالعجائب أثناء لعبة الشطرنج. إذ تقول. كان هذا الشاب يستطيع أثناء لعبة الشطرنج استدباراً (أي دون أن يرى الرقعة) ضد ثلاث لاعبين دفعة واحدة، أن يلعب بالورق ويربح، وكانوا أثناء اللعب يقرعون جرساً في كل ثانيتين أوثلاثة وكان يذكر لهم في آخر اللعب كم مرة قرع الجرس، وكان آخر يرمي على ظهر هذا اللاعب بحصى ناعم واحدة تلو الأخرى وكان يعطيه في نهاية اللعب عدد البحصات التي رُميت عليه، وفوق كل ذلك كان يلقي في نهاية اللعب قصيدة ألفها علماً بأنه كان يربح الجولات الثلاث التي لعبها استدباراً.

مسابقة الشطرنج رقم ١٠

المسألة ١٩ مات بنقلة.



المسألة ٢٠ مات بثلاث نقلات.



حل المسابقة رقم ٨

المسألة رقم ١٥ : المفتاح 1 - Txé4

المسألة رقم ١٦ : المفتاح (1 - b7)

إذا أجاب الأسود (1 - ...Té7)

فالأبيض يلعب (2 - Cb6)

أما إذا أجاب الأسود (1 - ...Tf7)

فالأبيض يلعب (2 - Cé4).

قيمة الشطرنج ١٠

تاريخ الطوابع

سوريا ايام الانتداب

ميشال اسطفان

● في العدد الخامس من هذه المجلة (عدد آذار—مارس ١٩٧٩) كنا قد كتبنا عن الطوابع السورية، الآ اننا ارجأنا بعض البحوث الجانبية بالموضوع لضيق المكان وقتئذٍ، وها نحن نعود اليها الآن في ما يلي:

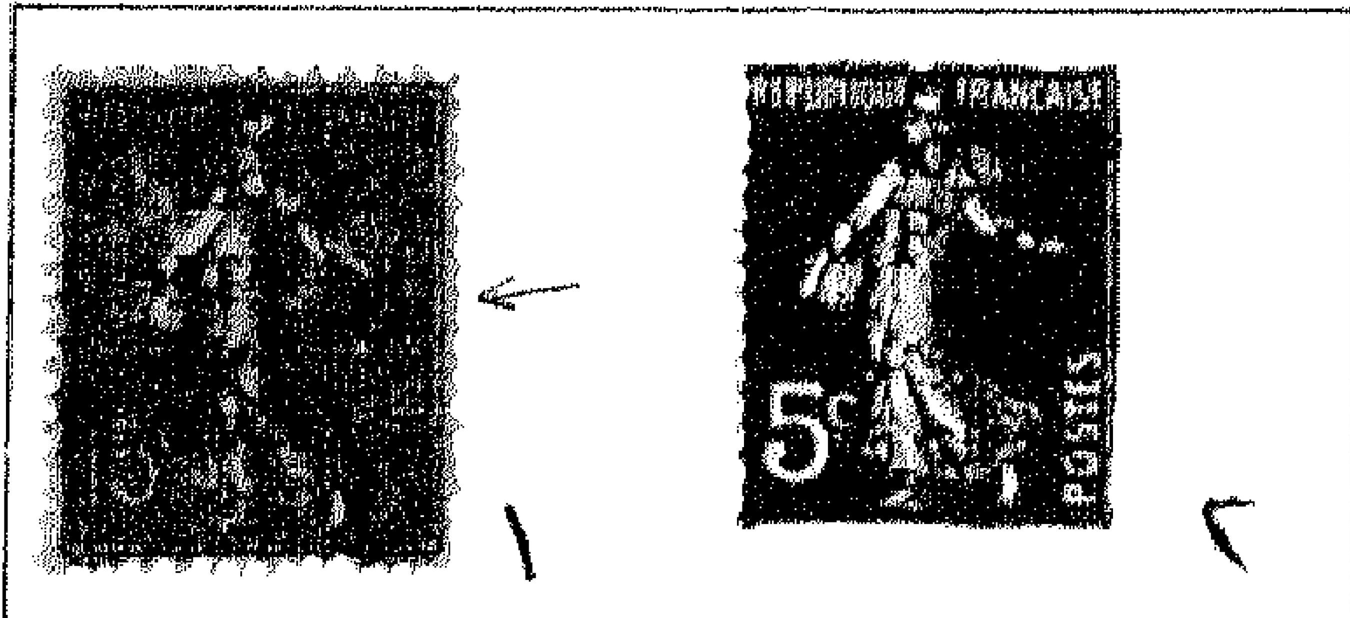
زهرة حلب: عندما تركت القوات الانكليزية سورية سنة ١٩٢٠ توقف التعامل بالعملة المصرية الموازية بقيمتها للنقد الذهبي الذي يزيد ثلاث مرات عن قيمة النقد السوري—اللبناني، باستثناء حلب، فان التعامل بالذهب بقي رائجاً فيها، وهذا حمل السلطة هناك على وضع شارة مميزة على الطوابع وبيعها بالعملة الذهبية وفق تعرفة جديدة للتخليص. فاستقدمت من فرنسا الكليشيهات الام وعددها ٢٥، وتحمل كل منها شارة تشبه الزهرة، (صورة ١)، ووشحت الطوابع الموجودة في الاستعمال، باللون الاسود فقط، وهي مجموعة سورية لسنة ١٩٢٠، (توشيح مطبعة جدعون الطبعة الأولى فقط، بعد الارقام مليمتر واحد)، وفئاتها: ٢٥و٥٠ سنتيم أو ٢و٥و١٠و٢٥و٥٠و١٠٠ قرش.

جاءت الطباعة سيئة جداً فاخذت الادارة توشح الطوابع باليد توشيحاً متقناً وباللون الاحمر، وعلى طوابع مطبعة جدعون الأولى فقط، وهذا أتاح لبعضهم الحصول على مجموعات كاملة من الطوابع العادية المستعملة في ساحل سورية وتوشيحها بطريقة سرية، فوجدت بهذه الطريقة مجموعات من طبعة جدعون الثانية (بُعد الارقام ٢ مليمتر)، وبما انها تحمل توشيحاً اصلياً غير مزور، وان كان غير رسمي فانها معترف بها من قبل الهواة؟ وهذه المجموعة على اختلاف الوان توشيحها واختلاف طبعاتها تعد من المجموعات النادرة الغالية الثمن.

نيّات الانتداب

عندما انتدبت الدولة الفرنسية لحكم سورية وفقاً لقرار عصبة الامم. اعتمدت سياسة تقسيم البلاد الى دويلات صغيرة فتسهل السيطرة عليها وتنفيذ الغايات الخلفية التي كانت ترمي اليها من وراء الانتداب. فجعلت ساحل سورية الواقع شمال لبنان الممتد ما بين النهر الكبير الجنوبي، والنهر الكبير الشمالي وتشمل سلسلة الجبال الممتدة شمالاً حتى الاسكندرون، جعلت هذه المنطقة مستقلة استقلالاً إدارياً، وذلك في ٣١ آب (اغسطس) سنة ١٩٢١، وبتاريخ ١٢ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٢، بموجب القرار رقم ١٧٠ الصادر عن المفوض السامي الجنرال غورو، اعلنت حكومة «مستقلة».

كانت البلاد تستعمل الطوابع الموجودة في سورية، أي الطوابع الفرنسية الموشحة، الى ان صدر القرار رقم ٣٠٠٥ تاريخ ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤، فأوجب في مادته الثانية ان تحمل الطوابع البريدية المستعملة هناك اسم العلويين، وبالفعل ظهرت أول مجموعة مؤلفة من ١٥ طابعاً فرنسياً من فئة ١/١٠ القرش حتى ٢٥ قرشاً موشحة بالعربية والفرنسية والسعر الجديد (صورة ٢)، ومجموعة تذكارية أخرى من ستة طوابع



تحمل صورة بستور من فئة نصف قرش الى ٤ قروش. ومجموعة للبريد الجوي مؤلفة من اربعة طوابع. عليها بالاضافة الى التوشيح السابق كلمة «طيارة» بالعربية والفرنسية. ومجموعة للأجور المستحقة مؤلفة من خمسة طوابع موشحة أيضاً.

ومنذ سنة ١٩٢٥ وضعت في الاستعمال الطوابع السورية الموشحة (إصدار سنة ١٩٢٥ المصورة). فصدرت منها ثلاث مجموعات للبريد العادي. وخمس مجموعات للبريد الجوي. ومجموعة واحدة للأجور المستحقة (صورة ٣).

وبتاريخ ٢٢ آذار (مارس) سنة ١٩٢٥. بموجب قرار من المفوض السامي اطلق على هذه المنطقة من سورية اسم حكومة اللاذقية. وبقرار آخر من المفوض السامي بتاريخ ١٥ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣١ قرر ان تستعمل هذه المنطقة طوابع سورية موشحة «اللاذقية» بالعربية والفرنسية. وبالفعل فقد صدرت ما بين ١٩٣١ و١٩٣٣ مجموعة عادية مؤلفة من ٢٢ طابعاً ومجموعة للبريد الجوي مؤلفة من ١١ طابعاً ومجموعة للاجور المستحقة مؤلفة من طابعين فقط (صورة ٤).



سنجق الاسكندرون

الاسكندرون منطقة زراعية خصبة وهي جزء من سورية وتعد الميناء الطبيعي لحلب وشمالي سورية.

دخلت هذه المنطقة تحت النفوذ الفرنسي كما دخلت سورية منذ سنة ١٩١٩. وكان على الدولة الفرنسية ان تحافظ عليها بوصفها جزءاً من منطقة إئتمنت عليها عملاً بشرعة عصبة الامم التي وضعت صك الانتداب. ولكن فرنسا وهبتها دون حق الى تركيا في أعقاب صفقة سياسية عقدتها معها. وعندما علا الاحتجاج وقامت قيامة سورية والعرب على ذلك. اجري استفتاء صوري لعب فيه الترهيب والترغيب والتزوير دوراً فعالاً. فاذا بهذه البلاد الغنية بشتى مواردها. الواسعة بمساحاتها وخصب اراضيها. تضم الى تركيا سنة ١٩٣٩.

كانت هذه المنطقة من سورية تستعمل الطوابع المستعملة في سورية. إلاّ ان السلطة المنتدبة الفرنسية. مقدمة لالحاق هذه المنطقة بتركيا. ولكي يكون التنفيذ تدريجياً فيمتص النقمة التي تتجزأ مع الوقت وتتلاشى. أمرت بأن تستعمل هناك الطوابع السورية الموشحة «سنجق الاسكندرون» بالحرف اللاتيني دون العربي. فصدرت مجموعة مؤلفة من ١٢ طابعاً للبريد العادي. ومجموعة مكللة بالسواد حداداً على أتاتورك (وما شأن سورية أو فرنسا بالحداد على اتاتورك لولا النيات المبيتة) ومجموعة للبريد الجوي من ٨ طوابع ومجموعة للأجور المستحقة من ستة طوابع (صورة ٥).

وأخيراً عندما أعلن الالحاق بتركيا صدر عدد من الطوابع التركية تحمل توشيح «هاتاي دولتي» بالحرف اللاتيني. ثم اصبحت المنطقة بعدئذ جزءاً من تركيا تستعمل طوابعها.

جزيرة أرواد

ارادوس باليونانية ومعناها موئل التائهين أو الهاربين وهي جزيرة صخرية في المتوسط تقع على ثلاثة اميال في البحر من طرطوس السورية. طولها نحو ٨٥٠ متراً وعرضها ٤٥٠ متراً بناها المهاجرون الصيدونيون منذ القدم فجاء ذكرها في سِفْر التكوين وسِفر الايام وسِفْر حزقيال وسِفْر المكابيين. على انها مملكة فينيقية بعيدة الذكر والقوة والنفوذ.

ازدهرت الجزيرة فضاقت بسكانها فذهبوا في البناء صُعداً فكانوا الرواد في بناء ناطحات السحاب. وكانوا ملاحين أشداء مغامرين فجالوا المتوسط وجاوزوه. واقاموا لهم مراكز لاعمالهم في كل ثغر. اما في البر فقد اتخذوا لهم متنفساً بعد ان ضاقت بهم الجزيرة. فوسعوا مملكتهم حتى حماة. وتفساح على الفرات. كما اقاموا على الشواطئ والسفوح سلسلة من المدن سميت بنات ارواد من اشهرها

ماراتوس أو عمريت . وبالانة أو بانياس . وغبالة أو جبلة . وبالتوس . وكرنة . وانهيدرا وغيرها مما أصبح معظمه اليوم اطلالاً دارسة .

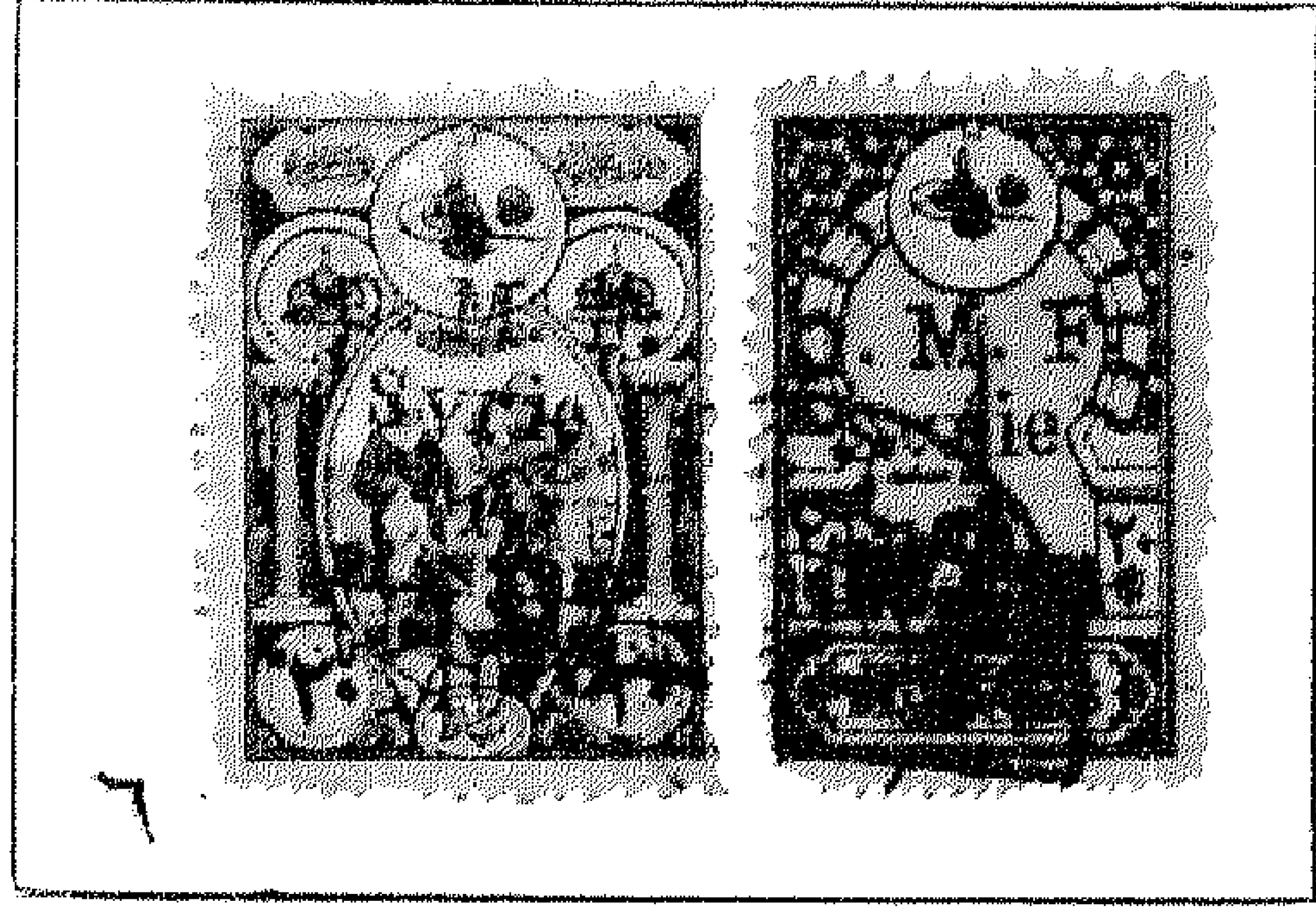
ومرت الأجيال والسنون على هذه المملكة فأتت عليها الحروب المتعددة الى ان حاصرها الجيش الاسلامي في عهد معاوية بعد غزوة قبرص . فحال فصل الشتاء دون فتحها . فعاد اليها بعد سنة . فاستسلم اهلها بشرط ان يعطوا حرية التنقل والسفر . فدخلتها الجيوش واحرقتها ودكت اسوارها وعطلت ميناءها وذلك سنة ٥٤ هجرية . وكان على رأس الحملة جُنادة بن ابي امية . ثم تملكها الصليبيون . ثم خرجوا منها عند خروجهم من سورية سنة ١٣٠٢م .

دخلت هذه الجزيرة بعدئذ في الممتلكات العثمانية . فاستعملت طوابعها عند صدورها الى ان صدرت مجموعة خاصة بها هي كناية عن ثلاثة طوابع « Levant » الفرنسية موشحة « Ile Rouad » . صدرت سنة ١٩١٦ . ثم صدرت بعدئذ مجموعة أخرى مؤلفة من ١٣ طابعاً من ١ سنتيم الى ٢٠ قرشاً وشحت أيضاً على الطوابع الفرنسية نفسها الخاصة بالشرق بكلمتي «   » بأحرف مزخرفة . وقد صدرت ما بين سنتي ١٩١٦ و١٩٢٠ . ثم أصبحت هذه الجزيرة بعدئذ تستعمل الطابع السوري .

عينتاب

بلد في جنوب تركيا احتلته القوات البريطانية سنة ١٩١٩ ثم القوات الفرنسية في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩ بوجود القوات البريطانية التي انسحبت تدريجياً بعدئذ سنة ١٩٢٠ . ولكن الاتراك حاصروا البلد في أعقاب ذلك . في شهر أيار (مايو) سنة ١٩٢٠ . ثم وقعت هدنة لمدة عشرين يوماً لكن الاتراك حاصروها مجدداً من ١١ آب (اغسطس) سنة ١٩٢٠ الى ٩ شباط (فبراير) سنة ١٩٢١ . وانتهى الأمر بمعاهدة انقرة في ٢٠ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٢١ التي انسحب الفرنسيون على أثرها من البلد والحقت عينتاب ومرعش وأورفة ومردين بتركيا .

أما الطوابع المعروفة التي استعملت في هذا البلد اثناء احتلال الفرنسيين . فكانت أربع فئات من الطوابع التركية لسنتي ١٩١٦ و١٩١٧ . التي وجدت بالبريد آنذاك بعد احتلال البلدة . وهي من فئة ١٠ بارة موشحة على ٢٠ بارة . و٢٠ بارة من طابع آخر وقرش واحد . وقرش واحد من طابع آخر . توشحت بالتسلسل قرش واحد مكرر وقرشان مكرر . مرة باللون الاحمر ومرة أخرى باللون الاسود وكان عددها محدوداً جداً واستعملت من تموز (يوليو) الى ٢٧ آب (اغسطس) سنة ١٩٢١ . ولندرة هذه المجموعة اصبحت قيمتها التجارية اليوم تزيد على الفي ليرة لبنانية (صورة ٦) .



— اسئلة القراء —

جوابنا عن أسئلة السيد توفيق اسكاف :

١ — هذا غير صحيح . فان للطوابع المختومة أسعار بيع وشراء . ولكن هناك اقبالاً على بلد اكثر من بلد آخر .

٢ — ليست اسعار الكتالوغات صحيحة مائة في المائة . والواقع ان معظم اسعارها هي أعلى من أسعار الطوابع الحقيقية . ما عدا بعضاً منها تكون نادرة جداً وتفوق سعر الكاتالوغ .

٣ — الطوابع اللبنانية الجديدة اصدار الثلاثينات ان كانت مجموعات كاملة وحالتها جيدة ونظيفة ، لها أسعار مناسبة ويهمنا الحصول على كشف واضح بالموجود أو عرضها علينا وهو الافضل .

٤ — أخذنا بعين الاعتبار اقتراحكم لاسلوب التجميع وطريقة حفظ الطوابع ونعدكم بأننا سنخصص دراسة وافية لهذا الغرض في أول مناسبة قريبة ان شاء الله .

٥ — قسم حركة الطوابع للبيع والشراء في المجلة مخصص للعروض المهمة التي لا يمكننا بتها شخصياً . حينئذ نعرضها في هذا القسم لتنشر على اكبر عدد ممكن من القراء فيعطي كل من يرغب رأيه في الشراء أو البيع وهكذا نحصل لصاحب الصفقة على احسن سعر لطوابعه . وهذه الطريقة معروفة وتشبه البيع العلني ولكن عن طريق البريد .

حركة البيع والشراء

ان ادارة المجلة اصبحت تستلم كثيراً من رسائل القراء تعرب عن رغبة اصحابها في المبادلة أو في بيع ما لديهم من طوابع . في هذا المجال ننصح لمن يرغب في بيع طوابعه ان يرسل الينا تفصيلاً دقيقاً وافياً عن مقتنياته . وإن امكن ذكر أرقام الكتالوغ وخصوصاً للذين خارج البلد ليتسنى لنا الاجابة عن طلبه وتقديم المساعدة اللازمة اليه ، اذ ان لدينا كثيرين يرغبون في شراء الطوابع لكن يريدون مشاهدتها أو معرفة التفاصيل عنها .

مجموعات كاملة .

سمع احد القراء ان الطوابع ليس لها سعر تجاري أو طلب ، فتعليقاً على ذلك وخلافاً لهذا الزعم نفيد ان احد التجار يرغب شراء المجموعات المختومة لكل بلد عربي . فعلى الراغبين في بيع مجموعاتهم المستعملة ان يكتبوا الى المجلة بكل تفصيل مع عدد الطوابع لكل مجموعة لنحولها اليه وشكراً

●

مسابقة العدد

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
			■						١
					■				٢
				■		■			٣
■									٤
		■							٥
		■					■		٦
	■	■							٧
		■					■		٨
			■			■	■	■	٩

افقياً :

١ – جزيرة في المتوسط . مضى .
٢ – حكومات (معكوسة) . غارات .
٣ – للنهي . قطعة (معكوسة) .
٤ – منطقة سلخت عن بلدها الام .
٥ – فتائل للسراج . بحر .
٦ – تميمة (معكوسة) . ندر .
(٧) منسوب الى البرتقال (معكوسة) .
٨ – رضاب . تفقد الاحياء ليلاً (معكوسة) .
٩ – قادم . عطية .

عمودياً :

١ – مدينة سورية .
٢ – ترسبات .
٣ – حب . عاصمة بلاد آسيوية .
٤ – افعالنا (معكوسة) .
٥ – يوم آتٍ (معكوسة) . مظلات .
٦ – سمة لطوابع سورية سنة ١٩٢٠ .
٧ – جنرال فرنسي .
٨ – منطقة تركية (معكوسة) . شتم .
٩ – نضد . مكان الاستثمار الزراعي .

حل مسابقة العدد الثامن

افقياً :

١ – صنعاء . بشر . ٢ – ليطاني . جا .
٣ – ال ، ف ، أرس . ٤ – حيدر ، اتلي (معكوسة) .
٥ – أ ، لامرتين (معكوسة) . ٦ – لا ، خلابة (معكوسة) . ٧ – د ، الاحمدي . ٨ – يهش ، الورم .
٩ – ناريمان .

قسيمة الطوابع ١٠

عمودياً :

١ – صلاح الدين. ٢ – نيلي. أ. ها. ٣ – عط. دن، اشر. ٤ – أأ. ري. ٥ – أنف. تتاأم. ٦ – الحبري (معكوسة). ٧ – المأمون. ٨ – شجرة الدر. ٩ – رأس الخيمة.

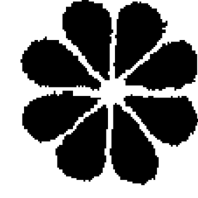
الفائــزون :

بالرغم من الردود العديدة التي وصلتنا، لم يتوصل هذه المرة أي متسابق الى الأجوبة الصحيحة الكاملة.



«قد يقال: ان عادات كل أمة وتقاليدها وخرافاتها أيضاً، هي التي تكسبها شخصيتها الخاصة، فأقول: ان هذا اصبح في زماننا كلاماً فارغاً وهراء محضاً، فقد تقارب العالم، وامحت الابعاد وانطوت المسافات بفضل اللاسلكي والطائرة على وجه الخصوص، وأصبح التطور في الدنيا أسرع من ان تستطيع الامم التكيف على مقتضاه، اذا هي ظلت جامدة بليدة».

ابراهيم عبد القادر المازني



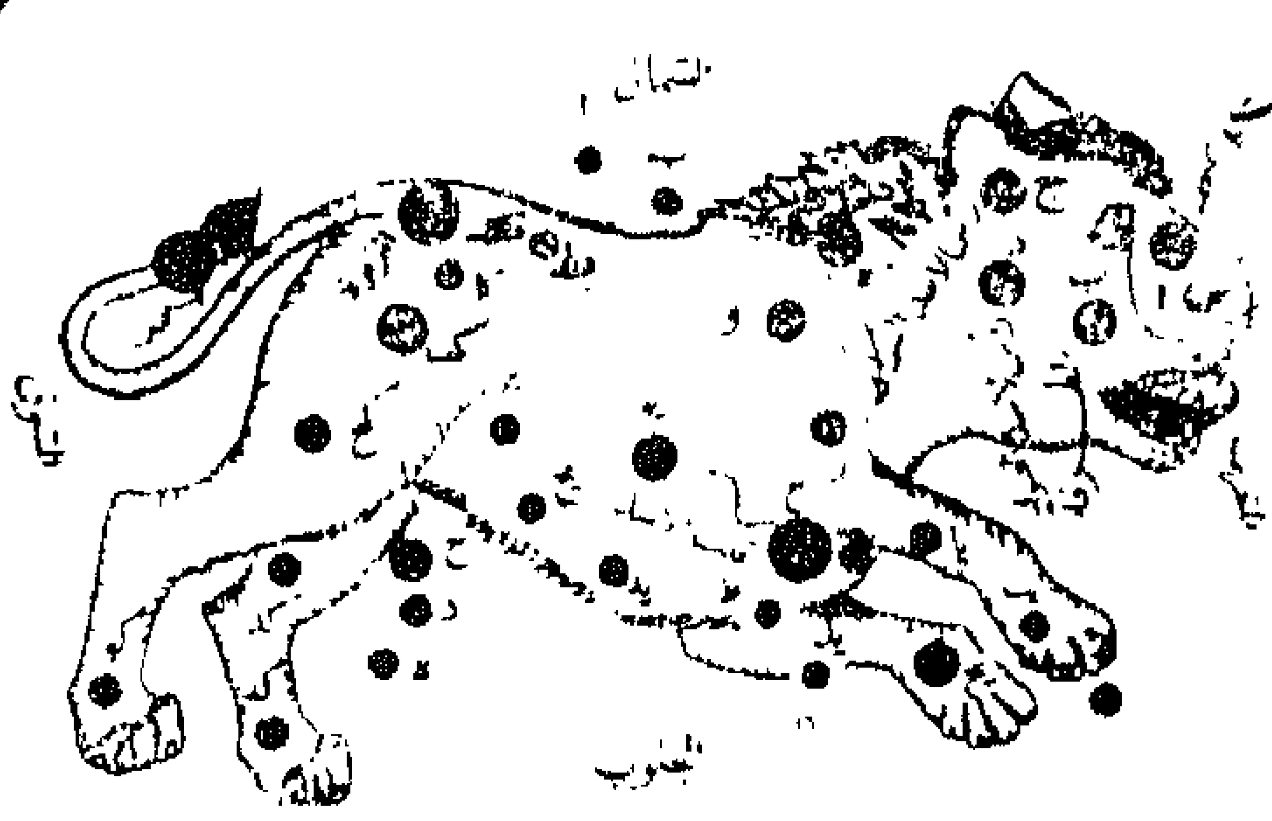
دعني أضع للبلاد أغانيها ولا يهمني بعد ذلك من يضع لها قوانينها.

حكمة قديمة

مني شنير

البروج الفلكية

الحلقة السابعة



برج الأسد ٢٤ تموز (يوليو) - ٢٣ آب (اغسطس)

● برج الأسد هو من أقدم البروج الفلكية المعروفة في التاريخ. كان الأسد عند الاقدمين بمثابة رمز لملك الغابة واله الشمس في الوقت نفسه. من هنا فان البابليين الأوائل وقدامى الهنود ربطوا بين الأسد والشمس، وهذا ما أكده علم التنجيم الفلكي المعاصر حيث تحتل الشمس مكاناً بارزاً في هذا البرج.

أما المصريون القدماء فهم رمزوا إلى برج الاسد بصورة مركب فوقه أسد ويمسك بذيله أحد البحارة. ولم نقرأ حتى اليوم تفسيراً من العلماء حول السبب أو المغزى الذي دفع الفراعنة إلى وضع الأسد داخل مركب للدلالة على برج الأسد.

أما الأهتمام الاكبر الذي نلحظه في هذا المجال فهو عند الاغريق الذين ربطوا بين برج الاسد و «أبو الهول» (Sphinx) وهو كائن خرافي له جسم أسد وأجنحة ورأس امرأة وصدرها. وتقول أساطيرهم إن الأسد الذي يرمز اليه هنا هو «اسد نيميا» الشهير نفسه الذي قتله اله القوة «هيراكليس» كأحدى الوسائل للتكفير عن ذنبه لاغتياله زوجته ميغارا. وتشير الاسطورة إلى ان والده «زفس» رفع هذا الأسد إلى السماء وجعله بين الكواكب تذكاراً لذلك.

والعلماء العرب بدورهم لم يتركوا نجماً من النجوم الستة التي تشكل برج الأسد الا واعطوه اسماً مناسباً، وذلك كما اكدت ابحاث د. نقولا شاهين في هذا المجال.

يتميز مواليد برج الأسد بقدرتهم على السيطرة على اندفاعهم وحماسهم وتوجيه كل طاقاتهم في الاتجاه المفيد والايجابي.

يشعرون دوماً أنهم مؤهلون لاستلام أعلى المراكز، لذلك تنطبع تصرفاتهم جميعها بهذا الطابع.

يسيطرون في حزم على انفعالاتهم ويثابرون على مواقفهم. انهم بطبيعتهم ينجحون في كل عمل يقومون بادارته وفوق ذلك يظهرون مقدرة كبيرة في التنظيم. إحساسهم رقيق وهم كرماء ورحاب الصدر فيوفقون بالتالي في استمالة العديد من الاصدقاء اليهم. لهم ميل خاص للقيام بالأعمال في صورة استعراضية، لذلك يمكن ان تتحول تصرفاتهم مع الوقت إلى أعمال مؤذية لمشاعر الغير.

يظهرون للناس في صورة شخصية جديرة بالاحترام وذلك بسبب شعورهم بالكبرياء وبأنهم موهوبون لنيل إعجاب الغير. وعندما تسوء الأوضاع والظروف لا يبدون أمام الناس أي انفعال ظاهر. ولكن اذا ما ساءت الأحوال إلى حد لا يطاق بالنسبة اليهم فان روح الأسد الكامنة فيهم تستيقظ فيتحفزون للتصدي وتخطي كل العقبات.

إن الطابع المميز لمواليد هذا البرج يتلخص فيما يلي :

عندما يستقرون على رأي فانهم يدافعون عنه في عناد وكبرياء.

استناداً إلى ابحاث العلماء فان برج الاسد له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي: القلب ومحيطه.

من الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث التي ولدت في هذا البرج نذكر:

- نابوليون بونابرت - فيديل كاسترو - ألفرد هيتشكوك - الكاتب البريطاني الدوس هكسلي - جاكلين كينيدي - موسوليني - الكاتب السكوتلندي والتر سكوت - الكاتب الايرلندي جورج برنارد شو - الكاتب الفرنسي الكسندر دوماس ●



■ أحد آلهة المكسيكيين القدماء (راجع الحضارة الأزتيك)


تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى - العدد الحادي عشر - أيلول " سبتمبر " ١٩٧٩ - الموافق شوال ١٣٩٩





■ قبّة الصّخرة : عنوان فلسطين المحتلة - الغلاف الأول

(راجع مقالة ملف الوطن العربي)

■ أبو الهول : رمز لحضارة اندثرت

(راجع مقالة : ابو الهول)

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الحادي عشر
أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩
شوال ١٣٩٩ هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص. ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص.ب : ١١/٦٨٨٨ - بيروت، لبنان

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الأردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	المغرب :	٥ درهم

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

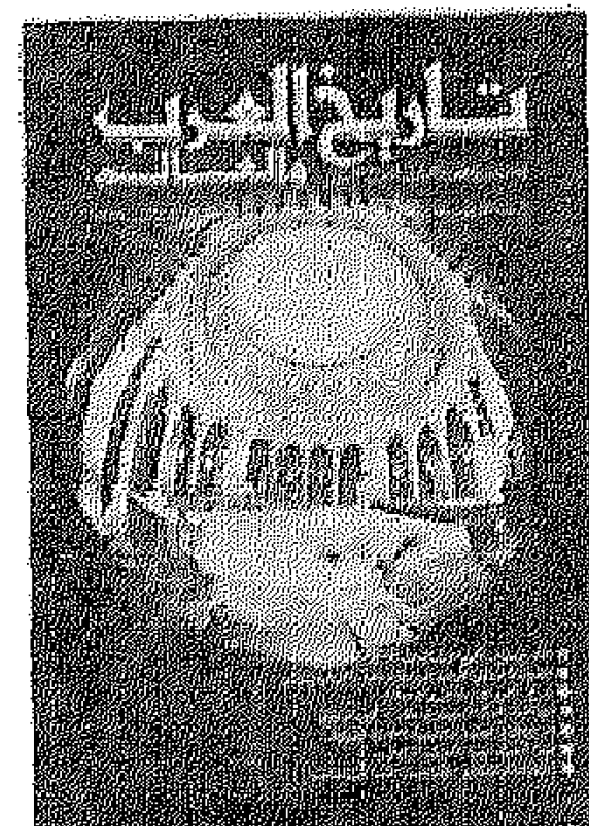
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 11. September, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع — الصفحة



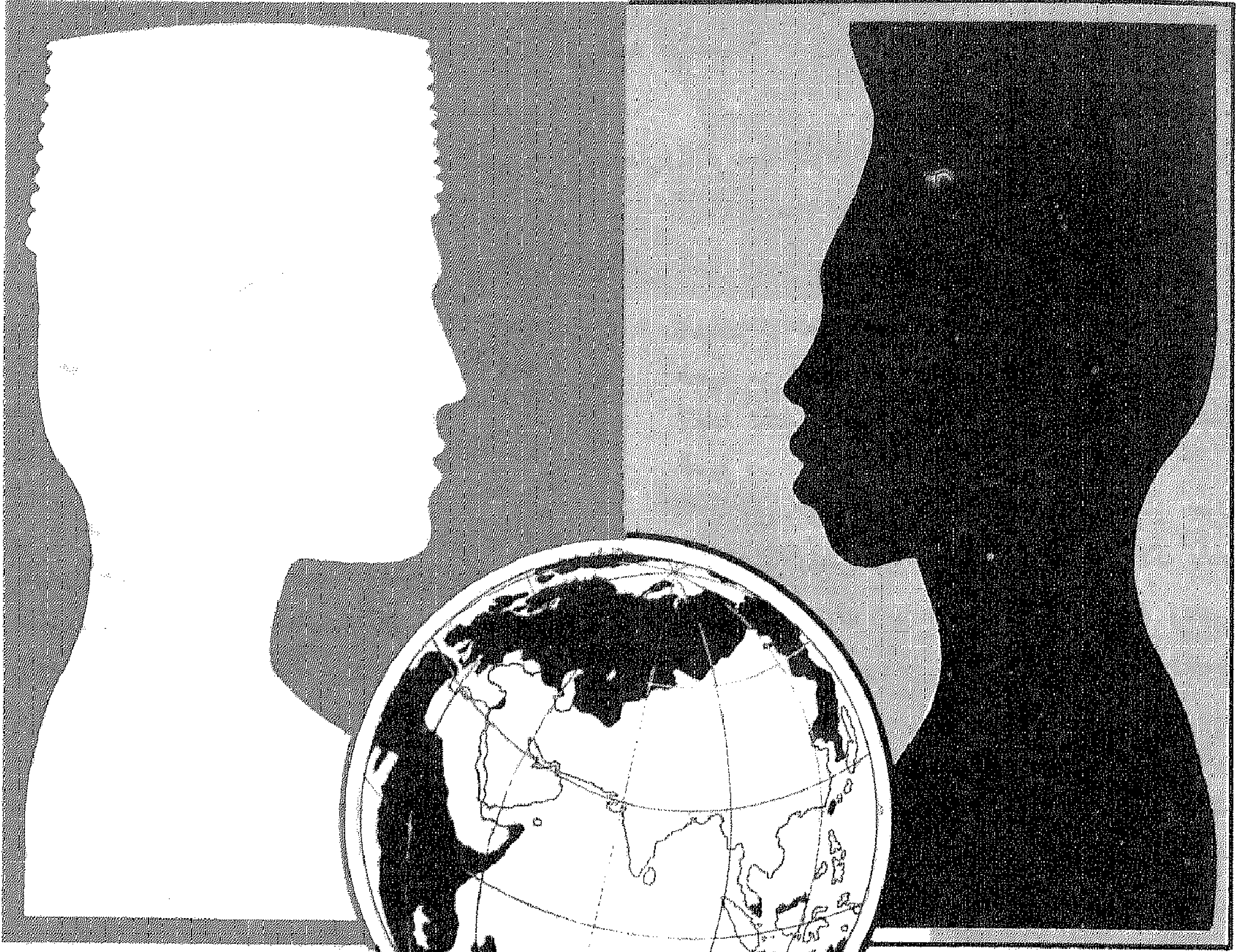
راجع مقالة الآثار في الاراضي العربية المحتلة ص ٤٢.

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشر.

مؤتمر باندونغ



التجمع الأول للدول الآسيوية والإفريقية ١٨-١٩٥٥/٤/٢٤

السفير الدكتور
حليم سعيد أبو عز الدين

● آسيا وافريقيا : هذا العالم الضخم من الشعوب والحضارات ، من المغول والهنود والعرب والزنوج وسائر الأمم الشرقية ، وتلك البقاع الشاسعة الممتدة من القطب إلى القطب ، عبر الصحاري والسهول ، والجبال والوديان ، والبحار والمحيطات .

آسيا وأفريقيا كانت غريبتين ، في العصور الحديثة عن شعوبها ، أكثر مما كانتا غريبتين عن العالم .

فالاستقطاب الاستعماري حوّل اتجاه هاتين القارتين نحو اوروبا فأغفلت شعوبهما بعضها البعض ، وركزت صلاتها ومعرفتها بالأمم الأوروبية المستعمرة ، وتجاوزت جاراتها الراسفة مثلها في القيود الاستعمارية .

تلك الأمم والشعوب العربية كانت كلها تتطلع غرباً أو شمالاً باتجاه اوروبا، بنظرات متوازية ما كان لها أن تلتقي.

حدث كل ذلك بعد أن كانت هذه الشعوب قد أنشأت فيما بينها، وفي القرون الغابرة وحتى في القرون الوسطى، علاقات ودية مميزة، خاصة على الصعيدين الثقافي والتجاري. وفي الحديث الشريف «اطلبوا العلم ولو في الصين».

ونحن نذكر، ولا شك، كم قاسينا من شبه الانفصام الذي أوقعه الاستعمار بين مشرق العالم العربي ومغربه.

لذلك لم يكن غريباً أن تهفو الشعوب الآسيوية والافريقية المتحررة إلى اعادة اللحمة إلى علاقاتها التاريخية. فهي بمجملها تشكو من آلام مشتركة، وترنو إلى آمال متقاربة. وقد أحسن أمير الشعراء أحمد شوقي في وصف تلك العلاقات في قوله: «ولكن كلنا في الهم شرق».

عودة بالذاكرة إلى الخطوات الأولى: موضوع الهند الصينية

أقول ذلك، وأنا استعيد من ذاكرتي وفي أوراقي تلك الأحداث التي وقعت عندما قامت الحركة الوطنية الأندونيسية تطالب بالاستقلال لما كان يدعي في ذلك الحين «جزر الهند الشرقية الهولندية» وذلك عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧. وكنت وقتها في عداد ممثلي لبنان في جامعة الدول العربية عندما تبنت الجامعة ثورة الشعب الأندونيسي وساندته في كافة المحافل الدولية حتى نال استقلاله.

كان استقلال الدول الاسيوية، خاصة في جنوبي شرقي آسيا، وبعض الدول الأفريقية، انطلاقاً للعمل المشترك من أجل تعاون الدول الآسيوية والافريقية على ما فيه خير كل منها وخيرها جميعها. فتضافرت الجهود والمساعي، في العديد منها، للدعوة إلى مؤتمر تشترك فيه دول هاتين القارتين بوضع قواعد تعاملها وتعاونها المستقبليين.

فتقدمت حكومة اندونيسيا، وعلى رأسها السيد علي ساسترو حميد جوجو في ١٩٥٣/٨/٢٥ ببيانها الوزاري إلى البرلمان الأندونيسي الذي جاء فيه:

«وحيث اننا مقتنعون بأن التعاون الوثيق بين البلدان الآسيوية والافريقية يدعم الجهود العاملة من أجل تحقيق السلام العالمي الدائم، فاننا نعتبر أن التعاون بين هذه البلدان هو ضروري جداً.

كما أنه، وبالاضافة إلى ذلك، يتوافق وبنود شرعة الأمم المتحدة الخاصة بالتنظيمات الاقليمية.

ناهيكم عما تعتنقه هذه البلدان من مبادئ واحدة في العديد من الشؤون الدولية، ما يهيئ لها أرضية مشتركة لاقامة تكتل خاص. واننا سنواصل مساعينا في هذا السبيل».

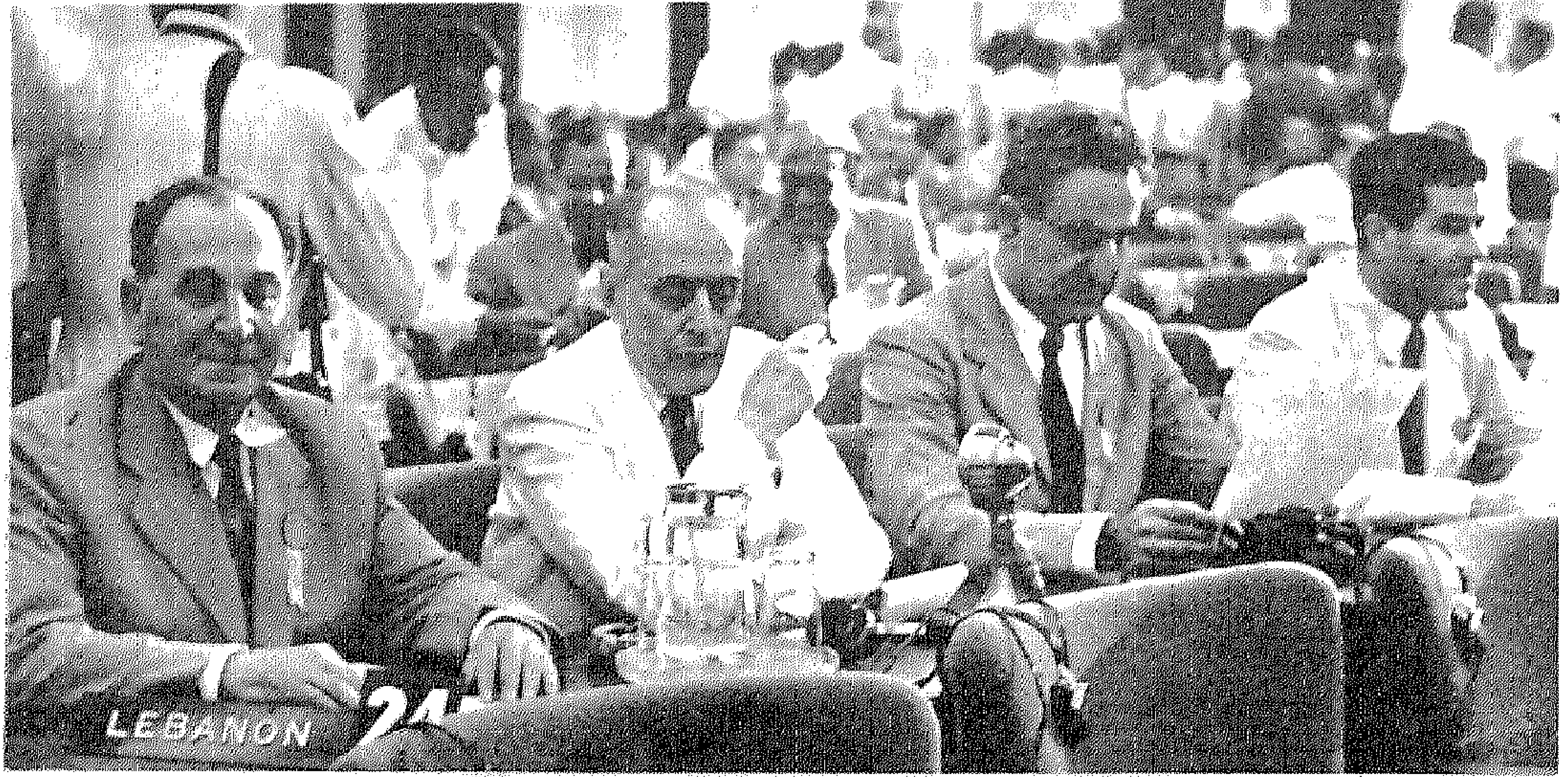
وفي اوائل عام ١٩٥٤ اقترح السير جون كوتيلا والا رئيس وزراء سيلان (المعروفة الآن باسم سري لانكا) عقد اجتماع تمهيدي لهذه الغاية ودعى السير رؤساء حكومات الهند وباكستان وأندونيسيا وبورما.

ومما أكد على ضرورة عقد ذلك الاجتماع تفاقم الوضعين السياسي والعسكري في الهند الصينية في ذلك الحين، مع ما كان يمكن أن تؤدي اليه الحال في الهند الصينية من اضطراب يمس منطقة جنوبي شرقي آسيا كلها، وفي طليعتها الدول المذكورة آنفاً.

وقد وافق الجميع على الدعوة، واجتمع رؤساء الحكومات الخمسة في كولومبو عاصمة سيلان بين ١٩٥٤/٤/٢٨ و١٩٥٤/٥/٢. ووافق اجتماع رؤساء الوزراء الاسيويين الخمسة في كولومبو اجتماع مؤتمر جنيف لحل مشكلة الهند الصينية.

وأول ما قرره الرؤساء الخمسة كان في موضوع الهند الصينية: فقد طلبوا أن تعلن فرنسا (الدولة المحتلة في ذلك الحين) عزمها الذي لا رجوع عنه على منح الاستقلال لشعوب الهند الصينية. واقترحوا اجراء مفاوضات مباشرة بين الفرقاء واصحاب العلاقة، كما تمنوا على الأمم المتحدة أن تبذل وساطتها في هذا السبيل.

وتناول الرؤساء الآسيويون الخمسة موضوعهم الرئيسي وهو: «التعاون الآسيوي – الافريقي» واتخذوا



اعضاء الوفد اللبناني ويظهر السفير الدكتور حليم سعيد أبو عز الدين الأول من اليمين.

بشأنه في بيانهم الختامي الصادر في ١٩٥٤/٥/٢، المقررات المذكورة بايجاز فيما يلي:

مقررات المؤتمر التمهيدي في كولومبو (٤/٢٨ حتى ١٩٥٤/٥/٢):

١ - ادانة الاستعمار كعدوان على الحقوق الاساسية لبني البشر.

٢ - تأييد مطالب تونس والمغرب في الاستقلال والعمل من أجل الحصول على الاعتراف بذلك الاستقلال.

٣ - الاهتمام العميق بقضية اللاجئين العرب من فلسطين، والاعراب عن الرغبة في التوصل إلى حل عادل وسريع للقضية الفلسطينية.

٤ - تأكيد الثقة بالديموقراطية.

٥ - احترام استقلال الغير، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية، وبالتالي رفض تدخل الغير في شؤونهم.

٦ - استنكار انتاج القنبلة الهيدروجينية ووسائر وسائل الدمار الجماعي.

٧ - وجوب تمثيل جمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة.

٨ - التعاون الاقتصادي العالمي والمساعدة المتبادلة.

٩ - الموافقة على اقتراح رئيس وزراء أندونيسيا بالدعوة إلى مؤتمر آسيوي - افريقي، وتكليف الرئيس الأندونيسي درس امكانية الدعوة لهذا المؤتمر.

وبالفعل، فقد قام الرئيس الأندونيسي بمهمته، وزار كلاً من الهند وبورما لهذه الغاية، وبالتالي دعا الرئيس علي ساسترو حميد جوجو إلى اجتماع يعقد في بوغور، في أندونيسيا ويشترك فيه كل من رؤساء الحكومات الأربعة الآخرين وهم:

البانديت جواهرلال نهرو رئيس حكومة الهند السيد محمد علي رئيس حكومة الباكستان. أونو رئيس حكومة بورما.

سيرجون كوتيلا والان رئيس حكومة سيلان.

مقررات المؤتمر الاعدادي في بوغور (أندونيسيا) (٢٨ - ١٩٥٤/١٢/٣١).

اتفق رؤساء الحكومات الآسيوية الخمسة في بورغو على الدعوة إلى مؤتمر آسيوي - أفريقي يعقد في نيسان سنة ١٩٥٥ في باندونغ في أندونيسيا، ويستهدف الغايات التالية:

١ - اشاعة المودة والتعاون بين الأمم في آسيا وأفريقيا، سير وتوثيق مصالحها المتبادلة والمشتركة واقامة وتكريس الصداقة وعلاقات حسن الجوار بينها.

٢ - درس الشؤون والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الدول المشتركة.

٣ - بحث القضايا ذات الاهمية للشعوب الآسيوية والافريقية، كقضايا السيادة الوطنية، والعنصرية والاستعمار.

٤ - استعراض موقف آسيا وأفريقيا وشعوبها في عالم اليوم، وما يمكنها أن تساهم به في تحقيق السلام والتعاون العالميين.

٥ - تتولى حكومة أندونيسيا، نيابة عن الأعضاء الخمسة الداعين، اجراء الترتيبات اللازمة لعقد المؤتمر في باندونغ، وتقام، لهذه الغاية، امانة عامة للمؤتمر في أندونيسيا تتمثل فيها الدول الخمسة الداعية.

٦ — قرر رؤساء الحكومات الداعية الخمسة أن يكون للمؤتمر قاعدة جغرافية عريضة، وبأن تدعى اليه كل البلدان، في آسيا وافريقيا، التي تتمتع بحكومات مستقلة.

٧ — وبتعديل بسيط للقاعدة المذكورة آنفاً، قرر الرؤساء الخمسة، دعوة البلدان التالية للمشاركة في اعمال المؤتمر:

١ — افغانستان
٢ — كمبوديا
٣ — اتحاد أفريقيا الوسطى
٤ — الصين الشعبية
٥ — مصر
٦ — اثيوبيا
٧ — شاطئ الذهب (غانا)
٨ — ايران
٩ — العراق
١٠ — اليابان
١١ — الأردن
١٢ — لاوس
١٣ — لبنان
١٤ — ليبيريا
١٥ — ليبيا
١٦ — نيبال
١٧ — الفلبين
١٨ — المملكة العربية السعودية
١٩ — السودان
٢٠ — سوريا
٢١ — تايلاند
٢٢ — فيتنام الشمالية
٢٣ — فيتنام الجنوبية
٢٥ — اليمن

فيكون مجموع الدول المشتركة في المؤتمر بين داعية (٥) ومدعوة (٢٥) ثلاثين دولة.

٨ — يكون تمثيل الدول في المؤتمر على المستوى الوزاري. ومن المستحسن أن تتمثل كل دولة مدعوة برئيس وزرائها أو وزير خارجيتها. بالاضافة إلى سائر الأعضاء.

٩ — المؤتمر يقرر اعماله. كما يقرر الاجراءات المتبعة.

١٠ — يود رؤساء الحكومات الخمسة الداعية أن يشيروا إلى أن قبول الدعوة من قبل أية دولة معينة لا يعني بأية حال تعديلاً في موقفها من أية دولة أخرى معينة. فقبول الدعوة يعني فقط أن الدولة القابلة هي على توافق عام مع أهداف المؤتمر.

وفكر الرؤساء الخمسة بالقاعدة العامة القائمة على أن شكل الحكم وطرق الحياة السائدة في بلد ما لا يمكنها أن تكون محل انتقاد أو تدخل من بلد آخر.



جمال عبد الناصر يستمع إلى كلمات الوفود ويبدو إلى جانبه محمود فوزي ووراءه علي صبري.

فالرأي الذي يبديه في المؤتمر أحد الأعضاء المشتركين لا يمكنه الزام الآخرين إلا اذا قبلوه. والهدف الرئيسي للمؤتمر هو أن تتعرف البلدان المشتركة فيه على وجهات نظر سائر البلدان المشتركة. ويأمل الرؤساء الخمسة في أن يكون هذا التوضيح مدعاة لقبول الجميع للدعوة.

١١ — يود الرؤساء الخمسة أن يذكروا بأنهم، في دعوتهم لهذا المؤتمر، لم يكونوا راغبين في التفرد بتقرير العضوية. كما أنهم لم يستهدفوا أن يكتل الأعضاء أنفسهم في مجموعة أقليمية.

هذه هي الأهداف الرئيسية التي اقترحها رؤساء الحكومات الآسيوية الخمسة لمؤتمر باندونغ.

مؤتمر باندونغ
(١٨ - ١٩٥٥/٤/٢٤)

عقدت الجلسة الأولى للمؤتمر الآسيوي - الافريقي في باندونغ صباح يوم ١٨ - ٤ - ١٩٥٥ وقد رأسها



الدكتور أحمد سوكارنو رئيس جمهورية الدولة المضيفة، اندونيسيا، وافتتحها بخطاب طويل أشاد فيه بأهمية ذلك التجمع الهائل.

واثر انتهاء الرئيس سوكارنو من القاء كلمته، اقترح الرئيس جمال عبد الناصر، وكان في ذلك الوقت رئيساً لمجلس قيادة الثورة في مصر ورئيساً لمجلس الوزراء، اقترح تسمية رئيس الحكومة الاندونيسية المضيفة رئيس الوفد الاندونيسي، السيد علي ساسترو حميد جوجو لرئاسة المؤتمر. وبادر شوان لاي، رئيس حكومة الصين الشعبية إلى التثنية على هذا الاقتراح، الذي اقر بالتوافق وبالاجماع.

لقد أتيح لي أن أشارك في تمثيل لبنان في هذا المؤتمر كعضو في الوفد اللبناني. ومن حق التاريخ عليّ ومن حق القارئ أيضاً، ان اجلو بعض الحقائق عن هذا المؤتمر، وان أتناول الجو الذي خيم عليه، واذكر بعض الوفود العربية الهامة، وبعض ما كان يجري في الكواليس خلال انعقاد هذا المؤتمر، الذي استغرق حوالي الأسبوع.

كان الوفد اللبناني لمؤتمر باندونغ برئاسة الرئيس سامي الصلح رئيس الوزراء، وعضوية الرئيس ألفرد نقاش وزير الخارجية والمغتربين، والدكتور شارل مالك سفير لبنان في واشنطن، والدكتور حليم أبو عز الدين، المستشار الديبلوماسي لرئيس الوزراء والمدير العام لوزارة الاعلام، والدكتور كريم عزقول مدير شؤون الأمم المتحدة والمؤتمرات الدولية في وزارة الخارجية والمغتربين.

ورأس الوفد المصري الرئيس جمال عبد الناصر ومن أعضائه الدكتور محمود فوزي، والصاغ صلاح سالم.

ورأس الوفد السوري خالد العظم ومن أعضائه السادة صلاح الدين البيطار وأحمد الشقيري والدكتور أديب الداوودي - ورأس الوفد السعودي الأمير فيصل سعود (الملك فيصل فيما بعد) ورأس الوفد العراقي الدكتور فاضل الجمالي، ورأس السيد وليد صلاح الوفد الأردني، والسيد محمود منتصر الوفد الليبي، وسيف الاسلام الحسن الوفد اليمني، كما رأس السيد اسماعيل الأزهري الوفد السوداني. واذكر من رؤساء الوفود البارزة جواهر لآل نهرو رئيس حكومة الهند، وشوان لاي رئيس حكومة الصين الشعبية والسيد محمد علي رئيس حكومة الباكستان.

ولن أنسى الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا الفلسطينية. والمطران مكاريوس زعيم القبارصة اليونانيين.

كل شيء في المؤتمر كان جديداً. الأبنية كلها جديدة وحديثة، كذلك التجهيزات والوسائل. الوفود كانت أكثرها حديثة العهد بالعلاقات الخارجية والسياسات الدولية. كان الكل يحاول أن يبرز أحسن

ما عنده. كان الجميع يعملون من أجل نصر الحق الآسيوي والافريقي، من أجل وحدة الكلمة الآسيوية - الافريقية، وذلك بالرغم من جميع أسباب التنوّع الظاهري في اللغة واللون، والقيافة، والتفكير.

فاللغة السائدة كانت الانكليزية - مع وجود الترجمة تتلوها اللغتان العربية والفرنسية، وتأتي بعدها لغات كثيرة أخرى بدءاً بالصينية وانتهاء بالنيبالية.

وكان هناك بحسب ألوان البشرة الصفر، والبيض، والسود، والما بين بين.

وتمثلت القيافة بجميع أشكال الملابس الحديثة والتقليدية، والقبلية الخ.

الاتجاه في المؤتمر كان حتماً آسيوياً - افريقياً، لكن المنطلقات كانت متنوعة وأحياناً متباينة

فخلفيات المشاركين كانت متنوعة كما التنوع الظاهر في لغاتهم وألوانهم وقيافاتهم. فالبعض كان من خريجي الجامعات في الصين والهند واكسفورد وكابردج وباريس وبيروت ودمشق والقاهرة. وآخرون خريجو الجيش والعسكرية، وغيرهم خريجو الجهاد والمعارك والسجون.

المذاهب السياسية كانت ممثلة خير تمثيل في المؤتمر. كان هناك التقليديون والرادكاليون، المحافظون والشيوعيون، الشموليون والليبراليون.

لم يكن مؤتمر باندونغ تجمّعاً للدول المحايدة، أو غير المنحازة، بل كان تجمعاً جغرافياً آسيوياً - افريقياً، اشترك فيه عدد من الدول والشعوب على أساس اقليمي. ولم يكن الهدف من المؤتمر تكريس عدم انحياز أعضائه إلى أحد النظامين السياسين - الاجتماعيين الكبيرين السائدين - فذلك حدث لفريق من أعضائه فيما بعد.

كان مؤتمر باندونغ ظاهرة آسيوية - افريقية تستهدف تكريس التعارف ومن ثم التعاون بين دول القارتين، والعمل المشترك لتحرير ما بقي من البلدان الآسيوية والافريقية خاضعاً للسيادة الأجنبية ومع ان بعض أقطاب المؤتمر، كالرئيس عبد الناصر ونهرو، كانا بدآ بممارسة سياسة عدم الانحياز وبالدعوة إليها، إلا أن تلك السياسة لم تكن حتماً هي الموجهة الرئيسية لمؤتمر باندونغ ففي باندونغ كان هناك المنحازون وغير المنحازين، سرّاً أو علانية. فلم يكن القطبان العالميان الكبيران، الولايات المتحدة الأميركية، والاتحاد السوفياتي، بعيدين عن أجواء المؤتمر من خلال بعض الأعضاء وبعض الوفود إليه.

ولكم سمع المؤتمرون أصواتاً، وبيانات سبق لهم ان سمعوا مثلها من واشنطن ومن موسكو.

وكان موضوع فلسطين شغل العرب الشاغل. والوفود لم تكن كلها صادقة وصديقة للعرب. وكان أحد الداعين للمؤتمر، أونو رئيس حكومة بورما، من أصدقاء اسرائيل وقد أصر في جلسات المؤتمرين الاعدادية في كولومبو بوغور على دعوة اسرائيل للمؤتمر. وقد جاراه في ذلك، ولكن ليس إلى النهاية، نهرو. ولكن كان لمواقف محمد علي رئيس حكومة الباكستان بصورة خاصة، والتي أيده فيها الوفد الاندونيسي، أثر فاصل في استبعاد اسرائيل.

وقد تضافرت الوفود العربية وساندتها في ذلك وفود الدول المجاورة والصديقة. وتوصلت جميعها إلى الفوز بقرار مؤيد للعرب كما كان لوجود الحاج أمين الحسيني في المؤتمر وللشعبية التي يتمتع بها في العالم الاسلامي تأثير بالغ في هذه النتيجة.

وكان هناك أيضاً المطران مكاريوس زعيم القبارصة اليونانيين. وكم كان الشبه كبيراً بينه وبين



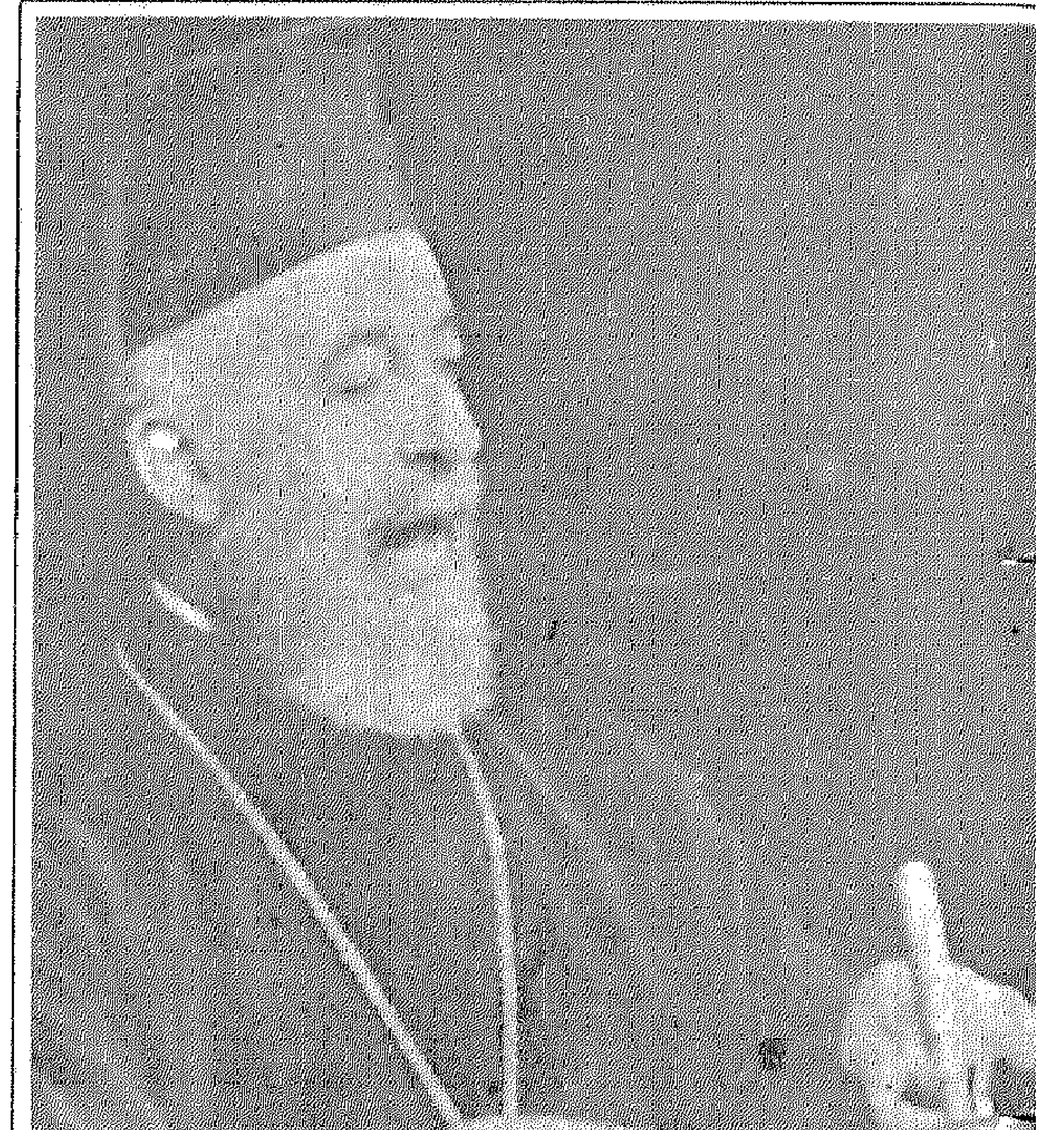
شو ان لاي يستمع إلى كلمات الوفود.

الحاج أمين الحسيني. وكلاهما رجل دين، هذا تزينه عمامته. وذلك توقّره طابيته. احدهما يعيش مع أكثر شعبه في المنفى. والآخر يعيش هو في المنفى. على ان المطران مكاريوس توصل إلى تحقيق استقلال قبرص. وإن كان استقلالها مشوهاً، ولكن الحاج أمين لم تكتمل امانيه، وتوفي ودفن في لبنان، بدلا من أن يكون في جوار الأقصى الشريف.

وعلى هامش الذكريات عن مؤتمر باندونغ، أسرد الواقعة التالية:

كان شوان لاي رئيس حكومة الصين الشعبية من أبرز رؤساء الوفود في باندونغ، وأكثر ما تسلطت الأنوار خلال انعقاد المؤتمر عليه وعلى الرئيس جمال عبد الناصر ونهرو. وقف شو مرة يتكلم في إحدى جلسات المؤتمر وبجانبه مترجمه الخاص الذي كان ينقل كلامه إلى اللغة الانكليزية بلهجة اكسفورد.

قال شو، نحن الصينيون لا نعتقد بوجود الله. وما أن أتم هذا القول، وقبل أن يستطرد في موضوعه، حتى شعرت، وأنا جالس قبالته استمع اليه، شعرت برعدة سرت في عامودي الفقري وكان أن يصيبني منها دوار. فكيف يقول انسان بمركز شوان لاي، وبرجاحة عقله وتفكيره، بنكران وجود الله وفي



• المطران مكاريوس يخطب في المؤتمر

مؤتمر على هذا المستوى الرفيع، وأمام جموع من المؤمنين من جميع الأديان (مع وجود غير المؤمنين أيضاً ولا شك)؟ استغفرت الله في نفسي في ذلك الحين، واستغفره الآن لمجرد ذكر هذه الواقعة.

موجـز مقـررات مؤتمر باندونغ (١٩٥٥/٤/٢٤)

أ - التعاون الاقتصادي:

١ - يقر المؤتمر الآسيوي الافريقي المبادرة إلى التنمية الاقتصادية في المنطقة الآسيوية - الافريقية. وهو يعكس الشعور الذي ساد الأعضاء حول العمل المشترك والتعاون الاقتصادي واحترام السيادة الوطنية. ولا يعني هذا التعاون الاقتصادي بين الاعضاء المؤتمرين التوقف عن، أو عدم استحسان التعاون مع دول أخرى خارج المنطقة.

٢ - توافق الدول الأعضاء على توفير المساعدة الفنية لبعضها البعض ضمن امكانياتها.

٣ - الازدياد من الاستفادة من مساعدات صندوق الأمم المتحدة للتنمية الاقتصادية، والبنك الدولي للانشاء والتعمير.

٤ - تنشيط التبادل التجاري بين بلدان المنطقة.

٥ - تسعى الدول الأعضاء لتثبيت الأسعار الدولية للسلع الرئيسية بعقد اتفاقات ثنائية أوجماعية.

٦ - تكثيف التجارة الخارجية بزيادة الصادرات، وبالعمل على تصنيعها ولو جزئياً قبل التصدير.

٧ - تنظيم الملاحة التجارية الدولية والتدقيق في أجور النقل.

٨ - تشجيع قيام مصارف وشركات تأمين وطنية واقليمية.

٩ - تبادل المعلومات حول اسعار النفط توطئة لتحقيق سياسة نفطية مشتركة.

١٠ - تقدير أهمية استعمال الطاقة النووية للأهداف السلمية.

١١ - تبادل المعلومات والأفكار في المواضيع الاقتصادية.

١٢ - التشاور بين الدول الأعضاء قبل الاشتراك في الندوات الاقتصادية الدولية.

ب - التعاون الثقافي :

١ - يؤكد المؤتمر أهمية التعاون الثقافي في تحقيق التفاهم بين الأمم. فقد كانت كل من آسيا وافريقيا مهداً لديانات ولمدنيات كبيرة، وتقدم ثقافات آسيا وافريقيا على أسس روحانية وعالمية.

٢ - ادانة السياسة الاستعمارية التي تحول دون تعرف البلدان المستعمرة (بفتح الميم) بجوهر لغتها وثقافتها.

ادانة العنصرية كأداة للدمار الثقافي.

٣ - وفقاً لتقاليد الشعوب الآسيوية والافريقية في التسامح والالفة يحث المؤتمر على التعاون الثقافي على النطاق العالمي.

٤ - التعاون بين دول آسيا وافريقيا على صعيد التبادل الثقافي والعلمي.

٥ - التعاون الثقافي الآسيوي الافريقي يستهدف كسب المعرفة، والتبادل الثقافي، وتبادل الاعلام.

٦ - تشجيع الاتفاقات الثنائية الخاصة بالتعاون الثقافي.

ج - حقوق الانسان وتقرير المصير:

١ - يعلن المؤتمر تأييده الكامل للمبادئ الأساسية لحقوق الانسان كما وردت في شرعة الأمم المتحدة، ويأخذ علماً بالاعلان الكامل لحقوق الانسان.

ويؤكد تأييده لمبدأ حق الشعوب والأمم في تقرير مصيرها كما ورد في شرعة الأمم المتحدة.

٢ - يدين المؤتمر سياسة التفريق، والتمييز العنصري، في بعض انحاء افريقيا والعالم، ويتعاطف مع الشعوب التي تقع ضحية لتلك السياسة.

د - مشاكل الشعوب غير المستقلة :

١ - بحث المؤتمر موضوع مشاكل الشعوب غير المستقلة، والاستعمار، والمساوئ الناجمة عن اخضاع الشعوب للسيطرة والاستغلال، ويعلن المؤتمر:

أولاً: ان الاستعمار بجميع وجوهه هو شر يجب التعجيل في وضع حد نهائي له.

ثانياً: ان اخضاع الشعوب للسيطرة والاستغلال، يحرمها من مزاولة حقوقها الأساسية، ويتعارض مع شرعة الأمم المتحدة، ويعرقل مسيرة السلام والتعاون العالميين.

ثالثاً: تأييد قضايا الحرية والاستقلال لجميع هذه الشعوب.

رابعاً: دعوة الدول ذات العلاقة لمنح الحرية والاستقلال لهذه الشعوب.

٢ - يؤيد المؤتمر حقوق شعوب الجزائر والمغرب وتونس في تقرير مصيرها وفي الاستقلال، ويدعو الحكومة الفرنسية لوضع تسوية سلمية لهذا الموضوع.

هـ - قضايا أخرى :

١ - بالنظر إلى التوتر القائم في الشرق الأوسط بسبب الوضع في فلسطين وما يمثله هذا التوتر من خطر على السلام العالمي، يعلن المؤتمر تأييده للشعب العربي في فلسطين، ويدعو إلى وضع قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين موضع التنفيذ، وإلى تحقيق التسوية السلمية لقضية فلسطين.

٢ - يؤيد المؤتمر موقف أندونيسيا من قضية ايريان الغربية ويدعو حكومة هولندا للعودة إلى المفاوضات حول الموضوع.

٣ - يؤيد المؤتمر موقف اليمن من عدن والاجزاء الجنوبية من اليمن المعروفة بالمحميات، ويدعو الأطراف ذات العلاقة لتسوية الخلاف سلمياً.

و - السلام والتعاون العالميين :

١ - دعوة مجلس الأمن لقبول ضم جميع الدول المؤهلة لعضوية الأمم المتحدة وفق الشروط الواردة في الشرعة، ويذكر منها: كمبوديا، سيلان، اليابان، الاردن، ليبيا، نيبال وفيتنام الموحدة.

ويعتبر المؤتمر أن تمثيل بلدان اسيا وأفريقيا في مجلس الأمن، غير كاف.

٢ - الدعوة إلى نزع السلاح، وتحريم انتاج الاسلحة النووية والحرارية، واقامة رقابة دولية فاعلة للاشراف على ذلك.

ز - اعلان حول السلام والتعاون العالميين :

يدعو المؤتمر الأمم إلى ابداء التسامح والعيش بسلام مع بعضها البعض، وانماء التعاون الودي بينها على أسس المبادئ التالية :

١ - احترام حقوق الانسان الأساسية، والمبادئ والأهداف التي نادت بها شرعة الأمم المتحدة.

٢ - احترام السيادة والوحدة الاقليمية لجميع الشعوب.

٣ - المساواة بين جميع العناصر والشعوب والأمم، كبيرها وصغيرها.



من ابرز نتائج المؤتمر كان المكانة التي حظيت بها الصين بين دول آسيا. لقد أكّدها المؤتمر دون نيّة مباشرة منه. والصورة خير دليل على ذلك.


نهرو يستريح قبل التوجه لالقاء كلمته ويبدو إلى جانبه بعض الأعضاء الآسيويين ومنهم إلى يمينه أونو رئيس وزراء بورما.

٤ – الامتناع عن التدخل في الأمور الداخلية للدول الأخرى.

٥ – احترام حق كل دولة بالدفاع عن نفسها، بمفردها أو بالتعاون مع غيرها، وفق مبادئ الأمم المتحدة.

٦ – الامتناع عن اتخاذ تدابير للدفاع المشترك خدمة لمآرب أية من الدول العظمى.

٧ – الامتناع عن أعمال العدوان، أو التهديد به، أو استعمال القوة ضد الوحدة الاقليمية أو الاستقلال السياسي لأي بلد.

٨ – تسوى جميع النزاعات الدولية بالوسائل السلمية عن طريق المفاوضات والتوفيق، والتحكيم، أو غيرها من الوسائل السلمية التي تختارها الأطراف وفقاً لشرعة الأمم المتحدة.

٩ – تنشيط المصالح المشتركة والتعاون.

١٠ – احترام العدالة والالتزامات الدولية.

وأوصى المؤتمر الآسيوي الأفريقي الدول الخمسة الداعية بدعوة المؤتمر لاجتماع تالٍ، بالتشاور مع الدول المشتركة.

هذه هي، بايجاز، مجموعة مقررات مؤتمر باندونغ، فأين نحن منها، ولماذا لم يجتمع المؤتمر ثانية؟

اتيح لي خلال سفارتي في الهند، في أواخر الخمسينات أن أسأل جواهر لا نهرو، أحد اعلام مؤتمر باندونغ، عن السبب عن عدم دعوة «مؤتمر باندونغ ثان» فابتسم بمرارة، وقال لي: أين نحن من باندونغ الآن؟ وهل بامكاننا الآن أن نوفق حتى بين دول مؤتمر باندونغ الأول؟ تلك الدول نفسها ليس بامكاننا جمعها الآن، فكل منها قد سار في طريقه الخاص إلى المعلوم، أو إلى المجهول. ●



●التاريخ معركة الفرد مع الجماعة، معركة يثيرها الناس لرغبتهم في الدعة والراحة، ويثيرها الفرد بسبب الدافع نحو الإبداع والعمل، ولهذا يظل التاريخ أبداً منعماً بالقسوة ولن يخلو منها أبداً.

مكسيم غوركي



●إن قراءة التاريخ أمر حسن ولكن الأفضل أن يساهم المرء في صنع التاريخ.

نهرو

تاريخ أصول الإدارة في الإسلام

د. محمد أحمد خلف الله

● تستمد الادارة الاسلامية مقوماتها الرئيسية من المصادر الثلاثة التالية :

أولاً : التقاليد الادارية العربية التي كانت سائدة قبل الاسلام وكان العرب الجاهليون يمارسون حياتهم على أساس منها.

ثانياً : النظم الادارية الفارسية التي كان معمولا بها حين الفتح العربي لهذه البلدان : العراق وبلاد فارس.

ثالثاً : النظم الرومانية التي كانت مستقرة ومعمولا بها في البلدان الخاضعة للدولة البيزنطية حين فتح العرب لهذه البلدان : مصر وبلاد الشام.

ومن اليسير علينا أن ندرك ان ما أخذ عن هذه المصادر من الأصول الادارية لم يكن ليتعارض مع ما جاء به الاسلام من مبادئ أخلاقية، وقيم اجتماعية، ومعايير سلوكية.

والمصدر الأول—وهو التقاليد الادارية العربية—من أهم هذه المصادر. وأولاها بالوقوف عنده طويلاً. وذلك لسببين هامين :

الأول منهما : —أن هذه التقاليد هي التي نشأ فيها كل أولئك الذين اداروا عملياً المجتمع الاسلامي عند النشأة الأولى. تربى فيها كل أولئك الذين هاجروا مع النبي عليه السلام أو من قبله أو من بعده. فان هؤلاء

هم الذين أداروا الدولة التي قامت في المدينة أولا ثم في بقية الاقليم ثانياً، والجزيرة العربية بعد أن فتح الله على المسلمين مكة.

ويحفظ لنا التاريخ المجالات الادارية التي كان يشغلها بعض هؤلاء المهاجرين قبل أن يسلموا. فقد كان مرفق السدانة في يد عثمان بن طلحة، وكانت السقاية في يد العباس بن عبد المطلب عم النبي عليه السلام. وكانت الاشناق وهي الديات في يد عبد الله ابن أبي قحافة وهو الصديق أبو بكر. وكانت السفارة وهي السعي للصلح فيما بين الناس بيد عمر بن الخطاب، وكانت الرفادة وهي إطعام الحجيج لعبد المطلب ثم أبي طالب ثم الحارث بن عمرو. وكان اللواء بيد أبي سفيان بن حرب والد معاوية الخليفة المؤسس للدولة الأموية، وكانت الازلام بيد صفوان ابن أمية. وكانت الخيمة أو حراسة المجلس بيد خالد ابن الوليد من على مخزوم. وهكذا.

أما السبب الثاني الذي يدفعنا إلى الوقوف عند التقاليد الادارية العربية فهي أنها التي سادت أول الأمر ثم شاركت كلا من النظم الفارسية والرومانية في البلدان التي كانت تسود فيها.

لقد أبقى عمر بن الخطاب على كل واحد من النظامين الاداريين: الفارسي والروماني في البلدان التي كان سائداً فيها. أبقى عليه في لغته وفي مؤسساته الادارية. ولكنه لم يبق عليه وحده وانما أدخل عليه النظام الاداري المعدل - أي النظام التقليدي الذي أدخل عليه الاسلام بعض التعديلات.

تعريب الادارة والدواوين

وهنا حقيقتان لا بد من ذكرهما في هذا المقام:

الأولى: أن النظم الادارية الفارسية والرومانية ظلت في لغتها الأولى وبمؤسساتها التي كانت عليها إلى أن قام بتعريبها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وكان سبب التعريب فيما يحكى المؤرخون هو تمكين الولاة العرب من الاشراف إشرافاً تاماً على شؤون ولاياتهم المالية من حيث أن تدوين السجلات باللغات الأجنبية كان مما شجع صغار العمال على التزوير والتلاعب في السجلات دون أن يكتشف الأمر.

الثانية: ظهرت بعد عصر التدوين - أي في العصر العباسي حين أخذ العقل العربي في تكوين نظرية إدارية تتناول كل التقسيمات والتنظيمات الادارية والتسلسل الوظيفي والمواصفات المطلوبة في كل وظيفة. وما إلى ذلك.

لقد برزت هذه الحقيقة على شاكلة وجود آراء عديدة ومختلفة في كل عملية ادارية. وعندي أن السبب في ذلك هو أن الذين فكروا في النظرية لم يقيموا حواراً بين هذه النظم ينتهي إلى نظام واحد، وانما جمعوا كل ما أخذ عن هذه النظم المختلفة ووضعوه جنبا إلى جنب على أنه الآراء المختلفة التي تدور حول مسألة واحدة.

أنه من هنا يمكن القول بأن الأصول الادارية التي سوف نطرحها على أنها الاصول الاسلامية في الادارة هي أصول نظرية وليست عملية. ان الواقع الاداري كان يمضي مع الاعراف والتقاليد وليس مع



هذه الأصول النظرية.

ان هذه الأصول النظرية مستمدة من كل الأعراف وكل التقاليد في دولة ذات أقاليم عديدة ولكل اقليم طابعه الخاص.

ونأخذ الآن في بيان الكيفية التي استمد فيها المسلمون الأولون أصول ادارتهم من المصادر الثلاثة المشار اليها

ونبدأ من ذلك بالتقاليد العربية.

والتقاليد هنا هي تقاليد المجتمع المكي من حيث أن النبي عليه السلام وصحابته من المهاجرين ممن كانوا الرعيل الأول في إدارة الدولة زمن الخلفاء الراشدين

وبني أمية انما كانوا من أهل مكة ومن الذين نشأوا على هذه التقاليد الادارية.

كانت مكة في ذلك الوقت المركز الرئيسي **للنشاطات الدينية والنشاطات الاقتصادية** لكل البلدان والقبائل العربية. ومن هنا كانت أكثر بلدان الجزيرة أخذا بأسباب الحضارة.

وكانت مكة بحكم وضعها الحضاري ومكانتها الدينية المقدسة ومكانتها التجارية تسعى إلى الأمن عن طريق السلام، ومن ثم أدارت مرافق الحياة فيها على أساس من السلام.

فتأدية الناس للواجبات الدينية يجب أن يتم على أساس من السلام. ومن هنا كانت الأشهر التي يؤدي فيها الحج وتنشط فيها التجارة أشهرا حرما لا حرب فيها ولا قتال. أشهرا أمّن فيها الناس على حياتهم وعلى أموالهم

وقيام القوافل التجارية بالمسؤوليات الملقاة على عاتقها يتم هو الآخر في نطاق السلام.

ومن هنا كانت الاتفاقات والمعاهدات تبرم ويتفق عليها مع كل القبائل التي تقع في طريق القوافل حتى لا يكون نهب وسلب وقتال.

وتحقيقاً للسلام في داخل مكة رأى رؤساء القبائل والعشائر ان يتم الأمر فيما بينهم على أساس من التشاور والتراضي بحيث تقتل العصبية في مهدها وتمضي الأمور في السلام المانع للخصومه لما تجر اليه الخصومة من عداوة فقتال.

وتحقيقاً للتشاور أنشأوا مجلساً عرف في التاريخ باسم الملأ، واتخذوا له مقرا عرف في التاريخ باسم: دار الندوة.

وهكذا مضى الأمر بحيث يمكن القول عن خصائص هذه الأدارة بأنها كانت جماعية، إذ كان الملأ هو الذي يدير مجالات الحياة في مكة. وانها كانت مركزية لأن نطاقها هو مكة والقرى القريبة منها والمحيطة بها والتي تقوم فيها الأسواق التجارية لأهل مكة، ويستكمل فيها مناسك الحج من أمثال عرفة، ومزدلفة، ومنى، تلك التي من أجلها سميت مكة بأم القرى.

الادارة العربية يومذاك كانت مركزية. جماعية. أداتها الشوري، وهدفها السلام.

مرحلة انتقال إلى الاسلام:

ولكي يتحقق السلام عقدوا حلفاً يقال له حلف الفضول حضره النبي قبل أن يبعث نبياً رسولاً وكان الهدف منه ألا يظلم أحد بمكة بعد عقد هذا الحلف- أي مقاومة الظلم وتحقيق العدل.

ولكي يتحقق السلام كانت المناصب الادارية توزع بالشوري على كل العشائر لكي تموت العصبية

وحين جاء الاسلام بقيت أكثر هذه الخصائص على حالها وتغير الموقف بعض التغيير.

بقيت على حالها من حيث أن الذي ظل يدير مكة هو الملأ -أي الأرستقراطية المكية من مختلف الأسر والعشائر- أما المسلمون فكانوا قلة قليلة مغلوبة على أمرها ومضطهدة.



وتغير الموقف بعض الشيء من حيث أن هذه الجماعة قد أخذت نفسها بنظام لها جديد هو النظام الاسلامي الذي خرج بها عن الولاء للقبيلة أو العشيرة إلى الولاء لهذا الدين الجديد.

وأصبح لهذه الجماعة هدف جديد هو نشر هذا الدين، وأخذت نفسها بالعمل من أجل تحقيق هذا الهدف.

قام محمد عليه السلام بتنظيم هذا العمل. كان يتلقى الوحي من السماء ثم يطلب إلى مجموعات العمل أن تقوم أولاً بتوثيق هذه النصوص الآلهية. وكانت عملية التوثيق تتم في أسلوبين: حفظ هذه النصوص عن ظهر قلب أو كتابتها في الصحف. وبذا وجد عند النبي عليه السلام القراء وكتبة الوحي. وكلهم يعمل

على نشر الدعوة الجديدة.

ومضى مع نشر الدعوة تخلق أعضاء المجتمع الاسلامي الجديد بأخلاق هذه الدعوة الجديدة وأخذهم أنفسهم بممارسة الحياة اليومية على أساس من معاييرها السلوكية.

أخذوا أنفسهم بتقوى الله—أي اتقاء غضبه، وذلك ببعدهم عن الآفات التي تسبب انحرافات في الحياة.

وأخذوا أنفسهم بالعمل الصالح—أي العمل الذي يصلح به حال الفرد وحال المجتمع الجديد. ومن هنا كانت المصلحة العامة هدفاً من أهداف الادارة السليمة—المصلحة لكل الناس ولأشد الناس احتياجا إلى الخدمات.

وظلت هذه الجماعة الجديدة مغلوبة على أمرها في مكة لمدة ثلاث عشرة سنة، ووقع عليها من الاضطهاد والأذى ما دفع ببعض أفرادها إلى الهجرة—ولكن ذلك كله قد صقل أعضاء هذه المجموعة إلى الحد الذي جعلهم من الاداريين الممتازين حين قامت دولتهم في المدينة أولاً، ثم في الكوفة ودمشق ثانياً، ثم في بغداد وسر من رأى ثالثا، ثم في اقاليم أخرى بعد ذلك.

وفي المدينة تغير الموقف من حيث وجود مناخ ديني جديد، ووجود مجتمع بشري جديد متغير وسريع التغير—الأمور التي فرضت نظاما إداريا واضح المعالم.

كانت المشكلة التنظيمية الأولى التي واجهت النبي عليه السلام هي كيف يقيم العلاقة بين المهاجرين والانصار أولاً، ثم كيف يقيم العلاقة بين أتباعه من مهاجرين وأنصار وبقية سكان المدينة من العرب المشركين ومن أهل الكتاب وبخاصة اليهود.

وتغلب على هذا الموقف بنظام المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وبنظام الصحيفة التي حددت الأدوار لكل سكان المدينة. فقد كانت هذه الصحيفة أشبه بالمعاهدات الواجبة التنفيذ. غير أن التطورات السريعة التي لحقت جعلتها عديمة الأهمية فلم يلبث الوضع أن تغير بدخول الناس في الاسلام وباخراج اليهود من المدينة.

المهمات والتنظيمات القتالية

ثم كانت المشكلة الثانية الخاصة بقتال الذين ظلموا المهاجرين وأخرجوهم من ديارهم بغير ذنب إلا ان يقولوا: ربنا الله.

وجاء الحل عن طريق نظام الجهاد—أي إدارة الحرب والقتال من أجل مقاومة الظلم وتحقيق العدل، ومن أجل التمكين للنظام الاسلامي الجديد في أرض العرب.

وتوالت الانتصارات، وساد النظام الجديد، واحتاج الأمر إلى وقفة تنتظم فيها مجموعات العمل ويحدد لكل مجموعة الاختصاص الذي تباشره.

بقيت مجموعات نشر الدعوة من القراء وكتاب الوحي كما هي من حيث التنظيم، وزاد عددها من حيث الحجم.

ونشأت مجموعة عمل أخرى هي مجموعة النقباء. وهؤلاء النقباء إنما يختارون من القبائل أو المدن التي دخلت في الاسلام، ويحضرون دورات تثقيفية في مدينة الرسول ثم يعودون إلى الاماكن التي جاءوا منها. وهذه العملية التثقيفية هي التي أشار بها القرآن الكريم حين قال «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم».

أما المقاتلة الذين يقومون بالغزوات والحروب فكانوا يستنفرون حسب العادة الجاهلية. وهم هنا إنما يستنفرون من المسلمين: مهاجرين وأنصار.

وهناك مجموعة عمل أخيرة هي العاملون على الزكاة والخراج وما إلى ذلك - أي المسؤولون عن الموارد المالية.

وكان الذي يدير هذه المجموعات هو الرسول عليه السلام. فهو وحده الذي يبلغ الناس القرار بعد ان يتلقاه عن ربه أو يفكر فيه ويصدره عن نفسه - وهذا مما يجعل الادارة ادارة مركزية وقد كانت مركزية من أول الأمر عندما كانت الدولة الاسلامية دولة مدنية - وذلك قبل أن تصبح بالفتح دولة أقليم.

ومن الظواهر التي يجب أن تلاحظ انه في المسائل العاجلة التي هي من خصائص الحياة الدنيوية من مثل قضايا الحرب والقتال كان النبي عليه السلام يستشير من هم إلى جانبه ممن سماهم القرآن الكريم بأولي الأمر. وكان في احيان كثيرة ينزل عند رأيهم - وهذا هو الأمر الذي تشير اليه الآية القرآنية الكريمة «وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله».

وهذا يعني أن القيادة فيما لم ينزل فيه قرآن كريم كانت جماعية وأسلوبها هو الشوري.

وهنا يمكن القول بأن أولي الأمر قد حلوا محل الملأ من قريش وأن المسجد قد حل محل دار الندوة عند الاجتماع. وان الادارة ظلت مركزية وكانت جماعية استشارية في بعض المسائل الادارية.

والأمور الجديدة في هذه الادارة الاسلامية هي: سيادة القانون باعتباره قانونا الهيا لا مناص من تنفيذه. وكان الهدف من هذا القانون الالهي هو مصلحة البشر التي يراعيها الله دائماً في تشريعاته.

وإلى جانب سيادة القانون كان حسن اختيار العامل، فهو دائماً متخلّق باخلاق الاسلام من حيث اتقان العمل ومن حيث السعي إلى العمل الصالح لأن الله «يحب اذا عمل احدكم عملاً أن يتقنه».

وظل أمر الادارة على هذه الصورة زمن النبي وابي بكر. وحين جاءت خلافة عمر تبدل الموقف وتبدلت النظم الادارية إلى حد كبير.

الادارة في عهد عمر

واجه عمر بن الخطاب مشكلة التنظيم الاداري بعقلية رجل يفهم أبعاد العمليات الادارية وكيف يمكن ان تترتب على التغييرات الادارية السريعة بعض الاضطرابات التي تفسد الحياة وتعيدها إلى الفوضى



وليس إلى النظام.

لقد وجد عمر الدولة في اتساع مستمر بسبب هذه الفتوح التي يحرز فيها العرب النصر بعد النصر، ووجد في الوقت ذاته اختلافاً بين هذه البلدان بعضها والبعض الآخر في المعتقدات، وفي النظم الادارية، وفي المعايير السلوكية، وفي اللغات التي يمارس بها الناس في هذه البلدان حياتهم اليومية وحياتهم العامة.

ورأى عمر أن يبقي على النظم الادارية السائدة في كل بلد من البلدان المفتوحة لسببين:

الأول منهما: الخوف من اضطراب العمل إن هو

أقدم على تغيير النظام الاداري.

الثاني: الاستفادة من أهالي البلدان المفتوحة في الأعمال الادارية التي يقومون بها والتي أكسبتهم التجربة فيها خبرة وعلماً.

أبقى على هذه النظم في لغتها الادارية من غير تعريب، وترتب على ذلك أن وجد في الدولة أكثر من نظام اداري وأكثر من لغة للحياة فضلا عن اللغة الادارية.

وأضاف عمر إلى كل نظام من هذه النظم الادارية بعض التقاليد العربية التي صقلها الاسلام بمبادئه وأخلاقياته، ولا سيا ما يتعلق بالأهداف التي يرمي اليها الأسلام من أي تنظيم إداري.

كانت الولايات التي تتكون منها الدولة على أيام عمر هي: مكة، المدينة، الشام، الجزيرة بلاد العراق الشمالية بين دجلة والفرات، البصرة، الكوفة، مصر، فلسطين.

وعين عمر والياً على كل اقليم، وكان الوالي يسمى في بعض الحالات باسم الأمير، وذلك حين يكون واليا على مدينة، أو يكون أمير الجند عين والياً، أو يكون قائداً قد فتح هذه الولاية أو هذه المدينة.

كان هذا الوالي أو الأمير عربياً وعمال الادارة الذين يلونه من أهل البلاد الذين كانوا يديرون المرافق أو مجالات الحياة من قبل.

وكانت وظيفة الوالي مستمدة من وظيفة الخليفة فهو نائبه في الولاية ومسؤول أمامه عن أعماله. ومن هنا يمكن القول بأن الادارة ظلت مركزية.

كان يؤم الناس في الصلاة ويشرف على شؤون الحامية لتوفير الأمن وصد الأعداء، ويشرف على الخراج-أي الشؤون المالية، ويحكم في المنازعات. وباالجملة كان المسؤول السياسي والمسؤول الاداري عن أعمال الولاية.

وجرى عمر على قاعدة توجيه الحياة في الولايات ومراقبة شؤون الولاة عن طريق مجلس استشاري مكون من القراء وكبار الصحابة وشيوخ القبائل.

وكان هذا المجلس يحقق فيما يصل اليه من الشكاوى الخاصة بالوالي أو الأمير، حتى ليمكن القول بأن أعمال هذا المجلس تشبه أعمال الرقابة الادارية الآن.

وكان يحدث عندما تكثر الشكاوى من أحد الولاة أن يعين الخليفة إلى جانبه مسؤولاً آخر عن بعض الأعمال ليكون كل منهما رقيباً على الآخر أو عينا للخليفة عليه، وفي مثل هذه الحالة لا تصبح الولاية عامة وانما تصبح ولاية خاصة ما دامت المسؤوليات قد وزعت على اثنين.

وكثيراً ما كان عمر يحصي أموال الولاة قبل تعيينهم وكان يقاسمهم أموالهم ان هي زادت عما أحصاه.

وكان يحدد أهداف الادارة في كتاب تعيينه للولاة ويديرها حول الاعمار والعدل بين الناس.

ولتحقيق الاعمار كان يطلب من الولاة استشارة المواطنين فيما يلزم الاقليم وينزل عند مشورتهم. فعل ذلك مع والي مصر عمرو بن العاص ونزل عمرو على مشورة بنيامين المصري.

وكانت الايرادات تنفق أولاً على مصالح الاقليم وما يتبقى يرسل لدار الخلافة. وشعر المصريون بالفارق الكبير بين ادارة الوالي العربي والوالي الروماني من حيث أن الوالي الروماني كان يعتبر الأهالي وسائل انتاج، ويدرك مهمته على أنها جباية الأموال من أجل صالح بيزنطة أو روما.

وكانت جباية الأموال أيضاً قائمة على العدل من حيث أن الضريبة تؤخذ من المحصول بنسبة مئوية متساوية، وكانت من قبل تؤخذ مقادير معينة من كل مواطن بصرف النظر عن الانتاج الذي حققه والمحصول الذي تحقق له.

وكان عمر يحرص في مواسم الحج على أن يبصر الناس بحقوقهم وبمسؤوليات الموظفين العامين حتى يعرف كل مواطن ما له وما عليه فيقوم بما عليه من واجب ويطالب بما له من حق.

وجاء من بعد عمر عثمان بن عفان وجعل الولاية وقفا على بني أميه. وثار الناس على هذا الاسلوب واشتدت الثورة حتى انتهت بمقتل عثمان.

وحين جاء معاوية أحال الدولة إلى ملك عضوض فالخلافة تورث. والولاة من بني أمية أو من المخلصين لهم.

وجرى التقسيم الاداري على أساس مما يساعد الدولة على السيطرة، وأصبح الولاة من أمثال الحجاج وزياد بن أمية يحكمون ويتسلطون.

لقد كان الخليفة ثم الولاة في عهد عمر يديرون ولا يحكمون. أما منذ العهد الأموي فقد أصبحوا يحكمون ويتسلطون.

وفي نهاية العهد الأموي وأوائل العباسي بدأ عصر التدوين وأخذ رجال الفكر يدرسون ويستفيدون مما خبروه ومما توارثوه وأصبح لهم علم يمكن تسميته بعلم الادارة وهو ذلك الذي كان يُعنون بأسم الأحكام السلطانية أي الأحكام التي تمارس السلطة شرعياً على أساس منها.

ونشير في إيجاز غير مخل إلى الخطوط الرئيسية لهذه الدراسات.

علم الادارة

١ - المؤسسات التي تدير هي: الخلافة - الوزارة - الولاية.

٢ - المؤسسات التي تحقق العدل هي:

ديوان القضاء - وديوان المظالم.

٣ - المؤسسات المالية وهي في جملتها خاضعة للنوع الأول من المؤسسات، وليس لها استقلال ذاتي. وذلك من أمثال: ديوان العطاء - ديوان الخراج... الخ.

ولم يهتم المفكرون المسلمون بالتقسيم الاداري للدولة وانما كان اهتمامهم منصبا على التسلسل الوظيفي والعلاقات في هذا التسلسل. كما كان منصبا بصفة خاصة على الشروط التي يجب توفرها فيمن يشغلون هذه المناصب، والكيفية التي يصل بها الانسان إلى القيام بعمل وظيفة ما وتحمل مسؤولياتها.

والخلافة موضوعة فيما يقولون هم لحماية الدين وسياسة الدنيا ويقولون إنها واجبة، ولكنهم يختلفون في صفة هذا الوجوب فيرى بعضهم أنه وجوب ديني ويرى البعض الآخر انه وجوب عقلي.

ونحن نرى أنها عملية مدنية لأنها لو كانت دينية لورد عنها نص في القرآن أو في السنة النبوية وهما مصدر الدين. ثم ان الصحابة حين اختاروا أبا بكر خليفة قالوا: لقد رضيه رسول الله لديننا أي الامامة في الصلاة حين مرض مرض الموت - أفلا نرضاه لدنيانا.

يعني أنهم رأوها مسألة دنيوية.

هذا إلى جانب أن كل خليفة من الخلفاء الراشدين قد وصل إلى الخلافة بطريقة خاصة به ولو كانت المسألة دينية لعرفوها ولكانت طريقة واحدة للجميع.

والطريقة التي يصل بها الخليفة هي الاختيار.

وحق الاختيار غير ثابت لكل المواطنين وانما لمن تتوفر فيه الشروط التالية:

١ - العدالة الجامعة لشروطها.

٢ - العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الخلافة بالشروط المطلوبة في ذلك.

٣ - الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف.

أما من يرشح نفسه للخلافة فيجب أن تتوفر فيه الشروط التالية:

١ - العدالة.

٢ - العلم المؤدي إلى الاجتهاد في المسائل.

٣ - سلامة الحواس

٤ - سلامة الأعضاء.

٥ - الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

٦ - الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة* وجهاد العدو.

٧ - النسب وهو أن يكون من قريش.

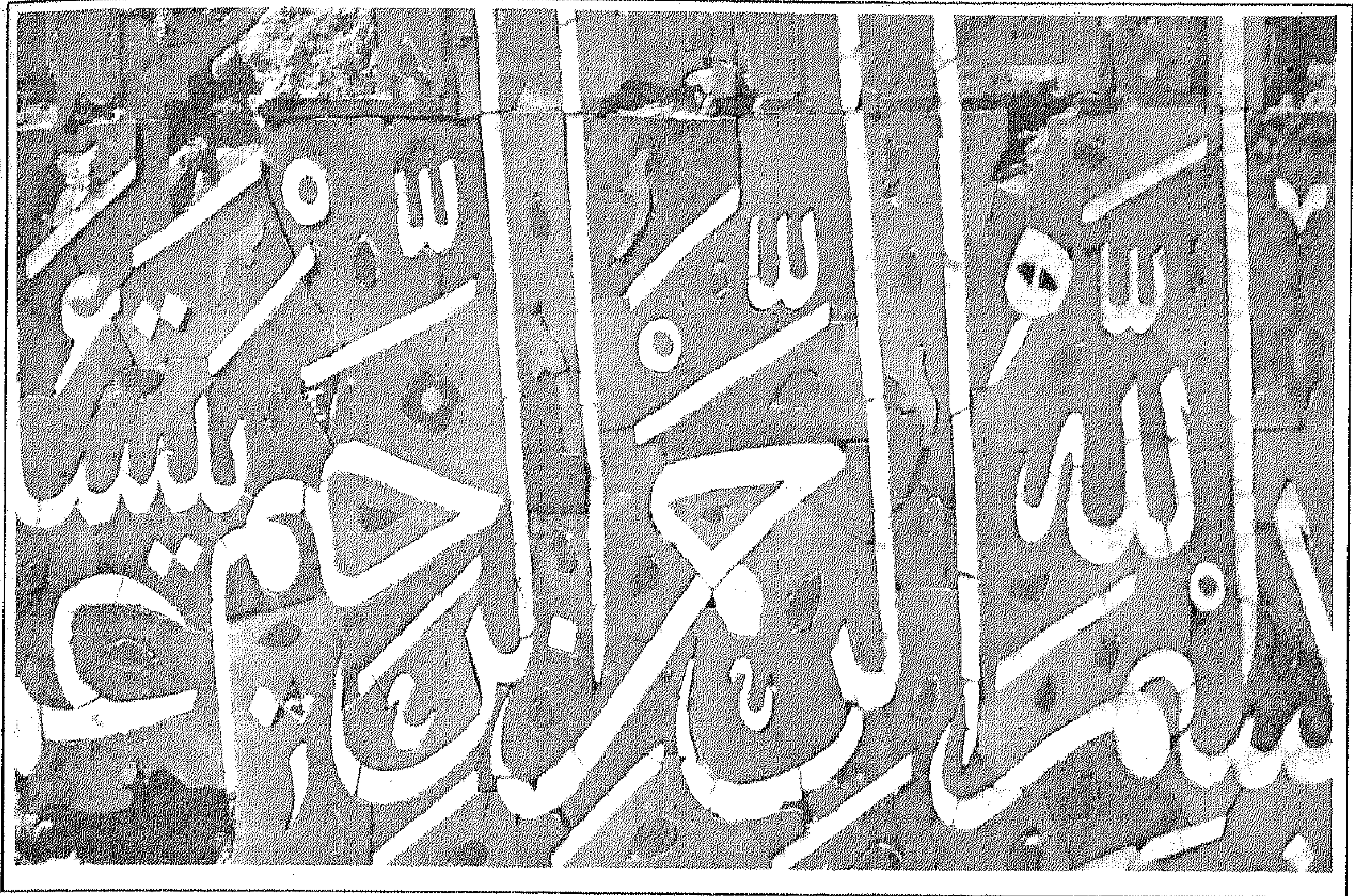
وحول كل واحد من هذه الشروط تختلف وجهات النظر إلى حد كبير.

وعلى كل فقد ظلت هذه المسألة مسألة نظرية ولم تطبق في الواقع العملي.

والذي جرى عليه العمل أنهم جعلوا من طرق الوصول إلى الخلافة أن يعهد الخليفة إلى من يكون بعده - الأمر الذي فعله أبو بكر حين عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب.

وهذا الذي فعله أبو بكر وأجازوه هو الذي

* البيضة: يقال بيضة القوم - أي ساحة القوم وديارهم



أصبح القاعدة فيما بعد حين يعهد الخليفة إلى ابنه من بعده وبذلك نشأت دولة الأسر كدولة الأمويين والعباسيين والفاطميين والعثمانيين وما أشبه.

التسلسل الاداري

واذا وصل الخليفة إلى الخلافة بأية صورة من الصور أصبح هو المسؤول الأول في الدولة وهو مصدر المسؤولية لمن يليه من الوزراء والولاة والأمراء ومن اليهم. ومن هنا يكونون جميعاً من المسؤولين أمامه. أنه يملك حق التولية ويملك حق العزل.

وتأتي بعد الخلافة الوزارة والذي يملك حق تعيين الوزراء هو الخليفة ليس غير. وهم مسؤولون أمامه هو أو أمام من يفوضه للقيام بذلك.

والوزارة تكون وزارة تفويض ووزارة تنفيذ. وفي وزارة التفويض يختار الخليفة الوزير الذي يفوض اليه تدبير الأمور وامضاءها باجتهاده ومسؤوليته.

ويشترطون في هذا الوزير كل الشروط التي يجب توفرها في الخليفة نفسه ما عدا النسب إذ لم يشترطوا فيه أن يكون من قريش. وزادوا على شروط الخلافة أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل اليه من أمري الجهاد والخراج.

وفرقوا بين الخلافة ووزارة التفويض فقالوا: بأن على الوزير أن يطلع الخليفة على ما يمضيه من الأمور وبخاصة فيما يتعلق بتعيين كبار الموظفين حتى لا تنزع نفسه نحو الاستبداد. وأن على الخليفة أن يتصفح أحوال الوزير وتدبيره للأمور ليقر منها ما وافق المصلحة ويوقف منها ما يمكن أن يضر بالصالح العام ما دامت أمور الأمة موكولة اليه.

أما وزارة التنفيذ فليس الوزير فيها أكثر من وسيط بين الخليفة والمواطنين يؤدي عن الخليفة ما يأمر به فيخبر الولاة بتقليد الأمور وتجهيز الجيوش وما أشبه، ويرفع إلى الخليفة ما يجيء من الولاة والأمراء. أنه يعين في تنفيذ الأمور من غير أن تكون له ولاية على أي أمر من الأمور.

ويشترطون فيه أن يكون أميناً، صادق اللهجة، قليل الطمع حتى لا يرتشي، أن يسلم ما بينه وبين الناس بحيث لا تكون هناك كراهية وعداوات. وأن يكون ذكورا لما يؤديه إلى الخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه. وأن يكون فطنا ذكيا حتى لا تدلس عليه الأمور. وأن لا يكون من أهل الهوى حتى لا يخرجه الهوى عن الحق إلى الباطل.

ويجيزون في وزير التنفيذ ألا يكون مسلماً من حيث أنه يختلف عن وزير التفويض من حيث أن وزير

التفويض ينوب عن الخليفة في إمامة الصلاة وإمارة الحج. أما وزير التنفيذ فليس من شأنه أي شيء من هذا.

والأمير أو الوالي يعين من قبل الخليفة وهو المسؤول السياسي والاداري في الاقليم. ويشترط في الوالي اذا كانت ولايته عامه ما يشترط في وزير التفويض. ومن مسؤوليات الوالي النظر في تدبير الجيوش، والنظر في الأحكام، وتقليد القضاة، وتقليد العمال، وجباية الخراج والصدقات وحماية الدين، وإقامة الحدود، وتسيير الحجاج، وإمامة الناس في صلاة الجمع والأعياد.

وقد تكون الولاية خاصة بحيث لا تتجاوز تدبير الجيوش وسياسة المواطنين من غير جباية للأموال أو إمامة للصلاة أو تقليد القضاة والحكام.

وهناك نوع من الولاية يقال له ولاية الاستيلاء، وهي الولاية على مدينة أو اقليم يفتتحه الوالي بالقوة ويضمه إلى الولاية الأصلية.

أما المؤسسات الخاصة بتحقيق العدل فسوف نكتفي هنا بالحديث عن ديوان المظالم لأن أمر ديوان القضاء ليس في حاجة إلى النص عليه.

والهدف من ديوان المظالم هو كف يد الظالمين ممن يعجز القضاء عن الوصول اليهم واللحاق بهم من الوزراء والولاة، ومن اقارب الخليفة نفسه. ومن هنا كان اشتراطهم أن يتولاه الخليفة نفسه أو من يفوضه في ذلك ممن لهم رهبة في النفوس، وقدرة على الضرب على أيدي الظالمين، وتحقيق العدل فيما بين الظالمين مع قوتهم والأفراد العاديين مهما يكن ضعفهم.

أهداف الادارة

ونستطيع الآن أن نستخلص من كل ما تقدم النتائج الادارية التالية:

أولاً: أن التقسيم الاداري للدولة انما يرام به تحقيق الأمن للدولة-الأمن الداخلي والأمن الخارجي.

وكان الهدف على أيام عمر بن الخطاب باعتباره الاداري الأول في الدولة العربية الاسلامية هو أمن المواطنين. أما بعد مقتل عثمان وما تبع ذلك من حروب وثورات فقد أصبح الأمن مطلوباً أولاً للسلطة الحاكمة ثم للمواطنين ومن هنا أعيد التقسيم الاداري للدولة على أيام معاوية بحيث يتحقق الأمن عن طريق أخذ الولايات الثائرة بالشدة وتعيين الوالي القادر على ذلك.

ثانياً: تقسيم العمل إلى مجالات كانت هي المطلوبة في ذاك الزمان من مثل امارة الحج: إمامة الصلاة، ديوان العطاء، ديوان الخراج والصدقات، ... إلى غير ذلك مما كانت تقتضيه الظروف.

ثالثاً: كانت السلطة مركزية في يد الخليفة، وهو المسؤول أمام المسلمين عن أعمال الوزراء والأمراء والولاة، وهم مسؤولون بدورهم أمامه. وكل العاملين في الولاية مسؤولون أمام الوالي الذي يرجع في الأمور الهامة إلى الخليفة.

رابعاً: كان العمران وتحقيق الصالح العام هو الهدف الأكبر من الادارة في كل الولايات ومن هنا اهتم المفكرون الاداريون بالمواصفات التي يجب تحققها فيمن يقومون بالأعمال العامة.

وكان المطلوب من كل عامل مهما يكن قدره هو أن يدير الادارة الحسنة القائمة على أساس من الحق والعدل بحيث يتساوى الجميع أمام الأحكام الشرعية، وليس للحاكم مهما يكن قدره أن يتسلط.

وكان الشرط فيه الكفاءة الادارية المستمدة من الخبرة أو من العلم بأبعاد ما يدير إلى جانب المبادىء الأخلاقية والمعايير السلوكية التي أقرها الاسلام أو جاء بها.

وفي النهاية نضع صورة بعض التوجيهات التي كان يتوجه بها عمر إلى الولاة والأمراء من جانب وإلى المواطنين من الجانب الآخر لنتعرف على بعض أصول الادارة في الاسلام من الواقع العملي.

كانت الخطوات الأولى في سبيل الادارة الحسنة هي تلك التوجيهات التي تصدر عن الخليفة عند التعيين وأثناء الادارة.

وهذه التوجيهات تتعلق بتنظيم العلاقة بين الولاة والناس أكثر مما تتعلق بشخص الوالي ومظهره العام.

كان عمر يقول للوالي: اني لم استعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم، ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم فيأهم وتحكم فيهم بالعدل.

وكان عمر يتوجه إلى الناس في مواسم الحج قائلاً: أيها الناس إني اشهدكم على أمراء الأمصار. فإني الم أبعث بهم الا ليفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيأهم، ويحكموا فيهم بالعدل، فان أشكل عليهم شيء رفعوه ●

الصهيونية

من فكرة خرافية إلى دولة توسعية

نشأتها وتطورها واطماعها بلبنان

العقيد الدكتور ياسين سويد





الصهيونية : من النظرية والفكرة الى التنفيذ والتحقيق

● اذا اردنا أن نحدد تاريخا نعتبره منطلقاً للحركة الصهيونية لوجدنا أن عام ١٨٨٢ هو التاريخ الملائم، في هذا العام نشر الطبيب والمفكر اليهودي ليوبنسكر (١٨٢١-١٨٩٤) كتابه «التحرر الذاتي» فكان أول من اطلق الفكرة الصهيونية أو فكرة الوطن القومي اليهودي، حين قال «الشعب اليهودي لا وطن ابويا له على كثرة أوطانه الأم، إنه حاضر في كل مكان، وليس له بيت في أي مكان أبداً»، وقال في مكان آخر من كتابه «اليهود ليسوا أمة حية، انهم غرباء في كل مكان، لذا يحتقرهم العالم، والحل الوحيد الصحيح ينطوي على خلق قومية يهودية وإيجاد شعب له كيانه الخاص وأرضه». وتلقف الفكرة ذاتها بعده الصحفي النمساوي الشهير تيودور هرتسل الذي اعتبر بحق مؤسس الحركة الصهيونية والأب الروحي لها، في كتابه «الدولة اليهودية» الذي نشره عام ١٨٩٦ والذي اعتبره هو نفسه محاولة لإيجاد «حل عصري للدولة اليهودية»، طرح هرتسل فكرة «إعادة بناء الدولة اليهودية» مبرراً ذلك بالقول ان المسألة اليهودية ليست مسألة إجتماعية أو دينية، وإنما هي مسألة قومية لا يمكن حلها إلا على الصعيد السياسي وعلى مستوى عالمي، وينطلق الى هذه النظرية من بؤس اليهود في العالم وعزلتهم واضطهاد باقي الأجناس لهم، ومن ظاهرة العداء للسامية.

ورغم أن هرتسل اتى بنظريته هذه في العصر الذي عرف بعصر القوميات في اوروبا، وفي الوقت الذي لم يعد فيه الدين، أي دين، يشكل قومية، كما أن بؤس اليهود وعزلتهم واضطهادهم، وما يسميه هرتسل بالعداء للسامية، لم يكن ليشكل عناصر تسمح بالقول بأكثر من حركة عنصرية في الوقت الذي أصبحت عناصر تكوين أية قومية ابعد ما تكون عن هذه المبادئ، ورغم كل المغالطات في هذه النظرية، فقد انطلق هرتسل في المخطط الذي رسمه بذكاء ودهاء، وكرس العقد الأخير من حياته لتطوير أفكاره هذه ونقلها الى صعيد العمل والتنظيم، فعقد مؤتمرات صهيونية متتالية كان أولها في بال بسويسرا بتاريخ ٢٧-٣٠ آب (اغسطس) ١٨٩٧ وحدد هذا

المؤتمر هدف الصهيونية الذي تسعى لتحقيقه وهو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين. كما قرر الوسائل التي يجب اعتمادها لبلوغ الهدف وهي:

- استعمار فلسطين زراعيا وصناعيا.
- تنظيم اليهودية العالمية.
- تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي.

وتتالى بعد ذلك عقد المؤتمرات الصهيونية تنفيذاً لهذه القرارات فعقد في خلال خمس عشرة سنة فقط أحد عشر مؤتمراً. في عام ١٨٩٨ عقد المؤتمر الصهيوني الثاني وكان هدفه اكتساب الجماعات اليهودية في العالم الى جانب الحركة الصهيونية.

وفي عام ١٨٩٩ عقد المؤتمر الثالث وفيه أسس المصرف اليهودي المسمى: «صندوق الائتمان اليهودي للإستعمار» بغية تمويل النشاط الإستيطاني اليهودي في فلسطين.

وفي عام ١٩٠٠ عقد المؤتمر الرابع تحت شعار «العمل اليهودي على الأرض اليهودية».

وفي عام ١٩٠١ عقد المؤتمر الخامس وفيه أسس «الصندوق القومي اليهودي».

وفي عام ١٩٠٣ عقد المؤتمر السادس وفيه جرت مناقشة العرض الذي قدمته الحكومة البريطانية باستعمار أوغندا (بافريقيا) أو العريش. وعين المؤتمر لجنة لدرس العرض الا أن الخلاف بين المؤتمرين أدى الى رفض الإقتراح.

وفي عام ١٩٠٥ عقد المؤتمر السابع وكان ذلك بعد وفاة هرتسل بفترة قصيرة وكان النزاع قد اشتد بين الذين ارتضوا بأوغندا وطناً قومياً لليهود وبين الذين أصروا على أن تكون فلسطين ذلك الوطن. الا أن الفئة الثانية تغلبت في النهاية.

وفي عام ١٩٠٧ عقد المؤتمر الثامن وفيه اتخذت المنظمة الصهيونية قراراً بمتابعة المسعى لاستيطان فلسطين بشكل واسع ومنظم. وانشىء في يافا «مكتب فلسطين» الذي عهد اليه امر متابعة هذا النشاط الإستيطاني وتطويره. فاعتمد هذا المكتب سياسة «التغلغل الإقتصادي» بعد أن ربطها بنظرية «الحق اليهودي التاريخي في فلسطين». وقد عبر البروفسور اوتو واربورغ عن هذه السياسة بقوله: «ان الحق التاريخي الذي يستند الى ملكيتنا لفلسطين قبل ألفي سنة لا مفعول له وحده لدى الدول الكبرى. بل يتوجب علينا ايجاد صيغة عصرية لذلك الحق كي تضاف اليه... إن فلسطين تخضع اقتصاديا لنفوذنا وإن جميع ما أحرزه ذلك البلد من تقدم كبير وملموس يرجع في الأصل الى مبادرتنا نحن وقوة وسائلنا الإقتصادية وفعاليتها ولم ينشأ الا بفضلها».

وفي عام ١٩٠٩ عقد المؤتمر التاسع وفيه طرح الإقتصادي اليهودي الألماني فرانتس اوبنهايمر فكرة انشاء مستوطنات ومستعمرات زراعية في فلسطين تقوم على المبادىء التعاونية.

وفي عام ١٩١٠ عقد المؤتمر العاشر وفيه انتخب واربورغ رئيساً للمنظمة الصهيونية فأخذ يضع أفكاره موضع التنفيذ بينما أخذ اسم حاييم فايتسمان يبرز في المنطقة ويستقطب حوله زعماءها.

المخطط بحذافيره:

وفي عام ١٩١٣ عقد المؤتمر الحادي عشر والأخير قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وفيه ترأس فايتسمان اللجنة الدائمة للمنظمة وراح يسعى لدى الدول المتحاربة كي يحصل منها على براءة الإستيطان اليهودي في فلسطين وتأمين الإعتراف الدولي بها فتفتقت عبقريته عن المخطط التالي:

١ – يجب أن ينتصر الحلفاء في الحرب (العالمية الأولى).

٢ – بعد انتصارهم توضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

٣ – تقوم الدولة المنتدبة بتسهيل دخول مليون يهودي أو أكثر الى فلسطين.

٤ – ينتهي الإنتداب بعد أن يستتب الأمر لليهود في فلسطين وتتم لهم السيطرة على مقدراتها.

وتلاحقت الأحداث وفقاً للمخطط الذي وضعه فايتسمان فكان وعد بلفور في كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٧ حصيلة التحالف الصهيوني البريطاني في أثناء الحرب. وكان هذا الحدث التاريخي المصيري ذروة ماكان يحلم اليهود بتحقيقه. في أعقاب الحرب العالمية الأولى. من انتصار. وقد قال عنه الكاتب اليهودي «اشركوستلز» في كتابه «الوعد والتحقيق – فلسطين ١٩١٧ – ١٩٤٩» ما يلي: «لقد بلغت الحركة الصهيونية العجيبة ذروتها في وعد بلفور الشهير. وهو يمثل إحدى الوثائق السياسية الأبعد احتمالاً على مدى الأزمنة. إذ أقدمت أمة ما

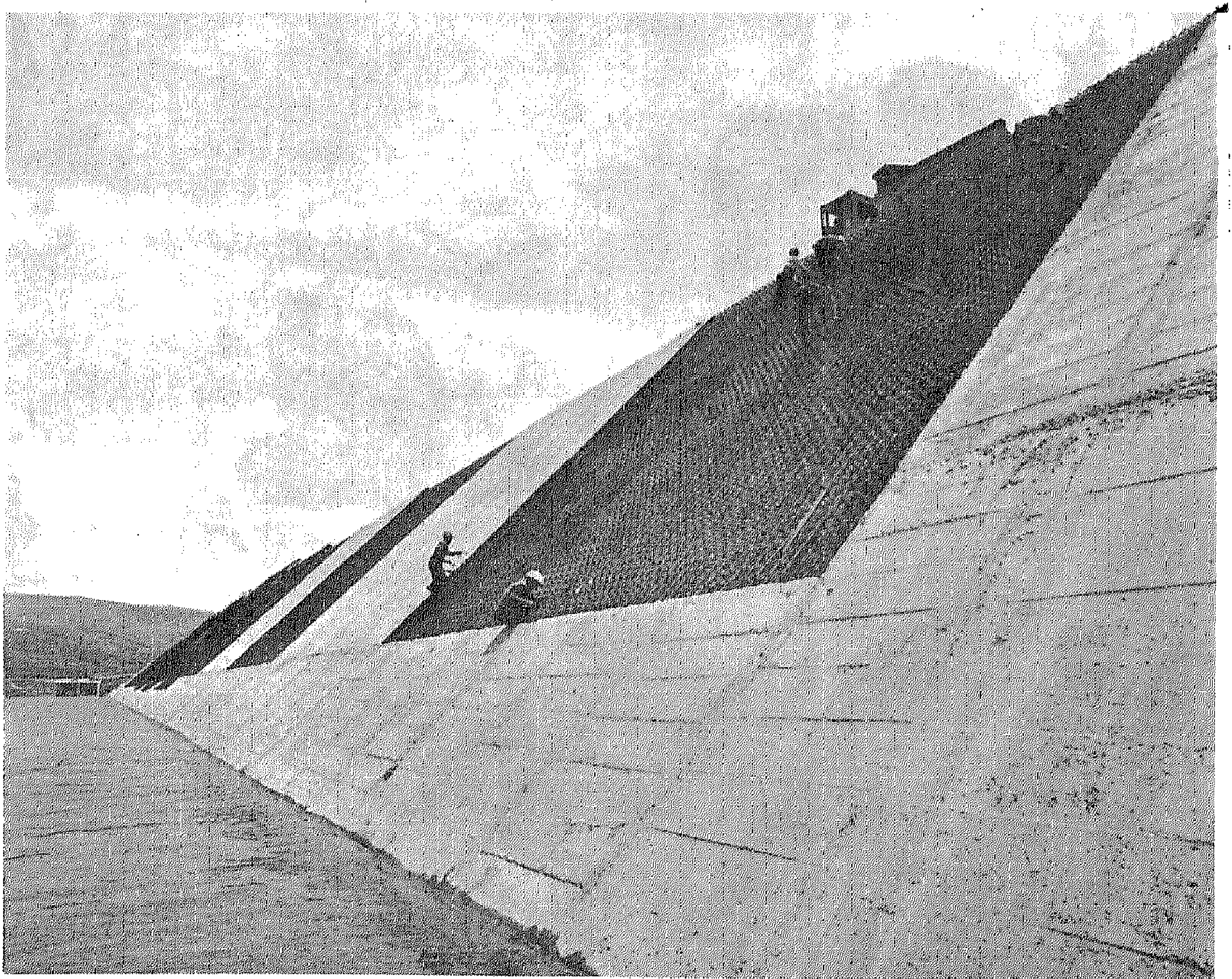


الشعب العربي... في فلسطين المحتلة أمس... وفي الجنوب اليوم...

(بريطانية) في هذه الوثيقة على وعد أمة ثانية (الصهيونية) وسط مظاهر الإجلال والمهابة ببلد يخص أمة ثالثة (عرب فلسطين)».. الا أن الحركة الصهيونية لم تتوقف، في نشاطها، عند حدود هذا الإنتصار، بل دأبت في السعي لتوسيع حدود فلسطين على حساب الدول العربية المجاورة ولبنان منها رغبة في توسيع رقعة الأرض التي سوف تتكون منها الدولة اليهودية فيما بعد.

لقد كان الحد الشمالي لفلسطين وفقاً لإتفاقية سايكس بيكو يمر بالزيب شمال عكا حتى الطابغة شمالي طبرية. وفي أوائل سنة ١٩١٨ تقدم فريق من الصهيونيين الألمان الى الدولتين التركية والألمانية بمقترحات رسمت فيها حدود الدولة اليهودية، وقد تقدموا بعرضين لهذه الحدود. الأول يجعل رأس الناقورة حدا شمالياً للدولة اليهودية المقترحة والثاني يجعل مصب الليطاني حدا لهذه الدولة. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ رسمت اللجنة الاستشارية الصهيونية لفلسطين الحدود الشمالية للدولة اليهودية فجعلتها تمتد من الليطاني الى بانياس، وفي الوقت نفسه قام مجلس اتحاد الصهيونيين الهولنديين يطالب بتوسيع حدود الدولة اليهودية المزمع انشاؤها حتى تشمل نقاطاً «لا تبعد عن بيروت ودمشق كثيراً».

وجاء هربرت صموئيل أول مفوض سام بريطاني في فلسطين، وكان أحد زعماء الصهيونية في بريطانيا، فاقترح أن تصل الحدود الشمالية لفلسطين (أو الدولة اليهودية) حتى الضفة الشمالية لليطاني، وحتى أقصى ينابيع الأردن قرب راشيا، وكان موقف بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية مؤيداً لهذه المطالب الصهيونية، الا أن فرنسا وقفت بحزم في وجه هذه المطامع، وفي أثناء المفاوضات التي جرت بين فرنسا وبريطانيا لسحب قوات هذه الأخيرة من المناطق المخصصة للنفوذ الفرنسي، اقترحت بريطانيا أن تسحب قواتها الى خط يتجاوز حدود فلسطين نحو الشمال وذلك بقصد تكريس حدود جديدة لها تكون هي حدود الدولة اليهودية المرتقبة، ويمتد الخط الذي اقترحته بريطانيا من صيدا الى نقطة قريبة من راشيا ويسير عبر قمة جبل الشيخ الى نقطة تقع جنوبي دمشق، الا ان فرنسا رأت عكس ذلك تماماً، إذ رأت أن تنسحب القوات البريطانية الى خط يتجه من شمالي عكا الى طبرية، وهكذا تم الإتفاق أخيراً بين الدولتين المنتدبتين على أن تنسحب القوات البريطانية



سد القرعون على نهر الليطاني.

الى خط يمتد من الزيب الى الحولة وهو ما يقل كثيراً عن المطامع الصهيونية. وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩، عقد مؤتمر بين بريطانيا وفرنسا لتسوية مشاكل الدولتين المنتدبتين في الشرق الأوسط، وفي أثناء البحث بالحدود بين لبنان وفلسطين، تمسكت فرنسا بخط سايكس بيكو خطاً فاصلاً بين لبنان وفلسطين، بينما سعت بريطانيا جاهدة لإقناع فرنسا أن يكون الخط الحدودي الفاصل بين البلدين ممتداً من شمالي عكا الى حيث يستدير الليطاني نحو الغرب قبل مصبه، فجبل الشيخ، وقد انتهى المؤتمر بتمسك فرنسا بوجهة نظرها.

وأمام هذا الموقف الفرنسي المتصلب، تراجع الصهيونيون عن مطالبهم الإقليمية بالأرض اللبنانية وأعلنوا أنهم يقبلون بالإستفادة من مياه الليطاني دون أية مكاسب اقليمية في وادي ذلك النهر، وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ وقع على اتفاق الحدود بين بريطانيا وفرنسا ورسم الحد الشمالي لفلسطين بحيث يمتد من رأس الناقورة غرباً حتى المالكية فالمطلة شرقاً.

وحين صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ أدخل الجليل الأعلى ضمن حدود الدولة العربية الفلسطينية التي أقرها. هذا القرار فشكل عازلاً بين اسرائيل ولبنان. الا أن اسرائيل لم تلبث أن استولت على الجليل الأعلى دافعة بحدودها نحو الشمال حتى أصبحت مجاورة لحدود لبنان.

الأطماع الصهيونية بلبنان:

مما تقدم، يتبين أن الصهيونية قد خططت منذ نشأتها، لدولة توسعية تجتاح في توسعها، بالإضافة الى فلسطين، أجزاء من أراضي الدول العربية المحيطة بها، وخاصة لبنان، ولم تبق اطماع الصهيونية بلبنان قائمة على صعيد نظري فقط، بل قد تبين لنا مدى الجهد الذي بذله زعماؤها، خاصة قبل قيام اسرائيل في سبيل الحصول على جزء من هذا الوطن.

والسؤال الذي يطرح: لماذا تطمع اسرائيل بالتوسع على حساب لبنان؟ وما هي بواعث هذا الطمع؟

يمكن تلخيص هذه البواعث بما يلي:

١ - الباعث الديني:

وهو أحد أهم البواعث التي تدعو اسرائيل للطمع بلبنان والتوسع على حسابه، فإذا اعتبرنا أن

الصهيونية بحد ذاتها، حركة قائمة في الأساس على فكرة دينية، رأينا أنها تحلم بإنشاء دولة يهودية تنطبق عليها أوصاف أرض الميعاد التي ورد ذكرها في التوراة.

فماذا تقول التوراة عن أرض الميعاد هذه:

– جاء في سفر التثنية (اصحاح ١١ فقرة ٢٤): «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم».

– وجاء في سفر يشوع (اصحاح ١ فقرة ٣ و ٤): «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم».

– وجاء في سفر التكوين (اصحاح ١٥ فقرة ١٨): «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك اعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات».

– وجاء في سفر العدد (اصحاح ٣٤ فقرة ١-١٢). «وكلم الرب موسى قائلاً: أوص بني اسرائيل وقل لهم انكم داخلون الى أرض كنعان، هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيبا، ارض كنعان بتخومها» وبعد أن يحدد تخوم ارض اسرائيل هذه جنوباً وشرقاً بأسماء لم تعد متداولة اليوم، وغرباً «وأما تخوم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخما. هذا يكون لكم تخم الغرب» يعود فيحدد تخم الشمال قائلاً: «وهذا يكون لكم تخم الشمال، من البحر الكبير ترسمون لكم الى جبل هور (وجبل هور هو إما حرمون حسب رأي بطليموس، أو جبل المدار الواقع جنوبي غربي البحر الميت، حسب رأي المؤرخين المحدثين) ومن جبل هور ترسمون الى مدخل حماة وتكون مخارج التخم الى صدد». (ويعتقد بعض المؤرخين أن صدد هذه كانت تقع في شمال لبنان بين النهر الكبير ونهر عكار).

يتبين من هذه الأقوال الواردة في التوراة، ومن أقوال سواها أن ارض الميعاد التي تستند اليها الصهيونية لتحديد دولتها اليهودية محددة في هذه النصوص تحديداً عاماً، في بعض الأحيان، مثل: البرية ولبنان، جميع أرض الحثيين، من نهر مصر الى نهر الفرات.. وفي احيان أخرى تحديداً مفصلاً مع ذكر أسماء لأماكن انقرضت وأصبحت غير معروفة في جغرافية اليوم، ولكننا نجد أن معظم هذه النصوص، إن لم يكن جميعها، يورد اسم لبنان ضمن ارض الميعاد المزعومة.

وللتأكيد على أهمية الباعث الديني لدى الصهيونية في تحديد الدولة اليهودية، وعلى أن لبنان، أو قسماً منه يدخل في نطاق هذه الدولة، كتب الحاخام ايزاكس سنة ١٩١٩ كتاباً رسم فيه حدود الدولة اليهودية وفقاً لما ورد في سفر العدد بالتوراة مدعياً أن هذه الحدود هي الحد الأدنى الذي يرضى به اليهود لدولتهم، وقد شملت الحدود التي رسمها ايزاكس لبنان كله اذ امتدت من الحدود التركية شمالاً الى أواسط النقب جنوباً.

ولم يكن الحاخام ايزاكس الصهيوني الوحيد الذي تخيل حدود الدولة اليهودية المزعومة حينذاك ورسمها في مخيلته وأدخل لبنان ضمنها، بل تخيلها كثير من مفكري اليهود ورسموها، محاولين تحديد الأماكن التي وردت في التوراة على الأرض ووفقاً للأماكن الجغرافية الحالية، ولم يكن الخلاف بينهم الا على تصور هل أن لبنان كله، أم جزءاً منه، يقع ضمن حدود هذه الدولة.

ولقد بدا واضحاً خطر هذه الدعوة الصهيونية لضم قسم من أرض لبنان الى الدولة اليهودية عندما طالبت المنظمة الصهيونية مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ بضم جنوبي لبنان لدولة اسرائيل المزمع انشاؤها، وما زال هذا الخطر ماثلاً خاصة عندما ندرك أن اعلان الإستقلال للدولة اليهودية التي انشئت عام ١٩٤٨ لم ينص على حدود لها لأن هذه الدولة التي قامت على الأرض العربية في فلسطين منذ ربع قرن لم تكتمل بعد جغرافياً في نظر قادتها.

٢ – الباعث الجغرافي– الاقتصادي أو باعث الحاجة الى المياه:

لقد خصّ الله لبنان بميزة حرمت منها الأراضي المجاورة له، خاصة أرض فلسطين، وهذه الميزة هي وفرة المياه فيه، وهذا ما أثار طمع اليهود الذين خططوا للدولة اليهودية معتمدين على أملهم في الحصول على المياه اللبنانية من الليطاني لري صحراء النقب وسواها، فالخطة الصهيونية تقضي باعمار كل الأراضي التي ستقوم عليها الدولة اليهودية وذلك لكي تتمكن هذه الأرض من استيعاب أكبر عدد من المهاجرين اليهود، وذلك يتطلب ولا شك ماء وفيرا

الأمر. الذي كانت هذه الدولة وما تزال تفتقر اليه. من هنا. كانت المصادر المائية عاملاً حاسماً ورئيسياً في رسم حدود الدولة اليهودية. فقد طالب المشروع الذي قدمته المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ بادخال ضفتي نهر الليطاني ضمن حدود الدولة اليهودية. كما ألح يهود بريطانيا عام ١٩١٦ على حكومتهم أن تجعل الحدود الشمالية لإسرائيل تصل الى الضفة الشمالية لنهر الليطاني كي يتسنى لهذه الدولة الإستفادة من مياهه. الا أن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل وذلك بسبب الموقف الصامد والمتعنت الذي وقفته فرنسا في وجه هذه المحاولات. وحين وقع الإتفاق على حدود لبنان وفلسطين بين الدولتين المنتدبتين. بريطانيا وفرنسا. اصرت فرنسا على أن تكون حدود لبنان. جنوبي نهر الليطاني وأن يكون هذا النهر بكامله ضمن أرض لبنان.

وما أن قامت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى عاود اليهود الكرة محاولين بجميع الوسائل الحصول على مياه الليطاني. فبالإضافة الى المشروع الذي أعدته المنظمة الصهيونية عام ١٩٤٣ لإستثمار مياه الليطاني في فلسطين وذلك بواسطة جرها بقنوات من عند النقطة التي ينحرف فيها هذا النهر غرباً نحو البحر. أثار مندوبو اسرائيل في اجتماعات لجنة التوفيق الدولية سنة ١٩٤٩ مسألة مياه الليطاني مما دعا اللجنة المذكورة لأن توصي باستثمار ٧/٨ مياه الليطاني في اسرائيل وذلك بتحويله الى وادي الأردن. وكانت حجة اسرائيل في ذلك أن مياه الليطاني تفيض عن حاجة لبنان وتذهب الى البحر هدرا.

وفي سنة ١٩٥٤، ورداً على مشروع جونستون لإستثمار مياه الأردن، وضعت اسرائيل مشروعا آخر اسمه (مشروع كوتون) (cotton) ضمنته خططاً مفصلة لإستثمار مياه الليطاني بحيث تستفيد منه بمقدار ٤٠٠ مليون متر مكعب، وهي المياه التي تسميها (فائض الليطاني) فتستثمر هذه الكمية في مشروع ضخم للري باسرائيل بحيث تروي نحو مليون و ٨٠٠ الف دونم من أراضيها. ولم يترك مشروع كوتون هذا للبنان من مياه الليطاني سوى ما يكفي لري ٣٥٠ الف دونم فقط.

وعندما فكر لبنان جدياً باستغلال مياه الليطاني وأوجد المشروع المسمى بمشروع الليطاني لم ير موشي شاريت، أحد رؤساء الحكومة السابقين في اسرائيل، افضل من القول بأن استثمار لبنان لمياه الليطاني سوف يخلق لاسرائيل مشاكل اقتصادية. وأن أكبر خطأ ارتكبته دولته هو عدم تضمينها مياه الليطاني في مشاريعها التوسعية. بينما اقترحت مجلة «اسرائيل ايكونوميست» أن يتم استثمار مياه الليطاني على وجه اقليمي. حتى أن ليفي اشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي عام ١٩٦٨ صرح أمام الفيلسوف سارتر بأن اسرائيل قُسِّمت ثلاث مرات الأولى عندما أخرج نهر الليطاني والحاصباني من حدود الدولة اليهودية. والثانية عندما اخرجت الضفة الشرقية للأردن من حدود وعد بلفور والثالثة قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧.

وفي وثيقة سرية أعدها بن غوريون في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١ بعنوان «خطوط هيكلية للسياسة الصهيونية» وسرقها عملاء بريطانيون من حقيبته في أثناء وجوده بلندن ذلك العام. وأعادتها السفارة البريطانية في اسرائيل الى وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد مرور ٣٠ سنة على إخفائها. في هذه الوثيقة. يذكر بن غوريون أن حدود الدولة اليهودية المزمع انشاؤها تشمل شرقي الأردن ولكنه ينصح بعدم اعلان ذلك مؤقتاً لأغراض تكتيكية. كما يذكر أن «أراضي النقب القاحلة وكذلك مياه نهري الأردن والليطاني يجب أن تكون مشمولة داخل حدودنا».

كما نشرت مجلة «جويش اوبزرفر أند ميدل ايست ريفيو» في عددها الصادر في ١٩٧٣/١١/١٦ رسالة وجهها حاييم فايتسمان في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩ الى ديفد لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية حول الحدود الشمالية لفلسطين مؤكدة أن هذه الرسالة تنشر لأول مرة نقلاً عن محفوظات فايتسمان في معهد روحوفوت باسرائيل. وفيما يلي مقتطفات من الرسالة كما وردت في المجلة المذكورة:

«الى دولة الرئيس د.لويد جورج

«سيدي. في اللحظة التي توشك فيها على أن تشترك مع زملائك في المفاوضات النهائية التي سيتوقف عليها مصير فلسطين، تود المنظمة الصهيونية أن تتوجه اليك في موضوع يسبب لها اعمق القلق الا وهو مسألة حدود فلسطين الشمالية.

«وضعت المنظمة الصهيونية، منذ البدء، الحد الأدنى من المطالب الأساسية لتحقيق الوطن القومي اليهودي، ولا داعي الى القول إن الصهيونيين لن

يقبلوا، تحت أية ظروف، خط سايكس بيكو حتى كأساس للتفاوض. انه لا يقسم فلسطين التاريخية ويقطع منبع المياه الذي يزود الليطاني والأردن فحسب بل يفعل اكثر من ذلك كثيرا. إنه يحرم الوطن القومي اليهودي بعض أجود حقول الإستيطان في الجولان وفي حوران التي يعتمد عليها، الى حد بعيد، نجاح المشروع بأسره». ويتابع فايتسمان رسالته قائلاً:

«بينما كانت حدود فلسطين التاريخية عرضة للتغيير المستمر تبعاً لمصائر اسرائيل المتغيرة. كانت حدود فلسطين الطبيعية التوراتية في الشمال تمتد شرقاً على طول سفوح حرمون موطن قبيلةدان الجبلي، الى جانب الليطاني في الشرق حيث يبدأ الإنفصال بين جبال لبنان الغربية وجبال لبنان الشرقية بسلسلةمن الهضاب المرتفعة»

ويقول في مكان آخر من الرسالة: «إن مستقبل فلسطين الإقتصادي كله يعتمد على موارد مياهها للري والقوة الكهربائية، وتستمد موارد المياه بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ومن منابع الأردن ونهر الليطاني» ويبرر فايتسمان في رسالته مطالبته بمياه الأردن والليطاني بان فلسطين بلد يفتقر الى الثروة الطبيعية كما يفتقر الى الوقود «إذ لا فحم فيها ولا حطب ولا وجود للنفط» وللتعويض عن هذه النقائص «زودت الطبيعة فلسطين بموارد مائية هائلة هي مياه الأردن وشلالاته للطاقة الكهربائية ومياه الليطاني للري المباشر أو لتحويلها الى الأردن أو لتخزينها في وادي الليطاني واستثمارها بعد ذلك». ويتابع:

«ولهذه الأسباب، نرى من الضروري أن يضم حد فلسطين الشمالي وادي الليطاني الى مسافة نحو ٢٥ ميلا فوق المنحنى، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية. لضمان السيطرة على منابع الأردن، وإتاحة إعادة تحريج هذه المنطقة». ثم ينهي رسالته بقوله: «إن اي تنازل عن هذه المطالب لا يمكن أن يعتبر من وجهة نظر صهيونية، سوى كارثة خطرة».

٣ – الباعث الإستراتيجي:

نشرت جريدة «فلسطين» اليهودية الصادرة بالإنكليزية عام ١٩١٧ مقالاً «تحدد فيه العوامل التي يجب أن تتوفر في الأرض التي سوف تقوم عليها الدولة اليهودية. وهي:

١ – سهولة الدفاع.

٢ – مساحة كافية للتوسع الإقتصادي.

٣ – شمول جميع المناطق التي يمكن أن تشكل خطراً على الدولة في المستقبل.

وقالت أن حد هذه الدولة من الشمال هو «الحد الاستراتيجي الطبيعي الشمالي لفلسطين.» أي القطاع الذي يقع من صيدا الى أقصى الحد الجنوبي للبنان «وأن الحد الطبيعي الآخر وهو وادي البقاع وجبل الشيخ».

يتبين لنا إذن أنه. بالإضافة الى العوامل الإقتصادية والتاريخية والدينية، تبحث الصهيونية دوماً عن العوامل الإستراتيجية والحيوية لرسم حدود دولتها. لهذا تصور بعض المفكرين الصهاينة أن الحدود المثلى لإسرائيل تمتد من البحر المتوسط غرباً الى سفوح لبنان ومنابع الأردن وقمة جبل الشيخ شمالاً فالصحراء السورية شرقاً فالعقبة جنوباً.

وقد تمكنت اسرائيل في حرب الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ من تحقيق معظم ما رسمته لنفسها من حدود فاحتلت سيناء والضفة الغربية من نهر الأردن ومرتفعات الجولان السورية وجبل الشيخ. فأضحت حدودها مع مصر والأردن وسوريا طبيعية ولم يبق أمامها الا تعديل حدودها مع لبنان بشكل يتلاءم ومصلحتها. وذلك ما جعل موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي يصرح في تشرين الأول (اوكتوبر) عام ١٩٦٧ بقوله: «إن حدود اسرائيل طبيعية مع جاراتها باستثناء لبنان». وأخطر من ذلك كله ما اشار اليه الصحفي الهندي «كارنجيا» في كتابه «خنجر اسرائيل»، نقلاً عن تقرير اسرائيلي تمكن من الإطلاع عليه، وقد جاء في التقرير ما يلي: «يمكن تأمين سلامة مناطقنا الحيوية في الشمال بانشاء خط دفاعي على محاذاة نهر الليطاني وبذلك نحمي الجليل وحيفا. إن احتلال الجليل حتى نهر الليطاني سيسهل الدفاع عن الحولة وسيعزل كذلك لبنان عن سوريا». وجاء في التقرير نفسه: «إن الاستيلاء على مرجعيون – زحلة. الشوف. عن طريق بيروت – دمشق. سيعزل الجيش السوري. والإستيلاء على رياق سيمنع تدخل اي جيش عربي لمساعدة سوريا، واحتلال بيروت واللاذقية سيحرم سوريا ولبنان الطرق البحرية. والاستيلاء على نهر الليطاني سيبعد الجيشين اللبناني والسوري عن حدود اسرائيل الشمالية».

بالإضافة الى هذه البواعث، فان لدى اسرائيل باعثاً آخر ربما يوازي في الأهمية هذه البواعث جميعها بل هو الذي كان وراء الدور الخطير الذي لعبته هذه الدولة في الحرب اللبنانية الأخيرة، ولا تزال، هذا الباعث هو رغبة اسرائيل الجامحة في أن تحتل المكانة التي كان لبنان يحتلها في المشرق العربي والعالم، قبل أن تجتاحه نار الحرب الأهلية التي التهمت كل إمكاناته وقضت على كل طموحاته، فقد كان لبنان، قبل هذه الحرب، يتميز بأدوار ثلاثة هي نقيض كل ما اتت به اسرائيل وما قامت عليه من خصائص وميزات، ويمكن تلخيص هذه الأدوار بما يلي:

١ - الدور الإجتماعي:

كان لبنان، بتشكيله الطائفي والإجتماعي، يعتبر تحدياً صارخا لجميع المقومات التي بني عليها المجتمع الإسرائيلي والدولة الاسرائيلية، فلا غرابة إذن أن نجد منظمة التحرير الفلسطينية تضع لبنان نموذجاً للدولة التي تنشدها كبديل لإسرائيل على أرض فلسطين، ولا غرابة كذلك في أن نجد الكثير من أحرار العالم يؤيدون هذه الفكرة ويقتنعون بها. أما اسرائيل، فهي مجتمع عنصري قائم على اعتبار اليهودي اساس الكيان وصاحب الدولة، وما عداه إن هو إلا غريب عن الوطن دخيل عليه. وحتى اليهودي نفسه، في المجتمع الإسرائيلي، يخضع للتمييز العنصري، فاليهودي الشرقي هو من طبقة دون طبقة اليهودي الغربي أو الأوروبي، وإذا كان الإنسان اللبناني قديماً في أرضه قدم لبنان، ثابت الجذور في التربة التي يعيش عليها، فالإنسان الإسرائيلي جديد على أرض جلب اليها جلباً واستعملت الصهيونية لجلبه كل الوسائل والمغريات، فإذا بالمجتمع الإسرائيلي اليهودي خليط من كل أمم العالم وشعوب الأرض، لا رابطة بين الناس في هذا المجتمع الا رابطة الدين، وهي، في القرن العشرين، رابطة هشة لم تعد تكفي لتكون أمة أو تصنع مجتمعاً وشعباً ودولة.

ويقسم اليهود في المجتمع الإسرائيلي الى فئتين: فئة اليهود الشرقيين (السفارديم) الذين يشكلون نحو ٦٠٪ من السكان اليهود، وقد جاء معظمهم من البلاد المجاورة كالعراق وسورية ومصر واليمن وشمال افريقيا، وفئة اليهود الغربيين (الأشكنازيم) الذين يشكلون نسبة ٤٠٪ من السكان اليهود وقد جاؤوا من أوروبا الشرقية كبلغاريا وبولونيا ورومانيا ومن بعض بلاد أوروبة الغربية ومن روسيا وأميركا، وتختلف الأوضاع الإجتماعية لهاتين الفئتين من نواح عديدة، فبينما نجد اليهود الغربيين (ويسمون أنفسهم البيض) مثقفين ومتحضرين، نجد الكثير من اليهود الشرقيين (أو السمر كما يسمونهم) أميين وغير متحضرين، ويعيش الغربيون في يسر نسبي في المدن بينما يعيش الشرقيون في الأرياف ويمارسون الحرف البسيطة التي لا تدر ارباحاً. ويلاحظ التمييز العنصري بشكل كبير في الجيش والحكومة، فلا يوجد، مثلاً، في قيادة الجيش الإسرائيلي، إلا قلة من اليهود الشرقيين. وكل القادة هم من اليهود الغربيين، كما أن اليهود الشرقيين لا يمثلون بأكثر من وزير أو إثنين في الحكومة، ويمتد هذا التمييز الى الوكالات اليهودية والأحزاب السياسية ومؤسسات الإعلام وغيرها.

وبالإضافة الى التمييز العنصري بين اليهود أنفسهم شرقيين وغربيين، لا حاجة بنا للحديث عن التمييز العنصري بين اليهود والعرب، فالكل يعلم أية معاملة يلاقيها العرب المقيمون في دولة اسرائيل، وقد كتب العديد من الأحرار في الشرق والغرب الكثير عن هذا الموضوع. ويطلق اليهود على العرب المقيمين في اسرائيل اسم الأقلية العربية إذ إن عددهم لا يتجاوز ال ٤٠٠ الف عربي أي نسبة ١٠٪ من مجموع سكان اسرائيل (هكذا كانت نسبة اليهود في فلسطين قبل الإحتلال عام ١٩٤٨). ويتمركز العرب في اسرائيل في ثلاث مناطق هي: الجليل في الشمال والمثلث في الوسط والنقب في الجنوب، وتستوعب هذه المناطق نحو ٧٥٪ من السكان العرب في اسرائيل وهم يعيشون على الأعمال الزراعية، بينما يسكن الباقون منهم بعض المدن مثل الناصرة وحيفا وعكا وشفاعمرو ويافا واللد والرملة وتعتبر السلطات الإسرائيلية السكان العرب مواطنين من الدرجة الثانية وتعاملهم على هذا الأساس وتخضعهم لمختلف أنواع الإضطهاد والتمييز السياسي والإقتصادي والثقافي. حتى أن اسرائيل قد سنت قوانين تقضي بمصادرة حقوق العرب العامة والخاصة وحرياتهم السياسية بقصد تشريدهم والتخلص منهم. ولعل أقسى هذه القوانين وأكثرها ظلماً للعرب هو نظام الأحكام العسكرية المطبق على المناطق العربية، وهو ينص على الرقابة المستمرة والشديدة وتحديد حرية التنقل وحرية الكلام والتعبير والصحافة، حتى أنه يجيز للحاكم العسكري الإسرائيلي أن يغلق بعض المناطق في

المخطط الصهيوني لفلسطين
شباط/ فبراير ١٩١٩

في اسرائيل هي دولة دينية تعتمد في الأساس على وجه السكان العرب كما يجيز ترحيلهم من مناطقهم الى مناطق اخرى وأن يفرض عليهم الإقامة الجبرية في أماكن نائية، وعندما نقول السكان العرب نعني بذلك المسيحيين منهم والمسلمين على حد سواء، باستثناء اليهود العرب الذين يعتبرون مواطنين اسرائيليين كاملي الحقوق، وان تميز عنهم، كما قدمنا، أولئك اليهود المتحدرون من أصل أوروبي أو أميركي. بعد كل ما تقدم، يتبين لنا كم هو تحد لإسرائيل، وربما كم هو خطر عليها، أن يكون بجوارها على حدودها، مجتمع غير طائفي وغير عنصري كالمجتمع اللبناني الذي كان، فلا غرابة إذن أن يكون أحد هموم اسرائيل هو تهديم هذا المجتمع وتخريبه.

والى جانب التمييز العنصري، يتميز المجتمع الإسرائيلي بالتعصب الديني ولا نجد غرابة في ذلك فالدولة القائمة الدين الذي هو اليهودية، وهو امر ترفضه المفاهيم الحضارية في عصرنا، كما لا تزال ترفضه الأكثرية اللبنانية رغم ما مر عليها في هذه الحرب من ويلات.

٢ - الدور الإقتصادي:

كان لبنان يتميز، في المجال الاقتصادي، بأنه باب الشرق وميناؤه إلى الغرب. فهو ذو موقع جغرافي ممتاز بحكم وجوده على شاطئ البحر المتوسط ويتبع نظاماً اقتصادياً حراً يجتذب رؤوس الأموال في عالم عربي تتخبط فيه الأنظمة الإقتصادية ما بين رأسمالية واشتراكية، فإذا به يصبح مركزاً تجارياً ومالياً لجميع بلدان الشرق الأوسط، كما كان يمتاز اقتصاده بأنه اقتصاد خدمات أكثر منه اقتصاد صناعة، بل يكاد يكون البلد الوحيد في المشرق العربي الذي يمتاز بهذه

الميزة الاقتصادية. وذلك ما يثير الرغبة لدى اسرائيل بأن تنافس لبنان على دوره هذا وكلنا يعلم ما لها من تفوق تقني وعلمي على البلدان العربية ولبنان منها ولا غرو فهي تختار مهاجريها من طبقة معينة من اليهود وهي تلحّ باختيارها على اليد العاملة الماهرة والفكر التقني والعلمي وعلى اليهودي المثقف، كما أن خبرة يهود العالم وتجاربهم وأدمغتهم كلها بتصرف الدولة اليهودية، ولها ما للبنان من موقع جغرافي مميز على شاطئ البحر المتوسط. والإقتصاد الإسرائيلي، وإن حدد نظرياً انه اقتصاد اشتراكي النزعة، إلا أنه في الواقع غير ذلك تماماً، فالدولة في اسرائيل لا تمتلك من الإنتاج سوى جزء يقل عن النصف، بينما يمتلك القطاع الخاص معظم رؤوس الأموال الصناعية، بعكس ما هو مألوف في الاقتصاد الاشتراكي لذا يرى كثير من الاقتصاديين أن الإقتصاد الإسرائيلي يميل ميلاً واضحاً إلى الرأسمالية. إذ أنه يؤكد المبادرة الفردية ويشجع الملكية الخاصة (ما عدا القطاع الزراعي) لذا فهو يتميز بالتجريبية دون المذهبية الجامدة، وهو يعتمد إلى حد كبير على المعونات الخارجية خاصة وأن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري والإقتصاد الإسرائيلي اقتصاد حرب.

إذن، فالإقتصاد الإسرائيلي، بميزاته التي عددناها، والتي تلتقي الى حد كبير بميزات الإقتصاد اللبناني من حيث تغلب القطاع الخاص في كثير من المجالات ومن حيث المبادرة الفردية، ثم ما يمكن أن يتوفر لهذا الإقتصاد، في معظم المجالات (وخاصة مجالي الخدمات والصناعة) من امكانات تفوق الى حد كبير الإمكانات المتوفرة في لبنان، كل هذا يشكل تحديا للاقتصاد اللبناني وبالتالي خطراً عليه، فإذا قدر لاسرائيل أن تستقر وأن يتحول مجتمعها من مجتمع عسكري الى مجتمع مدني، واقتصادها من اقتصاد حرب الى اقتصاد سلم، علينا عندها أن نحسب، نحن اللبنانيين، لذلك الف حساب، إذ أن الصناعة الاسرائيلية سوف تغمر ولا شك الأسواق العربية وسيصبح قطاع الخدمات (وخاصة الخدمات المصرفية) متفوقاً في اسرائيل عليه في لبنان، إذ أن لليهود اختصاصا متميزاً في هذا المجال كما نعلم، وربما سوف نرى رؤوس الأموال العربية تفلت من أيدينا وتتسرب من مصارف بيروت لتستقر في مصارف تل ابيب. حتى السياحة سوف يصبح من العسير علينا أن نبقيها كما هي عندنا اليوم. وبكلمة، علينا أن نفكر كثيرا، وأن نعمل كثيراً وأن نأخذ زمام المبادرة في كل مجال من مجالات الإقتصاد، لكي نتمكن من أن نرد التحدي الإسرائيلي وأن نطمح للتغلب عليه.

٣ — الدور الحضاري :

عرف لبنان في العالم أنه نافذة الشرق الروحية والحضارية على الغرب، وذلك بحكم اتصاله الوثيق به منذ قرون، وبحكم موقعه الجغرافي على شاطئ البحر المتوسط، وجاءت اسرائيل، بكل ما تحمله من الغرب من حضارة، جاءت الى المشرق العربي لتكون كما يتحدث عنها مفكرو الغرب من مناصريها ومؤيديها، واحة الحضارة الغربية في صحراء التخلف الشرقي (أو العربي).

وهكذا فقد كان وجود اسرائيل حضارياً في قلب هذا العالم تحدياً للبنان بالذات، وتحدياً للمجتمع اللبناني الذي كان، الى ما قبل انشاء اسرائيل نافذة العالم العربي على الغرب وحضارته.

والآن، وبعد كل الذي جرى على الأرض اللبنانية في خلال السنوات الأربع المرة التي انصرمت، وبعد أن هدمنا بأيدينا كل شيء، وقضينا على جميع أوجه الحضارة والإنسانية التي كانت متألقة في هذا البلد، وبعد أن استقرت اسرائيل في قلب العالم العربي كدولة وكمجتمع، وتحولت من «دولة مصطنعة» في هذا المشرق العربي الى دولة قادرة وقوية ومتحكمة، ماذا بقي لنا، نحن اللبنانيين، الذين خسرنا في هذه السنوات الأربع كل شيء، وربحت اسرائيل في رهانها علينا كل شيء، ماذا بقي لنا سوى أن نضاعف الجهود كي نعيد بناء الوطن المهدم والمحترق، ونرد التحدي، ونكون في مستوى المهمة التي انتدبنا انفسنا لها منذ زمن طويل؟. ●

مراجع البحث

● «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني» الصادر عن قيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت.
● «العرب في اسرائيل»، لصبري جريس.
● نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت.
● «اسرائيل الكبرى»، للدكتور اسعد رزوق.
● «الإقتصاد الاسرائيلي»، للدكتور يوسف صايغ.
● «تاريخ الحركة الصهيونية»، للدكتور الن تايلر، ترجمة بسام أبو غزالة.

من أخبار المسرح الكوميدي في مصر ١٩٠٥ - ١٩٢٠

د. محمد يوسف نجم



نجيب الريحاني

أوليّاته بين الهواية والاحتراف (١٩٠٤ - ١٩١٦):

● يذكر الريحاني في مذكراته ان أول مسرحية اشترك في تمثيلها كانت مسرحية «الملك يلهو» التي ترجمها أحمد كمال رياض بك[١]، عن مسرحية فكتور هيجو. ولدينا خبر يفيد ان هذه المسرحية مثلتها فرقة من الهواة تدعى «محفل الهلال الأدبي التمثيلي» بتياترو عبد العزيز يوم الاثنين ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤[٢]، ثم مثلتها يوم السبت ١٨ شباط (فبراير) ١٩٠٥[٣]. ويوم الخميس ٩ آذار (مارس) ١٩٠٥[٤]. وهنالك أيضاً خبر يفيد ان جوق اسكندر فرح مثل هذه المسرحية بهذه الترجمة على مسرحه بتياترو عبد العزيز في أيار (مايو) ١٩٠٦. واختتمت بقصائد يلقيها عزيز عيد[٥] ولا أعلم ان هذه المسرحية مثلت قبل ذلك. ومن هنا يمكننا أن نؤرخ بداية اتصال الريحاني بالمسرح، خارج نطاق الحفلات المدرسية، بأواخر سنة ١٩٠٤ أو أوائل سنة ١٩٠٥ أو أيار (مايو) ١٩٠٦. وأنا أرجح التاريخ الأخير لأنه كان آنذاك موظفاً في البنك الزراعي. وكان عزيز عيد زميله في ذلك البنك.

وابتداء من أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧ عمل الريحاني ممثلاً في جوق عزيز عيد وسليمان حداد الذي استمر نشاطه حتى أيار (مايو) ١٩٠٨. وكانت تسند إليه في هذا الجوق أدوار ثانوية[٦].

وقد أقيل من عمله في البنك بسبب إهماله، فلاذ بقهوة الفن المجاورة لمسرح اسكندر فرح بشارع عبد العزيز.

ثم أسس وبعض أصدقائه «جمعية ترقي التمثيل العربي». وقد بسط غايتها في كتاب وجهه إلى جريدة الاهرام، قال فيه:

لمّا كان فن التمثيل هو الفن الوحيد الذي ينمي الشعور والعواطف.

ولمّا كان هذا الفن ساقطاً لا يلتفت إليه في القطر المصري بعكس البلاد الأوروبية. عزمنا بحوله تعالى على احياء هذا الفن بكل قوانا. نحن بعض المتخرجين من المدارس الثانوية وبعض المستخدمين في القاهرة. واتيناكم بهذه العجالة آملين ان تبدوا آراءكم في هذا الصدد.

ثم إننا عزمنا أيضاً على انشاء جمعية للخطابة تنعقد في كل اسبوع مرة. ونحن الآن على وشك انتهاء هذا العمل وكل آت قريب. فأملنا أن تحثوا أهل العلم والأدب. كما اننا سننشر على صفحات الجرائد موعد افتتاح هذه الجمعية ونرسل لأرباب الأدب أوراقاً للحضور[٧].

وقد استهلت الجمعية نشاطها بتمثيل مسرحية «شهيدة العفاف» في تياترو عبد العزيز. وذلك يوم الجمعة، تموز (يوليو) ١٩٠٨[٨]. وكانت حفلة خاصة



الريحاني مع أسرة فيلم «غزل البنات» محمد عبد الوهاب، يوسف وهبي، أنور وجدي وليلى مراد.

بالصحفيين. واعادت تمثيلها يوم الأحد ١٢ تموز (يوليو)[٩]. وكانت الجمعية تنشط في الصيف وتفتر في الشتاء لأن أعضاءها كانوا من الطلبة والموظفين[١٠].

وفي تلك الأثناء، كما تروي المذكرات، عرض عليه أمين عطا الله ان يلتحق بجوق أخيه الأكبر سليم في الاسكندرية. فقبل نجيب العرض ومثل مع الفرقة مسرحية «شارلمان»، التي ترجمها أديب أسحق، وكان دوره فيها دور شارلمان نفسه[١١]. واقدّر، استناداً إلى أخبار هذا الجوق التي لدي، ان ذلك كان في يوم الاربعاء ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٠٩[١٢].

وبقي الريحاني على هذا الحال حتى اضطرته ظروفه القاسية، وهي ظروف كل فنان آنذاك، إلى الالتحاق بوظيفة في شركة السكر بنجع حمادي. واستمر في وظيفته هذه سبعة أشهر، اقيل بعدها فعاد بائساً مشرداً إلى ملجأه الدائم في قهوة الفن[١٣]. وفي أثناء فترة تشرده هذه شارك صديقه محمود صادق سيف في ترجمة حلقات من وقائع نقولا كارتر التي كانت تصدرها دار المعارف آنذاك[١٤]. ثم عرض عليه مصطفى سامي أن ينضم إلى فرقة أخيه الشيخ أحمد الشامي، معرباً وممثلاً بمرتب شهري قدره أربعة جنيهات. فقبل العرض دون تردد وترجم للفرقة مسرحيتي «الابن الخارق للطبيعة» و«عشرين يوماً في السجن». وتجول مع الفرقة في رحلتها إلى الوجهين القبلي والبحري[١٥]، وكان هذا، حسب المعلومات المتوافرة لدي عن فرقة الشامي، بين شهري آذار وتشرين الأول (مارس وأكتوبر) ١٩١٠[١٦].

وفي شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠ اعادته شركة السكر إلى وظيفته، وبقي فيها قرابة أربعة أعوام، أقالته الشركة بعدها للمرة الأخيرة[١٧] فعاد إلى القاهرة.

وفي تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٤ – بعد عودته إلى القاهرة بمدة وجيزة – ألف «جوق أبيض وحجازي»، فانضم الريحاني اليه. وعمل معه حتى نهاية الموسم الأول، ثم انشق عليه مع عزيز عيد وروز اليوسف وألفوا «جوق الكوميدي العربي» في أيار «مايو» ١٩١٥[١٨].

نحو الاستقلال : الأبيه دي روز وشخصية كشكش بك (١٩١٦) :

انسحب الريحاني من جوق الكوميدي العربي في أيار (مايو) ١٩١٦[١٩]. وفي أول حزيران (يونيو) ضمه زميله استفان روستي مساعداً له في كازينو الأبيه دي روز، كما ذكرنا، حيث كان يقدم اسكتشات ايمائية أشبه بخيال الظل، ثم أخذا في تمثيل فودفيلات فرنسية من فصل واحد عمادها من الذكور شخصان، هما استفان ونجيب، إلى جانب عدد من الممثلات اللاتي كن يشتركن في استعراضات الكازينو[٢٠].

وبعد ان قضيا شهراً في تمثيل هذا النوع أخذ الجمهور ينفضّ عنهما يوماً بعد يوم، فاضطر الريحاني إلى التفكير في نوع جديد يضمن له وللكازينو جمهوراً كبيراً دائماً. فابتكر شخصية كشكش بك، وكان عبارة عن عمدة يفد من الريف إلى القاهرة وهو يحمل الكثير من المال، فتلتف حوله الحسان ويبتززن ماله بشتى الأساليب ويتركنه خاوي الوفاض، فيعود إلى قريته يعضّ بنان الندم ويقسم أغلظ الايمان ان يثوب إلى رشده والا يعود إلى ارتكاب ما فعل[٢١].

وقدم أول مسرحية له من هذا النوع، وهي مسرحية «تعالي لي يا بطة»، وهي عبارة عن اسكتش قصير يستغرق عشرين دقيقة. واتبعها بعد اسبوع بمسرحيته الثانية «بلاش أونطة» التي أدخلها فيها شخصية شيخ الخفر زعرب، تابع كشكش بك. وقد أسند تمثيلها إلى عبد اللطيف المصري، ثم بمسرحية «بكره في المشمش»[٢٢] وكانت جميعاً من تأليفه. وقد حققت هذه المسرحيات نجاحاً فائقاً جعل صاحب الكازينو يزداد تمسكاً بنجيب ويرفع مرتبه من ثمانية عشر جنيهاً إلى سبعة وعشرين جنيهاً في الشهر[٢٣].

وبسبب انهماك الريحاني في عمله الجديد لم يجد متسعاً من الوقت لتأليف المسرحيات. فرأى ان يستعين بزميله القديم أمين صدقي. فألّف معه ثلاث مسرحيات هي: «خليك ثقيل» و«هز يا وز» و«اديله جامد»[٢٤]، وبسبب الاقبال الشديد قرروا أن يقدموا مسرحية جديدة كل اسبوعين. لا كل اسبوع كما كانوا يفعلون في السابق.

وفي أواخر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦ اختلف الريحاني مع الخواجة روزاتي صاحب الأبيه دي روز، فتركه إلى مسرح الرينسانس.

على مسرح الرينسانس (١٩١٦ - ١٩١٧) :

كان الخواجة ديمو كنجس صاحب ملهى الرينسانس ممن غاظهم نجاح اللون الكوميدي المبتكر الذي كان يقدمه الريحاني في الأبيه دي روز فجاء بالممثل الهزلي محمد ناجي لينافس به الريحاني. فقدّم على مسرحه في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦ مسرحيتين من نوع المسرحيات التي كان يقدمها الريحاني. احداها «انت جيت يا مرحب»[٢٥] والثانية «أبو عميرة وشيشبنت» تأليف توفيق إده[٢٧]. ولكنه لم يقتنع بهذا النجاح الذي حققه محمد ناجي فأخذ يفاوض الريحاني على العمل معه، وانتهى الاتفاق بينهما على أن يدفع له مرتباً شهرياً قدره مائة وعشرون جنيهاً[٢٧].

انتقل الريحاني إلى هذا المسرح ومعه استفان روستي وعبد اللطيف المصري وعبد اللطيف جمجوم، وزميله في التأليف أمين صدقي[٢٨]. وقدم في ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦ مسرحية «ابق قابلني» واستمر تمثيلها شهراً كاملاً[٢٩]. ثم قدم مسرحية «كشكش بك في باريس» فكان نصيبها من النجاح نصيب سابقتها[٣٠]. وبعد ذلك أعادوا تمثيل عدد من مسرحياتهم السابقة ومنها «ابق قابلني» و«هز يا وز» و«اديلو جامد» و«بلاش أونطة». وقدموا مسرحيات أخرى جديدة منها: «أيوه والا لأ» و«احم احم» و«الحدق يفهم» (أو «أحلام كشكش بك») و«وداع كشكش بك». وفي أواخر الموسم انضم إليه عزيز عيد وروز اليوسف ومثلا مسرحية «ام أربعة وأربعين»[٣١]، التي عربها عبد الحليم دلاور عن لابيش، وكان عزيز وروز قد قدماها في الأبيه دي روز في ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٧.

وفي ٢٨ نيسان (ابريل) تعطل الجوق بسبب انتهاء عقد الخواجة ديمو مع صاحب المسرح[٣٢].

على مسرح الاجبسيانة ١٩١٧ :

رأى الخواجة ديمو بثاقب بصره ان لا يجدد عقده مع صاحب المسرح، وان يقيم مسرحاً خاصاً

به[٣٣]. ولذا اختار مقهى في شارع عماد الدين كان يملكه البنك العقاري وبنى عليه مسرح الاجبسيانة الذي افتتح في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧[٣٤]. وانضم إلى الفرقة آنذاك حسين رياض، وبدأوا موسمهم الجديد على المسرح الجديد بمسرحية «أم أحمد»[٣٥].

وفي ٤ تشرين الأول (أكتوبر) توفي الشيخ سلامة حجازي، ورأى الريحاني ان واجب الزمالة يدعوه إلى اعلان الحداد وتعطيل العمل في المسرح ليلة واحدة. ولكن صاحب المسرح لم يوافق على هذا الاقتراح، وانتهى الاختلاف في الرأي بينهما إلى انسحاب الريحاني من الفرقة. فأسند دوره في المسرحية الثانية «دقة بدقة» إلى حسين رياض[٣٦]. ولم يستطع الجوق الجديد الذي تكون من حسين رياض واستفان روستي وحسن فايق وحسين نجيب وصادق أحمد وعبد الحميد زكي وأحمد عبد الحافظ[٣٧]، ان يجتذب إليه الجمهور، بعد ان فقد شخصيته الأولى، فاضطر صاحب المسرح إلى اقفال مسرحه والعودة إلى مفاوضة الريحاني. فوافق الريحاني على العودة شريطة أن يتخلى الخواجة ديمو عن الادارة نظير ان يتقاضى ٣٠٪ من الايراد يومياً[٣٨]. فقبل ديمو بهذا الشرط. ومنذ ذلك الحين أصبح الريحاني مديراً لفرقة تمثيلية[٣٩].

أعاد الجوق بعد عودة الريحاني تمثيل مسرحية «أم أحمد»، ثم اتبعها بمسرحية «حماتك تحبك» ومسرحية «حلّق حوش»، ومسرحية «ام بكير». بعد ذلك رأى ان الاقبال على جوقه يخف، وان الجمهور ينصرف عنه إلى كازينو دي باري حيث يمثل «جوق الأوبريت الشرقي» الذي يديره مصطفى أمين وعلي الكسار. فقرر أن يدرس سرّ نجاح هذا الجوق عن كثب وان يشهد بنفسه ليلة من لياليه. وقد تبين له ان هذا الجوق يعتمد على فخامة المناظر وعظمتها، وعلى «تابلوهات» الرقص أكثر مما يعتمد على الموضوع، فقرر أن يحذو حذوه في ذلك وأن يبدأ في تقديم المسرحيات الاستعراضية. وعلى هذا النسق ألف مع زميله أمين صدقي مسرحية «حمار وحلاوة» التي لحنها كميل شمبير والتي حققت نجاحاً عظيماً أنقذ الجوق من حالة الركود التي كانت تخيّم عليه. وقد أغرى هذا النجاح أمين صدقي بأن يملي عليه شروطاً جديدة، منها أن يكون الايراد بينهما مناصفة، فرفض الريحاني ذلك، فتركه أمين صدقي[٤٠] إلى جوق الأوبريت الشرقي وبدأ اسمه يظهر في اعلانات الجوق منذ شهر آذار (مارس) ١٩١٨[٤١]، واستمر



الريحاني في مسرحيته «لو كنت مكاني».

معه حتى انفصل عنه بصحبة الكسار وألّفا جوقهما الخاص الذي أخذ يمثل في الماجستيك. كان انسحاب أمين صدقي من الجوق نعمة على الريحاني وعلى مهنته المسرحية، إذ قادته آنذاك إلى التعرف على بديع خيري، شريكه وصديقه الذي لازمه حتى آخر عمره. ومنذ ذاك الحين بدأ الريحاني مرحلة جديدة من حياته الفنية، إذ انه اهتدى إلى المؤلف الذي يستطيع أن يبرز أفكاره في حلة ملائمة من الأزجال والنكت والمشاهد المصرية الصميمة.

أعدّ نجيب مع زميله الجديد في فاتحة عهده الذهبي هذا مسرحية «على كيفك» التي لحنها كميل شمبير واستمر تمثيلها شهرين وبلغ ايرادها في تلك الأيام ٢٢٠٠ جنيه. وقدما بعدها مسرحية «مصر ١٩١٨ - ١٩٢٠» التي اشترك في تأليفها معهما حسين شفيق المصري، ولحنها كميل شمبير[٤٢].

في ذلك الحين أثبت اللون الذي كان يقدمه الريحاني والكسار بأنه اللون الذي يرغب فيه الجمهور

ويقبل عليه. وقد أغرى ذلك جورج أبيض بأن ينهج نهجها فكلف عبد الحميد دلاور المصري بأن يؤلف له مسرحية غنائية تماثل مسرحيات الريحاني والكسار، فألف له مسرحية «فيروز شاه» التي لحنها سيد درويش وأخرجها عزيز عيد، والتي أخفقت إخفاقاً ذريعاً كما ذكرنا[٤٣]. ولم تحدث هذه المنافسة أي أثر في مسرح الفودفيل والريفو، بل ان الريحاني استطاع أن يستغلها أحسن استغلال، إذ من خلال ألحانها وأناشيدها البديعة اكتشف الريحاني الموهبة الموسيقية الفذة التي يتمتع بها سيد درويش، ولذا بادر إلى التعاقد معه واستثمار موهبته قبل أن يهتدي إليها أصحاب الأجواق المنافسة.

أعدّ نجيب وبديع مسرحيتهما التالية، وهي «ولو»، وكلفا سيد درويش بتلحينها، فأبدع في تلحين ازجالها الرائعة ولا سيما لحن «السقايين» الذي اشتهر فيما بعد. وقدمت المسرحية في ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ واستمر تمثيلها ثلاث أشهر، لم ينقص الايراد اليومي فيها عن الثمانين جنيهاً[٤٤] وبعدها قدما مسرحية «إش» التي لحنها سيد درويش أيضاً ونالت من الاستحسان والنجاح مثل ما نالته سابقتها بفضل أزجال بديع خيري وألحان سيد درويش وتمثيل الريحاني، فضلاً عن الأزجال الوطنية التي حشدها فيها بديع استجابة لروح الثورة التي أخذت تعم جميع طبقات الأمة آنذاك.

الثلاثي العظيم:

وحالت وقائع الثورة دون استمرار العمل، ولكن الجوق استغلها في إعداد مسرحية جديدة، تعبر عن الروح المصرية آنذاك، فقدم مسرحية «قولو له» التي أعدها الثلاثي الموهوب، وحشد فيها من الأزجال الوطنية والألحان المصرية الحماسية ما جعلها شعلة وطنية متأججة. واتبعها بمسرحية «فلفل» التي ألفها نجيب وبديع ولحنها سيد درويش أيضاً.

وقد كان الجوق يعيد تمثيل مسرحياته هذه وسابقاتها بين الحين والحين، وخاصة في فترات الاعداد للمسرحيات الجديدة.

بعد ذلك دخل موسم الصيف وأخذ الجوق يتجول في الأقاليم واختفت أخباره في الصحف وحل محله جوق مصطفى أمين فترة من الزمن.

وافتتح الجوق موسمه الجديد على المسرح نفسه في أول سنة ١٩٢٠ بتمثيل مسرحية «رن» التي ألفها نجيب وبديع ولحنها سيد درويش، وقد كانت مليئة بالألحان الوطنية والمعاني القومية التي تلائم روح العصر، واستمر تمثيلها شهوراً عدة. وفي تلك الأثناء ألف جوقاً لعزيز عيد مثل به أوبريت «العشرة الطيبة» وعدداً من مسرحياته الأخرى في كازينو دي باري، كما ذكرنا آنفاً. ولم تدم علاقته بهذا الجوق اذ تآمر عليه عزيز عيد وسيد درويش فآثر التخلي عنهما. أما هو فقد قدم في الشهور الباقية من موسمه ثلاث مسرحيات لحنها ابراهيم فوزي، وهي «فشر» و«فرجت» و«انت وبختك» وعقب ذلك اشترك مع الحاج مصطفى حفني وقام برحلة إلى سورية استمرت ثلاثة أشهر[٤٥].

ولا بد لنا، كما فعلنا في أكثر من موضع في هذا البحث، من اللجوء إلى الناقد محمد تيمور، ليمدّنا بالرأي الفني في دور نجيب الريحاني على المسرح العربي في هذه الفترة. يقول تيمور[٤٦]:

دفاعاً عن الريحاني:

يتحدث الناس كثيراً عن الريحاني، عن ذلك الممثل الذي كان مقبوراً في ظلام المسرح منذ أربع سنوات ثم ظهر فجأة أمام الناس يهزّ أعصابهم فيضحكون، ويبتسم لهم ابتسامته الجميلة تهتز تحتها لحيته الطويلة فينبثق في قلوبهم نور يضيء ذلك الظلام القاتم الضارب خباءه فوق صفحات قلوبهم من يوم ان سمعت آذانهم تلك الكلمة القاسية «الحرب». أجل أتى الريحاني إليهم ليفرغ أمامهم ما في جعبة مؤلفيه، وهم كثيرون، من النكات العذبة والمواقف الهزلية دون أن ينهضه لذلك غير عزيمته التي أخرجتها من غمدها الصدفة وشحذت حدها الظروف. أتى إلى المسرح فقيراً ومكث حيناً يتقلب بين الأجواق العاملة يغالب فيها القدر ويغالبه، ويصارع الأيام وتصارعه دون أن يسمع به أحد أو يتحدث بذكره انسان، إلى ان بلغ الغاية المنشودة من نفسه، والأمنية التي كان يسعى وراءها من قديم، متحملاً في سبيلها مصائب التمثيل وشدائده التي لا تفل أعصاب غيره من الممثلين. والآن أصبح الريحاني أينع زهرة في حديقة التمثيل وأصبحت دار تمثيله محطّ رحال الناس فتدفق المال من جيوبهم لجيبه عن طيبة خاطر وكيف لا يفعلون ذلك وليس للساعة


نجيب الريحاني وميمي شكيب.

من لقاء الريحاني ثمن. هذا هو الريحاني الذي أصبحت القلوب مليئة بعذوبة ألحانه تنشدها الغانيات في خدورهن ويرددها الأطفال في الشوارع والحارات وتتغنى بها فئات الناس من رفيعهم لوضيعهم في كل مكان وزمان. ولكن الريحاني لم تسلم شهرته الواسعة من سهام أعدائه وهم من حملة الأقلام. قوم لا تسكن لهم سورة يودون تحطيم تلك الشهرة التي أنضجها الليل والنهار فلا يلبثون أن يرجعوا القهقرى منهزمين متفرقين بعد أن راموا مقاطعة مسرحه الذي بنته يده العاملة، وإسقاط ثماره التي أخرجتها من أكمامها عزيمته القاطعة.

يقول أنصار الريحاني انه ارتقى بالتمثيل إلى قمة المجد ومشى به في أقوم سبيل، ودليلهم على ذلك تهافت الجمهور على سماع رواياته كل ليلة حتى لا ترى في داره مقعداً خالياً عند ارتفاع الستار، ويقول أعداؤه انه رمى التمثيل الحق بسهم قاتل باحثاً عن المال من أي سبيل، وهو وان فتحت الاسماع له حجابها فما ذلك عن جدارة واستحقاق ولكنه ميل غريزي في النفس للمزاح واللهو.

وهجوم عليه:

فما قيمة عمل الريحاني؟ وهل هو من خادمي التمثيل أم من هادميه؟ وهل طريقته المبتكرة ضرورية للحياة التمثيلية في مصر؟ وعلام لا يصيخ الجمهور لأقوال من ناصبوه العداء؟ تلك أسئلة سهل الجواب عنها ومحتم على كل مشتغل بفن التمثيل ان يشرحها للقراء ويحللها تحليلاً وافياً ومن أجل ذلك اكتب هذا المقال.

ليس فيما يفعله الريحاني شيء يسمى بتمثيل إذا كنا نقصد بكلمة تمثيل ما تؤديه هذه الكلمة من المعنى الذي يريده أهل الفن وخادموه. أما إذا كان التمثيل في عرفنا ان تقف جماعة على المسرح يفعلون ما يشاؤون ويقولون ما تنفضه على عقولهم وأذهانهم رؤوس جماعة من المؤلفين وضعوا همهم في جمع نكات السوقة والبحث عن المواقف المخجلة فانه يصح حينئذ عند من يرى ذلك أن يسمي ما يجري على مسرح الريحاني بالتمثيل الحق. ولكنا نسأله أن يعذرنا إذا كنا لا نساير أهواءه ولا ننهج على منواله.

التمثيل الحق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: التراجيدي. والدرام. والكوميدي. ولكل من القسمين الأخيرين أقسام أخرى لا أرى داعياً للخوض فيها.

أما ما يسميه الناس تمثيلاً وليس من التمثيل في شيء لخلوه من كل تحليل نفسي أو أخلاقي فينقسم أيضاً إلى ثلاثة أقسام الجنبول والفودفيل والريفو (أما الأوبرا والاوبراكوميك والابريت فتدخل تحت لواء الغناء وليس هذا موضوع مقالنا). كنا لا نعرف عن هذه الأقسام الثلاثة شيئاً إلى ان دعت الظروف عزيز أفندي عيد ان يشق ببراعته تلك الحجب الكثيفة التي كانت تحجب عن أعيننا نوع الفودفيل والجنبول، فقدم لنا على مسرحه روايات عديدة من النوع الأول ورواية واحدة من النوع الثاني وهي «قبلة في الظلام». وقد اراد بذلك أن يدهش الجمهور المصري بشيء جديد حتى إذا وثق به الجمهور مشى به من الفودفيل إلى الكوميدي الأخلاقية المصرية، ويكون ذلك قد وصل إلى تحقيق الفكرة القديمة التي كانت تجول في مخيلته قبل احترافه فن التمثيل، وهي فكرة ايجاد الروايات المصرية. ولكنه مع الأسف عاد من حيث أتى بعد أن حبط في مسعاه.

ثم انشق عنه تلميذه القديم نجيب أفندي الريحاني وبدأ حياته التمثيلية الجديدة بنوع لم تسمع به مسارح العالم من قبل، والذي لا أجد له مسمى في العربية غير اسمه الأفونكي المبتدع (فرنكو اراب). ولقد جرى الريحاني بهذا النوع شوطاً كبيراً ثم وهنت منه القوى وكاد أن يقر بعجزه أيام ان رأى الجمهور يدير له ظهره في أواخر أيامه بمسرح الرينسانس. ثم عز أن يرى نظيره ممثل الكازينو دي باريز تصفو مشاربه وتخصب مرابعه فانتقل إلى مسرح الاجبسيانة وفي نيته أن يحطم جارحة خصمه، فلجأ إلى نوع الريفو ومزجه بالألحان حتى ظن الناس انه يقدم لهم نوعاً من الابريت وشتان بين النوعين.

ليس الريفو غير معرض الحوادث الهامة التي تجري في بلد من البلاد ينظر إليها المؤلف نظرة الهازىء الساخر ثم ينقلها إلى المسرح مشوهة تشويهاً يضحك فئة خاصة من الشعب. أما المغازي الأخلاقية التي يأتي بها المؤلف عفواً من غير قصد فليست صاحبة المقام الأول ولهذا لا يعز على المؤلف أن يضحيها من أجل نكاته.

جمهور لا يعرف مصلحته؟

هذا ما نقوله عن قيمة هذا النوع من الجهة الفنية وهو نوع يأنف الكتاب في أوروبا من نقده وأظن ان كل من أطلع على تاريخ التمثيل في أوروبا يوافقنا على ما نقول.

واذا كان هذا النوع ليس من التمثيل في شيء كما قلنا فعلام يقبل عليه الجمهور المصري ويعضده بل ويتفانى في الاقبال عليه؟ اني لا أرى لهذا غير سببين: أولهما أن سواد الجمهور المصري ما زال طفلاً يميل إلى ما يوافق مزاجه الصغير وعواطفه التي لم تحنكها التجارب. وهذا النوع يلائم كثيراً مزاج الجمهور وعواطفه. أما السبب الثاني، وهو الأهم في نظرنا، فهو ان الجمهور سئم أن يرى الأجواق الجدية ترجع القهقرى وعاف رؤية الهاوية التي هوت إليها دون أن يدفعها غير كسل مديريها ووقوفهم في منتصف الطريق التي كان في نيتهم أن يقطعوها للنهاية. وما عهد الجمهور بمسرح برنتانيا ومناظره المهشمة وملابسة الرثة ورواياته أجواقه التي لا توافق الجمهور ببعيد. لهذا لا ترى الجمهور المصري يقعد تحت حكم من يقبح لهم روايات الريحاني والجمهور محق في ذلك. وما مثل الفريقين إلا كمثل أخ يقول لأخيه الصغير اني أخوك الأكبر اسهر عليك جفني وأنفق عليك عمري وأفرش لك صدري ثم يأخذه إلى منزله وهناك يطعمه المر ويحرمه لذيذ النوم ويمنعه بياض اليوم. فاذا طوى الأخ الصغير صدره على أذى الكبير اتاه رجل غريب سلاحه الحيلة وحجته الدهاء والمكر يعرض له بضاعته الخبيثة التي طلاها بطلاء كاذب ليستمد وداده ويمتلك عليه فؤاده، حتى إذا آواه إلى داره أتاه بأنواع الخمور وأطيب المآكل وأجمل النساء وأشجى الألحان ليأكل هنيئاً ويشرب مريئاً ويشنف آذانه ويمتع نفسه وجسده غير حاسب حساباً لسوء العاقبة. وأظن أن القارئ الكريم يوافقني لو قلت ان الأخ الصغير يفضل الغريب على شقيقه الكبير وما الجمهور غير الأخ الصغير والريحاني غير الرجل الغريب.

لهذا يعرض الجمهور عن التمثيل الجدي لانه يجده كالتمثال المهشم لا حياة فيه تبعث الأمل في القلوب ويذهب إلى ما أسميه شبه تمثيل حيث يرى ما يدهش بصره ويحير فكره في الأول الموت وفي الثاني شبه الحياة.



الريحاني في أحد أدواره السينمائية مع الممثل حسين رياض.

ومع ذلك...

يبقى أمامنا ان نعرف هل نوع الريحاني ضروري للحياة التمثيلية في مصر؟ وهل الريحاني من خادمي التمثيل أو من هادميه؟

معذرة أيها القارئ الكريم لو قلت لك بعد كل ما كتبت ان نوع الريحاني بلا نزاع ضروري جداً لحياة التمثيل في مصر، أجل ضروري جداً، ضروري للدرجة التي لا تخطر ببال من يسعى لخدمة الفن باخلاص ووفاء. لا أقول ان نوع الريحاني ضروري لأنه من الأنواع الموجودة في أوروبا فلا بأس إذاً من وجوده في مصر، ولكنه ضروري لانقاذ التمثيل من هوته السحيقة. إذاً كيف يكون ذلك؟ يذكرني هذا المقال ما قرأته في أمهات الكتب الافرنسية عن الفودفيل والكوميدي العصرية.

كان للفودفيل منذ عهد ليس ببعيد شأن كبير على مسارح فرنسا مكّن له غياب المؤلفين الجديين مؤلفي الكوميدي والكوميدي دراماتيك. وبقي الحال على ذلك إلى ان بعث الله لفرنسا رجلها الكبير (انطوان) ذا الارادة الحديدية والاقدام العجيب الذي لا ترد العقبات بادرته ولا تفل المصائب حديد ارادته.

نظر انطوان لتلك الحالة السيئة نظرة ثاقبة وعقد نيته على انقاذ التمثيل فألف جمعية سماها (التمثيل الحر) كان (بريو) عونه الأكبر فيها، وكان شعارها قبول الروايات الجدية التي يطلق المؤلف لنفسه فيها العنان دون أن يتقيد بأي شرط من الشروط التي وضعها من سبقه من المؤلفين. فما لبث انطوان ان انهالت عليه الروايات من جميع الكتّاب وعلى الأخص من الناشئين فكان ينتقي منها الجيد ثم ينقحه مع المؤلف ويخرجه للجمهور في صورة جديدة لم يألفها من قبل. وما مضى على هذا الحادث قليل من الزمن حتى وجدنا بين أسماء المؤلفين في فرنسا قوماً لم يسمع بهم من قبل البسوا التمثيل جمال شبابه وكانوا عماده وسيفه الغالب أمثال بريو وبرنستين وفرنسوا دي كوريل وغيرهم. لو ألقينا على هذا الحادث نظرة جدية لوجدنا ان الفودفيل كان سبباً في وجود انطوان وانطوان كان سبباً في الرجوع بالتمثيل لمقامه الأول.

فلماذا لا يكون مقام عمل الريحاني في مصر كمقام الفودفيل في فرنسا حتى يبعث الله لمصر رجلاً قادراً يأنف من هذا النوع فيعمل على خدمة التمثيل خدمة حقة بلا ثواب ولا أجر. بل ألم نجد بوادر هذه الحركة المباركة قد تبدت؟ ألم يشتر جورج أفندي أبيض داراً جديدة أصبح يمثل فيها كل ليلة. ومن أدرانا ان الجمهور المصري يكره يوماً ما نوع الريحاني كما كره نوعه

الأول فيتحول الريحاني من مجرى الريفو إلى مجرى الكوميدي الأخلاقية. كل هذا لا نبتّ فيه الآن وربما يكشف المستقبل عن غوامض كانت في عالم الغيب. لا ينسى القراء أننا في عصر الفوضى وان الفوضى تنتهي بالنظام. لهذا نجرؤ ونقول ان الريحاني من خادمي التمثيل وليس من هادميه وأن كان لا يقصد ذلك ●

(انتهى)

هوامش:

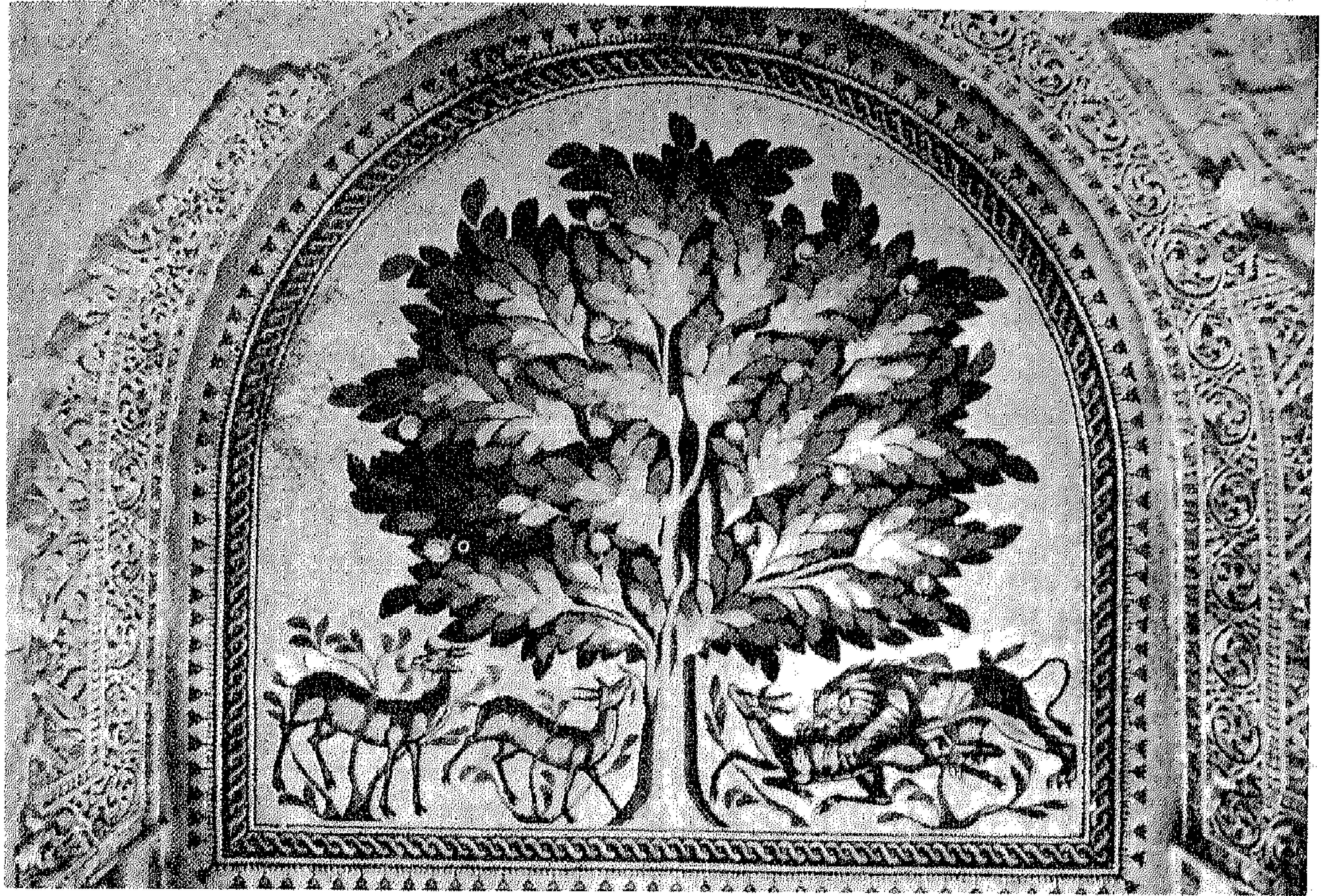
---

١ - مذكرات الريحاني ص ٢٣.
٢ - الاهرام ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٤.
٣ - المقطم شباط (فبراير) ١٩٠٥.
٤ - نفسه ٩ آذار (مارس) ١٩٠٥.
٥ - المقطم ٥ أيار (مايو) ١٩٠٦.
٦ - المذكرات ص ص ٢٥ - ٢٦.
٧ - الاهرام ٢٧ أيار (مايو) ١٩٠٨.
٨ - نفسه ٩ تموز (يوليو).
٩ - نفسه ١١ تموز (يوليو).
١٠ - نفسه ١٣ آذار (مارس) ١٩٠٩، ولم يشر الريحاني إلى هذه الجمعية في مذكراته.
١١ - المذكرات ٢٧ - ٢٨.
١٢ - المقطم ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٠٩.
١٣ - المذكرات ص ص ٢٨ - ٣٠.
١٤ - المذكرات ص ص ٣٠ - ٣٢.
١٥ - المذكرات ص ص ٣٢ - ٣٤.
١٦ - أنظر المقطم ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٠، والاهرام ١٩ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٠.
١٧ - المذكرات ص ص ٣٤ وما بعدها.
١٨ - أنظر أخبار هذا الجوق في موضعها من هذا المقال، وفي مذكرات الريحاني ص ص ٥٦ - ٦٩.
١٩ - المذكرات ص ٦٩.
٢٠ - المذكرات ص ص ٧٠ - ٧٢.
٢١ - المذكرات ص ٧٤. وتذكر السيدة روز اليوسف في ذكرياتها ص ١٨، ان الريحاني اقتبس هذه الشخصية من مسرحية «القرية الحمراء»، وهي دراما ريفية مصرية من فصل واحد ألفها أمين صدقي وعزيز عيد. وقد أخطأت في التاريخ، إذ ان عزيزاً قدم هذه المسرحية في نيسان (ابريل) ١٩١٦ أثناء اشتراكه بجوقة مع جوق عكاشه، وليس سنة ١٩١٧ كما ذكرت هي.
٢٢ - المذكرات ص ص ٧٧ - ٧٩.
٢٣ - مذكرات الريحاني ص ٨٥.
٢٤ - نفسه ص ٨٦.
٢٥ - المقطم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) والاهرام ١٥ منه، ١٩١٦.
٢٦ - المقطم ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) والاهرام ٢٢ منه ١٩١٦.
٢٧ - المذكرات ص ٨٨.
٢٨ - نفسه ص ٨٨.
٢٩ - نفسه ص ٨٩.
٣٠ - نفسه.
٣١ - الاهرام ١٥ ابريل (نيسان) ١٩١٧.
٣٢ - الاهرام ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٢٧، والمذكرات ص ٨٩.
٣٣ - مذكرات الريحاني ص ٨٩.
٣٤ - نفسه ص ٩٢.
٣٥ - نفسه.
٣٦ - نفسه.
٣٧ - المقطم ١٣، ١٨ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٧.
٣٨ - نفسه ص ص ٩٢ - ٩٣، وقد عاد الريحاني في أول تشرين الثاني (نوفمبر): الاهرام ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٧.
٣٩ - المذكرات ص ٩٣، والاهرام ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧، والمقطم ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧.
٤٠ - مذكرات الريحاني ص ص ٥٣ - ٩٥.
٤١ - الأهرام ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٨.
٤٢ - مذكرات الريحاني ص ١٠٠
٤٣ - قدمت هذه المسرحية في مسرح جورج أبيض في الهواء الطلق في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩١٨.
٤٤ - مذكرات الريحاني ص ١٠٩.
٤٥ - مذكرات الريحاني في ص ١٢٨.
٤٦ - من مقال بعنوان «الريحاني بين أنصاره وخصومه»، نشر في جريدة المنبر في ٢٦آب (أغسطس) ١٩١٨، ثم جمع مع مقالاته النقدية في كتاب «حياتنا التمثيلية» ص ص ١١٥ - ١٢٢.

ملف الوطن العربي

الآثار في الأراضي العربية المحتلة

فلسطين: الضفة الغربية وقطاع غزة



فسيفساء شجرة النارنج في قصر هشام بن عبد الملك في أريحا.

اعداد: «قسم الابحاث والدراسات» في «تاريخ العرب والعالم»

مدخل عام:

● أن التأريخ للأراضي العربية المحتلة لا يقل أهمية عن دراسة تاريخ بقية الأراضي العربية التي تنعم بالاستقلال والسيادة. بل انها تتطلب منا اهتماماً خاصاً كي لا تنسى الاجيال المقبلة اجزاء عزيزة على قلوب العرب كما نكاد ان ننسى اليوم عدداً من اراضينا المحتلة التي اقتطعت بالقوة من أطراف الوطن العربي.

ان «تاريخ العرب والعالم» ستنشر على التوالي لمحة موجزة عن تاريخ آثار كل من الضفة الغربية وقطاع غزة (فلسطين) وسيناء (مصر) والجولان (سوريا). وفي ما يلي الحلقة الأولى: الضفة الغربية وقطاع غزة في فلسطين.

* * *

يتفق المؤرخون وعلماء الآثار المنصفون على التأكيد أنه ارتكبت في فلسطين، باسم التنقيب عن الآثار، من الأخطاء والتشويهات أكثر مما ارتكب في أية بقعة مساوية في المساحة على وجه الأرض. كما انه

لم يبرز الاستغلال السياسي المشبوه لعملية التنقيب عن الآثار في شكل مكشوف الا في فلسطين بالذات.

وقد بدأت مسيرة التنقيب عن آثار فلسطين في صورة جدية في أواخر القرن التاسع عشر. في العام ١٨٩٠ أوفدت «جمعية صندوق استكشاف فلسطين»، التي تأسست في لندن العام ١٨٦٥ تحت رعاية التاج البريطاني، وفدا للتنقيب في «تل الحصى» الذي يقع على بعد ٢٥ كلم إلى الشمال الشرقي من غزة. وأصدرت هذه الجمعية واحدة من أرصن الدوريات في هذا المجال وهي: Palestine Exploration Fund Quarterly التي صدر العدد الاول منها العام ١٨٦٩.

وكان الغرض من هذه الجمعية كما جاء في منشوراتها «البحث وفق منهج دقيق ووثيق في آثار الأرض المقدسة وطبوغرافيتها وجيولوجيتها وجغرافيتها الطبيعية وعادات سكانها وتقاليدهم وذلك من أجل ايضاح «التوراة».

وهكذا فان بداية النشاطات الاثرية في فلسطين كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشعارات الدينية في الغرب. في العام ١٨٧٠ تأسست في نيويورك «الجمعية الاميركية لاستكشاف فلسطين» والتي استبدلت العام ١٩٠٠ بـ «المدارس الاميركية للأبحاث الشرقية» وذلك من أجل «تشجيع دراسة وتدريس الكتاب المقدس وتوسيع حدود المعرفة به وبجغرافية وتاريخ وآثار ولغات فلسطين وبلاد ما بين النهرين وغيرها من بلدان الشرق الأوسط». أما الانكليز فانهم، إلى جانب «جمعية صندوق استكشاف فلسطين» أسسوا العام ١٩١٩ «المدرسة البريطانية للتنقيب عن آثار القدس» بهدف «تشجيع البحث في آثار فلسطين وتاريخها وطبوغرافيتها».

من هنا نلاحظ كيف ان الغالبية العظمى من المؤسسات الغربية لم تدرس في بادئ الأمر آثار فلسطين والأردن بحد ذاتها وانما ركزت على ما سمي بـ «الآثار التوراتية». ولكن في السنوات الأخيرة بدأنا نشهد بوادر اتجاهات جديدة في دراسة هذه الآثار من الوجهة العلمية البحتة.

سياسة التنقيب

● الملاحظ ان الغالبية العظمى من الحفريات التي جرت في فلسطين حتى نهاية فترة الانتداب (١٩٤٨) اتبعت أساليب التنقيب البدائية العتيقة. وأكد علماء الآثار الموضوعيون في ابحاثهم ان الحفريات التي جرت في فلسطين منذ بداية الحرب العالمية الثانية اثبتت ان كثيراً من استنتاجات المنقبين قبل تلك الحرب مغرقة في الخطأ والتشويه الفاضح غير البريء في أحيان كثيرة. فمثلاً ان الاسوار التي ارجعوا تاريخها إلى زمن يشوع اريحا تعود في حقيقة الأمر إلى ما قبل ذلك الزمن بألف سنة وان النظام الدفاعي في القدس الذي نسب إلى داوود يجب أن يعود تاريخه إلى ما يقرب من ألف سنة بعد زمن داوود.

ومن الجدير بالذكر ان معظم عمليات المسح الأثرية اجريت في الضفة الغربية من نهر الاردن حتى الحرب العالمية الثانية. وفي العام ١٩٤٤ جاء في الجريدة الرسمية لحكومة الانتداب البريطانية انه يوجد في فلسطين ٢٨٦٢ موقعاً اثرياً. وفي الفترة بين ١٩٥٢ و١٩٦٧ تم القيام بحفريات في عشرات من المواقع بعضها بالغ الأهمية كالحفريات التي جرت في القدس واريحا وتل الفارعة (قرب نابلس) وتل بلاطة.

وبعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية قام الصهاينة بالعديد من الحفريات فيها، اضافة إلى عملية مسح واسعة النطاق للضفة الغربية خصوصاً في عامي ١٩٦٧-١٩٦٨.

التنقيب في القدس (١)

آثار القدس عديدة وغنية وتعود إلى عصور غابرة بعيدة وليس أهمها اكتشاف مقبرة ظهر المرزبانة التي تقع حوالي ٢٠ كلم إلى الشمال الشرقي في القدس والتي يوجد فيها ٣٥ قبراً من العصر البرونزي المتوسط (٢٢٠٠-١٥٥٠ق.م). ولكن ما يهمنا في هذا المجال هو كشف محاولات الصهاينة في استخدام علم الآثار لاهداف مخططاتهم التوسعية.

لقد دلت ابرز نتائج حفريات ما بعد العام ١٩٥٢ في الضفة الغربية كلها وخصوصاً في منطقة القدس وجوارها على عدم وجود أي آثار عبرانية تعود إلى الدور الأول من العصر الحديدي (١٢٠٠-٩٠٠ق.م). مما يشير بوضوح إلى بطلان مزاعم الصهاينة الذين يحاولون اعادة تركيب تاريخ فلسطين كما يناسبهم. وفي هذا العدد نشير إلى أن أحد علمائهم المزعومين وهو أهاروني واميران اقترح في العام

١٩٥٨ استبدال مصطلح «العصر الحديدي» باسم «العصر الاسرائيلي».

وكان المنقبون قبل ١٩٥٢ عثروا على قلعة شاوول في تل الغول وعلى تحصينات داوود في القدس وعلى اسطبلات سليمان في تل المتسلم ولكن الحفريات الحديثة في القدس وخصوصاً تلك التي جرت بين الاعوام ١٩٦١ و١٩٦٧ لم تكشف عن آثار لأبنية يمكن نسبتها إلى داوود أو سليمان. أما البرج والجزء من السور الذين نسبهما أحد علماء الآثار إلى داوود في الثلاثينات فوجد انهما يجب ان يعودا إلى الفترة الهيلينية، كما اثبتت الدراسات الحديثة ان ما سمي اسطبلات سليمان في تل المتسلم ليست اسطبلات ولا ترجع لزمن سليمان.

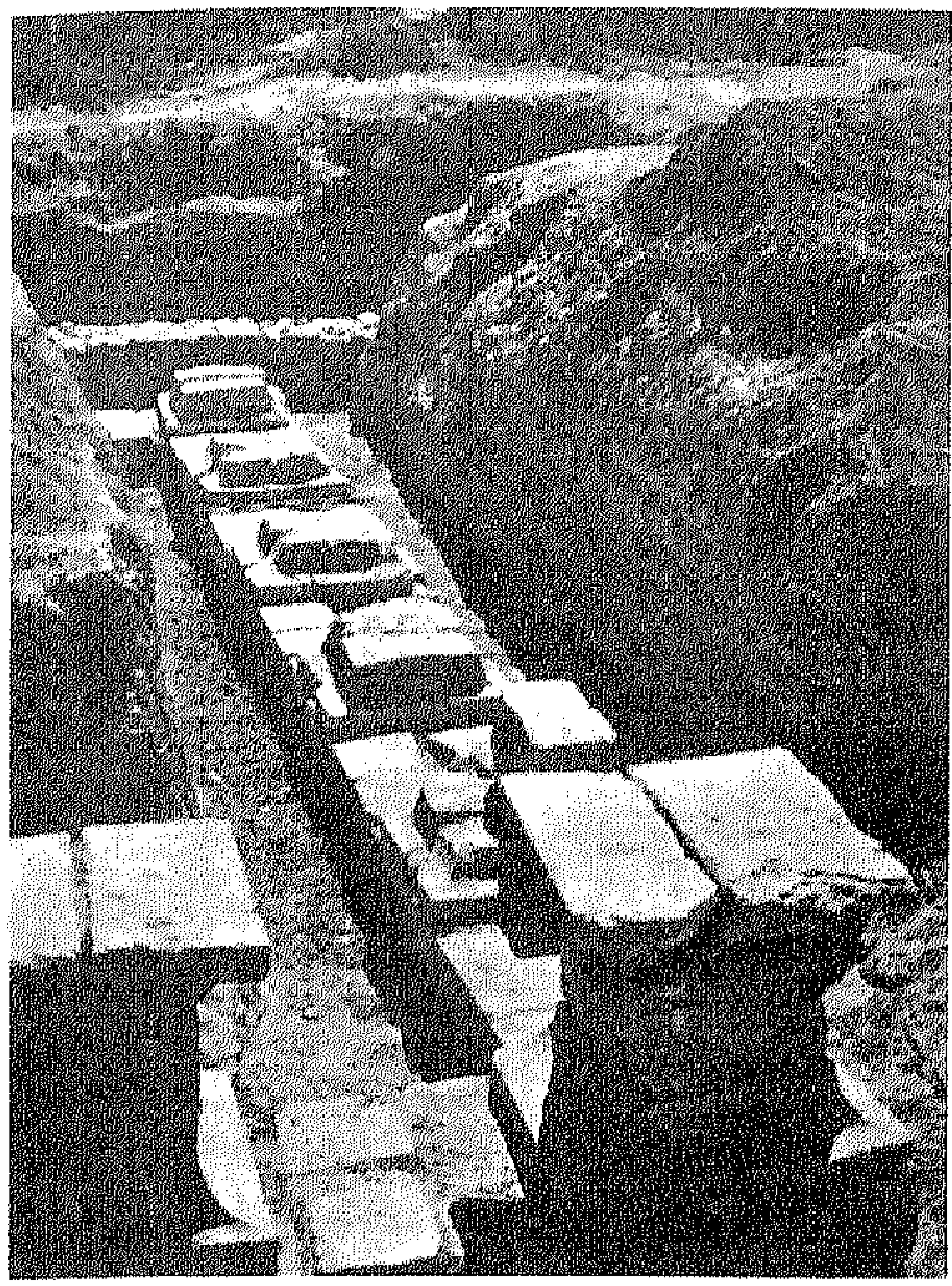
أريحا في التاريخ (٢)

ينحدر معظم السكان الحاليين من الذين خلفهم في البلاد جيش ابراهيم باشا في أوائل القرن التاسع عشر، وبينهم عدد لا بأس به من أصل زنجي.

وتكثر في اريحا حدائق البرتقال والموز التي تستقي من عين الماء المعروفة باسم «عين السلطان» وهي في الواقع واحة نضرة في منطقة تكاد تكون قاحلة جرداء. ومن المنطقي ان نفهم لماذا استوطن السكان الأوائل هذه المنطقة في العصور الغابرة.

في الواقع ليست اريحا القديمة سوى تل اصطناعي صغير يدعى «تل السلطان» وهو يقع إلى جانب عين الماء المذكور سابقاً. بدأت الحفريات في هذا التل للمرة الأولى العام ١٩١١ على أيدي بعثة المانية ولكن توقفت بعد فترة قصيرة. وفي العام ١٩٣٠ تابعت بعثة بريطانية العمل في القدس فاكتشفت سلسلة من الخنادق وتغلغلت إلى عدد من اقدم المستويات في الموقع حتى العصر النيوليتي حوالي ٦٠٠٠ عام ق.م، اضافة إلى العثور على بعض الاضرحة الدقيقة الصنعة والتي تعود إلى العصر البرونزي الأوسط، أي عصر الهيكسوس.

أقيم «تل السلطان» بأكمله بايدي العمال من غير أي استعانة بأدوات معينة على ما يبدو. وتشتمل الامتار الـ ١٥ التي تشكل عمقه على بقايا مدن قديمة نضدت طبقاتها الواحدة فوق الأخرى. ولا شك ان ارتفاع التل كان في الأصل يزيد على ١٥ متراً ولكن تعاقب العصور تسبب في ازالة الطبقات العليا. وهذه



صف من الأعمدة اكتشف حديثاً في أريحا.

الآثار قلبت آراءنا كلياً عن انسان العصر النيوليتي الأول (٨٠٠٠-٤٥٠٠ق.م.)، اذ انها كشفت عن الحقيقتين التاليتين:

● الأولى ان الانسان في هذه العصور الغابرة كان يعيش حياة اجتماعية كاملة.

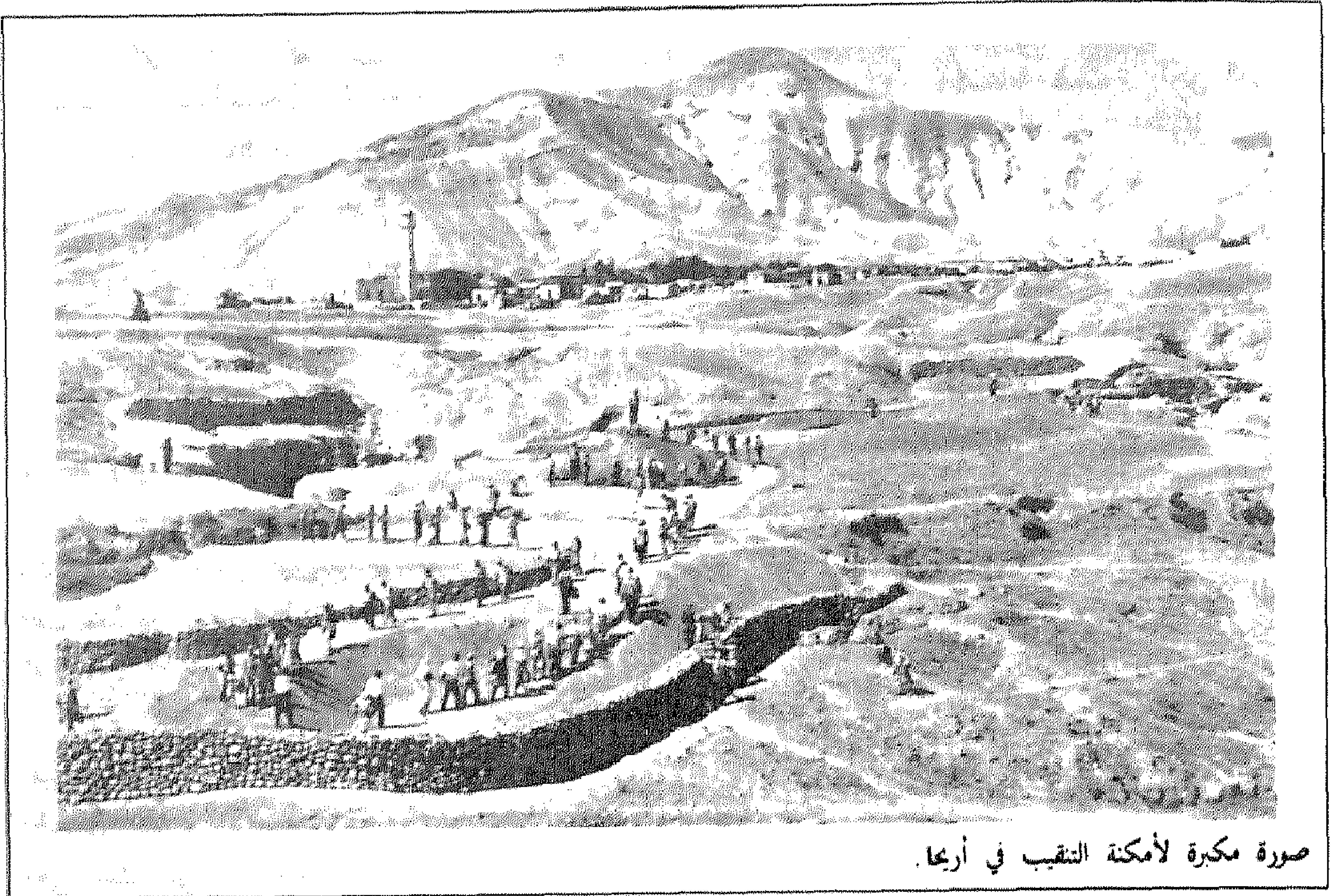
● والثانية ان هذا الانسان توصل إلى احراز درجة طيبة من المهارة في فن البناء. ولم تقتصر مقدرة أولئك القوم على انشاء الاسوار والبروج، فالمنازل الخاصة كانت ذات هندسة حسنة على الطراز الشرقي التقليدي الذي يتألف من غرف تتوسطها ساحة سماوية.

من هنا واستناداً إلى الحفريات الجديدة التي جرت في الفترة بين ١٩٥٢ و١٩٥٨ ثبت ان اريحا هي أهم مواقع العصر النيوليتي الأول في منطقة الشرق الأوسط بل في العالم القديم يومها.

ويمكن وصفها بانها أقدم مدينة في العالم وان سكانها شكلوا أول مجتمع متمدن في التاريخ.

القصر الأموي في خربة المفجر (٣)

يقع هذا الموقع الاثري المهم حوالي كيلو مترين إلى الشمال من اريحا. بدأت الحفريات فيه للمرة الأولى



صورة مكبرة لأمكنة التنقيب في أريحا.

العام ١٩٣٧. وبنتيجة أعمال التنقيب ظهر أن الآثار تشير إلى كون الموقع يعود تاريخه إلى العهد الأموي وعثر فيه على رسالتين كتبتا على قطع من الرخام وهما موجهتان إلى امير المؤمنين الخليفة هشام بن عبد الملك الذي حكم من ٧٢٤ إلى ٧٤٣م. ومن المحتمل ان كنسية كانت في الأصل تقوم في ذلك الموقع لان بعض الأعمدة التي استعملت في القاعة الداخلية تحمل اشارات الصلبان منحوتة عليها. والملاحظ ان القصر ليس الا جزءا من المنشآت ومخططه الأساسي يشبه مخطط القلاع الرومانية التقليدية.

خربة قمران

أصبحت لهذا الموقع الاثري الصغير، الذي يقع على بعد بضعة كيلو مترات إلى الجنوب من اريحا، شهرة عالمية بسبب العثور على مخططات البحر الميت فيه في عامي ١٩٤٨-١٩٤٩.

وصدف ان فلسطين كانت يومها تعاني من ويلات القتال في فترة انتهاء الانتداب البريطاني، لذلك اجريت الحفريات بصورة سرية. وتبين ان الموجودات المكتشفة تعود إلى ما قبل العهد الروماني أي حوالي القرن الأول ق.م.

ان تاريخ قمران هو تاريخ المخطوطات واقترانه بالمخطوطات يجعل هذه المنطقة ذات أهمية عظيمة. ويتفق بعض علماء الآثار والتاريخ ان سكان قمران الاقدمين هم جماعة الأسينيين مع ان بعض العلماء الآخرين ما زالوا غير مستعدين للاقتناع بهذا الاستنتاج. وعلى كل فان احدا حتى اليوم لم يشر إلى موقع آخر غير قمران يمكن ان تنطبق آثاره وتواريخه على موقع الأسينيين.

هنا أيضاً يحاول العلماء الصهاينة استغلال هذه الاكتشافات الاثرية لتفصيلها حسب مخططاتهم بالادعاء أن الأسينيين هم فرع من أوائل اليهود، ولذلك فان لهم الحق التاريخي والشرعي في هذه الأراضي التي وجدت فيها هذه المخطوطات. والمعروف ان الأسينيين كانوا وثنيين قبل ان يصبحوا نصارى مع بدء الدعوة المسيحية.

بئر السبع

ان الهياكل العظمية التي كشف عنها في مقابر تعود إلى العصر الحجري النحاسي ٤٠٠٠-٣١٥٠ق.م. تقريباً وخصوصاً في منطقة بئر السبع تعطينا فكرة عن التركيب السكاني خلالها وهو تركيب يشير إلى تعايش مجموعتين متمايزتين من البشر:

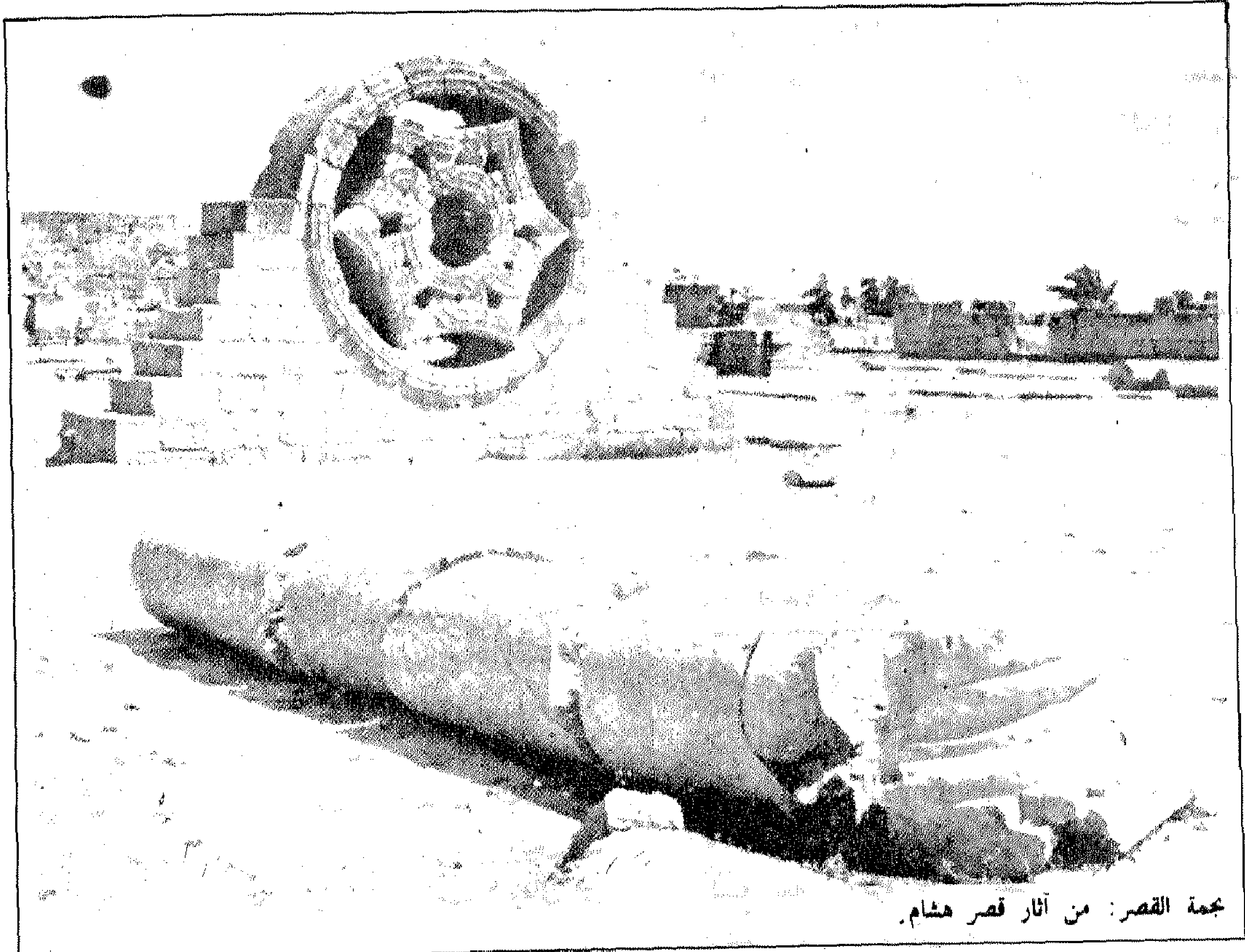
عرق متوسطي وعرق ذي جمجمة عريضة وأنف طويل مستقيم وشعر غزير (brachycephalie).

اكتشافات العبيدية


في العام ١٩٦٠ أعلن عن اكتشاف اقدم الأشكال الانسانية التي عثر عليها حتى الآن في الشرق الأوسط وهو انسان من أقدم صانعي الادوات في العالم (أي من حوالي مليون و ٧٠٠ ألف عام). فقد عثر في موقع العبيدية، جنوب طبريه، على كسرتين لجمجمة بلغ سمك عظمها أربعة أمثال جمجمة الانسان الحديث العاقل.

وحتى اكتشافات العبيدية هذه، كانت أقدم الهياكل المعروفة في فلسطين لا ترقى إلى ما قبل العصر الحجري القديم الأوسط (١٠٠,٠٠٠-٤٠,٠٠٠) وهي تلك التي عثر عليها مدفونة في مغاور الجليل والكرمل والصحراء غربي البحر الميت بين الأعوام ١٩٢٥-١٩٣٣. وكان بعض العلماء ارجعوا هذه الهياكل حينذاك إلى الفترة الواقعة بين ٥٠,٠٠٠-٤٠,٠٠٠ عاماً مضت، ولكن الدراسات الحديثة تميل إلى العودة بأقدمها إلى حوالي ٧٠,٠٠٠ سنة مضت.

أحدثت هذه الهياكل لدى اكتشافها ضجة كبيرة لأنها اظهرت خصائص مركبة من خصائص انسان النياندرتال وخصائص الانسان الحديث العاقل، في الوقت الذي كانت فيه الأشكال الانسانية المعاصرة لها والمعروفة من أنحاء أخرى من العالم ذات خصائص نياندرتالية خالصة. وعزا البعض ذلك إلى تزاوج بين هذين الانسانين، في هذه المنطقة التي كانت ولا تزال جسراً بين القارات، نجم عنه هذا الانسان المهجن. بينما اعتقد آخرون ان هذه الهياكل مثلت مرحلة أو مراحل في طريق التطور إلى الانسان الحديث العاقل. ولا يزال موضوع تصنيف انسان العصور القديمة موضوعاً حيا تغذيه بالمعطيات الجديدة المكتشفات الحديثة في أرجاء مختلفة من العالم ويلعب فيه «انسان الكرمل» دوراً مهماً.



نجمة القصر: من آثار قصر هشام.

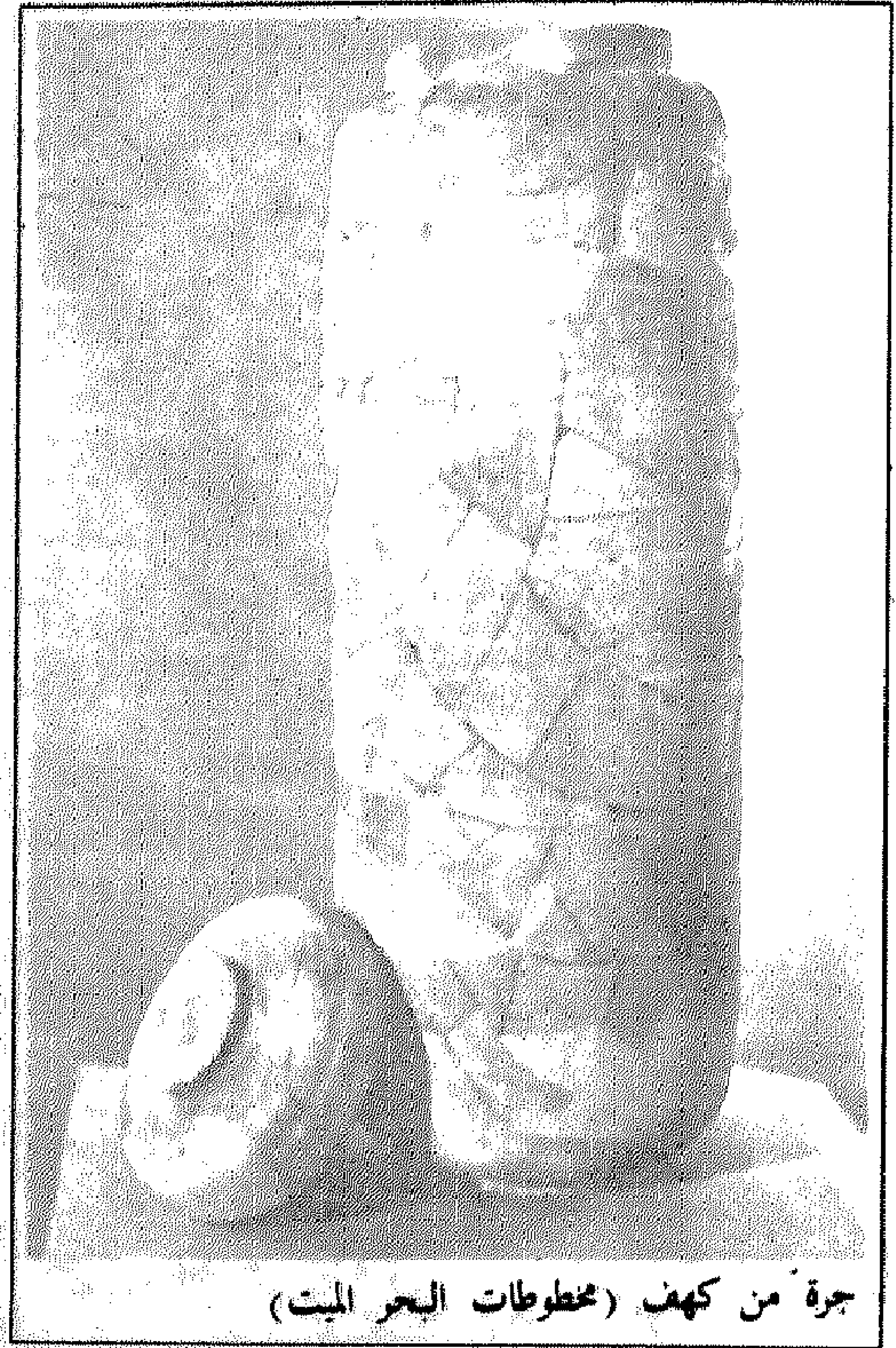


ابو الهول

في المعتقدات الشعبية المصرية

خلال العصور الوسطى المتأخرة

د. اولريش هارمان



جرة من كهف (مخطوطات البحر الميت)

الهوامش :

(١) لن نتحدث هنا عن كل الآثار التاريخية المهمة في المدينة المقدسة بقدر ما سوف نركز على محاولات الصهاينة في استخدام علم التنقيب عن الآثار لاهدافهم الاستراتيجية التوسعية. ونذكر في هذا المجال مقال د. مروان بحيري: «مدينة القدس من خلال ادب الرحلات والفنون الجميلة» الذي نشرناه في «تاريخ العرب والعالم» (العدد الثاني/كانون الأول-ديسمبر ١٩٧٨، ص ١٦ - ٢٥) حيث نجد معلومات اضافية عن آثار المدينة المقدسة. أما حول الآثار في القدس فيمكن مراجعة محاضرة الإستاذ محمود العابدي: «الحفريات الاثرية حول الحرم المقدسي» في المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام (عمان ٢٠-٢٥/٤/٧٤)(كتاب المؤتمر ص٢٦٣-٥٤٧).

(٢) يمكن العودة أيضاً إلى:

● د. ديمتري برامكي «العالم العربي في العصر الحجري»، مجلة «تاريخ العرب والعالم» العدد الأول/تشرين الثاني-نوفمبر ١٩٧٨ ص ٦٤-٧٢

● د. نقولا زيادة «العصور الحجرية في الأردن»، مجلة «تاريخ العرب والعالم» العدد التاسع/تموز-يوليو ١٩٧٩ ص ٣٧-٤٢.

(٣) راجع أيضاً مقال د. ديمتري برامكي في «تاريخ العرب والعالم» بعنوان: «القصور الاموية في سوريا وفلسطين»، العدد الثاني/كانون الأول-ديسمبر ١٩٧٨ ص ٣٣-٤٠.

المراجع الرئيسية

●«آثار الاردن وفلسطين في العصور القديمة-أضواء جديدة ١٩٥٢-١٩٧٧». تأليف د. محمود أبو طالب-منشورات وزارة الثقافة والشباب الاردنية-١٩٧٨.

● «آثار الاردن». تأليف لانكستر هاردينغ، تعريب سليمان موسى. منشورات وزارة السياحة والآثار الاردنية. الطبعة الثانية ١٩٧١.

● مقال عن الأسينيين في مجلة «ايستوريا» الفرنسية بقلم دانيال روبس (العدد ١٧٧-تموز-يوليو ١٩٦١ ص ٢٢٤-٢٢٨).



●نحن على مشارف العام ٢٠٠٠ ومهام عديدة متعلقة بتواريخ ماضية ما زالت تنتظرنا. ماذا سنفعل في العام عشرة آلاف؟

كلود كاهين

●ويل لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير، ثم تشيعه بالضجيج والصفير لتقابل فاتحاً آخر بالتطبيل والتزمير.

جبران خليل جبران

●الموتى لا يستطيعون رؤية التاريخ.

موسوليني

● يَرى مسلمُ العصور الوسطى في مصرَ بلدَ الغرائب والنوادر. قابَلَ المسلمُ العادي مصرَ للمرّةِ الأولى في القرآن من خلال سيرتَي النبيّيْن يوسف وموسى اللذين صارعا طغاة مصر القُدامَى وتغلبا عليهم، تينك السيرتين اللتين عرضهما القرآن بوضوح وتركيز. وهكذا دخلت مصر ضمن البقاع المباركة تاريخياً، وشكّلت حلْقةً من حَلقات التاريخ الذي حققت نبوةُ النبيِّ محمدٍ ذِروتَه واستمراريته. لكنّ نصوصَ الدينِ الاسلامي الأولى تصمُت عن ذكر آثار مصر القديمة، تلك الآثار التي كان كثيرٌ منها ظاهراً للعِيان ومعروفاً. كان الوعي التاريخي بماضي مصرَ وَحضارتها القديمةِ عند ظهور الاسلام قد تضاءل أو اختفى، ولذلك لم يكن الفهم التاريخي للأضرحة والأهرامات والمِسَلّات ممكناً. وهكذا فَقَدْ أضاعت مُخلّفاتُ الفراعنة معانِيَها الأصليةَ الأولى وصارت مهيَّأةً بالتالي لتفسيراتٍ وتأويلات جديدةٍ. وحَوْلَ صورتَي يوسف وموسى نشأت في الأزمنة الاسلامية بمصرَ صورةٌ جديدة عنها وعن تاريخها، إسلامية الطابع في أشكالها وقِيَمِها، لكنّها بقيت خارج الاتجاهات الرسمية والكلامية للاسلام في نطاق الأوساط الشعبية وأقاصيصها، مستقيةً كثيراً من أجزائها من تلك التقاليد والأساطير الشعبية القديمة والمستمرة. ولا نهدُف هنا إلى تعداد آثار العهود الفرعونية القديمة، والقبطية الهيللينية بمصر، بقَدْرِ ما نريد أن نَلفِتَ الانتباهَ إلى تلك التقاليد المحلية القديمة في حياة مسلم مصر في العصور الاسلامية على المستَوَيَيْن الديني والثقافي وأشكال ظهورها في أعمال المؤرخين والكُتاب بين القرن التاسع والقرن الثامن عشر الميلادي. إنَّ موقفَ المصري العادي بمصرِ العصور الوسطى من عهود مصر الوثنية قبل الاسلام يَعْكِسُ ذلك التوتُّرَ الدائمَ بين العقائد الشعبية والاسلام في صورته الثقافية العليا. لقد كان على المصريين انتظار الوِفادة النابليونية عام ١٧٩٨ ليظهَرَ علمُ المصريات. وليُعَادَ بحثُ صورةِ مصرَ في العصور الاسلامية بحيثُ تنشأ صورة جديدةٌ مستنيرة عن تاريخ مصر تحِلّ محلَّ الصورةِ السحريةِ والقصصيةِ عن تاريخها القديم.

* * *

اهتمَّتْ بتاريخ مصر القديم فئتان من الدارسين المسلمين في العصور الوسطى، فئة الجغرافيين وفئة المؤرخين. أما الجغرافيون فقد ذكروا تاريخ مصر القديم في سياق عَرْضِهم لعجائب العالم وغرائبه. وأما المؤرخون ففي سياق تقاريرهم عن الدول والعهود بمصر القديمة.

وَلْنبدأ مع الجغرافيين المسلمين. ضمن القائمة الطويلة لعجائب مصر يذكر الجغرافيون هؤلاء إلى جانبِ عجائبِ الطبيعة التي صَنَعَتْها يدُ العناية الالهية على سبيل المثال «الرَّعادة» التي هي سمكة في النيل تُصيب السابحين فيه بما يُشْبِه الصَدْمة الكهربائية. والغريب انهم يذكرون بعد ذلك مباشرةً في جِوارِ أصبحَ ظاهرةً قائمةً بذاتها هياكلَ ما قبل التاريخ، تلك التي هي شواهِدَ العصور الغابرة.

ولا يستطيعُ الناسُ التصوُّر أنَّ هذه الأبنية الضخمةَ بَنَتْها يدٌ بشريةٌ. لذلك تَظْهَرُ أقاصيص عندهم حول بناء الجنّ لها، أو الأنبياء من صُنّاع المعجزات. لقد أثارت تلك الأبنيةُ الهائلةُ في مُخيِّلَةِ فئاتٍ مختلفة عَبْرَ العصور الاسلاميةِ تصوراتٍ وأساطيرَ لا حَدَّ لشطحاتها مثل سَرّاب مدينة الزجاج الأخضر الذي يَظْهَرُ للمسافرين في تيه بني إسرائيل، ومثل مدينة النحاس التي لايذكرهاقُصّاص ألف ليلة وليلة فقط بل جغرافيون ومؤرخون جادّون أيضاً. ولا يَغْفَلُ مؤلفٌ مسلمٌ في هذا المجال عن ذكر عجائب البناء الانساني هذه، كالإسكندرية ومنارها، ومدينة منف وكنوزها. ويزدادُ الأمرُ عند هؤلاء أهميةً عندما يمكن ربطُ ذلك كله بقصص الأنبياء، مِثْلَ سجن يوسف وأهرائه.

د. أولريش هارمان: مدير المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت.



أبو الهول و الاهرام

تقاليد أسطورية مصرية

هذه النَمَطية في عَرْضِ صورةِ مصرَ قبل الاسلام تظهر أوضح ما يكون من كتب المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن تاريخ مصر، وكانوا جميعاً تقريباً مصريي الأصل. وتبدو التقاليدُ المحلية المصرية عن ماضي مصر مؤثرة، فالغموضُ والاسطوريةُ (اللذان يحيطان عند الفرس بتاريخ ملوكهم القدامى من الأخمينيين والساسانيين) يحيطان أيضاً بتاريخ مصر القديم وملوكها. وهكذا يظهر عند المؤرخين المصريين والمسلمين الملك الأسطوري سوريد باني أهرام الجيزة، والملكة دلوكة القبطية التي بايعها المصريون ملكةً بعد هلاك الفرعون المُلاحق لموسى في البحر، والتي أقامت السورَ الضخم الممتدّ من العريش وحتى أسوان، ذلك الذي سُمّي «حائط العجوز».

ينقسم تاريخ مصر القديم عند المؤرخين المسلمين إلى قسمين يفصِل بينهما طوفان نوح. ولا يملك هؤلاء المؤرخون أخباراً محددة عن فترة ما قبل الطوفان. ولا يمكن معرفةُ قبور الأنبياء قبل نوحٍ إلا عن طريق كراماتٍ يُعطاها أولياءُ الله، ذلك أنَّ التي كانت لدى

القدماء في المعابد تختزنها الآن بُطونُ الأرض تحت الأهرام وفي داخلها، وهي مَحْمِيَّةٌ بالطِلَّسْمات فلا يستطيع أيُّ انسان أن يخترقَ هذه الأخطار إليها. ولقد كان بِوُسْعِنا ان نعرفَ أسرار الأهرام لو انها بُنيت بعد الطوفان ولم تُبْنَ قبله. أما معارفُنا القليلةُ عن عصرِ ما قبل الطوفان بمصر فترجع إلى رجل واحد مجهول الاسم لم يهلك في الطوفان وانتقلت أخباره عبر ستة وثلاثين ألفاً أو حتى اثنين وسبعين ألفاً من السنين. ووصلتنا عن طريق بردية وُجدت في قبر بجانب دير أبي هرميس في سقّاره. أما ما بعد الطوفان من التاريخ المصري القديم أو بعبارة أخرى قصتا يوسف وموسى فإنَّ الأنباء عنهما مؤكَّدةٌ تماماً بل هي مُوحاةٌ مقدَّسةٌ، هذا وان تكن المسيرةُ التاريخيةُ هذه تُخالِطُها بعضُ الفترات الغامضة.

يبدو تاريخُ مصر القديم في فترةٍ ما قبل الطوفان وبعدها عند المؤرخين المسلمين عَبْرَ سلسلةٍ من الملوك المتعاقبين منذ أيامِ أحفادِ شيت بن نوح وحتى أيام المقوقس آخر حُكّامَ مصر، الذي وجَّهَ إليه النبيُّ محمد رسالةً مشهورة يدعوه فيها الى الاسلام. وقد سيطر بعده على مصر المسلمون مُنْهين عهودَ الوثنية والضلال فيها. وترى المروياتُ الاسلاميةُ ان الفتح الاسلامي لمصر كان متوقعاً عند العارفين قبل وقوعه بقرون، فقد انتصر أحدُ فراعنة الأساطير الاسلامية على خصومه في معركةٍ فاصلة لأنه كان يُؤمِنُ في السرِّ بديانةِ التوحيد. وقد طَمْأَنَ فرعونٌ مؤمنٌ آخرُ وليَّ عهده وهو على فراش الموت إلى ان الأنبياء سيؤيِّدونه.

ومصر القديمة بالنسبة لمسلم العصور الوسطى هي «بابل السَحر» كما يقول ابن النديم ويوجد السحر هذا في الاهرام والمصاطب بالهيروغليفية؛ التي يُسَمّيها العربُ: كتابة البرابي أو القلم الكاهني أو قلم الطير. هذه الأسرار محجوبة ومحمية من الدخلاء بالطِلَّسْمات. ويورد المؤرخون والقَصّاصون العرب مرويات وتقاليد وقصصاً طويلة لايضاح ماهية علوم السحر هذه التي تَجَمَّعَتْ عند هرمس المثلث خليفة إله العلم القديم عند المصريين «توت». وتختلط هذه الهرمسية العلميةُ بالأقاصيص الشعبية، والسحر ذي الصِبْغَة الدينية لتَخْرُجَ بعد ذلك تخيُّلاتٍ وتأويلاتٍ بعيدة، ليس أغْرَبُها ما ورد في كتاب «سر الأسرار»، بأن أحدَ الاهرام كان المَثْوىَ الأخير لأرسطو الذي يُنْسَبُ إليه الكتاب.

لقد استطاع وشنغتن ايرفنغ القاصّ الأميركي المعروف أنْ يَنْقُلَ صورةً حيةً عن الصورة الشعبية الاسلامية لمصر القديمة في كتابه «المنجم العربي». في أمسوس أول عاصمة لمصر على النيل، تلك التي دمّرها الطوفان، وفي منف وعين شمس وصا الحجر في الدلتا، وفي كل مكان بمصرَ السحريةِ هناك مقادير ضخمة من الذهب والنحاس الأحمر، والقُبَب الزجاجية الدائرة، ورفرفةُ أجنحةِ طيور فضية حول بحيرات مقدسة وفوق أعمدة عالية. وهناك نسور ذات أعيُن زمرّدية تضرب بأجنحتها الضخمة وديوك هائلة تحرُس الأبواب الأمامية التي تتركّز خلفها الطِلَّسْمات الصائنة للأسرار.

معتقدات عاشت طويلاً

لكن لنعدْ إلى اشكاليتنا الرئيسية المُثارة آنِفاً. هل هذه المَرْوِيّاتُ النَمَطيةُ عن عجائب مصر وفتراتِ تاريخها المُبَكِّرِ هي تاريخٌ ميّتٌ، وماضٍ غارق، أم انها كانت ما تزال تملك بالنسبة لمسلمِ مصرَ في العصور الوسطى حياةً وعلاقاتٍ بحياته؟!. واذا كان كذلك، فهل كانت هذه الصورةُ حية في أذهان العامة والريفيين بمصر فحسب! . وما صلةُ ذلك كله بالتقليد الاسلامي الرسمي الذي يربُط مصرَ القرآنيةَ بمصر الاسلامية فقط، بينما تنتشر على شواطئه وخارجه تلك المروياتُ والأساطيرُ والخيالاتُ عن العصور الفرعونية دونما علاقاتٍ قوية به أو حتى فيما بينها.

الواقع انه نادراً ما يَختلطُ التقليدان (نَعْني التقليد الاسلامي الرسمي، والتقليد الشعبي). فالأماكن والآثار التي ذكرناها وذَكَرْنا رَبْطَ البعض بينها وبين النبيَّيْن يوسف وموسى قليلة. ثم ان المرويات القبطية المجهولة الأصل عن ماضي مصرَ القديم ظلت شكلاً مضموناً (باستثناء بعض الاشارات الى التوحيد الاسلامي القادم) وثنيةً – مسيحيةً يتعذّرُ استيعابها ضمن الصورة الاسلامية لمصرَ ما قبل الاسلام وما بعده. ويُشكِّل شخص النبي محمدٍ استثناءً ملحوظاً في هذا المجال اذ انّ بعضَهم يؤكد انه رأى له تمثالاً قديماً هو عبارةٌ عن رجلٍ يرتدي عِمامةً ويركبُ جَمَلاً. هذا الخبر يُورِده الجغرافي ابن خرّداذبة في القرن التاسع الميلادي عن بعض رجال حاشية ابن طولون أول حكام مصر المتغلبين في العصر الاسلامي. فقد استطاع بعضٌ من هؤلاء الدخولَ إلى الهرم الصغير بالجيزة حيث

رأوا ثلاثة تماثيل صغيرةٍ من ذهب ، وكلُّها لرجال. أما الرجُلُ الأولُ فيحمل أفعىً، بينما يحمل الثاني عصاً ويركَب حماراً ، في حين يحمل الثالث عكازاً ويركب جَمَلاً. وقد حُمِلت هذه التماثيل إلى بلاط أحمد بن طولون حيث جَرَى الاجماعُ على انّ الثلاثةَ تماثيلَ لموسى وعيسى ومحمد. هنا نلحَظ محاولة استيعابِ تقاليدَ محلّية ضمن الاسلام وتقاليده. ولا شك انّ المحاولة تمت في نطاق الاسلام الشعبي، ذلك ان تمثيلَ النبي وتصويرهُ مُحَرّمٌ في الاسلام ، لا يمكن ان تتقبّله السُّنّيةُ المصريةُ التي سادت عَبْرَ العصور، حتى في الدولة الفاطمية.

تـقـبّلت العامّةُ بمصر أقاصيصَ العجائب ، والتقاليد المحلّية بالتّرحابِ وأنبتتها ضمن صورتها عن الاسلام رغمَ مخالفةِ ذلك للاسلام الرسمي المتحفِّظ ، وقد لقي الأتقياءُ المثقّفون صعوباتٍ جَمّةً في اقناع الفئاتِ الشعبيةِ بأنَّ أبا الهولَ مثلاً لا يضُر ولا ينفع كما سَنَرى. إنّ الطِلسماتِ (التي تَحْمي هذه المباني وتَحوطُها) قادرةٌ على إهلاكِ كلّ مَنْ يُحاولُ المساس بها من قريب أو بعيد. لذا كان من العَبَثِ اللجُوءُ إلى تدمير الاهرام ، أعظم تماثيل القدماء التي تُمَثّلُ سلطانَ السَحرَةِ. وقد حاول ذلك الخليفةُ المأمونُ من قبلُ ففَشِلَ وتراجع. وقد ظلت كُتُبُ المهتمين بمصر تُردِّد (عَبْر العصور حتى القرن التاسع عشر) القول المأثور المشهور أنَّ خراج العالم كلّه فضلاً على خراج مصر لن يكونَ كافياً لنفقات تدمير الأهرام ، هذا مع أنّ فرعوناً مصرياً قال إنّ الهدمَ أيْسَرُ من البناء. وهنا بالذات تكْمُن الخَصِيصة الرئيسية للموقف تجاه مصر القديمة : حَذَرٌ وعَجْزٌ رغم كلِ محاولات التقصّي المحدَّدة.

انّ الإيمانَ بالله لا يحُول دون تقدير السَحَرة القدامى وقدراتهم الخارقة. والأهرام تقع خارج الاسلام ، لذا فان شمس الدين محمد الدمشقي يتمنى ان تتحوّلَ إلى مَلاذٍ للدين الحنيف إلى يوم القيامة ، لكنْ يبدو ان أُمنيتَهُ هذه لم يشاركْه فيها كثيرون ، خصوصاً الشيعة ، ففي رواية شيعية لابن بابويه القمّي ان المهديَّ الإمام الثاني عشر صاحب الزمان الذي يظهر قبل يوم القيامة سيكون بُوسعه أن يقهَر الأهرام ويُدمِّرها. أما أبو جعفر الادريسي الذي اهتم بالاهرام في القرن الثالث عشر الميلادي فقد رَوَى عن والده وآخرين (أغْفَلَ ذكر اسمائهم) أثراً يذكر أنّ الجيادَ يومئذٍ ستغُوصُ في بحر من الدم. وأخيراً أكّد الرَحّالةُ التركيُّ أوليا غلبي الذي زار مصر عام ١٦٧٠ انه قَبْلَ نهاية العالم بساعاتٍ قليلة سيظهَر مَلِك عظيم يذكّر ببخت نصر يعْمِد إلى تفجير الاهرام بالمسحوق الأسود. وبذلك تبطُلُ الطلسمات التي حمت مصر منذ غابر الأحقاب من الدّمَار في فياضانات النيل.

وأبو الهول أيضاً...

ولا تختلف الأخبار الاسلامية عن أبي الهول عن الأخبار عن الاهرام. انها تنتمي مِثْلَها إلى التقاليد المحلّية الشعبية. وقد أثار هذا التمثالُ الضخمُ اهتمامَ المؤلفين المسلمين، حتى أولئك (الذين تَرَكّزَت تقاريرُهم حولَ الاهرام) أشاروا إلى أبي الهول اشاراتٍ مقتضبة.

وليست هناك أخبار كثيرة عن أبي الهول في كتابات المؤلفين المسلمين. صحيح أنه ترد تقارير وجيزةٌ عنه في مؤلفات أكثرها عربي لكن منها الفارسي (مثل حمد الله مستوفي) والتركي (خصوصاً بعد الفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧) لكِنْ لا يمكن الحديثُ عن تقليدٍ تاريخيٍّ اسلاميٍّ متصلٍ بأبي الهول يُشْبِهُ ذلك المتصلَ بالأهرام. فأبو جعفر الإدريسي مَثَلاً يذكر في مائتي صفحة من كتابه «أنـوار علوّ الأجرام في الكشف عن أسرارالأهـرام» كل ما يتصل بالاهرام وما يدور حولها من مرويات وأساطير، في حين يتضاءلُ اهتمامُه بأبي الهول فلا يَذْكُرُ الأقاصيص المتصلّة به – للأسف – في كتابه. ان أولئك الذين يُوردون اخباراً وتقارير عن أبي الهول – مهما تكن هذه التقارير مقتضبة – فانما يفعلون ذلك من خلال مراقبةٍ شخصية قاموا بها في أكثر الأحيان. ونتيجةً لذلك وصلت إلينا تقاريرُ مختلفةٌ عَبْرَ العصور عن أبي الهول تختلف قيمةً وطولاً وتتضمن بعض المكررات لكنها لا تصل إلى درجة التحوُّل إلى أنماط ثابتة في هذا المجال. وكثيراً ما يؤكد هؤلاء المؤلفون وجود أقاصيص حول أبي الهول بالجيزة لكنهم لا يمضُون فيسجلون هذه الأقاصيص على الورق. وتمتدُّ المسافة الزمنية للتقارير حول أبي الهول من القرن العاشر الميلادي وحتى القرن الثامن عشر الميلادي. وقد تصاعد الاهتمام بأبي الهول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر لأسباب مختلفة ومتناقضة ، ومهمّةُ هذه الكلمة عَرْضُ قضية هذا الاهتمام وايضاح اسبابه.

يُطلِقُ بعض الكُتّاب المسلمين على أبي الهول الاسم القبطي القديم فيسمُّونه بهواه أو بلهوبه أو بلهيب

أو بلهيت. ويتجول ذلك في تأصيلٍ شعبيٍّ لِجِذْرِ الكلمة إلى «أبي الهول» تحت وطأة ما اثارته صورة ذلك التمثال في الأعين والمُخيِّلات من رَهْبَة وخشوع عبر العصور. وتُشْبهُ ذلك تسميتُه بأبي الأهوال أو الصنم الهائل. ويبدو ان اسم «أبي الهول» عند العرب لم يكن خاصاً بأبي الهول القائم في الجيزة. بل كان اسماً يطلق على كل تمثال ضخم قديم لانسان. لذا سمّي تمثال رمسيس الثاني بمنف (الذي ينتصبُ اليوم شامخاً في ساحة رمسيس بالقاهرة أمام محطة السكك الحديدية) بابي الهول أيضاً. وتذكُرُ بعضُ المصادر أنّ الخليفة الفاطميّ الحاكم بأمر الله المتَمتِّع بقوىً خارقةٍ اكتشف هيكلاً فارغاً لانسان. وقد أعانه في اعادة بعض المسروقات، وهذا التمثال أيضاً تُسَمِّيهِ هذه المصادرُ أبا الهول.

هناك عِدّةُ خصائصَ ترتبطُ بأبي الهول في كتابات مسلمي العصور الوسطى. فأبو الهول صنم في نظرهم من العصور الوثنية القديمة يُمثِّل انساناً ويتميز بجمالٍ وسحرٍ خاص. وهناك مؤلفون يُسَمُّون أبا الهول «صَنَم الهرمين» وقد كان جسمُ الأسد مطموراً في الرمال (– وهو ما كان يعرِفُهُ الناس أيضاً في تلك الأزمنة –) لكن ربما بسبب ذلك لم يَتَغَلْغَلْ هيكلُ الأسد في المُخَيِّلة الشعبية، إذ ظَلَّ يَنْتَظِر حتى كَشَفَتْهُ البعثة الفرنسية أوائل القرن التاسع عشر.

أما الرأس الانساني لأبي الهول فقد أثار اهتمام وإعجاب كل المشاهدين بسبب حَجْمِه الكبير (بحيث أنَّ نسراً يستطيع أن يُعَشْعِشَ في أُذنه) وبسبب الحُمْرة الغامقة التي تُمَيِّزه والتي استمرت عبر العصور، ثم أخيراً بذلك التوازن الذي يبدو بين أجزائه رغم ضَخَامته. ويشبِّهُ ابن فضل الله العمريُّ الجغرافيُّ والمؤرخ في العصر المملوكي رأس أبي الهول برأس راهبٍ حَبَشيٍّ مَحُوطٍ بغطاء الرأس الديني (الغَفّارية). أما أوليا غلبي فهو مفتونٌ بِشَعْرِ أبي الهول الجميل. لكنّ أَنْفَ أبي الهول لحقت به أضرار في القرن العاشر الميلادي. إذ يذكر المقدسي (الذي ربما كان أول المؤلفين المسلمين الذين ذكروا أبا الهول) أنَّ الذين قاموا بالحاق الأضرار بأنف أبي الهول كانوا قوماً ظنُّوا ان التمثال يُمثِّلُ الشيطان وانهم بإضرارهم به انما يَتّقونَ لعناته. أما أوليا غلبي فيرى ان النبيَّ موسى هو الذي شوَّهَ وجه أبي الهول. فقد كان أبو الهول يتمتع بالقدرة على الكلام وعلى النُطْق بالمغيّبات الخمسة التي لا يعلَمها إلا الله (القرآن/سورة لقمان. آية رقم ٣٤). وعندما طلب إليه موسى أن يعترفَ بنبوتِه رَفَض الاعترافَ بنبيّ غير ادريس (الذي هو هرمس أو توت ذي المعرفة والأسرار) فاشتدّ غَضَبُ موسى لذلك وشَهَر عصاه المشهورةَ (وهو في التقاليد الاسلامية من الرُسُل أولي العزم) فهشم بها شفتي التمثال وأَسْكَتَهُ بذلك إلى الأبد. لكنّ أوليا غلبي يذكر رواية أخرى حول صَمْت أبي الهول تتصل بلَصٍّ فَضَحه التمثالُ وجَلَبَهُ أمامَ القضاء فانتقم منه بتَسَلُّقِه والتبوُّل على رأسه.

اسهم رحالة بولنديون والمانٌ في نهاياتِ القرن السادس عشر في نشر مزيد من الأساطير حول تكلُّم أبي الهول إذ زعموا أنَّ كهنةً وثنيينَ استطاعوا التسلُّلَ عَبْر أنفاقٍ تحت الأرض إلى داخل أبي الهول الفارغ وتحدثوا من خلاله إلى عامة الناس من السُذَّج الذين ظنوا ان أبا الهول نفسَه هو الذي يتحدَّثُ إليهم.

ويزعم الكُتّاب المسلمون أنّ الصابئة كانوا يعبُدون أبا الهول. في روايةٍ انهم كانوا يَرون فيه الالهة فينوس التي تُفيضُ حُبّاً وحناناً وتَهَبُ مصر الفرح والسعادة. وفي رواية أخرى ان أبا الهول هو التمثال البشري لأشمون الذي صَنَعَتْه يدُ الانسان منحوتاً من صخر ومحمولاً إلى ما بين الهرمين. وأشمون هو عم «صابئ» والواقع أن الرَبْطَ بين أشمون (الذي هو في الحقيقة خنوم إله صعيد مصر) وبين أبي الهول الذي هو تمثال للفرعون الالهي خفرع؛ غريب. والصابئة كانوا يَحُجّون (كما تذكر الكتابات العربية) إلى أبي الهول ويجلبون معهم له البخور ويضحون عنده بالدِيَكة البيض المهداة للقمر. وهذه الدِيَكة رمز لمجيء الصباحِ الذي يطرُدُ الليل بصياحه، ويطرد معه أرواحَ الظُلْمة الشِرِّيرة ويَبْعَثُ الضوء والحياة. ويَمْضِي هؤلاء المؤلفون بعيداً فيذكرون لنا بدايات صلواتِ السحرةِ لأبي الهول، انهم يخاطبونه قائلين: بلهوب! اننا نقدّم إليك نذورَنا وطاعتنا فتَقَبَّلْ دُعاءَنا.

وثمة قصة تقول أنَّ أتريب (أخا أشمون وليس أشمونَ نفسَه) مدفون في المكان الذي يقوم عليه الآن تمثال أبي الهول. لقد حمله مَرَدَةٌ من الجن من جزيرة في البحر حيث تُوُفِّي إلى حيث يقوم الآن في الجيزة، فدفنوه هناك لكن الشيطان بزيّ راهب أخبر المصريين بوجوده فنبشوا مومياءه وأقاموها على عرش وعندما بدأ

الشيطان يتحدث من خلاله خرّوا أمامه سَجَّداً وعبدوه. ولا شك ان القصة هذه شكلٌ آخرُ من أشكال حكاية أبي الهول المتحدث.

ويَرى الحسن بن أبي محمد الصفدي المؤرِّخ الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي بمصر أنَّ أبا الهول صنمٌ ضَخْمٌ أحمرُ اللون اسمه بهوة يعود إلى ما قبل الطوفان، وهو صنم للشمس كان ينتصب على رأس هرم خوفو. وعندما حدث الطوفان سقط من ضمن ما سقط ودُمِّر وبقيت منه آثار فقط، وهي التي تبدو الآن بيننا توارت البقيةُ تحت الرمال. وتزْخَر المصادر العربية التي تتحدث عن الاهرام بالأخبار عن التماثيل الحمراء من النحاس المنتصبة على الاهرامات والتي تستدير باتجاه الكواكب، ويَتَكَرَّر وُرودُ هذا النَّمَطِ في ألف ليلة وليلة لكن أبا الهول لا يُذْكَرُ في هذا السياق أبداً. هذه الأقصوصة الأخيرة عن أبي الهول مُهِمَّةٌ في الواقع لسبب آخَرَ أيضاً، إذ انها تُشير بوضوح إلى أنَّ الناس لم يكونوا يَرَوْن في أبي الهول بالجيزة الالهةَ المُسَيْطِرة في تلك الناحية فقط، بل كانوا يَرَوْنَ فيه صورة الشمس. في كتاب أبي جعفر الادريسي عن الاهرام أنَّ الشمس كانت تُرْسِل أشعتَّها بين عيني أبي الهول تماماً الذي هو «صنمها الأكبر».

وربط أبي الهول بالشمس بهذا الشكل يجعل له علاقة بالصور المشابهة المعروفة في الفن الاسلامي والتي تعود على أية حال إلى التأثير الايراني وليس لنماذج مصر القديمة، وتظهر صور أبي الهول هذه وهي المُزَوَّدةُ بأجنحةٍ مضاعفة، بمصاحبة طيرٍ محلِّق. وهذا الطير تَطَوَّر من شكل الشمس المجنّحة الشائع بفارس القديمة حيث يظهر في الصور إلى جانبها (وهي المزوَّدة بأجنحةٍ مضاعفةٍ) طيرٌ محلِّقٌ هو عبارةٌ عن تطوُّرٍ لحاجب الشمس المجنح.

رغم الصورةِ القاتمةِ التي تظهَر في القرآن لفراعنة مصر القُدَامَى، فلا شكَّ أن المؤلفين المسلمين (الذين اهتموا بآثار مصر القديمة وعجائبها) كانوا يعرفون عودتَها إلى تقاليد محلّية مصرية قديمة ما تزال حيةً في وعي القرويين المصريين على الأقل. فبالنسبة للعامة من المصريين كان أبو الهول هو الطِّلَّسم الذي يحمي أرض مصرالخَصبة من العواصف الرملية للصحراء الليبية التي دفنت من قبلُ مدُناً كثيرةً. والحقّ أنَّ مَهَمَّة الحماية (التي تعود إلى تصورات فرعونية قديمة فعلاً) لم يكن يَنْفَرِد بها أبو الهول. فعلى الضِفَّة المقابلة من النيل كان ينتصب حتى القرن الرابع عشر الميلادي تمثالٌ ضخم لأمرأة هي أمرأة أبي الهول. وكانوا يُسَمُّونها السيدة أو الغسّالة من آل فرعون أو «سُرِّية فرعون». ولم يكن التمثال سليماً تماماً فقد قاومت السيدةُ أيضاً موسى ولقيت جزاءها. وكانوا يرون ان السيدة قائمةٌ على ضفة النيل كطلسم لحماية سكان ضفة النهر اليُمْنى من فيضان مياه النيل. وهذا الاتجاه التفسيري مصريٌّ قديمٌ أيضاً، فايزيس عند المصريين القُدامى هي زوجة الملك/الاله خفرع من الأسرة القديمة الرابعة. وهي سيدة النيل وحامية ضفته.

«لعنة الفراعنة»

أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر تصاعدت حركة دينية متشددة هدفها تدمير أبرز معالم الوثنية القديمة في محاولة للقضاء على الخرافات حولها وزعزعة اعتقاد العامَّة بفائدتها وسلطانها. وسنذكر فيما بعد في سياقٍ آخر ذلك الشيخ الذي ضرب أبا الهول بحذائه أواخر القرن الثالث عشر. وفي عام ١٣١١ قام أحد الأمراء الباحثين عن الكنوز واسمهجانسبولاطبتدمير تمثال السيدة وَولَدِها فاستُخدمت موادّه في المسجد الجديد الذي بناه الملك الناصر محمد بن قلاون بجوار مقام التمثال. ويُظهر كُلٌّ من ابن دُقماق والمقريزي (وهما من مؤرخي القرن الخامس عشر) ارتياحهما لعدم حدوث أي ضرر نتيجةً لهذا التدمير مما يدل على أنَّ الطلسمات عَبَثٌ وباطل.

وقام الأمير شيخو بعد العام ١٣٥٠ بقليل بنقض المعبد الصغير المبني من الصوّان الأخضر بمنف محاولاً نقله إلى القاهرة لكنه تَحَطَّم فاستُخدِمَت حجارته في بناء خانقاهُ وجامعِه الجديد. والواقع أنّ عَتَباتِ المساجد التي يعود كثير منها إلى العصور الفرعونية كانت تؤدّي مَهمَّتين: مَهَمَّة طمأنة المسلمين من حيث أنَّ بعضَ القُدرات السحرية انتقلت بانتقالها إلى المسجد، ومهمة العَزاء الديني، وذلك باحساس الداخل إلى المسجد انه يَدُوسُ الوثنية بقَدَمَيْه.

وتشير النصوص التي وصلت إلينا إلى أنَّ هذه الحملةَ التدميرية بلغت ذروتها في منتصف القرن الرابع عشر، ويبدو ان المعاصرين كانوا يحسون بالتوتّر والقلق من جَرّاء ذلك كلِّه. ويمكن إعادةُ الأمر إلى أسبابٍ

عِدّةٍ، من بينها تلك المجاعات التي كانت تنزل بمصر بين حين وآخر وانتشارُ الطاعون الذي كان يفتِكُ بالريفيين بالذات ويخرب بالتالي الحُقول ويَقْضي على ثروة مصر التاريخية المعروفة. ويضاف إلى هذا كلّه تلك الطهورية الشديدة التي ارتبطت منذ مطلع القرن الرابع عشر الميلادي بأسمي ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية. أدّت النوازلُ المتتالية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي إلى لجوء الشعب إلى مخزونه القديم من التصورات وأقاصيص الجفر والملاحم. وصاحبَ هذه الشَعْبَوية كَرَدٍّ فعل عليها تيّارُ المتشددين الذين رأوا في التوجهات الشعبية الجديدة وثنيةً وانحرافاً وتراجعاً عن الدين الحق. وهكذا نَشِبَ الصراع بين الاتجاهين، وإن تكن الأصواتُ المعتدلةُ لم تختفِ نهائياً من الساحة.

عام ١٣٧٣ جرى اقتحامُ هرم خفرع. وعام ١٣٧٨ (بعد مجاعة رهيبة استمرت سنتين) قام متشدد هو خطيب بلدة اخميم بصعيد مصر بتدمير البربي هناك الذي كانت العامّةُ تَرى فيه قُوىً سحرية هائلة. هذه المرة لقي المدمِّر عِقابه العادل إذ نزل به الموت فجأة وخربت مدينته فلم تقم لها قائمة منذ ذلك الحين. في العام نفسه (أي عام ١٣٧٨) لقِيَت فَعْلةُ أحدِ الشيوخ انتشاراً واستنكاراً. إنه الشيخ المعروف بصائم الدهر الذي ينتمي إلى احدى أعرق الخوانق الصوفية بمصر، فقد عمد إلى تدمير جسر بسبب وجود ذلك السلطان الظاهر بيبرس، وهو أسد حجري، فيه. ثم اتجه صوب أبي الهول الذي رأى فيه تمثيلاً لكائن بشري لا تَقْبَلُه الشريعة فشوّه وجهه عن طريق إزالة جزء من أنفه وما بقي من أذنيه. وبذلك وَضَعَ الشيخُ نفسَه في نظر المؤلفين المسلمين في صَفِّ اللصوص ومدمِّري الآثار بَحْثاً عن الكنوز بداخلها. ويرى المقريزي مؤرخ القرن الخامس عشر انه منذ ذلك الحين بدأت الرمال الصحراوية تُهاجم الجيزة وتُدمِّر مناطقها الخصِبَة وما ذلك إلا بسبب فَعلةِ الشيخِ الشنعاء. بل إنّ مؤرخاً معاصراً للمقريزي هو الرشيدي يذهَب أبعد من ذلك إذ يزعم ان عِقاب المعتدين على أبي الهول جاء سريعاً إذ هاجم الملك بطوس الاسكندرية من قبرص بعد الحادثة مباشَرةً. ويحمِلُ شِعْرٌ يعود إلى مطالع القرن الثالث عشر على أولئك الرافضين «أولي النَهْي» الذين يريدون بحُمْقٍ وتعصُّبٍ تدمير الأبنية القديمة. ويورد أوليا غلبي رواية أخيرة عن الحادثة أكثر مبالغة في التشنيع لفِعْلة الرجل السابق الذكر، فقد أمسَكَ سكان الجيزة المشدوهون لفظاعة فعله بتلابيبه وأحضروه أمام القاضي. هناك أصرَّ الشيخ على الدفاع عن نفسه بالحجة الاسلامية التي تُحَرِّم تمثيل الاحياء لكنّ العامة الحاضرين لم يقبلوا حجته بل مَزّقوه إرباً أمام القاضي ثم حملوا بقاياه فدفنوها بجانب أبي الهول حيث يعمِدُ زُوّارُ الهرم وأبي الهول إلى رميها بالحجارة بعد الزيارة.

وهكذا فإنّ صاحبنا لم تَمْضِ ذكراه في التاريخ بوصفه شهيداً بل بوصفه لعيناً يستحق سخط كل الأجيال التي تلت.

«قدرات»
أخرى لأبي الهول

هناك خَصيصة أخيرة من خصائص أبي الهول في نظر الكتّاب المسلمين، هي خصيصة القدرة على اجابة الدعاء والرغبات بالاضافة إلى القدرة السابقة على الكلام. انه يستطيع أن يكشف اللصوص، وان يُرِدَّ المسروق. والقصة المروية عن الحاكم بأمر الله تدخل في هذا السياق، هذا وإنْ يكن أبو الهول المذكور فيها غيرَ أبي هولنا، لكنه يتصل به بشكل من الأشكال. ويتحدث جمال الدين الادريسي عن علماء مصريين كثيرين يزعمون ان أبا الهول يستمْتِعَ بحَطِّ أقدار عِلْيَةِ القوم وَرَفْعِ كثيرٍ من البُسَطَاء والفقراء إلى أعلى المراتب. في هذا الاتجاه يكتب يوسف بن لؤلؤ ابن عبد الله الذهبي (١٢٨١م) ان كل من نَظَرَ إليه أبو الهول بعينيه ذاتِ القدرات السحرية لم يمض عليه عام إلا وقد وفي ديونه أو اكتسب مالاً وجاهاً ان لم يكن له مال أو جاه. وهنا في هذا السياق يَرِدُ ذكر ابن طولون كبطل يُبْطِلُ السحرَ وله علاقةٌ بهذه الأسطورة عن أبي الهول. في يومٍ معيَّنٍ من العام يأتي طالبو الوظائف السامية إلى أبي الهول فيحرقون له البخور ثم يطلبون إليه أن يُحقِّق لهم أمَانيهم وقد اعتاد صوفيٌّ معروفٌ من الطريقة السهروردية هو قطب الدين القسطلاّني (٦٨٦هـ/١٢٨٧م) ان يضرب أبا الهول بحذائه «اللالكته» احتقاراً له وتعبيراً عن احتقاره لأولئك الذين يأتون إلى أبي الهول كلَّ عام محمَّلين بالبَخُور والنباتات التي يُحِبُّها فَيُشَعِّلُونها له وَيُرَدِّدون عزائمَ سحرية ثم يلتمِسُون منه تحقيقَ رَغَباتهم بالعبارة

التالية : يا أبا الهول ! إفعل كذا ! وافعل كذا ! ويزعمون انه كان يُحقِّقُ الرغباتِ لزائريه بسرعة.

ويَرى بعضُ هؤلاء في ابي الهول خازناً للكنوز، ومعلومٌ ارتباطُ الأهرام بالكنوز المُخَبَّأة منذ أيام المأمون وحتى أيام المماليك والعثمانيين. ويبدو أبو الهول بخصيصته الجانبية هذه في قصتين يرويهما ابن الدواداري الذي عاش أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر وعُرف عنه كمؤرخٍ اهتمامُهُ بالقصص الشعبية وأخبار العامّة؛ فقد رحل أحدُ القرويين الصعاليك (حسب القصة الأولى) من الفيوم إلى القاهرة للبحث عن كنز في أُذُنِ أبي الهول بعد ان رأى ذلك في الحلم ثلاث مراتٍ لكنه بحث في المكان فلم يجد شيئاً فاحتارَ في أمره وتجول في الصحراء حول أبي الهول مهتمّاً خائب الأمل. وهنا قابله جندي مملوكي شدد عليه السؤال عن الغرض من تجوله غير الهادف فاضطر إلى إخباره بحُلُمِه فضحِكَ منه الجنديُّ الذي كان يرتدي لأْمَةً ثمينَةً ويركَبُ جواداً مُطهَّماً وقفَزَ للبحث بنفسه عن الكنز في اذن التمثال فقتلته حَيَّةٌ رملية كانت تتخذ من الأذن وَكْراً لها فنزع عنه الفلاح ثيابه وعُدَّتَهُ فصار ثَرِياً. أما القصة الثانية فهي عن رجل متديّن شددّ عليه دائنوه فوجد ورقة من كتابٍ للأحلام تَذْكُر صيغةً سحريةً عليه أن يَتلُوَها أمام أبي الهول فيظهَر على لسان التمثال درهم. هنا الدرهم عليه أن يضَعَه في كفة الميزان فيظهر في الكفة الأخرى دينار، ثم يضع الدينار في كفة فيظهر في الأخرى ديناران وهكذا إلى ما لا نهاية. وليس من غرضنا هنا المُضي مع هذه الأقاصيص حتى النهاية انما أردْنا فقط أن نشير إلى ارتباط بعض هذه التصورات بأبي الهول أيضاً في أرض مصر المملوءة بالآثار والهياكل والتماثيل والتي خَمَّنَ الناسُ عبر العصور تحتها كنوزاً هائلةً ويُشير عبد اللطيف البغدادي (١١٦٢ - ١٢٣١م) الطبيب والمؤرخ المعروف (وأحد الذين راقبوا الاهرام وأبا الهول بدقة) إلى اعتقاد العامّةِ أنّ التماثيلَ تحتوي كنُوزاً من غابر الأزمان وانها شديدةُ الغضب على كل أولئك الذين يحاولون انتهاك حُرْمة الكنوز أو سَرِقَتَها. ولقد كان الباحثون عن الكنوز (المسمّون المطالبين أو أصحاب المِيم) معروفين منذ أوائل أيام العرب بمصر ومكروهين ومحتَقَرين لكنّ بعضَ النصوص تُشير إلى انهم كانوا عَبْرَ العصور (خصوصاً في العهد الفاطمي) عاملاً سياسياً لا غنى للدولة عنه.

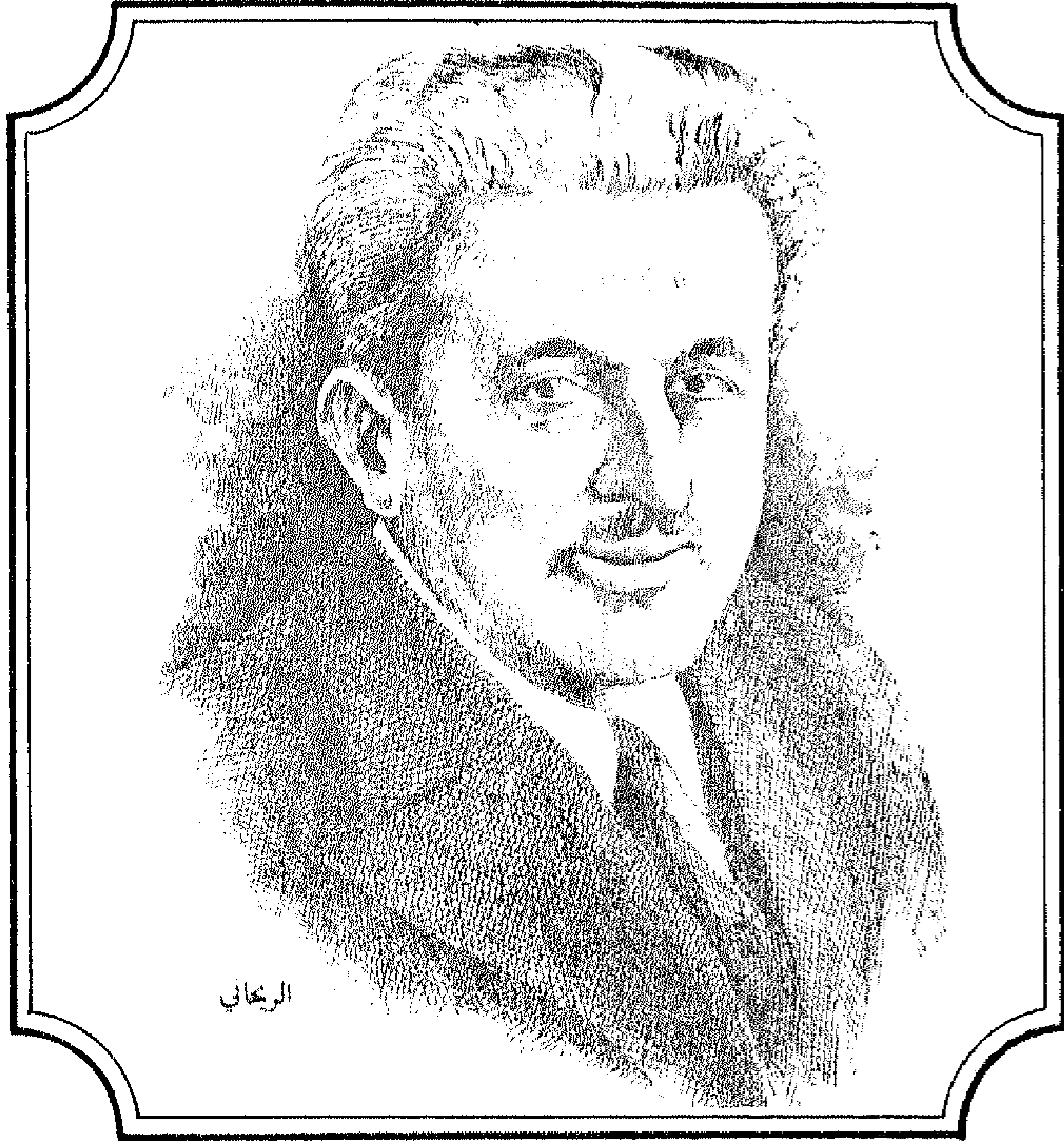
احترام شعبي فائق

وعوداً على بدء، يمكن القول ان التقاليد المحلية المصرية القديمة عاشت في مصر الاسلامية واستمرت بشكلٍ أعمقٍ مما كان يمكن أن نَتَوَقَّعه. فالآثارُ الصَخْرية المصريةُ القديمةُ ظلت جزءاً من عقيدة العامة حتى القرن التاسع عشر الميلادي. صحيح ان هذا التقدير لآثار مصر الغابرة كان يقع خارج نطاق الاسلام الرسمي لكنه كان يَتَواجهُ معه في علاقة جَدَلية ملحوظة، ويُجَسّد ذلك التناقض بين العقائد الشعبية التلفيقية والاتجاهات السَلَفية التي ربما تلاقت في شخص واحدٍ أحياناً. هذا الاحترامُ الذي كانت تَحْظَى به آثارُ مصر الوثنيةِ وعلومُها السِرّية المزعومة لم يخفتْ بل ازداد في أواخر العصور الوسطى. ويُعتبر القرن الرابع عشر الخط الفاصل فقد تصاعدت فيه المشاكلُ الاجتماعية وتكاثرت النوازل الطبيعية فَبَعثت في العقائدِ والتقاليدِ الشعبيةِ الغابرة روحاً جديداً قوياً واستمرّ وشكّل جزءاً من التراث الديني للمصري العادي.

يُجسِّد أبو الهول أخيراً صُمود العقائد والتقاليد القديمة فالصوفي المسكين الذي تَجَرَّأ على الاعتداء على أبي الهول في القرن الرابع عشر قُتِلَ وساء ذِكْرُهُ في كل الأجيال اللاحقة. وأوليا غلبي (وهو مسلمٌ تقيٌ مخلصٌ لدينه) يُهاجمُه ويدفن بقاياه تحت قَدَمَي أبي الهول الذي ينتصب شامخاً رمزاً لقوة التقاليد القديمة واستمرارها بعد استقرار الاسلام شأنها أيام الاسلام الأول بمصر أو أكثر. فقد استعاد أبو الهول مكانته القديمة واكتسب تقدير الجميع. وحتى أولئك المؤرخين المتدينين الذين يذكرونه لا يستنكرون التقدير الشعبي له. فهل كانوا يَرون انه يُمكنَ للمرء أن يكون مسلماً طيباً ومتمسكاً بالتقاليد القديمة في الوقت نفسه؟. وقد أدّى هذا الايمانُ الشعبي بتلك الآثار إلى التسامح تجاهها بل ومحاولة تبرير ذلك، فالرشيدي الذي عاش أواخرَ القرن الرابع عشر الميلادي يقول في سياق قصته عن صائم الدهر أنّه على المسلم أن لا يستنكرَ وجودَ الأهرام وأبي الهول واحترامَ الناس لها، وذلك ان صحابة أجلاّء نزلوا بالجيزة ولم ينكروا ذلك رغم انهم كانوا «أشدّ الناس حرصاً على إزالة المنكر».

وهكذا ظلّت الجيزةُ أرضاً مباركة. وتعانقت عليها قبورُ الفراعنةِ مع قُبورِ مسلمين أفاضِلَ ●

لماذا أبعدت فرنسا


الريحاني

امين الريحاني؟

قصة الخطاب الوطني الكبير كما يرويها شاهد عيان

جان سرور

● يقتضي، للحديث عن هذه الصفحة، الرجوع بالذاكرة إلى جمعية التضامن الأدبي واعطاء لمحة عنها نظراً للواقع الذي يربط بينها وبين موضوعنا.

عملت جمعية التضامن الادبي من العام ١٩٢٤ حتى العام ١٩٣٣ ولعبت دوراً كبيراً في المجتمع اللبناني، وكان الادب وسيلتها إلى بث الروح الوطنية بين الشباب في وقت كان البلد فيه يرزح تحت وطأة الانتداب الفرنسي الذي لم يكن يسمح بأي نشاط أو تحرك من شأنه ان يهدد كيانه أو يفتح الاعين على تصرف رجاله.

من هنا كان العمل السياسي الذي اعتمدته الجمعية مغلفاً بالغطاء الادبي، وتلك كانت فكرة نصح بها الرجل الوطني الكبير الشيخ ابراهيم المنذر الذي اعجب بحركة الشباب المؤسسين ومدهم بأفكاره النيرة.

* السيد جان سرور. اشتهر منذ مطلع شبابه بالعمل الوطني الذي كرس له حياته.. سجن وشرد عدة مرات. وهو من مؤسسي جمعية التضامن الأدبي التي عملت على مناهضة الانتداب في الثلاثينات وكان أميناً عاماً لها.

وبعد الاستقلال تابع خطه الوطني عن طريق العمل الفندقي والسياحي وقد انتخب أميناً عاماً لجمعية أصحاب الفنادق والمطاعم.

وما ان نالت الجمعية اجازتها من الحكومة اللبنانية الممثلة بالجنرال فان دان بيرغ حتى أخذت توالي دعاياتها بين الجيل الطالع وتحيي حفلات موسعة يخطب فيها بعض اعضائها إلى جانب عدد من رجال الادب والاجتماع والسياسة من لبنان ومن شتى البلاد العربية. ومع الايام صار للجمعية عدد من الاصدقاء الكبار الذين كان يطيب لهم الوقوف على منابرها للتعبير عن افكارهم وليؤدوا واجباً قومياً مقدساً، وكان في مقدمة هؤلاء المفكر الكبير أمين الريحاني.

خطة للريحاني تثير التقليديين

وقف الريحاني في العام ١٩٣٢ خطيباً في حفلة كبيرة للجمعية اتفق احياؤها مع بدء الصوم الكبير لدى الطوائف المسيحية فتكلم عن المناسبة وانتقد من يتخذ من الدين ستارا لخداع الناس فيتظاهر بالصوم والحرمان ليدلل بذلك على ورعه وتقواه، وطلب أن يكون الاتصال بالله مباشرة دون وساطة وبطريقة عفوية بعيدة عن التكلف والتصنع يفتح فيها الانسان قلبه لربه بايمان صحيح، كما اهاب بالمؤمن ان يستمتع بما منحه اياه الله دون خوف ولا وجل.

وما ان وصل نبأ هذه الخطبة إلى أحد كبار رجال الاكليروس المتزمتين حتى ثار ثائره وبدأ حملة شعواء على الريحاني ونعته بالكافر كما ندد بالجمعية التي اتاحت له الكلام من على منبرها «ليضلل الناس بآرائه الفاسدة» وكرر هذا الكلام عبر مواعظ الصوم المتلاحقة في إحدى الكنائس الكبرى فتأثر بها بعض الشباب من ذوي الافكار المحدودة والأفق الضيق، ونقلوا ثورتهم إلى نادٍ طائفي معروف، وهناك اتفق هؤلاء الشبان على محاربة الريحاني اذا عاد للجهر بمثل هذه الآراء.

هذا كله جرى بينما كان الكاتب الكبير قد غادر لبنان أثر الحفلة في سفرة إلى العراق بدعوة من الملك فيصل الأول، وكان قد أرجأ سفره لما بعد الحفلة.

العودة من العراق

أمضى الريحاني بضعة أشهر في العراق انجز خلالها وضع كتابه المعروف «قلب العراق» ولما شاء العودة إلى لبنان هطلت أمطار غير عادية فوق الصحراء وغمرت السيول مسالكها، الأمر الذي عرقل انتقال السيارات عليها.

ويجب الاشارة هنا إلى أن الانتقال بالطائرات في ذلك الوقت لم يكن بالشيء الميسور وكانت السيارات وحدها تؤمن الانتقال بين العراق وسوريا. وعندما بلغ الأمر الملك فيصل، وكان للريحاني منزلته الخاصة عنده وضع تحت تصرفه طائرته الخاصة التي اقلته إلى دمشق، فكانت المرة الأولى التي يركب فيها الريحاني الطائرة «العفريته» حسب قوله، وسيأتي ذكر هذا فيما بعد.

ومن دمشق جاء إلى لبنان، وكنت في عداد وفد ارسلته الجمعية للسلام عليه في قريته «الفريكة» وبعد احاديث مشوقة ووصف انطباعاته عن بلد الرافدين حدثه الوفد عما جرى في غيابه من غضبة الشباب وحملة الاسقف وتكفيره له وللجمعية. فأبدى تأثره للحادث وقال: «أنا تعودت أن أقول كلمتي وأمشي». ثم انتفض غاضباً واعلن بصوت عال «لينظر هؤلاء الناس إلى الغرب وما بلغه من تقدم» وأشار إلى ركوبه الطائرة قائلاً: «صرنا في ثلاث ساعات ننتقل من بغداد إلى الشام وهم ما زالوا على تفكيرهم الرجعي هذا».

حفلة جديدة للجمعية

وجاء موعد اقامة حفلة جديدة للجمعية واتجهت الأفكار إلى دعوة الريحاني للخطابة فيها إلى جانب عدد من رجال المنابر، ولم يرفض الطلب.

وقبل موعد الحفلة ببضعة أيام زرته في منزل نسيبه السيد يوسف صادر بقصد تحذيره مما يمكن ان يواجهه من الشباب الغاضب وقلت له:

ان مثل هؤلاء الناس لا يتورعون عن القيام بما يسيء اليك ويعطل الحفلة، فقال: لا تخف يا صاحبي فاني سأجعلهم يصفقون لي. واعترف اليوم اني لم أطمئن لقوله هذا لأني لم أكن اعلم ما كان يعني، وبقيت يخالجني هاجسي حتى موعد الحفلة التي كان الاقبال عليها يفوق التصور، الأمر الذي حيّر الاعضاء وتساءلوا: ترى كيف يزيد عدد الحضور على عدد البطاقات الموزعة؟.

ويبدو ان التحسب للأمر لم يقتصر علينا وحدنا فقد شاهدنا اعداداً كثيرة من رجال الشرطة والتحري

بقيادة المفوض الممتاز خريستو نفاع يدخلون مكان الحفلة «غران تياتر» ويندسون بين الحضور وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن رجال الأمن انما وفدوا الينا للحؤول دون وقوع معركة بين الحضور بعد ان ترامى اليهم ما كان الشباب اياه يستعد له من قتال وتخريب.


جلسة في نيويورك عام ١٩١١ بعد وضعه «كتاب خالد».

الخطاب الثورة

افتتحت الحفلة وأخذ كل خطيب دوره في جو هادئ وطبيعي ثم جاء دور الريحاني فصعد المنبر وسط أفكار وتكهنات متضاربة لم يدعها تطول لانه دخل الموضوع بسرعة فاذا به يلقي خطابه المعروف تحت عنوان «بين عهدين». أي عهد الانتداب الفرنسي وعهد السلطان عبد الحميد ليقول ان وضع الشعب فيهما لم يتبدل من حيث الطغيان والفوضى واستثمار النفوذ والرشاوى والفساد والترامي على أقدام الحاكمين لنيل رضاهم والتخاذل أمام سلطة المستشارين الفرنسيين وواقعهم القائم على ابتزاز ثروة البلاد وايقاظ النعرات الطائفية فيها لتبقى دائماً مفككة الأوصال لا قدرة لها على الاتحاد والوقوف في وجه من يعمل على اذلالها وتحطيمها وتطرق إلى الكلام عن الاوقاف الاسلامية التي يرأسها السيد «ميرلانغيه» وكيف أنه اعتنق الاسلام كي يتمكن من السيطرة على شؤون الاوقاف وكان يردد تساؤله بالجملة الاتية: «من عهد عبد الحميد إلى عهد ديمارتيل السعيد هل تقدمنا؟» وديمارتيل كان في ذلك الوقت المفوض السامي الافرنسي على سوريا ولبنان. وكان التصفيق الحاد يتردد في الصالة كلما تطرق الخطيب إلى موضوع جديد، وهكذا وحدت الحملة العنيفة التي لم يسبق ان عرفت البلاد مثلها في عهد الانتداب بين الانصار والاخصام وكانوا يطلبون معاً من الخطيب تكرار الكلام المثير الذي لم تتعوده آذانهم من قبل.

أما رجال الأمن فقد فوجئوا بهذا التحول وحاروا في كيف يتصرفون، أيوقفون الخطيب ويمنعونه من الاستمرار في حملته وهم من جاء ليرد عنه الأذى، ام يتركونه يتمادى في اثارة الناس على هذا النحو؟ وأخيراً اتصل مفوض الشرطة برئيسه هاتفياً لابلاغه بالأمر وأخذ تعليماته، وطلب المدير بدوره الاتصال برئيس الجمعية ليبلغه بضرورة وضع حد للخطيب كي لا تتدخل الشرطة. وأخذ الرئيس الهاتف وكان في تلك السنة المحامي الأستاذ نسيم أيوب الذي لم تفته حراجة الموقف وحاول «بدبلوماسية» تهدئة المدير قدر الامكان واضاعة الوقت للحؤول دون اللجوء إلى أي تدبير عنيف، لكن الوقت طال وما كان من المدير إلا أن أصدر أمره بايقاف الريحاني عنوة، وتقدم رجال الأمن من المنبر وهب الناس للتدخل لكن الريحاني الذي كان

يراقب هذه التحركات أراد الاشارة إلى أن الخطاب انتهى، فقال بصوت مرتفع «بقي لي أن أقول لكم باخلاص أن الأخ القريب منكم هو خير من الصديق البعيد والسلام عليكم».

هكذا انتهى الخطاب وانتهت معه الحفلة بسلام غير أن الحادث كانت له ذيول مؤسفة.

قرار الأبعاد

في مساء ذلك اليوم استدعى سكرتير المفوضية العليا الفرنسية القنصل الأميركي في بيروت ليبلغه معتذراً قراراً بابعاد الريحاني الذي - كان يحمل في ذلك الوقت الجنسية الأميركية منذ أن كان في أمريكا - ولما استوضحه القنصل اسباب هذا التدبير الصارم والسريع قدم له السكرتير تقريراً يتضمن كل ما ورد في الخطاب من انتقادات لاذعة ودعوة سافرة إلى مقاومة الانتداب.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، إذ صدر قرار من حكومة الانتداب باحالة مجلس الجمعية إلى التحقيق لمعرفة ما إذا كان ضالعاً بالحادث، ومع أن التحقيق لم يثبت مسؤوليته إذ اتفقت الافادات على أنه لم يستبق أن طلبت الجمعية من أحد الخطباء إعلامها مسبقاً عن الموضوع الذي سيتكلم به، صدر في اليوم التالي قرار بتعطيل الجمعية ومنعها من العمل وقد فسر البعض هذا الأمر بأن السلطة التي كانت تضيق بنشاطات الجمعية رأت في الحادث فرصة مناسبة للتخلص منها.

فتلقى الأعضاء والأنصار الخبر بالأسف العميق لأنه جاء في قمة نشاط الجمعية وخدمتها للمصلحة العامة، وهذا ما دفع جماعة التضامن الأدبي إلى اعتماد العمل السياسي العلني وسيأتي شرح هذا في فرصة أخرى.

من نقل تفاصيل الخطاب إلى الافرنسيين

عندما علمت الجمعية بقرار الابعاد قام وفد منها بزيارة الريحاني واثناء تبادل الأحاديث سأل الرجل زائريه إذا كان يوجد في الحفلة من يجيد الاختزال؟: ولما أجيب بالنفي قال كيف وصل اذن نص الخطاب إلى الافرنسيين؟ قيل له لم نعطه بعد الحفلة لأحد؟ ففكر برهة ثم قال: «بلى - فقد أخذته مني سيدة أعرفها ثم أعادته إلي بعد بضع ساعات. السيدة هي ح. ح. وكانت أديبة معروفة في ذلك الوقت ولما ذكر اسم تلك السيدة تبادل الحضور النظرات فيما بينهم ثم قالوا له: «هنا يكمن سر وصول خطابك إلى الافرنسيين بنصه الكامل». فبدا الأسف على وجه الريحاني ولزم الصمت.

طبع الخطاب وتوزيعه على الناس

قمت في صباح اليوم التالي بزيارة للريحاني وقلت له أن الجمهور يرغب بشوق في الوقوف على نص الخطاب، إذ لا سبيل إلى ذلك عن طريق النشر في الصحف لأنها تتعرض للتعطيل فهل توافقني على طبعه بكراس أتكفل به واذيعه بطرقي الخاصة؟ قال: أوافق وسأضيف اليه مقدمة اتكلم فيها عما توخيته من خطابي وما أرجوه لبلدي العزيز من خير وسعادة.

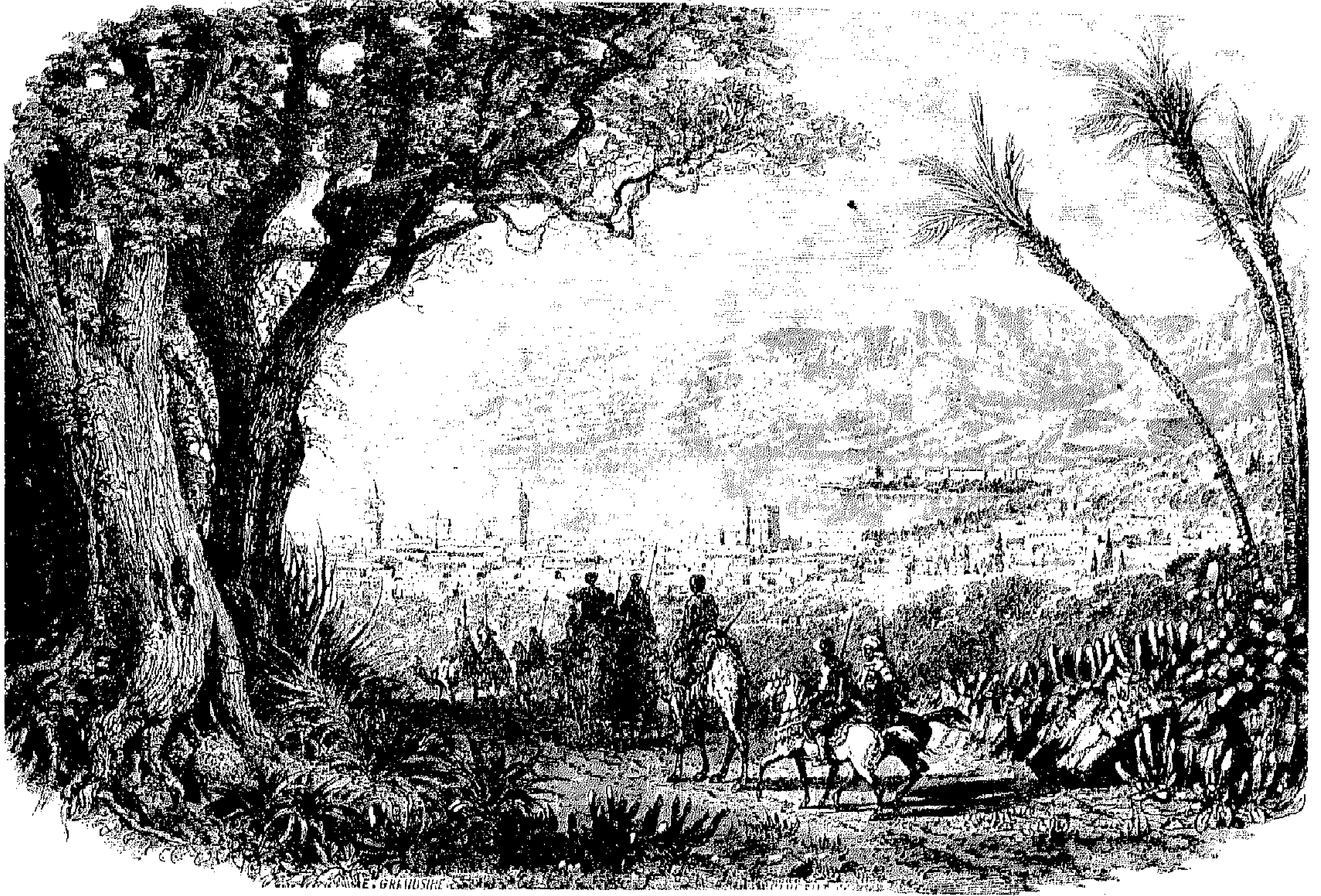
وأخذت الخطاب ومعه المقدمة وفيها يقول إنه مواطن ينشد الاصلاح لا التهديم كما يتصور البعض، وانه قصد في خطابه ايقاظ الناس من غفلتهم وايقافهم على ما يحاك لهم من احابيل وتصرفات تجري في الغالب بمعاونة مواطنين لهم طمع في الاستغلال ونيل الحظوة، وبعد ذلك ودعني بكلمة عاطفية رقيقة تنم على ما طبع عليه المفكر اللبناني الكبير من صدق ووطنية وكبير أخلاق.

أما أنا فسافرت سراً إلى دمشق وهناك استعنت بصديق لي هو المحامي الدكتور يوسف سمارة الذي قادني إلى مطبعة صاحبها من أهل الوطنية والاندفاع وطبعت الخطاب على كراس يمكن وضعه في الجيب بعد أن زينته برسم للأديب الكبير وعدت كما ذهبت سراً إلى بيروت، ثم باشرت بتوزيع النسخ على الرفاق والأوساط الوطنية وساعدتني درايتي والدقة في التوزيع على انجاز مهمتي دون أن يتمكن أحد من رجال الأمن من الوقوف على مصادر هذه النسخ التي اثارت ضجة بين الناس وتناقلتها الأيدي مدة طويلة من الزمن.

وسافر الريحاني إثر قرار الابعاد إلى بغداد حيث استضافه الملك غازي الذي ورث الملك عن أبيه الملك فيصل الكبير ولم تدم غيبته عن لبنان أكثر من ثلاثة أشهر لأن اجراء الأبعاد اثار نقمة عارمة وحملة قاسية، من المغتربين اللبنانيين في مختلف انحاء مهاجرهم مما اضطرت معه الدولة الفرنسية إلى الايعاز للمفوض السامي في بيروت بوجوب الغاء قرار الابعاد. ●

بعض الذكريات حول رحلة قام بها أ. سبول الى لبنان عام ١٨٥٩

فدى عطار عاليه



● يروي لنا الرحالة كيف بدأ انطلاقه من الإسكندرية باتجاه حيفا عبر مسافة ٩٠ ميلا بحريا او ما يقارب الستة والعشرين ساعة سفرا. وأول ما ظهر له جبال فلسطين. ثم الصخور التي تحمل البلدة. يقول في وصف حيفا: «تدعى قديما (Joppe) وتتألف من مجموعة دائرية من البيوت المتألقة ببياضها والمبنية على شكل مدرجي على منعطف الجبل المطل على المتوسط. أما من جهة البر فتحيط بالمدينة أسوار عالية ذات أبراج. ومنها دخل نابليون حيفا سنة ١٧٩٩. أما شكل المدينة بوجه عام فحزين والشوارع مظلمة وملتوية تؤدي الى البازار حيث تنبعث رائحة المسك والسمك المقدد».

وها هو رحالتنا يترك حيفا ويبحر نحو عكا. ومما يلاحظ أن الزراعة تكثر وتعم عند الإقتراب من هذه المدينة المبنية على رأس يمتد في المتوسط على شكل هلال. والتي تحيط بها البحار من ثلاث جهات كحصن طبيعي. وقد فشل نابليون أمامها. وبعد أن قطع جبل الكرمل وصل سبول الى صور وها هو يروي

---

* فدى عطار عاليه: ماجيستير في الأدب الفرنسي

لنا ما رآه: «ترى. ماذا أصبحت هذه المدينة العظيمة؟ قرية تمتد على شبه الجزيرة التي احتلها الاسكندر الكبير. وهنا وهناك تتكدس بعض الرزم من البضائع التي حلت مكان الذهب والارجوان والطيوب.

«وعلى بعد اميال تقف صيدا أو صيدون ملكة المدن الفينيقية التي تحميها قلعة صغيرة باستطاعة اي طلقة مدفع ان تدمرها وتجعلها هباء منثورا. وصيدا هي مرفأ قديم للشام ولذا حافظت على علاقات تجارية متعددة. أما سكانها فيعدون حوالي سبعة أو ثمانية آلاف وهي كصور. اختها ومنافستها. لم تحتفظ بشيء كثير من عظمتها الماضية.

«وها هي بيروت تتراءى لنا بعد ان اتسع السهل وابتعدت الجبال عن الشاطئ.

لا يستقبل مرفأ بيروت سوى مراكب صغيرة. بينا تظل السفن الكبيرة في البحر ولذا يندفع بعض السكان العرب الى البحر لينزلونا الى المراكب الصغيرة بسواعدهم القوية إلى حيث يصفون المراكب على رصيف الشاطئ.

«وبشعر من أول نظرة الى المدينة كم تزدهر التجارة فيها. فها هو الماروني بثيابه الغامقة. والدرزي بعمامته البيضاء أو المقلمة. واسلحته البديعة. والتركي واليوناني واليهودي والأرمني. ها هم كلهم يندفعون في المرفأ الذي اصبح بمثابة بابل لغات وثياب. هنا تجري المبادلات التجارية: فلبنان يقدم النبيذ والحرائر. واليمن البن. وحوران القمح. واللاذقية التبغ. وتدمر أحصنتها. ودمشق أسلحتها. وبغداد أقمشتها الجميلة. وأوروبا أخيرا منتوجات صناعتها الوافرة والمتنوعة. وكما هو الحال في الشرق دائما فأن الشوارع والطرقات تتعارض مع جمال الطبيعة. أما في داخل البيوت فيكمن الفن العربي الاصيل خلف واجهة من الحجارة المرصوصة كتلك النسوة اللواتي يخبئن تحت الحجاب كنوزا من الجمال. والشوارع ضيقة أو مسقوفة نجد فيها بائعي القهوة. وبعض السكان العرب الذين يدخنون النرجيلة او الشيشة. واولادا رائعي الجمال في سمرتهم يلعبون في التراب.

«غير ان بيروت لا تملك آثارا سوى بعض القلاع او القصور القديمة والبازار او السوق القديم الذي له سحر غريب».

وبما ان هدف رحالتنا كان الوصول الى دمشق وبعلبك مرورا بالارز. اشار عليه صديقه لاسكاريس المقيم في بيروت منذ مدة ان يقصر سفره على الأرز دون دمشق لأن دمشق كانت تشهد غليانا في ذلك الوقت.

وتابع سبول قوله: «خرجنا من المدينة باتجاه البحر. في جادة واسعة مزروعة منذ عهد فخرالدين لمواجهة الحر. وعلى طول الطريق نجد مقاهي واستراحات حيث يتلمس السكان الهواء العليل ويرتشفون القهوة أو يشربون عصير الليمون البارد. ومعظم مرتادي تلك الأماكن من الاوروبيين. وبعض النسوة العرب ذوات الشعر الطويل والحجاب السميك وكذلك بعض النسوة وعلى رأسهن الطنطور.

«وهكذا ترى الحياة تمضي في الشرق خالصة من الاحزان العميقة. ما على الانسان فيها الا ان يحتمل مشقة العيش. وكان برنامج رحلة جماعتنا يشتمل على زيارة نهر الكلب والقناة التي شقها فخرالدين. مرورا بالقلاع الخارجية. ويخبرنا سبول أنه نظرا لورود اسم الدروز والموارنة والمتاولة مرارا. سأل صاحبه لاسكاريس بعض الايضاحات حولهم لان الفرق الظاهر في لهجاتهم ولباسهم لا ينبيء عن فرق في دياناتهم.

اما عن الموارنة فيقول: «يرجع اصل الموارنة وتسميتهم الى راهب يدعى مارون عاش في القرن الرابع للميلاد وتوفي في هالة من القداسة وقد شيد دير تخليدا له. وتولى بعد حوالي قرن. قريب له هو يوحنا مارون النزاع القائم بين اللاتين واليونان الموجودين بكثرة في لبنان. وهؤلاء كانوا يتبعون القسطنطينية بينما اللاتين يتبعون روما. وهكذا نجد الصراع السياسي بين بيزنطة وروما يغلي تحت ستار الدين.

أما الدروز: فهم فرع من فروع الاسلام كما الموارنة فرع من المسيحيين ولكن عاداتهم ولغتهم متشابهة بنسبة كبيرة.

«وخلال حكم فخرالدين عرفت تلك الديانة شهرة كبيرة. فقد عرف هذا الامير العظيم بمرونته وقدرته على ان ينال حظوة الباب العالي وان يفوز بحماية آل المدتشي في فلورنسا وكذلك الحكومة الفرنسية. وما لبث فخرالدين ان سيطر على كل مدن الساحل في سنة ١٦١٣ [م] حتى صفد ولكن لم يعرف ان يحافظ على ما فاز به فما لبث ان حاربه والي دمشق ومات مخنوقا في سجنه عند العثمانيين ١٦٣٥ [م].

«والدروز كالموارنة قوم مزارعون ومحاربون. وكل

رجل باستطاعته حمل السيف والبارودة. هو جندي بالضرورة. وهكذا باستطاعة الحاكم ان يجمع في دير القمر مقر اجتماعاتهم خمسة عشر الفا في لحظة واحدة. وطريقتهم في القتال تشبه طريقة الثوار ورجال القبائل وتظهر قوتهم كلها في الجبل الذي هم ابناؤه. أما في السهل فيمكن التغلب عليهم بسهولة لجهلهم استعمال السلاح الابيض. وكأي عربي. يمارس الدروز. الضيافة الى ابعد حد. وهذا من اجمل صفاتهم. ومن اقوالهم المعروفة: «الناس جميعهم أخوة والله يجمعهم». وهم يتوحدون فيما بينهم. وقد حافظ الدرزي على استقامته بفضل مناخ الجبل والحياة النشيطة والمتواضعة التي يعيشها.

اما المتاولة: (*) «فهم قوم يعيشون في شرقي بلاد الدروز في واد واسع تحيط به جبال سوريا. وهم يشكلون جزءا مهما من الأمة في تلك المنطقة. وهم رجال عسكر جيدون. وقل عددهم بسبب الصراعات المتواليةالتي قاموا بها خاصة ضدالجزار فلم يبق منهم سوى أربعة أو خمسة آلاف على مشارف جبل الشيخ.»

«وبعد ساعتين وصل اصحابنا الى نهر الكلب عبر طريق قديمة شقها الرومان.

«ويعود اسم هذا النهر الى رسم حجري لكلب كبير موضوع على صخرة كبيرة قرب مصب هذا النهر وكان بمثابة رمز مقدس حكى عنه المسلمون اخبارا مدهشة. منها ان الشيطان يدخل احيانا هذا الحجر ويأخذ بالنباح بشكل هائل حتى كان الشاطئ كله يسمعه الى جزيرة قبرص وكان ذلك نذير شؤم.

«ويمكننا الآن تفسير الأسطورة بأن النهر الذي يجري بين جبلين ويصب في البحر يحدث ضجة عند اصطدام مياهه بالحجارة وخاصة عند ذوبان الثلج. مما يشبه عن بعد نباح الذئب ولذا أقام له اليونان القدماء نصب الذئب تيمنا به. وخلط العرب فيما بعد بين الذئب والكلب فدعوه بذلك.

«والصخور المحيطة بالنهر غريبة عجيبة واحداها تمثل تاجراً فارسياً في بازار اسطنبول مع اناء من الزهر في يده ويؤكد علماء الآثار أنها ترجع الى العهد الاشوري وقس على ذلك كتابات وحفريات مختلفة.

«ومشينا بمحاذاة نهر الكلب على الطريق «الانطونية». وتوغلنا داخل غابة سنديان وتين بري حتى وصلنا الى القناة التي حفرها فخرالدين والتي اصبحت تشكل جزءا لا يتجزأ من الصخرة بسبب الاعشاب والشوك والحشائش التي تغطيها.»

بلاد كسروان

وتوجه سبول وصحبه الى الارز بعد أن قطع بلاد كسروان. ويقول متابعاً: «بعد ساعة مشينا خلالها في طريق عينطورة توقفنا عند كنيسة ذات هندسة قوطية كأنها قطعة من حديقة قصر وندسور. ودهشتي كانت عظيمة عندما علمت انها شيدت للقديس جورج الانكليزي. راعي غليوم الاكيتاني الذي توفي وهو يدافع عن الكنيسة. وبعد ان توغلنا في حقول من التوت واجتزنا نهر لبنان على جسر روماني قديم في حالة ممتازة، دخلنا قلب كسروان من الجانب المقابل للنهر. فتراءى لنا بلد غني ومزروع تنتشر فيه القرى.

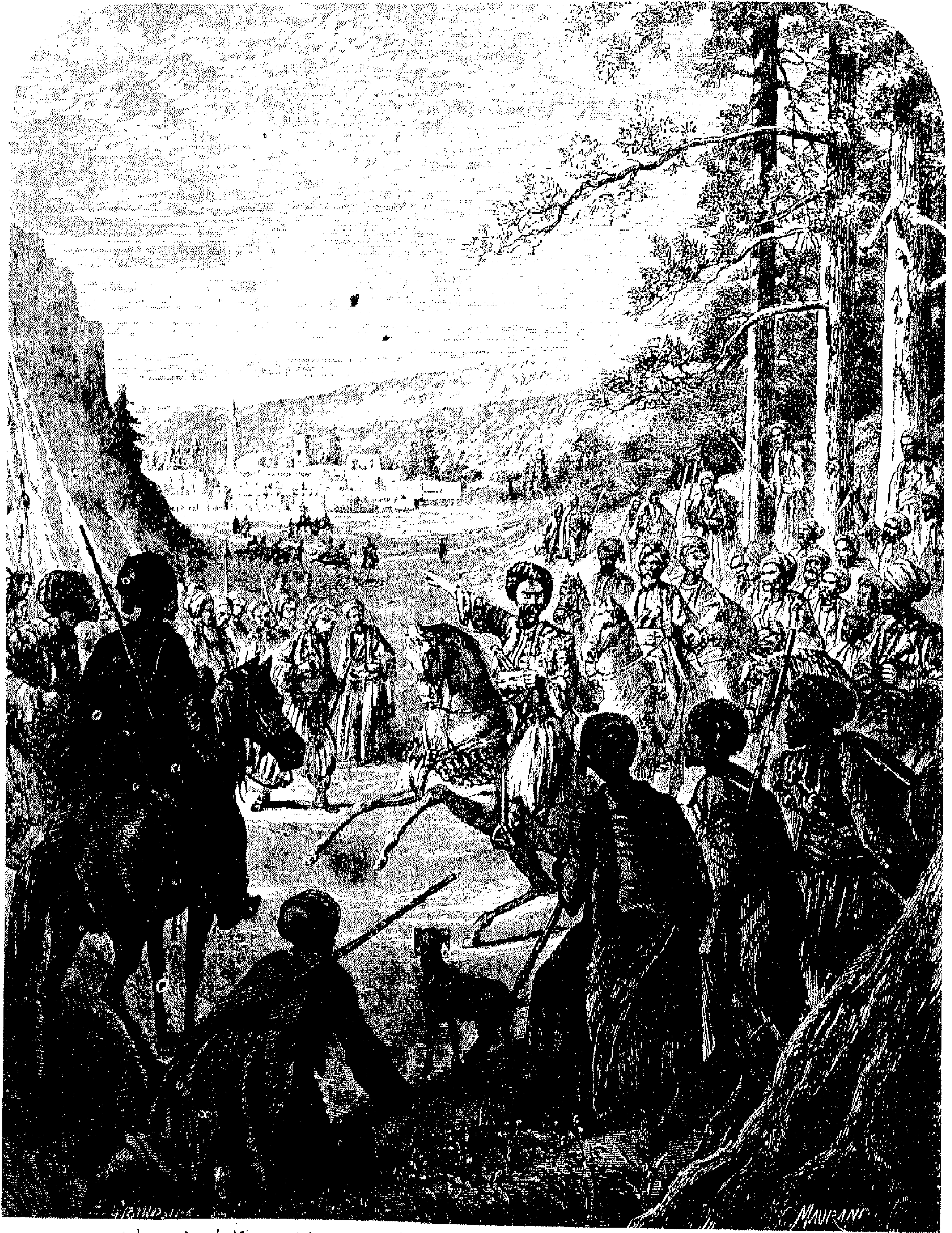
وفي كسروان يعيش شعب حيوي وشجاع. ومما يلفت النظر التغلب على الأرض القاسية التي جعلت اساسا لشجر الصنوبر والأرز والتي اصبحت اليوم حدائق غناء ترفل بأشجار الكرمة والتوت على سفوح الجبال.

«ودخلنا ديرعينطورة الذي يشرف عليه الآباء اللعازاريون الذين ينتمون روحيا الى فرنسا ويعلمون التلاميذ الفصحى والفرنسية والايطالية وحب فرنسا.

«وزادت دهشتي عندما سمعت بعد العشاء تلميذا يتلو علينا بعض المقاطع من التاريخ العالمي لبوسوييه (Bossuet). وبعد ان تذوقنا نبيذ الرهبان الذهبي الصافي البراق ودخنا نرجيلة معبأة بتنباك من جبيل اخبرنا الرهبان عن تاريخ الدير وان اليسوعيين اسسوه اصلا للتلاميذ الموارنة واللاتين. ولكن لم يعرف الدير في عهدهم ازدهارا حتى استلمه الآباء اللعازاريون الذين شهد معهم الدير تقدما ونجاحا ملموسين».

ومما لا شك فيه انه للوصول الى الارز يجب المرور ببلدة طرابلس وهذا ما اكده لنا سبول في رحلته بعد ان قطع بلاد جبيل والقلمون الى ان دخل ولاية طرابلس. يقول:

(*) المتاولة: هكذا استخدم التعبير في وثائق العصر.



عند الحاجة كان المقاتلون يجتمعون على الفور في دير القمر (رسم غرانسير وفقا لوصف سبول).

طرابلس

«تمتد تلك المدينة على مدى نصف ساعة على الشاطئ. وهي تقع مباشرة تحت جبال لبنان التي تطل عليها وتحيط بها من الشرق والجنوب والشمال الغربي ويفصلها عن البحر مثلث صغير يسقيه نهر قاديشا. والمدينة غنية بالحقول المزروعة بالتوت لصناعة الحرير والحمضيات. اما الشوارع فتجد بعضها بين السهول المزروعة والبعض الآخر على سفح الجبل باتجاه نهر قاديشا. فالمناظر الخلابة تنبع وتسر نظرك من كل



دير مار انطوان (رسم غرانسير).



طرابلس في القرن الماضي (رسم غرانسير).

صوب. وبيوت طرابلس منتظمة ومتشابهة. ولكن المدينة لا تعرف آثارا مهمة سوى كنيسة وجامع صغيرين وقلعة الصليبيين المشهورة. والمدينة مزدهرة اقتصاديا وتشهد نشاطا تجاريا واسعا ونرى فيها الكثير من العمائم الخضر وهي علامة استقلال اهل طرابلس ورمز يتميز به الشرفاء ونبلاء القوم عن غيرهم».

ويعود سبول الى الحديث عن رحلته ويقول متكلما عن بلدة الميناء في طرابلس: «تتألف بلدة الميناء من بيوت شرقية تعمل كلها للتجارة وتنتشر على الشاطئ مع اكشاكها. وأول ما يلفت النظر هو مجلس السكان وهم يشربون النرجيلة قرب مئات من الحمير ينتظرون نقل الركاب الى طرابلس.»

وبعد ان غادر سبول طرابلس الى الارز، مر بدير قنوبين وذهب في طريق الجبل باتجاه دير مار ليشع وهو محطة راحة للذاهبين الى الارز مرورا ببلدة بشري. ودير مار ليشع يسكنه بعض الآباء الكرمليين وبعض الرهبان من دير قنوبين. ويقع هذا الدير على قمة الجبل الذي يحمل ايضا دير قنوبين. ووصل سبول الى بلدة بشري وهي اخر محطة قبل الارز.

ونترك لسبول الحديث امام عظمة المشهد: «إنها لطبيعة مدهشة وعظيمة وهذا كان أول شعور لي امام ملك الاشجار الارز، الذي يبعث الاحترام والخشوع. فوقفت واجما متأملا كأنني امام شخصية محترمة وعظيمة وشعرت بنفسي ذليلا باهتا امام روعة المشهد. ومما عرفته انه عندما يصفو الطقس تنصب المذابح وتجرى الصلوات في الهواء فنجد الناس يهرعون من كل صوب الى الارز كأنه مكان حج وبعد انتهاء الصلاة يطلق الناس الرصاص ابتهاجا ويشربون ويرقصون ويغنون ويزينون بيوتهم ببعض اغصان الارز.

«ويبلغ ارتفاع تلك الأشجار من ستين الى مائة قدم. اما قطرها فيبلغ ثلاثة عشر قدما ومحيطها حوالي مائة وعشرين قدما. ولقد ذكر الكتاب المقدس الارز.

«واغصان الارز تبقى خضراء على مدار السنة حتى عندما يكسوها الثلج واغصانها سميكة متكاثرة طولا وعرضا ومتفرعة من الجذع الرئيسي وهذا النوع من الشجر لا نجده الا في الارز. من هنا كان باستطاعتنا لشدة ارتفاع الجبل، رؤية البحر وقبرص من جهة، ومن جهة اخرى بعلبك وجبال عكا...

«وكان هذا بنظري الارض الموعودة»... ●

Le tour du monde, nouveau journal des voyages. 1861. Librairie Hachette, Paris.

اغتيال ابراهام لنكولن

هكذا حدث وهكذا تمت لفلفته!

إعداد: محمد امين فرشوخ

● اغتيال الرئيس ابراهام لنكولن هي القضية الأكثر إثارة وغموضاً في تاريخ الأحداث الأميركية. إنها المؤامرة التي أودت بحياة الرئيس ابراهام لنكولن، والتي طرحت، ولم تزل. أسئلة كثيرة دون إجابة. لكن هذا المقال المقتبس من كتاب: ("The web of conspiracy" 1959) للكاتب (Theodore Roscoe). يحاول إعادة تجميع خيوط الجريمة بطريقة مثيرة وصادقة.



واشنطن- بعد ظهر يوم الجمعة العظيمة ١٤ نيسان (ابريل) ١٨٦٥ كان الممثل جون ويلكس بوث داخلاً الى مسرح فورد فشاهده صاحب المسرح. وقال لافتاً من حوله الى شهرة وبراعة هذا الممثل ذي الستة والعشرين ربيعاً:

انظروا أيها السادة، إلى الممثل البارع والشاب. الأكثر أناقة في واشنطن.

وفي مكتب الإدارة كان بوث يتناول رسائل وصلته الى هذا العنوان وإذ بفنيّ يدخل ويسأل المدير:

– هل أعدت المقصورة الرئاسية لهذه الليلة.

– طبعاً. طبعاً. إن الرئيس وحاشيته سيحضرون.

فرفع بوث رأسه وقال:

– لنكولن هنا سيحضر مسرحية «إبن عمنا...من أميركا»؟

– تماماً يا عزيزي. أجاب المدير بكل سعادة ظاهرة.


$50,000
$25,000
$25,000

عندهانظر بوث نظرة لا مبالية الى الموجودين وخرج بشكل عادي يتصفح الرسائل. بعدها– لم يذكر أحد أنه بدرت منه أية إشارة غير مألوفة– حقاً إنه لممثل رائع. في لمحة عين كان مشروعه الإجرامي قد أعد: وبعد عشر ساعات من هذا الوقت دخل حيّز التنفيذ.

بعد قراءته الرسائل صعد بوث الى الطابق العلوي من المسرح وانسلّ الى مقصورة الرئاسة، وراح يستمع الى «بروفة» المسرحية. وفي الفصل الثالث منها يدور النقاش بين بطلتين. تخرج إحداهما وهي عجوز غنية لتبقى الأخيرة فتقول:

– آه، أنا أجهل تقاليد هذا المجتمع، كم أبغي بقر أمعائك ايتها العجوز الفاسقة.

هذا المقطع، من شأنه أن يفجر الصالة ضحكاً.

هنا تركّز انتباه بوث. إنها اللحظة المناسبة!



بوث الذي اغتال ابراهام لنكولن.

خرج بوث ولم يعد يستقر بمكان. دار في الشوارع ثم إتجه صوب اسطبل. فإنتقى فرساً نشيطة وإستأجرها ثم إنطلق تجاه نزل عائلي متواضع كان قد إعتاد زيارته. وهناك كان دائماً يلتقي زمرة من الشبان الضالين. فشرب زجاجة خمر. واختفى بعد ذلك حتى الساعة السادسة.

في هذه الساعة. كان يعرف أن المسرح خالٍ تماماً. فدخل من باب الممثلين الخلفي وانتقل مباشرة الى المقصورة الرئاسية وبواسطة سكين صغيرة أحدث ثقباً صغيراً في بابها، ثم جمع بعناية نشارة الخشب المتساقطة وخرج.

وفي فندقه –الفندق الوطني– حيث يقيم، تناول عشاءه بكل سكينة ثم صعد الى غرفته واختار لحية وشعراً مستعارين وزوجاً من المسدسات ومسدساً آخر صغيراً يطلق رصاصة أكبر بقليل من «كلة» الأطفال. ثم خرج، واختفى لمدة ساعة. فيما بعد أعتُقد بأنه أمضى الساعة مجتمعا بمتآمرين آخرين.

في الساعة ٢١.٣٠ ظهر بوث من جديد خلف مسرح فورد، في الزقاق المظلم. هناك مرّ به سكير يعرفه. قال له: كونك ممثلاً. فأنت طبعاً لا يمكن أن تساوي أباك، وقهقه. كانت طعنة لبوث تحمّلها وابتسم وأجابه: «بعد أن أترك المسرح هذه الليلة سأكون أشهر إنسان في أميركا»!

من هو بوث؟

لا أحد يستطيع الجزم بالوقت الذي قرر فيه بوث اغتيال لنكولن. والإفتراض أنه قرر ذلك بغتة لدافع عدواني تملّكه، تكذّبه أحداث كثيرة مرت في السنوات السابقة لهذه الخطوة.

بوث الإبن التاسع من عشرة للسيد جونيوس برمتوس بوث. نصف المجنون والمدمن على الكحول والذي رغم ذلك كان الممثل الأول–ذات يوم– في كل أميركا. وجون الإبن صعد الى المسرح في السابعة عشرة من عمره. ولعب هاملت بعد سنتين فقط. وقد بقي في ولايات الجنوب حتى ١٨٦١، وتحت ضغط الحرب قبل أدواراً في مسارح الشمال، لأنه في الحقيقة من مواليد «ماريلاند» فهو ليس جنوبياً أصيلاً ولا يرتبط ارتباطا عاطفياً ولا مالياً بقضية العبيد. ولكنه كان يبدي فرحاً بانتصار الجنوبيين. ورغم هذه المظاهر الشاعرية لم يكن ليتجند في صفوف الجيش الجنوبي. كان يعيش ميسوراً ويرفض الموت في سبيل حرب. بينا يموت كل يوم على المسرح ويقبض ٥٠٠ دولار اسبوعياً. ووراء الكواليس كان


ماري سورات صاحبة النزل الذي كان يجتمع فيه المتآمرون.

يقوم بدور أكبر وأخطر: لقد انخرط منذ ١٨٦٣ في منظمة متمردة سرية.

وكانت الخدمات السرية لهذه المنظمة تديرها شبكات في مختلف المدن الكبرى في الإتحاد. وكان عمل بوث يعتبر ستاراً ممتازاً يسمح له بالتحرك براحة تامة من ولاية لأخرى بل باختراق الجبهة بين الشمال والجنوب. وكان وراء كواليس المسرح يلتقي بالعملاء السريين وقد أظهرت الوثائق -فيما بعد- علاقته بالخدمات المعلوماتية للجنوب. وهكذا تحطمت خرافة كون اغتيال لنكولن قام به مخبول غير مسؤول. في الحقيقة كان بوث عميلاً سريا منضبطاً ينفذ عملية محضّرة تماماً.

في اواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٤ قدم بوث نفسه للسيدة ماري سورات التي تدير نزلاً عائلياً متواضعاً في شارع ٥ رقم ٥٤١ على بعد ٢٠٠ متر من مسرح فورد. وهناك كان يجتمع بآخرين. يبدون كنزلاء عاديين: جورج أتزيروت. لويس بان. دافيد هارولد.

مؤامرات فاشلة

باعتراف السيدة سورات كان هؤلاء دائمي الإجتماع. ولم تكن خطتهم الأولى تستهدف اغتيال الرئيس لنكولن بل اختطافه وتقديمه للسلطات الجنوبية لهدف استراتيجي وهو طعن التفوق الشمالي في الصميم. ناهيك عما يمثله شخص الرئيس من قيمة في حال استبدال سجناء به. لكن لم تنجح محاولات ثلاث قامت لإختطافه. وكان بوث يخطط لها مع أصحابه. في المرة الأولى جرت محاولة اختطافه من مسرح فورد. والثانية على طريق موحل يؤدي الى مستشفى عسكري يبعد عن واشنطن خمسة كيلومترات وفي الثالثة أيضاً من مسرح فورد. وقد فشلت هذه المحاولات الثلاث مما استدعى التفكير بعمل يغطي الفشل هذا ويؤكد العمل الإجرامي المجمع عليه. تُرى ماذا يكون هذا العمل؟.

في هذا الوقت قرر بوث أن يلجأ الى العنف

الأقصى. الى الإغتيال. لكن في أي وقت قرر بوث ذلك؟ لقد بقي ذلك سراً. لكنه كان حتماً قبل ١٤ نيسان (ابريل) ففي ٩ منه زار القائد الفدرالي-لي- القائد الأعلى للقوات الشمالية -غرانت- مما حد ببوث الى التأكيد على إلغاء عملية الإختطاف. التي بدت -وقتها- في نظره عديمة الجدوى. والإلتفات للأغتيال.

لكن حتماً ما سمعه بوث عن حضور الرئيس لحفلة مسرح فورد حدد المكان والزمان. لكن متى تقرر أيضاً أن يرافق هذه الجريمة جرائم أخرى؟ لقد كلف أتزيروت بقتل نائب الرئيس جونسون. وكلف بان وهارولد بالتحضير والتنفيذ لإغتيال وزير الشؤون الخارجية -سيوارد- وهكذا في ضربة واحدة. يكون قد قضي على القادة الكبار في الإتحاد.

الجريمة

لم يقم بوث بأي جهد إضافي ليستطيع الدخول الى الممر المؤدي الى مقصورة الرئاسة في مسرح فورد. فقد لاحظ أن الباب لم يكن محروساً كذلك المقصورة ذاتها -إذ رغم كل التهديدات بالإختطاف والقتل- اكثر من ثمانين رسالة تهديد موجودة في درج مكتب الرئيس- لم يكن يوجد للحراسة حتى ولا مدني واحد!

لقد كان هناك بالفعل حارس. كلفه الرئيس شخصياً بحراسته. لكن القائد. وزير الحربية ستانتون. اعتذر من الرئيس بأن لديه مهمة خاصة للحارس هذا- ومع ذلك فعند الساعة العاشرة من تلك الليلة كان الحارس في بيته! وهناك حارس آخر. مدمن للكحول وسجله العسكري غير نظيف. هذا الأخير أيضاً كان غائباً تلك الليلة. ولم يعاقب. بل. بعد الجريمة. طُلب لحراسة البيت الأبيض (!؟)

..وبخطوات ثعلبية اقترب بوث ليراقب من خلال ثقب الباب الذي أحدثه: الرئيس على كنبته الى جانبه زوجته. وسيدة شابة. وفي مقدمة المقصورة في العمق. مرافقه الخاص. راتبون. شهر بوث مسدسه ووقف ينتظر «المقطع الحاسم» كانت أصوات الممثلين ضعيفة لكنها واضحة.

«...عجوز فاسقة» وضجت القاعة بالضحك. وبكل هدوء أدار بوث قبضة الباب وفتحه. وبسرعة البرق...دوي صامت. وتدلت رقبة الرئيس فوق صدره...لا حركة. فوجئ راتبون ونظر كالمأخوذ الى شبح وراء كنبة الرئيس فوقه ضباب خفيف. وقفز تجاه الشبح لكن شفرة لامعة اضاءت من يد بوث اعترضته ومزقت ذراعه الممدودة حتى العظم. فتراجع غريزياً ليستعد من جديد للقفز على المجرم. الذي اندفع بسرعة غير منتظرة فوق حاجز المقصورة باتجاه خشبة المسرح. وقفز. وأثناء قفزه. اصطدم احد مهازي جزمته بستار المقصورة فمزقها وأخلّ بتوازنه فسقط على ساقه اليسرى وأحدث الارتطام صوتاً مكتوماً. وكسراً في عظمة الساق. لكنه تحامل ووقف بسرعة وركض باتجاه مخرج الممثلين مزيحاً من دربه ممثلاً مأخوذاً واقفاً هناك... وانطلق نحو الممرات المظلمة الخلفية: رئيس الفرقة الموسيقية كان في طريقه فاصابته طعنتان من خنجر بوث. وآخر دفعه أرضاً....



لويس بان: في محاولة لقتل وزير الخارجية ترك وراءه خمسة جرحى في حالة الخطر.

كان في الصف الأمامي من المسرح. بين المشاهدين. محام من واشنطن شاهد الهرج في المقصورة. فاندفع وراءه. لكنه ماكاد يقارب أحد الأبواب الداخلية في الكواليس. حتى صفق المصراع في وجهه. من؟ أهو متآمر آخر؟ ولهنيهات توقف المحامي عن الركض مبغوتاً. مما أتاح الفرصة أكثر لبوث للإفلات.- هذا التأخر في الملاحقة. كان إحدى النقاط الغامضة المضافة الى الجريمة-

في الشارع كان هناك رجل مكلف بالإمساك

بفرس بوث. تلقى بدوره ضربة من قبضة خنجر بوث فوقع على الأرض. ...وانطلق المجرم. في هذه اللحظة خرج المحامي من الباب يصرخ: أوقفوه...أوقفوه.. ولكنه كان قد اختفى في الظلام.

الجريمة الثانية

طيلة يوم الجمعة العظيمة هذا كان هارولد **الأذكى** والأكثر ثقة في فريق المتآمرين يجوب المدينة ينفذ مهاماً أكلفه بها بوث: في منزل أتزيروت خبأ الأسلحة. في الفندق الوطني ليحادث بوث. في اسطبلات تايلور ليستأجر خيلاً...وفي الساعة ٢٢.٣٠ كان هارولد يقود **بأن الضخم الجثة والساذج إلى مدخل بيت الوزير سيوارت، وزير الشؤون الخارجية، وعندما إطمأن إلى أنه دخل البيت، انصرف إلى مهام أخرى.**

في هذا الوقت كان اتزيروت المكلف باغتيال نائب الرئيس يغرق نفسه في الخمر ليسكر ويخفي جبنه عن تنفيذ المهمة.

الوزير سيوارت كان قد تعرض لحادث في عربته أصيب فيه بكسر في فكه وذراعه وعنقه. وكان في سريره. ملفوف الذراع. يحيط بعنقه طوق جلدي وأهله حوله.

دخل بان كزائر وفي الداخل سرعان ما شهر مسدسه وأطلقه. لكن الرصاصة انحشرت فلم تنطلق. وجنّ بان فراح يستخدم مسدسه للضرب. يمنة ويسرة يطوّح بمن في طريقه حتى وصل لغرفة الوزير فهجم عليه وركع على صدره وراح بسكينه يطعنه في عنقه والسكين تنزلق فتغرز في خده وذقنه. وبان يثور ويصرخ هائجاً... وحوله أهل البيت يحاولون منعه... وبعد أن جرح وقتل عدداً منهم استطاع الإفلات تاركاً الوزير بين الجرحى... لقد نجا بفضل «جراحه».

ستانتون يتسلم القيادة

كانوا ثلاثة هاربين: بوث. هارولد وبان. تلاحقهم صرخات واعلانات خاطئة: اغتيال وجرح معظم الكبار في الدولة. اطلقت اجراس الإنذار. استنفر الجنود والشرطة. وزير الحربية ستانتون تسلم القيادة فأصدر سلسلة من الأوامر طويلة: مذكرات توقيف. رسائل لقوى الأمن. طلب من جميع أفراد القوى المسلحة حراسة الأبنية العامة والإنتشار في الشوارع وأمر بايقاف كل فناني مسرح فورد.



جورج اتزيروت: جبنه منعه من اغتيال نائب الرئيس جونسون.



دافيد هارولد: الأذكى في فريق المتآمرين والذي بقي أميناً حتى النهاية

لماذا ستانتون وليس نائب الرئيس – هكذا – أبعد نائب الرئيس وحلّ الأقوى. لقد كان فعلاً في هذه اللحظات الحاسمة القاضي وقائد الشرطة بل الحاكم الفعلي.

أمر ستانتون باغلاق كل المنافذ من واشنطن سوى طريقين يؤديان الى جسر فوق نهر آناكوستيا. ومن الجسر تؤدي الطريق الى ماريلاند. لماذا؟ لماذا ترك ستانتون هذين الطريقين طيلة الليلة دون حراسة؟؟

في الساعة ٢١ من كل ليلة اعتاد الرقيب جوب أن يغلق جسر ارسينال. وفي الساعة ٢٢.٤٥ سمع وقع سنابك:

– من انت؟

– اسمي بوث. ذاهب الى بيتي.

وظن الرقيب جوب أنه شاب مدلل. كما يظهر من أناقته وفرسه. تأخر في العاصمة «للتسلية» فابتسم وسمح له بالمرور. – هنا ثغرة في التاريخ استفاد منها بوث. صدفة – هل أخطأ جوب. أم انها مشيئة القدر؟ .لقد نجا.

وراءه كان أيضاً هارولد. وقد استطاع أيضاً النجاة ببراءته الظاهرة. وراء هارولد كان مؤجر الخيل الذي مر به هارولد في طريق هربه فأسرع وراءه ليسترجع حصانه المتأخر. وعند الجسر أوضح للرقيب المسألة لكن جوب رفض التصديق وأمره بالرجوع دون ملاحقته. فتوجه مؤجر الخيل الى مركز الشرطة وأخبرهم. وفهموا المسألة فطلبوا من فرقة الخيالة في الجيش أن تعيرهم عدداً من الأحصنة لملاحقته. لكن القائد أجاب: «لا خيل عندنا نعيرها للشرطة». لماذا؟ هل هي البيروقراطية؟ هل هي أصابع ستانتون الخفية؟ غموض وغموض....

الطبيب مود يدخل مسرح الجريمة

جنباً الى جنب. بوث وهارولد كانا يسيران في اتجاه الجنوب. لكن بوث كان يتألم من الكسر في ساقه. توقفا مضطربين في حانة اعتادا أن يخبئا فيها الأسلحة ثم تابعا السير. لكن الألم كان يزداد فجنحا نحو مزرعة طبيب في المنطقة، دكتور مود. الذي عالج كسر بوث. وهناك بقيا. حتى ظهر السبت. هل عرفها الطبيب؟ ربما. ألم يشك بعد أن انتشرت الأخبار؟ يوم السبت حدّدا له وجهتها فأشار عليهما بمركب الكولونيل كوس لاجتياز بحيرةبوتوماك. وانطلقا. لكن الليل داهمها قبل الوصول اليه فزحفا نحو مزرعته عبر الغابة حيث كان الجنود أيضاً منتشرين للتفتيش عنهما. وفي المزرعة عند كوس كان ما سجله بوث مؤثراً: «لو أن الشعب يعرف ما في قلبي تماماً لجعلني عظيماً جداً. انا الذي لا أفتش عن العظمة أبدا. اليوم. اطارد كالحيوان. جائعاً. متألماً...لقد وصلت لليأس. لماذا؟ انا ما كرهت انساناً. لي روح أبية جداً ترفض أن تعتبر روح مجرم».

في الثانية من صباح السبت كان قد تم استجواب عشرات الأشخاص وقد توصل الضابط المسؤول الى اسماء ثلاثة: بوث. هارولد. وسورات ابن صاحبة النزل العائلي وعنوان هذا النزل. في الثانية والربع كان الجنود قد طوقوا النزل: لا بوث ولا سورات داخله.

في ١٧ نيسان (ابريل) أمر قائد الشرطة بمداهمة النزل مرة ثانية والقبض على من فيه. وحين كان أفراد الشرطة ينتظرون السيدة سورات في داخله لتلبس ثيابها دق الباب ودخل بان متنكراً...دقائق فقط بعد مقابلته بالموجودين اعترف..فاقتيد الى السجن ينتظر النهاية. بعد ٤٨ ساعة كان معه اتزيروت مع مشبوهين آخرين حيث تعرض الجميع لحملة من التعذيب النفسي حتى قاربوا حالة الجنون.

المطاردة على الخطى

بعد أن ألقي القبض عشوائياً على مئات الأشخاص كان لا بد من ملاحقة ميدانية. ففي يوم الإثنين ١٧ نيسان (ابريل) كان اكثر من ١٠٠٠٠ جندي جاهزين للجري على خطوات الفارين. خصوصاً بعد صدور الأعلان التالي من وزير الحربية: «كل من يساعد الفارين. يأويهما. يحميهما. يعرض نفسه لعقوبة الموت». وجاءت رسالة من خادم الكولونيل كوس عبر عملاء سريين: «لقد جهز طعاماً حمله الى البحيرة...» لكن حين وصول الجنود. كان الفاران قد اجتازا بوتوماك ودخلا فرجينيا.

في فرجينيا. تنقلا من مكان الى آخر. يتعهدهما عملاء ومتآمرون حتى التقيا صدفة بثلاثة جنود أحدهم الكابتن جت الذي دلّهما على مستودع في مزرعة تبغ حيث يمكنهما الإختباء لفترة من الزمن. وهذه المزرعة كانت على بعد خمسة كيلومترات من بورت رويال

وهناك استراحا...

يوم الأربعاء. ساعة العشاء. أقبل جت مسرعاً الى المزرعة يخبر أن الجنود قد صاروا في بورت رويال. وأثناء النهار كان حفيد صاحب المزرعة جاريت الصغير قد هددهما وطلب منهما الإنصراف في الغد خوفاً على أعصاب جده. وذلك بعد أن علم أنهما المطلوبان. قالت التقارير فيما بعد إن الحفيد طلب من بوث وهارولد الإختباء داخل المستودع وبالفعل فعلا ذلك وقد أقفل عليهما الباب وهما مسلحان وذهب. وهنا نسأل: لماذا قبلا الإختباء في مكان مغلق؟ كيف قبلا أن يخبئهما الحفيد الذي هددهما في المزرعة نفسها وكانت الجائزة على رأس بوث ١٠٠.٠٠٠ دولار وحده؟ ثم من أخبر الجنود بمكانهما... نعم. بعد ساعات فقط كان المنزل في المزرعة محاطاً بالجنود. يقول التقرير الرسمي: «أنزلنا جت من نزله وقادنا الى المزرعة».

بعد تفتيش المنزل وتهديد صاحبه العجوز بالشنق. إن لم يعلن عن مكانهما (وفعلاً وصل التهديد الى ربط عنقه بشجرة) اضطر أحد أبنائه الى إرشادهم الى المستودع. فأحاطوا به وهددوا الموجودين فيه. بعد سماع مشاجرة في داخل المستودع فتح الباب وخرج هارولد. ثم أغلق الباب بسرعة. فأحاط الجنود المستودع بالأغصان الجافة وأشعلوها. هناك كان بوث، المعروف من صوته. يصرخ ويحاول النجاة من أي منفذ. دون جدوى. ثم سُمع انفجار. واندفع بوث من البناء المشتعل والدم يسيل من أنفه وسقط بين الجنود يحتضر.

هل قتل؟ من قتله؟ كانت الأوامر صريحة: «اقبضوا عليه حياً». ونقلت الجثة الى واشنطن.

نهاية المتآمرين

في ٩ ايار (مايو) فتحت قضية اغتيال لنكولن امام المحكمة العسكرية باعتبار أن الرئيس كان القائد الأعلى للقوات المسلحة وصدرت الأحكام في ٣٠ حزيران (يونيو) على المتهمين الثمانية الكبار ما بين السجن والإعدام. وقد نفذ الإعدام في ٧ تموز (يوليو) بماري سورات ودافيد هارولد وجورج اتزيروت ولويس بان.

علامات استفهام

● **حين وصلت جثة بوث إلى واشنطن تقول التقارير أن سماتها لم تكن تشبه أبداً الصور السابقة المأخوذة لبوث. ورغم ذلك لم يستدع أحد من أصحابه أو أقاربه ليتعرف على الجثة. ودفنت.**

●وجدت مع الجثة مفكرة بوث الخاصة. حملت الى الوزير ستانتون الذي أعلن فيما بعد أنه قرأها ولم يجد فيها شيئاً. ثم اختفت. لكن في سنة ١٨٦٧ وجدت في مخلفات الوزير الخاصة ناقصة ١٨ صفحة تسبق مباشرة موعد الأغتيال.

●تُرى هل موت بوث أسدل الستار على التساؤل عن عدد المتآمرين وأسمائهم، ومن هي الأيدي الخفية التي كانت تساعد بوث في جريمته وهربه؟

●هل مع مقتل الأربعة شنقاً اسدل الستار على اغتيال لنكولن؟ لكن أين سورات الهارب الأخير؟

مما لا شك فيه أن الوزير ستانتون كان وراء هربه. فقد أُعلم فيما بعد أنه في كندا فلم يحرك ساكناً ثم عرف أنه في انكلترا فلم يجب السفارة الأميركية في لندن التي برقت اليه بذلك. واخيراً ارسل سفينة بحرية لنقله، من مصر، معتقلاً سنة ١٨٦٦. وبعد أن كانت الضجة الشعبية قد ضعفت. في واشنطن حوكم مرتين: الأولى أدت الى مأزق قانوني. وحين حوكم للمرة الثانية كان قد استفاد من مرور الزمن فسقطت التهمة. وفهم فيما بعد أن التوقيف والمحاكمة تأخرا عمداً. هنا لا أحد يدري من وراء ذلك؟ ولماذا؟

●في سنة ١٨٦٩ وبناء على طلب عائلة بوث نبشت جثته من مدفنها المؤقت لتنقل لمدافن العائلة. وبعد الفحص تقول التقارير أنه تم مقابلة الآثار المتبقية من اسنانه مع الصور والفحوصات الخاصة ببوث عند طبيب اسنانه فوجد أنها مختلفة تماماً. لكن قبول العائلة بالجثة قطع مجال التساؤلات الغامضة.

●وأخيراً روى صديق لأبن لنكولن روبرت أنه في سنة ١٩٢٦ أحرق الإبن أوراقاً خاصة بأبيه، ومما قاله حينها: «هذه الأوراق تحوي دلائل مادية على خيانة عضو كبير في مكتب أبي، والأفضل احراقها».

إذن، من وراء هذا كله؟ من يقف وراء هذ الغموض؟ لا جواب.

وهكذا تنتهي أو تعلق حكاية أكبر الجرائم وأكثرها غموضاً في تاريخ أميركا. ●

مطالعة في تاريخ ابن خلدون

عرض واعداد : فيصل محمد شقير ماجستير في التربية

يعتبر التاريخ من المجالات الفكرية الرئيسية التي اهتم بها العرب بعد ظهور الاسلام. وبشكل خاص في العصر العباسي. وكانت حصيلة هذا الاهتمام مئات الكتب التاريخية التي تناولت شتى المجالات.

ولقد تنوعت صور الكتابة التاريخية عند العرب إلى أقصى الحدود، واشتهر عدد من المؤرخين العرب والمسلمين الذين عملوا في صناعة التاريخ. ونخص بالذكر عبد الرحمن بن خلدون الذي يعرض فيما يلي لأهم الموضوعات التي تضمنها «تاريخه» المعروف بتاريخ ابن خلدون.

يعتبر ابن خلدون من المؤرخين الذي اهتموا بتاريخ العرب والاسلام بشكل عام، وبتاريخ العالم منذ الخليقة.

التعريف بالمؤرخ :

هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ٧٣٢ - ٨٠٨هـ، واسرته عربية يمانية من حضرموت ينتهي نسبها إلى وائل بن جحر وكان جده خالد المعروف بخلدون هو الذي قاد اليمنيين عند فتح الأندلس وقد نزل في مدينة قرمونة واستقر بها ثم غادرها بنوه إلى اشبيلية. ولم تظهر أهمية تلك الأسرة إلا في نهاية القرن الثالث في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي ٢٧٤ - ٣٠٠هـ[1].

مولده ونشأته في تونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة. كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صارم اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية. ولما رحل إلى الأندلس اهتز له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه[2]

وفي سنة ٨٠٣هـ رافق ابن خلدون السلطان الناصر فرج المملوكي إلى دمشق مع سائر القضاة لحرب تيمورلنك. وقد ذكر ابن تغري بردي في كتاب المنهل الصافي اتصال ابن خلدون بتيمورلنك على أبواب دمشق قائلاً: «إلى أن مَلَكَ تيمور دمشق وأحاط بها، نزل اليه المذكور (ابن خلدون) من سور دمشق بحبل، وخالط عساكر تيمور فساروا به إليه فأمر باحضاره فحضر فأعجبه حسن هيئته وجمال صورته وكلمه بعذوبة منطقه ودعاه بكثرة مقالاته باطرائه. فأجلسه

واستدناه، وشكر له سعيه، وحظي عنده، إلى أن أطلقه وزوده، وعاد إلى القاهرة بعد عودة تيمور خزاه الله إلى بلاده»[٣].

اشتهر ابن خلدون بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» المسمى بتاريخ ابن خلدون ومن كتبه «شرح البردة» وكتاب في «الحساب» «ورسالة في المنطق» وله شعر.

تاريخ ابن خلدون

يقع تاريخ ابن خلدون الذي سماه بكتاب [العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر] في سبعة مجلدات. أولها «المقدمة» وهي تعد من أصول علم الاجتماع وقد ترجمت إلى عدة لغات.

ولقد عرف ابن خلدون في مقدمته التاريخ بقوله بأنه [«فن من الفنون الذي تتداوله الأمم والأجيال. وتشد اليه الركائب والرحال. وتسمو إلى معرفته السوقة والاغفال. وتتنافس فيه الملوك والاقيال. وتتساوى في فهمه العلماء والجهال. إذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى. تنمو فيه الأقوال. وتضرب فيها الأمثال. وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال. وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال. وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال. وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق. وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق وجدير بان يعد في علومها وخليق»[٤]].

وكذلك فقد بين ابن خلدون في مقدمته مادة علمه فقال انها [«ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم أو الصنائع بوجوه برهانية. يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامةوتدفع بها الأوهام والشكوك»][٥].

ولقد قسم موضوع علمه إلى ستة فصول هي:

الفصل الأول: في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض.

الفصل الثاني: في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية.

الفصل الثالث: في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية.

الفصل الرابع: في العمران الحضاري والبلدان والأمصار.

الفصل الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه.

الفصل السادس: في العلوم واكتسابها وتعلمها.

ومن خلال الفصل الثاني نلاحظ نوعاً من التحامل من ابن خلدون على العرب. فهم في نظره أمة وحشية، تقوم فتوحهم على النهب والعبث ولا ينتصرون إلا على البسائط السهلة. لا يستطيعون اقتحام الهضاب والجبال. وإذا تغلبوا على أقوام حل بها الخراب لأن طبائعهم منافية للعمران ولأنهم أهل تخريب ونهب. وهم أبعد الناس عن الصنائع.

ولقد رد الكثيرون على آراء ابن خلدون في العرب. ومن أهم تلك الردود ما أورده الأستاذ محمد عبد الله عنان حيث قال: «ولكنا نقول في شأن الفتوحات العربية. إن العرب هم الذين افتتحوا وهاد الشام ومفاوز الأناضول وأرمينية. وتوغلوا فيها وراء فارس. واقتحموا شمال أفريقية حتى المغرب الأقصى ثم اسبانيا وعبروا جبال البيرينيه إلى فرنسا وهذه كلها أقطار وعرة وليست من البسائط السهلة – التي يسهل غزوها – وقد افتتحها العرب جميعاً في أقل من قرن. وفي وابل من الظفر الباهر. ...... وقد ورث البربر بغض العرب منذ بعيد. ونشأ ابن خلدون وترعرع في هذا المجتمع البربري يضطرم بمشاعره وتقاليده وذكرياته. ونشأت فيه أسرته قبل ذلك بمائة عام. ونعمت برعاية الموحدين البربر وتقلبت في نعمهم. فليس غريباً بعد ذلك أن نسمع منه أشد الأحكام وأقساها على العرب»[٦].

ويبدأ القسم التاريخي بعد المقدمة ابتداء من المجلد الثاني. ولقد خصص ابن خلدون أربعة مجلدات – من الثاني حتى الخامس – لدراسة العرب واجيالهم. وأخبار باقي الأمم القديمة مثل النبط والسريان والفرس وبني اسرائيل والروم والقبط واليونان والأتراك والأفرنجة.

وفي المقدمة الأولى للمجلد الثاني ذكر ابن خلدون ما يلي [«اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذ العالم بخلقه وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه وبثهم في نواحيها لتمام حكمته وخالف بين اممهم وأجيالهم اظهاراً لآياته فيتعارفون بالانساب ويختلفون باللغات

والألوان ويتمايزون بالسير والمذاهب والأخلاق ويفترقون بالنحل والأديان والأقاليم والجهات»][7].

ولقد تحدث المؤرخ في الجزء الأول من المجلد الثاني عن العرب في الجاهلية واليهود واليونان والرومان والفرس وتحدث في الجزء الثاني من المجلد نفسه عن ظهور الاسلام وحياة الرسول العربي محمد (ص) وعصر الخلفاء الراشدين.

وتناول ابن خلدون في المجلد الثالث تاريخ الدولة الأموية وتاريخ الدولة العباسية بشيء من التفصيل.. وأشار إلى مبدأ دولة الشيعة بقوله: [«أعلم أن مبدأ هذه الدولة أن أهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون انهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش وفي الصحيح أن العباس قال لعلي وفي وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه أذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الأمر أن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال له علي ان مَنعناها لا يعطيناها الناس بعده وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فاختلفوا عنده في ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب وكان ابن عباس يقول أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم، حتى ذهب كثير من الشيعة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى في مرضه ذلك لعلي»][8].

وبحث المجلد الرابع في تاريخ الفاطميين والقرامطة وتاريخ الأندلس منذ الفتح حتى بداية دولة بني الأحمر، بالإضافة إلى تاريخ بني بويه وبني سبكتكين.

وتوسع ابن خلدون في المجلد الخامس في تاريخ السلاجقة والأتراك والحروب الصليبية مع تاريخ المماليك في مصر حتى أواخر القرن الثامن الهجري، مستنداً في ذلك على كتابة المؤرخين السابقين امثال الوافدي.

وتحدث ابن خلدون عن تاريخ البربر من خلال المجلدين السادس والسابع. ولقد بدأ حديثه في المجلد السادس عن اخبار العرب المستعربة من بقية الدول الاسلامية من العرب بالمغرب. ثم تعرض لتاريخ قبائل البربر مثل قبائل: زناتة ومصمودة والبرانس وصنهاجة من أقدم العصور حتى ايامه. كما أشار ابن خلدون إلى تاريخ المرابطين والموحدين. واختتم ابن خلدون تاريخه بعدة فصول سماها التعريف بابن خلدون.

الهوامش

(١) نور الدين حاطوم وآخرون: المدخل الى التاريخ. مطبعة الانشاء دمشق. ١٩٦٤. ص ٣١٢، ٣١٣.

(٢) خير الدين الزركلي: الاعلام. الجزء الرابع. بيروت ١٩٦٩. ط ٣. ص ١٠٦.

(٣) نور الدين حاطوم: المدخل إلى التاريخ، مصدر سابق، ص ٣١٦، ٣١٧.

(٤) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) المصدر السابق. ص ٣٣.

(٦) نور الدين حاطوم وآخرون: المدخل إلى التاريخ، مصدر سابق. ص ٣١٩، ٣٢٠.

هذا الأشكال: «تحامل ابن خلدون على العرب» يقع فيه كثير من المؤرخين والكتاب العرب المعاصرين. ووجهة النظر هنا التي يقدمها الأستاذ فيصل شقير عن الأستاذ حاطوم تنطلق من سوء فهم لمفهوم ابن خلدون لدور العرب في بناء الدولة. وهنا لا بد من الاشارة إلى أن ابن خلدون يمتدح في عدة أماكن في «المقدمة» القضية العربية التي قامت عليها الفتوح وبنيت الدول. بيد أنه يدين الغزوة الهلالية العربية في القرن الرابع عشر على شمالي أفريقيا والتي كانت جزءاً من الاضطرابات التي اعاقت عملية توحيد البلاد في دولة واحدة. ومن هنا الالتباس الحاصل في فهم موقف ابن خلدون من دور العرب. ثمة دمج بين الموقف من الغزوة الهلالية والموقف من العرب عامة. وهذا الدمج يحرص عليه الكتاب الكولونياليون في الجزائر والمغرب الذين وضعوا نظرية الصراع الدائم بين البربر والعرب. الحضر والبدو. راجع وجهة نظر علمية حول هذا الموضوع في ايف لاكوست: العلامة ابن خلدون. ترجمة ميشال سليمان. ص ٨٠ – ٩٨. دار ابن خلدون – ١٩٧٤ (هيئة التحرير).

(٧) المجلد الثاني من تاريخ ابن خلدون. ص ٢.

(٨) المجلد الثالث من تاريخ ابن خلدون. ص ١٧٠، ١٧١.

كوبرتان يحيي الألعاب الأولمبية

كلود باستور

ترجمة: مهى الحسيني

ولادة الفكرة:

ولد بيير كوبرتان عام ١٨٦٩ .. وباحيائه الألعاب الاولمبية اعاد إلى العالم إحدى الروائع التي شاعت في القديم. في فترة طفولته. تحمس بيار لقراءة كتاب مترجم عن اللغة الانكليزية. بعنوان «السنوات الدراسية لتوم براون». ويتحدث المؤلف في كتابه عن السنوات التي قضاها في معهد روغبي. المدينة الصغيرة في إحدى ضواحي لندن. ومما يقوله المؤلف معجباً باستاذ الرياضة توماس ارنولد: إنّ توماس تفرّد دون غيره من المعلمين بعلاقة حارّة مع تلاميذه. اذ كان يسود بين هؤلاء جو من الالفة والتفاهم العميقين. وتؤكد الصور المتناثرة على صفحات الكتاب أن الألعاب التي كان يؤديها التلامذة كانت العاباً جماعية ...».

ويبدو ان بيير الصغير قد أخذ تماماً بما قرأه في الكتاب. فقد كان في ذلك الحين كثير التأفف من اجواء المدارس الباريسية (حيث كان يتعلم) اذ كانت الألعاب الرياضية والتمارين تقتصر على لعبة رمي الكرة إلى الحائط ولعبة الاوتاد (البوليغ). والبلبل...

على أنّ هذه الالعاب لم تكن لتشبع شغفه الحاد بالرياضة فراح يحلم بتلك المدرسة حيث شاهد صور التلامذة وهم يلعبون بحماس مستخدمين كرة بيضوية (واتخذت اللعبة هذه فيما بعد اسم المدينة حيث نشأت: الروغبي).



البارون بيير دو كوبرتان عام ١٩٠٥.

والآن وقد عرف بيير أن شخصية توماس ارنولد ليست خيالية. إذ اثرت تأثيراً كبيراً في التربية الانكليزية خلال أربع عشرة سنة من الممارسة. وهذا ما جعل بيير يتخذه مثالاً أعلى. فطفق يناضل منذ عام ١٨٨٧ مؤكداً إنّ على الشبيبة تقوية النفس عن طريق تدريب الجسد وهكذا في الثالث والعشرين من آب (اغسطس) أعلن بيير في مجلة (الفرنسي) تأسيس «رابطة للتربية البدنية» وقال: «إنّ تلاميذنا لا يلعبون لأننا لم نخلق لهم الألعاب الشيقة».

وفي الفترة التي كان بيير كوبرتان يناضل فيها من أجل قناعاته في ميدان الرياضة. كانت «الفكرة الرياضية» تدور في الأجواء. الجميع يريد ان يكون رجلاً رياضياً...

لقد كتب بيير: «منذ القرون الوسطى تسود الأفكار التي تحتقر الجسد. ويعتبر ذلك خطأ فادحاً. وفي النهاية. لا ينقسم الانسان إلى قسمين: النفس والجسد. انما إلى ثلاثة اقسام: الجسد. والعقل. والطبع. لقد عرف الاقدمون ذلك. انما نسيه آباؤنا أما نحن فنتعلمُ ذلك بصعوبة». وقد ذهب بيير أبعد من ذلك فقال: «إنّ كتاب أبيكتات. هو كتاب رياضة. وأفكار مارك أوريل هي أفكار رجل رياضي. مصارع».

وهكذا ومن خلال بعث هذه الأفكار الرياضية القديمة ظهرت «الفكرة الاولمبية» التي لم يتجرأ كوبرتان على التعبير عنها صراحة. مخافة أن يُوصم بالجنون.

وحدث أنه في سنة ١٨٥٢. قام بعض علماء الآثار الالمان بترميم اطلال «اولمبيا». المدينة اليونانية التي كانت مسرحاً للالعاب القديمة. وقد سحر بيير بهذه الآثار.

وفي سنة ١٨٩٢. أعلن كوبرتان في السوربون عن اعادة تنظيم الألعاب الاولمبية. وقد قوبلت الفكرة هذه بالاستحسان لدى الطلاب بالرغم من كونها لم تكن واضحة جيداً لديهم. أما الكبار فقد سخروا منه.

ما هي الاولمبياد؟؟.

يعتبر عام ١٨٩٤ عاماً حافلاً بالنسبة للمجدّد كوبرتان: أولاً. في ٢٢ حزيران (يونيو) انعقد المؤتمر من أجل اعادة تنظيم الألعاب الاولمبية. فبعد اتصالات



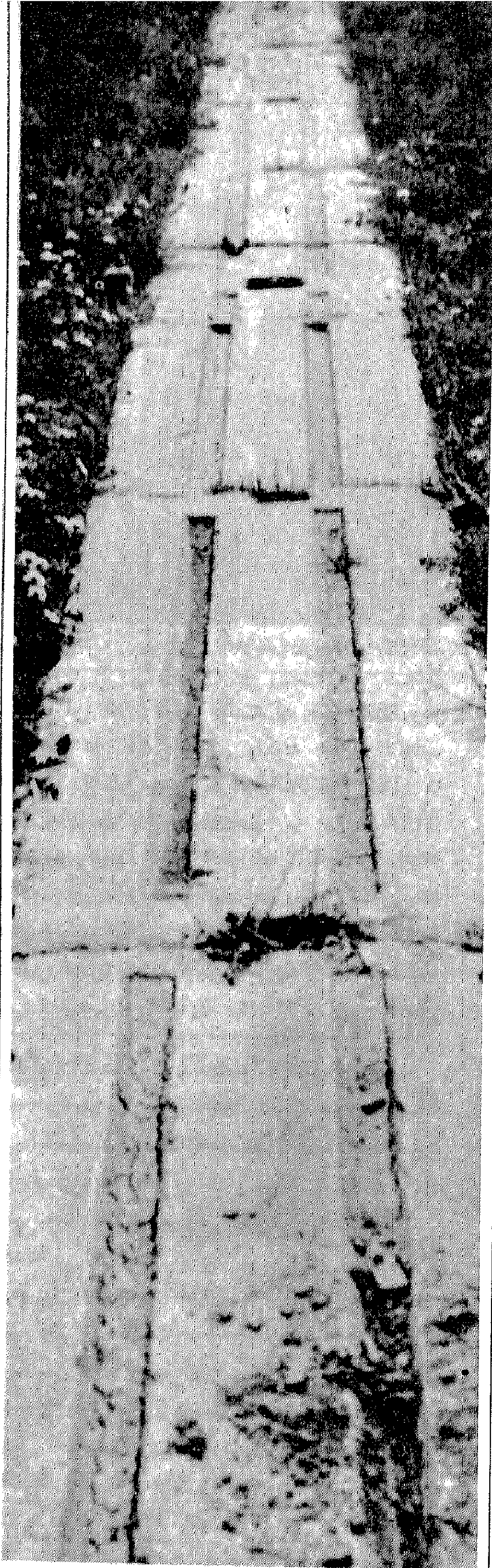
كان الأبطال الأولمبيون ينزلون إلى الملعب بلا ثياب.

دولية عديدة. نجح في الحصول على تسجيل ١٤ دولة للاشتراك في الالعاب. وكان هذا الحدث بمثابة هدية قدمها لزوجته ابتهاجاً بزواجها...

وعندما أعلن كوبرتان للعالم احياء الاولمبياد. كان قد انقضى على توقف هذه الالعاب ١٥٠٠ سنة. بعد ان منعها الامبراطور المسيحي تيودوسيوس عام ٣٩٤م. لأن الكنيسة اعتبرت هذه الألعاب مظهراً وثنياً. وتقول الميتولوجيا ان هرقل أسس الالعاب الاولمبية. تكريماً لجوبتير حوالي العام ٢٦٣٥ قبل الميلاد. وكانت تقام هذه الالعاب في احدى مدن «الأليد» وهي «أولمبيا» الواقعة على الضفة الشمالية «لألفيه».

لكن الاولمبياد الأولى المعروفة حصلت في العام ٧٧٦ قبل الميلاد. وخلال ألف ومائتي عام. استمرت الالعاب المقدسة دون انقطاع. فكانت تجري مرّة كل خمس سنوات وتدوم خمسة أيام.

وفي حين كانت العاب المصارعة. والملاكمة. والمباراة الخماسية القديمة. والركض. تجرى على المدرج. كان سباق الخيل والعربات يتم على ميدان الخيل الفسيح. وبين الجموع الغفيرة التي كانت تكتظ بها المدارج. لم نكن نجد أي. أثر للنساء اللواتي حظر عليهنّ تماماً حضور الألعاب الاولمبية. ومن تتجرأ منهنّ وتنفذ داخل السور. كان مصيرها الهلاك: إذ انهم كانوا يلقون بها من صخرة شاهقة... على انهم سمحوا لبعض الكاهنات بالحضور!.


خط الانطلاق في الملعب الأولمي في اليونان القديمة.

كان اليونانيون يتهيأون قبل بدء الاحتفالات بالألعاب بعشرة أشهر. وعلى رأسهم الحكام الذين كان يبلغ عددهم ثمانية: كان هؤلاء يدرسون القوانين بشكل دقيق، ويشرفون على تدريب الرياضيين. وبالتالي، كان النظام يعم بشكل تام، ولم يكتفِ حكام المباريات بمراقبة المشتركين، بل قاموا بمبارزتهم بأنفسهم لاختبار مدى قدرتهم وكفاءتهم.

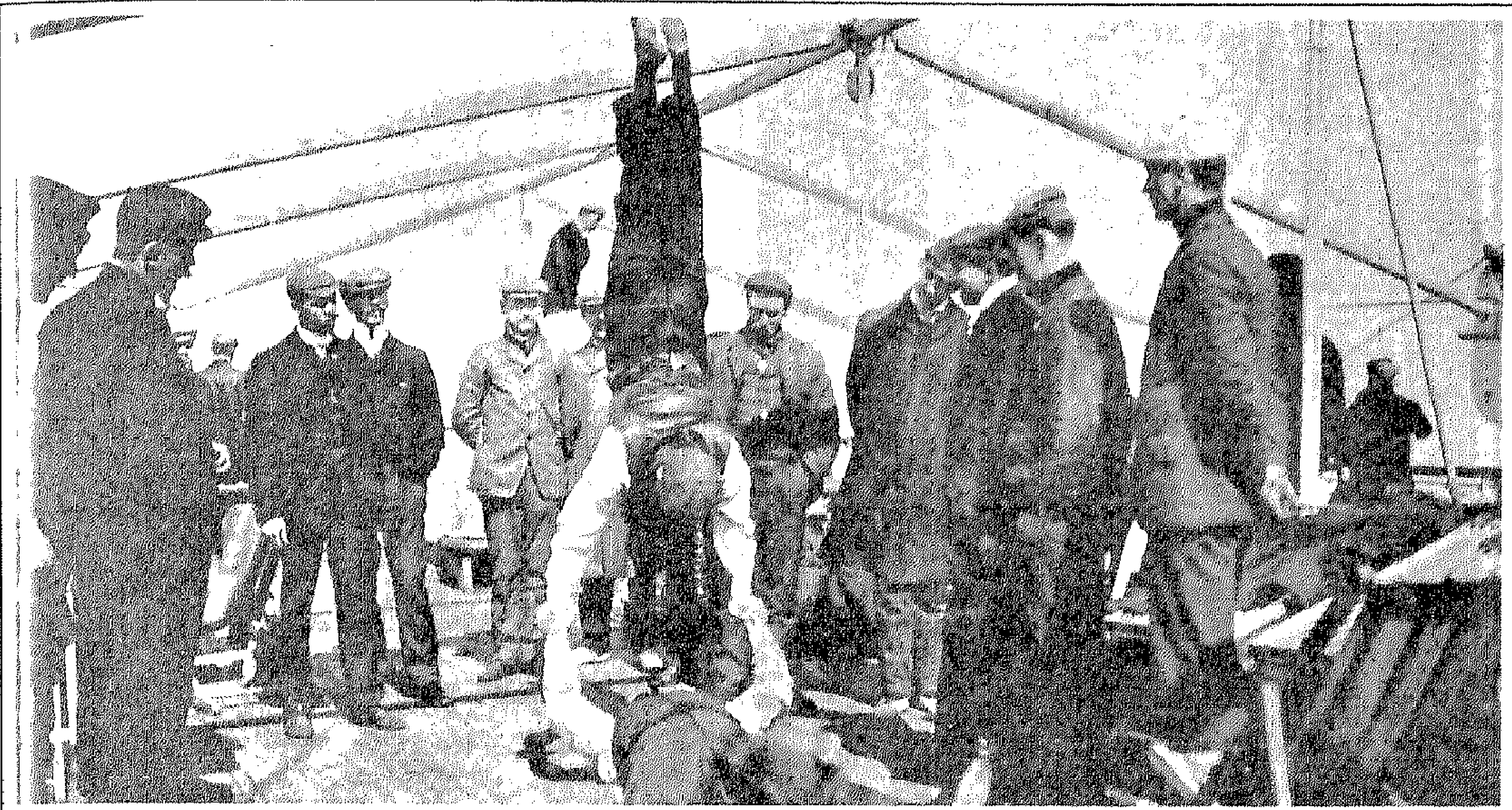
وقبل ستة أشهر من بدء الألعاب، كان الرياضيون يخضعون لتغذية بسيطة ولتمرين مكثف. وكانوا يلبسون الثياب الخشنة. وفي يوم الاحتفال الكبير، كان الأبطال يخلعون ثيابهم ويحتذون المداسات الخاصة. كما كانوا يدهنون اجسامهم بالزيوت، وأخيراً كانوا يظهرون على الملعب عراة تماماً، فيتقدمون نحو تمثال الاله زوس لتأدية القسم. ومن ثم يبدأ اللعب، في الصباح الركض وسباق الخيل والعربات، أمّا فترة بعد الظهر، فقد كانت مخصصة للمباريات الأخرى.

ودون شك كانت العاب الفروسية، من أكثر الألعاب جماهيرية. كما كانت المصارعة، على أنواعها، محبّبة إلى الجمهور. «ولكنّ الرياضة الأكثر عنفاً كانت الملاكمة، خاصة عندما كان يستعمل المتبارون الكف المحدّد (كف جلدي محدّد كان المصارعون القدامى يستعملونه في مبارزتهم). وبالطبع، كان القانون يحظّر قتل الخصم تحت طائلة الحرمان من الجائزة. ورغم العنف الذي تميزت به المبارزات، فانه نادراً ما كان ينتج عنها قتلى. ولكن عدداً كبيراً من الرياضيين كان ينهار في المساء أو في الأيام التالية. وكانوا جميعاً يخرجون من الحلبة مشوهين، ممزقي الآذان، مسحوقي الأنوف، فاقدين اسنانهم.

وكان شاعر ساخر يقول لأحد الأبطال: كلابك لن تتعرف عليك. وإذا نظرت إلى المرآة، فستقول: لا ليس هذا ستراتوفون.

أما المصارعة اليونانية القديمة التي هي مزيج من المصارعة والملاكمة، فكانت ضحاياها أكثر ضآلة من غيرها، لأنها كانت تمارس باستمرار.

أما اللعبة الخماسية فكانت لعبة النخبة وهي مخصصة للذين ربحوا في الألعاب السابقة. وقد عرفنا، عن طريق الشاعر باندار، أسماء بعض هؤلاء الفائزين. اذ انه ترك أربع قصائد غنائية مخصصة للألعاب القديمة، وفي الاحتفالات التي كانت تقام في عيد ابولون كان يجلس على عرش فولاذي، وعلى رأسه



الرياضيان ماسبولي ولالو يتمرنان استعداداً للألعاب الأولمبية عام ١٩٠٦.

اكليل من الغار. وقد اقامت له طيبة تمثالاً وهو لا يزال على قيد الحياة. ولكونه شاعر الألعاب الرسمي، كانت مهمته تقريظ الفائزين. وغالباً ما اتصف تقريظه بالمبالغة الشديدة.

وفي اليوم الذي تختتم فيه الالعاب، يتجه الفائزون إلى المسرح، وكل واحد منهم يحمل بيده سعفة ويرتدي الملابس االفخمة. فيكلل الحكام رأسه بأكليل الزيتون؛ وأخيراً تنتهي الاحتفالات بمهرجانات معربدة.

تطبيق الفكرة في العصر الحديث:

لقد أراد كوبرتان احياء تلك الاوقات الماضية. وبالتالي كان من الافضل اختيار اليونان لذلك. وهكذا تصبح اثينا المدينة الأولى التي تقام فيها الالعاب الاولمبية الحديثة.

وفي فترة ما بين ٥ إلى ١٠ ايار (مايو) ١٨٩٦ افتتح باب الاستكتاب أمام الجميع لأعادة بناء ملعب بيريكليس الذي هدمه الاتراك. وقد عاشت اثينا قبل عدة أيام من بدء الالعاب في الاجواء الاولمبية. فقد زينت جميع البيوت بالازهار والاعلام. وفي كل ناحية، في الساحات، وفي الطرقات، اختلط المتفرجون من جميع البلدان.

نهار الاثنين في ٦ ايار (مايو) ١٨٩٦، الساعة الثالثة بعد الظهر، اجتاحت جماهير غفيرة تعد حوالي ستين إلى ثمانين ألف شخص الاربعة والستين صفاً من المدرج. وقد كان بين الحضور العائلة المالكة وسفراء الدول الاجنبية، وبعد النشيد الوطني افتتح الالعاب الاولمبية ملك اليونان جورج الأول بقوله: «انني أعلن افتتاح أولى ألعاب الالمبياد في عصرنا الحديث».

وكانت أول لعبة في هذه الألعاب، سباق الماراتون، (وهو سباق طويل المسافة، ٤٢،٥ كلم، ويسمى بإسم مدينة يونانية) لقد توخى بيير دو كوبرتان من خلال هذه اللعبة، التذكير ببطولة الجندي فيليبيدس الذي قضى بعد أن أعلن إلى مواطنيه النصر على الفرس في العام ٤٩٠ قبل الميلاد. أما المسافة التي على اللاعبين اجتيازها فهي نفسها التي قطعها فيليبيدس (٤٢،٥ كلم). وقد احتشدت الجماهير الغفيرة على جانبيّ الطريق، تولى حمايتها جيش من الجنود المشاة والفرسان.. وكان الرابح في سباق الماراتون الأول هذا، بطل يوناني؛ فقد قطع المسافة خلال ساعتين و ٥٥ دقيقة و ٢٠ ثانية. انه الراعي سبيريدون لويس الذي يرتدي عادة التنورة اليونانية الشعبية، وهو «بعيد كل البعد عن ممارسة التمارين الرياضية» لقد تهيأ لهذا السباق عن طريق الصوم والصلاة فقط. فأثبت هذا التخصير النفي الذي اعتمده الراعي-البطل، أفكار كوبرتان، إذ يقول: «إنّ القوى النفسية تلعب في مجال الرياضة دوراً فعالاً أكثر مما نظن عادة».

وفي مساء آخر يوم من أيام الاولمبياد، اشتعلت

إذ ان الدولة الفرنسية تجاهلت ما يحدث بهذا الخصوص. فقد تحمّل حتى عام ١٩٢٥ شخصياً المهام الادارية والمالية المتعلقة بالاولمبياد.

ولم يلبث أن أتى الوقت الذي ارهق فيه بيير من العمل المتواصل الذي يتطلبه اتساع مشروعه. كما مني أيضاً ببعض الخيبة. اذ أنّ روحاً تجارية جشعة تسرّبت نوعاً ما إلى تنظيم الالعاب. اذن، هل ستتشوّه فيما بعد الفكرة الرياضية الصافية التي نادى بها بيير دوكربرتان؟.

في سنة ١٩٢٥، بعد أن تعب وخاب ظنه، قدّم بيير استقالته وكتب وصيته الشهيرة، حيث نبّه إلى ضرورة مقاومة الاحتراف الرياضي بشدّة. كما قال: «انه من الضروري ربط الرياضة بالحركة الاجتماعية.. يجب أن يتم أيضاً اختيار الرياضيين من بين عامة الشعب. لأن الشعب يتصرف دائماً بصدق ولا يهتم إلى مؤامرات الاحتراف».

في سنة ١٩٢٤، فرح بيير لافتتاح الالعاب الاولمبية الشتوية في شامونيكس. وقد اشترك فيها سبع عشرة دولة ومائتان واربعة وتسعون متبارياً. (ويُذكر انه لم تكن هناك أية فتاة مرشحة للمباراة). وقد اعيدت اقامة هذه الالعاب ثلاث مرات قبل وفاة بيير: سنة ١٩٢٨ في سان موريتز، سنة ١٩٣٢ في لاك بلاسيد، وفي ١٩٣٦ في غارميش–بارتنكيرشن.

انصرف كوبرتان منذ سنة ١٩١٣ إلى التاريخ. فقد انهى سنة ١٩٢٦ كتابة «تاريخ العالم» في أربعة اجزاء. وقد منحه اليونانيون الاكليل الذهبي... وأخيراً توفي بيير في ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ في جنيف.

عن مجلة: Miroir de l'histoire



أول ألعاب أولمبية شتوية جرت في شامونيكس سنة ١٩٢٤.

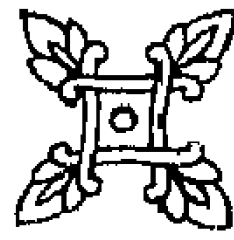
كل اثنينا ابتهاجاً. فراحت الالعاب النارية تسطع وتضيء السماء. كما امتدّت الولائم الشهية واخيراً قدّم الجميع الشكر للهيئات الرسمية.

ومنذ ذلك التاريخ، تقام الالعاب الاولمبية مرّة واحدة كل أربع سنوات باستثناء أيام الحروب.

وفي كل مرّة تجرى في مدينة جديدة.

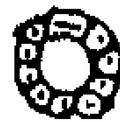
وهكذا، يكون كوبرتان، ببعثه للاولمبياد من جديد قد حقّق انتصاراً بيّناً، انما كان لا يزال في البداية ينقصه موافقة الكنيسة. لكنه استطاع اخيراً الحصول على موافقة البابا بيوس العاشر على «هذا التجديد للمظاهر الوثنية».

وفي سنة ١٩٠٦، وضع بيير القسم الرسمي الذي يؤديه الرياضيون. وفي سنة ١٩١٣ أوجد العلم الاولمبي. والمهم، ان كوبرتان قاد هذا النضال الطويل بمفرده.



● يوجد في قلب العالم الغربي صراع بلا أمل: انه صراع بين الإنسان وما خلقه، صراع بين المفكر والفكرة، صراع بين اوروبا وحضارتها.

مالرو



● ما أتعس البلد الذي يحتاج الى أبطال.

برتولت بريشت

قبل ٢٥ سنة

أيلول سبتمبر ١٩٥٤

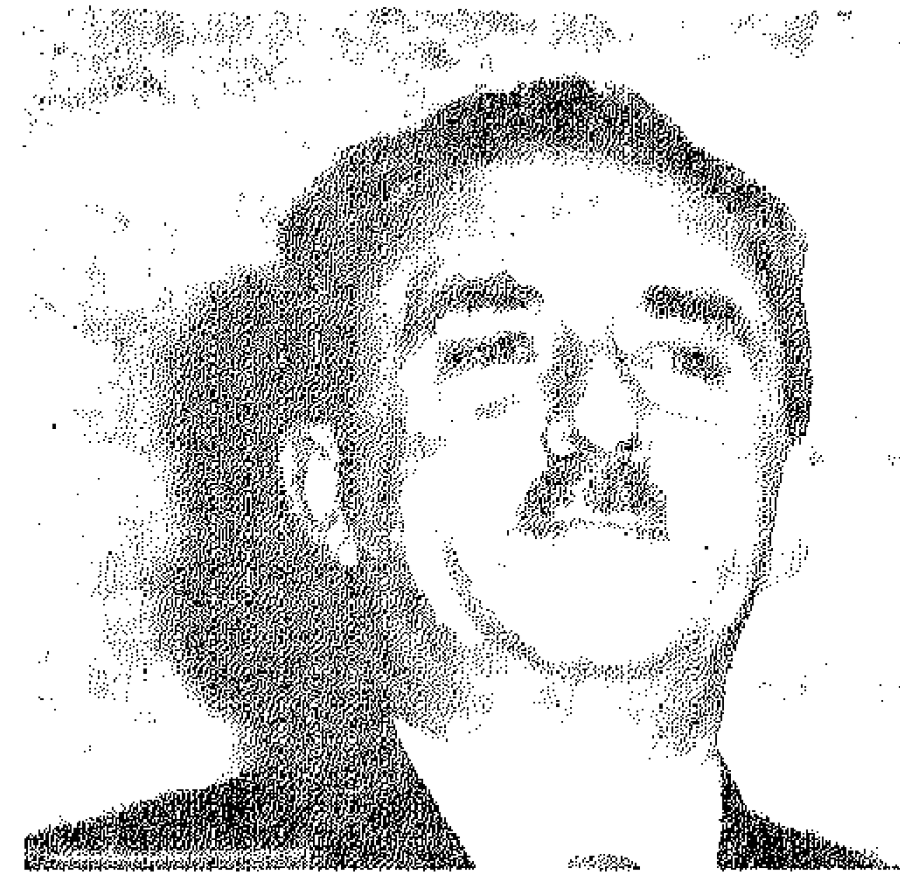
ايمان نويهض

١ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٤ .

● أعلن رسمياً عن تغييرات حكومية في مصر تهدف إلى ادخال اثنين من أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى الحكومة : اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة والبكباشي أنور السادات . كما قبلت استقالة الدكتور محمود الشريف وزير المالية والدكتور عوض محمد وزير المعارف .

● محادثات اميركية - مصرية في القاهرة حول المساعدات الاقتصادية الاميركية للمشاريع الكبرى في مصر .

● **رئيس الوزراء الاسرائيلي شاريت يعلن في خطاب امام الكنيست استعداده لعقد الصلح مع الدول العربية.**



موشى شاريت .

● **اشتباك بين القوات الفرنسية والثوار التونسيين أدى إلى مقتل ضابط وأربعة مظليين فرنسيين مع عدة اصابات بين الثوار.**

٢ أيلول .

● وزير الارشاد القومي في مصر صلاح سالم يصل إلى عمان في زيارة لمدة ٥ أيام.

● وصول الأمير عبد الاله ، ولي العهد العراقي إلى تركيا بدعوة من رئيس وزرائها عدنان مندريس.

● أعلن رسمياً ان الحكومة الفرنسية قد رفعت الحظر المرفوع على حزب الدستور الجديد منذ سنة ١٩٣٨ .

٣ أيلول

● عودة رئيس الوزراء اللبناني عبد الله اليافي إلى بيروت بعد زيارة للعراق استغرقت خمسة أيام ووصول وزير الخارجية الاردني جمال طوقان بشكل مفاجئ لدراسة نتائج مباحثات اليافي هناك .

٤ أيلول .

● اتفاق اربعة احزاب سياسية (الحزب السوري القومي - الحزب الوطني - حزب الشعب - الحزب التعاوني الاشتراكي) في سوريا على خوض الانتخابات النيابية مع اتحاد النقابات ضمن وحدة وطنية بزعامة الرئيس السابق شكري القوتلي .

٥ أيلول .

● في دفاع عن اتفاقية السويس رئيس الوزراء المصري جمال عبد الناصر يهاجم تنظيم الاخوان المسلمين وزعيمه حسن الهضيبي الذي أعلن معارضته للاتفاقية .

● الاتفاق على السياسة الخارجية والتعاون العسكري بين الدول العربية .

● الملك سعود ، ملك السعودية العربية ، يقدم ٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني للنازحين الفلسطينيين في قطاع غزة لشراء ثياب الشتاء .

٦ أيلول .

● في القاهرة وقعت كل من شركة حقول النفط الانكليزية المصرية وشركة سوكوني فاكووم للنفط اتفاقاً لاستثمار حقول النفط لمدة ٣٠ سنة في رأس ماترما في شبه جزيرة سيناء .

٨ أيلول .

● رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون يقبل استقالة رئيس وزرائه عبد الله اليافي .



كميل شمعون .

● في العراق أعلن نجاح ١١١ مرشحاً بالتزكية ويتنافس ٤٣ مرشحاً على ٢٤ مقعداً وذلك في الانتخابات النيابية المزعم اجراؤها في ١٢ أيلول.

٩ أيلول.

● اتفاق ليبي-اميركي يخول الولايات المتحدة الاميركية حق اقامة واستعمال القواعد الجوية في ليبيا مقابل خمسة ملايين دولار هذا العام ومليونيين دولار في العام المقبل ولمدة عشرين عاماً.

● اعلن في مصر عن اعطاء اجازة مفتوحة للصاغ صلاح سالم وتسليم مهامه الوزارية لحسين الشافعي.

١٠ أيلول.

● بعد لقاء طويل بين عبد الناصر وصلاح سالم أعلن عن قطع اجازة الاخير وعودته إلى مهماته العادية.

١١ أيلول.

● الرئيس اللبناني كميل شمعون يرفض اعتذار عبد الله اليافي الرئيس المكلف بتشكيل الحكومة اللبنانية الجديدة.

١٢ أيلول.

● اجراء الانتخابات البرلمانية في العراق.

١٣ أيلول.

● صدور قرار وزاري مصري بوجوب توحيد خطب الجمعة في كل مساجد مصر باشراف وزارة الاوقاف.

١٤ أيلول.

● بعد فشل كل محاولات الائتلاف في سوريا، الاحزاب السياسية تقرر الاشتراك منفردة في المعركة الانتخابية.

● نوري السعيد يعلن في لبنان عن موافقته على نقل مصفاة حيفا إلى الزهراني بدلاً من بانياس.

١٥ أيلول.

● وصول نوري السعيد، رئيس الوزراء العراقي، إلى مصر في طريقه إلى لندن بعد محادثات مع كميل شمعون الرئيس اللبناني وعبد الله اليافي رئيس الوزراء المستقيل.

● في لبنان اعلن الرئيس اللبناني كميل شمعون عن تكليف سامي الصلح مهمة تشكيل الحكومة الجديدة وفي النهار نفسه أعلن الأخير عن تشكيل الحكومة كاملة.

١٦ أيلول.

● بيان مشترك عراقي-مصري يعلن عن اتفاق الطرفين حول عدة خطوات لصالح العرب بينما الانباء تشير إلى اختلاف في وجهات النظر حول قبول المساعدات العسكرية من الغرب حيث رفض عبد الناصر استقبال بعثة عسكرية اميركية للاشراف على هذه المساعدات.

١٧ أيلول.

● ممثلو الدول العربية الدبلوماسيون في لندن يطالبون بالضغط على اسرائيل ومساعدة العرب عسكرياً.

١٩ أيلول.

● سعيد الغزي، رئيس الوزراء السوري، يصل القاهرة لاجراء مباحثات مع نظيره المصري جمال عبد الناصر حول النشاط المعادي للحكومة المصرية من قبل تنظيم الاخوان المسلمين الذي يعتمد دمشق مركزاً له.

٢٤ أيلول.

● في أول انتخابات نيابية منذ ١٩٤٨ في سوريا نال، المستقلون ٤٥ مقعداً، العشائر ٩، الوطني ٢٦، الشعب ٢٠، البعث ١٢، القومي ٢، الشيوعي ٢، والتعاوني ١.

٢٥ أيلول.

● البيت الأبيض الاميركي يرفع علاقاته الدبلوماسية مع ليبيا إلى مستوى سفارة.

٢٨ أيلول

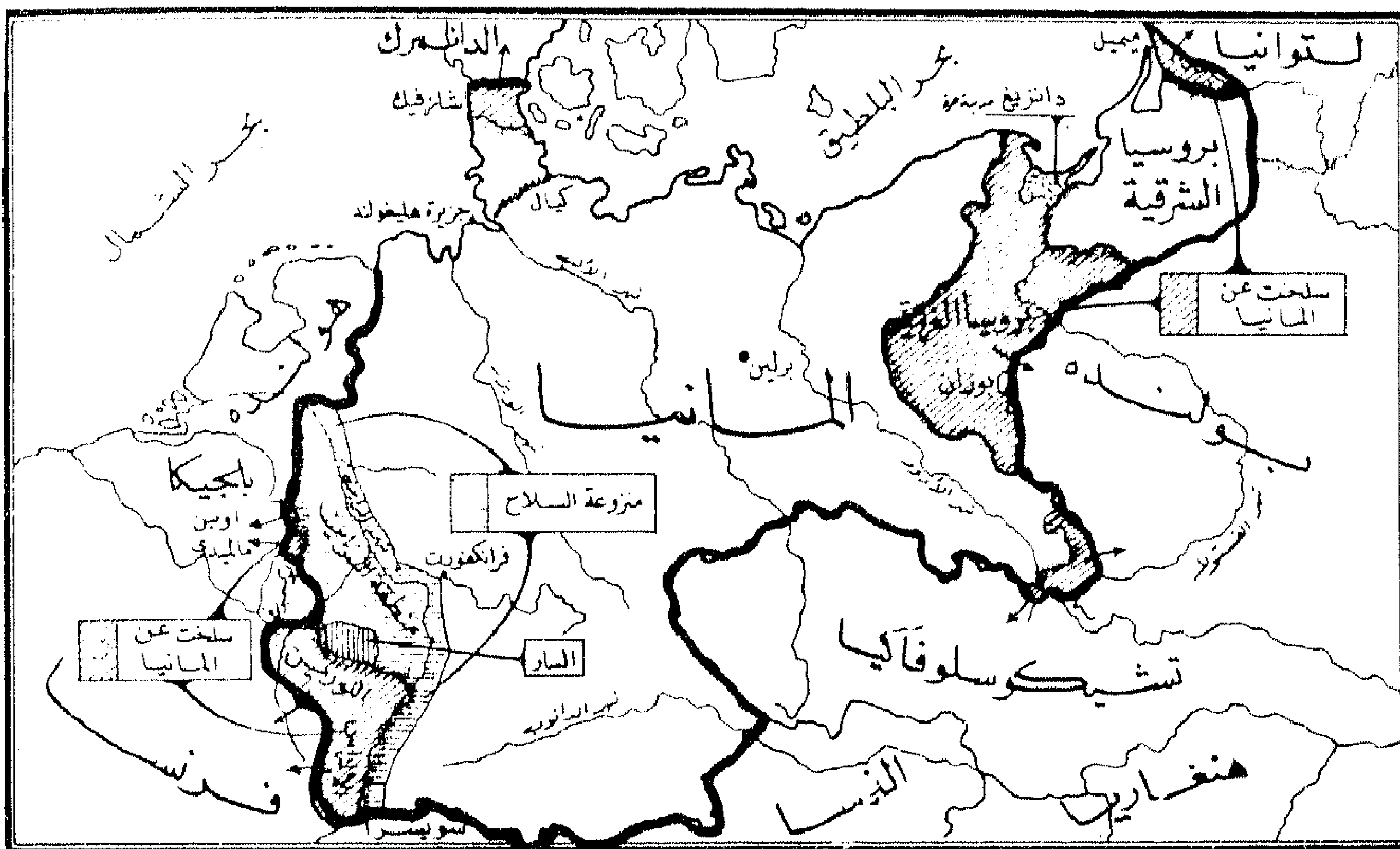
● برغم من محادثات الحكم الذاتي السلطات الفرنسية في تونس تعلن عن منع التجول في بعض المناطق التي ينشط فيها الثوار التونسيون.

٣٠ أيلول.

● صلاح سالم يزور السودان.

معاهدة فرساي ١٩١٩

سعيد كريدية



خارطة المانيا سنة ١٩١٩ وتظهر عليها المناطق التي سلخت عنها وفقاً لبنود معاهدة فرساي

● في عام ١٩١٨ انتهت الحرب العالمية الأولى بين الحلفاء والدول الوسطى وأعلنت الهدنة. وفي ١٨ كانون الثاني عام ١٩١٩ عقدت اجتماعات مؤتمر الصلح في باريس وانتهت في ١١ كانون الثاني عام ١٩٢٠. خلال هذا المؤتمر عقدت معاهدة فرساي بين المانيا من جهة والحلفاء من جهة أخرى في قاعة المرايا بقصر فرساي في ضواحي باريس وهي القاعة نفسها التي كان الالمان قد احتفلوا فيها باعلان امبراطوريتهم سنة ١٨٧١ أثر انتصارهم على فرنسا. لذلك سميت هذه المعاهدة بمعاهدة فرساي.

تتألف هذه المعاهدة من شقين، الأول انشاء عصبة الأمم والثاني الصلح مع المانيا. سنتناول في هذا المقال الشق الثاني من المعاهدة ويتضمن شروطاً اقليمية وشروطاً مالية واقتصادية، وشروطاً عسكرية.

الشروط الاقليمية:

أ في الغرب: سُلخت منطقتا الالزاس واللورين من المانيا واعطيتا لفرنسا.

ب: أعطيت منطقتا ماليدي Malme'dy وأوبن (Eupen) إلى بلجيكا.

ج: وضعت منطقة السار (Sear) الصناعية تحت ادارة عصبة الأمم، لمدة خمسة عشر عاماً. يجري في نهايتها استفتاء شعبي يقرر فيه سكانها مصيرهم السياسي.

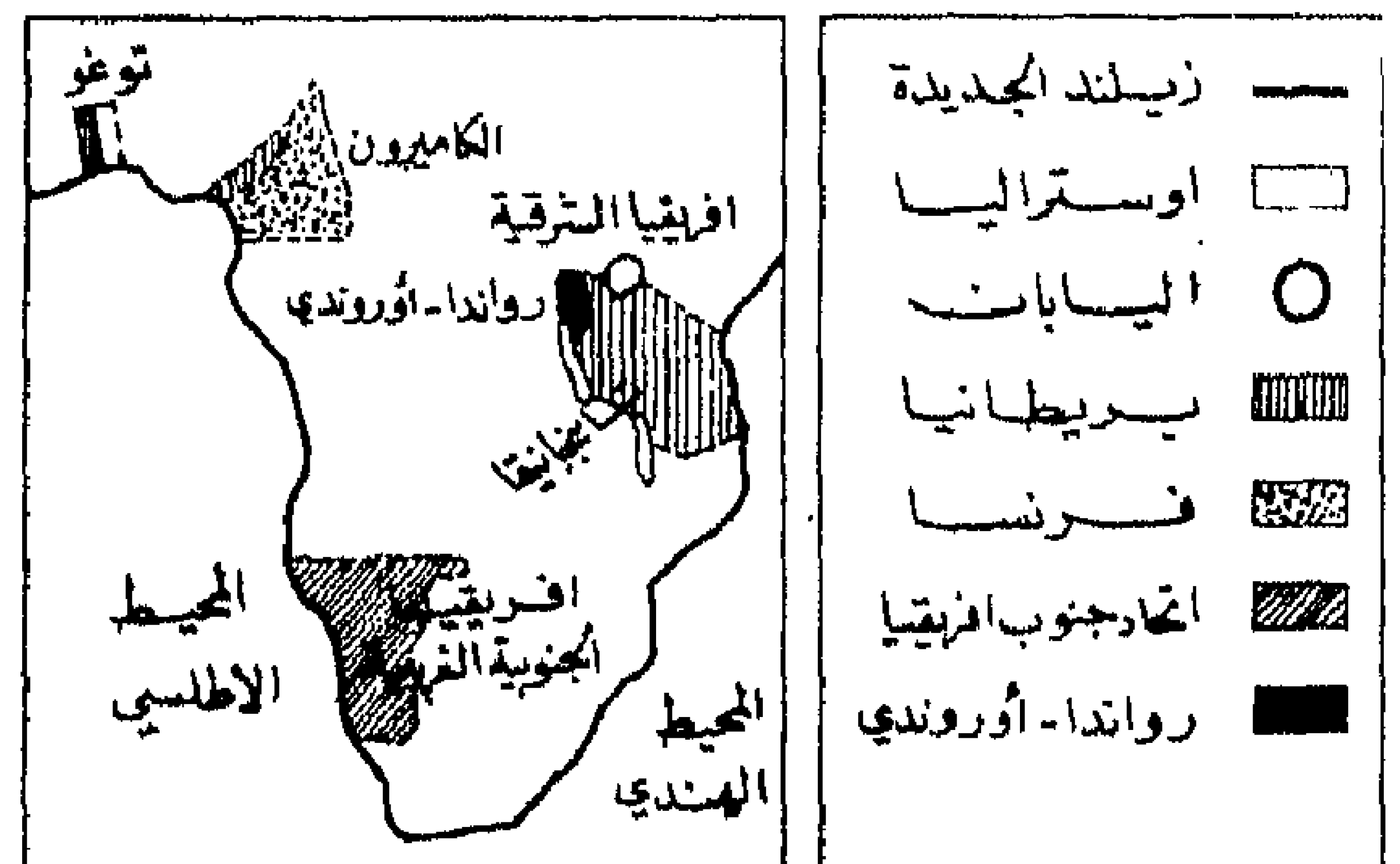
ثانياً في الشمال: سلخ القسم الشمالي من مقاطعة شلزفيك وأعطي إلى الدانمرك.

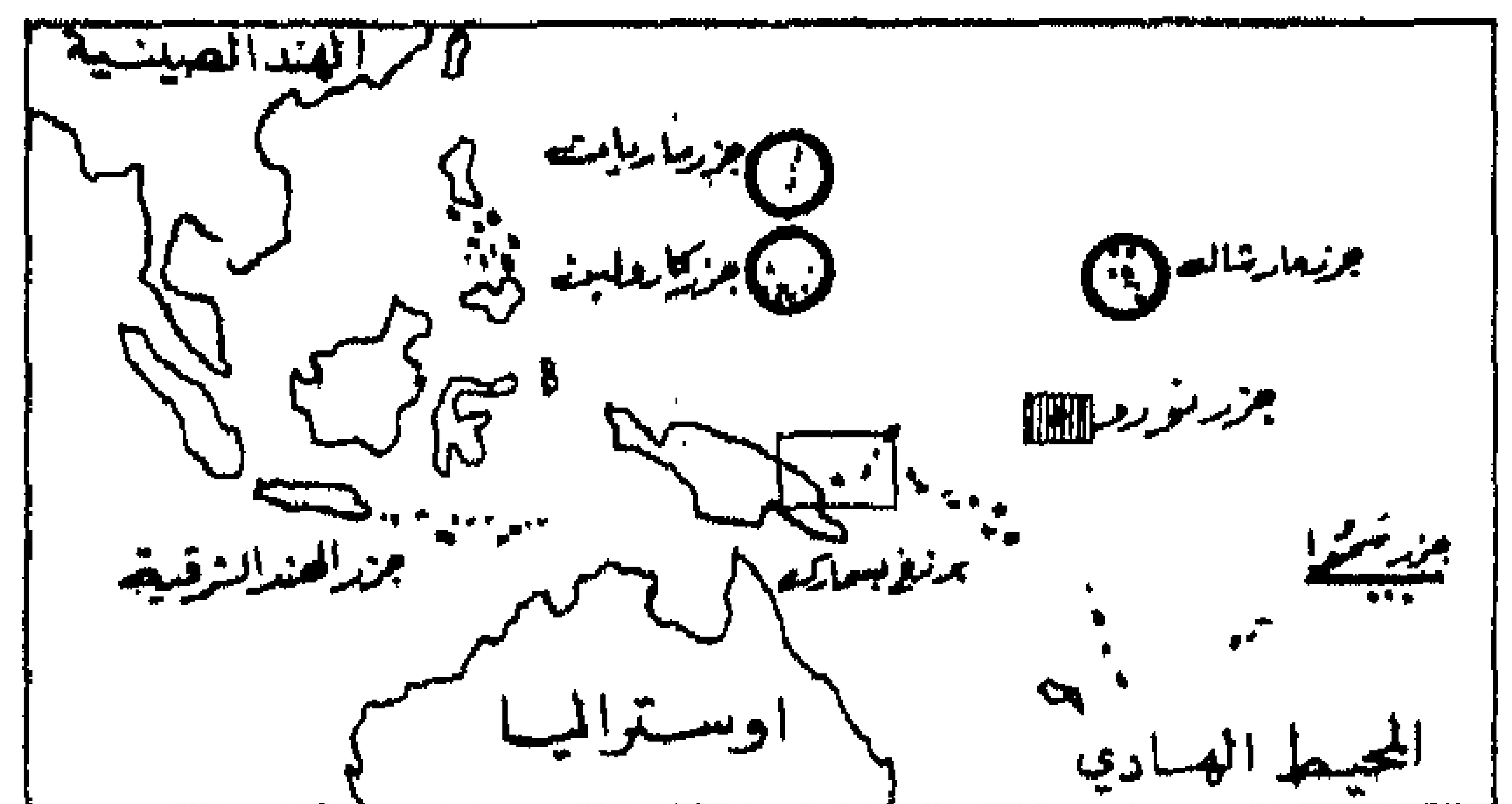
ثالثاً في الشرق: فصلت عن المانيا مناطق واسعة هي بروسيا الغربية وبوزان وقسم من سيليزيا وضمت إلى الدولة البولندية الجديدة كما أعطي قسم من سيليزيا أيضاً إلى تشيكوسلوفاكيا. وسلخت منطقة ميمل (Memel) عن المانيا وضمت إلى لتوانيا الدولة الحديثة وفصلت عنها منطقة دانزغ (Danzig) ومنحت نظاماً خاصاً تحت اشراف عصبة الأمم.

أما في الجنوب فلم يطرأ أي تعديل على الحدود نظراً لكون سويسرا محايدة والنمسا حليفة لألمانيا خلال الحرب.

كما جردت معاهدة فرساي المانيا من جميع مستعمراتها في العالم فأفريقيا الجنوبية الغربية التي تسمى اليوم ناميبيا، وضعت تحت انتداب اتحاد جنوب افريقيا. وتقاسمت فرنسا وبريطانيا التوغو والكمرون، ووضعت المستعمرات الألمانية الواقعة جنوبي خط الاستواء في المحيط الهادئ تحت الانتداب الاسترالي والنيوزيلندي وانتدبت اليابان المستعمرات الالمانية شمالي ذلك الخط.

كما قضت معاهدة فرساي بتدويل الممرات الرئيسية في المانيا وأهمها نهر الراين ونهر الالب ونهر الدانوب وقنال كيال.





المستعمرات الألمانية التي تقاسمها الحلفاء سنة ١٩١٩

الشروط العسكرية:

فرضت معاهدة فرساي على المانيا الغاء نظام التجنيد الاجباري وتخفيض عدد قواتها المسلحة إلى مئة الف جندي وضابط وحددت عدد قطع الاسطول بستٍ وثلاثين قطعة.

وحرم على المانيا صنع الأسلحة الثقيلة واقتناؤها كالغواصات والطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة ومنعت من انتاج الأسلحة الكيماوية كالغازات السامة وأجبرت على تصفية قاعدتها البحرية الكبيرة في جزيرة هليغولند (Heligoland) في بحر الشمال. كما نصت المعاهدة على اخضاع منطقة الراين للجيوش الحليفة لمدة خمسة عشر عاماً بعد تجريدها من السلاح الالماني.

الشروط المالية والاقتصادية:

طالب الحلفاء المانيا بدفع غرامة باهظة جداً تبلغ ٣٣ بليون دولار تعويضاً لخسائر الحرب وصادروا جميع سفن المانيا التجارية واستولوا على ممتلكاتها في الخارج. كما منحوا فرنسا حق استثمار مناجم الفحم في السار طيلة خمسة عشر عاماً تعويضاً لها عن التخريب الذي حصل في مناجمها الشمالية أثناء الاحتلال الالماني.

خسرت المانيا بهذه التعديلات في الحدود ٨٨ الف كلم مربع من أراضيها و٨ ملايين من أبنائها الذين تحولوا إلى اقليات عنصرية في الدول المجاورة. وكان لهذه المناطق بالاضافة إلى أهميتها الاستراتيجية أهمية اقتصادية كبيرة ففقدت المانيا من تلك الأراضي المسلوخة ١٥٪ من مواردها من الحديد الخام و٦٨٪ من الزنك و٢٦٪ من الفحم مما أدى إلى اضعاف الطاقة الالمانية للانتاج وساعد على شل معظم الاقتصاد.

كما أدت العقوبات الاقتصادية أيضاً إلى اضعاف قيمة المارك الالماني بعد الحرب إذ بلغت قيمة الدولار الأميركي عام ١٩٢٣ حوالي ٤و٢٠٠و٠٠٠و٠٠٠ مارك الماني.

وهكذا انتقم الحلفاء عامة وفرنسا خاصة من ألمانيا شر انتقام حتى أصبحت هذه المعاهدة سبباً جديداً من أسباب الخلاف والتوتر في أوروبا وعاملاً رئيسياً من العوامل التي هيأت الأسباب وأوجدت الظروف لاندلاع الحرب العالمية الثانية.

●

المراجع

Palmer, R.R.A History of the Modern World

تاريخ الشطرنج

محمد مراد سكر

المناوئون للشطرنج عبر التاريخ القديم

● كثيراً ما كتبنا وكتب غيرنا عن مؤيدي الشطرنج ومشجعيه عبر التاريخ وهم أكثر من أن يحصوا، ولكننا اليوم في مقالنا سنذكر بعض أهم من عادوا الشطرنج وحاولوا محاربته. منهم من ذكر السبب، ومنهم من لم يذكره، انما اغلبهم عزا ذلك للوقت المهدور، ناسيا ان اية لعبة تهدر الوقت، بينما هذه ولو هدرت الوقت فانها تنمي في اللاعب قوة التركيز والتخطيط والرؤيا البعيدة، إلى ما هنالك من ميزات يعرفها اللاعبون. ومنهم من عزا ذلك إلى انها تزيد من الاعتزاز بالنفس أو الفخر وما نظن ذلك ان صح سيئة مميتة، وآخرون عزوا ذلك إلى انها تشغل العقل وتتعبه، بينما يستطيع اللاعب ان يقوم خلال هذا الوقت وبهذا المجهود باعمال اخرى تدر عليه النفع، اذاً كلٌ رأي من زاويته، فرجل الدنيا رأى فيها ملهاة عن الصلاة، والحاكم رأى فيها هدراً للوقت هو احوج اليه بين اتباعه، إلى آخر ما هنالك. ونحن اذ نذكر ما وقع تحت ايدينا حول هذا الموضوع، نذكره للتعرف عن كل ما كتب، فالشطرنج عبر العصور ازداد انتشاراً ولم ينفع فيه منع أو مناوءة وقد لقي من المؤيدين ما لا حصر له، ويكفي ان نعرف ان رجال الدين هؤلاء عادوا فسمحوا للكهنة ان يلعبوا الشطرنج خفية لا أمام الجمهور، واليك بعض التفاصيل:

حكم الكاردينال بيير داميان مطران أوستي المتوفي سنة ١٠٧٣، على مطران فلورانس بتلاوة صلاة الندامة ثلاث مرات متتالية، وان يغسل ارجل اثني عشر فقيراً وان يدفع لكل منهم ما يقابل ديناراً بعملة اليوم. وكان الكاردينال داميان هذا، يعد الشطرنج من لعب الحظ.

فراين دي ترامبلاي في كتابه (كونفرساسيون مورال) يناهض كل الألعاب وخصوصاً الشطرنج، الأب فلوري يتحسر على الوقت المهدور لانهاء جولة، ويروى المقريزي ان الخليفة الحاكم في القاهرة أمر بجلد اشخاص عديدين في سنة ٤٠٣ للهجرة لانهم لعبوا الشطرنج في الأشهر الحرم.

جاك السادس ملك اسكتلندا أعطى تعليمات صارمة حتى يبعد ابنه عن لعبة الشطرنج.

الاستاذ الدومينيكي انغولد من القرن الرابع عشر الف كتاباً اسماه اللعبة الذهبية (له جودور)، يحوي سبع العاب شبهها بالخطايا السبع المميتة، أول هذه الألعاب كان الشطرنج، شبهه بلعبة الفخر والاعتزاز وذلك بنظره إحدى الخطايا المميتة.

لويس التاسع المدعو سان لويس، يقول عنه الكتاب الصادر في ليون ١٧٤٠ بعنوان (دراسة عن البوليس القديم) انه منع الشطرنج تحت طائلة العقاب، لان هذه اللعبة حسب رايه رزينة أكثر من اللازم وتتطلب جهداً يتعب العقل.

ميشال مونتاني المتوفي سنة ١٥٩٢ يقول في كتابه الأول (تجاربي) ما يلي: اني امقت الشطرنج لانه ليس لعبة عادية، انه ينسينا ما حولنا ويذهب بالوقت الذي

قد يسمح لنا بعمل شيء آخر. ويتابع فينتقد الكسندر الكبير في مقدونيا، لانه كان من هواة الشطرنج.

من يقرأ مجموعة القوانين الانكليزية الصادرة سنة ١٤٦٤ سيجد ان الملك ادوارد الرابع سن قانونا يمنع فيه ادخال الشطرنج إلى انكلترا.

مطران شارتر (جان بيتي دي ساريسبيري) المتوفي سنة ١١٨٢ يقول عن الشطرنج. ليس هناك اسوأ من ان يتعب الانسان لشيء لا يجديه نفعاً، إذ من الممكن استعمال هذا الوقت لشيء مفيد غيره. ويقول ج.ب. تيبرس، في كتابه عن الألعاب الصادر في باريس ١٦٨٦، على المسيحيين ان يتجنبوا العاب التسلية التي تتعب الفكر مثل الشطرنج.

سنة ١١٢٥، هدد مطران غوي بطرد القسيسين الذين كانوا يلعبون الشطرنج خفية في المقابر. سنودس لانكر، حرم على رجال الدين ان يلعبوا الشطرنج الا نادراً، بينما سمح المندوب الكنسي في المكسيك سنة ١٥٨٥ لرجال الدين ان يلعبوا الشطرنج في غير الاماكن العامة على ان لا يصرفوا عليه مالاً كثيراً. بينما مطران باريس المتوفي سنة ١٢٠٨ منع تابعيه ان يقتنوا في بيوتهم رقعة شطرنج. ونحب ان نضيف هنا انه وجد في المسلمين من حارب الشطرنج ولن نتطرق إلى ذلك في هذا المقال ولكننا نذكر أن الامام الشافعي رحمه الله، كان يلعب الشطرنج استدباراً. أي دون أن يرى الرقعة وفي ذلك من الجواب ما يكفي.

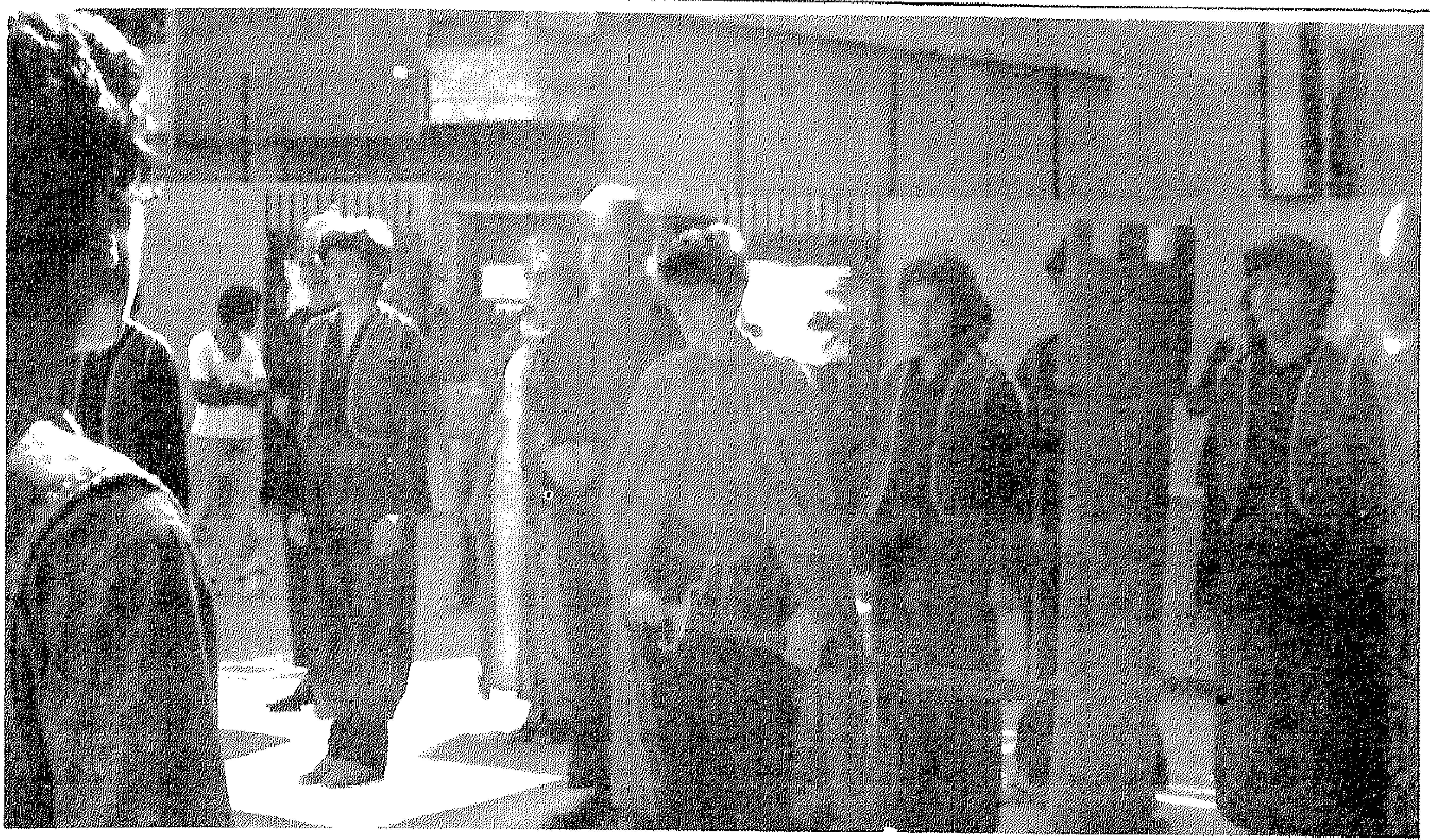
جولة حية في الشطرنج

اقامت المدرسة المعنية في بيروت باشراف ورعاية الاتحاد اللبناني للشطرنج في الرابع عشر من حزيران (مايو) من هذا العام جولة حية في الشطرنج كانت الأولى من نوعها في لبنان والثالثة بعد الجزائر وليبيا على ما نظن. وبهذه المناسبة نورد ما وقع تحت أيدينا في التاريخ حول أول جولة لعبت هكذا. ونعني بالجولة الحية ان يقوم أشخاص حقيقيون مكان احجار الشطرنج يلبسون ما يشير إلى نوع الحجر الذي يمثلون ويحركهم لاعبون من الخارج.

يروي رابليه في كتابه الخامس الفقرة ٢٤ و ٢٥ عن حفلة راقصة جرت. لبس الراقصون فيها ثيابا يقلدون فيها احجار الشطرنج. كما روى انه كان في



أشخاص حقيقيون مكان أحجار الشطرنج في دورة المدرسة المعنية في بيروت



... ومشهد آخر من المباراة.

قصر دون جوان النمسا (ابن شارل) غرفة رصعت ارضها بالمرمر الأسود والأبيض على شكل رقعة شطرنج.

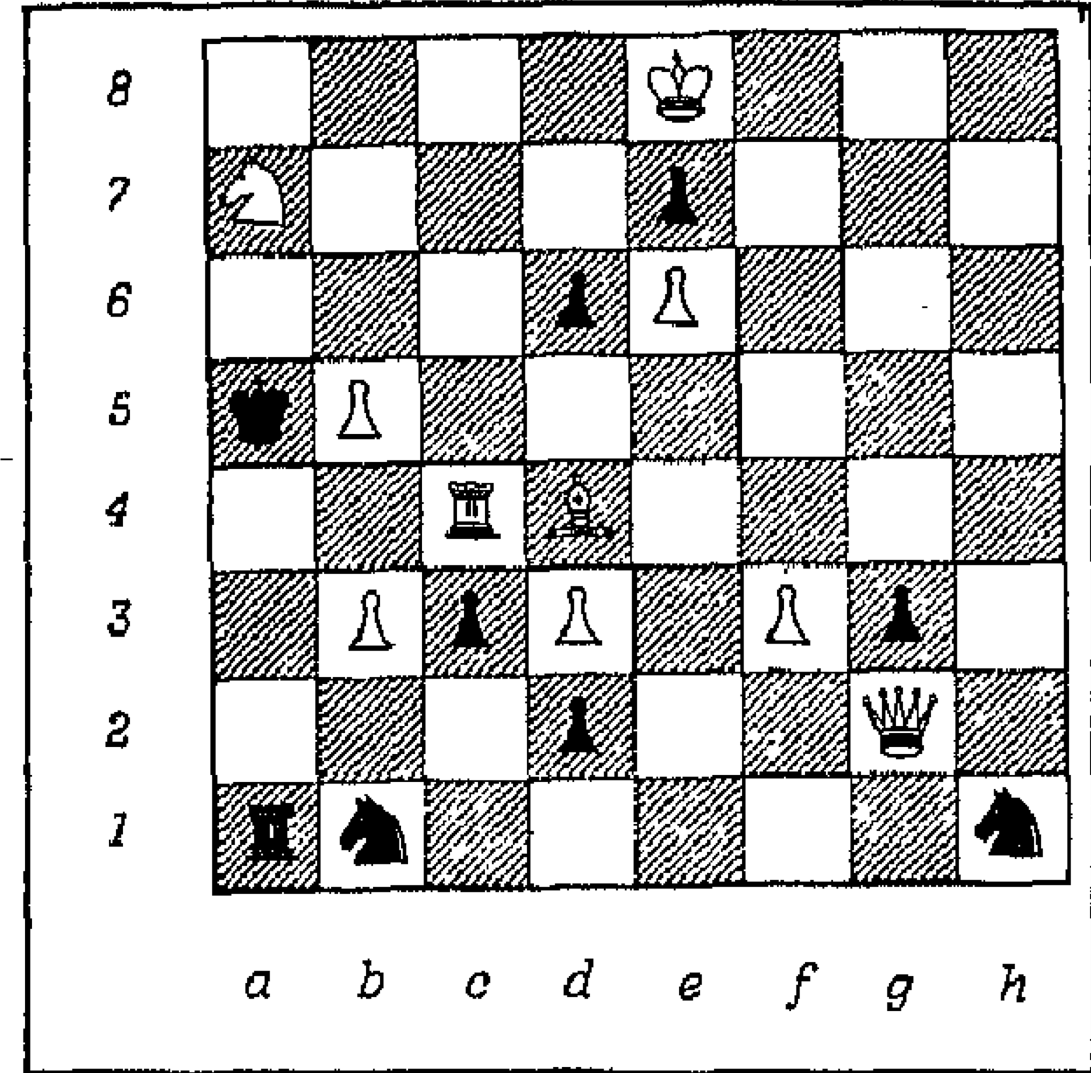
ويروي رينجياري سنة ١٥٥٤ و١٥٥٥ عن جولة حية في الشطرنج. لعلها الأولى في التاريخ ويصف بيروبالد دي فيرفيل في كتابه لوحة الاختراعات الفنية سنة ١٦٠٠ جولة حية لعبها مواطنون امام ملكتهم وقد لبسوا ثيابا مزركشة تشبه احجار الشطرنج. وقد جرت هذه الجولة كما يصفها الكاتب على الشكل التالي:

دخل القاعة في البدء رجلان مقنعان يحملان معهما رقعة قماش كبيرة مخططة مثل رقعة الشطرنج. خانة بيضاء وبجوارها حمراء. الخانة هذه بقياس قدم ونصف طولا وعرضا. وبعد فرشها على الأرض وانسحاب المقنعين يبدأ الموسيقيون بالعزف على الكمان في الوقت الذي يدخل فيه اثنان بثياب مزركشة اسبانية (لعل ذلك مرده الاشارة إلى ان اوروبا عرفت الشطرنج من اسبانيا) يحمل كل منهما عصا طويلة وهما يرقصان الباليه بخطوات كبيرة. ثم يقفان من جهتي الصالة وجها لوجه.

وما ان يجلسا على كرسيهما حتى يدخل القاعة على نغم جديد ثمانية أولاد صغار يلبسون ثيابا تشبه الجنود ويمثلون البيادق في الشطرنج. وبعد رقص سريع مجنون يقومون ببعض التشكيلات الراقصة على نغم الباليه. ثم يقفون في اماكنهم المعروفة سلفاً. ثم يدخل الجنود الثمانية الاخرون بلبس مختلف. وبعد رقص استعراضي مختلف يقفون أيضاً في اماكنهم. ثم يدخل من يمثل الاحجار الأخرى كل لوحده وبنغم خاص به ثم يقف مكانه خلف البيدق. وبعد ان يدخل الفرسان والفيلة والرخ ويقف كل في مكانه. يتقدم الملك والملكة بهدوء ورزانة ليقف كل منهم في مركزه. هنا يتحرك الاسبانيان ويصعدان منصة خاصة بهما تعلو عدة درجات ثم تصدح الموسيقى خفيفة فيتمايل الجميع في اماكنهم. ويبدا الاسبانيان بمناداة الاحجار وتحريكها. فتنتقل وهي ترقص الباليه. فيؤسر حجر بعد حجر فيخرج من الرقعة حتى لا يبقى على الرقعة الا الاحجار الاربعة الكبار. (المقصود بهم على ما يظهر الملكان والوزيران) فينزل الاسبانيان عند ذلك ويدوران حول الرقعة بايقاع ثم يقفان أمام الجماهير للتحية وتنتهي هنا الجولة.

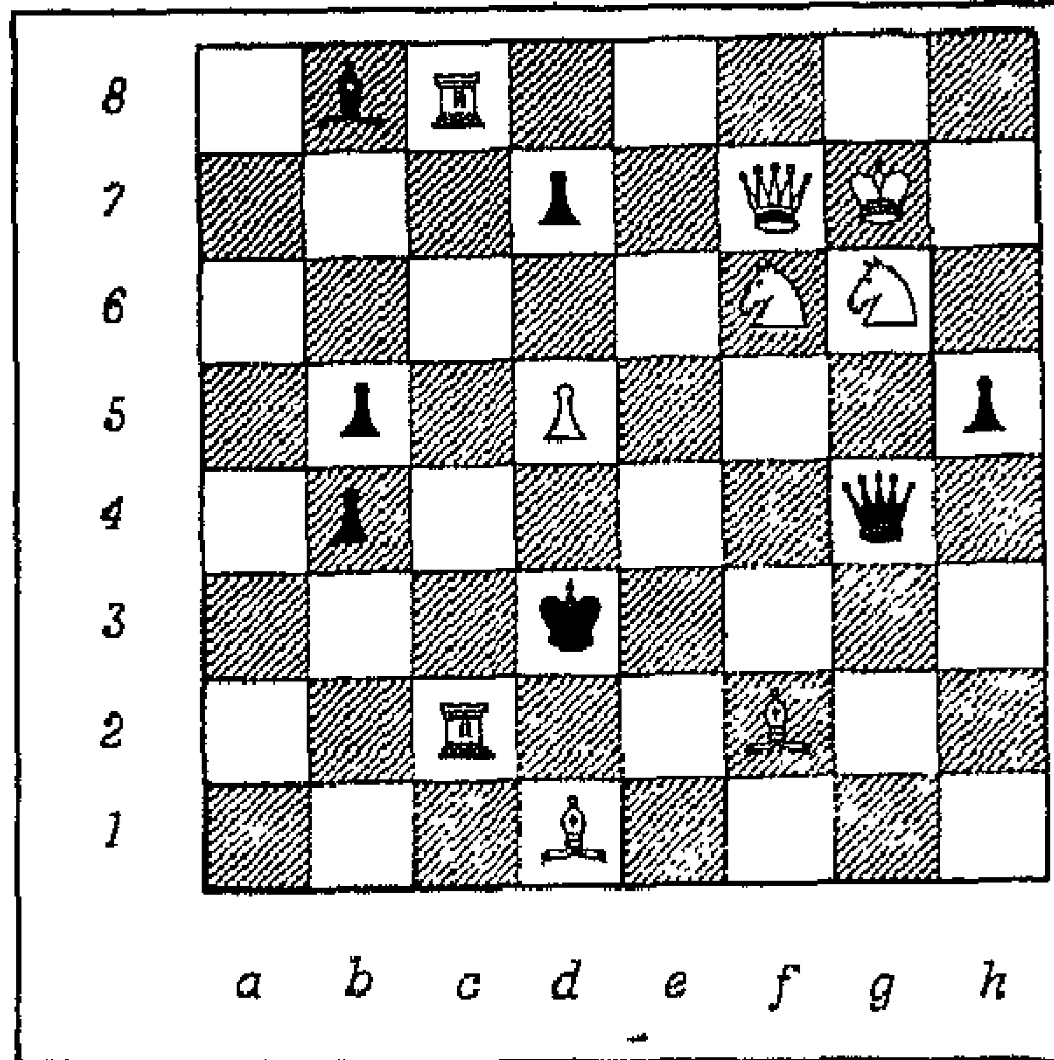
وتروي مجلة «له بافيير» سنة ١٨٤٣ عن حفلة راقصة مقنعة اقامها الملك تجرى خلالها جولة حية في الشطرنج يديرها نديما الملك وهما يلبسان ثيابا غنية مزخرفة.

المسالة رقم ٢١ مات بنقلتين



مسابقة الشطرنج رقم ١١

المسالة رقم ٢٢ مات بثلاث نقلات



حل المسابقة رقم ٩

المسالة رقم ١٧ المفتاح : 1 — é3

المسالة رقم ١٨ المفتاح : 1 — Cd6

اذا لعب الاسود Cg7 فسيرد الأبيض 2 — Cf4

واذا لعب الاسود Cg3 فسيرد الأبيض 2 — Cxç7

واذا لعب الاسود Cf6 فسيرد الأبيض 2 — Cg7

واذا لعب الاسود Cf4 فسيرد الأبيض 2 — Cd4

أما اذا لعب الاسود R × é6 فسيرد الأبيض +Dg8 — 2

والنقلة الثالثة يسهل رؤيتها في كل حالة.

ردود خاصة :

نشكر الصديق الأخ مصطفي البقالي على رسالته اللطيفة التي ندرجها فيما بعد وسنستجيب باذن الله لطلبه. انما ننتظر ديسمبر من هذا العام. اذ هناك وعد من اتحاد الامارات العربية باصدار كراس حول تاريخ الشطرنج في البلاد العربية سنحاول بعد صدوره ان نورد، تعمما للفائدة. في هذه المجلة، ما يتناسب وموضوعها.

كما وصلنا كتاب طويل من اتحاد الامارات العربية فيه شيء من تاريخ الشطرنج وكثير من الأعمال القيمة التي يقوم به الأخوان في الامارات نحتفظ به إلى يوم صدور كراسهم مع شكرنا لمن يكتب لنا حول هذا الموضوع. تاريخ الشطرنج في الدول العربية.

الفائزون :

الفائز في هذه المسابقة هو اللاعب جوزف الحايك من بجدرفل البترون وسترسل له جائزته اذا كان لا يستطيع الحضور لاستلامها من المجلة. ونود ان نشكر السيد حايك على عواطفه وعلى جهوده التي بذلها للوصول إلى كافة الحلول مع كافة الامكانات.

قسيمة الشطرنج

١١

مسقط وعمان

ميشال اسطفان

● سلطنة مستقلة تقع على شاطئ بحر العرب من جهة الشمال الشرقي من الجزيرة العربية، ما بين خليج عُمان، لمضيق هرمز، فدولة الامارات، فالربع الخالي (السعودية)، فحضر موت، فبحر عُمان. مساحتها ٢١٢٣٨٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها نحو مليونين ونصف المليون. عاصمتها مسقط، وأشهر مدنها مطرح ومرباط وصور وصحار.

احتل الأتراك مسقط سنة ١٥٥١ على يد أمير البحر بيري، لكنه عاد عنها فلم تخضع للسلطة العثمانية، ولبثت منذ القرن الثالث عشر، عشائرها من خارجيين وعباديين وغيرهم، تتمتّع بنوع من الاستقلال الذاتي القبلي، كل منها تحت سلطة أمام يجمعها، إلاّ أن النفوذ البرتغالي دخل البلاد لفترة، ثم النفوذ البريطاني، لكن دون التأثير في الحكم الذاتي المحلّي.

وفي القرن الثامن عشر قامت في البلاد سلطنة «أبو سعيد» فبسطت سلطتها على معظم البلاد، وامتد نفوذها إلى أفريقيا الشرقية، وكانت المشيخات المتصالحة جزءاً منها إلى أن دخلت تحت الحماية البريطانية وفصلت عنها في أوائل الستينات.

وفي القرن التاسع عشر، استكملت تكوينها كدولة مستقلة وارتبطت مع بريطانيا العظمى بمعاهدة سنة ١٨٩١ التي أكدتها بعدئذ بمعاهدة سنة ١٩٣٩ ثم أخيراً بمعاهدة ١٩٥١.

لم يكن يعكر هدوء البلاد غير عصيان أمام نزوة سنة ١٩١٥ واعلان انفصاله، ثم قيامه بثورته المعروفة سنة ١٩٥٧.

من الملاحظ أن بلدان شواطئ بحر العرب، يمنية وحضرموتيّة وعُمانية، كانت في معظم مراحل التاريخ متباعدة عن مجرى التيارات المختلفة التي تدخل البلدان العربية الأخرى من ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو صناعية أو غير ذلك، فلم تدخل تلك المناطق في الوقت نفسه، وبالمدى ذاته، مما أقام فروقاً كبيرة لا تخفى على المراقب، وأدى بالنتيجة إلى انقلاب جاء بالادارة الحالية التي تبذل قصارى الجهد للحاق بقافلة التطور في دنيا العرب، والتنسيق مع مختلف الدول العربية لاقامة المشاركة التي يجب أن تقوم بينها جميعاً بشكل فاعل.

الطوابع البريدية :

اما البريد فقد افتتح اعماله في مدينة مسقط بتاريخ أول ايار (مايو) سنة ١٨٦٤ بإدارة البريد الهندي، واستعملت وقتئذ طوابع الهند البريطانية السارية في حينها لغاية أول كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٧، ما عدا مجموعة تذكارية واحدة صدرت في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٤، لمناسبة الذكرى الستين لحكم آل بو سعيد، بعد توشيحها «١٣٦٣ آل بو سعيد» على طوابع الهند البريطانية لسنة ١٩٣٧/٤١ و١٩٣٩/٤٣ (صورة ١)، وعددها ١٥ طابعاً للبريد العادي و١٠ طوابع للبريد الحكومي.

١٣٦٣ آل بو سعيد ١

وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٧ انتقلت اعمال البريد مؤقتاً إلى البريد الباكستاني بسبب تطور الوضع السياسي في المنطقة ولكن بقيت الطوابع الهندية البريطانية تستعمل في مسقط وعمان إلى أن صدرت في الباكستان في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر)

من السنة نفسها مجموعة من الطوابع الهندية مؤلفة من ١٥ طابعاً موشحاً بكلمة «باكستان» بالانكليزية وكانت تستعمل في الباكستان ومسقط وعمان ودبي وقطر.

وقبل وصول هذه المجموعة الموشحة إلى مسقط بفترة قصيرة، التبست على مدير البريد في مسقط الأمور، وتفهم خطأً أوامر عدة وصلته من كاراتشي، فأمر بتوشيح جميع ما لديه من طوابع هندية بكلمة «باكستان» بالانكليزية بأحرف مزخرفة، وقد تمَّ التوشيح محلياً وباليد، ووضعت في البيع لمدة تسعة أيام فقط. ولا شك أن هذه الطوابع نادرة جداً لعدم معرفة كمية المستعمل منها.

في اول نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٨ انتقلت اعمال البريد ثانية في مسقط إلى الادارة البريطانية وبقيت لغاية نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٦. أما الطوابع التي كانت تستعمل في تلك الحقبة من الزمن، فهي الطوابع الانكليزية السارية في حينها من مجموعات الملك جورج السادس (اصدارات سنة ١٩٣٧ وما بعد)، ثم طوابع الملكة اليزابيت (اصدارات سنة ١٩٥٢ وما بعد)، بعد توشيحها بالعملة الهندية بالآنة والروبية، ثم بالنيابيزا والروبية كالآتي:

١) مجموعة عادية من تسعة طوابع صورة الملك جورج السادس (صورة٢) ثم مجموعة من طابعين لذكرى اليوبيل الفضي للزواج الملكي، ثم مجموعة من أربعة طوابع لذكرى الالعاب الأولمبية العالمية لعام ١٩٤٨ ثم مجموعة من أربعة طوابع أيضاً للذكرى ال ٧٥ لاتحاد البريد العالمي لعام ١٩٤٩، ثم مجموعة عادية أخرى من سبعة طوابع صورة الملك جورج السادس صدرت سنة ١٩٥٠.

٢) أربع مجموعات صورة الملكة اليزابيت (صورة٣)، منها مجموعة تذكارية لذكرى الملكة مؤلفة من أربعة طوابع صدرت بتاريخ ١٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٥٣، ثم صدرت ثلاث مجموعات ولكن بعد تغيير العملة إلى نيابيزا وروبية (صورة٤)، صدرت الأولى بتاريخ اول نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٧ مؤلفة من ١١ طابعا، ثم مجموعة الكشاف العالمي مؤلفة من ثلاثة طوابع صدرت في اول آب (أغسطس) سنة ١٩٥٧، وأخيراً مجموعة عادية أخرى صدرت سنة ١٩٦٠ مؤلفة من ١٥ طابعاً من نيابيزا واحدة إلى ٥ روبيات.

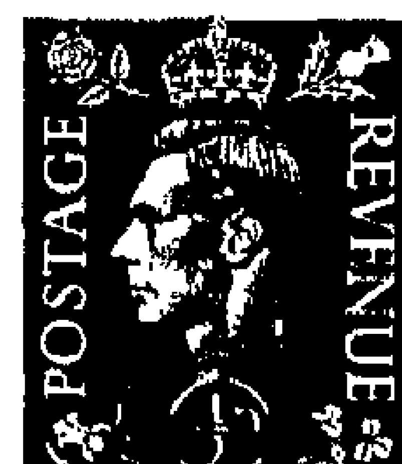
وفي ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٦ تسلمت سلطنة عمان أعمال البريد واصدرت في التاريخ نفسه اول مجموعة عادية مؤلفة من ١٢ طابعاً كالآتي: ٣ و ٥ و ١٠ و ١٥ و ٢٠ و ٢٥ و ٣٠ و ٥٠ روبيّة وواحد و٢ و ٥ و ١٠ روبية صورة (٥، ٦، ٧).

وفي أول كانون الثاني (يناير) صدرت أول مجموعة تذكارية لمناسبة أول شحنة بترول تمَّت في شهر تموز (يوليو) مؤلفة من أربعة طوابع مختلفة الصور (صورة نموذج واحد٨)، ثم تلتها بتاريخ ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٠ مجموعة عادية بالعملة الجديدة من ٥ بيه إلى ١٠٠ بيه و١/٤ و١/٢ وريال واحد، تحمل صور ورسوم المجموعة المصورة الأولى (اصدار ٣٠ نيسان (ابريل ١٩٦٩).

وبتاريخ ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٧٠ تسلَّم الحكم السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور، وأعلن بتاريخ ٩ آب (اغسطس) سنة ١٩٧٠ توحيد اسم البلاد بسلطنة عمان ثم أمر بتوشيح جميع الطوابع بذلك (صورة٩ و ١٠ و ١١)، وصدرت أول مجموعة بالتوشيح المذكور بتاريخ ١٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٧١ على المجموعة المصورة الأخيرة (اصدار ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٠، ثم تلتها مجموعات عادية وتذكارية مختلفة إلى يومنا هذا.

أخبار الطوابع الحديثة

تسلّمنا بكل سرور من الأستاذ محمد دلول المدير العام للمؤسسة العامة للبريد السوري نماذج عن الاصدارات السورية لعام ١٩٧٩ وهي كالآتي:



٢



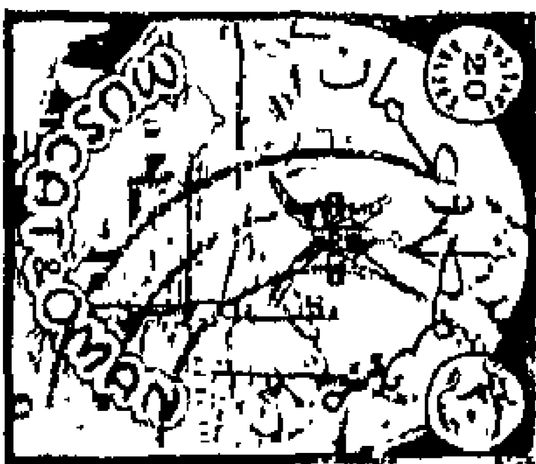
٣

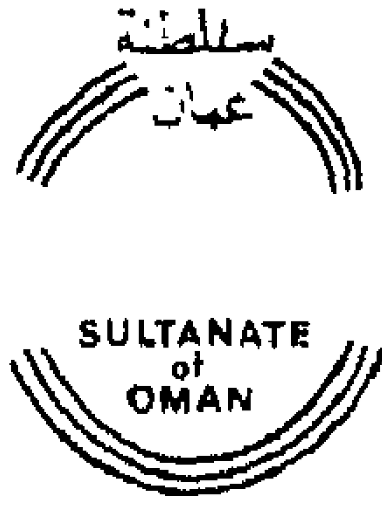


٤



٥

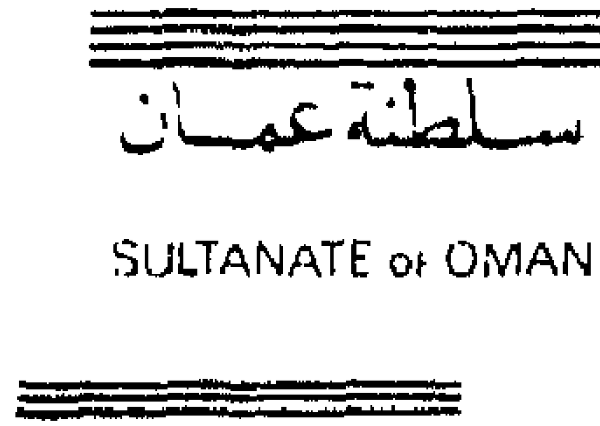

٦







١٠ ٩ ٧





١١ ٨

١ – الحركة التصحيحية – طابع واحد فئة ٦٠ قرشاً (صورة أ)

٢ – التمييز العنصري – طابع واحد فئة ٣٥ قرشاً (صورة ب).

٣ – حقوق الانسان – طابع واحد فئة ٦٠قرشاً (صورة ج)

٤ – ذكرى الثامن من آذار – طابع واحد فئة ١٠٠ قرش (صورة د)

٥ – الذكرى المئوية الثامنة لوفاة ابن رشد – طابع واحد فئة ١٠٠ قرش (صورة هـ).

نشكر الأستاذ دلول على هذه المبادرة الطيبة لخدمة الهواة ونأمل أن نتسلم باطراد أخبار الاصدارات المقبلة مسبقاً، استكمالاً للفائدة.



ج



ب



أ

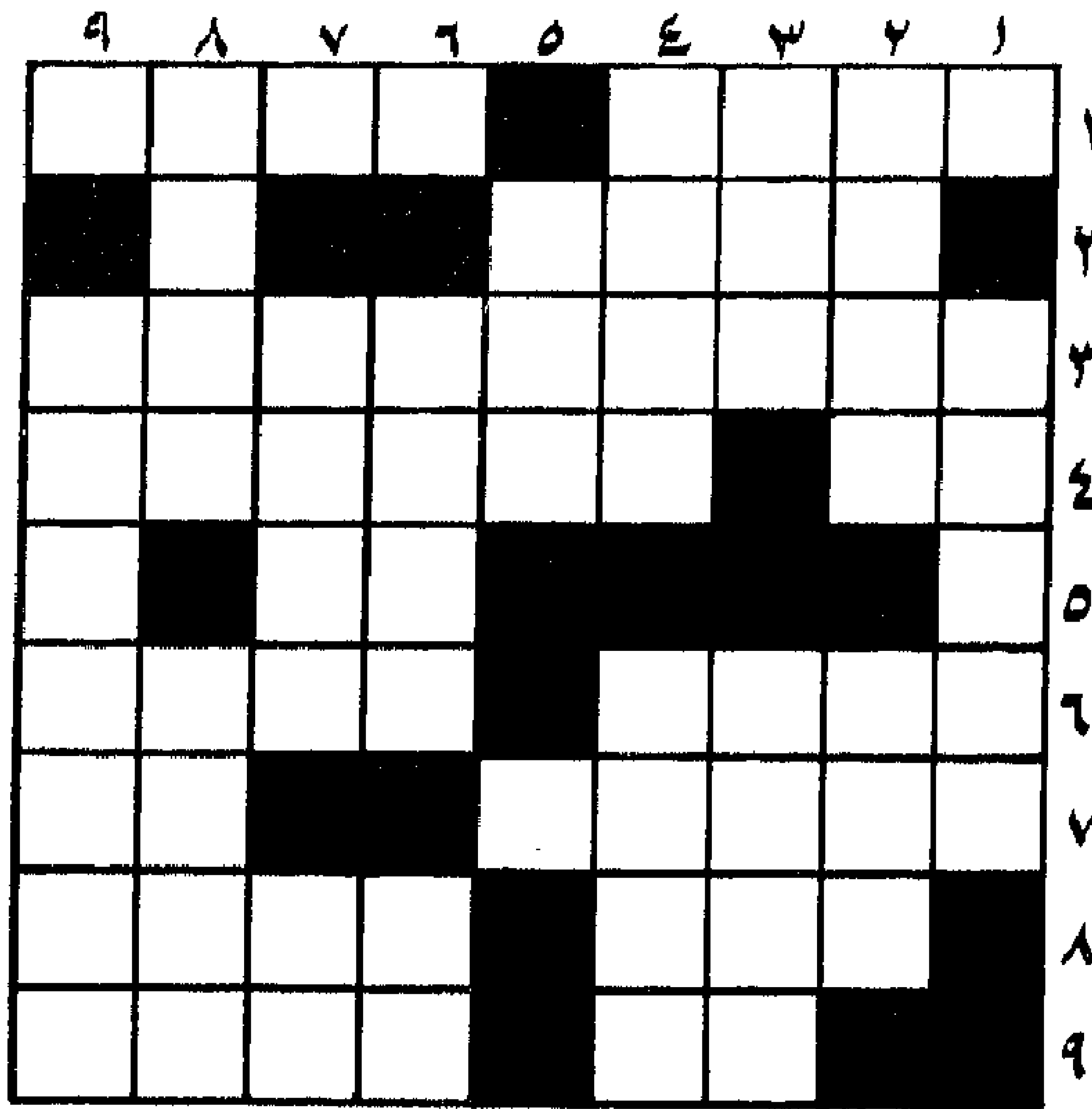


هـ



د

مسابقة العدد



افقياً :

(١) بائع الخمر (معكوسة). أراضي فيها ملح لا تنبت (معكوسة).
(٢) ذو صوف (معكوسة).
(٣) بلد عربي.
(٤) بئر قديمة. التشاؤم (معكوسة).
(٥) متشابهان.
(٦) برزا (معكوسة). مدينة عربية.
(٧) بحيرة في فلسطين. وذ (معكوسة).
(٨) بلد عربي. ضد أكثر.
(٩) حديدة في أسفل الرمح أو العصا للطعن. أعمى من مولده (معكوسة).

عمودياً :

(١) مدينة عربية.
(٢) مدينة قديمة في آسيا الصغرى تقع انقاضها على بحر أيجه واليها وجه القديس بولس إحدى رسائله. بلد عربي
(٣) صفة الممتلئ غضباً. اسم مضيق عربي.
(٤) خياطون. بلدة في فلسطين (معكوسة).
(٥) اسم لمدينة يوجد منها في قطرين عربيين.
(٦) مجندل (معكوسة). للتأوه.
(٧) مدينة عربية. مدينة ايرانية.
(٨) مؤذن الرسول. مدينة على شط العرب (معكوسة).
(٩) مكة والمسجد الأقصى (معكوسة).

حل مسابقة العدد التاسع

افقياً :

١ – عدن، جامعة.
٢ – ل، بيحان.
٣ – المكلا (معكوسة)، نا.
٤ – ضب، ن، م، ل.
٥ – لن، حقيبة (معكوسة).
٦ – اسقطرا، مو.
٧ – شعيب، رش.
٨ – باب المندب (معكوسة).
٩ – رب، ن، نجني.

عمودياً :

١ – الضالع (معكوسة)، بر.
٢ – د، سنبل (معكوسة)، دب.
٣ – بنك، قش.
٤ – يمن، نمط (نطعم مبعثرة)
٥ – لحج (معكوسة)، ليرة (معكوسة).
٦ – ١١١١، بابان.
٧ – نم (معكوسة)، يم (معكوسة)، جب (معكوسة.
٨ – ع، ن، قران.
٩ – ة، الحوشبي.

الفائزون :

الفائز الأول : سعيد الدايم، عمان، المملكة الاردنية الهاشمية. (مئة ليرة لبنانية)

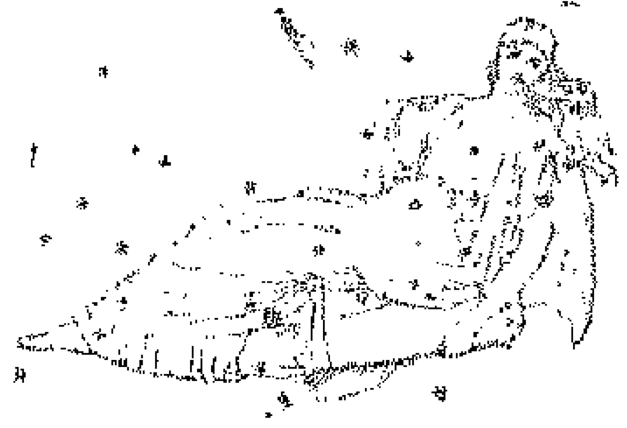
الفائز الثاني : سامي الشامي، الجامعة اللبنانية، الفرع الأول، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدراسات العليا–بيروت اشتراك سنة في المجلة.

«يرجى من السيد سامي الشامي الاتصال برئاسة التحرير».

مسابقة الطوابع ١١

البروج الفلكية

منى شير



العذراء

(٢٤ آب - أغسطس
٢٣ أيلول - سبتمبر)

● يرمز إلى برج العذراء بصورة فتاة جميلة هي آية من البراءة والوداعة. وفي الأساطير المصرية القديمة يرمز إليها بالآلهة «إيزيس» زوجة «أوزيريس». ويقال أنها تحمي الأمهات والأطفال ووحدة الأسرة. ومعروف أن هذه الأساطير نفسها تروي أن إيزيس إضطرت هرباً من الأعصار «تيفون» أن ترمي حزمة الذرة التي كانت في حوزتها فتحولت بالتالي حبيبات الذرة إلى ما يعرف اليوم باسم المجرات

ومن الطريف أن قدامى المصريين رمزوا إلى هذا البرج بإمرأة تحمل بيدها سنبلة قمح وهذا ما نجده مرسوماً في سقف بهو الأعمدة في معبد دندرة الفرعوني وهو معبد لاله هاتور إله الحب والجمال.

أما علماء العرب - المسلمين فأطلقوا على برج العذراء إسم «السنبلة» ويعرف إلى اليوم بهذا الاسم في بعض الأوساط.

إن مواليد برج العذراء ينجحون عادة في الأعمال الدقيقة والحساسة. وهذا الأمر هو من طبيعتهم الثانية. وهم أيضاً يتصفون بالبراءة والنقاوة ويهتمون كثيراً بأمور الصحة والتغذية والحمية. عندهم رغبة ملحة في خدمة الغير دون إظهار ذلك بشكل علني وذلك بسبب طبيعتهم الإجتماعية الموصوفة بالتردد والخجل.

يمتاز أصحاب هذا البرج بمزاج عصبي حاد مما يبدد الكثير من طاقتهم وهذا ما يفسر تشددهم في الأمور الدقيقة. وعدم إستطاعتهم وضع الأمور في نصابها. وهم مع ذلك يتميزون بمنطق تحليلي وأسلوب مرن في التعامل مع الناس في أكثر الأمور دقة. وأخيراً فإن إندفاعهم في المساعدة غير المعلن عنها للأصدقاء والمعارف تجعلهم محاطين بالعديد من المقربين والمخلصين.

إستناداً إلى أبحاث العلماء فإن برج العذراء له تأثير مباشر في ناحيتين محدودتين في الجسم البشري هما الجهاز العصبي والأمعاء.

من الشخصيات العالمية المشهورة في القديم والحديث والمولودة تحت برج العذراء نذكر:

الملكة إليزابث الأولى. الجنرال الفرنسي لافاييت (١٧٥٧ - ١٨٣٤). عميل بريطانيا في العالم العربي توماس أ. لورنس. الماريشال البريطاني مونتغمري أيام الحرب العالمية الثانية رجل الدولة الفرنسي ريشوليو الكاتب الروسي تولستوي. الكاتب الإنكليزي ه.ج. ويلز هنري فورد الثاني، الممثلة السويدية إينغريد برغمان، الفنان الفرنسي موريس شوفالييه. الممثلة السويدية الأصل غريتا غاربو ●

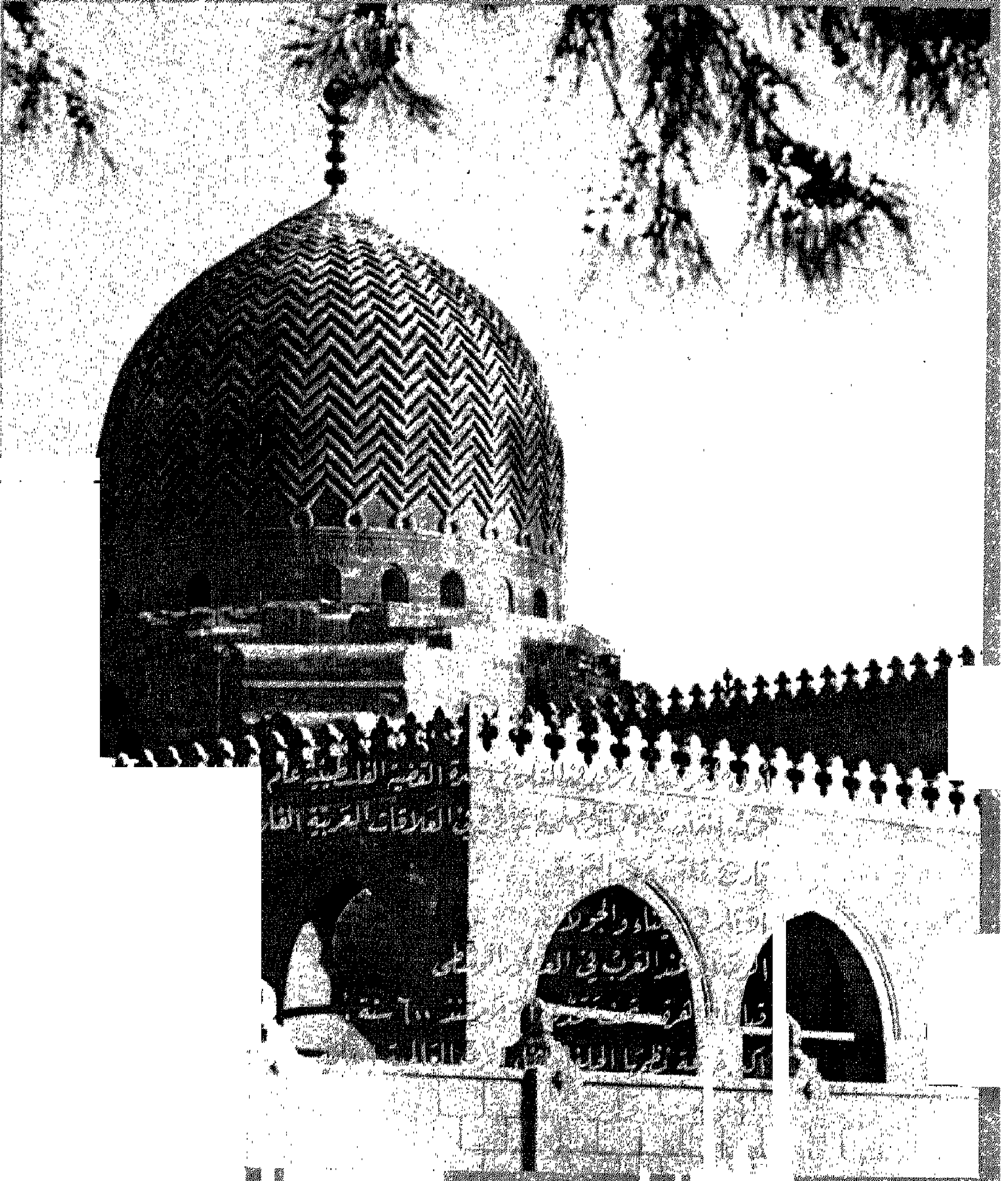
■ ميَاهُ الليطاني : مَطامِح صهيُونية قدِيمَة
(راجع مقالة : الصهيونية فكرة خرافية ..)

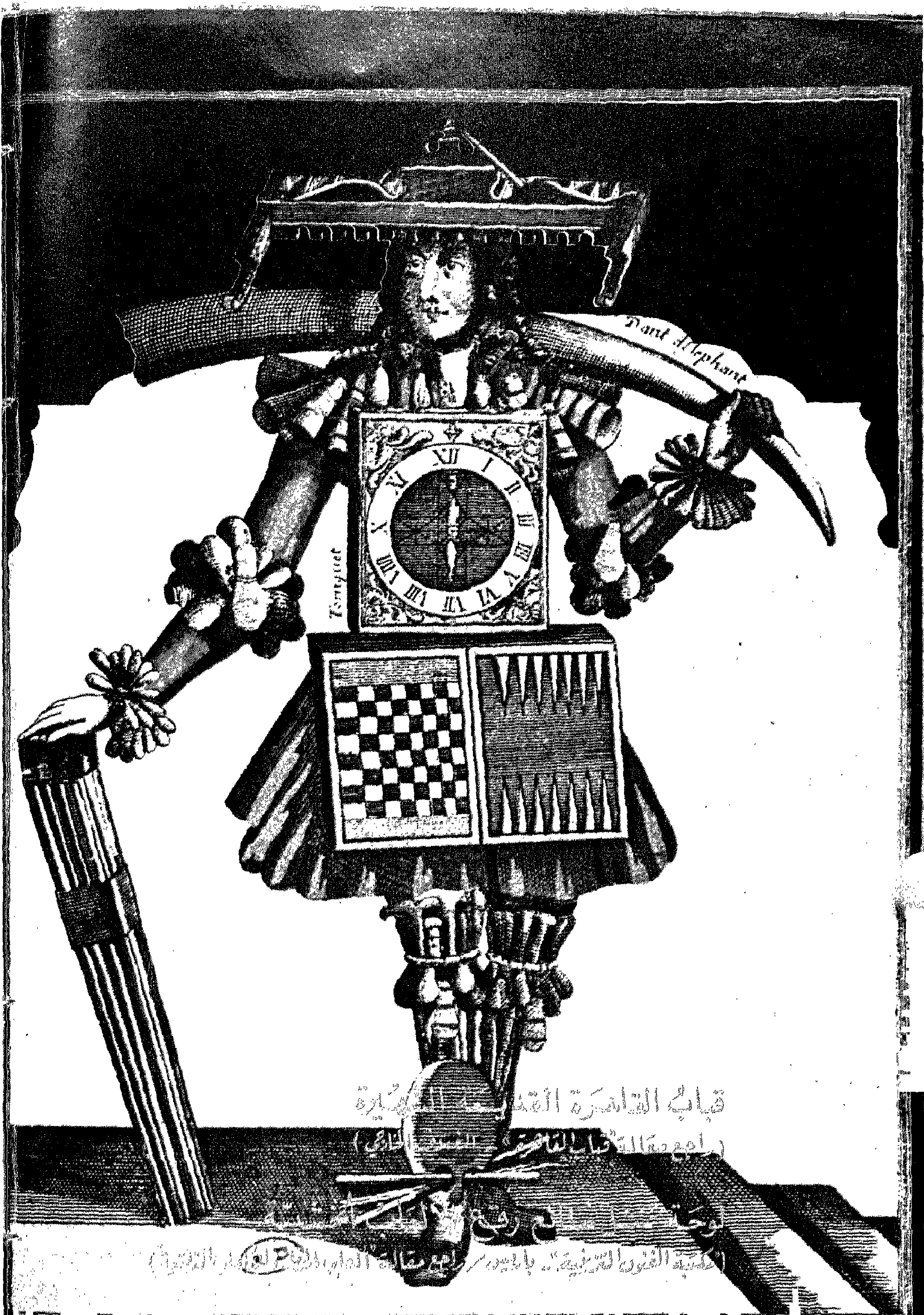


تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى - العدد الثاني عشر - تشرين الاول «اكتوبر» ١٩٧٩ - الموافق ذو القعدة ١٣٩٩




Dant d'elephant

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى
العدد الثاني عشر
تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٩
ذو القعدة ١٣٩٩ هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص. ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلانات
ص. ب : ١١/٦٨٠٨ - بيروت ، لبنان

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س	
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم	
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس	
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم	
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال	
البحرين : ٧٠٠ فلس	المغرب : ٥ درهم	

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

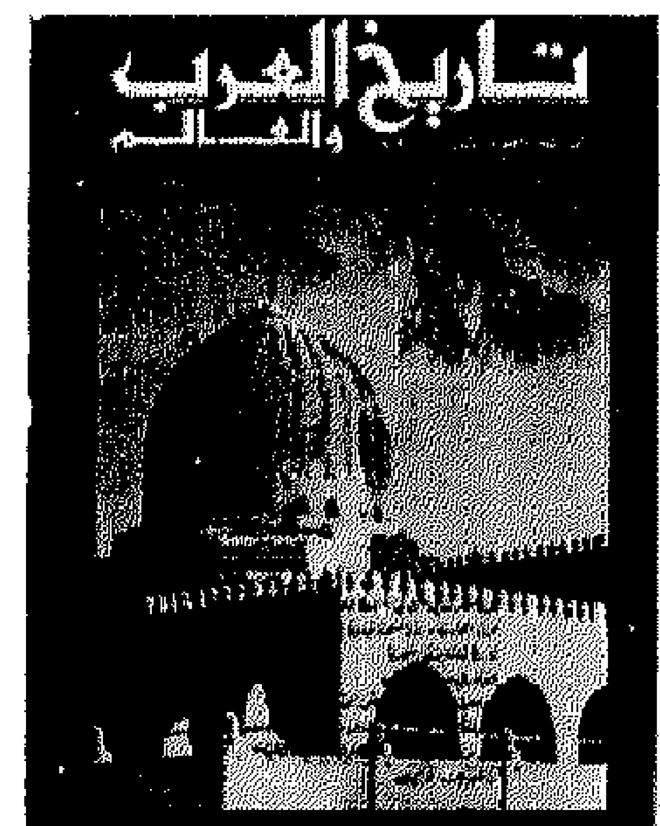
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
Tel.800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 12. October, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزَّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع — الصفحة



إقرأ مقالة
قباب القاهرة
ص: ٤٨

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.

أول مؤتمر عزلي في التاريخ ١٩٣٨ لنصرة القضية الفلسطينية

بقلم اكرم زعيتر

الوفد الفلسطيني المؤتمر النسائي العربي برئاسة هدى هانم شعراوي ١٩٣٦



أكرم زعيتر:

● درس في الجامعة الأميركية ببيروت وكلية الحقوق بالقدس.
● قام بالتدريس ورافق الحركة القومية منذ أوائل القرن كمدرس. وكاتب وخطيب ومؤسس وملتزم في التنظيمات واللجان القومية المختلفة. اشترك في معظم المؤتمرات الوطنية والاسلامية المنعقدة في الشرق العربي.
● عيّن سنة ١٩٦٣ سفيرا في سورية فايران والافغان
● عيّن وزيراً للخارجية الأردنية عام ١٩٦٦. وفي عام ١٩٦٧ عيّن «عيناً» في مجلس الأعيان الأردني ووزيراً للبلاط.
● في سنة ١٩٧١ عيّن سفيراً للأردن في لبنان واليونان حتى سنة ١٩٧٥.
● صنّف عدة كتب في القضايا الوطنية التاريخية والأدبية. إلى جانب مقالات وأبحاث ومذكرات ومحاضرات عديدة.

ظروف الدعوة إلى المؤتمر:

منذ احدى واربعين سنة عقد في القاهرة أول مؤتمر نسائي عربي في تاريخ الأمة العربية، وقد امتد أربعة أيام: من ١٥ تشرين الأول (اكتوبر) إلى ١٨ منه سنة ١٩٣٨.

ولما كنت منتدباً للمشورة في ذلك المؤتمر، فقد دونت في يومياتي من أنبائه وتفاصيل حركته، ما يصح أن يكون تاريخاً لذلك الحادث البالغ الأهمية: كانت الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٨ مستعرّة الأوار، وكانت امتداداً لثورة ١٩٣٦ التي رافقها ذلك الإضراب البطولي الفذ؛ إضراب الأشهر الستة.

وكانت دمشق المركز الأول لإمداد الثورة وتجهيزها وتغذيتها وكأنها المقر الخلفي للثورة، وقد تألفت فيها لجنة سورية مركزية للدفاع عن فلسطين ترأسها السيد نبيه العظمة، وأنشأت لها فروعاً في جميع أنحاء سورية ولبنان، وأحكمت اتصالاتها بلجان للدفاع عن فلسطين، أنشئت في العراق ومصر وأقطار عربية أخرى. وتألفت في دمشق كذلك، لجنة سيدات للدفاع عن فلسطين تعد فرعاً من اللجنة المركزية. وجالت في خواطر بعض العاملين والعاملات في حقل القضية فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر نسائي عربي عام في بلودان على غرار ذلك المؤتمر العربي الكبير الذي انعقد فيها في العام المنصرم.

وجرت اتصالات بالسيدة هدى شعراوي، رئيسة الاتحاد النسائي المصري لهذه الغاية، وعقد في دمشق اجتماع تمهيدي مثلت لبنان فيه الآنسة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي العربي ببيروت، للمذاكرة في تحقيق الفكرة، وقد رُئي فيه أن الظروف السياسية في سورية لا تشجع على عقده فيها. إذ بدأت العلاقات بين الوطنيين وفرنسا تتأزم لتلكؤ هذه في تنفيذ المعاهدة الفرنسية السورية، فاتجه الرأي إلى القاهرة.. وإلى السيدة هدى شعراوي، زعيمة الحركة النسائية في مصر. وسبق هذا ان أرسلت الجمعيات النسائية في سورية ولبنان والعراق وفلسطين في ٧ تموز ١٩٣٨ تفويضاً للسيدة هدى بالدفاع عن قضية فلسطين أمام لجنة الانتدابات والمؤتمر النسائي الدولي «ولدى أي هيئة يمكنها نصرة هذه البلاد المقدسة التي مضى عليها عشرون عاماً وهي تجاهد في سبيل تحريرها واستقلالها..».. «كما انها ترجو عصمتك السعي الحثيث لدى عصبة الأمم ووزارة المستعمرات وغيرهما من المراجع السياسية لتأمين الحل العملي العادل الوحيد لهذه القضية على قاعدة:

١ – الاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام في بلادهم.

٢ – العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي.

٣ – انهاء الانتداب البريطاني وتبديله بمعاهدة مماثلة للمعاهدة البريطانية – العراقية. والمعاهدة البريطانية – المصرية. بموجبها تنشأ في فلسطين دولة ذات سيادة مستقلة.

٤ – وقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضي وقفاً تاماً».

وقد وقع هذا التفويض: ابتهاج قدورة، رئيسة الاتحاد النسائي العربي وبهيرة العظمة سكرتيرة لجنة السيدات للدفاع عن فلسطين في سورية. وزليخة الشهابي وشاهندة دزدار عن لجنة السيدات العربيات بالقدس: ونازك علي جودت بالنيابة عن الجمعيات النسائية في العراق.

تحمست السيدة هدى شعراوي للفكرة، فوجهت في ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٨ نداء إلى الجمعيات النسائية العربية تدعوها فيه إلى إيفاد مندوباتها للاشتراك في المؤتمر الذي تقرر عقده ابتداء من ١٥ اكتوبر ١٩٣٨، وختمت نداءها قائلة: «وأنا لنعتقد أن كل سيدة تحمل بين جنبها قلباً رحيماً يعاف الظلم ويثور عليه ويمقت الاستبداد، لا شك، تتألم مثلنا لتعذيب الانسانية في فلسطين الدامية، وأنها لن تتأخر عن تلبية ندائنا ومد يدها لمناصرتنا ومعاونتنا في القيام بهذا الواجب الإنساني والقومي حقناً للدماء التي تُهرق، ومنعاً لامتداد نار الثورة في جميع البلاد العربية من جراء هذا الظلم الفاحش الذي يرزح تحته أبناء تلك البلاد المنكودة البائسة».

وقبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام أذاعت السيدة هدى بياناً مؤثراً على سيدات مصر ختمته قائلة: «فباسم الإنسانية والدين والجوار أناشد كل مصرية أن تعمل في دائرتها بكل ما تستطيع من حول للأخذ بناصر الحق، وإني لعلى يقين بأني سأفخر في الغد بما ستبذله بنات النيل لضيفاتهن الكريمات من المعاونة وحسن الضيافة والاكرام».



في المؤتمر النسائي العربي برئاسة هدى هانم شعراوي ١٩٣٨ من اليمين إلى اليسار السيدات متيلدا . ساذج نجيب نصار، نفيسة محمد علي علوبة باشا ، وحيدة حسين خالدي ، عقيلة أمين التميمي .

قلت : انني انتدبت مستشاراً للسيدة شعراوي وللمؤتمر ، وقد وصلت إلى القاهرة في ٧ تشرين الأول وحضرت اجتماعات المؤتمر البرلماني العربي فيها ثم اجتمعت بالسيدة هدى بحضور الاستاذ عوني عبد الهادي وعقيلته والآنسة حواء ادريس التي كانت بمثابة سكرتيرتها . كانت السيدة على غاية الحماسة لقضية فلسطين وللمؤتمر. انها مدهشة الحيوية ، قوية الشخصية تفرض سلطانها على كل من يعمل معها .

الاعداد للمؤتمر واستقبال الوفود :
١٢/١٠/٣٨ الأربعاء ١٨ شعبان ١٣٥٧ .

في الرابعة مساء عقدتُ والسيدة هدى والآنستان ايفا حبيب المصري وحواء ادريس اجتماعاً جرى البحث فيه عن تنظيم المؤتمر وبرنامجه. وقد تم اعداد جهاز للسكرتيرية ترأسه السيد فؤاد واكد. وأعد مكتب استعلامات أنيط بالآنسة ايفا حبيب المصري. اقترحت أن يكون اسم المؤتمر: المؤتمر النسائي العربي ، ولكن السيدة هدى أصرت في عناد على أن يكون اسمه : المؤتمر النسائي الشرقي. قلت لها : الهند من الشرق واليابان من الشرق والصين من الشرق فأين هو التمثيل الشرقي في المؤتمر؟ ورأيتني ألقي شبه محاضرة في القومية العربية ثم أقول لها : يا سيدتي ستبايعين بهذا المؤتمر التاريخي العظيم زعيمة لنساء العرب ، لا زعيمة لنساء الشرق ، وأخيراً خشيتُ أن يؤدي اصراري إلى نفرة مني فسكت ، ولكنني قدرتُ اننا سنكسب في النهاية زعيمة لنساء العرب ، وبينا كنا مجتمعين أقبل الوفد النسائي السوري فنهضنا للسلام عليه والترحيب به ، إنه على ما أذكر مؤلف من السيدات والأوانس : عادلة بيهم الجزائري. عقيلة الأمير محي الدين الجزائري. سنية وجيه الأيوبي. بهيرة نبيه العظمة. ثريا منير الريس ، فائزة سامي مردم بك. فرلان حكمة مردم بك. رقية عارف القوتلي. فطينة نبيه العظمة. مسرة الداغستاني. سعاد مردم بك. (ثم انضمت إليهن بعد ذلك السيدة أسماء فارس الخوري).

ولم يكد الوفد يتناول القهوة حتى أقبل الوفد النسائي اللبناني وهو مؤلف من السيدات : ايفلين جبران بسترس. نجلا جورج كفوري. حياة نور الدين بيهم (ثم انضمت إليهن بعد ذلك السيدة نازك العابد بيهم).

وعقد اجتماع مشترك دار الحديث فيه حول الترشيح لرآسة المؤتمر ونيابة الرآسة والسكرتيرات على أن يجري ذلك بعد وصول مندوبات فلسطين والعراق. ويممت محطة القاهرة لاستقبال وفد بلادي فلسطين، وقد وصل القطار في الثانية صباحاً. ونزل الوفد في الاتحاد النسائي بضيافة السيدة هدى، وهو مؤلف من السيدات والأوانس: طرب عوني عبد الهادي (وهي مقيمة في القاهرة). وحيدة حسين الخالدي ساذج نجيب نصار. عقيلة شكري ديب. زليخا الشهابي. كيتي جورج انطونيوس، متيل مغنم مغنم ميمنة عز الدين القسام. نبيهة ناصر. صبحية راغب التميمي. مريم هاشم. سلمى رجائي الحسيني. فاطمة النشاشيبي. زهية النشاشيبي. عقيلة الحاج بكر النشاشيبي. عقيلة شكري المهتدي. عقيلة حسن البديري. رفقة الشهابي التاجي. سعاد فهمي الحسيني. عقيلة أميل الغوري. بدرة كنعان. عقيلة جورج صلاح. سميحة الخالدي. عقيلة جسن صدقي الدجاني. ريا القاسم وقد انضمت اليهن السيدة ملك الشوا عقيلة حمدي حلاوة المقيمة بمصر، كما مثلت السيدة ماري نجيب أبو الشعر سيدات شرق الأردن.

الخميس ٣٩/١٠/١٣.

التأم اجتماع مندوبات سورية ولبنان وفلسطين في الساعة العاشرة صباحاً. وجرى التعارف بينهن وبين مندوبات مصر في المؤتمر وهن السيدات والأوانس: هدى شعراوي. نفيسة محمد علي علوبة. أمينة فؤاد سلطان. بسيمة عبد الرحمن رضا. جميلة حسن أبو شنب. عزيزة حسين هيكل. علية محمود خليفة. بهيجة حسن رشيد. انصاف منصور فهمي. سيزا نبراوي نجيب. درية أحمد فكري. منيرة ثابت. ماري كحيل. الين صروف (لبنانية الأصل). حواء ادريس. ايفا حبيب المصري. حنيفة أحمد علي علوبة. تحية محمد. نعيمة الأيوبي. زينب الغزالي.

وعلى الرغم من تأخر الوفد العراقي فقد جرى انتخاب مكتب المؤتمر على الصورة التالية: هدى شعراوي: رئيسة. وكيلات الرئيسة: عادلة بيهم الجزائري (سورية). ايفلين بسترس (لبنانية). صبيحة ياسين الهاشمي (العراق) وحيدة حسين الخالدي. زليخة الشهابي (فلسطين). نفيسة محمد علي علوية. أمينة فؤاد سلطان (مصر).



الوفد السوري في المؤتمر النسائي العربي سنة ١٩٣٨ الجلوس من اليمين، القادر الجزائري، نفيسة محمد علي علوبة بهيرة نبيه العظمة.

السكرتيرات: بهيرة نبيه العظمة. سنية الأيوبي (سورية) نجلا جورج كفوري. حياة نور بيهم (لبنان) رفيعة الخطيب (العراق) ساذج نصار. عقيلة شكري ديب (فلسطين) جميلة عطية أبو شنب. درية فهمي فكري. ايفا حبيب المصري. تحية محمد.

السكرتيرات المساعدات: ثريا الحافظ الريس (سورية) منيبة ثنيان (العراق) بدرة كنعان. متيل مغنم. ميمنة القسام. ريا القاسم (فلسطين).

المراقبات: فرلان مردم بك (سورية) ماري عبد المسيح وزير (العراق) عزيزة عثمان لبيب (مصر ولكنها سجلت باسم ايران لأنها إيرانية الأصل). كيتي نمر انطونيوس (فلسطين ولكنها لبنانية الأصل). وملك حلاوة (فلسطين). بهيجة حسن. علية محمود خليفة (مصر).

الجمعة ٣٨/١٠/١٤.

تألفت لجنة من المؤتمرات لدرس المقترحات وصوغها في قرارات. السيدة ايفلين بسترس مندوبة لبنان لا تتقن العربية ولكنها أديبة باللغة الفرنسية ولها مؤلف نفيس اسمه «يد الله». اتفق الرأي على أن



زك العابد بيهم ، عادلة بيهم الجزائري ، عقيلة الأمير محي الدين عبد

تخطب بالفرنسية فيكون دورها هو مخاطبة الغرب وابلاغه نداء قلوب السيدات العربيات في قضيتهن المقدسة.

— هرعت مندوبات مصر وسورية ولبنان وفلسطين إلى محطة القاهرة حيث استقبلن زميلاتهن مندوبات العراق: صبيحة ياسين الهاشمي ومنيبة عبد اللطيف ثنيان، ورفيعة الخطيب وماري عبد المسيح وزير.

افتتاح المؤتمر

اليوم الأول ٣٨/١٠/١٥ :

اعدت القاعة الكبرى في الاتحاد النسائي لانعقاد المؤتمر. الأعلام المصرية والسورية والعراقية واللبنانية والفلسطينية (العلم الفلسطيني هو علم الثورة العربية الكبرى). جعل مكان خاص لكل وفد. في الساعة الخامسة دمعت عيناي وأنا أشاهد دخول الوفود وفداً وفداً ليجلس في المكان المعدّ له. صعدت هدى هانم والخطيبات إلى المنصة. الشرفات ممتلئة برجالات مصر وسورية ولبنان وفلسطين. قبل الافتتاح صعدت تلميذات مدرسة الاتحاد النسائي المصري إلى المسرح. أنشدت انشودة نظمها الشاعر محمود أبو الوفا ولحنها محمد القصبجي. وقد وزعت علينا مطبوعة ومطلعها:

يا فلسطين اسلمي نلت السلامة
اسلمي يسلم لنا شعب الكرامة
شعبك الصادق في عزته
أصبح الآن مثالاً للشهامة
أرخص الأرواح في حفظ الذمار
وارتضى بالموت في حب الديار
يا له شعب أصيل الافتخار!

وقد تأثر الحضور حين هتفن:

يا بنات الشرق هذا يومكن
في فلسطين صبايا مثلكن
قُتّلت أو شردت رجالهن
تركوا الأطفال في احضانهن
لم يجدن الآن من يرحمهن
ويعيد النور في بسماتهن
يا الاهي يا الاهي كن لهن

وافتتحت الرئيسة المؤتمر وبصوت جهوري رحبت بالمؤتمرات وأعربت عن اغتباطها «بهذا الاتحاد الذي شد ازرنا ووحد صفوفنا وزاد العروبة قوة ومتانة في هذا الظرف الدقيق باشتراك الجنسين في الدفاع عن هذه القضية العادلة» ثم حيّت أرواح الشهداء من رجال ونساء وأطفال في سبيل الذود عن الحق والكرامة والدين والوطن، ودعت إلى الوقوف دقيقتين تمجيداً لذكراهم. وبعد أن تلت السيدة ساذج نصار البرقيات والرسائل التأييدية منها من سماحة المفتي الحاج أمين. وقيادة الثورة، وشيخ الأزهر مصطفى المراغي، وعقيلة الزعيم الشهبندر، ومحمد طلعت حرب باشا. وجمعيات وأندية في فلسطين والمهجر والبلاد العربية وبهي الدين بركات باشا. وشارل كراين (رئيس لجنة الاستفتاء الأميركية). عادت الرئيسة إلى الخطابة فتحدثت عن الفظائع التي نزلت بفلسطين وعن نكث بريطانيا عهودها للعرب «وفي الوقت نفسه تعطي اليهود في السر عهداً بأن تكون فلسطين لهم، أي تبيع جلد السبع قبل اقتناصه»، وبعد أن فندت تصريح بلفور تطرقت إلى مؤتمر افيان الذي عقد بناء على اقتراح الرئيس روزفلت رأفة باليهود الذين يبيدهم الألمان «ذلك المؤتمر

الذي لم يجرؤ ممثل أية دولة فيه حتى ولا ممثلو بريطانيا وأميركا على التصريح باستعداد حكومتيهما لقبول هؤلاء المنبوذين.. بيد ان فلسطين التي لا تربطها بهم آصرة قرابة أو جنسية قد وسعت منهم إلى الآن أربعمئة ألف نسمة، ورودوس التي أسسها سيسل اليهودي رفضت رفضاً باتاً قبول هجرة اليهود إليها»، ثم اتهمت بريطانيا «بأنها تقوم بمهمة النخاسة في أبشع مظاهرها بمحاولتها تسويد الصهيونيين على شعب رغم انفه وتمليكهم أراضيه» وعرجت على سياسة بريطانيا في الحبشة وتشيكوسلوفاكيا والسوديت فانتهت إلى ان بريطانيا لا تستأسد إلا على الأمم الضعيفة ولا تحترم إلا القوة، ثم بشرت الأمة العربية بأنها ستستعيد مجدها باذن الله وينبثق من سمائها نور الحضارة الحقيقية، وطالبت بريطانيا بأن تعامل فلسطين كالعراق ومصر، كما طالبت اليهود المواطنين «بالتضامن معنا في أرجاع الصهيونيين عن أحلامهم» وشكرت الملك فاروق وحكومته والصحافة وأثنت على واصف غالي باشا «الذي كان أول مصري ارتفع صوته رسمياً بالدفاع عن فلسطين في عصبة الأمم» كما شكرت عبد الفتاح يحيى باشا وزير الخارجية لدفاعه الأخير عن فلسطين في العصبة، وانهت كلمتها الرائعة بتحية أبطال فلسطين ومفتيها وزعمائها.

وألقت السيدة طرب عوني عبد الهادي (كريمة الشهيد سليم الأحمد عبد الهادي) كلمة فلسطين وقد حيت السيدة هدى ومَجَّدت المؤتمر وأسمعت صوت ثورة المظلومين. ثم ألقت السيدة بهيرة نبيه العظمة كلمة سورية فحيت مصر لانتصارها لقضية فلسطين التي هي جزء لا يتجزأ من القطر الشامي وأشادت بذكر السيدة شعراوي، ونوهت بخطورة المؤتمر التاريخي وتحدثت عن فلسطين وحقوقها وثورتها ومكابداتها ومطالبها القومية.

ثم هزت الحضور السيدة نجلا جورج كفوري بخطبة رائعة بدأتها بالحديث عن اجتماع ميونيخ في الشهر المنصرم «حيث انطلقت البشرى بنجاة العالم من كارثة الحرب فهلل العالم وأقامت انجلترا أفراحاً لم تقمها أيام النصر ورنت أجراس الكنائس رنة العيد وارتفعت أصوات الآباء والأمهات نحو السماء ترتل قول المسيح: «وعلى الأرض السلام!» في تلك الساعة كانت جيوش الانجليز تسلط على أهل بيت المقدس مهد المسيح نيران البنادق وحمم الدبابات والطيارات، وفي تلك الساعة كانت تقرع أبواب السماء حشرجات القتلى وزفرات الجرحى ونحيب الثكالى وعويل اليتامى متصاعدة في بيت المقدس، مهد المسيح شاكية إلى الخالق جور الانجليز وعدوانهم الشنيع. هكذا بينما هم يصلون له في لندن يبيعون قبره في فلسطين» وحملت حملة شعواء على السياسة البريطانية مبرهنة على «ان خصمنا هو بريطانيا والمسألة بيننا وبينها مسألة مصلحة تريد أن تؤمنها بقوتها ولو أفنت شعباً بكامله» ومما قالته: «ان دولة يهودية في فلسطين ستكون شوكة في جنب هذا الجسم العربي الكبير وحجر عثرة في سبيل هذه المملكة العربية العظمى التي حلمنا بها ونعمل لها.» ومجدت الثورة وأبطالها وقالت: «ثم لعمري إذا لم نستطع اللحاق بهم، نحن نساء العرب لنطعم نيران الانجليز من جسومنا ونشبع نهمهم من لحومنا فإن في وسعنا ومن واجبنا أن نؤاسي جرحاهم ونخفف بلواهم ونوفر لهم من المدد ما يكون لهم عوناً على المعتدي». وانهت خطابها: «ان الناس عندما يسمعون بمؤتمر نسائي يعقد لبحث مأساة فلسطين، لا يتصورون إلاّ جماعة من النساء يندبن ويبكين بالدمع السخين، ولكن لأول مرة نريد ألا يحقق هذا الظن فينا! لقد بكى العرب مرة واحدة على أطلال الحمراء ولن يبكوا مرة ثانية على أنقاض فلسطين. إن في فلسطين مبكىً واحداً هو لليهود ولن يكون فيها مبكى آخر للعرب».

أما السيدة ايفلين بسترس فقد فندت بخطابها بالفرنسية مزاعم الصهيونية، بعد أن مهدت لخطابها بقولها: «انني عزمت على أن أخطب باللغة الفرنسية لكي أبلغ الغرب رسالة نداء قلوبنا العربية» وانهت خطابها: «...واننا في سبيل الدفاع عن فلسطين مستعدون لتعريض نفوسنا للموت.. واذا كان في بريطانيا العظمى امهات يستطعن أن يسلحن أبناءهن لطعننا، فليجيئوا ليمنحونا تاج الاستشهاد وليكللوا رأس فلسطين الشهيدة بالشوك ثانية».

وعقبتها السيدة وحيدة حسين الخالدي فحيَّت مصر وتحدثت عن سياسة الانتداب التهويدية وجهاد فلسطين وثورتها ودور المرأة فيها. ثم عقبتها الآنسة صبيحة ياسين الهاشمي (العراق) فتحدثت عن أهمية المؤتمر وخطر الصهيونية وصوت المرأة العراقية في نصرة فلسطين وحيّت وشكرت «زعيمة نساء العرب أجمع هدى شعراوي». ثم عقبتها السيدة عقيلة شكري ديب

(فلسطين) وتحدثت عن العلاقات بين مصر وفلسطين، وذكريات فلسطين التاريخية المقدسة وانتهت إلى «أن فلسطين جزء من البلاد العربية، بل هي ثغرها البسام، فهي ليست لأهلها فقط ولكنها للعرب أجمعين.. فلسطين. فلسطين: لن نتركك ووراءك مصر وسورية والعراق ولبنان والجزيرة وسبعون مليوناً من العرب ومئات الملايين من المسلمين.».

ثم عقبتها السيدة عزيزة عثمان لبيب، ومع أن زوجها مصري فقد اختارت ان تتكلم باسم المرأة الايرانية معلنة تضامنها مع المرأة العربية حتى تنجو فلسطين.

وعقبتها الآنسة زليخا الشهابي سكرتيرة جمعية السيدات العربيات بالقدس فلخصت القضية الوطنية وأدوار الكفاح الوطني وتبعة بريطانيا.

ثم عقبتها الآنسة ايفا حبيب المصري، رئيسة مجلة «المصرية» بخطاب مؤثر وقد هتفت فيه بالمجتمعات: «ارفعن الأصوات يا كرائم العرب، وايقظن الضمير البشري» ونددت بالسلطات البريطانية وتساءلت عن مصلحتها في كسب عداوة الشعوب العربية ثم قالت: أريد أن أقول كلمتي كمسيحية: «اننا منذ زمن طويل نبذنا كل تعصب أعمى وأدركنا ان الرابطة الوطنية هي أقوى الروابط، وان الدين لله والوطن لكل المواطنين، والوحدة العربية لجميع العرب والرابطة الإنسانية لجميع خلق الله» وتطرقت إلى الحروب الصليبية لانقاذ القدس وقالت: «مع ان المنصفين يعلمون ان الدول الاسلامية أحاطت قبر المسيح بالاكرام والاجلال والتبجيل وحبته كل صفوف الرعاية، فان المسلمين يعدون المسيح نبياً كريماً هو روح الله، فلم يكن بأس في أن يكون قبره في ملكهم ورعايتهم.. وأن بسط السلطان اليهودي على فلسطين على ما هو معروف عن رأي اليهود في المسيح اذلال لذلك القبر وصاحبه وتعريض به لما تنفر منه جميع الأمم المسيحية.. أفيصلب اليهود المسيح مرة في عهد بيلاطس ثم يصلبونه مرة أخرى في ظل عهد بلفور؟ وهل يكون يهودا الاسخريوطي في هذه المرة الشعب الانكليزي؟» وبعد أن حيَّت أبطال الجهاد الفلسطيني هتفت بالفلسطينيات: «فمحنتكن هذه هي محنتنا، بل هي محنة الانسانية.. وسنشاطركم الفرح كما شاطرناكن الأسى. اذكرن دائماً شعب مصر واذكرن صديقتكن الوفية هدى شعراوي.».



الوفد اللبناني: في الوسط السيدة نفيسة محمد علي علوية وإلى اليمين السيدة إيفلين بسترس. فالسيدة نجلا الكفوري وعلى يسارها أمينة فؤاد سلطان فالسيدة حياة نور الدين بيهم.

وهنا ألقت إحدى تلميذات مدرسة الاتحاد النسائي قصيدة الشاعر الكبير أحمد محرم ومطلعها :

جمع المشارق في «المؤتمر»
فقل للمغارب : أين المفر؟

وقمن على الحق ينصرنه
وقامت وراء الدروع الأزر

وفيها يخاطب فلسطين :

تنام البراكين عن همها
وما نام بركانك المنفجر

والفلسطينيون ؟
– يحامون عن عرضنا بالسيوف
ونخذلهم؟ تلك احدى الكبر!

وبعد انتهاء الجلسة هرعنا لزيارة المعرض الذي اقيم في الاتحاد لمصنوعات فلسطين وتحفها ، وفي الطريق إلى المعرض سمعت الأستاذ أحمد لطفي السيد ، مدير جامعة فؤاد الأول يقول لنجلا الكفوري : «لا أذكر اني صفقت في حياتي لأحد ، ولكني رأيتني متأثراً بخطابك ، فلم أتمالك نفسي من التصفيق لك » .

اليوم الثاني ١٦/١٠/٣٨

بعد ان افتتحت السيدة هدى الجلسة الثانية ، ألقت السيدة نازك العابد بيهم خطابها ، فركزت فيه على طمع الصهيونية في بناء الهيكل على أنقاض الحرم الشريف ورددت قول المطران حجار ، مطران الكاثوليك في حيفا : «إن اليهود جاءوا يشلحوننا أيضاً ، نحن النصارى ، القبر المقدس . جاءوا يجلوننا عن أراضي سيدنا يسوع المسيح وهم صالبوه» وتحدثت عن الخطر الاقتصادي الصهيوني على مصر خاصة ، ودعت السيدات إلى أن يكنّ لأولاد المجاهدين أمهات ولنسائهم أخوات .. وتلتها السيدة سعاد فهمي الحسيني فتحدثت عن الفظائع الانكليزية التي تقع يومياً في فلسطين «دون أن تدفع الغيرة على السلام دولة واحدة من الاثنتين والخمسين دولة التي وافقت على وعد بلفور لكي تضع حداً لهذه المآسي التي لم يسجل التاريخ أفظع منها» .

وعقبتها الآنسة رفيعة الخطيب (العراق) فتحدثت عن رأي المرأة العراقية في قضية فلسطين وعن مهمة المرأة العربية ، وبشرت بفكرة اتحاد مصر وسورية وفلسطين وشرق الأردن والعراق فتصبح ولايات متحدة .

وتلتها السيدة ملك حمدي حلاوة فتحدثت عن حق الأمة في التمتع باستقلالها التام وطالبت برسم خطة عملية لانقاذ فلسطين تشترك المرأة العربية فيها ، ونوّهت ببطولة المرأة الفلسطينية وضربت على ذلك الأمثال من قصص الثورة الرائعة .

وكانت الآنسة حنيفة أحمد علي علوية متحمسة في توكيد عروبة فلسطين والتنديد ببريطانيا وقالت عن شهداء فلسطين انهم سفراء لنا عند الملكوت الأعلى يشكون للمولى القدير نقض العهود وظلم الإنسان لأخيه الانسان .

وتلتها ، السيدة ماري عبد المسيح وزير (العراق) بكلمة قالت فيها : ان كل واحدة منهن تعتبر فلسطين وطنها وان كل ما تملكه فداء هذا الوطن .

أما الآنسة نبيهة ناصر ، مديرة مدرسة بيرزيت (فلسطين) فقد ركزت كلمتها على الدعوة إلى قيام اتحاد عربي كاتحاد الولايات المتحدة الأميركية مؤكدة ألاّ حياة لأهل فلسطين إلا كجزء من الأمة العربية المتحدة .

وتحدثت السيدة ريا القاسم عن ابتلاء فلسطين الصغيرة ببلاءين : اليهود وبريطانيا ونوهت ببطولات المجاهدين .

وارتجلت السيدة منيرة ثابت صاحبة جريدة «الأمل» العربية و«الاسبوار» الفرنسية كلمة بليغة دعت فيها إلى عمل حاسم منتج وقدمت اقتراحات عملية مفيدة .

وتحمست الآنسة زينب الغزالي رئيسة جماعات الشابات المسلمات فألقت كلمة موجهة إلى رجال العرب ونسائهم وخاطبت المؤتمرات «ان اجعلن من الشجاعة صراطاً ومن تاريخ أمهاتكن العربيات نبراساً ثم اقتحمن صفوف الجهاد والعمل» .

وفي التاسعة والنصف رفعت الجلسة على أن تعقد الجلسة الأخيرة بعد غد .

اليوم الثالث ١٧/١٠/٣٨:

كان اليوم يوم فلسطين لجمع التبرعات لفلسطين وقد قسم السيدات العاصمة إلى مناطق لتوزيع طوابع قرش فلسطين الذي أعده الاتحاد النسائي كما وزعت

مداليات الاتحاد النسائي وعليها صورة الحرم الشريف وكنيسة القيامة لقاء تبرعات لمنكوبي فلسطين.

وزارت المؤتمرات بنك مصر ومساجد القاهرة ودور الصحف وأقامت عقيلة رئيس الوزراء محمد محمود باشا لهن مأدبة غداء كما أقيمت لهن حفلات تكريمية من قبل آل الحلبوني في فندق الكونتننتال وفي النادي الفلسطيني وحفلة ساهرة في النادي الشرقي بدعوة عقيلة الدكتور رشيد كرم.

اليوم الأخير ١٨/١٠/٣٨ :

في الخامسة مساء عقدت الجلسة الأخيرة للمؤتمر. حضرها جمهور من رجالات مصر وكتابها. امتدت الجلسة أربع ساعات ونصف الساعة. أحسست وأنا في الشرفة بجانب فارس الخوري ونسيب البكري ان فلسطين في قلب كل عربي وعربية. الرئيسة هدى ألقت خطاباً مؤثراً دعت فيه «مصر زعيمة البلاد العربية إلى البرهنة على جدارتها بهذه الزعامة بوقوفها حكومة وشعباً في وجه التيار الصهيوني واتخاذ التدابير الحازمة لمقاومة الصهيونية وبهذا لا تحمي فلسطين فقط، بل تحمي نفسها أيضاً».

وتلت الآنسة ايفا حبيب المصري، مقررة لجنة الاقتراحات تقرير لجنة الاقتراحات والقرارات للمقترحات فجرت الموافقة عليها بنداً بنداً بعواصف من التصفيق والهتافات. وقد تحدث التقرير عن بزوغ الحركة العربية ونشوب الثورة العربية وصدور تصريح بلفور وصك الانتداب واستفتاء لجنة كراين والنضال الفلسطيني وثورات فلسطين وأهدافها ولجان التحقيق وتقارير الخبراء وخطر الصهيونية على العرب والاضراب العظيم ومؤتمر بلودان ومواقف البلاد العربية في رفض التقسيم.

القرارات :

أما القرارات فقد جاءت في اثنين وعشرين قراراً، فالأول يحمل دول أوروبا مسؤولية نكبة فلسطين «وان على دول الحلفاء ان تسوي تلك المشكلة على قاعدة العدل والانصاف». وقضى القرار الثاني بمناشدة ملوك وأمراء البلاد العربية والاسلامية التدخل لحل القضية الفلسطينية بالحق والعدل والسعي لوضع حد لسياسة الظلم التي يسلكها الانجليز في فلسطين والثالث يقضي بارسال برقيات إلى تشمبرلن وهتلر وموسوليني ودالاديه ومناشدتهم التدخل وبذل الجهد لحل قضية فلسطين حلاً عادلاً يضمن لها حقوقها، كما سُويت مشكلة السوديت بفضل مساعيهم ولأن السلام لن يسود فلسطين حتى تعترف لسكانها العرب بحقوقهم.

رابعاً – الاتصال بالهيئات النسائية في العالم وبالأخص تلك التي تشتغل منها بخدمة السلام وابلاغها قرارات المؤتمر وبسط القضية الفلسطينية، وحقوق العرب في بلادهم بسطاً وافياً وحثها على الانتصار لقضية الحق في فلسطين.

خامساً – يؤيد المؤتمر مطالب العرب في فلسطين وهي :

١ – إلغاء الانتداب على فلسطين وتحل محله معاهدة تعقد بين سكان فلسطين وبريطانيا على مثال معاهدتَيْ العراق ومصر وتنشأ بموجبها في فلسطين دولة دستورية ذات سيادة.

٢ – اعتبار وعد بلفور باطلاً من أساسه ولا قيمة له.

٣ – ايقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ايقافاً تاماً وفوراً.

٤ – منع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود والأجانب.

٥ – رفض تقسيم فلسطين رفضاً باتاً واعتبار فلسطين وحدة تامة لا تتجزأ.

سادساً – يستنكر المؤتمر سياسة بريطانيا في فلسطين القائمة على البطش والتنكيل ويحتج على قتل النفوس البريئة وتدمير القرى الآمنة ونسف البيوت وتعذيب المعتقلين واضطهاد الحريات وفرض الغرامات.

سابعاً – يطالب المؤتمر باطلاق سراح المسجونين والمعتقلين السياسيين واعادة الحرية إلى أبناء البلاد المبعدين والمشردين.

ثامناً – يقرر المؤتمر ان كفاح العرب في فلسطين هو دفاع عن وجودهم وعن مستقبل الأمة العربية، ولذلك فهو جهاد مشروع تسوّغه جميع الشرائع ومن واجب كل عربي وعربية اسداء المساعدة الإنسانية إليهم بجميع أشكالها.

تاسعاً – يستنكر المؤتمر الحملات الصحفية

الأجنبية المغرضة على المجاهدين الأطهار بتأثير نفوذ اليهودية العالمية وتلقيب هؤلاء الشرفاء المدافعين عن وطنهم وشرف أمتهم بقطاع الطرق واللصوص والأشقياء!

عاشراً – ارسال البرقيات للمستر شمبرلن رئيس وزراء بريطانيا وإلى عصبة الأمم ورؤساء الحكومات الأوروبية بالاحتجاج على سياسة البطش والتنكيل في البلاد المقدسة وابلاغهم ان اعتزام بريطانيا على حشد قوات عسكرية جديدة في فلسطين لن ينفع في اعادة السلام وتهدئة الحال وانما يزيد نار الثورة اشتعالاً والخرق اتساعاً.

حادي عشر– الابراق للرئيس روزفلت والاعراب له عن تألم سيدات الشرق من تصاعد الأصوات المغرضة في الولايات المتحدة بالانتصار لباطل اليهود على حق العرب الصريح ومناشدته باسم السلام الذي يحرص عليه ألا تكون الولايات المتحدة بتأثير نفوذ اليهود من عوامل استمرار شقاء سكان البلاد المقدسة.

ثاني عشر– يعتبر المؤتمرأن اصرار بريطانيا على سياستها في فلسطين بعد أن تجلّى لها اجماع العرب، نسائهم ورجالهم، شعوبهم وحكوماتهم على المطالبة بأنصاف العرب في فلسطين، إنما هو عمل عدائي مقصود موجه نحو العرب والاسلام.

ثالث عشر– يقرر المؤتمر تشجيع البضائع والمتاجر الوطنية العربية والاستغناء عن غيرها على قدر الامكان.

رابع عشر– يقرر المؤتمر أن تتألف في البلاد العربية لجان من السيدات للدفاع عن فلسطين من المندوبات في المؤتمر ومن ينضم إليهن، على أن تكون لجنة مصر هي اللجنة الرئيسية المركزية التي ترتبط بها فروع العراق وسورية ولبنان وفلسطين، وهذه اللجان تقوم بتنفيذ قرارات المؤتمر وتستمر في الدفاع عن قضية فلسطين.

خامس عشر– يقرر المؤتمر ان تحال إلى لجنة سيدات مصر المركزية للدفاع عن فلسطين دراسة وتنفيذ الاقتراحات التالية بالاتصال مع لجان الأقطار العربية الأخرى:

١ – انشاء مكتب دعاية رئيسي للقضية الفلسطينية العربية في القاهرة له فروع ومكاتب استعلامات في المدن العربية الأخرى.

٢ – تخصيص أيام لفلسطين تجمع فيها الاعانات وتبذل الجهود انتصاراً لقضية فلسطين.

سادس عشر– يشمل هذا القرار الموافقة على مقترحات جمعية الاتحاد النسائي المصري بالنيابة عن سيدات مصر وتتلخص في الالتماس من جلالة ملك مصر أن يشمل أرامل وأيتام فلسطين بعطفه ومطالبة وزارتي الداخلية والمعارف بمساعدة أبناء فلسطين في دخول المعاهد العلمية ومطالبة جمعية الهلال الأحمر بانشاء قسم خاص لجرحى فلسطين وارسال الأدوية المجانية لهم ومطالبة وزارة المعارف وادارة المعاهد الدينية بايواء وتعليم أيتام ويتيمات فلسطين من أبناء وبنات الشهداء مجاناً، وتوصية وفود الأقطار العربية بإجراء ما يماثلها في أقطارهن.

وتشمل القرارات ١٧ و١٨ و١٩ شكر وتحية جلالة الملك فاروق الذي انعقد في عهده أول مؤتمر نسائي عربي، والشعب المصري وحكومته التي أتاحت للمرأة العربية من جميع بلاد العرب أن تعرب عن رأيها وأن تعلن وقوفها إلى جانب الرجل العربي صفاً واحداً في الدفاع عن فلسطين، وتحية الأكبار إلى المجاهدي فلسطين واحرارها المعتقلين والمبعدين ولجنتها العربية العليا وعلى رأسها سماحة مفتي فلسطين الأكبر وشكر صاحبة العصمة هدى شعراوي والاتحاد النسائي المصري.

أما القرار العشرون فيقضي بالمطالبة بتجريد اليهود من السلاح أسوة بالعرب.

الحادي والعشرون – الابراق إلى قداسة البابا ورئيس أساقفة كنتربري ولسائر رؤساء الأديان في أوروبا وأميركا.

ألثاني والعشرون – الابراق إلى سيدات الهند لاشتراكهن في الدفاع عن حقوق المرأة والقضية الفلسطينية مع مناشدتهن المثابرة على هذه المؤازرة.

كلمات الختام:

وبعد الموافقة على المقررات نهضت السيدة متيل مغنم فحيَّت باسم فلسطين الثائرة مصر ملكاً وحكومة وسيدات ورجالاً وأكدت مطالب الشعب العربي



جلسة انتخاب مكتب المؤتمر.

من اليمين إلى اليسار: هدى شعراوي،حرم فؤاد سلطان بك، طرب عوني عبد الهادي، عادلة بيهم الجزائري، بهيرة نبيه العظمة، حياة نور بيهم، ساذج نصار، فثريا الريس، وإلى يسارها حرم محمد علي علوبة باشا، وجميلة شنسب، فرلان مردم بك، فحرم شكري ديب فوحيدة حسين خالدي فزليخا الشهابي.

من الخلف سيزا نبراوي، وإلى يمينها نعمت كامل هانم، فماري كحيل فنجلا كفوري، فرفيعة الخطيب، فملك حلاوة، زهية نشاشيبي وإلى يسارها الآنسة تحية محمد فحنيفة كريمة أحمد علي علوبة بك.

الفلسطيني، وعقبتها المربية المصرية الباحثة الآنسة زينب الحكيم فحيت وباركت وقالت: «ان كلمة المرأة من كلام الأقدار..» وأشارت إلى ما أثبته العلم من ان الأصول الأولي للفراعنة من أقحاح العرب الذين وفدوا من الصحراء الجنوبية ونددت بالتقسيم وضربت أمثلة عن بطولات المجاهدين مما شاهدته بنفسها في رحلة إلى بلاد الشام. وعقبتها الآنسة منيبة ثنيان (العراق) فطالبت باقران القول بالعمل وعاهدت الحضور باسم مندوبات البلاد العربية على الدفاع عن قضية فلسطين حتى تتحقق الآمال.

وهنا تلت الآنسة زليخا الشهابي كلمة فلسطين الختامية ومما قالته: «وسنعود إلى فلسطين مقتنعات بأن أهل فلسطين ليسوا وحيدين في ميدان الجهاد المقدس لتخليص بلادهم»، وحيّت هدى شعراوي ونساء مصر والعراق وسورية ولبنان.

ووزعت السيدة ساذج نجيب نصار بياناً سلسلت فيه تاريخ الحركة الصهيونية وأنذرت بأن الكارثة تهدد الاسلام والعروبة ودعت إلى اتحاد العرب في السياستين الخارجية والداخلية.

ونهضت الرئيسة لتلقي كلمة الختام فعاهدت المؤتمرات على العمل على انقاذ فلسطين وحملت الوفد النسائي تحية إلى السيدة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي العربي ببيروت التي حال مرضها دون حضورها، كما حيّت المجاهدين والزعماء الأحرار وقد أحسست بقشعريرة كهربائية حين وقفت المندوبات ينشدن:

يـا ظلام السـجن خـيِّـم
انـنـا نهوى الـظلامـا
لـيس بـعـد الـلـيـل إلاّ
فـجـر مجد يـتـسـامى

وفيها:

وتـعـاهـدنـا جـمـيـعـاً
يوم أقـسـمـنـا الـيـمـيـنـا
لن نخون الـعـهـد يومـاً
واتخذنـا الصدق ديـنـا

وأدهشني أن يندمج بهذا النشيد (الذي نظمة الاستاذ نجيب الريس في معتقل ارواد) نشيد آخر من نفس الوزن والقافية نظمه الشاعر ناصر عيسى على



الوفد العراقي : يحيط بالسيدة الرئيسة هدى شعراوي من اليمين ماري عبد المسيح وزير، منيبة ثنيان . أمينة فؤاد سلطان ، صبيحة ياسين الهاشمي - رفيعة الخطيب ـ حواء ادريس.

لسان الشهداء : حجازي والزير وجمجوم ساعة شنقهم ، فصار نشيد كل من سار إلى المشنقة وفيه :

يـــا ظلام الـقبر خـيّـم
انـــنـــا نهوى الـظلامـــا
لـــيس بـــعـــد الموت إلا
فـــجـــر مجد يـــتـسامى

وفـيـه :

حـــسبوا الإعـــدام يُـغـني
ذلك الـــعـــزم الهمامـــا
ويحكـــم ، بـــالحق لســـنـــا
نـــرهب الموت الـــزؤامـــا
يـــا بني قومي وداعـــاً
واحـــفـــظوا ذاك الذمـــامـــا
عـــلـــموا الأجـــيـــال أنـــا
فـــتـــيـــةٌ مـــاتوا كـــرامـــاً

وفوجئنا بعد النشيد بفتاة مصرية تعلو المنبر وتهتف بلسان الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي :

يـا فـلسطين أيها الوطن الـدامي
تــقــبَّـل سلام هــذا الـوادي
يـــا أنين الجراح في الآســـاد
وزئير الآســـاد في الأصـــفـــاد
قـــد سمعنـــاك داويـــاً في حمانـــا
فـــمـــددنـــا إلى حماك الأيـــادي

ثم توجهت المندوبات إلى بيت الدكتور محمد بهى الدين باشا بركات رئيس مجلس النواب المصري حيث أقامت لهن عقيلته مأدبة عشاء.

هذا وتنفيذاً للقرار ١٤ القاضي بتأليف لجنة مركزية في القاهرة لتنفيذ مقررات المؤتمر والدفاع عن فلسطين، عقدت المندوبات المصريات اجتماعاً في دار الاتحاد النسائي المصري وجرى انتخاب اللجنة المركزية، والهيئة الدائمة لمكتب المؤتمر على الصورة التالية: الرئيسة : هدى شعراوي. الوكيلتان : نفيسة محمد علي علوية وأمينة فؤاد سلطان.

السكرتيرات : درية فهمي فكري. سيزا نبراوي نجيب. ايفا حبيب المصري.

المستشارات : طرب عوني عبد الهادي. بسيمة عبد الرحمن رضا. حرم حسين عاصم. بهيجة حسن رشيد. كيتي نمر انطونيوس. ماري كحيل. جميلة عطية.

وانصرفت هذه اللجنة إلى تنفيذ المقررات. وكتب التاريخ النضالي : هذا أول مؤتمر نسائي عربي في نهضة العرب.

أكرم زعيتر

فاطمة هاشم



* اسمها لم يطرق الأسماع كثيراً. وهي واحدة من عظيمات النساء العربيات في هذا العصر، فهي والدة الفدائية العربية (أمينة دحبور) التي اشتركت في ضرب طائرة شركة (العال) الإسرائيلية في مطار زيوريخ بسويسرا.

* ولدت فاطمة هاشم في بلدة (كفر عانا) بفلسطين المغتصبة وعاصرت النكبة الأولى عام ١٩٤٨ وكانت ابنتها الفدائية (أمينة) طفلة في الشهر السادس من عمرها في ذلك الوقت.

* رأت فاطمة هاشم بعينيها اليهود وهم يذبحون زوجها وشقيق زوجها وهاجرت أو أجبرت على الهجرة إلى مدينة خان يونس في قطاع غزة.

* اهتمت الأم بتثقيف ابنتها حتى حصلت على الشهادة التوجيهية في نفس السنة التي أصيب فيها العرب بنكبتهم الكبرى بعد هزيمة حرب يونيو–حزيران سنة ١٩٦٧.

* كانت الأم تلقن ابنتها منذ نعومة أظفارها أن واجب كل عربي أن يجاهد الجهاد الأعظم لاستعادة الوطن السليب وشجعت ابنتها حينما وجدت منها رغبة في الانضمام إلى صفوف الفدائيين.

* عندما علمت فاطمة هاشم أن ابنتها اشتركت في عملية زيورخ أطلقت الزغاريد وقالت: «لي الحق الآن أن أسير مرفوعة الرأس».

حرب القادسية



بداية صفحة جديدة في العلاقات العربية الفارسية

د. رضوان السيد

١ – مقدمات الأحداث:

«هذا أول يومٍ انتصف فيه العرب من الفرس وبي نُصروا» قولة ترويها بعض كتب السحر العربية باعتبارها حديثاً صدر عن النبي بمناسبة انتصار قبيلةٍ عربية على أطراف السواد على كتيبةٍ فارسيةٍ جاءت تحاول طردها وحرمانها من مراعيها حوالي العام ٦١٠ م. فقد أقام الفرس منذ القرن الثالث الميلادي إمارةً عربيةً عازلةً بالحيرة هي إمارة اللخميين أو المناذرة في محاولةٍ منهم لتنظيم علاقاتهم بالبدو العرب الذين كانوا يزعجون فلاّحي السواد الفارسي في غمرة بحثهم عن الكلأ والماء. لكنّ أواخر القرن الخامس الميلادي شهدت وعياً عربياً متزايداً بالذات، صاحبته سلبية متزايدة تجاه محاولات البيزنطيين (عبر حلفائهم من العرب الغساسنة) والفرس (عبر حلفائهم من العرب اللخميين) للسيطرة على الجزيرة، وضرب مكة (غزوة أبرهة من اليمن، ومحاولة إقامة ملكٍ بالمدينة تابع للقيصر) التي تصاعدت أهميتها من خلال نظام «الإيلاف» وصارت رمزاً لاستقلالية العرب وتضامنهم. وقد أدّى الضغط العربي المتزايد على إمارات الحدود التابعة إلى عجز هذه الإمارات عن أداء الدور الذي رسمته لها الإمبراطوريتان المتصارعتان؛ فعمل كلٌّ من الفرس والروم إلى إزاحة هؤلاء الحلفاء الصغار، وتولوا بأنفسهم ضبط الأمن على الحدود، فكان اصطدام الفرس ببعض بطون قبيلة بكر بن وائل، ذلك الصدام الذي كانت نتيجته لصالح القبائل العربية للمرة الأولى مما أدّى إلى تخليده في الذاكرة العربية بل وإدراجه ضمن «أيام العرب» الكبرى.

والواقع أنه منذ ذلك اليوم لم تكف قبيلتا بكر وتميم عن التوغل في السواد. وقد جاء هذا التوغل في ظرفٍ مناسبٍ للضعف الداخلي الذي انتاب الإمبراطورية الفارسية الساسانية بسبب حروبها الطاحنة مع البيزنطيين، والصراع على العرش بين أمراء البيت المالك وأميراته. لهذا فإنّ تصميم أبي بكر ثم عمر على اقتحام العراق بعد إخماد «الردّة» نبع من تلك الأخبار التي كانت تتوالى عن مناوشاتٍ متكررةٍ بين البكريين (بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني) والفرس كانت نتائجها لصالح الشيبانيين البكريين غالباً.

اندفع خالد بن الوليد بتوجيهٍ من أبي بكر على رأس بضعة آلافٍ من المجاهدين إلى السواد فوحّد شراذم المثنى تحت قيادته، واعتمد أسلوب الضربات المفاجئة لعزل المراكز المدنية والسيطرة عليها. والحق أنّ خالداً انغمس في صداماتٍ مع التجمعات العربية الموالية للفرس، ولم يتغلغل إلى المناطق الفارسية الخالصة إلاّ في الشهور الأربعة السابقة على انتقاله إلى

● د. رضوان السيد، مولود عام ١٩٤٩ بترشيش/جبل لبنان، حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٧. مدرّس بقسم الفلسفة بالجامعة اللبنانية. نشر «الأسد والغواص» (١٩٧٨) و«قوانين الوزارة وسياسة الملك» للماوردي (١٩٧٩). له أبحاث في مجلات «الفكر العربي» و«دراسات عربية» و«قضايا عربية».

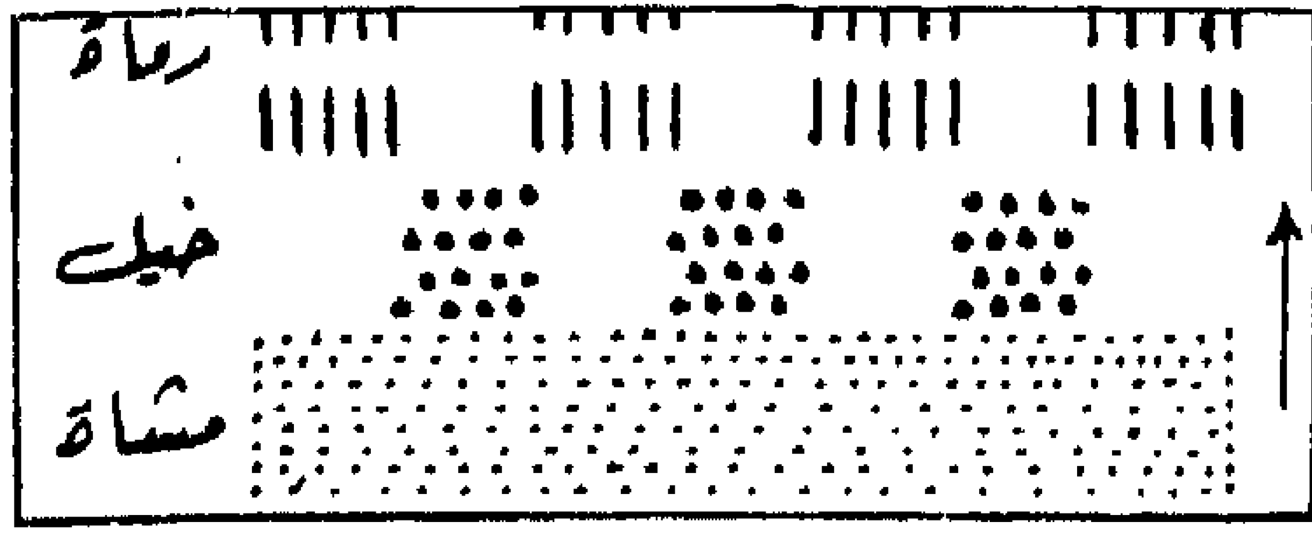
الشام لنجدة المقاتلين العرب هناك.

صاحبت غياب خالد عن الساحة العراقية ظواهر عدة كلها لغير صالح العرب؛ فقد توفي أبو بكر بعد شهرين وخلفه عمر مما أدى إلى تغييرات إدارية مهمة. في الوقت نفسه أُصيب المثنى القائد المجرَّب بجراحٍ في احدى المعارك ألزمته الفراش وعجَّلت في وفاته بعد شهور قليلة. وبدأت مقاومة الفرس للطارئين تشتدّ، وتسربت إلى المقاتلين العرب أنباء عن استعدادات ساسانية ضخمة لطردهم من السواد بعد انتظام الأمور داخل الإمبراطورية بتولية يزدجرد الثالث على العرش، وتعيين رستم قائداً عاماً لجيوش الإمبراطورية. وحاول الخليفة الجديد تثبيت صمود العرب في السواد عن طريق إمدادهم بمئات من المتطوعين بقيادة أبي عُبيد الثقفي؛ لكنَّ تسرُّع القائد الجديد مع غياب المثنى أدى إلى مقتله وهلاك الكثير من جنده مما زاد الحالة النفسية للمجاهدين سوءاً.

كانت الاستعدادات لمعركةٍ حاسمةٍ بين العرب والروم بالشام تجري على قدمٍ وساق؛ لكنّ الخليفة الجديد كان مضطراً أمام أنباء زحف الفرس باتجاه سهل القادسية لسحق الشراذم العربية الباقية بعد مقتل أبي عُبيد في موقعة الجسر، لاستنهاض همم العرب لتقديم المزيد من المقاتلين من أجل السواد وعربه. وعندما أحاطت بقائده الجديد سعد بن أبي وقّاص جماعاتٌ لا تزيد على الألفي رجل؛ سارع إلى إرساله باتجاه العراق واعداً بمزيد من الأمداد، وطالباً إليه أن يستحث القبائل العربية في طريقه للانخراط في سوق الجهاد والشهادة. في العراق جمع سعد بقايا رجال الجسر بسرعةٍ وكفاية، واستمع إلى نصائح المثنى ابن حارثة القائد الجريح، ثم تقدم باتجاه القادسية ليجد في مواجهته ستين ألفاً من خيرة جند فارس تحت القيادة المباشرة لرستم؛ القائد العام لجحافل الإمبراطورية الفارسية.

٢ - مناورات الأيام الأولى:

أراد كل من الفريقين اختبار نوايا خصمه، وربما أراد كل منهم شنّ بعض الحرب النفسية باتجاه التأثير على معنويات عدوّه؛ بهذا فقط يمكن تعليل تلك



تعبئة المسلمين

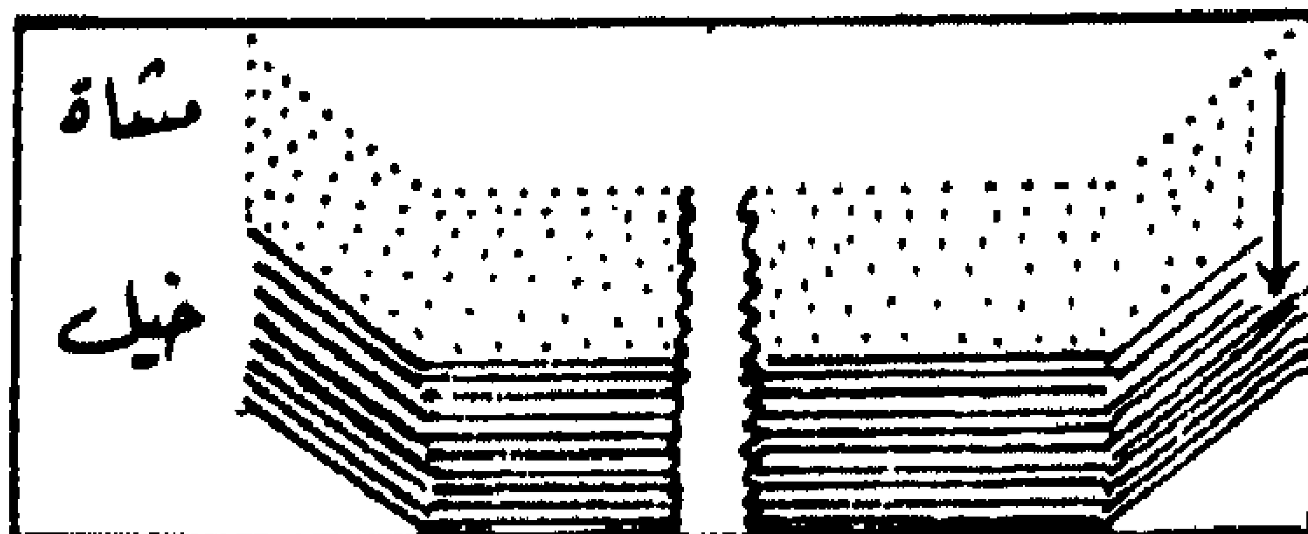
الوفود التي ترددت خلال الأيام الثلاثة الأولى قبل نشوب المعركة؛ وتذكر كتب التاريخ العربية أن رستماً طلب إلى سعد إرسال جماعةٍ من جانبه للاستماع إلى ما يريده العرب. ومضت نخبة من رجالات العرب إلى فسطاط رستم.. وقيل كلام كثير...

رستم عرض أن يعود العرب إلى صحرائهم مقابل إعطائهم ما يكفيهم من طعامٍ ولباس. والعرب قالوا إنهم أتوا ليخرجوا العباد من عبودية العباد إلى عبادة ربّ العباد. وقالوا إنهم لن يعودوا إلى بلادهم إلاّ بعد تحرير فارس من كسرى ورستم. وقالوا إنهم إن انتصروا حققوا هدفهم، وإن استشهدوا دخلوا الجنة.

وهكذا بات الجيشان في إحدى عشيات خريف العام ١٤هـ/٦٣٦م ينتظران بزوغ الفجر، وبدايات الصدام.

٣ - أول أيام الحرب: يوم أرماث:

بدأت صدامات اليوم الأول بمبارزاتٍ تعادلت فيها الكفتان تقريباً؛ حتى إذا جاءت الظهيرة بحرارتها وثورانها التحم الجيشان في معركةٍ ضروس. كان العرب يقاتلون على راياتهم؛ ويعني هذا أنّ نظام الكراديس القبلية كان هو السائد في صفوفهم؛ في حين كان الفرس يتقدمون ببطء بعد الفيلة في مطلع الجيش، تليها صفوف المقاتلين المُشاة المتراصّة فجحافل الفرسان. وفتكت الفيلة بالكراديس العربية الأمامية؛



تعبئة الفرس

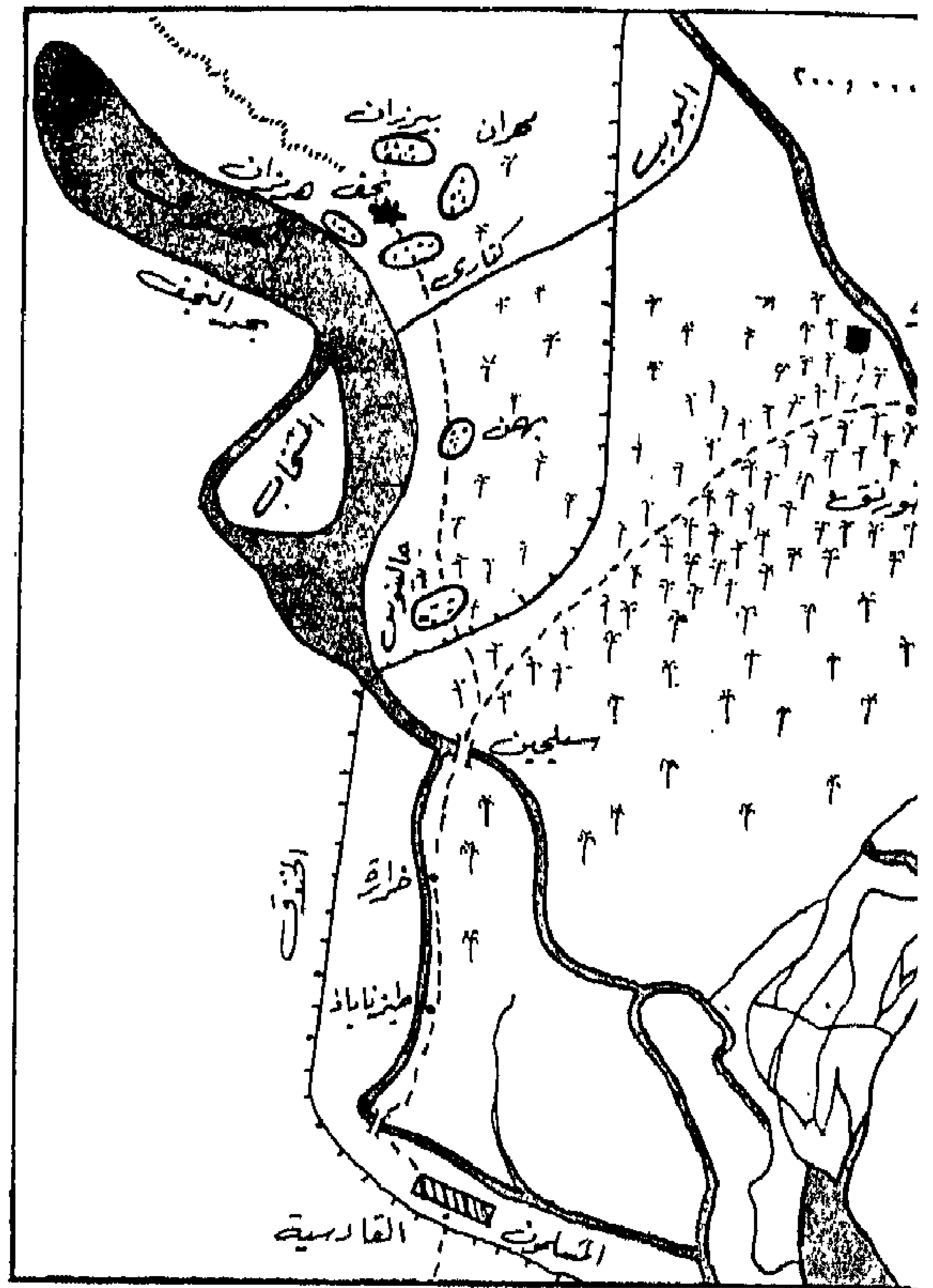
معروفاً أنّ رستماً عاهد كسرى أن يهزم العرب ثم يتتبعهم إلى جزيرتهم لإبادتهم وإزالة خطرهم على الإمبراطورية إلى الأبد. ثم كيف يتراجع أولئك الذين لم يعرفوا منذ سنوات غير النصر أو الشهادة؟!. وطلع فجر يوم أرمات، أول أيام حرب القادسية على كهولٍ متعبين ينقلون جثث قتلاهم إلى سفح المشرّق لدفنهم هناك، في حين انصرفت النسوة للعناية بالجرحى، وإبعاد ذوي القروح الغائرة إلى ساقة الجيش، إلى حيث تقوم شجرة نخيل وحيدة رغبُوا جميعاً أن يقضوا نحبهم على مقربةٍ من جذعها بعد إذ حُرموا رؤية نخيل باديتهم...

أيا نخلةَ الجرعاء يا نخلة العِدى
سقتكِ الغوادي والغيوثُ الهواطِلُ

٤ - ثاني أيام الحرب : يوم أغواث :.

وما أن بزغ فجر اليوم الثاني، وقبل أن ينهض المتعبون متثاقلين لأداء صلاة الصبح، عاجلهم العدوّ بالهجوم رجاء إصابة غفلةٍ منهم، وطمعاً في أن يهزمهم قبل حلول الظهيرة. ولاقاه المقاتلون العرب ببطء لكنْ بثبات، ثم ما لبثوا أن استبشروا بعد أنْ لاحظوا غياب الفيلة، ويبدو أنّ كتائب الفرسان في جيش رستم أرادت إنهاء الأمر بسرعة بدلاً من انتظار نبال الرماة وخراطيم الفيلة وتؤدة المُشاة.. ورغم أنّ سعد بن أبي وقّاص كان ما يزال غائباً عن أرض المعركة بسبب مرضه، إلاّ أنّ القيادة الميدانية العربية المؤقتة استطاعت إدراك أبعاد الموقف بسرعة فقابلت الفرس مزاحفةً بالفرسان والمُشاة. وما أن انتصف النهار حتى ظهر تعادل الكفتين، بل وتصاعد الخسائر الفارسية في العتاد والرجال. وانطلق الفرسان العرب وقد تخلصوا من كابوس الفيلة المرعبة يبدعون تكتيكياً فيعزلون مجموعات من العدو ثم يدمّرونها، ويلتفون على ساقة العدو ومجنبته اليسرى، ويقيمون كمائن لكتائب الفرسان التي كانت تبدّل مواقعها على ساحة المعركة.

ويذكر الأخباري سيف بن عمر هنا أنّ عدة آلافٍ من فرسان اليرموك بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص والتميمي القعقاع بن عمرو وصلت إلى أرض المعركة قادمةً من الشام لنجدة رجال القادسية بتعليمات



مواقع الجيشين قبل المواجهة لأحمد عادل كمال.

في الوقت الذي كان فيه المُشاةُ ذوو الرماح الطويلة يكملون ما تقوم به الفيلة. وتمكنت الكثافة الفارسية أن توقع في الكراديس القبلية ذات العمق القليل خسائر فادحة في الأرواح بالقياس إلى حجم الجيش العربي كله، والذي لم يزد بأي حال عن الثلاثين ألف مقاتل.

وفقد الأسديون وحدهم خمسمائة قتيل، ولم يكن عددهم يزيد على الثمانمائة في الجيش كله.

ويذكر سيف بن عمر التميمي أنّ عاصم ابن عمرو التميمي تقدم على رأس كتيبة الموت التميمية فاستطاع أن يرعب الفيلة عن طريق فقْ عيونها وقطع أذنابها بحيث ولت هاربة في النهاية مرتدةً من حيث جاءت، ساحقةً في طريق فرارها مُشاة الفرس، بل وحملة الرماح على ظهرها!. إذا كان شيء من ذلك قد حدث فعلاً فلا بد أنّ حصوله كان متأخراً بدليل الخسائر الكبيرة التي أوقعتها الفيلة وركبانها في صفوف مجاهدي جيش سعد.

مع ذلك لم يفكّر العرب في التراجع.. فقد كان

ملحمة من عمر بن الخطاب. لكنْ يبدو أنّ سيفاً أراد هنا مرة أخرى أن يبرز تميز قبيلته في صراعات الجهاد الأولى.. إذ يدلّ الجدل بعد الحرب حول اقتسام الغنيمة على أنّ المدد هذا وصل متأخراً بعد انقضاء المعارك.

٥ – ثالث أيام الحرب: يوم عماش:

إذا كان الفرس قد افتتحوا صراع اليوم الثاني بالهجوم فإنّ العرب هم الذين فعلوا ذلك صبيحة اليوم الثالث. لقد تخلّوا عن نظام الكراديس واستبدلوا به نظام الزحف أو المزاحفة في صفوف متراصّة. وقابلهم الفرس المتعَبون بثبات وثقة بالنفس. وكان الفرسان العرب قد فشلوا في اليوم الثاني في الالتفاف حول ميمنة الجيش للوصول إلى كتيبة رستم. وقد عادوا يحاولون ذلك بعد ظهر اليوم الثالث لكنهم لم يوفقوا.. وأدّى ألحاحُهم إلى إحداث بلبلة في صفوف الجيش الهائل فتضامّت صفوفه وتراجعت في غير انتظام لحماية قيادتها وقائدها. وبذلك سيطر العرب على الجزء الأكبر من ساحة المعركة. كان ذلك يحدث عندما كانت الشمس تميل إلى الغروب... وكان رستم يأمل أن يهبط الليل بسرعة ليتمكن من إعادة تنظيم صفوف قواته.. هذا في الوقت الذي زاد فيه أمل العرب في النصر.. وصمموا على متابعة القتال ليلاً!! وسط دهشة الفرس ويأسهم. واضطر رستم إلى دفع كل احتياطيه في أتون المعركة للتخفيف عن فرسانه المتعبين المتراجعين.

كان الفرس يتساقطون بالمئات.. لكنهم لم يكونوا مستعدين للانسحاب أو التراجع ما دام قائدهم حياً يعدهم بالمدد والنصر. وقام العرب في ليلة الهرير هذه بمحاولتهم الأخيرة للوصول إلى رستم. ولم يكن ذلك التفافاً أو تسلّلاً بل اختراقاً لقلب العدوّ بعد أن تراجعت مقدّمته.. وعندما خفّت حدة القتال مع بزوغ فجر اليوم الرابع كانت مجموعة فدائية عربية قد تقدمت حتى بلغت فسطاط رستم الذي ثبت حوله عشرات الجند الذين صمّموا على الموت من أجل قائدهم.

٦ – يوم القادسية: آخر أيام الحرب:

ظن العدوّ المتراجع أنّ التعب هو الذي دفع العرب إلى الثبات في المواقع التي انتزعوها مع بزوغ

معركة القادسيّة (١)

١ : ١٠٠٠٠ ١سم = ١٠٠ متر


معركة القادسية

فجر اليوم الرابع دونما محاولةٍ جادةٍ لمزيد من التقدم. لكن لم تكن تمضي على ذلك ساعتان حتى كان العرب يعاودون الهجوم قبل أن تشتدّ حرارة الشمس. لقد تخلوا عن نظام الصف وارتدوا إلى نظام الكراديس ليتاح لهم الانتقال من التقدم البطيء إلى التقدم السريع القائم على الضربات المفاجئة في شتى النواحي في الوقت نفسه. وعندما كان الأسديون والتميميون والبجليون الشجعان يسحقون بقايا الآلة الحربية العدوّة، كانت مجموعة هلال بن عُلّفة التميمي تقتحم مضرب رستم الذي لجأ إلى الهرب، ثم تتبعه في هربه فتصله وتعود برأسه ورؤوس أركان حربه لتلقيها أمام كتائب العدو التي ثبتت وفي ظنها أنّ قائدها يساندها من ورائها.

وهكذا كانت الهزيمة. وبلغت خسائر العرب العشرة آلاف، في حين خسر العدوّ حوالي الثلاثين ألفاً.

٧ - نتائج الحرب:

ثبّتت حرب القادسية أقدام العرب في السواد، وفتحت أمامهم الطريق للانسياح في إيران كلها. فكانت القادسية إيذاناً بتحول الامبراطورية الفارسية من الهجوم إلى الدفاع؛ في حين أدت معركة نهاوند بعد سنتين إلى انهيار الامبراطورية. لكنّ النتائج العسكرية هذه لم تكن أهم آثار المعركة.

فقد حررت القادسية فلاّحي السواد من إقطاعيي فارس ودهاقينها وحررت الشعب الفارسي من نظام الطبقات الخانق الذي كانت الامبراطورية تقوم على أساسٍ منه.

وفتحت آفاقاً غير محدودة للتعاون بين شعبين عظيمين في بناء الحضارة الإسلامية؛ إحدى أعظم حضارات التاريخ.

ولم تمض على ذلك سنة حتى كان عمر الخليفة الثاني يقول لسلمان الفارسي في محاورةٍ جرت بينهما: ابن مَنْ أنت يا سلمان؟ ويقول سلمان: أنا ابن الاسلام! وتدمع عينا عمر ويجيب: كلنا أبناء الإسلام!.

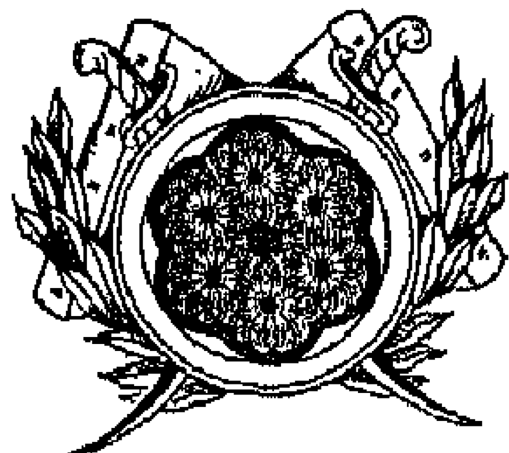
ونسي الجميع دماء القادسية بمن فيهم الخنساء التي فقدت بنيها الأربعة، ولم يعودوا يذكرون منها إلاّ أنها كانت بداية الحياة الحضارية العربية/الفارسية المشتركة.

«فأمّا الزّبَدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكُثُ في الأرض»

تذكر مصادر الحديث النبوي الموثوقة ان النبي قال: لو كان هذا في السماء (وفي رواية أخرى، في النجوم) لتناوله رجال من فارس. واذا كان هؤلاء قد اسهموا في حماية المدينة المنورة من البدو المهاجمين أيام النبي فيما تعرف بغزوة الخندق، فان اسهامهم لم يتوقف منذ ذلك الحين حتى قبل انهيار الامبراطورية الفارسية الطبقية. فقد سارع اساورة السواد إلى الانضمام للعرب قبل القادسية وبعدها والقتال في صفوفهم لتحرير فلاّحي السواد والأجزاء الأخرى من إيران وأواسط آسيا. ولم يأت منتصف القرن الأول الهجري حتى كانت الفئات المضطهدة في المجتمع الطبقي الفارسي القديم قد أخذت مكانها الصحيح في بناء المجتمع الجديد، فتزعم مولى فارسي كالحسن البصري الحلقات العلمية في مسجد البصرة، تلك الحلقات التي كانت أساسية في بناء الأيديولوجية الاسلامية الجديدة.

وقد مثّل سقوط الدولة الأموية اندماجاً نهائياً للفرس في المجتمع الاسلامي بعد عقود من الصراع حول دور غير العرب في المجتمع الاسلامي. لذلك فان الحركات المسماة زندقية أو شعوبية هي حركات من صميم مشكلات المجتمع الاسلامي نفسه، ولا شأن لها بمطامع الفرس القومية وحساسية العرب منهم.

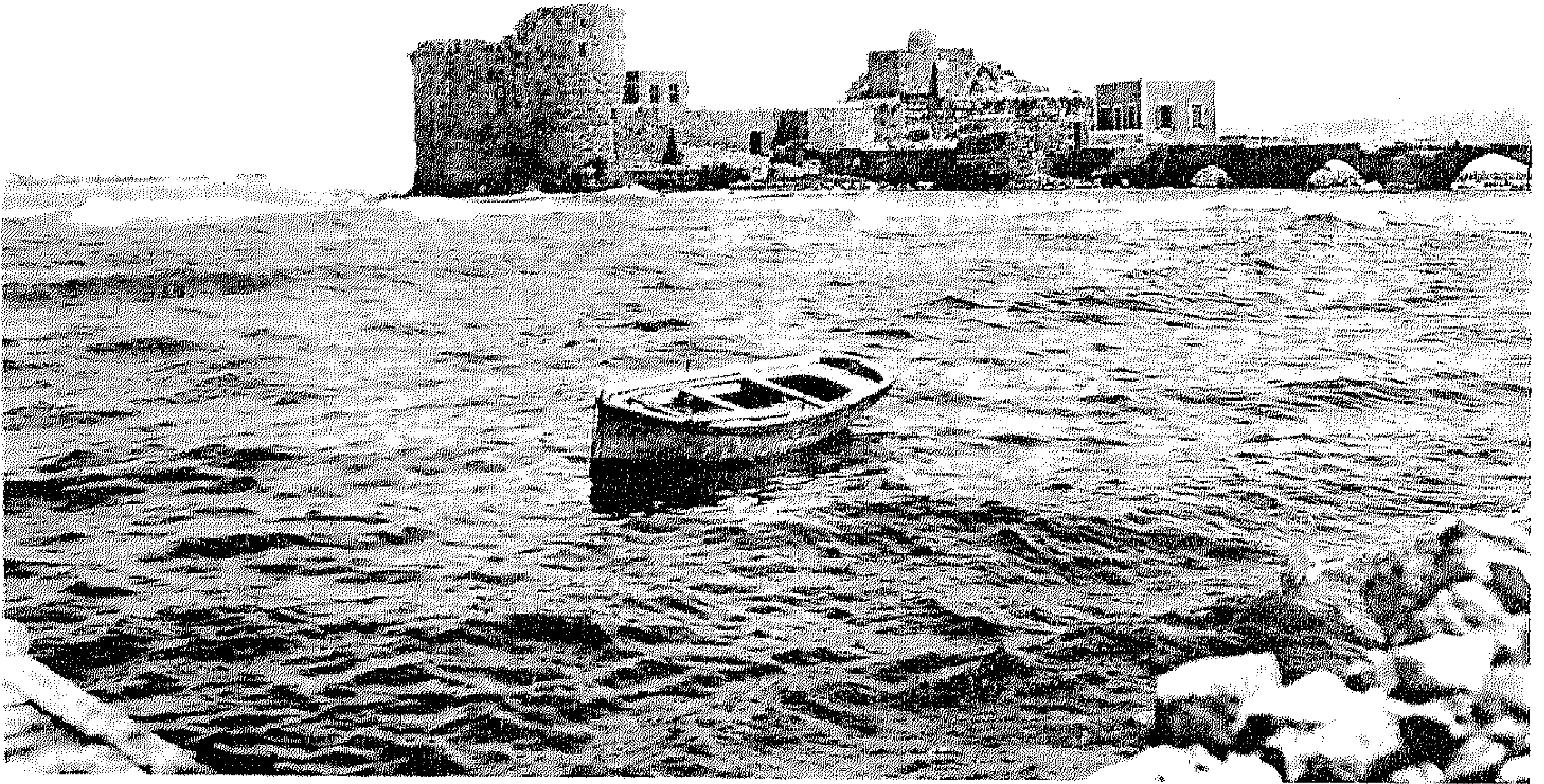
انه بدون الموالي الفرس كالحسن البصري وسيبويه وعبد الحميد وابن المقفع لا يمكن فهم حركية المجتمع الاسلامي من الأول. وهكذا فان معركة القادسية لم تكن فاصل دم واحقاد بقدر ما كانت فاتحة لحضارة مشتركة بين الشعبين.



تاريخ قلعة صيدا البحرية

من نص وقفية الأمير جُلُّبان في عصر المماليك ٨٥٢هـ-١٤٤٨م

د. عمر عبد السلام تدمري



توطئة

● رغم طرد الصليبيين من آخر معقل كان لهم في الأرض العربية بعد سقوط مدينة عكا في يد سلطان المماليك الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م.، فإن الصراع بين المسلمين والصليبيين لم ينته، إذ أن الأخيرين اتخذوا من جزر أرواد وقبرص ورودس وغيرها قاعدة لانطلاق غاراتهم العدوانية على سواحل المسلمين في مصر والشام. وساهم في تلك الغارات تجار الموانئ الأوروبية، وخصوصاً تجار المدن الإيطالية.

ولما كان المماليك لا يملكون أسطولاً بحرياً قوياً يمكنه التصدّي لمراكب الإفرنج الحربية والدفاع عن سواحل مصر والشام، فقد لجأ قادة دولة المماليك إلى وسيلة أخرى تُمثّلت في بناء تحصينات دفاعية من أسوار وأبراج وقلاع على السواحل التي كانت هدفاً دائماً للغارات البحرية وأعمال القرصنة، وخصوصاً في موانيء المدن التي كانت تشهد حركة تجارية نشطة وفي طليعتها - على ساحل الشام - موانيء طرابلس وبيروت وصيدا.

وفي إطار الخطة الدفاعية كان بناء الأبراج في هذه المدن، وتجديد ما تشعث منها بين وقت وآخر. ومن تلك الأبراج أو التحصينات الدفاعية ما يُعرف الآن بـ «قلعة صيدا البحرية». والذي يُعتبر أشهر معالم صيدا الأثرية والتاريخية.

(*) د. عمر عبد السلام تدمري: رئيس قسم الآثار، استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة اللبنانية، فروع طرابلس

تاريخ البناء :

في دراسة عن مدينة صيدا تناول الدكتور سيد عبد العزيز سالم الحديث عن برج صيدا البحري، وبعد وصفه ذكر أن اللوحة التاريخية لعمارة هذا البرج لا تزال موجودة فوق عقد النافذة المطلّة على البحر من البرج، وهي من ستة أسطر. وقد أثبت الدكتور سالم نص الكتابة التاريخية بما نصّه :

(أ) «بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذا الحصن (ب) السعيد المقر الكريم العالم المولوي الإمامي العا (ج) دلي العالمي... ... ... (د) جلبان الظاهري... ... ... (هـ) أنصاره على نيّة الغزاة في سبيل الله تعالى في سنة اثنتين (و) وخمسين (وسبعمائة...)».

ولقد قام الدكتور سالم بعد ذلك بمحاولة تحليل النص لمعرفة صاحب البرج وتحديد تاريخ عمارته، وتوصّل بنتيجة ذلك إلى تقرير أمرين هما :

أولاً : إن منشىء الحصن هو «الأمير جلبان الظاهري الذي لا نعرف عنه شيئاً» !

ثانياً : «.. وعلى هذا الأساس نرجّح تأريخ سنة ٧٥٢هـ. ليكون تاريخ أنشاء البرج المذكور».

ويضيف الدكتور سالم إلى ذلك قوله : «وعلى أساس صحة افتراضنا يمكننا أن ننسب الأمير جلبان الظاهري الذي ورد اسمه في النقش إلى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المتوفى في سنة ٦٧٦هـ.»[1]

وفي هذا المجال يجدر بنا أن نشكر للدكتور سالم الجهد المبذول في دراسته الممتعة لتاريخ مدينة صيدا – ومن قبلها تاريخ طرابلس – على أننا نودّ أن نوضح أن الدكتور سالم قد جانبه الصواب في النتيجتين اللتين توصل إليهما.

أولاً : إن الأمير صاحب الحصن هو «جلبّان المؤيّدي» وليس «جلبان الظاهري». وهو من مشاهير أمراء المماليك. كان نائب السلطنة بدمشق، وقد تولّى أولاً نيابة حماه ثم طرابلس ثم حلب. ومات وهو نائب دمشق في سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٥م) وقد خلّف أموالاً طائلة وأملاكاً كثيرة. ووُصف بأنه كان أميراً جليلاً عاقلاً سيوساً عارفاً بمداراة الملوك، وباشر وقائع، وحضر حروباً، وقاسى خطوب الدهر ألواناً في أيام خدمته للسلطان المؤيّد شيخ المحمودي أيام إمرته، وكان متجمّلاً في مركبه ومماليكه وحشمه، غير أنه كان قصيراً جداً، ووقع له ما لم يقع لغيره من أبناء جنسه وهو أنه أقام أميراً ونائباً للسلطنة بمصر والشام نحو ٤٣ سنة منها ١٥ سنة في نيابة حماه، وهذا لم يقع لغيره إلاّ نادراً. وتولى نيابة السلطنة في طرابلس في شعبان سنة ٨٣٨هـ. ومكث فيها نيّفاً وأربع سنين حيث انتقل إلى حلب في آخر شهر رمضان سنة ٨٤٢هـ. وهو يُعرف بـجُلُبّان المؤيَّدي نسبة إلى السلطان المؤيَّد شيخ المحمودي إذ خدم عنده وجعله أميراً على مائة ثم على ألف جندي في مصر[2]. وهو لا ينتسب إلى الملك الظاهر بيبرس بأيّ حالٍ من الأحوال، إذ بين وفاة الملك الظاهر بيبرس وولادة الأمير جلبّان هذا نحو نيّفٍ ومائة عام.

ثانياً : إن تاريخ عمارة الحصن هو سنة ٨٥٢هـ. (١٤٤٨م) وليس سنة ٧٥٢هـ. (١٣٥٢م) ونستند في تقرير هذا التاريخ إلى نص وقفية الأمير جلبّان الخاصة ببرجه على ساحل طرابلس المعروف الآن ببرج عزّ الدين والذي يقوم بجواره مطعم «الشاطئ الفضي». وقد ألحق جلبّان بوقفيّته وقف برج الثغر بصيدا. وسنذكر النص الكامل لها بعد قليل.

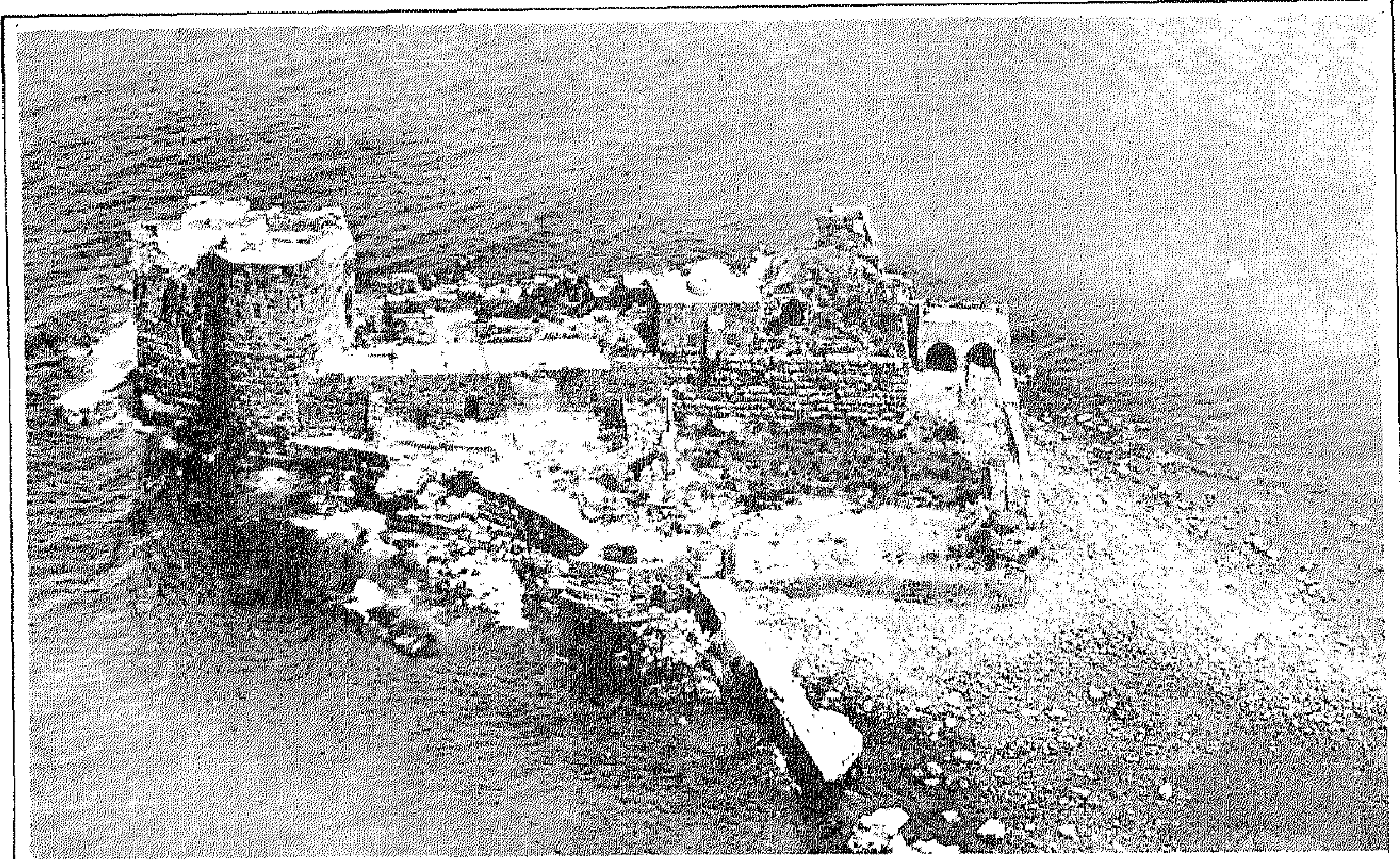
ونتيجة لما قدّمناه نستطيع أن نصحّح الكتابة التاريخية التي قرأها الدكتور سالم ونزيد عليها على النحو التالي :

(أ) بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا الحصن (ب) السعيد المقر الكريم العالي المولوي الإمامي العا (ج) دلي العالمي [ملك الأمراء نائب دمشق سيف الدين] (د) جلبان الظاهري [المؤيّدي أعزّ الله] (هـ) أنصاره على نيّة الغزاة في سبيل الله تعالى في سنة اثنتين وخمسين وثمانماية. غفر الله له..».

وقبل أن نذكر النص الكامل لوقفية برج صيدا نشير إلى أهم العناصر التي تتضمّنها، فهي تحدّد موقع البرج، والهدف من بنائه بأن يكون مسجداً وحصناً للمجاهدين والمرابطين. ثم تحدّد الجهات الموقوفة لصالح البرج والإنفاق عليه. ثم تذكر رواتب الجند المنقطعين للدفاع عنه وهم سبعة أنفار يحسنون الرمي بالنشاب والنبل والبارود، عليهم مقدّم يتولى أمرهم وامر ترميم البرج، ومعهم رجل يتقن عمل البارود، ورجل بوّاب للحراسة، وناظر، ونائب ناظر للوقف.

نص الوقفية :

«بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم. الحمد لله على كل حال. بعد أن أشهدَ على نفسِهِ الكريمة المقر الأشرف العالي المولوي العادلي المجاهدي المرابطي المباهري المؤيّدي العوني الفياتي الحنفي الزعيمي الكفيلي السّندي المالكي المخدوم الكافلي السيفي عِزّ الاسلام والمسلمين ملك الأمراء كافل المملكة الشريفة الشامية الواقف المشار إليه بأعاليه أعزّ الله تعالى أنصاره وضاعف علوّه واقتداره في حال صحته وسابغه انه رجع عما شرطه في كتاب وقفه المسطّر بأعاليه من أن الفائضَ بعدما عيّنه في مصالح البرج المُعَدّ للجهاد في سبيل الله تعالى بمدينة طرابلس المحروسة على شاطئ البحر المالح يصرفه الناظر على ما مرّ من وجوه البرّ والقربات رجوعاً صحيحاً شرعياً حسبما شرط لنفسِهِ الكريمة في كتاب وقفِهِ المذكور أن يزيدَ في وقفه ما شاءَ من أرباب الجوامك ويُنقصه وأن يُعيّن ما شاء واختار. وَقَفَ مولانا ملك الأمراء المقر الأشرف العالي المولوي المسندي المالكي المخدومي الكافلي السيفي جلبان الملكي الظاهري مولانا ملك الأمراء الواقف المشار إليه بأعاليه أعزّ الله تعالى أنصاره: جميع أبنية البرج العامر المعروف بثغر صيدا المحروس على شاطئ البحر الملح المشتمِل على بابٍ خاص وسفل وعلوّ ومرامي من الجهات الأربع ومنافعَ ومرافق. حدّه من القِبلة: شاطئ البحر المذكور، ومن الشرق: الطريق. ومن الشمال: شاطئ البحر المذكور. ومن الغرب: البحر الملح. وَقَفَ ذلك كله وقفاً صحيحاً شرعياً منجزاً لوجه الله تعالى وجعله مسجداً لله تعالى، وحصناً للمجاهدين في سبيل الله تعالى والمرابطين. وحبَسه معبداً وحصناً تقامُ فيه الصلوات الخمس ويأوي إليه أهل الذكّر والمجاهدين (كذا) في سبيل الله والمرابطين (كذا). ويُتلى فيه آيات القرآن، ويُعلَنَ في أعاليه بالآذان، ويُسبّح فيه بالعشيِّ والإبكار، ويُعبد فيه مَن لا تدركه الأبصار. وأذِنَ للمسلمين أن يقيموا الصلاة ويصلّون فيه الصلوات الخمس، ومجاهدة الكفار والرباط فيه لمن يذكر فيه على الوجه المبيّن شرحه فيه. وشَرَط أن تصرف من ريع الحصص الموقوفات بأعاليه والأماكن المحدودة الموصوفة بأعاليه[٣] بأشرطة البرج الموقوف بأعاليه بمدينة طرابلس المحروسة على الوجه المشروح في كتاب الوقف المسطّر بأعاليه، وما يحتاج إليه البرج الثاني بثغر صيدا من عمارة وتنوير وفرش وسلاح من قسيّ وسيوف ونشّاب وآلات حرب وجوامك لمَن يذكر فيه على [الوجه] الذي شرح في كتاب الوقف المسطّر بأعاليه، وأن



القلعة البحرية من فوق.

يُصرف لرجل مسلم من أهل القرآن والعلم الشريف يُحسِن الإمامة والأذان يؤذّن بأعلا (كذا) البرج ويصلّي الصلوات الخمس في كل شهر من الفضة المتعامل بها بدمشق المحروسة مايَة درهم، نصفها خمسون درهماً، ويُصرف لسبعة نفر مسلمين أقجية يحسنوا الرمي بالنشاب والنبل والجلخ والمكحلة وسائر أنواع الحرب في كل شهر من شهور الأهِلّة أربعماية درهم وعشرون بينهم بالسويّة، لكلِّ نفرٍ منهم سبعون درهماً، وأن يُصرف لرجل مسلِم من أهل الدين والخير يكون مقدَّماً على المجاهدين بالبرج المذكور لعمل مصالِحه وإصلاحِ ما به من آلات الحرب على عادة أمثاله في كل شهر من شهور الأهلّة مايَة درهم، نصفها خمسون. وأن يُصرف لرجل مسلم يكون بارودياً بالبرج المذكور لعمل مصالحه وإصلاح ما به من آلات الحرب، ويصنع ما يحتاج إليه البرج المذكورُ من البارود في كل شهر من شهور الأهلّة ستون درهماً. وأن يُصرف لرجل مسلم يكون فرّاشاً وبواباً بالبرج المذكور في كل شهر من شهور الأهلّة ستون درهماً، نصفها ثلاثون درهماً. وشرط مولانا ملك الأمراء الواقف المشار إليه بأعاليه أعزّ الله تعالى أنصاره أن يُصرف للناظر ونايب الناظر والعامل على مباشرتهم على الوقف المذكور وعمل مصالحه ومصالح البرجيّة المذكورين ما عيّنه لهم في كتاب الوقف الأول المسطر بأعاليه[٤]

●

حواشي البحث:

(١) دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي – د. سيد عبد العزيز سالم – ص ١٧٧ – ١٧٩ – بيروت، ١٩٧٠.

(٢) أنظر ترجمة الأمير «جلبّان المؤيّدي» في المصادر التالية:

منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور – نشره وليم بوبر – الفصل الثاني – صفحة ٣٦٢ – طبعة كاليفورنيا – لابن تغري بردي.

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي – لابن تغري بردي – نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ١٢٠٩ تاريخ – جزء ٢ – صفحة ٤.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – لابن تغري بردي – تحقيق د. جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت – جزء ١٦ – صفحة ١٧٤ و١٧٥ – طبعة القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٢.

انباء الغمر في أنباء العمر – لابن حجر العسقلاني – تحقيق د. حسن حبشي – الجزء ٣ – حاشية الصفحة ٦٥ – طبعة القاهرة ١٩٧٢.

. بدائع الزهور في وقائع الدهور – لابن إياس – تحقيق محمد مصطفى – الجزء ٢ – صفحة ٣٢٢ و٣٢٣ – طبعة القاهرة ١٩٧٢.

إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى – لابن طولون الدمشقي – تحقيق عبد العظيم حامد خطاب – صفحة ٥٣ – طبعة القاهرة ١٩٧٣.

الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع – للسخاوي – الجزء ٣ – صفحة ٧٧ و٧٨ – طبعة مصر ١٣٥٤هـ.

(٣) حدّدت الوقفية الجهات الموقوفة على برج طرابلس وهي: أراضي قرية علما، وأراضي قرية إرده، وأراضي قرية كفرفو، وأراضي قرية بعيزق، وأراضي قرية بينو، وأراضي قرية الحصين من عمل المرقب.

(٤) راجع وقفية جلبان المؤيّدي، المؤرخة في سنة ٨٤٥هـ./١٤٤١م. والمكتوبة على رق غزال، في دار الكتب الظاهرية بدمشق – تحت رقم ٤٨٣٨ عام – ولديّ ميكروفيلم مصوّر عنها. وهي بطول ٥ أمتار و ٩٠ سنتميتراً. وآخر تاريخ تحمله الوقفية هو سنة ٨٥٤هـ. أي بعد الانتهاء من بناء برج صيدا البحري. وانظر ذلك: فهرس مخطوطات الظاهرية – التاريخ وملحقاته – ليوسف العشي – صفحة ١٣٧ و١٣٨ – طبعة دمشق ١٩٤٧.



الرحلات عند العرب في العصور الوسطى

وجيه عضاضه



أهمية ادب الرحلات عند العرب :

اشتهر العرب في العصور الوسطى برحلاتهم المختلفة. فقد تركوا لنا كتبا ومجلدات تبين الرحلات المختلفة التي قاموا بها في انحاء عديدة من العالم القديم. فتدوين اخبار الرحلات لم يكن بطريقة النقل أو الرواية عن الاخرين أو السابقين بقدر ما كان بمبادرة شخصية للرحالين انفسهم. يدونون مشاهداتهم وما يقع تحت بصرهم. فهناك الكثير من كتب العرب الجغرافية أصبحت في كثير من صورها ذات طابع رحلات بالمعنى الدقيق بحيث باتت تصور اوضاع الناس وعمرانهم بالعين المجردة وجاء فيها الأحساس الشخصي ازاء بعض الأحداث والمواقف، صادقاً وصريحاً.

ليس معنى هذا أن الرحالين العرب لم ينقلوا عن غيرهم. فنجد على سبيل المثال رحلات بحرية رويت عن بعض التجار والملاحين وهواة البحر. فهذا تاجر يسمى سليمان وقد أصبح اسمه فيما بعد «سليمان التاجر» يقوم بمغامرات في المحيطين الهندي والهادئ. ثم تتسع المغامرة لتشمل البحرين الاحمر والاسود. والمحيط الأطلسي أحياناً رغم صعوبة عبوره من الشرق إلى الغرب فسمي ببحر الظلمات.

هذه الرحلات البحرية تضمنت موسوعة وافرة عن البحار وصعوبة الانتقال فيها. كما تضمنت معلومات عن أنواع الحيوانات الموجودة والأسماك والقوم الذين يسكنون على الشواطئ بأسلوب قصصي بديع.

أما الرحلات البحرية فكانت تتم عبر القوافل بصفة خاصة. ومنها ما هو عبارة عن جولة شاملة في محيط العالم العربي الاسلامي. ومنها ما يتجاوز حدود هذا العالم إلى اقاليم أخرى بعيدة كل البعد عنه حبا في المغامرة وكسبا للمعلومات عن أحوال الشعوب. فتذكر لنا كتب الرحلات ان العرب استطاعوا في رحلاتهم الوصول إلى أوروبا الشرقية، والصين والهند والبلقاربل وإلى افريقيا جنوب خط الاستواء.

فالرحلات عند العرب تعتبر من أهم فنون الأدب العربي. وأدب الرحلات العربي هو رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الادب في تقصيره في فن القصة. ذلك ان ما قدمته كتب الرحلات من قصص عن زنوج افريقية وعرائس البحر وحجاج الهند وأكلة لحوم البشر وصناع الصين وسكان نهر الفولغا وعبدة النار والانسان البدائي وغيره مما يصور الحقيقة أحياناً والخيال حيناً آخر، هو خير دليل على تهافت هذه التهمة.

فاذا عدنا إلى تاريخ الانسان في محاولاته السيطرة على العالم الخارجي من حوله نجد انه ناضل أولاً ضد القوى الحيوانية ثم انتقل في فترة لاحقة إلى مقاتلة القوى الانسانية الأخرى المحيطة به والأقوى منه أحياناً إلى أن استطاع اثبات وجوده والاطمئنان على محيطه. فنشأت القبيلة ثم تكونت الأمة وبدأت حياة الاستقرار والانتقال إلى أقاليم مجاورة لتكشف آفاقا جديدة.

بدأت الرحلات اذن ضعيفة ثم تطورت واتسعت مع الزمن. فالانسان ولد راحلا أي متنقلاً وراء الماء والطعام.

اسباب نشوء الكتابة في الرحلات عند العرب :

الرحلات الأولى عند العرب مسجلة ومحفوظة في دواوين خاصة. ورحلات ملوك مصر في آسيا. وعلى جدران معبد الدير البحري بمصر العليا، تصاوير في غاية البراعة لسفن الملكة حتشبسوت حوالي سنة ١٥٠٠ قبل المسيح من ملوك الاسرة الثامنة عشرة وهي عائدة من رحلتها إلى بلاد «بونت» أي الهند.

من المعروف ان العرب فتحوا البلاد من الهند والصين إلى المحيط الأطلسي وجبال البرانس ومن تركستان وجبال القوقاز إلى السودان، ووصف مؤرخوهم مدن هذا العالم وسكانه أصدق وصف.

ولا بد لنا أن نشير إلى أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين هذه الرحلات وهي حاجة الدولة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تصل اقاليمها، ومن ثم الفت كتب كثيرة في وصف المسالك والممالك. وهذه الحاجة السياسية اقترنت بها حاجة دينية وهي توجّه المسلمين لتأدية فريضة الحج في مكة، إلى جانب ذلك كان التجار يغامرون في البحث عن اسواق جديدة في أراضي جديدة سواء عن طريق القوافل برا أو عن طريق السفن بحراً.

لهذه الأسباب تعددت الرحلات عند العرب بل وتنوعت بتنوع اسبابها وحوافزها السياسية والدينية والاقتصادية ونشأ عند الكثير منهم حب المجازفة فيما وراء المعلوم، حتى ليعتقد ان منهم من وصل إلى اميركا



الشمالية عابرين بصعوبة المحيط الأطلسي وذلك قبل اكتشافها من جانب كريستوف كولمبس، في كتاب «نزهة المشتاق» للادريسي ما يشير إلى قيام بعض الشباب من لشبونة بالتوغل في المحيط الأطلسي مدة شهرين حيث رأوا جزراً وشعوباً غريبة. وليس صدفة ان يكون رائد فاسكو دي غاما في اقتحام بحر الهند من رأس الرجاء الصالح عربي يدعى «ابن ماجد».

رحلات جغرافية:

اهتم العرب بوصف البلاد التي دخلوها في فتوحاتهم وتجاراتهم ففتحت أمامهم مجالات واسعة لم يعرفوها من قبل. ودعاهم ما في القرآن الكريم من اشارات إلى الأمم السابقة إلى أن يطلعوا على ما عند أهل الكتب السماوية من أخبار هذه الأمم وضمنوا ما عرفوا من ذلك تفاسيرهم لآي الذكر الحكيم. ولما اخذوا في العصر العباسي ينقلون ما عند الأجانب من معارف وعلوم نقلوا في ما نقلوه ما عرفه الفرس والهند والاغريق عن العالم القديم وخاصة من الوجهة الجغرافية. وكان مما نقلوه «جغرافية بطليموس». وما أن نصل إلى عصر المأمون بن هارون الرشيد حتى يبدأ تأسيس علم الجغرافيا العربية فتوضع خريطة العالم على أساس خريطة بطليموس. ثم يأخذ العرب في التأليف الجغرافي فيصفون دولتهم التي امتدت مسافات بعيدة في آسيا وافريقية وبعض دول اوروبا وقد امدهم ملاحوهم بمعلومات كثيرة عن اممها وشعوبها.

اتبع الجغرافيون العرب الطريقة الممتعة في وصف عالمهم والعوالم المحيطة بهم. فقد عنوا بصورة خاصة بالحديث عن عادات وطبائع وآثار وعجائب الأمم والشعوب وقصوا ما عندهم من أساطير وخرافات تخلو من الواقع والحقيقة أحياناً.

وكانت الدولة تحتاج من جهة الخراج والادارة إلى معرفة المسالك البحرية لتنظيم الأتصال بالبلاد المختلفة. فعني الجغرافيون العرب بهذا الجانب وزاد عنايتهم به حاجة الحجاج إلى معرفة محطات القوافل في طريقهم إلى مكة. من هنا سموا كثيراً من كتبهم باسم «المسالك والممالك». نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبة في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) والاصطخري «مسالك الممالك» في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد).


هذه الكتب صيغت بأسلوب السهل الممتنع. فهي قد وضعت للطبقة الشعبية. ولذا نجدها في كثير من صفحاتها تتأرجح بين أخبار جغرافية وتاريخية وقصصية. بالاضافة إلى مشاهدات يرويها الجغرافيون العرب عن انفسهم أو عن غيرهم من الرحالين.

هذه الكتب الجغرافية دخلت في عالم القصص على نحو ما جاء في قصص السندباد البحري المشهورة في الف ليلة وليلة.

أما طلائع الرحالين فقد وصلتنا اخبارهم نقلاً عن الرواة ومن هؤلاء: السيرافي، ابن فضلان-المسعودي-ابن جبير-ابن بطوطة.

رحلة ابن جبير:

هو أبو الحسين محمد بن جبير. ولد في بلنسيه بالاندلس عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م. خرج من غرناطة يوم



الخميس ٨ شوال سنة ٥٧٨هـ/٣ من شباط (فبراير) سنة ١١٨٣م. فمرّ بمدينة سبتة وسار بمحاذاة سواحل سردينيا وصقلية حتى وصل إلى ميناء الاسكندرية بعد ثلاثين يوماً قضاها في البحر.

كان الطريق الطبيعي لرحلة ابن جبير إلى الحجاز هو السفر من الاسكندرية إلى أحد موانئ الشام ليرافق الحجيج الشامي، ولكن بسبب وجود الصليبين هناك اضطر رحالتنا إلى السير في الطريق المصري. فركب النيل إلى القاهرة ثم غادرها إلى صعيد مصر فوصل إلى مرفأ عيذاب وهو المرفأ المعهود للحجاج على البحر الأحمر، ونزل بجده ورافق قافلة إلى مكة، فأدى فريضة الحج وزار المدينة المنورة حيث أقام نحو ستة أشهر. ثم قصد الكوفة، فزار بغداد وسامرا فالموصل. ولم يمر مروراً عابراً بهذه البلاد. بل كان يمكث بعض الوقت يدرس ويتفحص. وانتقل إلى الشام فمر بحلب وحماه وحمص ومن هذه الأخيرة انتقل إلى دمشق ثم اتجه نحو عكا، فركب البحر عائداً إلى بلاده على مركب مسيحي فقصد قبل وصوله غرناطة جزيرة صقلية حيث نزل وطاف بها وتعرف عليها عن كثب. ثم سافر إلى غرناطة فوصلها في ١٥ من المحرم سنة ٥٨١هـ/٢٥ من نيسان (ابريل) سنة ١١٨٥م.

ولم يكن ابن جبير وحيداً في رحلته. فقد رافقه جده لامه القاضي ابن عطية وأبو جعفر الطيب.

وقد رحل ابن جبير إلى الشرق مرتين بعد ذلك: الأولى بعد فتح صلاح الدين الايوبي لبيت المقدس واسترجاعها من ايدي الصليبين، إذ لعله قد حدثته نفسه أن يزور هذه الأماكن المقدسة وعلم الاسلام والعرب يرفرف عليها. أما الرحلة الثانية فقد تمت بعد وفاة زوجته عاتكة ام المجد فقد حزن عليها حزناً شديداً وقد خصها بديوان من شعره، ولم يجد عزاء إلا أن يحج إلى بيت الله فرحل رحلته الأخيرة في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م واقام بمكة مدة ثم تحول عنها إلى الاسكندرية إلى أن توفي فيها. ويغلب الظن أن يكون مسجد سيدي جابر مسجده وأن يكون العامة حرفوا اسمه مع الزمن.



ترجع أهمية رحلة ابن جبير إلى كونها صورة لحياة العصر الذي عاش فيه. فقد كتب عن الأحداث التي مرت بمصر والشام أيام الحروب الصليبية. كما تضمنت رحلته صورة لحياة المسلمين في جزيرة صقلية وكذلك لبلاط النورمان الذي لم يذكر لنا الكتاب اللاتين المعاصرون شيئاً يذكر عنه. كما وجه اهتمامه لآثار العصور الوسطى ولمظاهر الحضارة المادية قبل المدارس والمباني وغيرها.

وتعتبر رحلة ابن جبير من الناحية الفنية ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الادب العربي، فالرحلة مكتوبة بلغة سهلة بسيطة ملائمة تماماً لموضوعها، وطريقته في السرد محببة إلى النفس.

أهم ما في رحلات ابن جبير:

في الديار المصرية: عندما زار ابن جبير القاهرة والفسطاط ذهل أمام آثارهما العجيبة فتحدث عن مشهد الحسين. كما وصف المارستان والاهرام وابا الهول والجيزة. ونكتفي هنا بما قاله عن مشهد الحسين والمارستان وهو يصفها على هذا النحو:

«أول ما نبدأ بذكره.. المشهد العظيم الذي بمدينة القاهرة. حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض، فقد بني عليه بنيان حفيل، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بامثال العمد الكبار شمعاً أبيض، وعلقت عليه قناديل فضة. وحف اعلاه كله بامثال النفافيح ذهباً...».

«وما أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك، والكلام لابن جبير، حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص يصف الاشخاص كانه المرآة الهندية الحديثة الصقل.

وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك واحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة. ومتضرعين ما يذيب الاكباد، ويصدع الجماد...

ومما شاهدناه أيضاً من مفاخر السلطان صلاح الدين المارستان الذي بمدينة القاهرة. وهو قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً. ابرزه لهذه الفضيلة أجراً واحتساباً أي طلباً للثواب من الله».

في الأراضي المقدسة: ويترك ابن جبير القاهرة متوجهاً إلى جدة بطريق البحر الأحمر، حيث شكا سوء معاملة العرب للحجاج لكثرة ما يأخذون منهم من مكوس واشاد بصلاح الدين لتعهده لأمير مكة أن يدفع له سنوياً ما يعوض عن مكوس الحجاج. وكان يرسل اليه الفي دينار والفي اردب من القمح. ومع ذلك لا يزال هذا الأمير ورعيته يظلمون الحجاج ويرهقونهم من امرهم عسراً. ويتجول في مكة واصفاً الطريق اليها من جدة. كما يصف مناسك الحج وصفاً طويلاً وكذلك المسجد الحرام، ومما يقول فيه:

«البيت الحرام به أربعة اركان، وهو قريب من التربيع... وارتفاعه في الهواء من الجانب الذي يقابل باب الصفا وهو من الحجر الأسود إلى الركن اليماني تسع وعشرون ذراعاً، وسائر الجوانب ثمان وعشرون... وأول اركانه الذي فيه الحجر الأسود ومنه ابتداء الطواف... وظاهر الكعبة كلها من الجوانب الأربعة مكسو بستور الحرير الأخضر وعددها أربعة وثلاثون ستراً... وقبة بئر زمزم تقابل الركن، ومنها إليها أربع وعشرون خطوة وداخلها مفروش بالرخام الأبيض الناصع البياض، البئر المباركة في وسطها، وعمقها إحدى عشرة قائمة حسبما ذرعناه، وعمق الماء سبع قامات على ما يذكر».

ويستمر ابن جبير في الوصف فيذكر الكعبة والمنبر ويفيض في وصف مناسك الحج ومشاعره.

«وللمسجد المبارك تسعة عشر باباً، لم يبق منها مفتوحاً سوى أربعة في الغرب: منها اثنان يعرف واحد باب الرحمة، والثاني بباب الخشبية، وفي الشرق اثنان، يعرف واحد بباب جبريل عليه السلام والثاني بباب الرجاء».

وفي أثناء زيارته لدمشق كانت الحرب قائمة على قدم وساق بين صلاح الدين والصليبيين فلاحظ ابن جبير أن التجارة بين الطرفين قائمة بدون أي صعوبة فيقول:

«ومن أعجب ما يحدث به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان وتقع الحرب بينهما. ورفاق المسلمين والمسيحين تختلف بينهم دون اعتراض عليهم... واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع،

واختلاف المسلمين من دمشق إلى مكة كذلك، وتجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وتجار المسيحيين أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال وأهل الحرب منشغلون بحروبهم والناس في عافية».

ثم أبحر عائداً إلى الوطن في الثامن من رجب سنة ٥٨٠هـ ووصل إلى قرطاجنة على الشاطئ الاندلسي في الخامس عشر من المحرم سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وتابع السير إلى غرناطة وانتهى اليها في الثاني والعشرين من الشهر نفسه فكانت مدة رحلته سنتين وثلاثة أشهر ونصفا.

رحلات ابن بطوطة:

ان رجلاً يقضي ثمانية وعشرين عاماً من حياته يجوب عدداً كبيراً من أقطار العالم القديم يقيم فيها لمدة من الزمن دون الشعور بالغربة، ويقطع في اسفاره مقدار مائة وخمسة وسبعين ألف ميل، أن رجلاً هذا شأنه يعتبر بحق شيخ الرحالين وسيدهم على الاطلاق. هو أبو عبد الله الطبخي المعروف بأبن بطوطة، من أشهر رحالة القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) فقد نافس أحد معاصريه الأكبر منه سناً، ماركوبولو.

احب السفر منذ شبابه، فأراد ان يزور العالم الاسلامي. ورغب أولاً في تأدية فريضة الحج فقط. ولم يكن يعرف ان عصا الترحال ستلقيه في مختلف البلاد، فلا تكتب له العودة إلى وطنه إلا بعد أكثر من ربع قرن.

ولد أبن بطوطة في طنجة عام ١٣٠٤م ومنها بدأت رحلته الطويلة، فمر في طريقه بجميع المدن الكبرى في شمال افريقيا حتى بلغ الاسكندرية ثم غادرها إلى دمياط ومن ثم انتقل إلى القاهرة ومنها تابع سفره في النيل إلى اسوان ثم اتجه عبر الصحراء الشرقية إلى عيذاب على البحر الأحمر ليبحر منها إلى جدة غير أنه قفل عائداً إلى القاهرة لوقوع حرب بين المماليك وجماعات البجة ثم راودته فكرة زيارة الشام فبلغ انطاكية واللاذقية وحلب ثم انضم إلى قافلة الحج في دمشق فزار مكة المكرمة والمدينة المنورة. وبعد تأدية فريضة الحج عرج إلى العراق فزار سيدنا علي في النجف ثم مر بالبصرة في طريقه إلى فارس ثم قفل راجعاً إلى أرض الجزيرة بالعراق ومن ثم الكوفة فبغداد.

وكان العام قد انصرم مما يسر له تأدية فريضة الحج مرة ثانية، وبعد أن قضى في مكة بعض الوقت غادرها إلى جدة ومنها عبر البحر الأحمر إلى الساحل الشرقي لافريقية ثم رحل منه إلى اليمن وعاد مرة ثانية إلى افريقية التي غادرها إلى الساحل الشرقي لبلاد العرب على الخليج العربي. وقد مر في طريقه بعمان والبحرين وزار مكة للمرة الثالثة ثم اجتاز البحر الأحمر إلى عيذاب ومنها إلى القاهرة.

أما الدورة الثانية من اسفاره فكانت وجهتها الاقطار الشمالية فزار الشام حتى دخل آسيا الصغرى ثم بلغ سينوب على البحر الأسود. ثم عبره إلى شبه جزيرة القرم ومن ثم زار روسيا الجنوبية وأرض البلغار والفلغا، ثم خرج من استراخان إلى القسطنطينية ثم رجع مرة ثانية إلى بلغار ومن ثم انتقل إلى خوارزم فبخاري فكردستان فافغانستان ودخل الهند في أيلول (سبتمبر) ١٣٣٣ ميلادية وهناك أقام عدة سنوات في خدمة السلطان ثم أبحر إلى جزر المليديف لزيارة سيلان واندونيسيا، ومن هناك اتجه إلى كانتون بالصين[1]. وفي طريق العودة ركب السفينة من سومطره إلى ظفار جنوبي الجزيرة العربية ومن ثم فلسطين. وأحس الرغبة في الرجوع إلى وطنه فاتخذ طريق مصر فتونس. وفي الطريق ركب البحر إلى جزيرة سردينية ثم وصل إلى فاس مروراً بتلمسان. وفي أثناء زيارته لفاس عبر مضيق جبل طارق لزيارة مدن الاندلس.

وفي الدورة الثالثة لرحلاته قام سنة ١٣٥٢ بتكليف من السلطان برحلة إلى جوف افريقية فعبر الصحراء الكبرى حتى بلغ تمبكتو بمملكة مالي ثم عاد راجعاً إلى فاس في رحلة شاقة عبر هضبة الحجار وجبال أطلس.

أهتم المستشرقون منذ أوائل القرن الماضي برحلة ابن بطوطة، فنشروا منها قطعاً وأجزاء ثم نشرت كاملة مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٥٩ ميلادية ثم طبعت في القاهرة طبعات مختلفة وترجمت إلى الالمانية سنة ١٩١٢.

ولم يترك ابن بطوطة بلدا نزل به إلا وتحدث عن اهله وسلطانه وعلمائه وقضاته، وبذلك كانت رحلته معرضاً كبيراً لحياة الأمم والاقاليم التي نزل بها من الوجهتين السياسية والاجتماعية، وكانت فيه نزعة دينية

قوية. ولن نستطيع أن نعرض رحلة ابن بطوطة في كل الأقطار، فقد طالت حتى استوعبت مجلدين كبيرين، ومن ثم رأينا أن نتابعه في الأقاليم التي لم يزرها ابن جبير حتى لا نقع في تكرار ما شاهده سلفه وحتى نطرف القارئ بأخبار بلاد جديدة.

من الاناضول إلى بلاد المغول:

خلال تنقله في بلاد الاناضول زار مدينة القرم وكانت تابعة للسلطان محمد أوزبك خان المغولي. والمغول معروفون بالقبيلة الذهبية وكانوا قد دخلوا في الاسلام، بعد غاراتهم المشهورة على العالم الاسلامي بقيادة هولاكو مخرب بغداد، ولولا وقوف جيوش مصر بقيادة الظاهر بيبرس في وجوههم والهزيمة التي الحقوها بهم لعم طوفانهم العالم الاسلامي.

وأكرم حاكم القرم ابن بطوطة وصحبه ودعاهم إلى مرافقته لزيارة السلطان محمد اوزبك بحاضرته ولبى صاحبنا الدعوة واستخدم في ذهابه إليه ضربا من العربات تجرها الجياد كانوا يستخدمونه في اسفارهم. فدخل ابن بطوطة على السلطان محمد اوزبك واعجب بمجلسه الذي كان يتخذه كل جمعة بعد الصلاة.

في الهند

وكان سلطانها محمد شاه. فأخذ ابن بطوطة ينتقل في البلاد التابعة له بالاقليم المعروف باسم السند وفيها رأى حيوان الكركدن ووصفه بأنه أسود اللون. عظيم الحجم، ضخم الرأس. وقد استرعى انتباهه حرق الهندوس لموتاهم بالنار، واحراق النساء مع ازواجهن حين يموتون، وتقربهم إلى الههم بالغرق في نهر الغانج المقدس.

ويحدثنا عن انتشار السحر في الهند واعتقاد اهلها في السحرة وهم يسمونهم الجوكية، يتصورون في صور الحيوانات، ولعل هذا الاعتقاد شعبة من شعب الايمان بالتناسخ.

الصين:

أهل الصين يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود. وملك الصين تتري من ذرية جنكيزخان. وفي كل مدينة من مدن الصين حي للمسلمين ينفردون فيه وفي الحي مساجد لهم لاقامة الجمعيات وسواها، وأهل الصين من غير المسلمين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في اسواقهم. وهم أهل رفاهية وسعة عيش. ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه.

في السودان الغربي:

خرج ابن بطوطة من مدينة فاس قاصداً سجلماسة في الجنوب. وهناك اشترى الجمال واعدها لهذه الرحلة الشاقة في الصحراء الكبرى. وكان مقدم القافلة ورائدها ابا محمد بندكان المسوفي. ووصلوا بعد خمسة وعشرين يوماً إلى تغازا فأعجب ببيوتها المصنوعة من حجارة الملح ولم يكن يسكنها الا عبيد مسوفة وهم يحفرون على الملح في الأرض فيجدون منه ألواحاً ضخاماً. يبيعونها لأهل السودان.

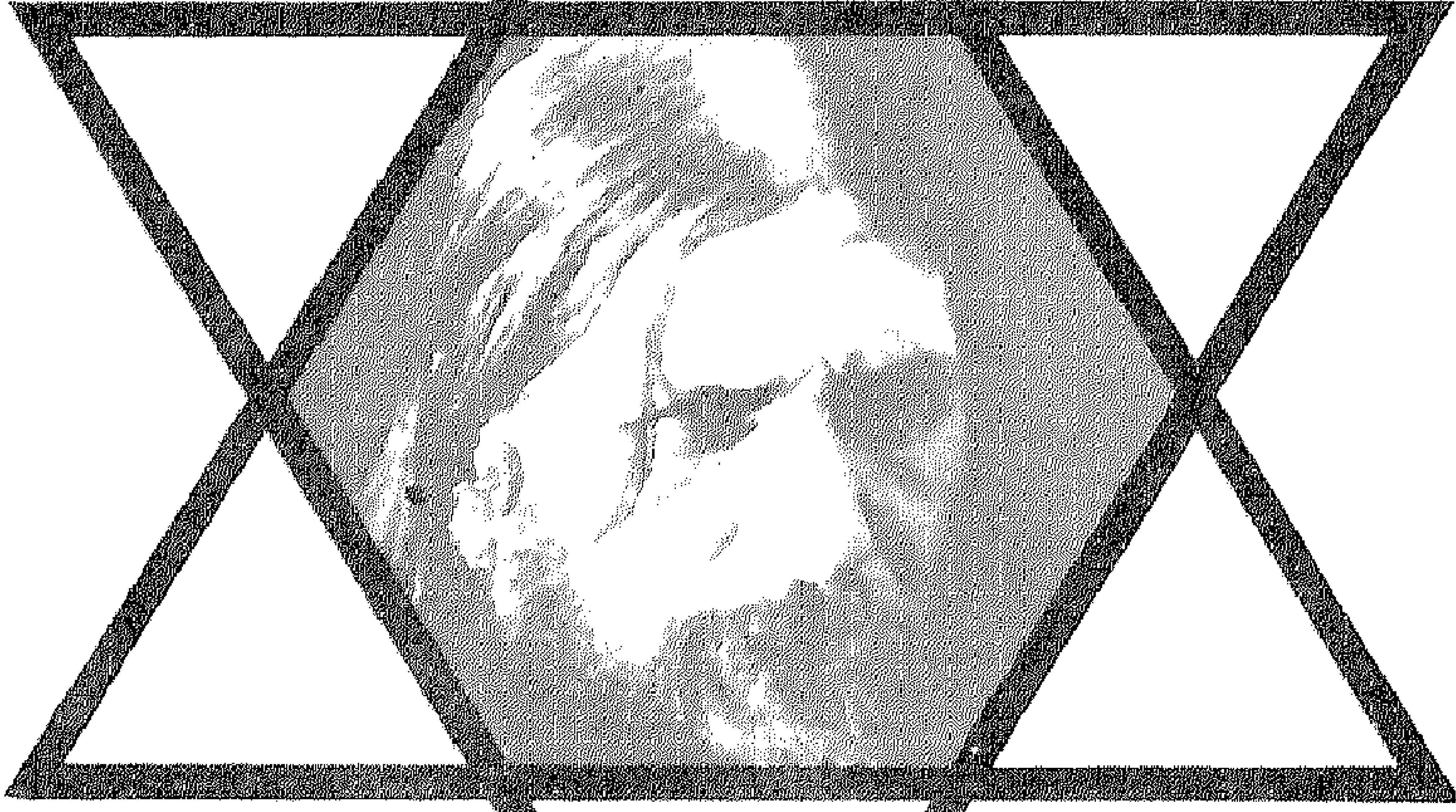
ويقول ابن بطوطة ان للملح عند السودانيين شأناً كبير حتى انهم يتبايعون به كما يتبايع غيرهم بالذهب والفضة. ووصلت القافلة إلى تاسر هلا ومن هناك بعثوا برائد من قبيلة المسوفة إلى ايوالاتن. فلاحظوا أن الناس هناك يلبسون ثيابا من نسيج مصر، وأن النساء جميلات فاتنات وأن الرجال لا يغارون عليهن وأن الرجل يرثه أبناء اخته دون بنيه ويقول: ومع ذلك فهم مسلمون يحافظون على الصلوات وتعلم الفقة وحفظ القرآن الكريم.

ويتابع ابن بطوطة رحلته في مجاهل افريقية حتى يصل إلى مالي حاضرة ملك السودان الغربي. وقد وصف سلطانها بالبخيل الذي لم يجده اطلاقاً في رحلاته السابقة، كما وصف احتفاله بعيدي الفطر والأضحى وأشاد ابن بطوطة بالأمن والعدل في هذه الديار وأن المسافر فيها لا يخاف سارقاً ولا غاصباً ومكث في مالي نحو ثمانية أشهر. ولم يكد يشرف على نهر النيجر حتى رأى ست عشرة دابة ضخمة الخلقة فظنها فيلة فكانت أفراس البحر. وذكر أن الناس يصيدونها ويأكلون لحمها ثم بدأ بالتوغل جنوب النيجر لكن جاءه رسول من قبل سلطان فاس يامره بالعودة وهكذا فعل فوصلها بعد ثلاثة أشهر. وبذلك انتهت رحلة ابن بطوطة أعظم رحالة عرفه العرب في تاريخهم الوسيط.

●

(١) يعتقد ان ابن بطوطة قد وصل إلى الصين—إذ شك فيه البعض من معاصريه مثل ابن خلدون وابن خبرى نفسه.

راسبوتين واليهود



نجدة* فتحي صفوة

● في أحد أيام تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٥ دخل القصر الامبراطوري في سنت بطرسبرغ راهب سيبيري قروي لا نصيب له من التعليم، ليصبح، بعد سنوات قلائل، أقوى شخصية في البلاد، ويمارس نفوذا لا حدود له على الامبراطور «نيقولاي الثاني» آخر قياصرة روسيا وزوجته الألمانية الامبراطورة «الكساندرا». وهذا الراهب هو «غريغوري راسبوتين» الذي أصبح الحاكم الفعلي في روسيا، ووجه بنفوذه المشين سير الأحداث في الامبراطورية الروسية في سنواتها الأخيرة.

جاء «راسبوتين» من سيبيريا التي عرف فيها بفسقه وسوء خلقه. وظهر في العاصمة قديسا تحيط به هالة من الغموض والرهبة، وذاعت عنه قدرة خارقة على شفاء المرضى. فدعي إلى القصر الامبراطوري بسبب هذه القوة التي نسبت اليه ليعالج الابن الأوحد للقيصر، وولي عهده «اليكسيس». وكان الأمير الطفل يعاني من مرض خطير هو «الهيموفيليا». وكان إذا جرح أو أصيب بخدش بسيط وهو يلعب فلا ينقطع نزف دمه. ويبدو أن «راسبوتين» تمكن من انقاذ حياته أكثر من مرة في حالات يئس منها الأطباء.

ويعتقد الذين قابلوا «راسبوتين» أنه كان يملك قوة مغناطيسية غريبة، وقدرة على التنبؤ بالمستقبل. كما يؤكد المقرّبون إلى القصر أن مجرد وجوده الى جانب سرير الأمير المريض كان له فعل السحر في تحسن حالته.

وكانت الامبراطورة «الكساندرا» امرأة ضيقة الأفق، هيستيرية، متشائمة. تظن ان حياة وحيدها في يديه. وأدرك الراهب القروي الذكي مدى سيطرته على مشاعر الأمبراطورة وزوجها. فأدخل في روعهما، بمرور الوقت، انه ليس حياة ولي العهد وحدها، وانما حكم اسرة «رومانوف» وحياة الامبراطورية تعتمدان على صلواته. وكان القيصر تغمره الوساوس والهموم كلما فكر بما سيحدث لهم لو مات هذا «القديس».

وليس من المعروف على وجه الدقة متى بدأ نفوذ «راسبوتين» الفعلي في القصر. ولكن يبدو أنه كان في سنة ١٩١٣ قد توطد بصورة لا تتزعزع(١)، حتى أصبح «راسبوتين» سيد القصر الامبراطوري، وأقوى شخصياته، يوجه شؤون الدولة، ويعين الوزراء ويخلعهم. ولم يعد في مقدور أي رجل من رجال الدولة مهما كان مركزه أن يحتفظ بمنصبه اذا نال سخط هذا الراهب. وكان الأمراء والنبلاء والوزراء يقصدون داره

(*) نجدة فتحي صفوة دبلوماسي سابق، عمل في وزارة الخارجية العراقية، وهو يهتم الآن بالابحاث التاريخية. نشر عدداً من المقالات في مجلة «آفاق عربية» وكتابا بعنوان «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب»، (بيروت، ١٩٦٩).

طالبين شفاعته ورضاه.

وكان «راسبوتين» رجلا فظا سيء الخلق فاسقاً، وكانت مغامراته وفضائحه الأخلاقية مع النساء من اعلى الطبقات إلى أحطها. وحوادث سكره وعربدته حتى في المحلات العامة، معروفة للجميع. ولكن حماية القصر جعلته في مأمن من العقاب بل فوق القانون.

علاقته باليهود:

وكان من أقرب أصدقاء راسبوتين اليه يهودي يدعى «هارون سيمانوفيج»، وهو تاجر مجوهرات يجهز الامبراطورة ونساء الأمراء والنبلاء بالحلي والمجوهرات، ويبيعهن بالنسيئة والتقسيط. وقد استغل هذا اليهودي اتصالاته لمضاعفة أرباحه، ففتح الملاهي الليلية، ونوادي القمار، وربما المواخير أيضاً، وتمكن من الاتصال «براسبوتين» والتقرب اليه تدعيماً لنفوذه وترويجاً لأعماله، حتى أصبح مستشاره وموجهه، وخاصة في الدسائس السياسية التي كان «راسبوتين» غريباً عنها في البداية[٢]. وكان «سيما نوفيج» في الوقت نفسه بمثابة وسيط «لراسبوتين» وسكرتير خاص له. وقد نشر بعد مقتله بسنوات كتاباً مثيراً عن حياته بعنوان «راسبوتين واليهود-مذكرات سكرتيره الخاص»[٣]. ويبدو أنه توخى في الكتاب عنصر الأثارة، على حساب الأمانة التاريخية، بقصد ترويجه. ويرى معظم المؤرخين أن المعلومات التي تضمنها ليست دقيقة ولا موثوقة.

ويدعي «سيما نوفيج»-في كتابه-أنه كان يلجأ إلى كثير من الحيلة والكياسة ليحول دون انجراف «راسبوتين» في تيار معاداة اليهود أو «اللاسامية»، وخاصة دون تأثره بمشاعر الامبراطور وزوجته نحو اليهود، لأنه كان يعلم أن عداوة «راسبوتين» ستكون لليهود بئس المقتنى. وهو يروي أيضاً أنه تمكن، مع «راسبوتين» من استحصال وعد من «بروتوبوبوف» بأنه اذا عين وزيراً للداخلية فسيعمل على تحسين حالة اليهود. وقد عين في هذا المنصب فعلاً لقاء وعده هذا. ولعل هذه الرواية هي السبب في التهم التي كانت توجه إلى «راسبوتين» بأنه «صنيعة اليهود». وقد نشر أحد المؤلفين عنه كتاباً بهذا العنوان[٤].

وإذا كان لنا أن نصدق «سيما نوفيج» فان «راسبوتين» حاول في مناسبات عديدة أن يتدخل لدى الامبراطور لمصلحة اليهود، ولكنه لم يلق تشجيعاً منه،



● غريغوري ليغيموفتيش راسبوتين، الفلاح السيبيري الذي أصبح «القديس».

وكثيراً ما شكا اليه القيصر من التقارير المتضاربة التي يرفعها وزراؤه عن اليهود. ويزعم «سيما نوفيج»-ولعله صادق في هذا-أنه كان موضع ثقة الزعماء اليهود، وأنه رتب لهم لقاءين مع «راسبوتين» لبحث المسألة اليهودية. فنصحهم بالتماس المساواة القانونية لبني دينهم عن طريق الرشوة. وننقل وصف «سيمانوفيج» لأحد هذين اللقاءين لأنه-على الرغم مما قد يشوبه من مبالغات-يعطي صورة حية لنفوذ «راسبوتين» وكيفية توجيهه لشؤون الدولة، ولمشاعر اليهود في روسيا في تلك الفترة، وأساليب اليهود في معالجة مشاكلهم.

قال سيمانوفيج:

«أصبح التشفع لليهود مبدئي، وشغلي الشاغل. فقد ساورتني المخاوف أن راسبوتين بدأ يصبح عدواً للسامية. وفي ذلك الوقت كان القيصر تحت نفوذه تماماً. وكان «نيقولاي» معجباً بالمنظمات الرجعية، وقد انتمى إلى (اتحاد الشعب الروسي)[٥] الذي كان يدبر مذابح اليهود. ولو انضم راسبوتين إلى صفوف الرجعيين لأصبح ذلك قتالا لنا. ولكنه، بعد تردد كثير، انحاز إلى جانبنا.

«وكان أنشط المدافعين عن اليهود موسس غينزبرغ الذي كان معنيا بالمسألة اليهودية في سنت بطرسبرغ.

وشرح لي غينزبرغ في إحدى المراحل أن وضع نهاية لأعمال الاضطهاد المخيفة تجاه اليهود في مناطق العمليات الحربية أصبح أمراً حيوياً[٦]. وكان غينزبرغ يشعر بأن القائد العام، الغراندوق نيقولاس، كان يحاول انتهاز الفرصة لأبادة اليهود نهائياً.

«قال لي غينزبرغ: إن لديك اتصالات ممتازة. أحمل راسبوتين على مساعدتنا. إنه يستطيع أن يصنع ما يشاء. إنه قادر على تغيير مواقف جميع الوزراء. لا يمكن ان نقف مكتوفي الأيدي بينما هو (أي: الغراندوق) ومساعدوه يقتلون اليهود في مناطق العمليات الحربية[٧]، وبينما يعاني اليهود هذا القدر من الاضطهاد في جميع أنحاء روسية...

«ترك حديث غينزبرغ في نفسي أثراً عظيماً، فاقترحت عقد اجتماع بين ممثلي اليهود وراسبوتين، ليقفوا بأنفسهم على آرائه في المسألة اليهودية.

«وعقد الاجتماع في منزل غينزبرغ. ولما ظهر راسبوتين في الصالة قوبل باستقبال عظيم، وبكى كثير من الحاضرين. فهز ذلك راسبوتين كثيراً... وقد أصغى إلى شكاوينا باهتمام، ووعد بأن يقوم بكل ما في وسعه (من أجل اليهود)، وأضاف قائلاً:

«عليكم جميعاً أن تساعدوا سيمانوفيج، لأنه قادر على رشوة كل من تجب رشوته. اعملوا بالطريقة التي عمل بها آباؤكم حين عقدوا الاتفاقات المالية مع القيصر. ماذا دهاكم. إنكم لم تعودوا تتصرفون مثل اسلافكم. أن المسألة اليهودية لا تحل إلا بالرشوة، أو الدسائس. أما من جانبي، فكونوا مطمئنين، فانني سأفعل كل ما في وسعي.

«ولما انتهى الحديث، دُعي الحاضرون إلى العشاء، فاختار راسبوتين ان يجلس إلى جانب زوجة غينزبرغ الشابة الجميلة. وتوسل إلي المضيف–وهو يعرف سمعة راسبوتين كزير نساء–أن أجلس بينها وبين راسبوتين.

«وبعد العشاء، أيد راسبوتين اليهود في حديثه بصراحة. وقد حاولت أن أستثير مشاعره بكل طريقة ممكنة. وتذمر في كثير من المرات من الأعمال المعادية لليهود التي يقوم بها الوزراء وغيرهم من الشخصيات المهمة. أخبرني أن القيصر لم يكن معادياً لليهود، كما هو الاعتقاد السائد. ان كلمة (يهودي) كان لها وقع غير مستحب على مسامع القيصر. ويعود هذا إلى تجاربه في عهد الطفولة في الأسرة الامبراطورية وما سمعه من المربيات والخدم. أخبرني راسبوتين ان وزير الداخلية حين كان يلعب مع القيصر (وهما طفلان) حاول أن يخيفه في احدى المرات فقال له: انتظر.. فلسوف يأخذك اليهود.. فصرخ ولي العهد من الخوف.

«وأخذ راسبوتين يثير المسألة اليهودية مع القيصر بصورة متزايدة، حتى أصبح الأخير متسامحاً إلى حدّ كبير»[٨].

وكانت في روسيا القيصرية قوانين خاصة باليهود تحدد اقامتهم في مناطق معينة من الامبراطورية، وقد عرفت هذه المناطق باسم «حظيرة التوطن»، ولم يكن يسمح لليهود بالاقامة خارجها إلاّ في حالات استثنائية معينة. ومن هذه الاستثناءات حالة اليهود الذين يمارسون طب الأسنان. وكانت قوانين الاقامة الخاصة باليهود تسمح لكل من عمل مساعداً في عيادة طبيب أسنان، وحصل منه على شهادة بذلك، بفتح عيادة خاصة له. وكان الشرط الوحيد أن تكون مجهزة بالأدوات اللازمة، والا ينام فيها أحد ليلاً. وقد منحت هذه التسهيلات بسبب الأزمة التي كانت موجودة في روسيا القيصرية لقلة أطباء الأسنان. وكان اليهود يحتالون على السلطات بشراء الشهادات من بعض أطباء الأسنان، ثم يفتحون عيادات يمارسون فيها التجارة. وكانت الشرطة المكلفة بتفتيش هذه العيادات



ولد في ١٨٧٢ في سيبيريا وله ثلاثة أولاد: ماترونا وفاريا وميتيا.



عام ١٩٠٣ قصد بطرسبرج والتقى المطران هرموجين والراهب اليودور.

تسكت على من تكتشف عدم ممارستهم طب الأسنان فعلا لقاء رشوة لا تزيد عن بضعة روبلات .

ويروي «سيانوفيج» في مذكراته حادثة تتعلق بهؤلاء اليهود :

«انني شخصياً وجدت فرصة مناسبة لعرض قضية أبناء ديني على القيصر. فقد كان هنالك عشرون من أطباء الأسنان اليهود الذين حكم عليهم بالسجن بتهمة الحصول على إجازاتهم لمجرد التهرب من قوانين الاقامة اليهودية ، فسألت ممثليهم أن يأتوا إلى راسبوتين... فرجوه أن يساعدهم لدى وزير العدل شجيغلوفيتوف.

«ولما عرضنا الموضوع على القيصر في يوم الأحد التالي ، قال : أوه.. مركبو الاسنان هؤلاء... ولكن وزير العدل لن يصغي.

«فتدخلت قائلاً : ولكن يا صاحب الجلالة... ما معنى هذا؟ ان الوزير لن يجرؤ على أن يناقض جلالتك. وضرب راسبوتين بقبضته على المائدة قائلاً : كيف يجرؤ الاّ ينفذ اوامرك؟

«وكان القيصر قد بدت عليه الحيرة بصورة واضحة.

«قلت : يا صاحب الجلالة. هل لي ان اقترح ان توقعوا على عريضة الأطباء ، وعندما نغادر جلالتك أحملها إلى تانتسيف (رئيس ديوان القصر)، وهو سيعالج الموضوع. فقبل القيصر اقتراحي ، وأطلق سراح أطباء الأسنان الذين جمعوا فيما بعد مبلغاً من المال ، واشتروا به معطفا من الفرو الثمين هدية لراسبوتين»(٩) .



● القيصر نقولا الثاني والقيصرة الكسندرا وولي العهد اليكسيس الذي استطاع راسبوتين أن يستغل مرضه.

وقد تملك الرعب جميع الأوساط الحاكمة من نفوذ هذا الراهب المشعوذ الذي استحوذ على عقل الامبراطورة ومشاعرها ، وأخضعها لارادته ، كما أخضع. الامبراطور الذي كان ضعيف الشخصية أمامها إلى حدّ أنه أصدر أمراً منع فيه التعرض لذكر «راسبوتين» أو رفع أية شكوى عليه. فلما فشلت جميع المحاولات للتخلص منه. دبر عدد من اقرباء القيصر وأصدقائه الذين أغاظتهم تصرفاته ونفوذه السيء في القصر-مؤامرة لقتله ، فدعوه إلى قصر الأمير «يوسوبوف» في إحدى الليالي ، وزعموا له أن إحدى السيدات اللاتي كان يميل إليهن موجودة أيضاً. فلما سمع «راسبوتين» باسمها سارع بالذهاب. ودس المتآمرون السم لراسبوتين في شرابه ، فلم يؤثر فيه ، فعاجله الأمير «يوسوبوف» برصاصة من مسدسه. وهكذا انتهت حياة هذه الشخصية الغريبة الغامضة التي كانت أشبه بأسطورة من الأساطير ●

الهوامش :

(١) - Sir Bernard Pares, The Fall of the Russian, Monarchy, London, 1939, p. 137 & 151

(٢) - Colin Wilson, Rasputin and the Fall of the Romanous, London, 1964, p. 113

(٣) - A. Simanovich, Rasputin i Evrei, Vospominaniya Linchnago sekretarya... Rasputina, Riga, n.d.

باللغة الروسية-وقد صدرت لهذا الكتاب ترجمتان المانيتان في سنتي ١٩٢٨ و١٩٤٣.

(٤) - Rudolph Kummer, Rasputin, Tool of the Jews

(٥) وهي المنظمة التي عرفت باسم «المئات السود».

(٦) كان القتال في السنة الأولى من الحرب (العالمية الأولى) يدور في بولونيا وليتوانيا حيث يكثر اليهود.

(٧) يقول سيانوفيج في مكان آخر من الكتاب ان الغراندوق نحي عن القيادة العامة للجيش الروسي بتأثير من راسبوتين وبسبب الفظائع التي ارتكبت بحق اليهود (ص ص ٥٢-٥٧ و٧٣-٨١).

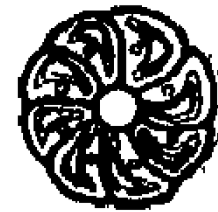
(٨) سيانوفيج ، ص ٥٢.

(٩) سيانوفيج ، ص ٥٦.



أدركت الدول الأكثر وعياً للتصنيع انه من الأفضل أن تتخلّى للدول التي «تدعي الاستقلال» عن مسؤولية مصيرها ، على أن تحتفظ بالنفوذ والسيطرة التي تضمن لها ذلك.

ر. هارون



لما طلب الشعب الأميركي إلى الرئيس جورج واشنطن أن يرأس أمته أبى. ولما ألحوا عليه قال : اذن لأستشير أمي. ولما أطلع أمه على الخبر قالت : لماذا تعصي يا بني أمتك؟ قال : لست أهلاً للحكم يا أماه لأن معارفي بسيطة ، والحكم يحتاج إلى علم عال ودراية في الادارة والسياسة والاقتصاد والقضاء ، وأنا قليل العلم بهذه قالت : الحكم يا ولدي لا يحتاج إلى علم وفلسفة. في رجال الدولة كثيرون يعرفون هذه المعرفة. الحكم يحتاج إلى أخلاق. فهل لا تزال لك الأخلاق التي ربيتها فيك وغرستها في نفسك؟

ملف الوطن العربي :

الآثار في سيناء والجولان

قسم الأبحاث والدراسات

تتمة لملف «الآثار في الاراضي العربية المحتلة» الذي نشرنا الحلقة الأولى منه في العدد الماضي، يقدم «تاريخ العرب والعالم» في هذا العدد الحلقة الثانية والاخيرة وهي تتعلق بالآثار في سيناء والجولان.

القسم الأول : سيناء .. ملتقى حضارات عديدة

في أواخر تموز–يوليو ۱۹۷۹ اصدرت الأوامر إلى السلطات المختصة في اسرائيل للقيام بحملة حفريات وتفتيش واسعة النطاق للتنقيب عن الآثار في سيناء ولنهب ما يمكن نهبه منها. واطلقت اسرائيل على هذه العملية اسم «عمليات الانقاذ» تمويهاً لأهدافها اللصوصية الواضحة.

ان خطورة هذا الأمر تبرز جلياً عندما نعرض في ما يلي الأهمية التاريخية الاستثنائية للآثار في سيناء: ظلت سيناء جزءاً عضوياً من أرض مصر وترابها على مر العصور. وتقسم شبه الجزيرة المصرية إلى ثلاث مدن وثلاث قرى وتقع في الاجزاء الثلاثة التالية:

- بلاد الطور (مدينة الطور).
- بلاد التيه (مدينة نخل).
- بلاد العريش (مدينة العريش).

– أولاً – مدينة الطور وآثارها :

تقع المدينة على ساحل خليج السويس على بعد ۱۲٥ ميلا من مدينة السويس وكانت موجودة منذ آلاف السنين اي منذ عهد الفينيقيين على الأقل.

نجد في جنوب المدينة مركزاً لرهبان دير سيناء وكنيسة يعود تاريخها إلى العام ۱٥۰۰م. تقريباً. وتجددت مبانيها في العام ۱۸۷٥ تحت اسم «مار جرجس» وفيها أيقونتين احداهما للقديسة كاترينا والأخرى لمار جرجس.

وفي شمال المدينة يقع جامع من عهد الخديوي توفيق ويضم مقاماً قديماً للشيخ الجيلاني. كما توجد في المدينة قلعة قديمة تطل على البحر بناها السلطان سليم وهي اليوم مجرد خراب. وكانت القلعة تضم مركزاً للعدلية وللاحوال الشخصية.

- من أبرز من تولى قيادة هذه القلعة في فترات متفرقة:
- علي آغا في العام ۱٥۹۳م.
- عابدين بن مصطفى في العام ۱٥۹٦م.
- صقر آغا في العام ۱٦۸٤م.
- محمد آغا في العام ۱٦۹۲م.

ولما تهدمت القلعة في العام ۱۸۲٦م. فقدت مدينة الطور أهميتها الاستراتيجية والحقت ادارياً بمحافظة السويس ومنذ العام ۱۸۹۳. أصبحت تابعة إلى ما سمي يومها «قومندائية سيناء».

ولعل أشهر ما في شبه جزيرة سيناء باكملها هو «دير طور سيناء» الذي بناه الامبراطور يوستنيانوس حوالي العام ٥٤٥م. وهو واقع في سفح قمة من قمم طور سيناء على أحد فروع وادي الشيخ ويعلو نحو ٥۰۱۲ قدماً عن سطح البحر. وقد بني على اسم

القديسة كاترينا ولذلك يعرف بـ «دير القديسة كاترينا».

ويوجد في مكتبة الدير صورة «عهد» قديم منسوب للنبي محمد عليه الصلاة والسلام يعرف بـ «العهدة النبوية». ويقال ان هذا العهد كتب لرهبان الدير في السنة الثانية للهجرة أماناً لهم ولجميع المسيحيين على ارواحهم واموالهم وكنائسهم.

ويقال أيضاً ان السلطان سليم العثماني عندما فتح مصر العام ١٥١٧م. أخذ هذا العهد منهم وحمله إلى الاستانة وترك لهم صورة عنه مع ترجمتها إلى التركية تدليلاً على مدى ارتباط هذا الدير وارضه بمصر، ومثله ارتباط كل ما يوجد في سيناء بمصر ارتباط الجزء بالكل.

واقيم في وسط الدير جامع يعرف باسم «الجامع العمري» ويقع إلى جانب كنيسة الدير الكبرى. وتدل الكتابة على كرسي الجامع ان الذي اقامه هو «الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها ابو المنصور أنو شتكين الآمري» كما تدل الكتابة على منبر الجامع ان منشيء هذا المنبر هو «أبو القاسم شاهنشاه (وزير) أبي علي المنصور الامام الآمر بأحكام الله (أمير المؤمنين) سنة ٥٠٠هـ». مما يعني ان الجامع بني في عهد الآمر بأحكام الله الفاطمي، وهو عاشر خلفاء الدولة الفاطمية (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م).

ولعل اكثر ما يغري اسرائيل في هذا الدير هو ما قيل عن وجود النص الاصلي لـ«العهد الجديد» في احدى زواياه. والمعروف انه منذ أواسط القرن الماضي قام استاذ الماني اسمه قسطنطين تيشندورف برحلة إلى أديرة سيناء للبحث عن هذا النص واستطاع بعد جهد جهيد الحصول عليه بالكامل ونشره في العام ١٨٦٢. ولكن كثيراً من العلماء والمؤرخين ما زالوا يشككون بصحة النص المنشور هذا. ومما يؤكد رأي هؤلاء الآخرين وجود آلاف المخطوطات في مكتبة الدير وفي أقبيته وهي غير محققة أو حتى غير مبوبة.

- ثانياً - مدينة النخل وآثارها:

تقع المدينة في قلب جزيرة سيناء وفيها قلعة قديمة سميت باسمها. وهذه القلعة التي بناها السلطان «قانصوه الغوري» العام ١٥١٦م. وجدد قسماً منها السلطان العثماني احمد ابن السلطان محمد خان العام ١٧٠٥م، تقع على نحو ٨٠ ميلاً من السويس و ٧٠ ميلاً من العقبة.

وتعتبر قلعة النخل صرة شبه جزيرة سيناء ومركز اوارثها.

والجدير بالذكر ان أحمد عرابي كان له دور رئيسي في حل المشاكل التي كانت تقع داخل القلعة وفي صفوف جنودها، خصوصاً في عهد ناظرها اليوزباشي محمد افندي عبده (١٨٧٦-١٨٨٠م). وكان أحمد عرابي يومها برتبة بكباشي.

- ثالثا - مدينة العريش وآثارها:

تقع المدينة على نحو ٢٨ ميلاً من رفح و ٨٥ ميلاً من القنطرة. وتتضمن قلعة اثرية قديمة لها تاريخ مجيد.

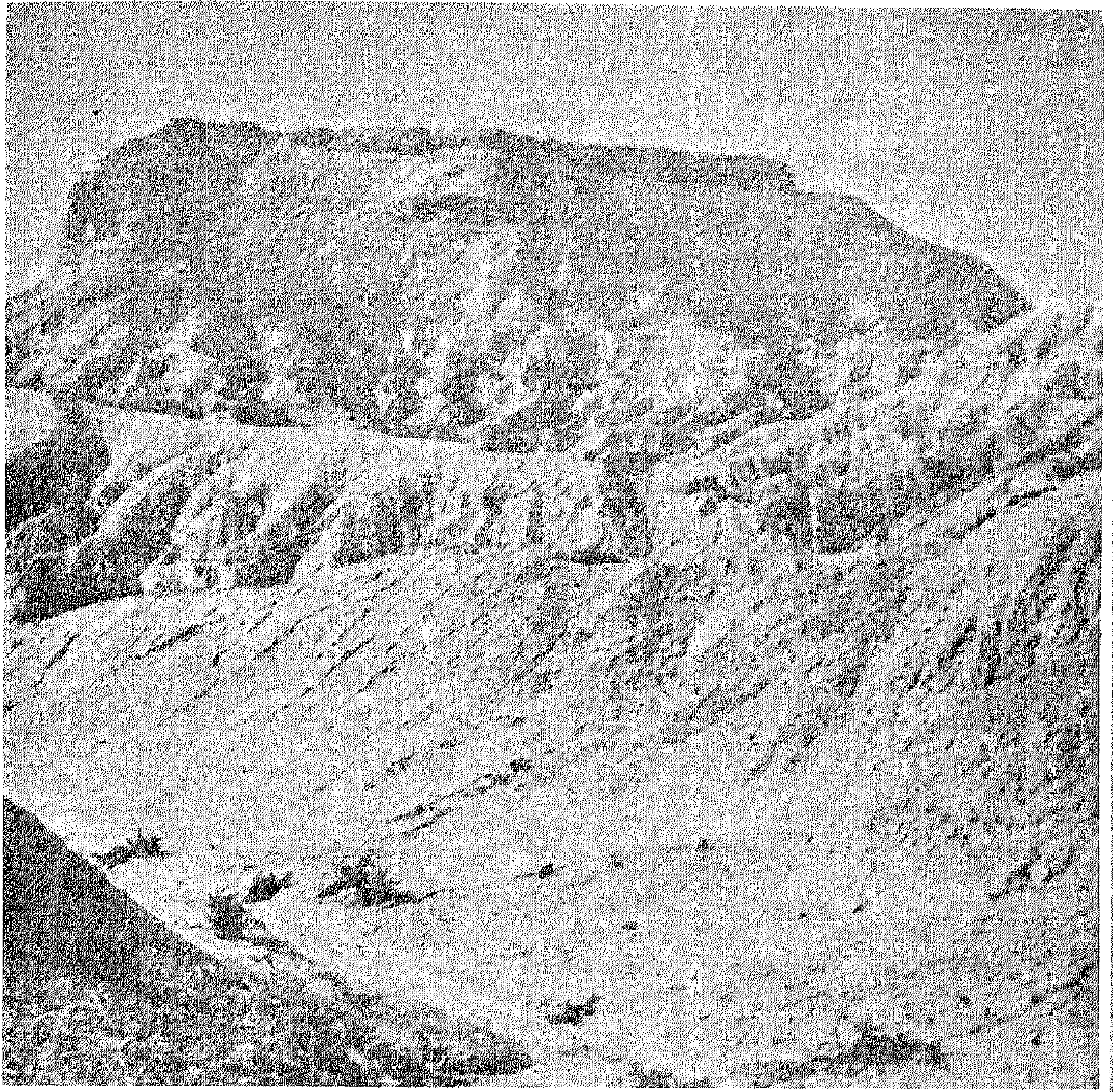
ان العريش مدينة قديمة قائمة على أنقاض مدينة فرعونية كانت احد المراكز الرئيسية للجيش الفرعوني في فترة «الدولة الحديثة» (من ١٥٨٦ق.م. إلى ١١٠١ق.م.).

ويذكر المؤرخون ان اسمها قديماً كان «رينوكورورا» أي «مجدوع الأنف» بسبب انها كانت في ذلك العهد الغابر منفى لمن استبدل حكم اعدامهم بجدع انوفهم.

من أشهر آثارها القلعة القديمة التي شكلت سداً منيعاً ضد الغزوات الخارجية في فترات عصيبة من تاريخ مصر القديم.

وكان في صحن القلعة حوض اثري من الجرانيت الأحمر له قاعدة هرمية الشكل. ونقش على جدرانه الاربعة باللغة الهيروغليفية كتابة موضوعها «الاله شو». والمعروف ان هذا الحجر نقل إلى القلعة في عصر بعيد من مدينة حوشن القديمة المعروفة بـ «سقط الجنة» قرب الزقازيق. وبقي هذا الحجر في العريش إلى ان نقلته مصلحة الآثار المصرية إلى المتحف المركزي في القاهرة العام ١٩٠٧.

وكان فوق باب القلعة ستة حجارة تاريخية من الرخام بعضها موضوع فوق بعض ومن النقوش على واحد منها: «وما النصر إلا من عند الله». ونقشت على حجر آخر الطغراء السلطانية وفيها اسم «السلطان سليم سليمان» وبذيله عبارة «حرره سيد محمد اسعد خليفة» تاريخها سنة ١٢١٤هـ. (١٧٩٩م).



قلعة رأس الجندي التي أنشأها صلاح الدين في القرن الثاني عشر على قمة جبل في سيناء ارتفاعه ٢١٤٢ قدماً ولعبت دوراً حاسماً في حروب صلاح الدين.

كانت العريش، قبل عهد محمد علي باشا، محافظة قائمة بذاتها وبقيت كذلك إلى ان الحقت اداريا بوزارة الحربية العام ١٩٠٦.

ويذكر انه بعد رجوع ابراهيم باشا من سوريا وعلى أثر صلح مصر مع «الباب العالي» (١٨٤٠) الغيت الوظيفة العسكرية للقلعة وصار يرسل اليها نفر من عساكر الشرطة يقيمون مع المحافظ لحفظ النظام.

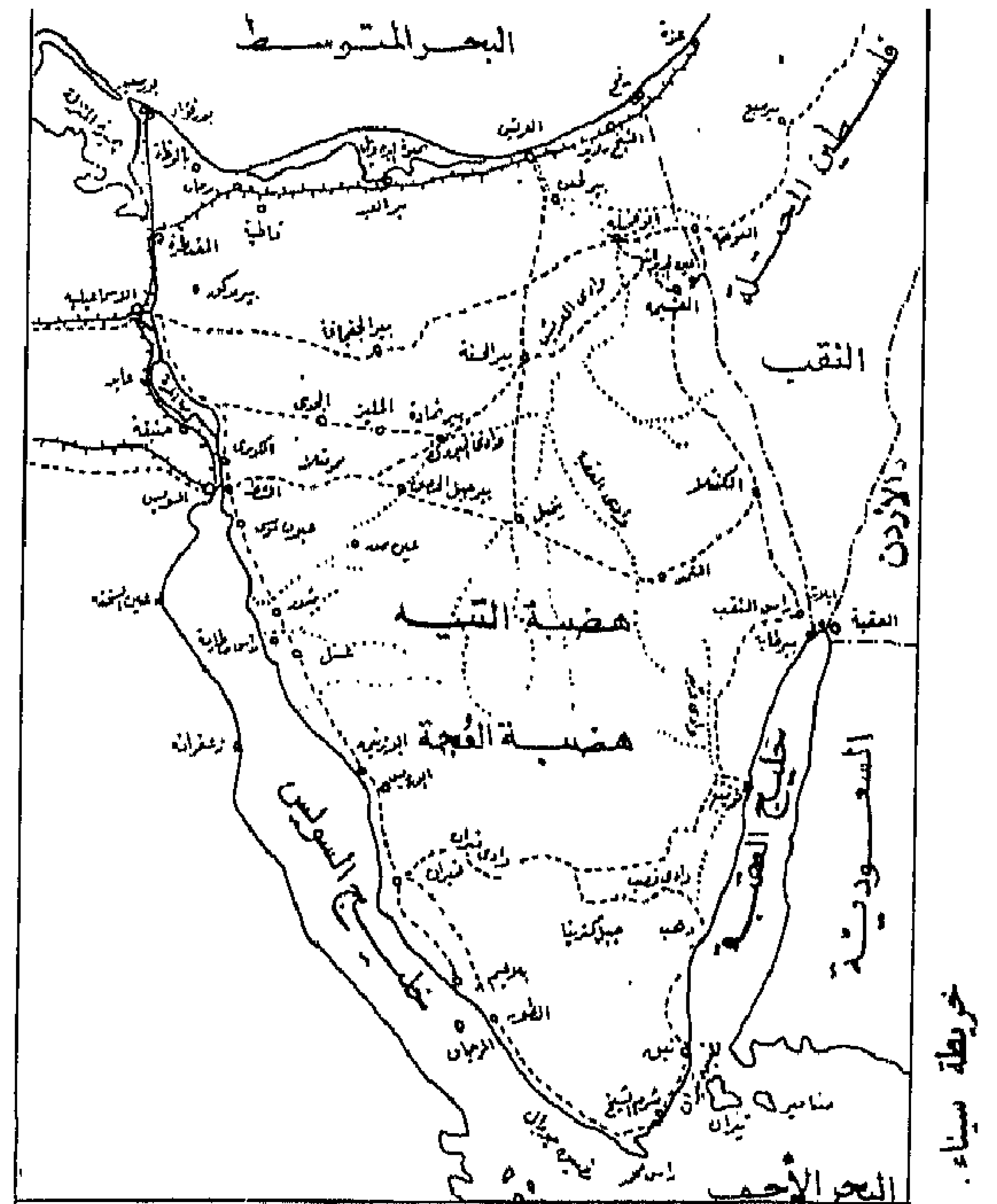
آثار مدينة «الفرما»:

من الآثار المهمة الأخرى في العريش نذكر «الفرما» وهي خرائب مدينة متسعة وقلعة وحجارة غرانيتية منحوتة. ويشير المؤرخون إلى أن ملوك مصر القدامى طالما وقفوا فيها لرد هجمات الغزاة من الاشوريين والفرس وغيرهم وهي عريقة في القدم.

وفي طريق الفرما سار عمرو بن العاص لفتح مصر العام ١٩هـ. (٦٤٠م). حيث نزل العريش فحارب فيها ومضى منها إلى الفسطاط.

وفي رأس النقب (العقبة)، وهو الطريق الذي مهده حكام مصر للحج، نجد حجراً أثرياً كتب عليه باليد:

«أمر بقطع هذا الطريق المبارك السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري عز نصره». وثمة حجر أثري



خريطة سيناء.

آخر نقش عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر باصلاح هذه الأماكن مولانا السلطان الملك الناصر حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد قلاوون وذلك في شهر رجب سنة ٦٢٩هـ. (١٢٣١م)».

ان هذه الآثار المهمة المعروفة اليوم في سيناء المصرية ليست بالتأكيد إلا غيض من فيض. لذلك نجد ان علماء اسرائيل من الصهاينة وغيرهم يسابقون الزمن من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من هذه الآثار والمخطوطات، إما لنشرها محرّفة أو لاتلافها في حال استحالة تحريفها.

مصادر القسم الأول:

جمعت هذه المعلومات وأعدت اعتماداً على المراجع الرئيسية التالية:

● البرت برسوم سلامة: «سيناء مصرية أولاً... وأخيراً»، اصدار الهيئة العامة للاستعلامات المصرية، ديسمبر ١٩٧٣. وهو المصدر الأساسي الذي استقينا منه مواد هذا البحث.

● د. صالح لمعي مصطفى: «التراث المعماري الاسلامي في مصر»، منشورات جامعة بيروت العربية ١٩٧٥.

● مقال «البحث عن مخطوط» نشر في مجلة «ايستوريا الفرنسية (العدد ١٧٢/اذار-مارس ١٩٦١ص ٣٩١- ٣٩٩).

● مقال «سيناء، أرض الله» نشر في مجلة «اطلس» الفرنسية (العدد الثالث/تشرين الأول-اكتوبر ١٩٦٦ ص ١٢- ٣٣).

القسم الثاني: الجولان... آثار مطمورة لحضارة مجهولة:

صدق من قال ان «كل حجر في سوريا هو اسطورة وسجل وتاريخ». ذلك ان اراضي سوريا الطبيعية تختزن في جوفها آثار حضارات غابرة لو تم التنقيب الجدي والمستمر عنها لغيرت وجه التاريخ البشري بأكمله. وما الاكتشافات الاثرية الاخيرة في «ايبلا» إلا أحد أهم الادلة على ذلك.

وكما أكد المؤرخ نسيب وهيبه الخازن في مقال مهم له عن «مدن سوريا الميتة» (راجع: ملحق النهار تاريخ ١٩٦٥/٥/٣٠، ص٩): «من المستحيل الجمع بين آثار سوريا في مجلد واحد، ناهيك بمقالة أو سلسلة من المقالات، بينما تحتاج دراسة مدينة سورية واحدة من المدن الاثرية إلى مجلدات ضخمة، اذكر في هذا المجال، بعد اطلاعي على عشرات الكتب، قول رحالة انكليزي عن تدمر: «ايتها المدينة الباهرة السناء، لو كتب تاريخك لكان وحده نصف تاريخ البشرية».

موقع الجولان:

تشكل مرتفعات الجولان التي هي عبارة عن ٤٤٠ ميلاً مربعاً من التلال الصخرية والبراكين المطفأة والحقول المزروعة، المفصل الجغرافي الاستراتيجي لكل من سوريا وفلسطين والأردن ولبنان.

وأهمية هذه المرتفعات السياسية الاستراتيجية هي كونها تسيطر على مصادر مياه بحيرة طبريا التي تؤمن على الأقل ثلث حاجة اسرائيل من مياه الشرب والري، وتحتوي في باطنها على منابع نهري بانياس ونهر اليرموك.

يمكن تقسيم جغرافية الجولان إلى ثلاث مناطق:

● القسم العالي الذي يشمل قرى مثل بيت جن ومجدل شمس وجباتا الخشب ومسعده حتى القنيطرة.

● القسم الأوسط ويمتد من القنيطرة حتى الرفيد تقريباً.

● القسم الجنوبي الممتد من الرفيد عبر الجوخدار والعال والياقوصة وحتى الحمة.



كنيسة الروم الأرثوذكس في القنيطرة بعد أن قصفها الصهاينة.

القنيطرة:

وتحتل القنيطرة التي هي العاصمة الادارية للجولان موقعاً مهما، إذ تقع على ملتقى أربع طرق: لبنانية وسورية وفلسطينية واردنية، وتشكل نقطة التقاء مئات القرى المنتشرة على طول تلك الهضاب الخصبة المتقلبة المناخ.

وتحيط بالقنيطرة ثلاث تلال استراتيجية هي تلال ابو الندا (وهي الأهم) والعرام والشيخة. ويبدو أن أهمية القنيطرة لم تبرز للرأي العام المحلي والعربي والعالمي إلا بعد تحريرها من الاحتلال الصهيوني في حزيران ١٩٧٤، وبعد سبع سنوات من التخريب والتدمير لكل معالمها القديمة والحديثة والتهجير لسكانها.

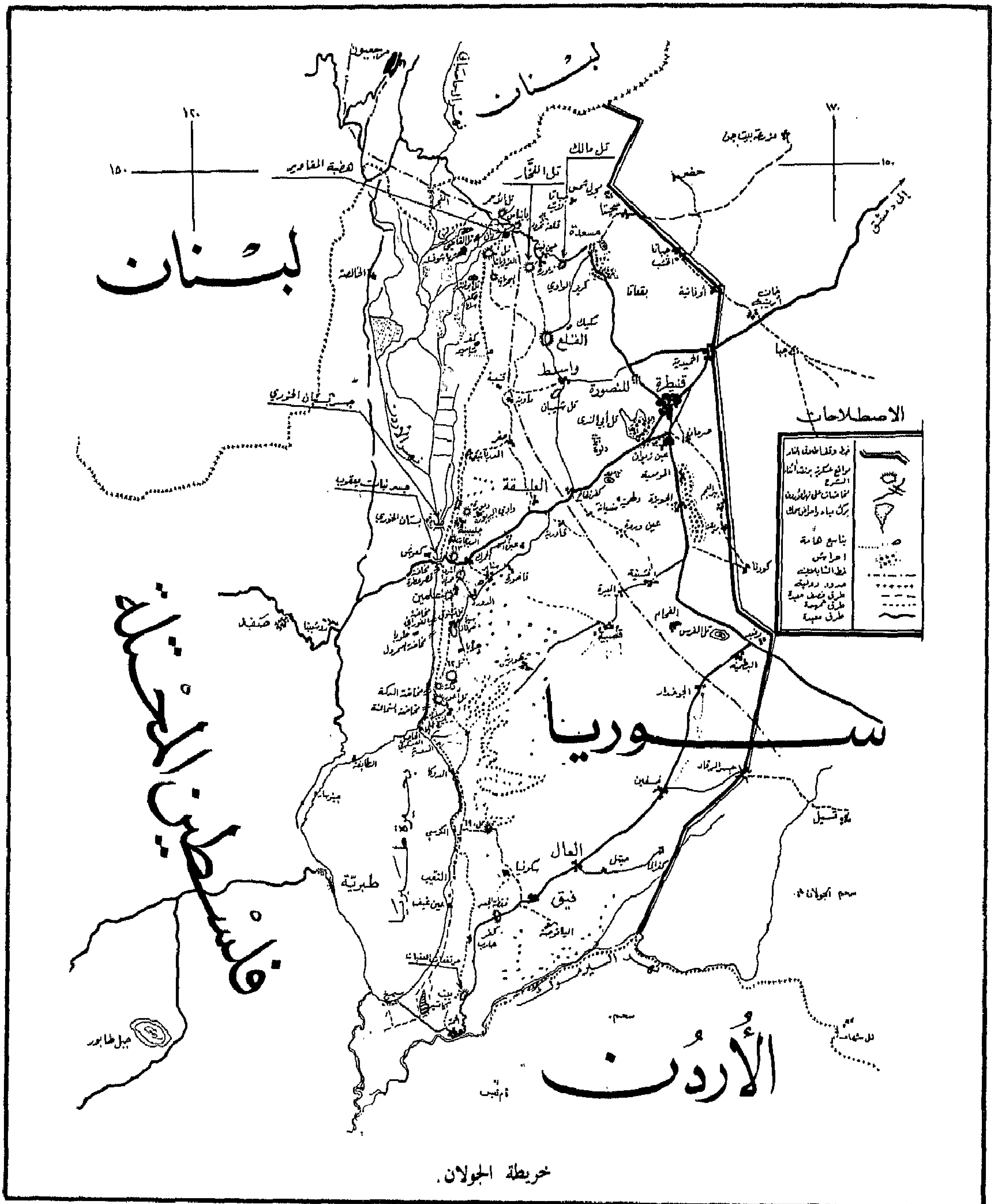
ومن الجدير، بالذكر ان علماء الآثار الصهاينة بادروا منذ الاسبوع الأول من احتلالهم للجولان في حزيران ١٩٦٧ إلى القيام بأوسع عملية مسح للجولان بهدف تشريح المنطقة ودراستها من جميع نواحيها بما فيها محاولة التنقيب عن آثار يقال انها تنتشر في العديد من المناطق المحيطة بالقنيطرة وبسفوح جبل الشيخ. وتفيد بعض المعلومات الموثوق بصحتها ان الاقمار الصناعية الاميركية تشاركت في عمليات المسح هذه.

ونشرت بعض نتائج هذه العملية التي شملت أيضاً الضفة الغربية لنهر الاردن في تقرير صدر في القدس العام ١٩٧٢ بقلم «بار ادون ايتال». وعلى حد علمنا فان هذا التقرير هو المرجع الوحيد الحديث عن مسح آثار هضبة الجولان وأول من اشار اليه كمرجع في هذا العدد هو الدكتور محمود أبو طالب في كتابه «آثار الاردن وفلسطين في العصور القديمة–اضواء جديدة ١٩٥٢–١٩٧٧» (منشورات وزارة الثقافة والشباب الأردنية–١٩٧٨).

غنى الجولان بالآثار:

ان منطقة الجولان وخصوصاً القنيطرة، (وهي كبقية المناطق السورية عموماً)، تمتاز بما يعرف اليوم في سوريا بـ«ظاهرة نزيف الآثار». إذ قلما نجد جدراناً لمنازل في هذه المنطقة أو تلك لا تتخللها حجارة أثرية نزعها الأهالي، عن غير وعي، من حقول اراضيهم ليبنوا بها منازلهم وتكياتهم.

ومن هذه القرى نذكر قرية «دير العدس» (عدد سكانها حالياً حوالي ١٥٠٠ نسمة معظمهم مهجرين) وهي تبعد حوالي ٦ كيلو مترات عن الحدود الفاصلة بين القوات السورية. والقوات الاسرائيلية المحتلة.



خريطة الجولان.

ان حجارة منازل هذه القرية الصغيرة التي تبدو في الظاهر وكأنها موجودة خارج تاريخ الحضارات، تعود إلى العهد الروماني القديم. وكانت تحمل اسم «دير الراهب عدس» ومنها جاء اسم القرية الحالي.

ويمكن، من غير الوقوع من الخطأ، تعميم هذا الحكم على العديد من قرى الجولان مروراً بجامع القنيطرة وكنيستها. ومن هنا نمسك بطرف الخيط في خصوص البحث عن آثار هضاب الجولان المدفونة والتي ربما توصلت اسرائيل إلى تملك اسرارها أثر عملية المسح السابقة الذكر.

فالمعروف لدى علماء الآثار، وكما ذكر المؤرخ نسيب وهيبه الخازن في مقاله المذكور، انه في سنوات ١٨٦٥–١٨٧٧ ظهرت دراسات ضخمة كشفت عن وجه سوريا البهي في مجلدين للكونت ملكيور دي

فوغويه حيث قال: «اتردد في اطلاق صفة الخرائب على مدن تجعل الزائر هائم الخيال في ماضٍ ذي حضارة ضائعة. في مساحة لا تتعدى الاربعين ميلاً تقوم أكثر من مئة مدينة تكشف عن مدنية كنا نجهلها وعن حياة ماضية بلغت أوج الرقي بين القرنين الرابع إلى السابع بعد الميلاد»..

وفي العام ١٩٣٨ ظهر كتاب للعالم جوزيف سترزيفوغسكي أكد فيه المؤلف: «أن علماء الآثار يدرسون سوريا في نطاق دراساتهم الهيلينية والرومانية وهم لا يعيرون اهتماماً لمكتشفات الكونت دي فوغويه بل يتمسكون بالقول القديم ان لا شيء يخرج عن نطاق الهيلينية»...

وفي العام ١٩٤٧ نشر جان لاسوس كتابه المعروف عن المعابد في سوريا، بعدما درس طوال ٨ أعوام كنائس القرى السورية خصوصاً، ذكر فيه أنه بعد اكتشافات الكونت دي فوغويه والروائع التي وصفها ونقل رسومها لم يضف الباحثون إلا القليل إلى ثروة سوريا الاثرية.

لذلك فان الجولان التي تعتبر من ناحية علم الآثار «منطقة ميتة» يمكن ان تكون حاضنة في باطنها حضارة مجهولة لا تقل أهمية عن الحضارة التي أخذت تعلن عن نفسها في إيبلا.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في هذا المجال هو: أن آثار «دير العدس» الرومانية التي هي ظاهرة للعيان أكثر من غيرها من الآثار، هل يمكن ان تكون معزولة ووحيدة في نوعها في هذه المنطقة الوعرة؟.

وماذا عن قرى يدل اسمها على انها شهدت مرور حضارات سابقة مثل: تل الفرس وتل الطاحون وتل الجوخدار ومبسط الجوخدار وتل القلع وتلول الشقاف والقلائع والرفيد وعين زيوان وتل عباس وتل شعر والخشنية؟؟.

والجواب على هذا السؤال يتلخص في أن منطقة الجولان، على رغم اختزان جوفها لمصادر المياه الوفيرة، تحولت منذ فجر الاستقلال إلى منطقة عسكرية وأصبحت تعرف باختصار باسم «الجبهة».

ان اكتشافات الآثار التاريخية في الجولان كانت قد تمت بمحض الصدفة خلال شق الارض لبناء التحصينات وكان هذا كافياً للدلالة على وجود آثار ثمينة خلّفتها الشعوب والأمم التي تعاقبت على المنطقة. ولعل من أهم الآثار البارزة في الجولان «قلعة النمرود» وفيها آثار فينيقية وعربية وصليبية.

الآثار جزء من المعركة القومية:

ومن هنا يحاول الصهاينة استغلال الآثار المطمورة هذه والتي تعود إلى عصور مختلفة لتبرير احتلالهم للمنطقة: فمثلاً اوردت الصحافة العربية في أوائل ١٩٧٤ خبرا مثيراً حول رسالة بعث بها شمعون بيريز إلى وزير الخارجية الاميركي آنذاك هنري كيسنغر جاء فيها: «ان تمسك اسرائيل بالجولان يرجع إلى ثلاثين قرناً»! ويقصد بيريز هنا الحرب التي جاء ذكرها في التوراة والتي قيل انها نشبت في القرن العاشر قبل الميلاد بين ملك سورية «بن حداد» وملك اسرائيل في هضبة الجولان فانتصر الثاني ثم وقع الطرفان اتفاقاً للفصل بين القوات.

هذا الاستغلال الفج للتاريخ وتشويهه من قبل قادة الصهاينة يظهر مدى شمولية الصراع العربي - الصهيوني إلى حد ادخال علم الآثار ضمنه بكل تشعباته.



كل قوة مصيرها الفناء. فالقدرة على توجيه التاريخ ليست في الهبات الثابتة. وأوروبا التي تسلّمت هذه الهبة من يد آسيا منذ نحو ثلاثة آلاف سنة ليس ما يضمن لها الاحتفاظ بها إلى الأبد والاستئثار بها إلى ما لا نهاية.

لافيس ١٨٩٠

قاموس اقتصادي

إكتفاء ذاتي

أن عبارة «الاكتفاء الذاتي» من العبارات المطاطة التي قد يسيء بعض الناس فهمها على الوجه الصحيح، فيأخذونها على انها الاستغناء عن استيراد السلع والخامات من البلاد الأخرى بقصد انتاجها أو توفيرها محلياً.

والاكتفاء الذاتي بهذا المعنى هدف مستحيل التحقيق، إذ ما من بلد حبته الطبيعة بكل ما يحتاج إليه من موارد ومزايا تجعله ينتج كل ما يشبع حاجات أهله، وحتى الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي وكلاهما أقرب إلى أن يكون قارة لا بلداً، في حاجة إلى استيراد الكثير من المواد والمعدات فالأولى مثلا تستورد النحاس والكوبالت والألومنيوم والمطاط والبن والكاكاو، وكذلك الحال بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتي الذي يستورد المواد الغذائية والخامات بل ويستورد آلات ومعدات رأسمالية وحتى مصانع بأكملها.

الواقع أن لكل بلد مزايا طبيعية وبشرية وفنية تؤهله للانتاج مع الغير، وهذا هو تقسيم العمل على النطاق الدولي. وهنا لا بد من التنويه بأنه إذا أصر كل بلد على انتاج سلع بنفقات عالية للغاية، كما يتعرض للمعاملة بالمثل من قبل البلاد الأخرى التي تعرض عن شراء منتجاته فيصاب جهازه الانتاجي بشلل.

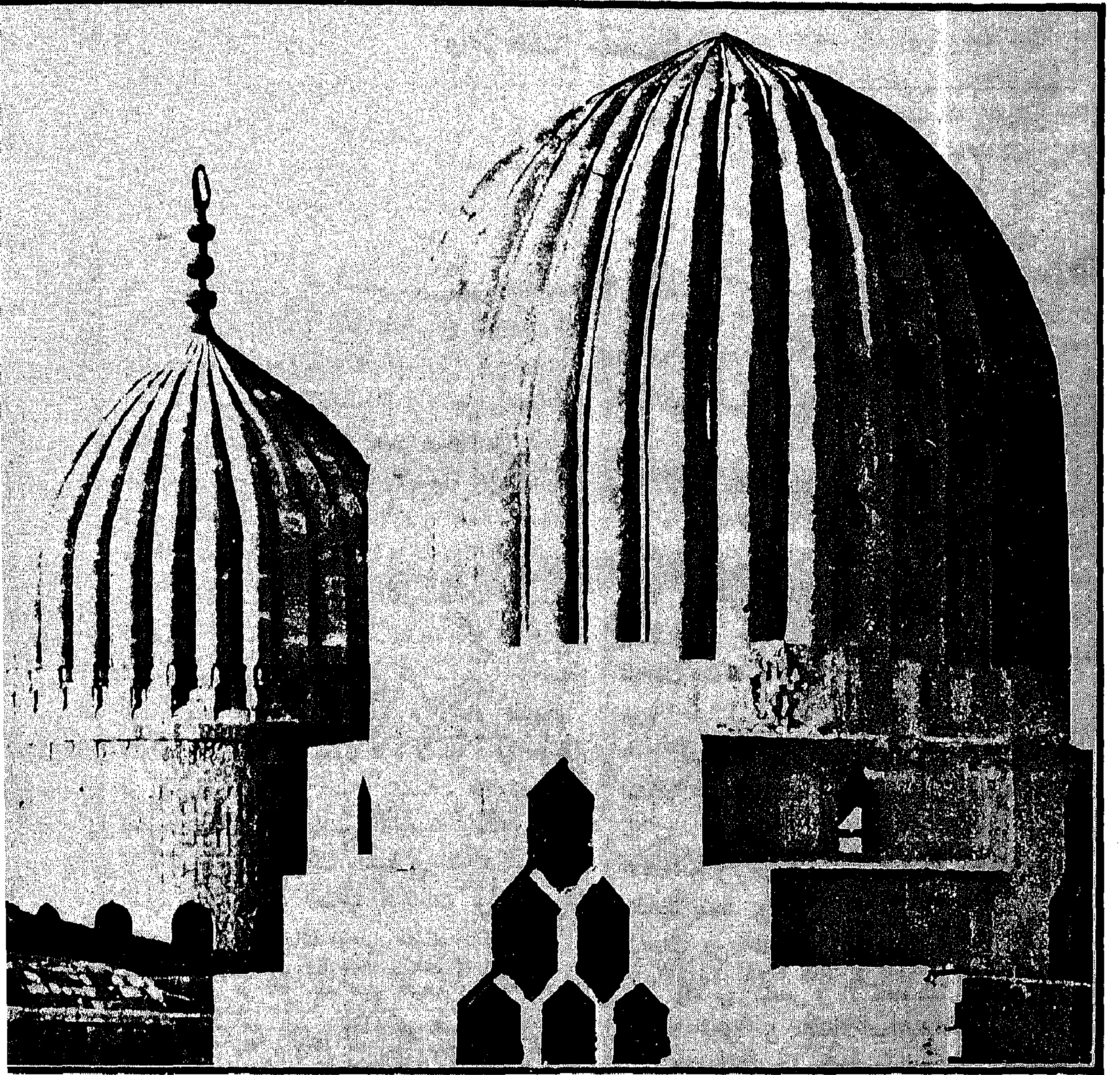
وقد يكون معنى الاكتفاء الذاتي ان يعتمد البلد على نفسه في انتاج السلع ذات الأهمية الاستراتيجية أو التي يمكن ان تشكل قاعدة تقوم عليها صناعات أخرى مجزية وناجحة. في الحالة الأولى يكون الهدف هو الاحتياط ضد الأخطار التي تنشأ إذا انقطعت سبل التجارة الدولية بفعل حرب أو أزمة دولية وفي الحالة الثانية قد تعوض الصناعات الأخرى التكاليف العالية نسبياً التي يتحملها انتاج السلع التي تشكل القاعدة التي اشرنا اليها.

وقد يقصد بالاكتفاء الذاتي الاستغناء عن استيراد المواد الغذائية، أو التقليل من هذا الاستيراد إلى أدنى حد ممكن. وإذا بدا هذا صحيحاً من حيث المظهر الخارجي النظري إلا أن التطبيق العملي قد يكشف عن خطأ مثل هذه السياسة بسبب ارتفاع تكاليف هذه المواد إذا ما اريد انتاجها محلياً، ومن هنا يتبين الحذر في هذه الناحية.

وقد يعتقد البعض أن الاكتفاء الذاتي معناه منع استيراد السلع الكمالية وما في حكمها، وهذا ليس بالاكتفاء وانما هو ضرورة تفرضها اعتبارات التـ ـة الاقتصادية والاجتماعية وبخاصة في حالة البلاد المتخلفة والنامية بقصد توفير العملات الاجنبية لشراء السلع الرأسمالية من الخارج.

وقد يرى البعض في الاكتفاء الذاتي الاعتماد على الانتاج المحلي من السلع الصناعية المعدة لاغراض الاستهلاك، وفي هذا خلط مع التصنيع، لان اقامة الصناعات الاستهلاكية لا تنطوي على اغلاق الأبواب في وجه البلاد الأخرى، إذ لا بد من استيراد أنواع من السلع والخامات والخدمات، بدرجات ومقادير متفاوتة.

ان الاكتفاء الذاتي بمعناه الصحيح هو ان ينتج البلد بعض حاجته من السلع والخدمات طالما يكون هذا الانتاج اقتصادياً وطبقا لما يملك البلد من موارد ومزايا طبيعية ومكتسبة.



● من وسط مساكن الاحياء الفقيرة في القاهرة تشمخ قباب المباني الاثرية عالية في السماء متحدية، بجمالها وروعتها وصلابة تكوينها، الهندسة المعمارية الحديثة للمباني التجارية في مصر.

زار جون فيني العديد من هذه القباب وكتب مقالاً لمجلة «آرامكو»، كانون الثاني–شباط (ينساير–فبراير) ١٩٧٨، ص ص١٢–١٧، كشف فيه بالكلمات والصور عن سر صمود هذه القباب التاريخية طوال أكثر من ٦٠٠ سنة.

قباب القاهرة

تحف معمارية تتحدى الزمن منذ ٦٠٠ سنة

جون فيني

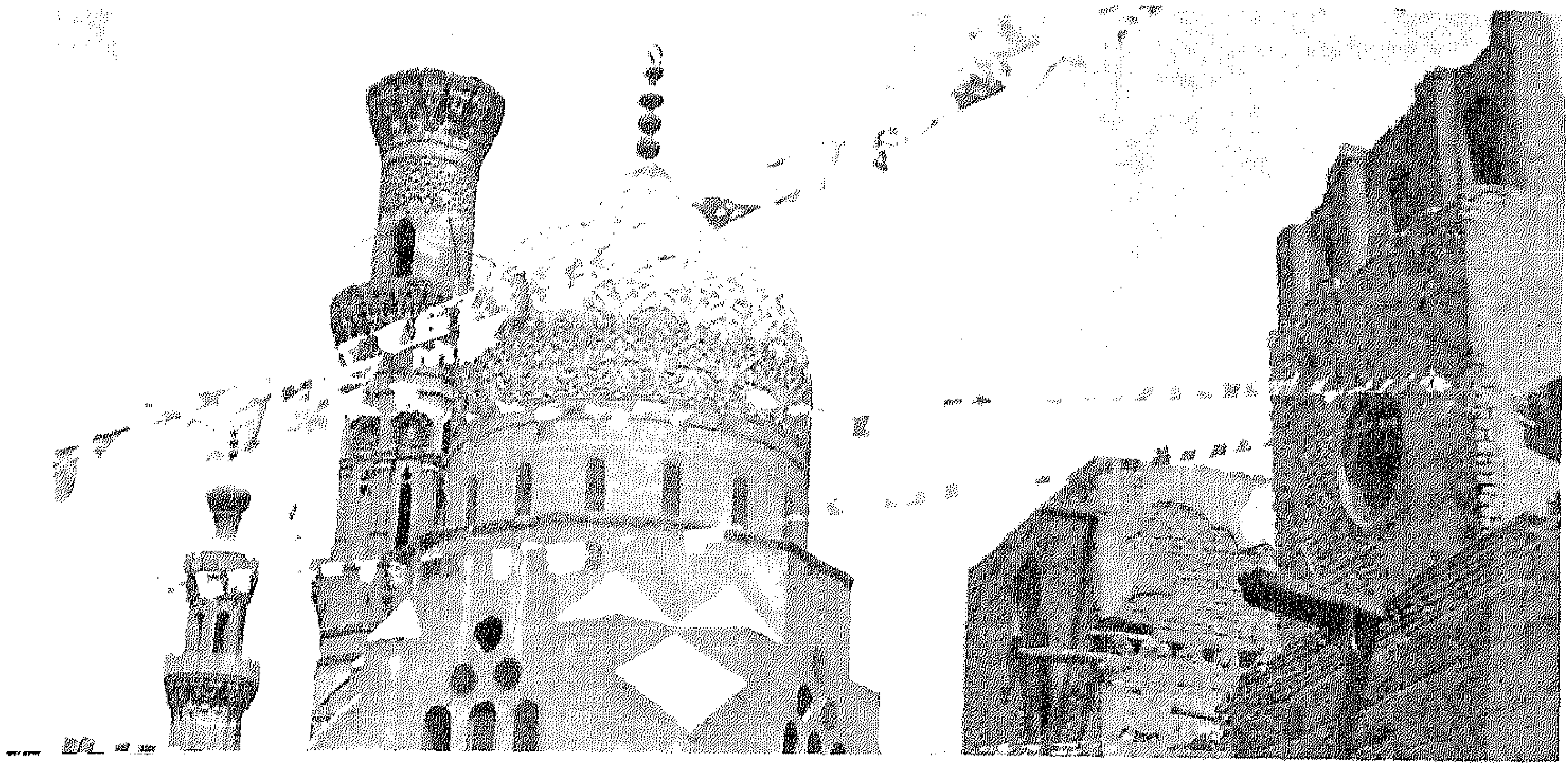
• الصور من آرامكو

كانت مآذن القاهرة دائماً محط إعجاب المصريين. فهم غالباً ما يصفون عاصمة بلادهم بـ «القاهرة ذات الألف مئذنة».

ومع ذلك فان قباب المباني الاثرية فيها، والتي شيدت في العصور الوسيطة، غير معروفة على نطاق واسع وأحياناً غير مرئية بسبب ما يحيط بها من ابنية ومساكن قديمة. وهذه القباب الاثرية هي، من الناحية الهندسية، أهم بكثير من المآذن وربما أيضاً أجمل منها.

ومما لا شك فيه انها ليست بروعة قباب اسطنبول الكبيرة ولا هي مكشوفة للعيان مثلها، إذ من الصعب مشاهدة قباب اسطنبول عن كثب إذا لم ندخل في أزقة المدينة القديمة. وعلى رغم ذلك فان قباب القاهرة مختلفة تماماً عنها وبعضها فريد في نوعه.

وعلى سبيل المثال هناك فرق واضح بين قباب القاهرة وقباب اصفهان وسمرقند. فهذه الأخيرة ذات اللون الفيروزي بناها، في شكل



قباب القاهرة : تحف تتحدى القرون.

غير متقن. العمال الاسرى لدى جيش تيمورلنك، بينما شيد قباب القاهرة العمال والحرفيون المحليون بمساعدة عدد محدود جداً من عمال الامبراطورية الاسلامية الشاسعة.

بنيت أول قبة في القاهرة على الطراز الاسلامي خلال حكم الفاطميين لمصر (٩٦٩-١١٧١) وبالتحديد حوالي النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي.

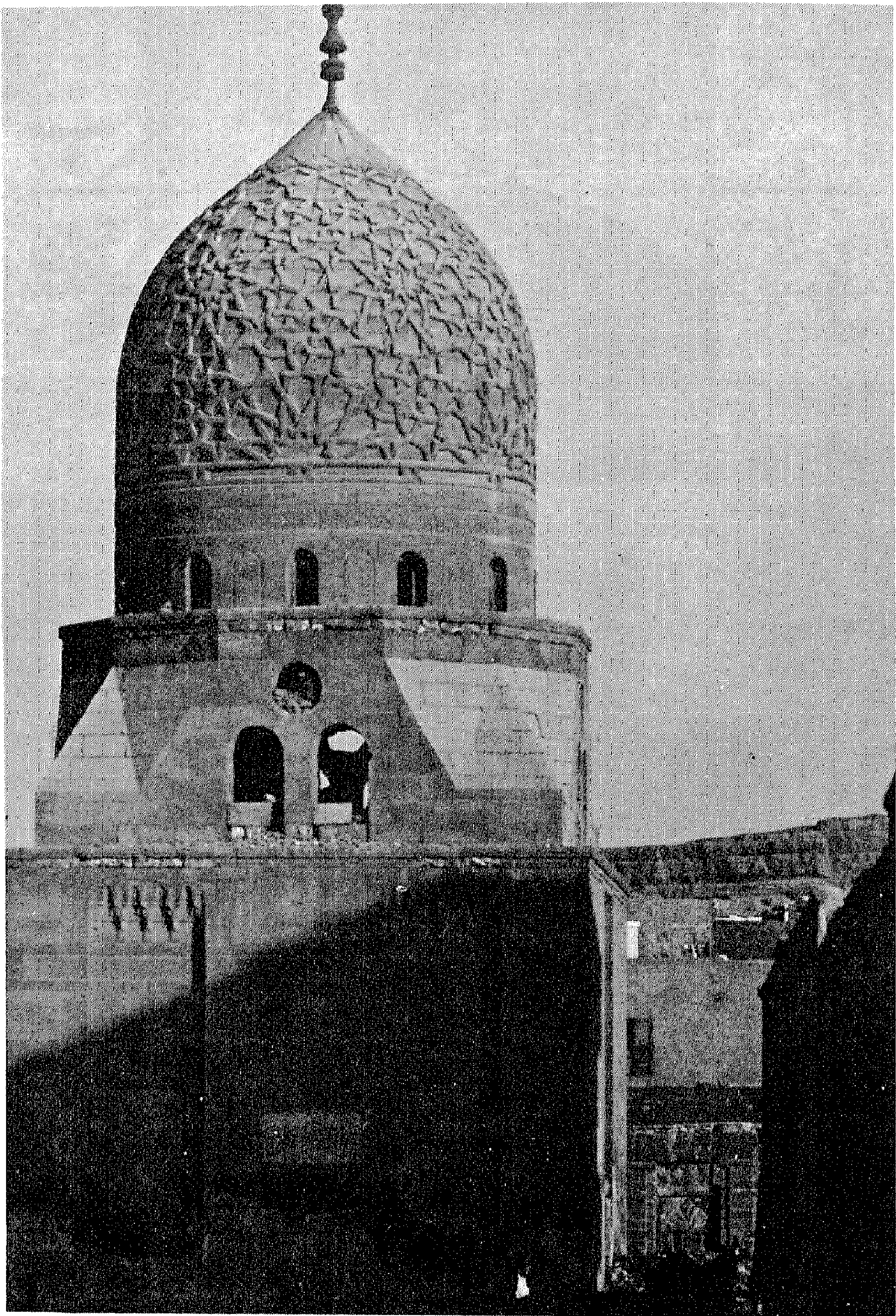
وكانت القباب الفاطمية الأولى هذه صغيرة، ملساء، ذات لون ابيض شفاف كالطيف. وكانت تلمع في ضوء الشمس والقمر على السواء. وكاد بريقها يتلاشى مع الزمن. إذ اصبحت باهتة اللون وسط مبان جديدة أكثر لفتا للانظار. المهم ان هذه القباب الصغيرة حجماً لم تكن سوى نواة هذا الشكل الهندسي المعماري.

وفي عهد الحكم الايوبي (١١٧١-١٢٥٢) ازداد عدد العمال والحرفيين المصريين واكتسبوا مهارة دقيقة في تشييد البناء القرميدي إلى درجة انهم استطاعوا نحت القباب على شكل محدب وبيضوي.

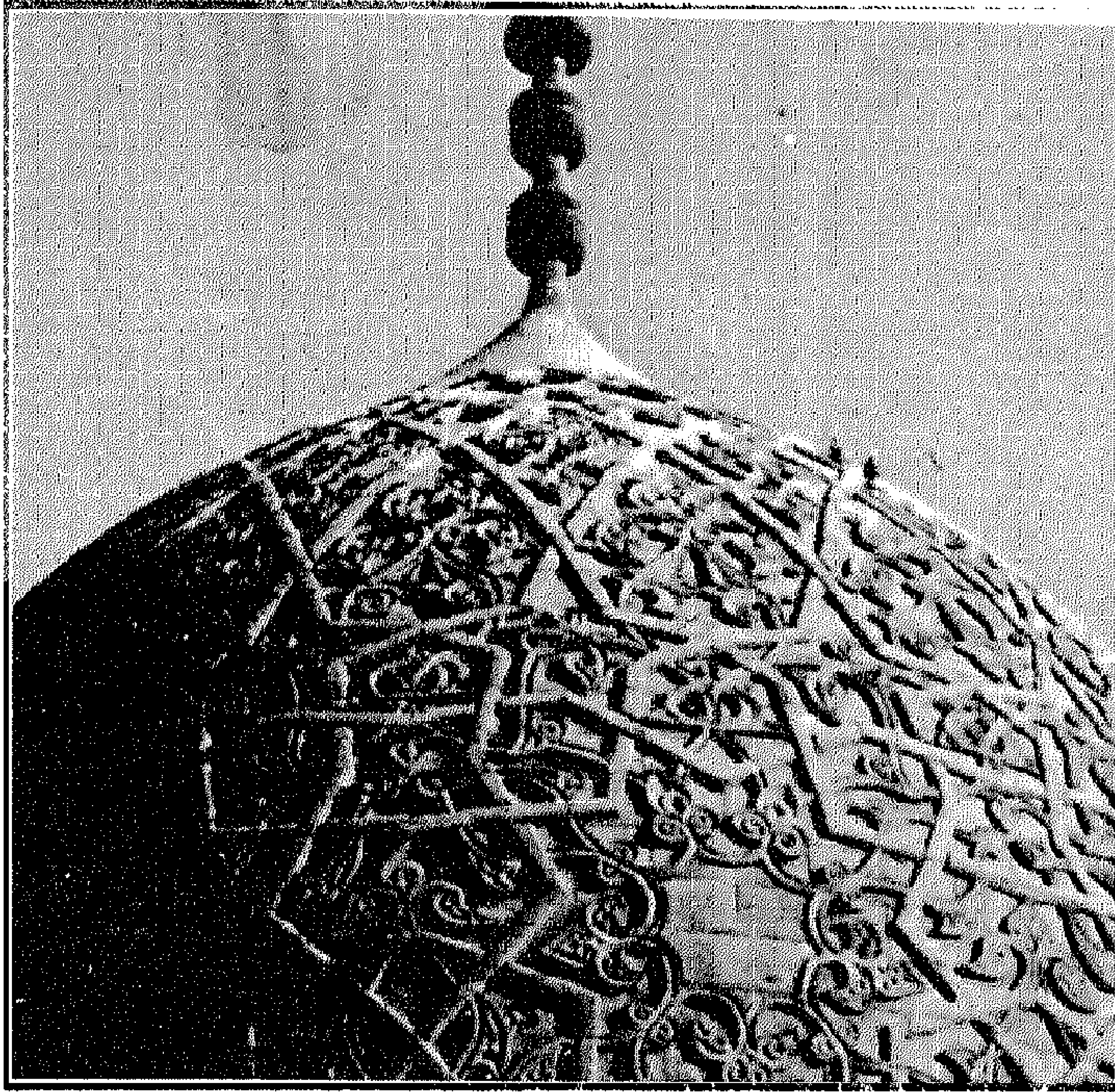
وفي عهد سلاطين المماليك الذين حكموا مصر حوالي ٢٥٠ سنة (١٢٥٢-١٥١٧).

كانت حركة البناء ناشطة للغاية. وسبب ذلك ان المماليك الاغنياء كانوا يرغبون في تشييد أبنية ضخمة تدل على عظمتهم وجبروتهم إلى درجة انهم أمروا ببناء قبورهم السلطانية قبل مماتهم ليتمتعوا برؤية الآثار التي ستخلدهم على مر العصور. وكانت المنافسة بين الحكام في هذا المجال على أشدها: فكل أمير أصرّ على بناء قبر أفضل من قبر الامراء الآخرين. وكان هذا القبر في الواقع عبارة عن قبة مهيبة الشكل ومزينة برسوم مختلفة، ومئذنة تناطح الغيوم، ومسجد ومزار. وكان هذا التنافس شديداً. إلى حد ان قبور الحكام المماليك الفخمة بناء، والواسعة فناء، أصبحت في مستوى عظمة القصور التي عاشوا فيها.

ولم يكتفوا بذلك لارواء نهمهم اللامتناهي للفخامة، بل أمروا في وقت لاحق بتوسيع القباب التي بنيت سابقاً في شكل أكبر مرتين وثلاث مرات. ثم طلبوا من المعماريين اجراء تغيير جذري في أسلوب البناء نفسه: فبدلاً من الآجر ذي الحجم الصغير، أصبح العمال يستعملون قطع الحجارة الكبيرة. واعتبر ذلك، من الناحية الهندسية، خطوة جريئة، لأنه كان يتطلب جهد خبراء متخصصين ومهندسين وليس معلمي عمارة فقط.



تبارى المماليك في بنائها قبوراً لهم.



«كمال لم تنل منه ٦٠٠ أو ٧٠٠ سنة».

كانت قطع الحجارة المستعملة تقتلع من تلال المقطم القريبة من القاهرة. وهذا النوع من الحجارة هو في الأصل ناصع البياض لكن، نتيجة تعرضه لرياح الصحراء الحارة ولضباب النيل البارد منذ قرون عديدة، تحول إلى اللون الرمادي والبني الباهت كما هو حال العديد من قباب القاهرة اليوم.

وهكذا شيدت نماذج متعددة مدهشة لهذه القباب خلال المائتي سنة التالية: منها المخرمة والمفتولة شكلاً، ومنها اللولبية والمنقوشة بزخارف متنوعة.

مثل هذه الأعمال الفنية والهندسية أدهشت الأجانب. فكتب أحد القناصل الفرنسيين في القاهرة: «... لا يمكن للمرء الا أن تبهره زخرفة هذه القباب. فأبسط هذه الزخارف هي آية في الجمال: منها المخرمة والمنقوشة على شكل أزهار ومنها على شكل ألواح متراصة أو قطع شمام متداخلة بعضها بالبعض. ومن القباب الأكثر تلألؤا تلك المزينة بالأحجار الخضراء والزرقاء والتي ما زالت على ابهتها. إن بناء هذه القباب هو من الكمال إلى درجة أنه بعد ٦٠٠ أو ٧٠٠ سنة ما زالت على حالها كما شيدت».

ان اسماء المعماريين المصريين الذين بنوا هذه القباب مجهولة إلى حد كبير. وذلك على غرار غالبية من عمل قديماً في مجال الفن الاسلامي. لكن من الملاحظ أنهم كانوا من ابرع المعماريين في زمانهم.

وهناك ظاهرة جديرة بالتسجيل وهي ان القبة لم تبن مطلقاً فوق المسجد وانما فقط فوق مزار الشخصيات الدينية والدنيوية المهمة. ومن الامثلة التاريخية الشهيرة لذكر القباب التي أمر ببنائها السلطان برقوق وولداه، فرج وعبد العزيز.

كما نشير في هذا المجال إلى ضريح «قايتباي» الذي بني في العام ١٤٧٤ ميلادي. وجملة القول ان قباب المباني الاثرية في القاهرة توحي لناظريها الاجانب-وليس فقط للمسلمين- بمدى قدرة الانسان على إبداع أروع الانجازات الفنية في زمان كانوا يفتقرون فيه إلى أبسط ما وصل اليه التطور في العصور الحديثة ●

شهادة من الحرب العالمية الثانية

اكبر خدعة نظمها الحلفاء خلال الحرب

في ١١ تموز (يوليو) ١٩٤٣ هُزم هتلر مرّتين

يانوس بيا كلكيبيفيش



لحظة نزول قوات الحلفاء في صقلية في ١١ ٧ ١٩٤٣

● في الحادي عشر من تموز (يوليو) ١٩٤٣ نزلت قوات الحلفاء إلى شواطىء صقليه، التي كان يحتلها النازيون، من غير اطلاق رصاصة واحدة. وكان هذا الانزال الخطوة الأولى نحو تحرير أوروبا الغربية بأسرها. ولم يفهم العالم يومها كيف انهارت التحصينات النازية الضخمة في الجزيرة على هذا الشكل المروع.

نجد الجواب في شهادة مدير الأمن في جهاز مخابرات قوات البحرية البريطانية خلال الحرب، ايوين مونتاغيو. التي نشرت للمرة الأولى في كتاب باللغة الفرنسية مترجم من الالمانية بعنوان «النجاحات الكبرى للجاسوسية» (منشورات فايار، وباري ماتش، ١٩٧١، ص ص ١٨٤–٢٠١). والكتاب من تأليف المهاجر البولوني يانوس بياكلكييفيش.

في ١١ تموز (يوليو) ١٩٤٣ نزلت قوات الحلفاء إلى شواطىء صقلية وسيطرت على الوضع خلال ساعات محدودة. كان ذلك تمهيداً لتحرير أوروبا الغربية. يومها كان من الطبيعي ان يستقبل العالم الخبر بالفرح الكبير. لكن السؤال الذي تردد في الصحافة العالمية: كيف انهارت جبهة صقلية بهذه السهولة بعدما جهد النازيون كثيراً في تحصينها؟ ولماذا أمر هتلر شخصياً الفرقة الالمانية الضاربة في الجزيرة (فرقة البانتسر المصفحة الأولى) بالانسحاب قبل أيام قليلة من إنزال الحلفاء؟.

بقي السر مطوياً أكثر من ربع قرن حتى نشر أيوين مونتاغيو. مدير الأمن في مخابرات البحرية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية. شهادته في العام ١٩٦٩.

التساؤلات والاستعدادات:

قال مونتاغيو:

«... في العام ١٩٤٢ كنت اعمل ضمن فريق مصغر مسؤول عن أمن العمليات العسكرية الجديدة ضد القوات الالمانية والايطالية. كان هدفنا العام تضليل العدو بالنسبة إلى عملية انزال قوات الحلفاء المقررة سلفاً في صقلية. كنا على يقين ان رئاسة الأركان الالمانية تعي تماماً أهمية صقلية بالنسبة الينا بسبب كونها النقطة الاستراتيجية الوحيدة في منطقة البحر الأبيض المتوسط التي يمكن الانطلاق منها بسهولة للتقدم نحو ايطاليا وفرنسا أو اليونان.

«كان هاجسنا الرئيسي حينها: كيف يمكننا شل استعدادات العدو العسكرية في الجزيرة و«اقناعه» بان الانزال سيكون في موقع آخر. مثلا في اليونان؟.

«أسلوب الاقناع الوحيد. في هذه الحالة، كان في تحضير وثيقة سرية للغاية. لها كل مواصفات الوثائق الحقيقية. ويحملها مبعوث عسكري خاص، على أن يلاقي هذا المبعوث حتفه في مكان يمكن للاستخبارات النازية ان تصل اليه في سهولة.

«طبعاً لم نفكر قط في التضحية بعسكري واحد من رجالنا. لذلك قررنا البحث عن جثة رجل تكون أعراض وفاته الطبيعية هي نفسها تقريباً بالنسبة إلى الغريق الذي يقع من الطائرة في وسط البحر وتتقاذفه الأمواج الى الشاطئ.

«واستشرنا في هذا الخصوص البروفسور برنارد سبيلزبوري الذي زودنا بالمعلومات الطبية اللازمة. وبدأنا فوراً بالبحث عن «الجثة–البطلة».

«في أواخر خريف ١٩٤٢ أثمرت تحرياتنا: شاب عازب في الثلاثين من عمره توفي في أحد المستشفيات بسبب التهاب الرئة. والمعروف أن من يصاب بهذا المرض تمتلىء رئتاه بسائل كالغريق. وعلى رغم ان طبيعة هذا السائل تختلف عند هذا وذاك إلا أن الأمر يتطلب تشريحاً دقيقاً وتحليلاً متأنياً لاكتشاف هذا الاختلاف.

«وبعدما اتخذنا الاحتياطات الضرورية لسحب الجثة، اتفقنا مع أهل الفقيد على الأمر ووعدنا بتأمين جنازة محترمة له بعد انجاز مهمته، مع كتمان اسمه الحقيقي... إلى الابد».

الجثة تحيا من جديد:

«... بدأنا التحضير الفعلي للمهمة.

«منحنا الفقيد رتبة «ميجور» في البحرية الملكية البريطانية. واخترنا هذا السلاح بالضبط بسبب أن رجال البحرية يكلفون عادة بمهمات سرية خاصة. ثم سمينا الميجور باسم «وليام مارتن»، وكان من الاسماء المتداولة كثيراً يومها من غير ان يربطها بالضرورة رابط عائلي معين. وكانت هذه النقطة مهمة وذلك لئلا يتسبب إعلان وفاته في الصحف بأية ردة فعل يمكن ان تفضح عملية التضليل الكبرى.

«كان محور نشاطنا اللاحق تحضير الوثائق اللازمة في عناية تامة: استكتبنا أولاً رسالة شخصية موجهة من رئيس هيئة الاركان العامة البريطانية إلى الجنرال الكسندر، قائد القوات الملكية في افريقيا الشمالية. تضمنت هذه الرسالة، فيما تضمنته، تلميحات موجزة يفهم منها، ما فيه الكفاية، اننا سننزل قواتنا في اليونان وسردينيا في آن معاً ثم ننطلق من سردينيا إلى صقلية».

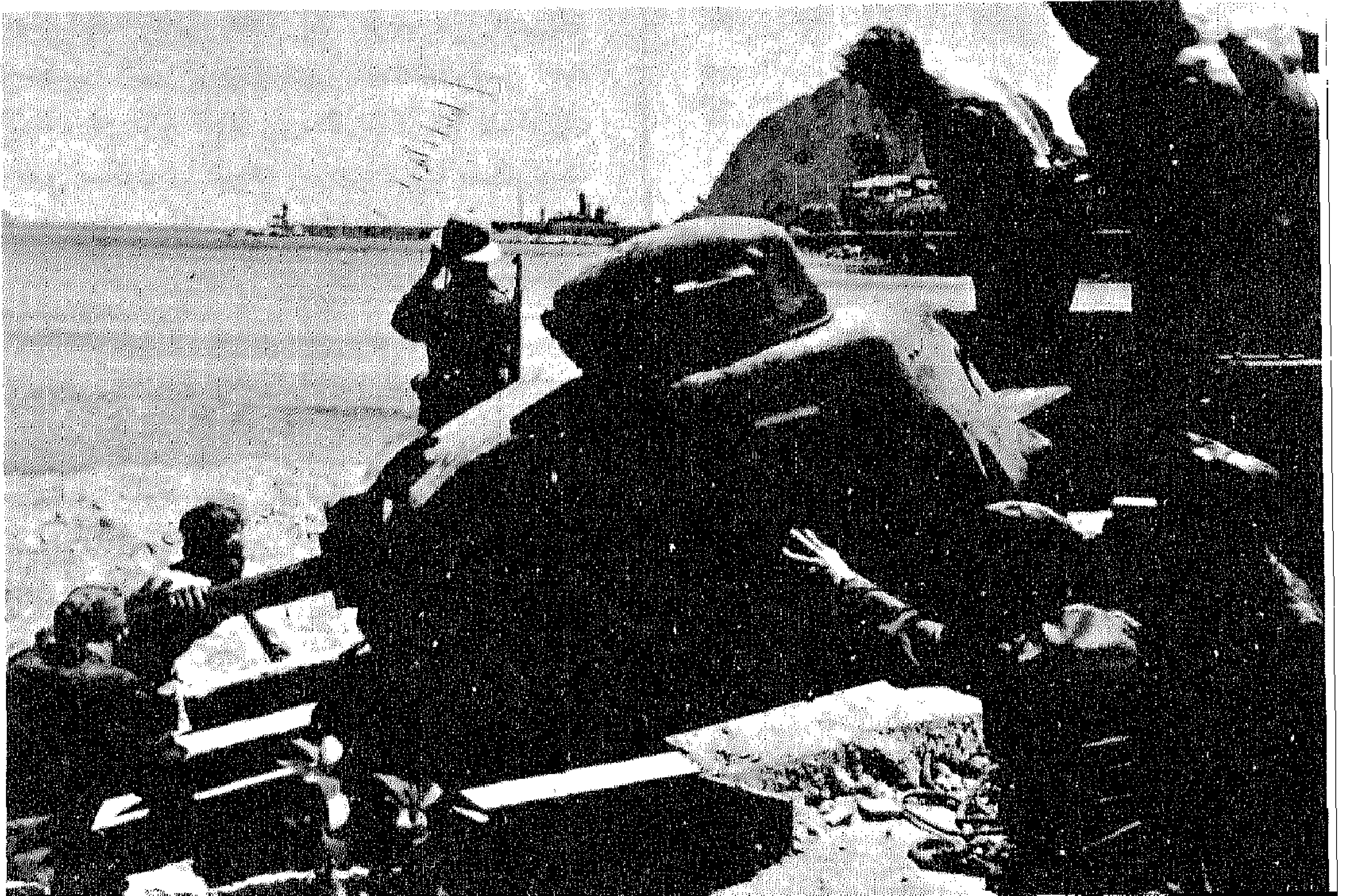
ومن الطريف ان يقدم مونتاغيو تقريراً مفصلاً بالعملية إلى رئيس الوزراء وينستون تشرشيل في الوقت الذي كانت فيه هيئة اركان العمليات المشتركة غارقة في جدل ساخن حول جدوى هذه العملية ومدى نجاحها في تضليل مخابرات هتلر العسكرية.

لكن سرعان ما حسم تشرشيل الجدل ووافق على التقرير كاملاً. فأصبح للعملية اسم وشهرة: «لحمة مفرومة».

سيناريو العملية:

كان السيناريو المقترح لعملية التضليل هذه منظماً على الشكل التالي:

يقذف بجثة الميجور مارتن في موازاة الشاطىء الجنوبي لاسبانيا، بالقرب من المكان الذي تعبر منه الطائرات الحليفة المتجهة نحو افريقيا والتي تتخذ خط سير لها طريق مضيق جبل طارق. وبالتالي من المفروض ان توضع الجثة بالقرب من مدينة هويلفا، وهي إحدى المحافظات الثانية لمنطقة الاندلس. ومن الأمور التي شجعت مونتاغيو على اختيار هذه المدينة بالذات، ما استقاه من اجهزة مخابراته ومفاده ان اجهزة الأمن السرية النازية في المدينة هي على علاقة جيدة مع السلطات المحلية. لذا من الطبيعي ان تكون هذه الاجهزة أول من يتبلغ وجود الجثة الملقاة على الشاطىء.



استعدادات الالمان في صقلية قبل العملية.

وفي انتظار تنفيذ مسلسل السيناريو كانت التجهيزات الفنية الكاملة للعملية على وشك الانتهاء: فأحد المصانع اللندنية انجز الحاوي (الكونتينر) المعدني الاسطواني الذي سينقل جثة الميجور المغلفة بالغاز الكربونيك إلى المكان المحدد على متن غواصة. وكان لا بد أن تتضمن عملية التمويه أيضاً حادثة سقوط طائرة مائية من طراز «كاتالينا» لتبرير غرق الميجور - الميت.

وبما أن يوم الانزال الكبير في صقلية حدد في العاشر من تموز (يوليو) ١٩٤٣، لذا تقرر فجر الثلاثين من نيسان (ابريل) موعداً لقذف الجثة لتصل إلى الشاطيء «سالمة» بهدف ترك المجال واسعاً أمام النازيين للتدقيق في الوثائق التي سيحصلون عليها ودراستها واستنتاج ما يجب ان يستنتجوه. ثم اتفق على ان تنتهي الاستعدادات الأخيرة للعملية قبل ١٩ نيسان (ابريل) وذلك بسبب ان رحلة الميجور ستدوم عشرة أيام على متن الغواصة.

الرسائل الوهمية:

صحيح ان استعدادات التمويه بدت كافية إلى هذا الحد. إلا أن هاجس مونتاغيو في اتمام العملية على أحسن وجه ممكن دفعه إلى المزيد من التمويه: فاستكتب السير ارخيبالدناي، مساعد رئيس هيئة الاركان البريطانية العامة، رسالة يذكر فيها ان الانزال الحقيقي سيكون في اليونان وسردينيا، بينما مسألة توجيه الانظار إلى صقلية ليست إلا مجرد مناورة لتضليل العدو. وأصر مونتاغيو على أن تطبع سكرتيرة ناي الشخصية الرسالة بحيث تبدو بصماتها واضحة عليها للتأكيد أكثر على الطابع الرسمي للوثيقة.

إضافة إلى ذلك استكتب مونتاغيو رسالة أخرى موجهة من اللورد لويس ماونتباتن، رئيس هيئة اركان العمليات المشتركة، وهو الجهاز الذي يشرف مباشرة على سلاح البحرية الملكية، إلى السير اندرو كانغهام، قائد الأسطول البريطاني في البحر الابيض المتوسط. وتضمنت هذه الرسالة الأخيرة العبارة التالية، المتسمة بروح النكتة: «... ويمكن أيضاً أن يجلب لنا بعض علب السردين، إذ اننا هنا لا يمكن الحصول عليها إلا بالبطاقة...»، وهي اشارة واضحة إلى ان هدف الحلفاء المقبل هو سردينيا.



ايوان مونتاغيو. ١٩٦٨.



برنارد سيلزبوري

وهكذا، جمعت هاتان الرسالتان الرسميتان ووضعتا مع غيرها من الوثائق في حقيبة مثبتة في معصم الميجور مارتن بسلسلة حديدية.

لكن كيف يبرر مونتاغيو وجود الحقيبة مع الجثة؟.

والأهم من ذلك، كيف يمكن لفت انظار الالمان إلى أن الميجور مارتن شخص غير اعتيادي وان في حقيبته وثائق سرية للغاية؟.

جاء حل هذه المعضلة بمحض الصدفة: فالمؤلف العسكري الشهير يومها، هيلاري سانت جورج ساوندرز، كان على وشك إصدار كتابه المنتظر «العمليات العسكرية: القصة الرسمية للكوماندوس» في طبعته الثانية في الولايات المتحدة الاميركية. لذلك كان

WAR OFFICE,
WHITEHALL,
LONDON, S.W.1.

23rd April, 1943

PERSONAL AND MOST SECRET.

My dear Alex —

I am taking advantage of sending you a personal letter by hand of one of Mountbatten's officers, to give you the inside history of our recent exchange of cables about Mediterranean operations and their attendant cover plans. You may have felt our decisions were somewhat arbitrary, but I can assure you in fact that the C.O.S. Committee gave the most careful consideration both to your recommendation and also to Jumbo's.

We have had recent information that the Bosche have been reinforcing and strengthening their defences in Greece and Crete and C.I.G.S. felt that our forces for the assault were insufficient. It was agreed by the Chiefs of Staff that the 5th Division should be reinforced by one Brigade Group for the assault on the beach south of CAPE ARAXOS and that a similar reinforcement should be made for the 56th Division at KALAMATA. We are earmarking the necessary forces and shipping.

Jumbo Wilson had proposed to select SICILY as cover target for "HUSKY"; but we have already chosen it as cover for operations "BRIMSTONE". The

/C. .S.

General the Hon. Sir Harold R.L.G. Alexander,
G.C.B., C.S.I., D.S.O., M.C.,
Headquarters,
18th Army Group

WAR OFFICE,
WHITEHALL,
LONDON, S.W.1.

one particular theatre are to get extra decorations merely because the Americans happen to be serving there too, we will be faced with a good deal of discontent among those troops fighting elsewhere perhaps just as bitterly – or more so. My own feeling is that we should thank the Americans for their kind offer but say firmly it would cause too many anomalies and we are sorry we can't accept. But it is on the agenda for the next Military Members meeting and I hope you will have a decision very soon.

Best of luck

Yours ever

Archie Nye

Personal and Most Secret

General the Hon. Sir Harold R.L.G. Alexander,
G.C.B., C.S.I., D.S.O., M.C.,
Headquarters,
18th Army Group

V.C.I.G.S.
WAR OFFICE

رسالة ناي إلى الجنرال الكسندر.

ساوندرز يأمل بمقدمة قصيرة يكتبها للطبعة الاميركية الجنرال دوايت د. ايزنهاور. وبما أن اللورد ماونتباتن هو الذي قدم للطبعة الأولى، فلا بأس ان يوسل هذا الأخير رسالة إلى ايزنهاور، مع مارتن-الجثة، يرجوه فيها، باسم «مصلحة الكفاح المشترك»، كتابة مقدمة الطبعة الجديدة للكتاب. وجاء في هذه الرسالة أيضاً أن الميجور مارتن «... يحظى بثقتي الكاملة لذلك يمكن التحدث معه بصراحة لأنه على علم بكل شيء...». وهذه اللفتة الذكية لا بد وأن تعطي للجثة أهمية استثنائية.

هوية الميجور مارتن:

إلى جانب هذه الصفة الرسمية المهمة للميجور-الميت، كان من الضروري اضفاء صفة اجتماعية حميمة عليه، ليصبح انساناً كبقية البشر وليس مخلوقاً خارقاً. لذلك وضعت في جيبه وفي محفظته الوثائق التالية:

- هوية رقمها ١٤٨٢٢٨ صادرة بتاريخ الثاني من شباط (فبراير) ١٩٤٣، ذكر فيها ان وليام مارتن ولد في العام ١٩٠٧. أما في خصوص صورته فتم الاستعانة بصورة شخص يشبهه لأنه من المستحيل ان نطلب من الميت... الابتسام قليلاً لأخذ صورة له.

- رسالتا حب رقيقتان من «بام» حبيبته مع صورة لها. وكان موضوع الرسالتين حول موعد زفافهما القريب.

- فاتورة خاتم الخطبة: ٥٣ جنيه استرليني.

- دفتر-حساب توفير في مصرف لويدز-لندن حيث كان الميجور يدخر ما مجموعه ٨٠ جنيها استرلينيا.

- مفاتيح عديدة مع تذكرتين لاحدى المسرحيات في لندن، ودفتر اشتراك في النقل المشترك وسجائر وحوائج أخرى...

أصبح كل شيء جاهزاً.

وضع الميجور-الجثة في الحاوي الذي كتب عليه «معدات بصرية». ولم يخبر مونتاغيو الا الأميرال جيوال، قائد الغواصة «سيراف»، حقيقة ما يتضمن الحاوي المعدني، بينما اعتقد البحارة انه يحتوي على معدات متطورة يمكنها قياس حرارة الطقس وبرودته في مناطق يصعب فيها استخدام الاجهزة التقليدية المستعملة يومها.



السير ارخيبالدناي.

... وبدأ تنفيذ العملية :

في الثلاثين من نيسان (ابريل) كانت جثة الميجور وليام مارتن تلامس شاطئ هويلفا. فسارع موظفو هيئة أركان البحرية الاسبانية في المدينة الى سحب الحقيبة وكل الاوراق الشخصية «للمرحوم مارتن»، بينما وضعت الجثة في عهدة الطبيب الشرعي فرناديز كونتيبوزو الذي «أكد» بعد التشريح غرق الضابط الشاب و«أوضح» أن الجثة بقيت في وسط الأمواج من ٥ إلى ٦ أيام. وأهمية تقرير الطبيب الشرعي أن تاريخ تحديده للوفاة تطابق وتاريخ تذكرتي المسرح والتي بموجبها كان الميجور مارتن ما زال في لندن مساء الثاني والعشرين من نيسان (ابريل).

وما أن انتشر خبر وجود الجثة في هويلفا حتى نشطت مختلف اجهزة المخابرات والهيئات الرسمية الأخرى: مساعد القنصل البريطاني، فرانسيس هاسلدان، كان على اتصال مباشر بسفارة بلاده في مدريد لاتخاذ الاجراءات اللازمة. ومن هذه الاجراءات تنظيم مأتم رسمي للميجور مارتن، والذي جرى في الثاني من أيار (مايو) ١٩٤٣ في المقبرة الكاثوليكية في هويلفا.

In reply quote R.1.3.4.4

COMBINED OPERATIONS HEADQUARTERS,
1A, RICHMOND TERRACE
WHITEHALL, S.W.1

21st April,
1 9 4 3.

Dear Admiral of the Fleet,

I promised V.C.I.G.S. that Major Martin would arrange with you for the onward transmission of a letter he has with him for General Alexander. It is very urgent and very "hot" and as there are some remarks in it that could not be seen by others in the War Office, it could not go by signal. I feel sure that you will see that it goes on safely and without delay.

I think you will find Martin the man you want. He is quiet and shy at first, but he really knows his stuff. He was more accurate than some of us about the probable run of events at Dieppe and he has been well in on the experiments with the latest barges and equipment which took place up in Scotland.

Let me have him back, please, as soon as the assault is over. He might bring some sardines with him - they are "on points" here!

Yours sincerely

Louis Mountbatten

Admiral of the Fleet Sir A.B. Cunningham, G.C.B., D.S.O.,
Commander in Chief Mediterranean,
Allied Force H.Q.,
Algiers.

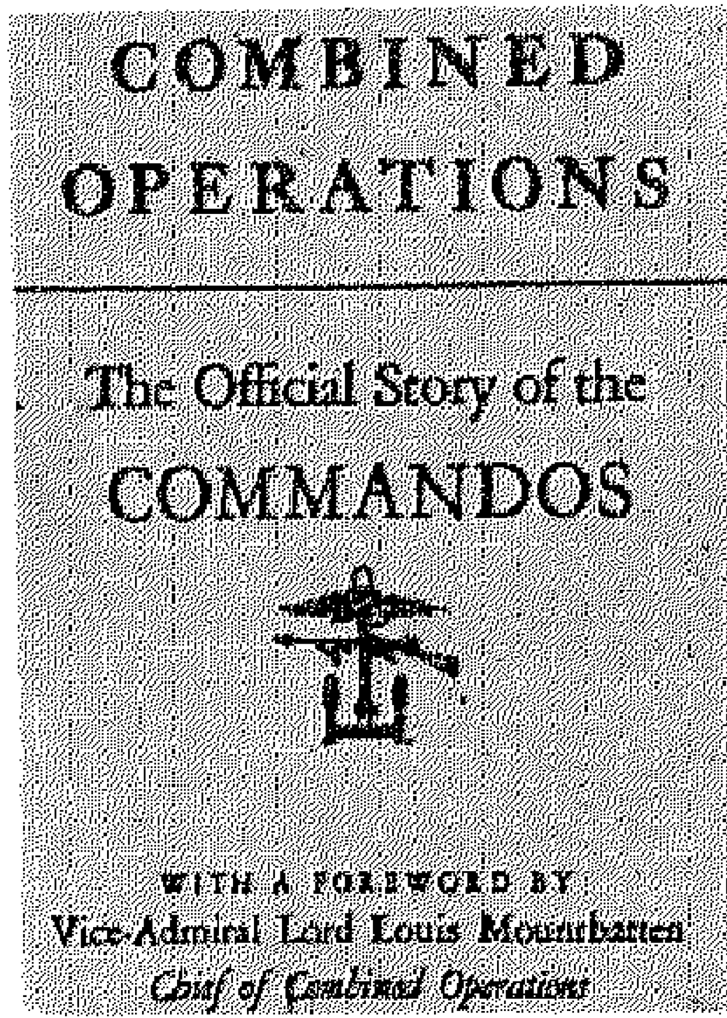
رسالة ماونتباتن إلى الاميرال كونينغهام.



الجنرال هارولد الكسندر.



الأميرال اندرو كونينغهام.



الكتاب الوثيقة الذي وضع في حقيبة مارتن.

وفي الوقت نفسه كان السفير البريطاني في مدريد السير صامويل هور على اتصال دائم بلندن وبرئيس الأركان الاسباني الفونسو اريبغا بهدف استرجاع الحقيبة، وذلك بألحاح ظاهر فقط. إذ المهم بالنسبة إلى لندن هو ترك الوقت الكافي للعدو ليقوم بتصوير المستندات. وكان جواب اريبغا أن للسلطات الاسبانية كل الحق في التدقيق في محتويات الحقيبة قبل تسليمها إلى السفارة البريطانية. مرة أخرى اصرت لندن ظاهرياً على ضرورة الاسراع بتسليم الحقيبة.

وفي اثناء هذه المسرحيات الديبلوماسية الباردة، كان الجو محموماً داخل اجهزة مخابرات العدو: فبعد تصوير المستندات تم إرسالها إلى هتلر مباشرة مع الملاحظة التالية: «إن مصداقية هذه الوثائق لا يرقى اليها الشك. سنتابع التحقيق للتأكد من عدم وجود أية عملية تضليل مقصودة – وهذا ما يبدو مستبعداً – وعلينا أيضاً التأكد مما إذا كان العدو علم بحيازتنا للوثائق».

الفخ:

وفي الوقت الذي كانت فيه أجهزة المخابرات الهتلرية في بون تحلل الوثائق وتقارن بينها وبين المعلومات التي تردها دورياً من الخارج، كانت خيوط اللعبة تتواصل في لندن: في عدد «التايمس» بتاريخ ٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٣ أعلن عن وفاة الميجور وليام مارتن وغيره نتيجة تحطم طائرة مائية. ولا شك ان اجهزة الرصد النازية في العاصمة البريطانية لاحظت الخبر وارسلته فوراً إلى بون.

وأخيراً... عندما وصلت الحقيبة إلى لندن سارع مونتاغيو إلى عرضها على الفنيين للتأكد من انها فتحت حقاً. ولشد ما كان سروره كبيراً عندما جاءت النتيجة ايجابية: فالعدو وقع في الفخ الأول.

وبالفعل بدأت القيادة العسكرية

Issued in lieu of No 09650 lost.

Navy Form S.1011

NAVAL
IDENTITY CARD No. 148228

Surname MARTIN

Other Names WILLIAM

Rank (at time of issue) CAPTAIN, R.M. (ACTING MAJOR)

Ship (at time of issue) H.Q. COMBINED OPERATIONS

Place of Birth CARDIFF

Year of Birth 1907

Issued by [signature]

At

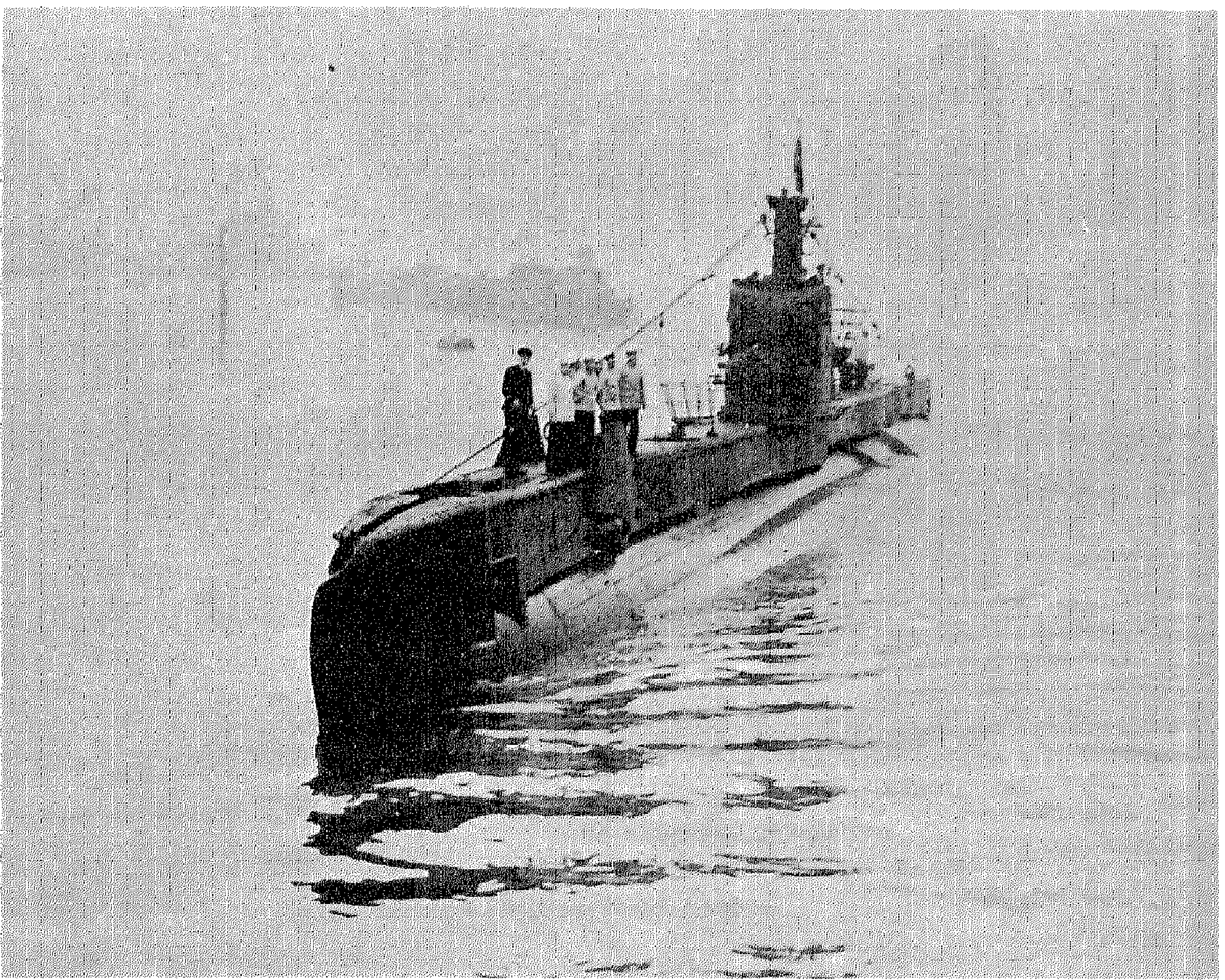
Date 2nd February 1943.



Signature of Bearer W. Martin

Visible distinguishing marks Nil

تذكرة هوية مارتن.



الغواصة «سيراف» وقائدها الأميرال جيوال.

النازية العليا، ومنذ الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٤٣، بنقل أفضل وحداتها المصفحة، وهي «فرقة البانتسر الأولى»، من وسط فرنسا إلى البيلوبونيز (جنوبي اليونان). وفي العشرين من الشهر نفسه لغمت مياه بحر ايجه وشيدت على وجه السرعة تحصينات دفاعية قوية على طول سواحل البيلوبونيز. ثم أمر الفيلد مارشال كيتل بنفسه بنقل وحدات مصفحة أخرى من كورسيكا وتقوية المواقع الدفاعية لسردينيا، اضافة إلى توجيه قاذفات الطوربيدات إلى منطقة البيلوبونيز.

أدت كل هذه التحركات العسكرية التكتيكية للعدو إلى نتيجة واحدة: إضعاف المواقع الدفاعية لصقلية.

وفي ١١ تموز (يوليو) ١٩٤٣ نزلت قوات الحلفاء في صقلية بينما كانت قوات هتلر، في الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط، تستعد لمعركة لم تقع أبداً. ●

تصحيح

ورد خطأ في العدد الحادي عشر في مقالة: «الصهيونية من فكرة خرافية إلى دولة توسعية» وذلك في الصفحة ٣١ إذ ورد السطر الأول من العمود الثاني في رأس العمود الأول فاعتذارنا من العقيد الدكتور سويد ومن القراء الكرام.

زنجبار



مِن تاريخها العربي

إلى مصيرها في مخططات

الاستعمار ومعاهداته الدولية

ارتبط العالم العربي بالقارة الافريقية في عصور مختلفة من التاريخ نظراً لمتاخمتها الجغرافية، بروابط اقتصادية، دينية، ثقافية، حضارية وأحياناً سياسية. ويتجلى الترابط السياسي الاقتصادي بوضوح في تأسيس أول دولة آسيوية – افريقية يفصل بينها أميال من البحار تحت حكم عربي في تاريخنا الحديث. هذه الدولة الأفروآسيوية هي سلطنة عُمان وزنجبار. إلا أن القوى الاستعمارية التي كان لها مطامع عدة في أفريقيا لم يرقها هذا الوجود العربي في شرق أفريقيا فأخذت تسعى جاهدة لاضعافه واضمحلاله حتى تسنى لها ذلك عام ١٨٨٦ بموجب معاهدة خولتها تفكيك هذه السلطنة العربية وتقسيم ممتلكاتها فيما بينها. وظلت أيادي الاستعمار تعبث ببقايا هذه السلطنة حتى استطاعت أن تكف أيادي العرب عن هذه البقعة الافريقية وتعضف بوجودهم فيها.

ما هي زنجبار وكيف حكمها العرب؟ زنجبار جزيرة تقع شرقي أفريقيا طولها ٨٥ كلم، عرضها يقارب ٤٠ كلم ومساحتها ٣٤٠٠ كلم². تمتاز هذه الجزيرة بموقع متوسط بين موانئ شرق أفريقيا وتتمتع بطقس معتدل. أراضيها خصبة وفيها ميناء كبير صالح للملاحة وتنبع منها أعذب مياه في شرق أفريقيا. وكلمة زنجبار مشتقة من الكلمتين الفارسيتين: «زنج» و«بار» الأولى تعني الزنوج والثانية ساحل أي ساحل الزنوج بالعربية.

أغرت كل هذه الميزات الطبيعية لزنجبار، الامام سعيد، سلطان عمان، للاستيلاء على الجزيرة. وكانت المشاكل والاضطرابات قد نخرت سلطنة عمان في مستهل القرن التاسع عشر، ففكر السلطان سعيد بنقل العاصمة إلى مكان آخر، يكون بعيداً عن مؤامرات الوهابيين، فاختار زنجبار قاعدةً لحكمه عام ١٨٣٧.

ازدهرت الجزيرة في عهده وراجت فيها تجارة المرور.

إلا أن نقل العاصمة من مسقط لم يكن أمراً سهلاً لأن المسافة بين الوطن الأم والعاصمة الجديدة تبلغ نحو ٢٥٠٠ ميل لكن المضايقات السياسية ومركز زنجبار الاستراتيجي كانا الحافزين الأساسين لنقل العاصمة.

ومع مجيء الأسرة المالكة العُمانية إلى زنجبار دخل المذهب الاباضي إلى المنطقة وأصبح مذهب الأسرة الحاكمة.

عندما توفي السلطان سعيد عام ١٨٥٦ قسمت مملكته بين ولديه وكان القطاع الافريقي من نصيب الأبن ماجد والقطاع الآسيوي لابنه ثويني. ولم تكن القسمة عادلة، فموارد القسم الأفريقي تبلغ ضعف موارد القسم الآسيوي؛ لذلك اتفق السيد ماجد مع أخيه السيد ثويني على أن يدفع للأخير ٤٠,٠٠٠ ريال سنوياً. إلا أنه نشأت مشكلة نتجت عن طبيعة هذه الاعانة. فهل هي نوع من التبعية من جانب زنجبار لمسقط؟ أم أنها بمثابة اعانة شخصية من أخ غني إلى أخ فقير. ويبدو أن اصرار ثويني على الأخذ بالمعنى الأول هو الذي دفع ماجد إلى الامتناع عن الدفع عندما احتدمت المشكلة. وكان هذا من الأسباب التي دفعت السيد ثويني للجوء إلى الحرب. هنا بدأ الاستعمار يستغل نزاع الأخوة ليعزز سيطرته على البلاد. كانت بريطانيا تؤيد تقسيم السلطنة وتعارض ضم ممتلكات ثويني إلى ممتلكات ماجد فوقفت بجانب الأخير متذرعة بأن أي حرب بين الأخوين سوف يشكل خطراً على مصالحها في تأمين الطريق البحري إلى الهند. ولم يقف الأمر عند حد التأييد البريطاني للسيد ماجد بل حاولت بريطانيا أن تحل النزاع بين مسقط وزنجبار بطريقة يقبلها الطرفان أو يرغمان على قبولها إذا استدعى الأمر ذلك. فأرسلت إلى كل من مسقط وزنجبار بعثة على رأسها الكولونيل (Coghlan) المقيم السياسي في عدن.

وكان من نتائج الأعمال والدراسات التي قامت بها البعثة انه لا ينبغي لحكام مسقط أو لقبائل عُمان التدخل في شؤون زنجبار لأن أهل زنجبار انتخبوا السيد ماجد حاكماً عليهم بعد وفاة والده السيد سعيد والانتخاب هي الطريقة المتبعة لتولي الحكم في سلاطين أسرة بوسعيد. وقد رضي الطرفان بهذا الحل.

وهكذا أصبحت العلاقة بين زنجبار ومسقط علاقة مالية قوامها ٤٠,٠٠٠ ريال سنوياً لتحقيق المساواة بين ميراثي الأخوين لأن أراضي زنجبار أكثر غنى من أراضي مسقط. وكان قسم كبير من هذه الاعانة تدفعه مسقط لايران لاستخدام ميناء بندر عباس ويعني ذلك انها إذا توقفت عن الدفع، فستحتل إيران ذلك الميناء، وحدث أن السيد ماجد وقع تحت ديون كبيرة ولم يعد قادراً على ارسال المعونة لمسقط. وتوقف تدفق الريالات على مسقط يعني اغلاق ميناء بندر عباس. وهنا تدخلت بريطانيا مرة أخرى وفرضت حلاً على الطرفين، وتم التعهد بأن تدفع

حكومة الهند التي كانت مستعمرة بريطانية انذاك الأموال المتوجبة على زنجبار على أن تستعاض مرة أخرى من سلطان زنجبار وظل الحال كذلك حتى عام ١٨٦٨ حين قامت ثورة في عُمان انتقل على أثرها الحكم إلى عزان بن قيس وهو ينتمي إلى فرع آخر من فروع أسرة بوسعيد غير الفرع الذي ينتمي إليه سعيد بن سلطان. فكانت هذه حجة كافية للسيد ماجد كي يقطع الاعانة عن مسقط.

لا شك أن قطع الاعانة السنوية كان يتمشى إلى حد كبير مع الخطة العامة لاضعاف الروابط بين مسقط وزنجبار. ولكي تكرس بريطانيا القطيعة بين قسمي البلاد تكفلت بدفع هذه الاعانة السنوية. وهكذا تحققت الخطوة الأولى وهي فصل قسمي السلطنة العربية. وبقيت الخطوة الثانية وهي الاستيلاء على القسم الافريقي. ولم يكن هذا بالأمر السهل على بريطانيا لكثرة التنافس الدولي على سلطنة زنجبار، فكانت بلجيكا وفرنسا وألمانيا تسعى بالإضافة لبريطانيا إلى السيطرة على الجزيرة. فأرسلت بلجيكا البعثة تلو الأخرى تمهد طريق الاستيلاء على شرق أفريقيا. وقدّمت الدراسات التي قام بها الجغرافيون والرحالة إلى الملك ليوبولد ملك بلجيكا، فاقتنع هذا الأخير من خلالها أن الكونغو هو أفضل نقطة مناسبة لسياسة بلجيكا في السيطرة.

أما الفرنسيون فقد أقاموا سلسلة من المحاولات للحصول على امتيازات في شرق القارة إذ طلبت احدى الشركات الفرنسية من سلطان زنجبار اقامة أرصفة وأحواض سفن ببلاده ومد خط حديدي يدعم موقع هذه الأحواض. رفض الاقتراح نتيجة لضغوط بريطانية. وهكذا حولت الحكومة الفرنسية وجهها جنوباً ونجحت في عام ١٨٨٣ في تأسيس محميات على بعض جزر القمر وكسب موقع قدم في مدغشقر. كان ابعاد فرنسا وبلجيكا عن زنجبار أمراً مرضياً جداً لبريطانيا لتنفرد ببسط نفوذها على السلطنة. لكن ظهور أطماع بسمارك، الداهية الألماني، بدد آمال الانكليز وخلق معادلة جديدة في السياسة الاستعمارية. في عام ١٨٨٥ كانت ألمانيا في عز انتصاراتها وقوتها في أوروبا. ونتيجة لهذه الانتصارات أرادت ألمانيا أن يكون لها ما للدول الأوروبية القوية من مستعمرات. فوجهت أطماعها إلى أفريقيا. وأرسلت البعثات للاستكشاف وتوصلت احداها بالحصول على توقيعات لرؤساء مناطق في شرق أفريقيا يؤيدون فيها وقوع بلادهم تحت حماية الحكومة الألمانية، وكانت ممتلكات سلطان زنجبار من ضمن هذه المناطق.

لم يكن سلطان زنجبار بوضع قوي لينصت إليه العالم وخاصة بريطانيا، لكن خوف الأخيرة من الامتداد الألماني وخطر نشوب حرب مع بسمارك هي بغنىً عنها دفعها إلى عقد معاهدة تقسم النفوذ الألماني والبريطاني في المنطقة. وقد تم التوصل إلى اتفاق بين الطرفين في لندن عام ١٨٨٦. وكانت أهم نقاطه:

أولاً: تعترف بريطانيا وألمانيا بسيادة السلطان على جزر زنجبار وبمبه ولامو وعلى شريط ساحلي قصير على البر الافريقي.

ثانياً: تقسيم الأراضي الواقعة بين نهري «روفوما» و«تانا» إلى منطقتي نفوذ بريطانية وألمانية (بخط يحدد الحدود الحالية بين كينيا وتنزانيا حالياً).

ثالثاً: توافق بريطانيا على مساعدة ألمانيا في مطلبها بإقامة جمارك في دار السلام، وهكذا أصبحت دار السلام لألمانيا بعد أن تم سلخها عن ممتلكات السلطان وتعد هذه المعاهدة أول اشعار ببداية السيطرة البريطانية على شرقي أفريقيا عامة وزنجبار خاصة.

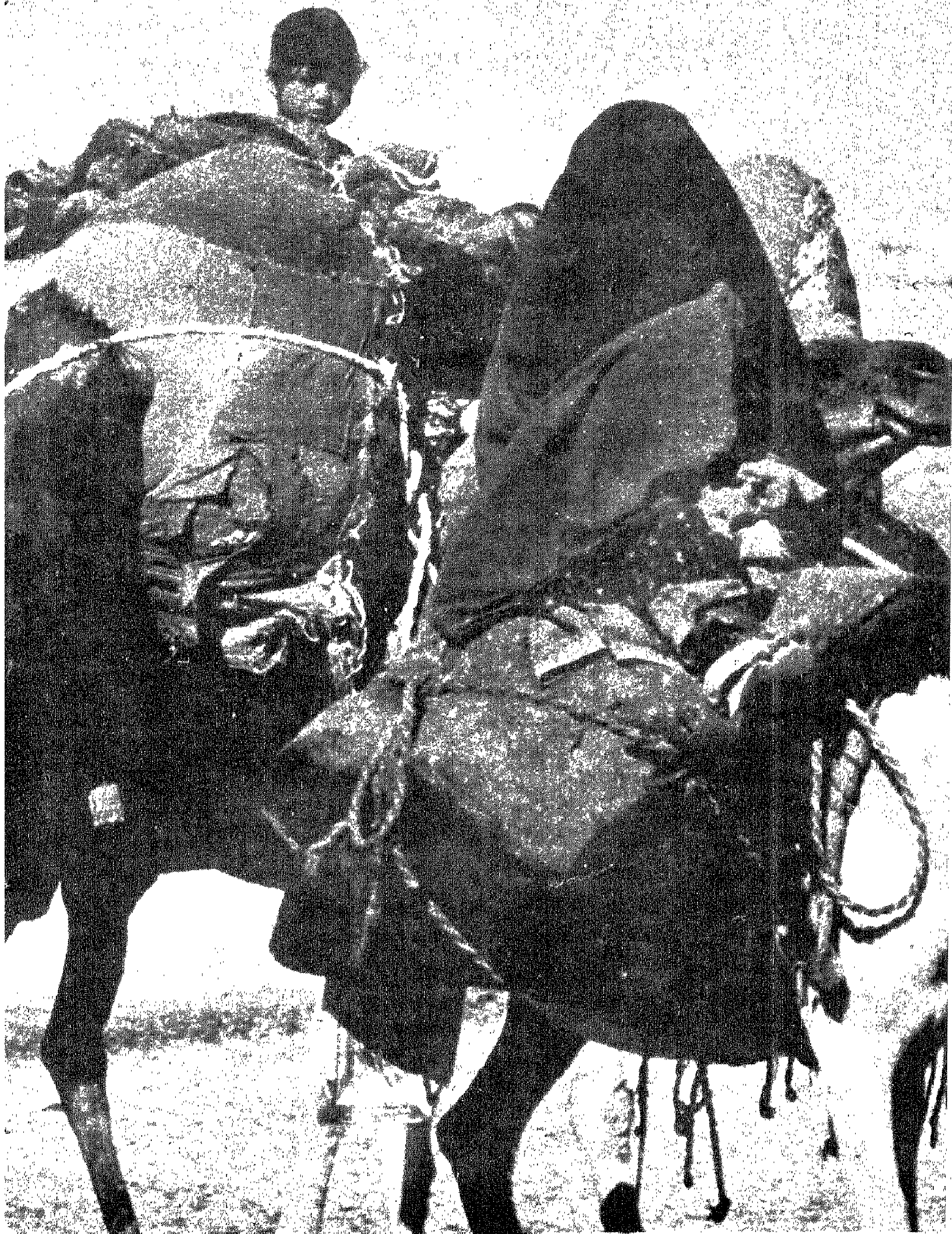
ومنذ ذلك الحين انقلبت الموازين ورجحت كفة بريطانيا، إذ كان الحظ حليفها في انتزاع السلطة في ألمانيا والسيطرة على شرقي أفريقيا. لكن سيطرتها على زنجبار لم تدم طويلاً! إذ حصلت هذه الجزيرة على استقلالها عام ١٩٦٣ تحت ظل حكم عربي ما لبث أن أطيح به في العام التالي على أثر انقلاب قتل فيه ١٦ ألف عربي. لأن الانقلابين اعتبروا الأسرة العربية الحاكمة مستعمرة للمنطقة. وفي نفس العام انضمت زنجبار إلى تانجنيقا لتكون معها جمهورية متحدة عرفت باسم تنزانيا. ورغم ان الانقلاب في زنجبار والاتحاد مع تانجنيقا كانا ضد العرب بالدرجة الأولى فإن بعض الدول العربية كانت من أوائل دول العالم اعترافاً بهذه الدولة ومقدرة لصنيعها وكفاحها.

المراجـــع

شاكر، محمود: مواطن الشعوب الاسلامية في أفريقيا: تانزانيا.

طه، جاد محمد: العلاقات العربية الافريقية. القاهرة: جامعة الدول العربية.

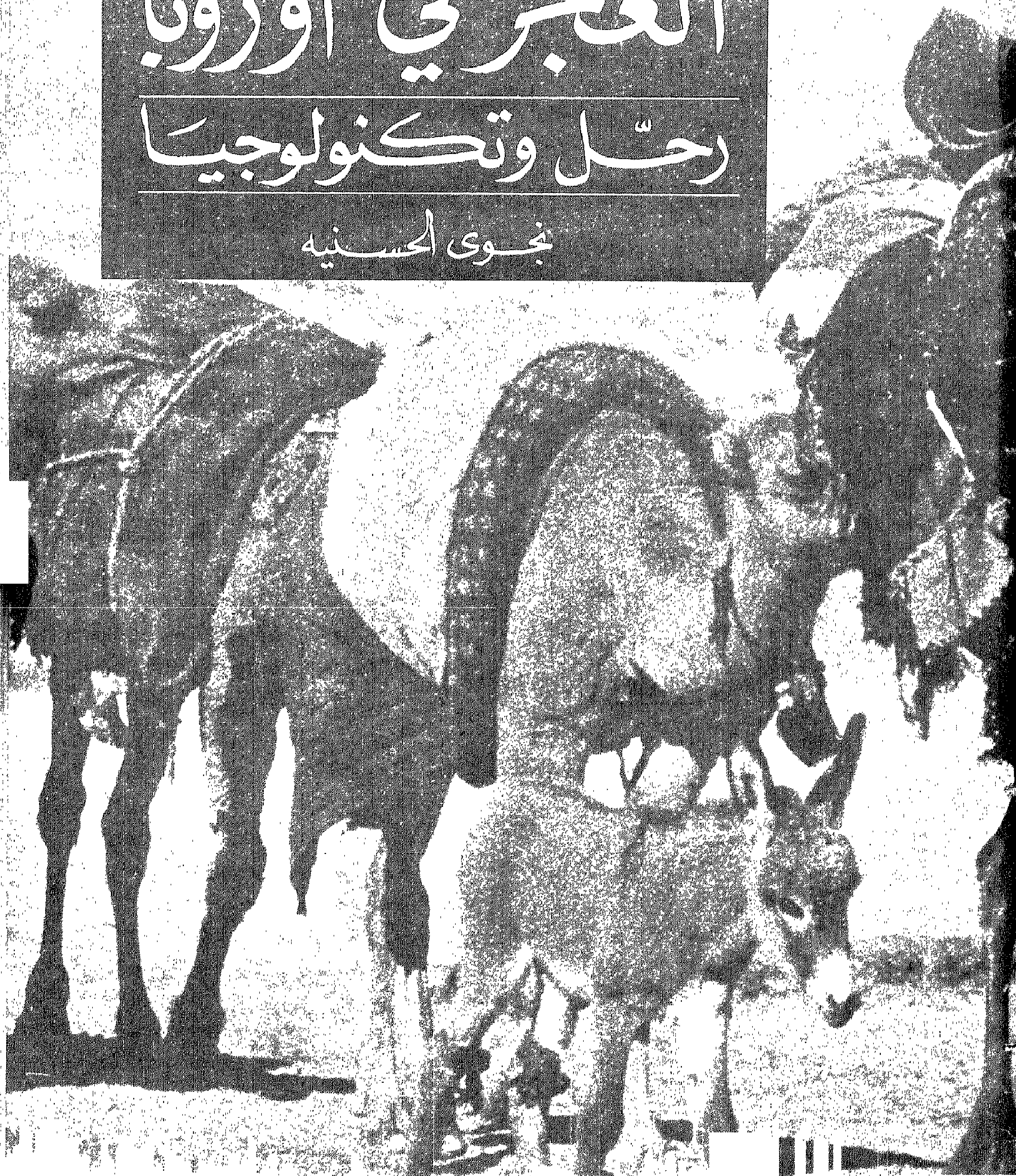
تقويم البلدان الاسلامية. مؤتمر العالم الاسلامي، كراتشي، ١٩٦٢.



الغجر في أوروبا

رحّل وتكنولوجيا

نجوى الحسنيه



الغجـــــر:

قوم من البدو نشأوا في الهند ثم هاجروا حوالي سنة ١٠٠٠م نحو الغرب. وهم يوجدون اليوم في جميع أنحاء العالم تقريباً، ولقد قاسوا خلال تاريخهم الكثير من الاضطهاد، وهم يعتبرون من الاقليات. وقد استقر الكثير منهم رغم وجود اعداد كبيرة لا تزال تهيم على وجهها. ونظراً لبداوتهم ووصفهم كأقلية لم يتح لكثير منهم الانتفاع من فرص التعليم، رغم بذل جهود كثيرة لاتاحة خدمات تعليمية لهم.

والغجر منتشرون في كثير من مناطق العالم، واينما وجدوا خلال تاريخهم الطويل، استرعوا اهتمام الناس. وهو اهتمام يرجع اما للخوف منهم أو للافتتان بهم. والناس يبحثون لمعرفة المزيد من عاداتهم وأصلهم الغامض. وهم يروجون اسباباً غريبة عن وجودهم. ومن لميزاتهم: الشعر الأسود، والبشرة الداكنة، والملابس الزاهية والألقاب الرفيعة مما يحمل الناس على تصديق ما يقولونه عن أصل نشأتهم وموطنهم.

فهم يزعمون انهم قوم مسيحيون تقرر نفيهم من بلد يعرف باسم (LITTLE EGYPT) «مصر الصغيرة» وبعضهم يبرز وثائق تثبت ان البابا فرض عليهم عقوبة ذاتية للتكفير عن خطاياهم. وهذه العقوبة هي ان يهيموا على وجوههم مدة سبع سنين. ولقد صدق كثير من الباحثين الذين زاروهم في تجوالهم ما جاء في هذه الوثائق، ونظراً لما يقوله الغجر عن أصلهم صاروا يعرفون باسم (ايجبتيافز). وكلمة جبسي التي تترجم «الغجر» اختصار لهذا الاسم.

ويطلق على الغجر أسماء مختلفة فيلقبون بالرومانيين الرحل والبوهيميين. بيد انهم جميعاً ينتمون إلى الشعب الذي نشا في الهند وانتشر في أنحاء العالم. وهم يجيدون صناعة النحاس والمجوهرات وتربية الخيل والاتجار بها. ويدربون الدببة والكلاب والقردة والماعز ويعرضونها في معارضهم المتنقلة، ويقومون بعرض ألعابهم البهلوانية والسحرية في سيرك يقيمونه لذلك ولقد مارسوا عدداً من الحرف التقليدية، رغم انهم كانوا يغيرونها مع ما يتناسب والأحوال الاقتصادية المتغيرة، ويشتهرون بالرقص والغناء ويحب الموسيقى والأطفال، فتعمل النساء عادة بالعرافة وقراءة البخت. ولديهم احساس بهويتهم الذاتية كشعب ذي تراث متميز. وتتجلى فيهم أيضاً روح الجماعة. ولقد استقر قسم منهم نهائياً. بينما نجد ان قسماً آخر استقر لفترات مؤقتة في مكان واحد بين فترات الترحال، ويفضلون الاقامة في الأكواخ خارج المدن الكبرى أو في أكواخ على أرض بور. ولهم عربة تقليدية تعرف باسم (فردين) تحمل أفراد الأسرة وأدوات الحرفة التي تمارسها، وفي أوروبا استعملوا عربة تدار بمحرك ولكن اسلوب حياتهم استمر كما هو. وهم لا يهتمون اجمالاً بجمع المال، ويقولون «الرجال يصنعون المال، ولكن المال لا يصنع الرجال».

أما بالنسبة لمناطق تواجدهم، فهم موجودون في كل قارة تقريباً. «وتقديرات عددهم تشير إلى انه يوجد منهم خارج الهند وجنوب شرقي آسيا عدد يتراوح بين سبعة وثمانية ملايين»[1] حيث يعيش ما يقرب من نصفهم في أوروبا، وقسم كبير في أوروبا الشرقية، إلى جانب تواجدهم في شمال أفريقيا (مصر، الجزائر، السودان). كما تعيش أقليات ضئيلة في آسيا، ويتواجدون أيضاً في كندا والبرازيل وفي ريودي جانيرو وكذلك في نيوزيلندة، واستراليا، وتتواجد جماعات أخرى في الصين والفلبين وجزر الهند الغربية.

هناك سمات مشتركة بين الغجر في جميع أنحاء العالم: منها البداوة التي هي عنصر هام في حياتهم. ورغم اقامة العديد منهم في مساكن إلا ان رغبة التنقل والترحال هي أقوى في نفوسهم من أن تقاوم. وهذه الميزة أدت بهم إلى التفرق في العالم.

وإلى جانب البداوة تشكل اللغة عاملاً من العوامل التي تربط بين الغجر وتحمل تراثهم المشترك. وهي من اللغات الآرية الهندية. وهذا ما يثبت انهم جاءوا في الأصل من الهند. وهم يتفاهمون بلغتهم المشتركة في مختلف البلاد.

الغجر والتعليم:

ما هو موقف الغجر من التعليم؟ وما هي الاجراءات الثقافية والاجتماعية التي اتخذتها الدول حيال هذه الأقليات.

الدواعي والمعيقات

بعد انتشار التعليم، وجد الغجر في الأمية ضرراً عليهم. وظهرت عندهم رغبة في الحاق ابنائهم في المدارس لتعليم القراءة والكتابة، ولكن ما هي أسباب

هذه الحاجة إلى التعليم وما هي معوقاتها؟

ان أسباب التوجه إلى التعليم عند الغجر هو استقرار نسبة كبيرة منهم (حيث ان قسماً استقر في بعض البلاد بشكل اجباري). ذلك ان التحول من حياة البداوة إلى الاستقرار، يجعلهم يشاركون في حياة المجتمع المستقر فيقبلون على التعليم، الذي يساعدهم على القراءة وادراك حقوقهم القانونية الاساسية والالمام بقواعد المرور المتصلة بقيادة العربات. ورغم ذلك فقد كانت قلة منهم تلك التي اغتنمت فرص التعليم المتاحة لها. والسبب هو البداوة التي تعتبر احدى معوقات التعليم عندهم ورغم التجارب التي اجريت لالحاق أبناء الغجر بالمدارس الداخلية إلا ان الأسر الغجرية أبدت معارضة شديدة لهذه الحركة خوفاً من تشتيت شمل الأسر. كذلك فان حياة البداوة لا تساعد على مواظبة التلاميذ في الحضور إلى المدرسة مما يحول دون نجاح التعليم. ولقد دلت المحاولات التي بذلت لارغام اطفال الغجر على الذهاب إلى المدرسة انها عادت بالضرر على المدارس والأطفال، لأن البيئة المدرسية غير مألوفة بالنسبة إليهم، إلى جانب عدم تفهم المعلمين لأسلوب الحياة الذي اعتاده الغجر، وعدم العطف عليهم. بالاضافة إلى ذلك فهناك عوامل أخرى تعرقل التعليم عند الغجر وهي اقامتهم في معسكرات مؤقتة، إلى جانب انهم يعملون كوحدة اقتصادية في اطار الأسرة، لذلك فهم يعتبرون ذهاب أطفالهم إلى المدرسة اضعافاً لهذه الوحدة، وهم يرون ان حياتهم البدوية تتطلب صلابة وقوة للجسم وان مدة الدراسة الطويلة قد تحرم الغجري ان يألف شظف العيش وتحرمه من النشاط والقوة. وهذا مما لا يريدون خسرانه.

اجراء السلطات المعنية :

ولقد اتخذت السلطات في كثير من البلاد اجراءات تكفل تمتع الغجر بالحقوق الكاملة للمواطنين. وذلك باعداد المدارس والمساكن المناسبة لهم. وبما ان أطفالهم لا يستطيعون الحضور إلى المدرسة بانتظام فقد تقرر استخدام طرق جديدة للتدريس وكتب خاصة للقراءة، ومن المشروعات التعليمية التي تنفذ في انحاء العالم لصالح أطفال الغجر نذكر على سبيل المثال : في فرنسا تعد الدولة للغجر أماكن مناسبة وتشجعهم على الاقامة في هذه المساكن والاستفادة من المؤسسات الاجتماعية والتعليمية التي تلحقها بهذه الأماكن، ويمنحون هبات مالية لتشجيعهم على إرسال ابنائهم إلى المدارس لتعليمهم مبادئ الصحة والتدبير المنزلي والمهني.

أما في اسبانيا فقد انشئ مركز للدراسات الغجرية في مدريد لدراسة اسلوب حياة الغجر وذلك نظراً لكثرة اعدادهم في البلاد.

أما في السويد فمعظم العائلات الغجرية تقيم في مساكن خاصة، ويذهب أطفالهم إلى المدارس، وفي هولندا أقيمت لهم معسكرات كثيرة تضم مدارس ونوادي وساحات رياضية وهي بعيدة عن المدن.

وفي ايرلندا أقيمت لهم مدارس خاصة بالتعاون مع السلطات الرسمية، وهناك مدرسة خاصة في رتشموند بولاية فرجينيا في الولايات المتحدة تعني بتعليم أبناء الغجر المهارات الأساسية والقراءة والكتابة، وفي المملكة المتحدة أنشئت لجنة استشارية لتعليم الغجر.

أما في ايطاليا فقد وضعت مشروعات حرة ورسمية لتعليم أبناء الغجر حيث قررت وزارة التعليم العام اقامة ١١ فصلاً لهذا الغرض. أطلق عليها اسم (لاسيو دروم) – الرحلة الممتعة – وانشئ عام ١٩٧٢ ستون فصلاً ضمت حوالي ألف تلميذ نصفهم يحضر بانتظام.

إلى جانب كل ذلك هذه الاهتمامات بتحسين أحوال الغجر وتعليمهم أنشئت مشروعات لمحو الأمية بين الكبار منهم.

إذاً، ان عملية تهيئة التعليم للأقليات وخاصة المتنقلة منها كالغجر عملية صعبة تحتاج إلى كثير من الاهتمام والدقة حتى تتأقلم هذه الأقليات في المجتمعات، خاصة ان التعليم هو الوسيلة المهمة لارساء دعائم التفاهم والتعاون بين الشعوب.

بعد هذا العرض الموجز عن هذه الأقليات المتفرقة في أنحاء مختلفة من العالم نخلص إلى القول انه بالرغم من اهتمامات الدول بها وبتحسين أوضاعها لا تزال هناك اعداد كبيرة من الغجر لا تألف الاستقرار ولا التعليم وتنتقل كعادتها باستمرار من منطقة إلى أخرى وتعيش حياة قاسية شظفة.

● عن دراسة بقلم ارثر ايفانز المستشار التعليمي للجنة الاستشارية في لندن لتعليم الغجر وغيرهم من الرحّل.

(١) لا توجد احصاءات دقيقة عن عددهم.

الإتجاه البطولي في تفسير التاريخ

فيصل محمد شقير

يحتل التاريخ مكانة هامة بين مختلف فروع المعرفة الانسانية، فلقد اهتم به الإنسان منذ أقدم العصور التاريخية. في مصر القديمة، كانت الكتابات التاريخية تتم على أوراق البردي، أما في بلاد الرافدين، فقد وجدت الكتابات على الألواح الطينية، يضاف إلى ذلك المؤلفات التاريخية الهامة التي ظهرت في العصور التاريخية القديمة والوسطى والحديثة.

ولقد تبلورت في القرن التاسع عشر معظم الاتجاهات الحديثة في تفسير التاريخ، علماً بأن عدداً من هذه الاتجاهات له جذور تعود إلى الماضي، أي إلى العصور التاريخية القديمة، ومثال ذلك الاتجاه البطولي.

ويعتبر الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ من أقدم التفسيرات التي عرفها الإنسان، وهو يعني أن أعمال الرجال العظماء هي التي تصنع الحوادث التاريخية في هذا العالم. ولقد بدأ هذا الاتجاه منذ زمن اليونان فلحمتا الالياذة والأوديسة للشاعر اليوناني هوميروس تعتبران نموذجاً لتمجيد الأبطال والبطولة.

ولقد جاء في مقدمة كتب المؤرخ اليوناني هيرودوت (Herodotus) [٤٨٤ - ٢٥ ق.م.] التسعة المعروفة باسم التواريخ، بأنه كتب تاريخه «على أمل أن يحفظ به أعمال الناس، ولكي يمنع الأعمال العظيمة والمدهشة التي قام بها اليونان والبرابرة [يعني غير اليونان] من أن تفقد ما تستحقه من التمجيد»[١].

ومن هنا ظن هؤلاء المؤرخون، أن السبب الرئيسي للتغير في التاريخ هو بسالة عظماء الأبطال والكهنة والملوك[٢].

وبعد هيرودوت جاء المؤرخ اليوناني توكيديدس ٤٦٥ - ٤٠١ ق.م. بنظرية «الرجل العظيم» وفيها يوضح الدور الذي يلعبه الأبطال في صنع التاريخ، لأن أعمال الأبطال من ملوك وقادة، وشجاعتهم هي التي صنعت التاريخ[٣]، ولقد وجهت هذه النظرية المناهج التربوية زمناً طويلاً، ولقد أولت اهتمامها لسير الأفراد الذين ساعدوا على تحويل مجرى التاريخ، وأهملت الدور الذي تلعبه الشعوب في صنع الأحداث التاريخية.

ان الطابع العام الذي اتسمت به كتابة معظم المؤرخين الاغريق ظل مقتصراً على قصص الأبطال وشجاعتهم وأعمالهم البطولية الخارقة في مختلف ميادين الحرب والقتال[٤].

ثم جاء المؤرخ الروماني الشهير بلوتارك (Plutarach) [١٢٥ - ٤٦ ق.م.] الذي جمع في شخصه شخصية المربي وشخصية المؤرخ بكتابه «حياة العظماء» مؤكداً ما أكده توكيديدس من قبل بشأن نظرية الرجل العظيم. ولقد عمد بلوتارك الى تحليل وتمجيد الشخصيات التي شاركت في صنع تاريخ العالم[٥].

ويمكن القول بأنه منذ عصور الملكيات الوثنية التي قامت في عصر البرونز بمصر وبلاد الرافدين والصين، وبسبب الاعتقاد بقوى خارقة تنسب للملك فإن الاعتقاد كان سائداً بأن الملك هو العامل الوحيد المؤثر في كافة الأحداث التاريخية[٦].

ولقد استمرت نظرية «الرجل العظيم» في تفسير التاريخ خلال العصور الوسطى والحديثة، وإلى ذلك يشير الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر (Herbert Spenser) [١٨٢٠ - ١٩٠٣] حيث يقول: «لقد كان الملك في العصور الماضية يمثل كل شيء بينما بقية الناس لا يمثلون شيئاً، ولذلك فان أعمال الملك كانت تغطي الصورة بكاملها بينما تكون أنماط حياة الشعب خلفية غامضة»[٧].

وحين يفصل جان جاك روسو تنظيم المادة التاريخية حول الشخصيات التاريخية، فإنه يبرز لنا من جديد مدى تأثر المفكرين الأوربيين في العصور الحديثة بنظرية الرجل العظيم التي ابتدعها اليونان وقلدهم فيها الرومان[٨].

ومن أشهر المدافعين عن الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ توماس كارليل الاسكتلندي

(Thomas Carlyle) [١٧٩٥ – ١٨٨٥] وكان ذلك في كتابه «الأبطال» حيث يقول :

«في اعتقادي ان التاريخ العام – تاريخ ما أحدث الانسان في هذا العالم – إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء، فهم الأئمة وهم المكيفون للأمور وهم الأسوة والقدوة، وهم المبدعون لكل ما وفق اليه أهل الدنيا، وكل ما بلغه العالم، وكل ما تراه في هذا الوجود»[٩].

أما العالم الامريكي فردريك ادامزوود، فقد وضع دراسة مفصلة عن ٣٨٦ ملكاً في أوربة الغربية، وهو يرى نتيجة لأبحاثه ان البطل التاريخي في المقام الأول هو الملك. فهو يحاول إذاً اعطاء أساس تجريبي لنظريته. ويعد أكثر دعاة الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ غلواً بعد توماس كارليل[١٠].

وكان هيجل قد أوضح ان الرجل العظيم ليس نتاج الأحوال المادية أو الاجتماعية أو البيولوجية، بل انه تعبير عن روح زمنه أو أنه زوح حضارته، [١١] ويتوقف ظهوره على قالب مقدر مكتوب خارج حدود الزمن، وهو يتخلل الأحداث في الوقت المناسب بطريقة غامضة[١٢].

وهكذا فقد اعتبر بعض المؤرخين التاريخ على أنه من صنع الأبطال والعظماء، في حين أنكر البعض الآخر أي أهمية لدور الأفراد لاعتقادهم بأن الأبطال ليسوا إلاّ نتاجاً للقوى الاجتماعية المحيطة بهم.

ولا بد من الاشارة بالقول إلى وجود فئة ثالثة من المؤرخين والفلاسفة التي قد اتخذت موقفاً وسطاً، وهذه الفئة تقرر بأن كلا الموقفين فيه شيء من الصحة، واننا في كل حالة ينبغي أن نتبين عملاً فرديا يلعب دوره إلى حد ما في تقرير الموقف[١٣].

وان النقد الكبير الذي يوجهه معارضو نظرية الرجل العظيم إليها هو أنها تتجاهل دور البيئة الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية التي يظهر من خلالها هؤلاء الأفراد المتفوقون ويمارسون نشاطهم في محيطهم، لأنه ما من فرد يصنع التاريخ إلا وهو محدود بثقافته وبالحضارة التي ينتمي إليها، إن الانسان لا يستطيع أن يفعل إلا ما تسمح به حضارته[١٤].

ولكن الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ ما زال له أنصاره من العلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين يرون ان أعمال الرجال العظماء هي التي توجه الحوادث التاريخية وتساعد على تغيير وجه العالم بين آونة وأخرى. وما زالت سير وتراجم العظماء والأبطال تعتبر فرعاً من فروع التاريخ السياسي.

---

(١) لويس جوتشلك : كيف نفهم التاريخ – ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الكاتب العربي. بيروت [١٩٦٦] ص ٢٤٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٥.
(٣) محمد عواد حسين: «صناعة التاريخ»، مجلة عالم الفكر، عدد خاص بفلسفة التاريخ، المجلد الخامس، العدد الأول، الكويت ١٩٧٤، ص ١٢٣.
(٤) حكمت أبو زيد: التاريخ تعلمه وتعليمه حتى نهاية القرن التاسع عشر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٥-٦٠.
(٥) المرجع السابق، ص ١٧.
(٦) د. محمد نهاد حموي: تقويم مناهج التاريخ في المرحلة الثانوية العامة في سورية، [رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية في جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٧٤]، ص ٩٦.
(٧) **- Spencer, Herbert: Essays on Education. London. 1949 p. 28**
(٨) د. محمد نهاد حموي: مرجع سابق، ص ٩٧، نقلاً عن: **Rousseau, J.J.** *Emile*, **p. 215**
(٩) توماس كارليل: الأبطال – ترجمة محمد السباعي، دار الكاتب العربي، بيروت (لا تاريخ)، ص ١٥.
(١٠) سدني هول: البطل في التاريخ – ترجمة مروان الجابري، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٩، ص ٥٠ – ٥٣.
(١١) د. محمد نهاد حموي، مرجع سابق، ص ٩٧.
(١٢) سدني هول: مرجع سابق، ص ٦٧.
(١٣) **Naftalin, Arthur and others:** *An Introduction to social science,* **Chicago, 1953, p.272**
(١٤) د. محمد نهاد حموي، مرجع سابق، ص ٩٨.

ألعابُ الحظ
والألعابُ الذهنيّة
...وتاريخ مجهول بدئ تدوينه حديثاً

بقلم جان ماري لووت



لعبة الداما.

● مرت ألعاب التسلية التي تأخذ بشكل متزايد حيّزاً مهماً من حياتنا بمراحل متعددة منذ نشوء الحضارات الأولى على الأرض. وكما يلاحظ في خلال العرض الموجز لهذه المسيرة الطويلة، لا تزال هناك صعوبة في تحديد تواريخ ثابتة وموثوق بها، خصوصاً بالنسبة إلى الألعاب الذهنية التي كانت وما زالت تفرض وجودها واحترامها الكاملين على حساب ألعاب التسلية الأخرى عموماً.

وقد نشأ التناقض بين ألعاب الحظ والألعاب الذهنية منذ نشوء مفهوم اللعبة ذاته. فمنذ عهد الاغريق كانت اللعبة تعتبر سامية بقدر ما كان عنصر الصدفة أو الحظ يأخذ حيّزاً فيها. وأقدم الألعاب هي التي ظهرت في الشرق، وبالتحديد في مدينة «أور» القديمة إحدى مدن دولة السومريين في بلاد ما بين النهرين، وفي مصر الفراعنة وفلسطين. وتم اكتشاف بقايا آثار هذه الألعاب (وهي من العاج والرخام والمرمر

والأحجار الكريمة ...) داخل القبور الملكية. مما يشير إلى أنها كانت امتيازاً خالصاً للملوك والأمراء والطبقات العليا من المجتمع آنذاك.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما مدى علاقة الألعاب بمستوى تطور الحضارات القديمة؟

صحيح ان الألعاب هي انعكاس للحضارات عموماً. ولكن هذا لا يعني ان هناك علاقة مباشرة بين حضارات معينة والألعاب الذهنية بالتحديد.

ونتساءل أيضاً: هل للألعاب في حد ذاتها قيمة حضارية؟ الجواب ليس سهلاً لأن التاريخ يذكر مثلاً ان الفاتح تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥) كما العديد من كبار الضباط النازيين كانوا يلعبون الشطرنج، هذه اللعبة السامية الرصينة.

ويفسّر بعض علماء النفس هذا، بوجود تعايش داخل كل انسان بين ذوقه الرفيع السامي وتصرفه الذي قد يمتزج بالانحرافات الجماعية الفاضحة.

تدخل الكنيسة:

ومن الطريف في هذا المجال الاشارة إلى ظاهرة تدخل الكنيسة المباشر. ومنذ القدم، للتمييز بين الألعاب «المفيدة» والألعاب «الفاسدة»، بغض النظر عن الأشخاص (حاكمين كانوا أم محكومين) الذين يمارسونها. ففي العام ٨١٣ الميلادي أصدر مجمع «مايانس» الكنسي قراراً بتكفير كل من يمارس ألعاب الحظ على أنواعها. مؤكداً بذلك الحد الفاصل بين هذه الألعاب والألعاب الذهنية. واتّبعت هذه القاعدة لسنوات طويلة بعد ذلك: نذكر مثلاً قرارات شارل الرابع في ١٣١٩ التي اعتمدها فيما بعد لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر.

وهنا أيضاً نقف أمام تناقض صارخ في لجوء كبار الكهنة إلى ممارسة ألعاب الزهر فيما بينهم (وهي من أوائل ألعاب الحظ) بحجة أنهم يتنبأون للمستقبل و«يقرأون» من خلالها مصير البشرية الداهم.

ويستمر الجدل حول سلبيات الألعاب وايجابياتها إلى حد استخدام الشعر في هذه المعركة. فنقرأ هذه الأبيات التي كانت متداولة في شكل واسع جداً بين صفوف العامة:

...«يا أيتها الألعاب التي تبهج أوقات فراغ الملوك والأبطال والحكماء،



ورق اللعب في أوروبا القرون الوسطى كان أيضاً متداولاً بين النساء.

أنت منبع الملذّات الفاضلة...»[1]

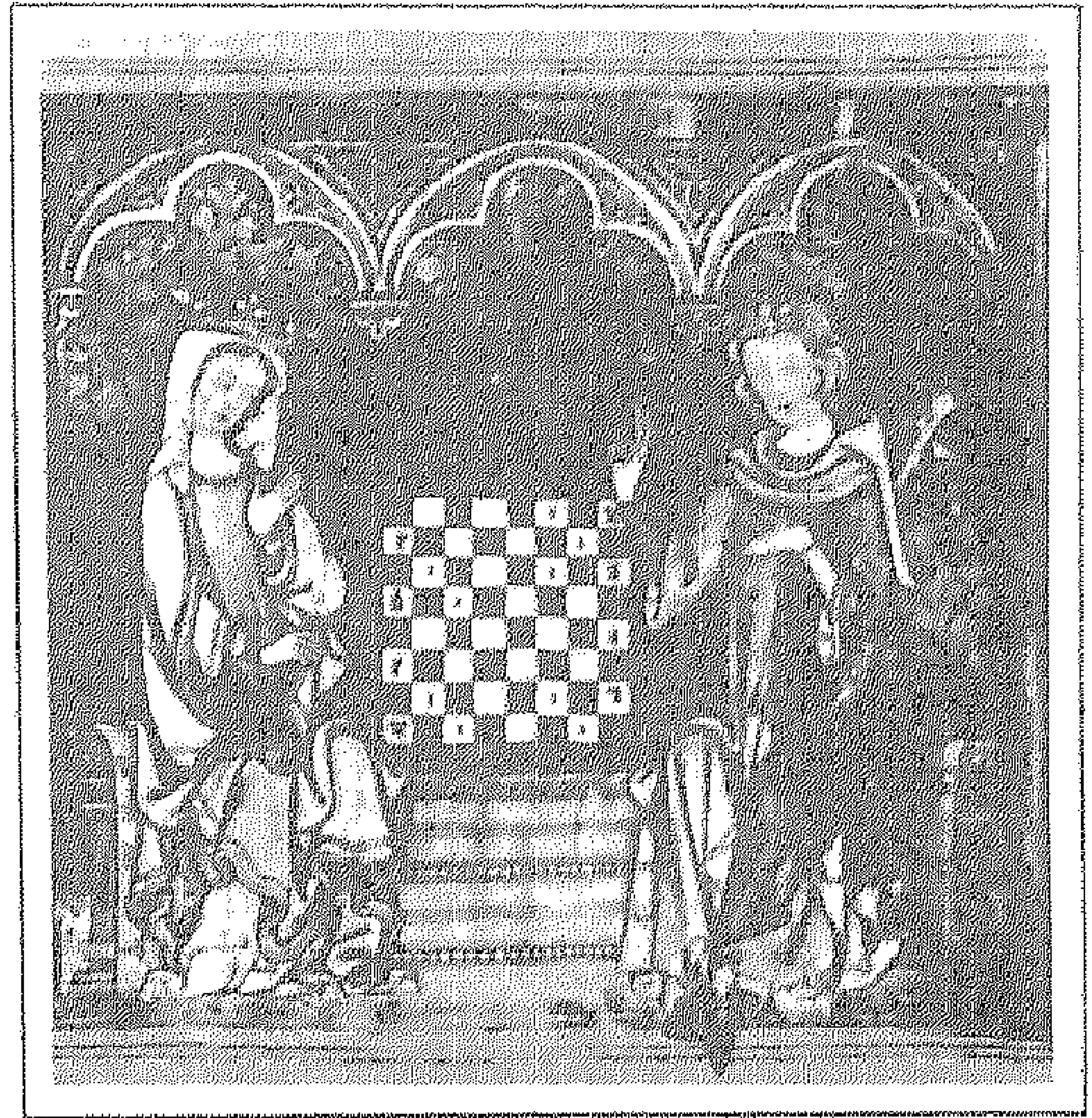
وقد ظهرت هذه الصفة (ملذات فاضلة) في القرن الثامن عشر كرد فعل على الصورة السيئة التي كانت للألعاب فيما مضى. وكان «بوردالو»[2] أفضل من عبّر عن ذلك في «الخطاب حول وسائل التسلية في العالم» فعدّد ثلاث سيئات للألعاب تتحدد في:

* الوقت المهدور الذي تتطلبه
* المصاريف الضائعة التي تصرف عليها.
* اللهفة والحماسة اللتين تتكبدهما دون طائل.

الشعبية والاريستوقراطية:

ومنذ القرن التاسع عشر كان هناك تمييز حاد بين الألعاب «الشعبية» والألعاب «الاريستوقراطية». وجرت العادة على تحقير الأولى بسبب النسبة الكبيرة للحظ فيها، وتمجيد الثانية بسبب كونها تعتمد على الذاكرة والذكاء.

في دفاعه عن لعبة «الدومينو» كتب بريفو ما يلي:



لعبة الشطرنج في أوروبا ١٣٣٤.

«... هناك مقارنات وقحة حاولت أن تحط من قيمة لعبة الدومينو وذلك بوضعها في المرتبة نفسها للعبة «الأوزة»(٣) – هذه اللعبة التافهة المنقولة مع بعض التجديد عن الاغريق – وللعبة «اللوتو»(٤) وهي يانصيب البوابين...»(٥).

وقد كانت لكل طبقة اجتماعية ألعابها الخاصة. وأحياناً كان مجرد تعلّم لعبة ذهنية صعبة يعتبر محاولة للارتقاء في السلم الاجتماعي.

ومن الألعاب الذهنية الرائجة في القرن الماضي في بريطانيا خصوصاً، نذكر لعبة «الويست»(٦) التي اعتبرت في هذه الفترة «علمية رغم أنها مضجرة» وذلك بسبب أنها كانت تتوافق والأخلاق العامة. هنا أيضاً نلمس التأثير الواضح لقرار الكنيسة السابق ذكره في القرن التاسع ميلادي. كما يمكن أن نفسر لماذا كان بطل جول فيرن، فيلياس فوغ، في كتابه «حول العالم في ٨٠ يوماً» (١٨٧٣) من المدمنين على لعبة الويست.

* * *

هناك العديد من الألعاب الذهنية الرصينة التي صمدت حتى يومنا هذا عبر القرون الغابرة. وسنتناول اثنتين منها: الشطرنج و«ورق اللعب».

الشطرنـــج :

اشتقت لعبة الشطرنج في صورتها الحالية من لعبة كان سكان الهند يمارسونها منذ القرن السادس الميلادي. وكان اسمها الحقيقي «شاطورنجا» أي بالمعنى الحرفي «لعبة الزوايا الأربع». وكانت «الشاطورنجا» مكونة من ٤ أحجار رئيسية هي: الملك، الفيل، الحصان والسفينة، إضافة إلى الجنود. وكان انتقال هذه الأحجار يتم بواسطة الزهر وليس بالمبادرة الفردية الحرة. وهذا ما كان يعطي للحظ دوراً كبيراً.

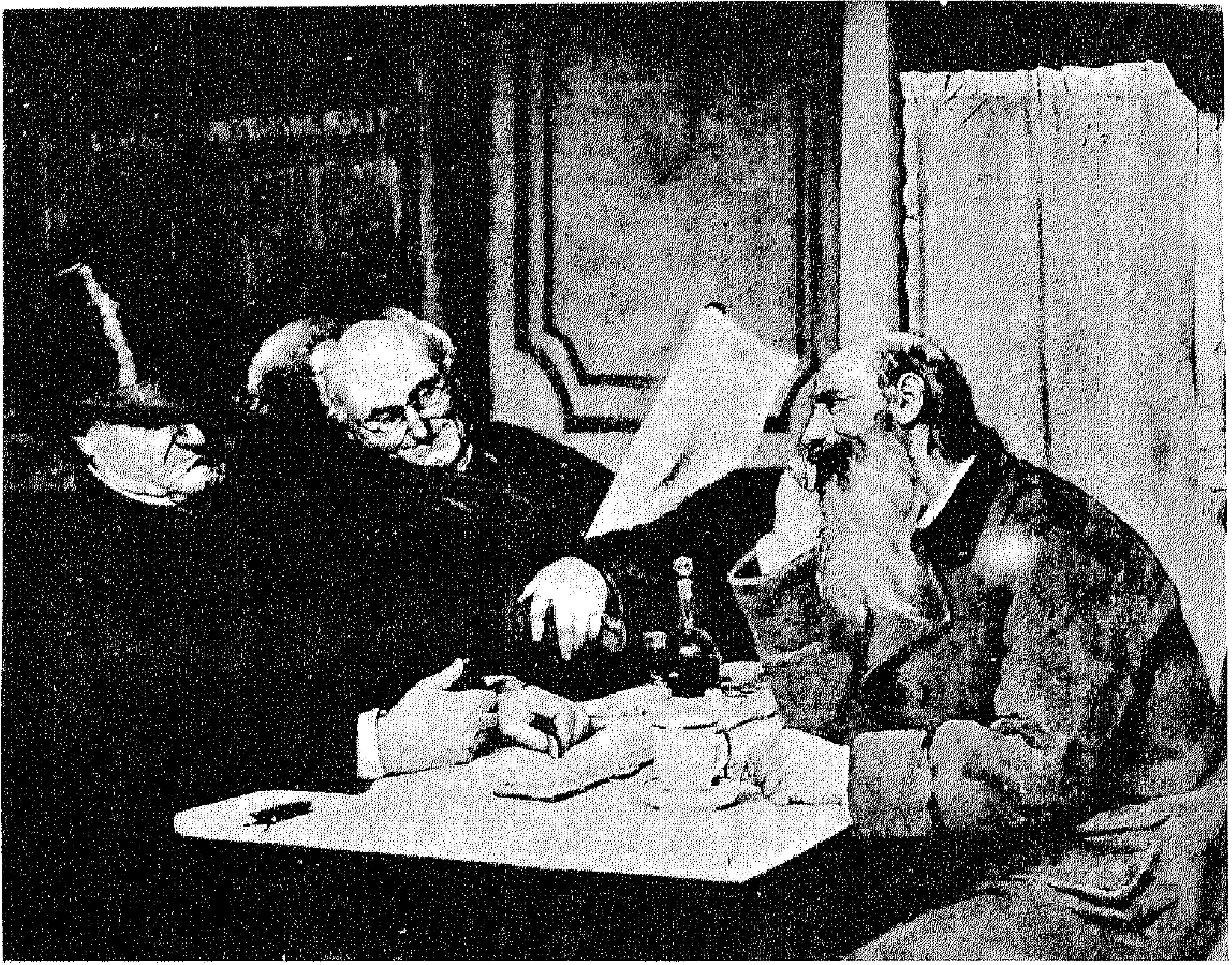
ويشير المؤرخون الغربيون عادة إلى ان لعبة الشطرنج أتت من الاغريق والرومان، ولكن «بيك دو فوكبيار» نفى منذ القرن الماضي هذا الادعاء، مشيراً بذلك في صورة غير مباشرة إلى الاتجاه السائد في الغرب لنسبة كل انجاز مهم إلى اجدادهم القدماء.

ذوبان عنصر الحظ :

والتطور العام للألعاب يشير إلى ذوبان عنصر الحظ وبروز المقدرة الذهنية للفرد فيها، كتطور لعبة «الشاطورنجا» إلى الشطرنج الحالية وتطور «الويست» إلى لعبة البريدج. ولكن هل هذه قاعدة عامة؟ وهل يعني هذا أن أجدادنا، في الشرق والغرب، لم يعرفوا الألعاب التي كانت تتطلب جهداً ذهنياً معيناً؟



قطعة من الشطرنج أهداها هارون الرشيد إلى شارل الاول الكبير.



لعبة الدومينو.

كلا بالطبع... وللتدليل على ذلك نذكر ما قام به الاغريقي بلوتارك (وكان من حكماء اليونان القديمة) لمنع الفلاسفة من اللجوء إلى الألعاب التي يشكل عنصر الحظ فيها نسبة كبيرة، مشيداً بالألعاب الذهنية عموماً.

ورق اللعب:

أما لعبة «ورق اللعب» فتعود نشأتها إلى عصر النهضة في أوروبا وبالتحديد حوالي العام ١٤٥٠. وكان لعامة الشعب ورقهم المصنوع من الكرتون أو الورق الخشن، وللأرستقراطية ورقها المصقول والمزيّن بأبهى الرسوم والزخارف. لكن المهم ان قواعد اللعبة كانت تقريباً واحدة.

وعلى رغم أن المؤرخين لم يتوصلوا حتى الآن إلى معرفة البلد الأوروبي الذي انطلقت منه هذه اللعبة الرائجة، إلا انهم يرجحون انطلاقها من إيطاليا. هذا في الغرب، اما في الشرق فان احد أبرز المؤرخين المعاصرين المتخصصين في ألعاب الورق، وهو ديتيلف هوفمان، كشف في كتاب له[٧] عن انه «... كما في الصين، كذلك في اليابان، يبدو ان المثقفين كانوا وحدهم يلعبون لعبة الورق. وكان ورق اللعب الياباني مزيّناً بأبيات من الشعر، أما ورق اللعب الصيني فكان مزيّناً بمقاطع قصصية أو مسرحية...».

وهناك نوع من ورق اللعب المسمى «التعليمي» انتشر في أوروبا منذ السنوات الأولى من القرن السادس عشر بفضل توماس مورنر الذي فسر اكتشافه هذا كالآتي:

«... حاولت، بهدف زيادة لذة المطالعة، استبدال هذه اللعبة السليمة تماماً والجديرة بالمؤسسات الامبراطورية (للملك جوستينيان يومها) بالألعاب غير الخلقية. واعتبر نفسي سعيداً إذا كنت قد نجحت في إستبدال الخير بالشر...».

هذا ما يتعلق بالشطرنج وورق اللعب، أما في خصوص الألعاب الذهنية التي تستند إلى الأحرف والأرقام وحتى إلى الاشارات فانها من أصل

LE JEU DE L'OYE

لعبة الأوزة.

أريستوقراطي رفيع وخاصة بسبب الجهد الذهني المعقد الذي تتطلبه وخصوصاً لعبة «الكلمات المتقاطعة».

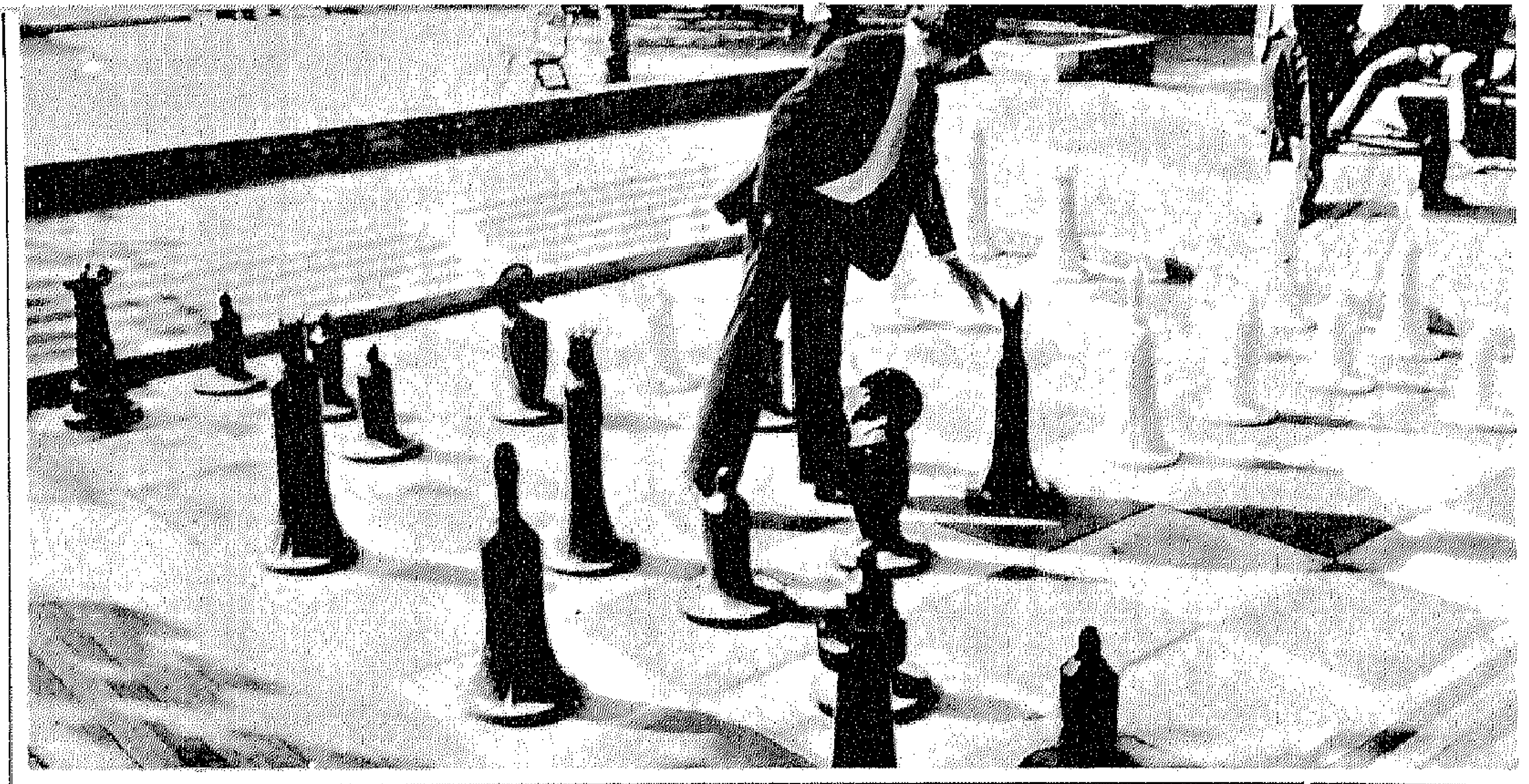
تدوين تاريخ الألعاب

بدأ تدوين تاريخ الألعاب الذهنية وقواعدها منذ القرن السابع عشر عندما تأسس ما سمي «أكاديميات الألعاب» التي كان من مهماتها تدوين كل ما يتعلق بشؤون الألعاب الذهنية عموماً. ولم تمض سنوات قليلة حتى تأسست، على غرارها، الأكاديمية الفرنسية (١٦٣٥) الشهيرة التي تعالج كل ما يتعلق باللغة الفرنسية. ولم يكن ذلك صدفة أبداً، خصوصاً بعدما أصبحت الألعاب الذهنية بمثابة فن أدبي في حد ذاته. ومع تطور العلم في شكل عام استحدثت ألعاب ذهنية جديدة نذكر أهمها، في تلك الفترة، لعبة «الأوزة».

ولم يهتم الباحثون جدياً بتاريخ الألعاب الذهنية وأصولها إلا في القرن الماضي. وكانت مصادرهم في هذا المجال تستند إلى:

- الوثائق والمستندات المختلفة المتوفرة (بالنسبة إلى الألعاب في الغرب).
- علم السلالات القديمة (بالنسبة إلى الألعاب في الشرق).

ومن المستغرب حقاً أن لا يصدر أول تقويم علمي للألعاب، بوصفها فناً له كيانه الخاص، إلا في فترة قريبة جداً (١٩٣٨) وذلك بفضل المؤرخ الهولندي هويزينغا في كتابه «أومو لودنس» (ألعاب الانسان) حيث درس هذه الألعاب كأحد المكونات الأساسية لنشاط البشر وللحضارة بوجه عام.



لوحة شطرنج عملاقة من افريقيا الجنوبية

وفي العام ١٩٥٨ تبعه روجيه كايوا في كتابه المهم «الألعاب والرجال» مؤكداً مرة أخرى. ولكن بعد انتظار طويل، ان الألعاب أصبحت موضوعاً للدراسة كظاهرة ثقافية.

وكان كايوا أول مؤرخ يحدد المعنى الكامل والعلمي لكلمة «لعبة». فهو قد وصفها بأنها:

- حرة، والا فقدت الغاية من ممارستها.
- محصورة في الزمان والمكان.
- غير معروفة النتائج سلفاً.
- غير منتجة، حتى ولو وجدت عليها مراهنات مالية أو عقارية.
- تخضع لقواعد محددة ومعروفة للجميع وذلك تأميناً للمساواة بين اللاعبين.
- وهمية، أي انها لا تتعلق بالحياة اليومية العادية للانسان، بغض النظر عن الراحة النفسية التي توفرها للاعبين في بعض الأحيان.

الألعاب الآن

وتتميز الألعاب في عصرنا الحالي باتجاهها المضطرد نحو اعتماد التفكير والذاكرة والملاحظة، إلى آخر هذه الصفات الذهنية، وهي بذلك تواكب تطور الحضارة البشرية نفسها. ولا يعني ذلك ان كل الألعاب اصبحت على هذا المستوى من التطور. إذ لا يزال للألعاب التقليدية المسماة ب«التافهة» والتي تعتمد على الحظ الدور المؤثر حتى في المجتمعات المتقدمة وخصوصاً بين صفوف الطبقات العليا من المجتمع، بعكس ما كان عليه الوضع في الماضي.

... ويبقى تساؤل له ما يبرره: كيف نفسر معنى التطور العام للألعاب؟ أي بكلمة أخرى: هل ان الألعاب كانت حاجة ضرورية لدى الانسان كالفن والثقافة عموماً أم انها كانت مجرد بدعة لملئ ما يعرف عادة «بأوقات الفراغ» التي لا بد ان يواجهها الانسان في كل عصر؟ ●

الهوامش:

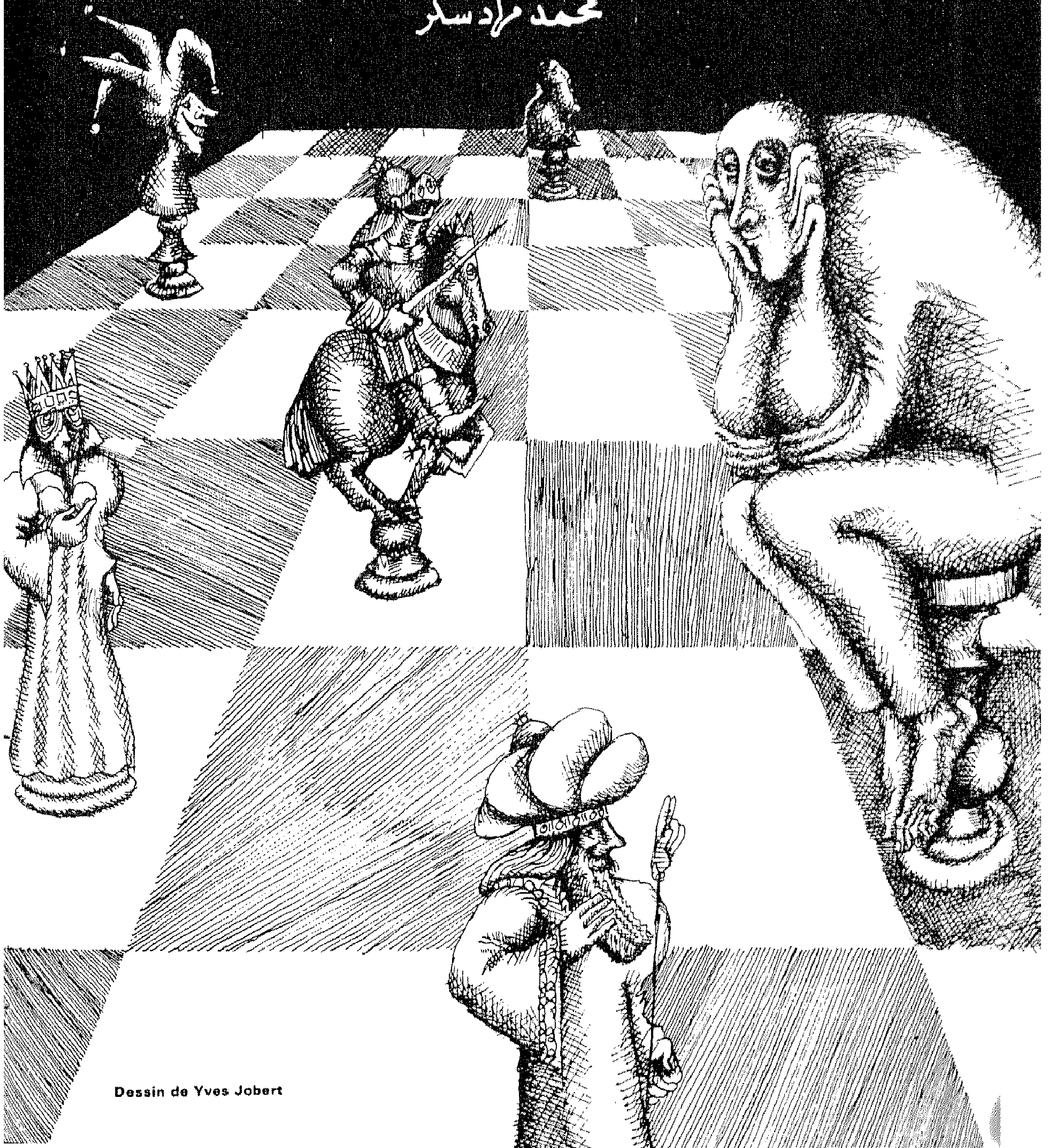
(١) من كتاب «ملذات ملكية أو لعبة الشطرنج: تاريخها، قواعدها وقيمتها الخلقية». ترجمة ليون هولايندبرسكي. باريس ١٨٦٤.
(٢) لويس بوردالو، كاهن فرنسي يسوعي (١٦٣٢ - ١٧٠٤)، اشتهر بخطبه الدينية في المناسبات الكبرى.
(٣) لعبة زهر فوق لوحة من المربعات مزينة بصور الأوزة ومقسمة إلى خانات.
(٤) وهي لعبة حظ لا تتطلب أي جهد ذهني.
(٥) راجع كتابه «لعبة الدومينو». باريس ١٨٤٣.
(٦) لعبة ورق شبيهة بلعبة البريدج وعنها تفرعت هذه الأخيرة.
(٧) «عالم ورق اللعب». طبعة لايبتسغ. ١٩٧٢.

راجع حول هذا الموضوع العدد الخاص من المجلة الفرنسية المختصصة «علم وحياة» رقم ١٢٤/أيلول ١٩٧٨، وخصوصاً مقال جان ماري لووت «الألعاب والتاريخ»، ص ٣٢ - ٤٥، ومقال آسيا بوبوفا «الألعاب والحضارات»، ص ٧٨ - ٨٤ -.

تاريخ الشطرنج

الشطرنج والحرب

محمد مراد سكّر



Dessin de Yves Jobert

يقول بلاسون ان الرقعة شبيهة بهيكل الحرب، فهي تمثل ساحة المعركة، واحجار الشطرنج من اللونين وقد اصطفت وجهاً لوجه لتشبه جنود الجيشين.

ويقول فيليب ستاما آخر كبار اللاعبين العرب كما يقول المؤرخون، وهو سوري الاصل من حلب، بعرف العالم اجمع ان لعبة الشطرنج هي نسخة عن الحرب، في الشطرنج كما في الحرب، عليك ان تمهد للمعركة وتضع الخطط، وتحدد سير القطع سواء للهجوم أو للدفاع، كما عليك قبل كل شيء ترتيب الاحجار لتكون جاهزة للدفاع أو للهجوم، اليس هذا هو نفس التكتيك الذي يقوم به أي قائد حربي في المعركة حيث تتلاحم فيها الجيوش، انه يوزع جنوده بشكل مدروس لا يسمح بالدفاع فقط بل بالهجوم والانقضاض على الخصم عندما تسمح له الظروف أو عندما يرى اية نقطة ضعف عند خصمه. هذا هو الشطرنج.

وكان الشطرنج في الغابر يحظى بالتقدير الكبير من قبل النبلاء والامراء والملوك، فقد وجد كثير من الآثار الشطرنجية في خزائن عدد كبير من عائلات النبلاء، ٢٣ في فرنسا، وحسب رواية ادمونسون، هناك ٣٦ عائلة في انكلترا كانت تحتفظ في خزائنها بقطع الشطرنج وبالرقع الشطرنجية الثمينة التاريخية ويروى أن الملكة اليزابت كانت قد ارسلت إلى السير شارل بلاونت قطعة من الذهب تمثل ملكة الشطرنج، فاحتفظ بها الأخير بين تماثيل تمثل الجنود ولكنه وضع على ملكة الشطرنج هذه علامة حمراء، ولما شاهدها كونت دي سيكس، قال في سخرية، الآن علمت ان لكل مجنون حظوة، ويقصد بالجنون كلمة «فو» بالفرنسية التي تعني شيئين بذات الوقت، الفيل في الشطرنج والمجنون لغوياً، ولما سمع هذا التعليق السير شارل طلبه للمبارزة، واقيمت فعلاً هذه المبارزة في حدائق ماريبون، خرج منها خصمه مجروحاً في اليته.

* * *

المعروف عن بيروس ملك أبير المتوفي سنة ٢٧٢ قبل المسيح، انه كان من اشهر العسكريين استراتيجياً، وقد دفعته معرفته العسكرية هذه، وحبه للشطرنج لوضع طريقة لتعليم فنون الحرب على رقعة الشطرنج.

كما وضع ويخهان لعبة الحرب التي ظهرت في كتاب بعنوان (اللعبة الملكية الكبرى) شرحاً لهذه اللعبة مع كثير من التفرعات ماخوذة عن الشطرنج، ويستطيع ان يلعبها ٤، ٦، أو ثمانية لاعبين.

ترتكز هذه اللعبة على مبادئ السياسة والحرب.

كتاب لعبة الحرب الذي ظهر في براغ سنة ١٧٧٠ في ٧٥ صفحة، غير (بالشدة على الياء) في اوضاع الرقعة التي أصبحت أكبر، فوضع مدفعاً عوضاً عن الرخ، ولكن اللعبة تنتهي دائماً بأسر الملك، في الشطرنج لا يستطيع اللاعب ان يحرك أكثر من قطعة واحدة في كل مرة. كتاب آخر ظهر في لايبزيغ سنة ١٧٨٠/١٧٨٢ في جزءين من ٢٠٠ و ١٩٢ صفحة، شرح مؤلفه بايجاز قانون لعبة الحرب هذه مع بعض التعديلات، هذا الكتاب من تأليف فريد يريك كرامر الذي افتتح معهداً في منزله لتعليم هذه اللعبة سنة ١٨٠٣، مدة الدرس كانت ساعة واحدة وذلك كل ثلاثاء، اربعاء وخميس من كل اسبوع، وجعل الرسم الشهري لهذه الدروس ٣٦ أو ٢٤ فرنكا وفقاً لعدد ساعات التدريس، هذه اللعبة كانت تكلف شاريها ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ فرنكا.

وهناك لعبة أخرى اطلقت سنة ١٧٩٣ في تورين، نالت نجاحاً كبيراً، فقد وضع مؤلفها عوضاً عن الملك، حصناً يجب الاستيلاء عليه، ونحو هذا الحصن تتوجه كل القطع وكل العمليات، وما أن يستولي أحد على هذا الحصن حتى تنتهي الجولة، وكانت الرقعة مؤلفة من ماية وثلاث وخمسين خانة بيضاء وسوداء مثل الشطرنج، ٩ خانات عرضاً و ١٧ طولاً، في نصف الرقعة نهر يفصل المتحاربين ولكل معسكر حصنه وعليه الدفاع عنه مع الهجوم على الخصم، ويعلم الكتاب كيفية تحريك الاحجار التي ترمز إلى المشاة، الفرسان، المدافع إلى آخره... ترتكز هذه اللعبة على المبدأ التالي: في الحرب، الربح لا يعتمد على نوع المعدات بل على الخطط، وطريقة تحريك القطع وحسن وضع القطع التي يتألف منها الجيش، وقد اثبتت الحروب القديمة والحديثة، كما يقول المؤلف، والمناورات التي جرت في المانيا في نهاية ١٨٠٥ هذه النظرية، وهكذا تولدت فكرة تعميم هذه اللعبة على العسكريين بعد أن توضع خريطة بالمواقع فيعمل اللاعبون على تخفيف قوة العدو ووضع التكتيك اللازم والستراتيجية الذكية التي تجبر العدو على الاستسلام.

وقد سماه كثير من المؤلفين، اللعبة الستراتيجية

أو الشطرنج الحربي كما دعاه الكونت دي فيرماس في كتابه سنة ١٨١٥ . تسمح هذه اللعبة كما وضعت ليلعبها أكثر من لاعبين ، أربعة أو ستة اشخاص ، وقد وضع هذه المبادئ (مستر هلويغ) وعدلها الكونت دي فيرماس ، ثمن الرقعة المؤلفة من ٢٦٤٠ خانة أو ١٦١٧ مع الـ ٩٤٠ قطعة اللازمة يبلغ حوالي ١٢٥ فرنكا . إذا كان اللاعبون مهرة فاللعبة قد تطول من يوم إلى عدة اسابيع ، وأحياناً تكون القوى غير متوازية ، يستطيع فيها اللاعب أن يحرك عدة قطع دفعة واحدة ، كما يستطيع اذا كانت الساحة غير متوازية ان يغير فيها كما يشاء ، فيخلق حسب ذوقه ساحات ، احراجاً ، ضيعاً ، انهراً ، بحيرات ، جبالاً أحياناً يصعب تسلقها وذلك وفقاً للعمليات التي يخطط لها اللاعب .

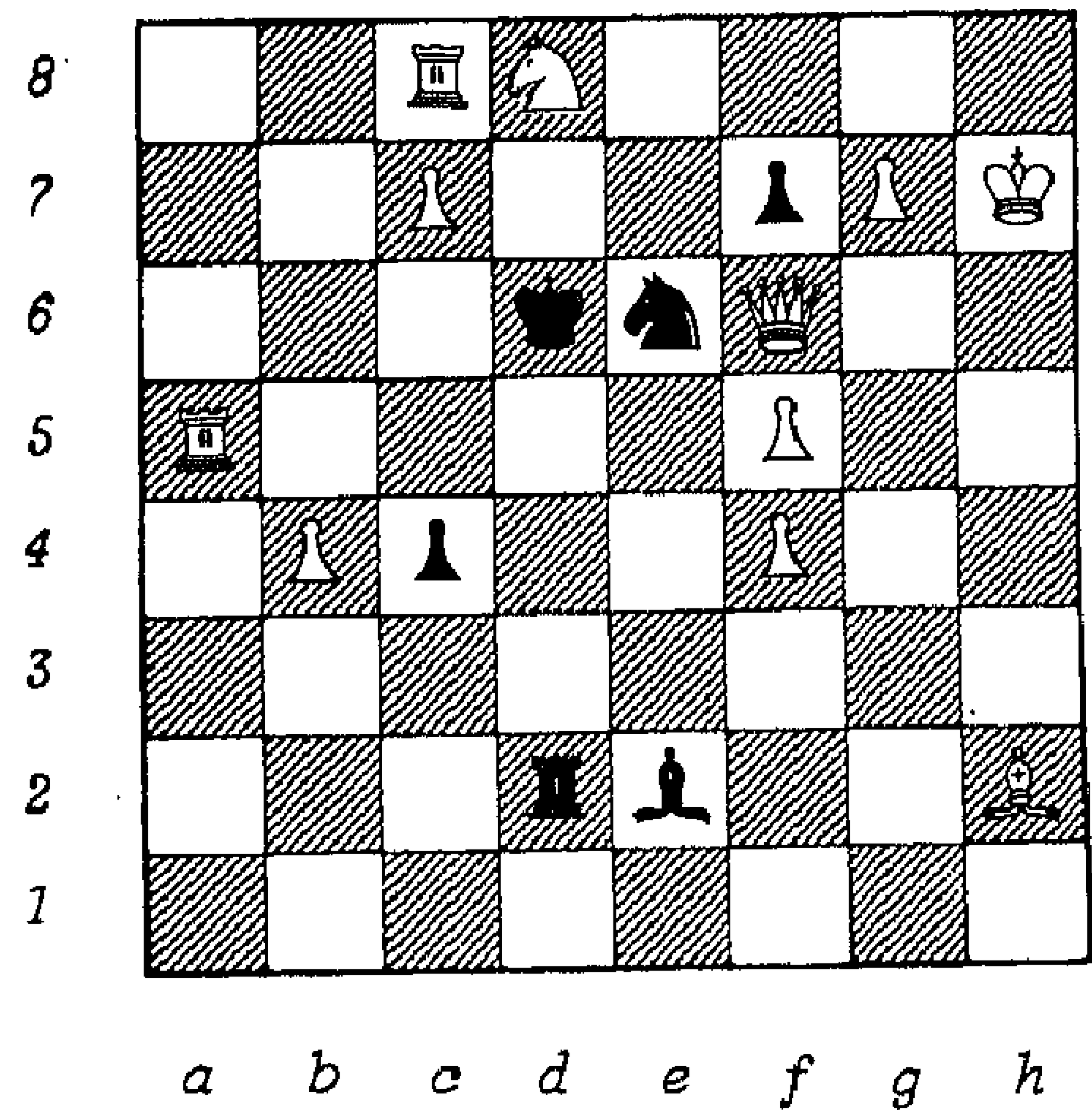
لكل قائد (أي لاعب) جيشه المؤلف من المشاة ، العربات الخفيفة ، فرسان الحدود ، المدفعية على أنواعها ، القنابل وادوات تركيب الجسور ، لا علاقة للرجال في هذه اللعبة بالاحصنة ، لكل جيش تقسيماته ورؤساؤه .

ويذكر شاندي في مؤلفاته وصفاً للعبة الحرب في الأرض والبحر ، فيقول المؤلف ، لكل لاعب ١٧ قطعة ، و٦ للحرب المجموع ٢٣ قطعة للحرب في الأرض والبحر ، مجموع القطع إذا للطرفين ٤٦ ، تتالف هذه اللعبة من أربع رقع بالوان مختلفة ، الأولى تمثل ساحة المعركة ، الثانية المعسكر ، الثالثة للقادة والرابعة للملك السجين ، ثلاثة من هذه الرقع مؤلفة من ٩٩ خانة أما الرابعة فمن ٨١ خانة . ويقول واضح هذه اللعبة انه استوحاها من مخطوط قديم كتب باليد من قبل يوريك وان مخترعها يدعى العم توبى ، فقد كان يفكر يوماً بالجبال والتلال والأنهار عندما التفت إلى جليسه الكابورال تريم وقال : اليس مؤسفاً يا صديقي ان مخترع هذه اللعبة النبيلة التي اسمها الشطرنج لم يلحظ على الرقعة نهراً أو جبلاً ، ولم تكد هذه الفكرة تدخل في رأسه حتى بدأ خياله بالعمل ، فوضع هذه اللعبة وربطها بتحركات الحرب .

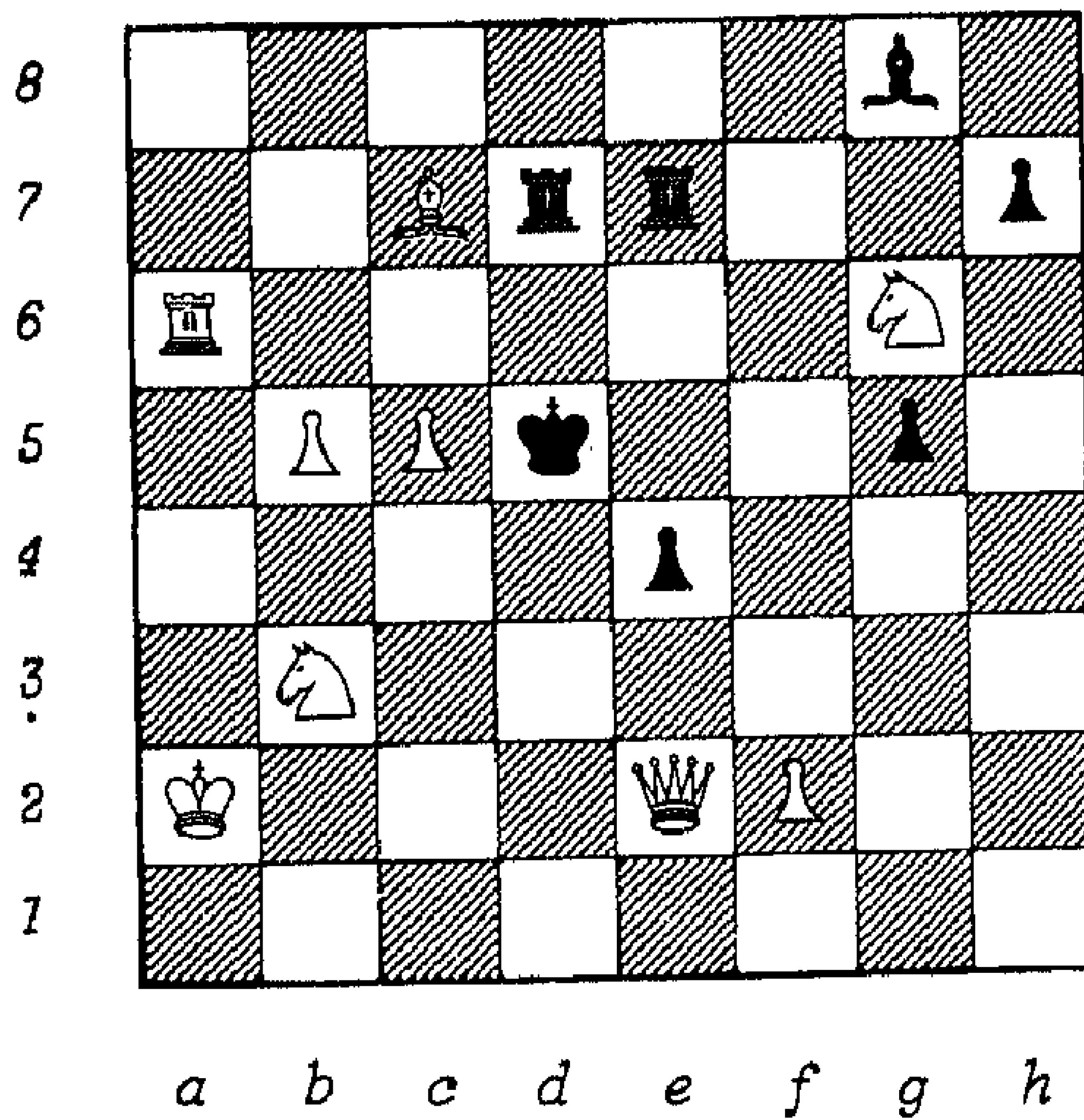
هذا بعض ما قرأناه عن هذه الألعاب التي تتصل بالشطرنج من حيث الجوهر والتي حاول كثيرون تعديلها وتغيير اسمها ، ولكن الزمن عفا على تلك الألعاب وبقي الشطرنج كما نعرفه اليوم .

مسابقة العدد

المسألة رقم ٢٣ مات بنقلتين



المسألة رقم ٢٤ مات بثلاث نقلات



الغاء الجوائز الحالية :

تعذر وصول البريد إلى بيروت في الوقت المحدد لكل مسابقة جعل كثيراً من الأجوبة تصلنا متأخرة عن موعدها فتضيع بذلك الفائدة على أصحابها لتنحصر في الأجوبة التي تصلنا محلياً. لذا فقد رأينا من المناسب التوقف عن المسابقات ومتابعة نشر المسائل إلى ان تنتظم هذه الأمور مقدرين جهد الأصدقاء الذين كانوا رغم ذلك يكتبون إلينا.

لذا فإننا ننشر فيما يلي أجوبة المسائل السابقة ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ على أن ننشر في كل عدد حل المسائل السابقة.

الحلول :

المسألة رقم ١٩ – المفتاح : 1 - Cé - g6 1

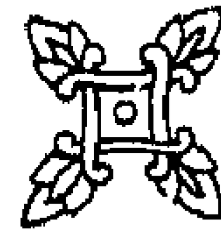
المسألة رقم ٢٠ – المفتاح : 1 - Ch5

يهدد الأبيض بـ (2-Ff 2) فإذا لعب الأسود (éxd4) أو (Fç5) فسيجيب الأبيض بـ (cf4) أو (cxf6)

المسألة رقم ٢١ – المفتاح : 1 - d6 1

المسألة رقم ٢٢ – المفتاح : 1 - Dé3

يهدد الأبيض بـ (2 - Dé3) لذا فإذا لعب الأسود ((c) d1) فسيجيب الأبيض بـ (2 - DC2) وإذا لعب الاسود (d5) فسيجيب الأبيض (2 - De5).



لقد حدث لي مرتين، في حربين مختلفين، يفصل بينهما أكثر من عشرين سنة، ان سمعت ضابطين من حاملي الشهادات يقولان عن التعليم الذي تلقوه : ان المدرسة الحربية خدعتنا.

مارك بلوك



– «قراءاتي العديدة جعلتني اكتشف غزارة الجانب المسيحي في الثقافة العربية تكذيباً للمثل القائل «أبت العربية أن تتنصّر» لقد أردت أن أؤكد على دور المسيحيين في الأدب العربي... ولسوء الحظ اصبح التراث العربي – خاصة المسيحي منه – محصوراً في مكتبات أوروبا...».

المونسنيور جوزف نصر الله

تاريخ الطوابع

موريتانيا والصحراء الغربية

بقلم ميشال اسطفان

موريتانيا

دولة عربية تقع في أفريقيا الغربية، مساحتها ١،٠٨٥،٠٨٥ كلم مربع، وعدد سكانها نحو مليون وربع المليون، عاصمتها نيوكشاط على ساحل الاطلنتي.

كان السود في الأساس يسكنون هذه البلاد، فأجلتهم عنها قبائل البربر من زاناتيَّة وصناهجة منذ القرن الرابع المسيحي. وإلى جانب أن هؤلاء كانوا من الرعاة فأنهم أقاموا مراكز لمراقبة القوافل التي تنقل الذهب من السودان، والملح من الصحراء، وشتى أنواع السلع من البلدان الداخلية إلى شاطئ المحيط.

وتوطدت سلطتهم عندما قامت دولة المرابطين التي أسسها ابراهيم بن يحيى الجدالي وهو من الصناهجة سنة ١٠٥٦م، فحكمت المغرب وشمال أفريقيا.

قبل القرن الخامس عشر كثرت اعتداءات القراصنة البرتغال على الشواطئ، فأثار عند السكان نوعاً من العصبية والتكاتف والحذر. ولما قام سلطان مراكش باحتلال جميع المعاقل المحصنة لفرض رقابته على الطرق المغربية للصحراء، لم تدخل منطقة طررزا في نطاق نفوذه بل لبثت في أيدي الصناهجة الذين دخلوا مع الفرنسيين في علاقة تجارية كان أهمها الصمغ العربي. ثم احتل الفرنسيون خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر حصن بورتنريك على الشواطئ الجنوبية وحصن ارغان على الشواطئ الشمالية، اللذين طال عليهما النزاع مع الهولنديين.

وعندما قام فيدرب الفرنسي سنة ١٨٥٥ إلى سنة ١٨٥٨ باحتلال السنغال جعل سلطان طررزا يوافق على الانضواء تحت الحماية الفرنسية، أما الاستعمار فلم يظهر إلاَّ مع كوبولاني سنة ١٨٩٨ الذي احتل البلاد عسكرياً وعُيِّن سنة ١٩٠٤ مفوضاً عاماً للأراضي الموريتانية التي صارت تابعة لأفريقيا الغربية الفرنسية، وبحسب الحدود التي جرى الاتفاق عليها بين السلطات الاسبانية والفرنسية سنة ١٩٠٠. لم يلبث كوبولاني أن أغتيل بايعاز من سلطان ادرار، الذي استنجد بسلطان المغرب، مما حمل الفرنسيين على احتلال ادرار سنة ١٩٠٨، لكن هذا لم يحد من الثورات الداخلية المتواصلة التي كانت تقوم بها قبائل الشمال ضد الفرنسيين انطلاقاً من الأراضي الداخلية ضمن النفوذ الاسباني.

هذه البلاد الفقيرة شبه الصحراوية، ظهر بعد سنة ١٩٤٥ انها غنية جداً بالمعادن، فقامت حكومة المغرب وكانت قد نالت حديثاً استقلالها، تطالب رسمياً بالأراضي الموريتانية. كما ان قبائل في البلاد كانت تواصل دائماً حركاتها الثورية، مما أهاب بفرنسا على اعلان الدولة الاسلامية الموريتانية، سنة ١٩٥٨ التي استكملت استقلالها سنة ١٩٦٠، وكان أول رئيس تسلم الحكم فيها مختار ولد دادا الذي أطاح به انقلاب أبيض حدث منذ أقل من. سنتين.

تاريخ الطوابع :

باشرت السلطات الفرنسية التي احتلت البلاد باصدار أول مجموعة طوابع عادية مصورة سنة ١٩٠٦/٧ على نمط طوابع المستعمرات الفرنسية (صورة ١، ٢، ٣)، ألحقتها بثلاث مجموعات، منها واحدة تذكارية لمناسبة الصليب الأحمر، وأصدرت أيضاً مجموعتين للأجور المستحقة.

وفي أول كانون الثاني/يناير سنة ١٩٢٢، أصدرت مجموعة عادية مؤلفة من ٢٠ طابعاً، واستمرت تصدر مجموعات عادية وتذكارية بالمناسبات الفرنسية نفسها، اسوة بباقي المستعمرات لغاية ١٩٥٨

١



٢



٣



وفي ٢٠ كانون الثاني/ ١٩٦٠ وقد أصبحت جمهورية اسلامية ضمن المجموعة الفرنسية، أصدرت طابعاً واحداً لذكرى تأسيس الجمهورية بفئة ٢٥ فرنك (صورة ٤) و في ١٦ أيار/مايو سنة ١٩٦٠، أصدرت طابعاً تذكارياً آخر لمناسبة السنة العاشرة للجنة التعاون الافريقية التقنية لجنوب الصحراء، بفئة ٢٥ فرنك أيضاً (صورة ٥)، وعندما استقلت البلاد عن المجموعة الفرنسية أصدرت بتاريخ ١٥ كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٦٠ مجموعة عادية مؤلفة من ١٤ طابعاً بريدياً من ٥٠ سنتيم إلى ٨٥ فرنك، وثلاثة طوابع للبريد الجوي، فئة ١٠٠ و٢٠٠ و٥٠٠ فرنك (صورة نموذج واحد ٦) وبعدها سارت مع الركب وأصدرت مختلف الطوابع والمجموعات العادية والتذكارية للمناسبات الداخلية والعالمية المعروفة، مثل مكافحة الملاريا، والتحرر من الجوع، والاتصالات اللاسلكية عبر الأقمار الصناعية، وحقوق الانسان، والحفاظ على اثار النوبة، وسني الشمس الهادئة، والألعاب الأولمبية، وذكرى كندي، ومارتن لوثركنج، وديغول، وعبد الناصر، وتشرشل، ورجال الفضاء، ولينين، والمناسبات المختلفة لمؤسسة هيئة الأمم.

٤ ٥



الصحراء الغربية:

في سنة ١٤٣٦م اكتشف البرتغاليون خليجاً على الشاطئ الشمالي الغربي لأفريقيا، مقابل جزر الكناري، سمّوه نهر الذهب (Rio De ORO)، لأن الأهالي كانوا يتاجرون بالتبر.

وفي ٩ كانون الثاني/يناير ١٨٨٥ بعدما اكتشف اللفتننت أميليو بونيللي المنطقة ووقّع معاهدات صداقة مع الشيوخ المحليين، أعلنت اسبانيا حمايتها على ساحل نهر الذهب ما بين ("CABO BOJADOR") و("CABO BLANCO",). ولكن فرنسا اعترضت توسُّع اسبانيا الداخلي، فصار الاتفاق فيما بينهما على حدود المحمية بموجب اتفاقيات سنة ١٩٠٠ و١٩٠٤ و١٩١٢. (ولغاية سنة ١٩٠١ عندما أصبحت مستعمرة اسبانية، كانت المنطقة تحت ادارة الكابتن جنرال لجزر الكناري).

أما تاريخ الطوابع فقد بدأ باستعمال طوابع اسبانيا صورة الملك الفونس الثالث عشر، خمس فئات فقط، من اصدار ١٩٠١/٥، بدون توشيح. ثم صدرت مجموعة في كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٠٥ مؤلفة من ١٦ طابعاً فئة سنتيموس واحد إلى ١٠ بزيتاس، (صورة ١) قيمتها اليوم تزيد على ٣٥٠ جنيهاً

استرلينياً. ثم توالت الاصدارات المختلفة، منها الموشح بفئة معينة ومنها الموشح باليد، وكانت بمجموعها ١٥٠ طابعاً تشكل ١٦ مجموعة، آخرها صدرت سنة ١٩٢١.

وفي سنة ١٩٢٤ تغيّر اسم المنطقة من نهر الذهب إلى الصحراء الاسبانية. وفي سنة ١٩٥٨ أصبحت اقليم اسبانيا لما وراء البحار.

أما الطوابع، فقد صدرت في سنة ١٩٢٤ أول مجموعة مؤلفة من ١٢ طابعاً، تحمل صورة مواطن من الطوارق مع جمله، (٢) كتب في أعلى الطابع **"Posesiones Espagnolas del Sahara Occidental"** وأصبحت قيمتها اليوم تزيد على ستّين جنيهاً استرلينياً. وفي سنة ١٩٢٦، صدرت مجموعة للصليب الأحمر مؤلفة من ١٢ طابعاً أيضاً، موشحة (**"SAHARA ESPAGNOL"**، توشحت على طوابع اسبانية، ثم مجموعة ثالثة صدرت سنة ١٩٢٩ مؤلفة من ١١ طابعاً، توشحت (**"SAHARA"**) فقط، على مجموعة معرض اشبيليه وبرشلونه الاسباني.



٢ ١

وفي سنة ١٩٣١/٤ صدرت مجموعة واحدة مؤلفة من ١٢ طابعاً من الاصدار الأول (صورة المواطن من الطوارق مع جمله)، بعد توشيحها بثلاثة أشكال كالآتي، (وكانت اسبانيا قد أصبحت جمهورية): الشكل الأول توشحت (**"REPUBLICA ESPANGNOLA"**)، تُقرأ من أسفل إلى أعلى أو أفقياً، والشكل الثاني توشحت (**"SAHARA ESPAGNOL"**)، تُقرأ أفقياً، وفي سنة ١٩٣٢ طُبعت مجموعة مماثلة توشحت بالتوشيح الأول، ولكن تُقرأ من أعلى إلى أسفل. وأصبحت قيمة كل من هذه المجموعات الثلاث ما بين ٤٠ و ٦٠ جنيهاً استرلينياً.

وفي عهد حكومة الوطنيين، صدرت سنة ١٩٤١، مجموعة واحدة من ١٥ طابعاً من طوابع اسبانيا السارية المفعول وقتئذ، من سنتيموس واحد إلى ١٠ بزيتاس، بعد توشيحها "SAHARA ESPAGNOL"، وأصبحت قيمتها اليوم نحو ٢٥٠ جنيهاً استرلينياً.

ومنذ سنة ١٩٤٣ إلى ٧ تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٧٥، أصبحت المجموعات مصورة، تحمل صور البلاد من مناظر وطيور وأزهار وحيوانات وأسماك، ومناسبات وطنية واسبانية، جمعت ٢٦٠ طابعاً وشكّلت ٧٢ مجموعة. هذا بالاضافة إلى المجموعات المشتركة، التي استعملت في إفني بالغرب، وفي الصحراء الاسبانية ما بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥١، كما سيأتي ذكرها فيما بعد في منطقة أفريقيا الغربية الاسبانية.

وفي ٢٣ أيار/مايو سنة ١٩٧٥، أعلنت الحكومة الاسبانية استعدادها لمنح الصحراء الاسبانية استقلالها، فباشرت بالمفاوضات مع المغرب وموريتانيا والجزائر ومنظمة البوليساريو (الجبهة الشعبية لتحرير الصحراء ونهر الذهب)، ولكن صُدّت بالمسيرة الخضراء التي شكّلها الملك الحسن في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٧٥، بثلاثمائة وخمسين ألفاً من المدنيين المغاربة التي دخلت الصحراء بمظاهرة سلميّة والتي أسفرت عن اتفاقية من ثلاثة أقسام، أعلنت في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٧٥، تُحضّر لتحويل النفوذ على المنطقة إلى الحكومة المغربية والموريتانية، ابتداءً من ٢٨ شباط/فبراير سنة ١٩٧٦. ولكن المغرب عززت موقفها سريعاً باحتلال المدن الرئيسية خلال شهري كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥ وكانون الثاني/يناير سنة ١٩٧٦.

وفي شباط/فبراير سنة ١٩٧٦، انسحبت القوات الاسبانية وانقسمت البلاد ما بين المغرب التي احتلت ثلثي المنطقة الشمالية، وموريتانيا التي احتلت الثلث الجنوبي. واما الحدود فقد رُسمت بموجب معاهدة الرباط التي وُقّعت في ١٤ نيسان/ابريل سنة ١٩٧٦، وكانت تمتدّ من شرق الساحل الاطلنتي شمالاً نحو دخلا (**"VILLA CISNEROS"**) سابقاً، إلى نقطة جنوبي بئر انزران، ثم تنحدر نحو الجنوب الشرقي إلى مدينة زرّات الموريتانية. ولكن منظمة البوليساريو قاومت هذه الاتفاقيات. وفي منتصف ليل ٢٨/٢٧ من شباط/فبراير

سنة ١٩٧٦ ، أعلنت ولادة الجمهورية الصحراوية العربية الشعبية ، وألّفت حكومة لها ، ثم اندلعت حركات العنف في بعض المناطق ضدّها وضدّ موريتانيا .

أما وضع البريد الحالي فليس معروفاً بالضبط ، بسبب الحالة السياسية والعسكرية المتدهورة للآن .

وهناك منطقة في الصحراء الغربية اسمها لا اغويرا "LA AGUERA" ، تقع في شبه جزيرة ("CABO BLANCO") في أقصى ساحل البلاد ، كانت القوات الاسبانية قد احتلتها في تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٢٠ ، كمركز عسكري للطيران ، وذلك للمشروع المنوي تحقيقه آنذاك للخط الجوي إلى جنوب أمريكا .

وفي شهر حزيران/يونيو سنة ١٩٢٠ ، صدرت أول مجموعة لهذه المنطقة باستعمال مجموعة نهر الذهب لسنة ١٩٢٠ ، موشحة لا اغويرا بالافرنجي ، وكانت مؤلفة من ١٣ طابعاً ، أصبح قيمتها اليوم تزيد على خمسين جنيهاً استرلينياً . ثم صدرت مجموعة أخرى تحمل صورة الملك الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا ، كتب على الطابع ("SAHARA OCCIDENTAL LA AGUERA") وكانت مؤلفة من ١٣ طابعا من سنتيموس واحد إلى ١٠ بزيتاس أصبح قيمتها اليوم تزيد على ثلاثين جنيهاً استرلينياً . وفي سنة ١٩٢٤ ، انضمت هذه المنطقة إلى الصحراء الاسبانية .

وأخيراً منطقة أفريقيا الغربية الاسبانية التي هي جَمعٌ من المناطق الاسبانية الافريقية الشمالية الغربية ، ضَمَّتْ لا اغويرا ونهر الذهب والصحراء الغربية (الاسبانية) ، وكانت عاصمتها ("VILLA CISNEROS" سابقاً ، ودخلا حالياً . هذه التسمية للمنطقة لم تدم أكثر من ثلاث سنوات ، وأصبحت تُسمّى بالصحراء سنة ١٩٥١ ، ثم الحقت بالممتلكات الاسبانية سنة ١٩٦٠ . أما طوابعها ، فانها أصدرت ما بين ٩ تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٤٩ وأوّل آذار/مارس سنة ١٩٥١ ، مجموعتان : عادية وجوية ، وطابعان تذكاريان ، وطابع للبريد المستعجل ، مجموعها ٢٦ طابعاً ، تحمل اسم المنطقة "AFRICA OCCIDENTAL ESPAGNOLA" ، خصصت لتُستعمل أيضاً ، في منطقة إفني المغربية ، والصحراء الاسبانية ، وهي : طابع الذكرى الـ ٧٥ لاتحاد البريد العالمي من فئة ٤ بزيتاس ، يحمل صورة مواطن . وطابع ليوم الطابع من فئة ٥ بزيتاس ، يحمل صورة الملكة ايزابيل . ومجموعة عادية من ١٦ طابعاً ، ومجموعة جوية من سبعة طوابع ، وطابع واحد للبريد المستعجل ، تحمل صور الصحراء والخيام والنخيل والجمال ، مزيّنة في الزاوية العليا من كل طابع ، بصورة الجنرال فرانكو .

حل مسابقة العدد العاشر :

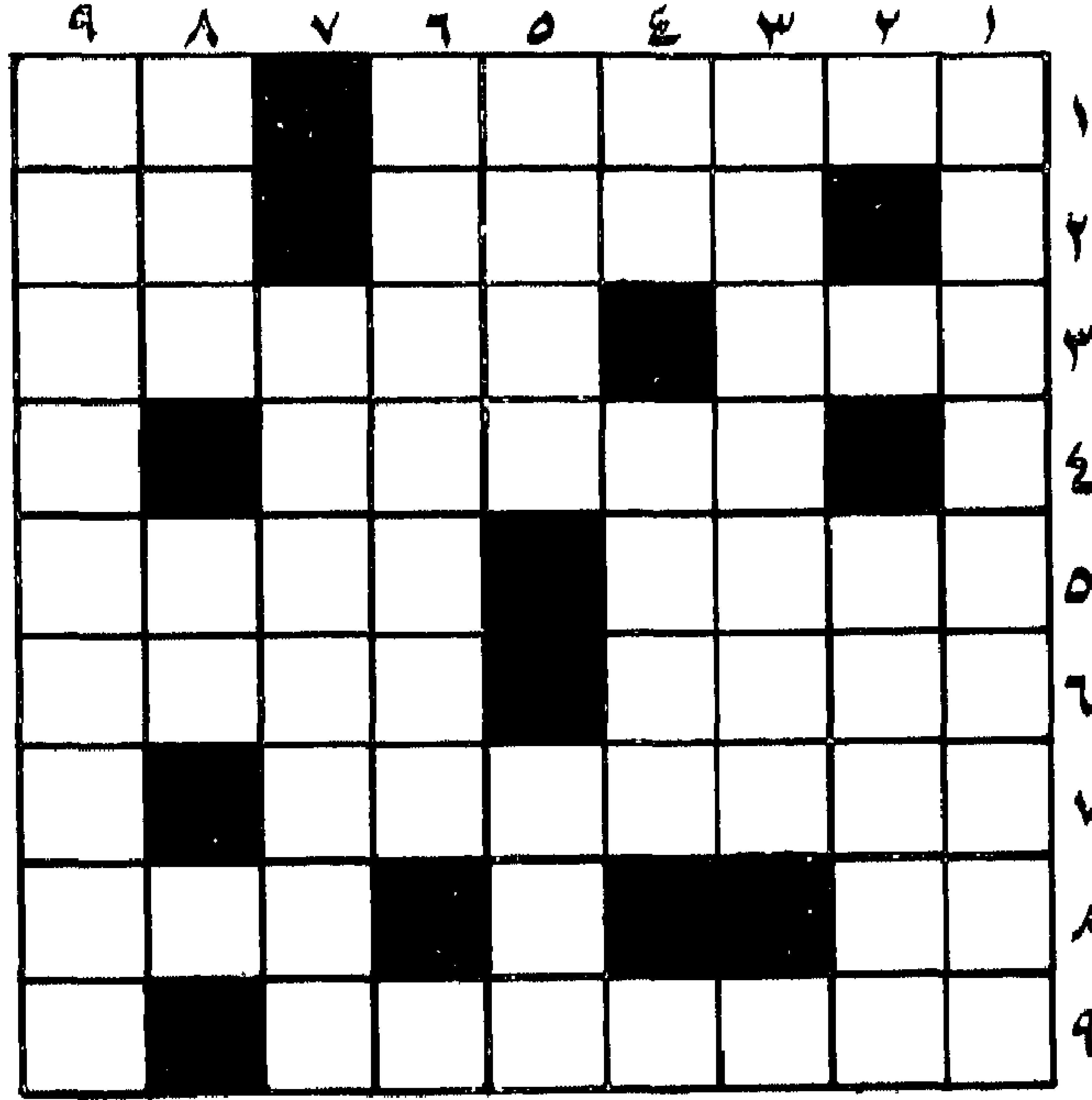
أفقياً :

١ – أرواد ، غبر .
٢ – دول (معكوسة) ، غزوات .
٣ – لا ، ا ، بتره (معكوسة) .
٤ – اسكندرون .
٥ – ذبالاة ، يم .
٦ – ق ، حجاب (معكوسة) ، عز .
٧ – ليموني (معكوسة) ، ٨٠ – ة ، لعاب ، عس .
٩ – آت ، هبة .

عمودياً :

١ – اللاذقية .
٢ – رواسب ، ن .
٣ – ود ، كابول . ٤ – ١ ، أعمالنا .
٥ – غد (معوسة) ، داجيات .
٦ – زهرة حلب .
٧ – غورو ، هـ .
٨ – عينتاب (معكوسة) ، سب .
٩ – رتب ، مزوعة .

مسابقة العدد



أفقياً :

١ – وباء الرداء. قلب.
٢ – ينام. فضاء.
٣ – بقية حياة. قمقم.
٤ – الراكبان خلفي (معكوسة).
٥ – نهر في العراق (معكوسة). حرب في الجاهلية اسمها حرب... والغبراء.
٦ – أستُرُ. أحد الانجيليين.
٧ – عاصمة بلد عربي.
٨ – للنداء. يسأم (معكوسة).
٩ – البيداء.

عمودياً :

١ – بلد عربي.
٢ – أخوة الأم.
٣ – قارّة (معكوسة).
٤ – متشابهان. مدينة في بلد عربي (معكوسة).
٥ – فَلَبِثَ (معكوسة). لباس الطير (معكوسة).
٦ – الاسم الثاني لأول رئيس في دولة عربية (معكوسة).
٧ – قبائل من البربر (معكوسة).
٨ – خوف شديد (معكوسة). ضد باطل.
٩ – يطالبون بالصحراء الغربية.



لكل شيء أثره... وعلى هذا فالكل أولا شيء.
فالكشف عن الحقيقة التاريخية كاملة غير منقوصة يقتضي له التقصّي واقتفاء ما تركت من أثر ملحوظ أينما وقع وبأي شكل ظهر. مهما صغر ودق.

ميشليه

قبل ٢٥ سنة

١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٤

● مباحثات مصرية - سودانية بين الصاغ صلاح سالم. الوزير المصري المسؤول عن شؤون السودان. ورئيس الوزراء السوداني اسماعيل الأزهري حول مستقبل العلاقات بين مصر والسودان.

● اتحاد العمل الجزائري ينفذ اضراباً عاماً في الجزائر مطالباً بمساواة العمال الجزائريين بالعمال الفرنسيين.

٢ تشرين الأول (اكتوبر):

● حزب الأمة السوداني يستنكر زيارة الوزير المصري صلاح سالم معتبراً إياها تدخلاً في الشؤون السودانية. بينما أكد الأعضاء الجنوبيون في الحزب الوطني الاتحادي السوداني التزامهم بسياسة الحزب والأعضاء الشماليين.

● قامت السلطات المصرية باعتقال طاقم السفينة الاسرائيلية «بات غاليم» بعد اعتدائهم على عدد من المواطنين المصريين.

٢ تشرين الأول (اكتوبر):

● صلاح سالم يؤكد استعداد مصر للتعامل مع كافة الأحزاب السودانية على قدم المساواة ودون انحياز

● أعلنت الحكومة العراقية في بغداد عن استعدادها لتوحيد السياسة النفطية مع ايران والسعودية.

٤ تشرين الأول (اكتوبر):

● المندوب السوري في الأمم المتحدة يطالب بطرد اسرائيل.

● تدخلت الطائرات الحربية الفرنسية لأول مرة في معركة ضد الوطنيين التونسيين في «سيدي برّاني».

٨ تشرين الأول (اكتوبر):

● تأكيدات سورية تنفي أنباء عن اشتراك الجيش في مؤامرة لقلب الحكم.

● تبديلات واسعة في الجيش المصري استعداداً لتحمل أعباء قاعدة السويس بعد اقتراب نهاية المباحثات المصرية - البريطانية حول جلاء الأخيرة عن قنال السويس.

● مصدر حكومي عراقي يؤكد عدم تفكير العراق بالاعتراف بجمهورية الصين الشعبية.

٩ تشرين الأول (اكتوبر):

● عقبات جديدة تعترض المفاوضات البريطانية - المصرية حول الجلاء عن السويس مما يؤجل اعلان الاتفاق النهائي بضعة أيام.

١٢ تشرين الأول (اكتوبر):

● المجلس الوزاري اللبناني يمنح الحكومة اللبنانية الجديدة برئاسة سامي الصلح صلاحيات اشتراعية استثنائية لمدة ثلاثة أشهر.

● عودة صلاح سالم إلى القاهرة بعد زيارة للسودان إستمرت ١١ يوماً.

١٤ تشرين الأول (اكتوبر):

● قدم سعيد الغزي استقالة الحكومة السورية إلى الرئيس هاشم الأتاسي بينما فاز ناظم القدسي برئاسة المجلس النيابي الجديد.

● وافق مجلس النواب الليبي على اقامة القواعد الأميركية في ليبيا بأكثرية ٣٩ ضد ٢.

١٥ تشرين الأول (اكتوبر):

● وافق مجلس النواب اللبناني بأغلبية الأصوات على اعطاء حكومة سامي الصلح سلطات استثنائية لمدة ثلاثة أشهر.

١٦ تشرين الأول (اكتوبر):

● نقابة المعلمين الابتدائيين في السودان تقدم

استقالة ٧٠٠ أستاذ إلى وزارة التربية بعد رفض الحكومة دراسة مطالبتهم بزيادة الأجور.

١٧ تشرين الأول (اكتوبر):

● الرئيس السوري هاشم الأتاسي يطلب من خالد العظم رئيس الكتلة المستقلة في المجلس النيابي تشكيل حكومة جديدة.

● مجلس الشيوخ الليبي يوافق بأكثرية ١٥ ضد ٤ على اقامة القواعد الأميركية على الأراض الليبية.

● الملك الليبي أدريس السنوسي يعتقل عدداً من أفراد عائلته وينفيهم إلى صحراء الجنوب بتهمة العمل لقلب النظام.

١٨ تشرين الأول (اكتوبر):

● صلاح سالم يعرب عن قبول مصر لأي موقف رسمي يتخذه السودان والحزب الوطني الاتحادي واستعدادها للتعامل معه وحدوياً كان أم إنفصالياً، ثم دعا السودانيين إلى اختيار حكامهم.

١٩ تشرين الأول (اكتوبر):

● مساء هذا اليوم تم الاتفاق النهائي بين بريطانيا ومصر حول قناة السويس وهو يتألف من ١٣ مادة وملحقين و١٦ مذكرة (مجموعة ١١٠ صفحات من القطع الكبيرة) وأهم ما فيه:

- الجلاء البريطاني الكامل عن القناة خلال ٢٠ شهراً تبدأ في ١٩ ت١ (اكتوبر) ١٩٥٤.
- الاعتراف بالغاء معاهدة ١٩٣٦.
- عودة بريطانيا إلى القناة في حال وقوع اعتداء على تركيا أو احدى الدول العربية.
- تجلو بريطانيا عن القناة مباشرة بعد انتهاء القتال في حال تدخلها.
- احترام اتفاقية ١٨٨٨ حول حرية الملاحة في القناة.
- مدة الاتفاق سبع سنوات.

● تجديد رئاسة عادل عسيران لمجلس النواب اللبناني.

● في ختام زيارته لتركيا نوري السعيد يعلن عن ضرورة قيام حلف دفاعي في منطقة الشرق الأوسط ملتزم بمقررات الأمم المتحدة.

٢٠ تشرين الأول (اكتوبر):

● الهيئة التأسيسية لجماعة الاخوان المسلمين في مصر تعلن عن اعطاء إجازة لمرشدها العام حسن الهضيبي واختيار لجنة بديلة.

٢١ تشرين الأول (اكتوبر):

● نائب المرشد العام للاخوان المسلمين في مصر خميس حمادة يعلن عن عدم فعالية قرارات اليوم السابق وانباء عن انقسام في الجماعة بين مؤيد ومعارض لحسن الهضيبي.

٢٥ تشرين الأول (اكتوبر):

● بعد اعتذار خالد العظم الرئيس الأتاسي يكلف فارس الخوري بمهمة تشكيل الحكومة السورية الجديدة.

● تأليف الحكومة الأردنية الجديدة برئاسة توفيق أبو الهدى.

٢٦ تشرين الأول (اكتوبر):

● فشل محاولة لاغتيال جمال عبد الناصر خلال مهرجان جماهيري في الاسكندرية وبعد اعتقال الفاعل اتهم بالانتماء إلى جماعة الاخوان المسلمين.

٢٧ تشرين الأول (اكتوبر):

● حملة واسعة في مصر ضد جماعة الاخوان المسلمين. ونائب المرشد العام خميس حمادة يستنكر محاولة الاغتيال.

٢٩ تشرين الأول (اكتوبر):

● تشكيل الحكومة السورية الجديدة برئاسة فارس الخوري من خمسة أعضاء من حزب الشعب وثلاثة من الحزب الوطني واثنين مستقلين وواحد من العشائر.

٣٠ تشرين الأول (اكتوبر):

● صلاح سالم يعلن اعتقال حسن الهضيبي، المرشد العام للاخوان. ويتهمه بالعمل على قلب نظام الحكم باعتماد الإغتيالات.

الفهرس العام

فهرس جامع لموضوعات السنة الأولى

تاريخ لبنان[1]

تاريخ فلسطين[2]

التاريخ العربي الوسيط[3]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● د. فواز أحمد طوقان	حدائق الحيوان زمن الأمويين[٢]	٩	١٢
● د. محمد أحمد خلف الله	تاريخ أصول الادارة في الإسلام	١١	١٣
● د. رضوان السيد	حرب القادسية : بداية صفحة جديدة في العلاقات العربية–الفارسية	١٢	١٦

تراث عربي[٤]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● د. احسان عباس	المنهج التاريخي عند الفقيه ابن العربي	١	٣٣
● د. اسامة عانوتي	الكندي موسيقيا	٢	٢٦
● د. سيد نوفل	كتاب الجاحظ : البيان والتبيين	٢	٥٦
● د. محمد أبو الأنوار	كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني	٣	٦٢
● د. الطاهر أحمد مكي	العقد الفريد لابن عبد ربه	٤	٥٢
● عفاف الرشيدي الخضر	الطب العربي من الف سنة	٥	٤١
● د. نقولا شاهين	العرب رواد علم الفلك	٦	٢٨
● د. ليلى الصباغ	وثيقة عربية عمرها أربعة قرون : الصناعة النسيجية والنساج	٧	٣
● د. نقولا شاهين	الحسن بن الهيثم أسس علم البصريات والضوء منذ ١٠٠٠ سنة	٧	٢٠
● لطف الله قاري	نشأة المكتبات في العصر الأموي	٧	٥٣
● د. غازي أبو شقرا	تراث العرب العلمي : ابن سينا	١٠	٥٣

التاريخ الحديث والمعاصر للبلدان العربية والاسلامية[٥]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● د. محمود زايد	محمد علي رائد التجديد في العالم العربي	١	١١
● د. هدى سكاكيني بربير	عمر المختار مقاتلاً وشهيداً	١	٢٠
● د. أحمد عبد الرحيم مصطفى	المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي (١٧٩٨–١٨٠١)	٤	٣
● د. احسان عباس	انطباعات الأديبة التركية خالدة أديب في لبنان وسورية وفلسطين ١٩١٦–١٩١٧	٥	٣
● سعيد كريديه	معاهدة كوتاهية (١٨٣٣)	٥	٦١
● د. ياسين سويد	اتفاقية سايكس بيكو ١٦ أيار (مايو) ١٩١٦	٧	١٠
● د. أبو القاسم سعد الله	الجزائر والحملة الفرنسية ١٨٣٠	٧	٢٦
● فتحي رضوان	معركة رشيد ٣١ آذار (مارس) ١٨٠٧	٧	٦٢
● سعيد كريديه	معاهدة سيفر أو الاتفاق على اقتسام الامبراطورية العثمانية (١٩٢٠)	٧	٧٨
● سعيد كريديه	الاتفاق التركي البريطاني العراقي (١٩٢٥)	٨	٥٧
● د. حليم أبو عز الدين	ديغول والعرب وحرب ١٩٦٧	٩	٣
● أحمد مرتضى المراغي	حريق القاهرة ١٩٥٢	٩	٥٤
● عادل الصلح	الأميرة ناظمة : هكذا قتلوا أبي السلطان عبد العزيز	١٠	٣

في الآثار وتاريخ الحضارات (٦)

رحلات وجغرافيا (٧)

تاريخ اقتصادي[٩]

تاريخ أوروبا والعالم[١٠]

أخبار وأحداث من الحربين العالميتين[١١]

مؤتمرات[١٢]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● د. نقولا زياده	المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ١٥١٦-١٩٣٩	٣	٤٦
● د. كمال سليمان الصليبي	الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (١٩٧٩)	٨	٤٦
● د. محمود زايد	الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب (حلب ١٩٧٩)	٨	٥٣
● د. حليم أبو عز الدين	مؤتمر باندونغ (١٩٥٤-١٩٥٥)	١١	٣
● أكرم زعيتر	أول مؤتمر نسائي عربي في التاريخ	١٢	٣

مناهج التاريخ[١٣]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● د. قسطنطين زريق	نظرة في تاريخ العرب والعالم لنصرة القضية الفلسطينية ١٩٣٨	١	٥
● هدى سكاكيني بربير	عبد الرحمن بن خلدون	٢	٣١
● د. ارنولد توينبي	الشرق الأوسط هكذا سموه في أوروبا الغربية و «مركز العالم» هو اسمه الحقيقي	٣	١٨
● د. جمال بدران	مارو وعلمية التاريخ	٤	٢٢
● فيصل محمد شقير	مطالعة في «تاريخ ابن خلدون».	١١	٧٦
● فيصل محمد شقير	الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ	١٢	٦٨

عرض كتب[١٤]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● عايده نعمان	اعداؤنا الفرنسيون لأنتوني موكلر	٥	٧٧
● عايده نعمان	بسمارك رائد الوحدة الالمانية لالن بالمر	٦	٨١
● إعــداد قسم «الأبحاث والدراسات»	التاريخ الحديث لدولة الامارات العربية المتحدة لمحمد مرسي عبد الله	٧	٧٠
● إعــداد قسم «الأبحاث والدراسات»	«إلى أين يسير لبنان «لعصام نعمان»	٧	٧٦
● إعــداد قسم «الأبحاث والدراسات»	لبنان الحضارة الواحدة للنادي الثقافي العربي	٧	٧٧
● د. طريف الخالدي	النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية لحسين مروّة	٨	١٧

تاريخ الفنون[١٥]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● رينيه هويغ	حضارة الصورة في اللوحة والطبيعة والواقع !	٢	٦٠
● اليان مانجو	الموسيقى الاوتوماتيكية من عصر العلب إلى عصر الكهرباء	٣	٧٠
● دوغلاس هالت	الفنان غويا الوطني الصاخب	٤	٦٦
● د. سامي مكارم	الشيخ نسيب مكارم : شاعر الخط واللون[١]	٩	٢٢
● د. محمد يوسف نجم	من أخبار المسرح الكوميدي في مصر: عزيز عيد[١]	٩	٢٩
● د. محمد يوسف نجم	من أخبار المسرح الكوميدي في مصر : عزيز عيد[٢]	١٠	٢٢
● د. سامي مكارم	الشيخ نسيب مكارم : شاعر الخط واللون[٢]	١٠	٣١
● د. محمد يوسف نجم	من أخبار المسرح الكوميدي في مصر: نجيب الريحاني	١١	٣٢

تاريخ الرياضة[١٦]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● وفيق علم الدين	في أولمباد برلين ١٩٣٦ الزنوج حطموا نظرية هتلر	١	٩٤
● وفيق علم الدين	الرياضة في الثلاثينات وكيف أفسدتها التجارة	٢	٨٩
● فؤاد حبيب	تاريخ نشوء لعبة الدراجات	٣	٩٢
● وفيق علم الدين	كيف نظمت عام ١٩٣٠ أول دورة عالمية للكرة	٤	٨٦
● وفيق علم الدين	ايطاليا رعت بطولة ١٩٣٤ التي انتصر فيها... موسوليني	٥	٧٩
● وفيق علم الدين	فرنسا تنظم بطولة ١٩٣٧ والكرة الايطالية المتجددة تنتصر	٧	٨١
● وفيق علم الدين	١٩٥٠ : البطولة الرابعة تحولت إلى مناحة برازيلية وطنية	٨	٨١
● د. سيد كريم	الفراعنة والرياضة[١]	٩	٧٩
● د. سيد كريم	الفراعنة والرياضة[٢]	١٠	٨٢
● مهى الحسيني (ترجمة)	تاريخ الرياضة : كوبرتان يحيي الألعاب الأولمبية	١١	٧٩
● «قسم الابحاث والدراسات» (ترجمة)	تاريخ الرياضة : العاب الخط والألعاب الذهنية	١٢	٧٠

تاريخ الشطرنج[١٧]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
● محمد مراد سكر	تاريخ الشطرنج بالقصص (المانيا)	١	٨٧
● محمد مراد سكر	بريطانيا[١]	٢	٨٢
● محمد مراد سكر	بريطانيا (٢)	٣	٨٣
● محمد مراد سكر	الصين مهد الشطرنج ام الهند؟	٤	٨٢

تاريخ الطوابع (١٨)

تاريخ البروج (١٩)

متفرقات [20]

فهرس الغلافات الملونة [21]



